

الرحلات والرحالة في الجنوب السعودي

(في مؤلفات غيثان بن علي بن جريس)

(ق٢ – ١٥هـ / ق٨ - ٢١م)

الجزء الثاني

محمد بن أحمد مُعَبِّر

١٤٤٠هـ / ٢٠١٨م

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

معبر، محمد أحمد محمد
الرحلات والرحالة في الجنوب السعودي في مؤلفات غيثان بن جريس ./
محمد أحمد محمد معبر .- الرياض، ١٤٣٩هـ - ٢ مج
٥٤٤ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٧ - ٧٢٨٧ - ٠٢ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)
١ - ٧٢٨٩ - ٠٢ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (ج٢)

١- المنطقة الجنوبية (السعودية) - وصف ورحلات أ - العنوان
ديوي ٩١٥,٣١٥٠٤ ١٤٣٩/٨٦٩٠

رقم الإيداع ١٤٣٩/٨٦٩٠
ردمك: ٧ - ٧٢٨٧ - ٠٢ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)
١ - ٧٢٨٩ - ٠٢ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (ج٢)

الطبعة الأولى
١٤٤٠هـ - ٢٠١٨م

الرياض: مطابع الحميضي

خميس مشيط: ص. ب: (٣٧٦) - الرمز البريدي: (٦١٩٦١)
الفاكس: (٠١٧/ ٢٢٣٩٤١٦)
Email:Maam9412@gamail.com


بسم الله الرحمن الرحيم



القسم الثاني

رحلات غيثان بن جريس
في
الجنوب السعودي







فهرس القسم الثاني



ثانياً : القسم الثاني : رحلات غيثان بن جريس في الجنوب السعودي

١ - محافظة القنفذة كما سمعت عنها ورأيتها(*)

(*) نُشر في كتاب :
بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق ١٠ - ١٥هـ / ق١٦ - ٢١م)
(دراسة تاريخية حضارية)
ط١ : ١٤٣٢هـ ، الرياض ، مطابع الحميضي ، ص ص ٣٠١ - ٣٥٦

محافظة القنفذة كما سمعت عنها ورأيتها

أولاً : تمهيد :

أوضحنا في الأقسام السابقة من هذا الكتاب أهمية بلاد القنفذة مكانياً وزمنياً، ولهذا رأينا في هذا القسم أن نسهم برحلة استكشافية لهذه الديار، مع العلم أنها ليست غريبة علينا من قبل، فقد زرناها واجتزناها عشرات المرات خلال العقود الأربعة الماضية . لكن رؤيتها وعبورها في الماضي لم يكن مخططاً له، وإنما كنا نروح ونغدو من خلالها عندما نسافر إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة ونرجع إلى مسقط رؤوسنا (منطقة عسير)[١] .

وفي تمام الساعة الثالثة من مساء يوم الأحد الموافق (١٤٣١/١٢/١٥هـ) خرجت بسيارتي براً عبر عقبة ضلع في أبها متجها على طريق الساحل من الدرب، والشقيق[٢]، والحريضة [٣]، وأخيراً وصلنا وادي ذهبان في الناحية الجنوبية من منطقة القنفذة [٤]. وواصلت السير حتى دخلت في أثناء أذان المغرب بلدة البرك، ونزلت ضيفاً على الأستاذ عبد الرحمن بن عبد الرحيم الهلالي[٥] . وأبديت له رغبتي في السياحة والتجول في بلاد القنفذة، فرحب بالفكرة، ومكثنا ليلتنا نخطط لرحلتنا في اليوم الثاني . ومكثت عنده يومين بليلتيهما زرنا فيهما نواحي عديدة من بلاد البرك، وحلي، والقوز[٦] . وفي يومين آخرين تنقلت بمفردي بين مدن وقرى القنفذة الأخرى، مثل: مدن القنفذة، والقوز، والحبيل[٧]، وقرى أحد

---

(١) غالباً ما نسافر من عسير إلى الحجاز على الطريق الجبلي، ولكن بعد أن أصبح خط الساحل مزدوجاً أصبح سهلاً ومفضلاً للمسافر من جازان وأبها ونجران إلى مكة والمدينة المنورة.

(٢) الدرب والشقيق بلدتان ساحليتان تابعتان لإمارة جازان، وهاتان البلدتان جديرتان بالدراسة، فياحبذا أن نرى البعض من إخواننا الباحثين وطلاب الدراسات العليا الجازانيين أو غيرهم من يخدمهما ببعض البحوث والدراسات العلمية القيمة .

(٣) الحريضة بلدة حديثة وتابعة لإمارة منطقة عسير .

(٤) للمزيد عن وادي ذهبان، انظر: البلادي، بين مكة واليمن، ص٢٢٦-٢٢٩ .

(٥) الأستاذ عبد الرحمن من أسرة آل عبده الهلالية صاحبة المشيخة على بلدة البرك منذ زمن ليس بالقصير، وهو من المهتمين بتاريخ وتراث بلاده ومسقط رأسه، وله كتاب منشور بعنوان: برك الغماد .

(٦) لقد بذل الأستاذ عبد الرحمن جهوداً تذكر فتشكر فعرّفنا على العديد من أعيان بلدته البرك، وحلي، والقوز، بل تناولنا الغداء عند صديقه الأستاذ/ أحمد مهدلي في ثلاثاء يبة يوم الإثنين (١٤٣١/١٢/١٦هـ)

(٧) القوز والحبيل: قريتان متجاورتان في مركز القوز ولا يفرق بينهما إلا الطريق العام، وبلدة القوز أكثر نمواً وتطوراً من جارتها .

بنـي زيد، وسبت الجارة، وخميس حرب، وجمعة ربيعة[١]، والأحسبة، والمظيلف، ودوقة، وأخيراً ديار العرضيتين في الأجزاء الشرقية من محافظة القنفذة[٢].

وحتى لا نخوض في المعلومات التفصيلية عن الأشخاص والبروتوكولات والمناسبات واللقاءات الاجتماعية الكثيرة، التي لو أطلقنا العنان لأنفسنا للحديث عنها، فإنها سوف تذهب بنا بعيداً عن الهدف الذي نسعى إلى تحقيقه[٣]. فقد رأيت أن نقصر حديثنا على بعض الجوانب التاريخية والحضارية التي سمعناها من أهالي المنطقة عن بلادهم في العقود المتأخرة الماضية، بالإضافة إلى ما شاهدنا وتكونٍ لدينا من انطباعات للهدف نفسه[٤].

ثانيا: التركيبة الجغرافية والسكانية:

١- التركيبة الجغرافية:

أ: مركز البرك:

تمتد طبيعة هذا المركز من ذهبان جنوباً إلى قرية الصوالحة شمالاً[٥]، ومن ساحل البحر الأحمر غرباً إلى أطراف مدينة محائل الحضارية من الناحية الشرقية. وعموم هذه البلاد كانت جزءاً من منطقة القنفذة، ثم صارت تراجع محافظة محائل التي تستمد قراراتها من إمارة منطقة عسير[٦]. والمشاهد لديار البرك من البلدة نفسها (البرك) إلى قرية دبسا شمالاً بحوالي (١٥) كيلومتراً يجد جبلها متصلاً بساحلها البحري، ومن قرية دبسا نحو الشمال يبدأ السهل الساحلي يتسع بين البحر والجبال[٧].

---

(١) جمعة ربيعة أو (ربيعة المقاطرة) تتبع إدارياً لمنطقة عسير وتجاور خميس حرب من الناحية الجنوبية وتقع على وادي بية، ومن عشائرها : الصعاودة، وآل حسان، وآل صقر، والدهاشرة، وآل جبران، وآل أحمد، وآل مشنية، وآل مناع، وآل خضير.

(٢) انظر: الأقسام الثلاثة الأول من هذا الكتاب.

(٣) نسعى إلى رصد بعض التفصيلات التاريخية القائمة على الرواية الشفاهية والمشاهدة والانطباع.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المسافة من ذهبان إلى قرية الصوالحة (٦٠) كيلومترا.

(٦) بلاد البرك تحد منطقة محائل من الغرب، وهناك حالياً طريق تحت التنفيذ يربط مدينة محائل ببلدة البرك، وعندما يتم الانتهاء منه سوف يساعد على تقدم وتطور منطقة البرك.

(٧) وكلما سرنا شمالاً إلى مدينة القنفذة اتسع السهل الساحلي، ففي قرية الصوالحة وما حولها ربما كانت المسافة بين الجبل والبحر حوالي (٢-٥كم)، وهكذا تتسع حتى تصل إلى (٦٠-٧٠كم) شمال مدينتي القوز والقنفذة. مشاهدات الباحث وانطباعاته.

ومـن خلال تجوالنـا في البلدة ومـا حولها شاهدنـا بعض المعـالم الجغرافية القديمة والحديثة، مثل :

١. ميـنـاء البرك المتواضع في بنيتـه التحتية، فلا يوجد بـه إلا بعض الصيادين الذيـن يمتلكون قوارب صغيرة لصيد السمك والمتاجرة به . وهناك مرسيان آخران، هما : النهود، وسوبان شمال مدينة البرك[١] .

٢. سور البرك الأثري والقلعة المتصلة به، ولقد اندثرت هذه المعالم ولم يعد يرى إلا أثرها [٢] .

٣. تنقسم بلدة البرك في الأساس إلى قسمين : الأول: شرق الخط المسفلت ويسمى الحشة، والثاني: غرب الخط ويطل على البحر ويسمى : القرية . والبرك حالياً ينقسـم إلى عـدد مـن الأحياء الصغيرة، مثـل: الحشة العليـا، وهي في محلها القديم، وهناك حشتان أخريـان / باسم الحشة السفلى، وحشة الوادي، وهما قريبتـان مـن الحشة الأولى . وحـي الأمير سلطـان (المركز الحضـاري)[٣]، وأحيـاء الصحين، والبياض، والبرك الجديـد وجميعها حول مستشفى البرك، وأحياء أخرى مثل : العزيزية، والخالدية، وحشوة، وحارة البدو وغيرها .

٤. الحصن الأثري في ذهبان عند مصب الوادي، وسوق عمق الأسبوعي (يوم الجمعة) المشهور بأكل السمك والذرة، ولايزال يوجد به عشش شعبية تراثية حتى الآن[٤].

٥. شاطـئ المحاجي : وهو كتلـة صخرية في النـاحيـة الشمالية وتصـل اليابسة بالبحـر.

٦. كورنيشـ البليقعـة (حاليـاً كورنيش المركـز الحضاري) شـرق تحلية المياه المالحة . وتنشأ به الآن حديقة وملاعب أطفال ومدرجات، وكان يسمى قديماً بالرأس، وفيه يتصل البحر باليابسة[٥] .

---

(١) كانـت مدينة البرك ذات تاريخ مشرف وحافل بالأحداث التاريخية والحضارية، انظر: ابن عبده، ص ١٤ وما بعدها .

(٢) هذا السور يعود تاريخه إلى العصور الإسلامية الوسيطة، وللمزيد انظر: ابن عبده، ص ٢١٤ وما بعدها.

(٣) هـذا الحي يقـع إلى الجنوب من بلدة البرك، وهو (١٠٠) فيلا بها مبنى للتنميـة الاجتماعية، بالإضافة إلى أبنية أخـرى خدماتية كالمدارس وغيرهـا . ويوجد حول قرية الصوالحة مركز آخر . والهدف من هذين المركزين توطين بدو البرك الذين كانوا يعيشون على التنقل والترحال . مشاهدات الباحث يوم الإثنين (١٦/١٢/١٤٣١هـ) .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) مشاهدات الباحث يوم الإثنين (١٦/١٢/١٤٣١هـ)، برفقة الأستاذ عبد الرحمن بن عبد الرحيم الهلالي .

٧. ويوجد على مقربة من بلدة البرك بعض الجزر البحرية، ومن أهمها : جزيرة حصر، وهي على مقربة من الساحل، ويشاهدها المسافر على الطريق الرئيس الرابط بين مكة وجازان، ويتوسطها غابة من شجر المنقروف، المعروف محليا باسم : (الإشرير) . وجزيرة الجبل عند مصب وادي الداهن من الجنوب، وتبعد عن البرك في البحر بحوالي (١٠) كيلومترات . وجزر أخرى داخل البحر مثل : جزيرتي موقط، والظهر[١] .

ب. ناحية حلي :

يشتهر وادي حلي الكبير بوفرة مياهه وتنوع مزروعاته، وعلي الجزء الأخير منه تتواجد العديد من القرى والبطون القنفذية . ففي الناحية الجنوبية من الوادي يستوطنه : العينة، وكياد، والسلامة، والفريق، والخريزات، والبيضين، والمعاشية، والفاهمة، والفلحة، والشواعرة في قرية مخشوش، ووينة، وربيعة في قرية الهجرة، وآل عمر وآل يحمد ويسمون السادة العراقية في حلي قديم [٢] .

وعلى ضفة الوادي الشمالية نجد أيضاً العديد من القرى والبطون، مثل : السبطة، الشعب، الحدبة، الغوانمة، الحوادثة، في قرية القضب، العمور، والخوالدة، والصلابنة بساحل حلي، والعلاونة وقريتهم الكدوة، وقعموصة ويسكنها الهيلة، باشوت ويسكنها بعض السادة، الدبيسية، والدبش ويسكنها الدراهمة[٣] .

ومن خلال تجوالنا في ديار حلي اتضح لنا أن (حلي قديم) ، بلدة أمراء بني حرام[٤] ، لازالت على وضعها القديم فلم تبلغ أي مجال من مجالات التنمية، وهذا بعكس الناحية الشمالية فتجدها أحسن حالا في مجال العمارة والخدمات الأخرى. وما شاهدناه جميلاً في حلي قديم بقاء الحياة الطبيعية القديمة من زراعة وتربية للماشية وحياة يومية أخرى وغيرها [٥] .

---

(١) المصدر نفسه . وللمزيد من التفصيلات عن بلدة البرك وما جاورها انظر : البلادي، بين مكة واليمن ، ص ٢١٣-٢٢٤، ابن عبدة، برك الغماد، ص ٣١ وما بعدها .

(٢) مقابلة مع محمد علي عمر آل عمر الكناني بقرية حلي قديم يوم الإثنين (١٤٣١/١٢/١٦هـ) يظهر على مدينة حلي قديم التأخر في تطورها، وربما وجودها عند مصب الوادي وعدم وجود دراسة لتخطيطها وتطويرها ساعد في فقرها وعدم تنميتها .

(٣) المصدر نفسه، مقابلة مع بعض المشرفين بمكتب التربية والتعليم بحلي مثل : الأساتذة أحمد عمر محمد الفقيه، وعوض بن حسن العمري، وإسماعيل ناصر الكناني، ومصطفى عبد الرحمن الكناني يوم الإثنين (١٤٣١/١٢/١٦هـ) .

(٤) للمزيد عن أمراء بني حرام، أو أمراء حلي في العصور الإسلامية الوسيطة انظر : القسم الثاني من هذا الكتاب .

(٥) مشاهدات الباحث يوم الإثنين (١٤٣١/١٢/١٦هـ) .

ويقابل حلي قديم جزيرة أم الصبيا، وبها أراض زراعية، وبئر عذبة الماء، وأملاك زراعية غنية بتربتها ومزارعها، وتبعد عن الساحل حوالي (٣٠) كيلومتراً، وهناك جزيرة أخرى تسمى قطنة [١] .

ج ـ مدينة القنفذة وما حولها :

مدينة القنفذة ميناء ساحلي أشارت إليه الكثير من المصادر والمراجع، وأسهبت في وصفه وما يحيط به من الجزر البحرية [٢] . والغالب على البلاد الممتدة من حلي جنوباً إلى المظيلف ودوقة شمالاً انبساط أرضها ووقوعها على ثلاثة أودية رئيسة هي من الشمال إلى الجنوب : الأحسبة، وقنونا، ويبة. ويقع على هذه الأودية العديد من المدن والقرى المحيطة بالقنفذة، فالمظيلف ودوقة إلى الشمال [٣] ، ومدينة القوز [٤] ، وقرى أحد بني زايد، وسبت الجارة، وخميس حرب في الناحية الشرقية، والغالب على مدينة القوز أنها ناحية متحضرة تضاهي مدينة القنفذة في نموها وتطورها . أما خميس حرب وسبت الجارة وأحد بني زيد فكان أهلها يعيشون حياة البادية إلى عهد قريب [٥] ، ودوقة والمظيلف ليستا عنهم ببعيد، إلا أن طبيعة البلاد الأولى غنية إلى حد ما بغطائها النباتي ووفرة مياهها [٦] ، بعكس المظيلف ودوقة التي تعاني من الرمال الزاحفة بعض شهور السنة، ولكن عندما تسقط عليها الأمطار تكتسي أرضها بالنباتات والأعشاب الخضراء [٧] .

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) انظر القسم الأول من هذا الكتاب لتجد الكثير من التفصيلات، وأسماء المصادر والمراجع التي أشارت إلى بلدة وميناء القنفذة .

(٣) تبعد المظيلف عن القنفذة نحو الشمال حوالي (٤٥) كم، وتبعد دوقة عن المظيلف شمالاً (١٥) كم مشاهدات الباحث وانطباعاته يوم الثلاثاء (١٤٣١/١٢/١٧هـ) .

(٤) تبعد القوز عن القنفذة حوالي (٣٠ – ٣٥) كم . المصدر نفسه .

(٥) تقع هذه القرى إلى الشرق من مدينة القنفذة، وتبعد أحد بني زيد عنها (١٢) كم، وسبت الجارة (٤٠) كم، وخميس حرب (٦٠) كم . وجمعة ربيعة (ربيعة المقاطرة) تبعد عن خميس حرب تجاه الجنوب حوالي (٦) كيلومترات . مشاهدات الباحث يوم الثلاثاء (١٤٣١/١٢/١٧هـ) .

(٦) ذهب الأستاذ / حسن إبراهيم الزحيمي الناشري مشكوراً معي في رحلة من القنفذة إلى دوقة بعد عصر الثلاثاء (١٤٣١/١٢/١٧هـ)، وأفادني ببعض المعلومات القيمة عن هذه الناحية .

(٧) مشاهدات الباحث خلال شهر ذي الحجة عام (١٤٣١هـ/٢٠١٠م) .

د. العرضيتان :

تقع في الأجزاء الشرقية من محافظة القنفذة، عند سفوح سروات خثعم وشمران وبلقرن الغربية . وتكون تضاريسها من الجبال التهامية التي هي أقل ضخامة وارتفاعاً من جبال السروات، وكانت هذه المرتفعات مأهولة بالسكان قديماً [١]، أما اليوم فأصبحت مهجورة من أي استيطان[٢] . ويتخلل العرضيتين واديا قنونا ويبة اللذان تزرع على ضفتيهما العديد من الثمار والمزروعات [٣] .

والذي نشاهده اليوم أن أهل البلاد الرئيسين لا زالوا في أوطانهم التي سكنوها منذ أزمنة قديمة، ولكن اللافت للنظر هو كثرة العمالة الوافدة العاملة في جميع القطاعات بالمنطقة . ونلاحظ أن الهنود والبنغاليين يأتون على رأس القائمة فهم يعيشون في هذه الناحية بنسبة كبيرة . يأتي بعدهم السودانيون، والباكستانيون، والمصريون، والفلبينيون في أعمال الكهرباء وما شابهها، وقليل من اليمنيين والفلسطينيين [٤] .

٢- التركيبة السكانية :

أشرنا إلى التركيبة السكانية لبلاد القنفذة في القسم الأول من هذا الكتاب، وذكرنا أن العنصر السائد في البلاد هم العرب بشقيهم العدناني والقحطاني، كما ذكرنا وذكر غيرنا من الرحالة في القسم الثالث من الكتاب نفسه وجود عناصر أخرى قليلة من أصول إفريقية، وتركية، وهندية وغيرها . وهذا ليس أمراً غريباً على منطقة القنفذة، وبخاصة المدينة والميناء الذي كان يستقبل الكثير من البشر والسلع التي تصدر إليه من عوالم عديدة [٥] .

---

(١) للمزيد انظر مذكرة مختصرة رقم (٣١٦) من عبد الله بن حسن الرزقي في (١٤٣١/١٢/١٧هـ) . وتوجد هذه المذكرة مع مجموعة من المذكرات والبحوث المختصرة في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية (بحوث ودراسات غير منشورة) .

(٢) للمزيد عن العرضيتين، انظر: ابن جريس، القول المكتوب، ج٢، ص ٤٠٣ وما بعدها .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) ليست منطقة القنفذة المنفردة بهذه الصفة وإنما العمالة نجدها منتشرة في أنحاء البلاد السعودية، والمؤسف أن المواطن السعودي في الغالب شخص كسول وبخاصة الشباب منهم فهم لا يرغبون بالعمل في القطاعات الخاصة كالتجارة والحرف وغيرها، مع أنها ذات أرباح جيدة، ولا يمتهنها ويجني أرباحها إلا هذه العمالة . مشاهدات الباحث في القنفذة وفي مناطق أخرى من نواحي المملكة خلال العقود الثلاثة الماضية .

(٥) انظر: القسم الأول والثاني من هذا الكتاب .

ثالثاً : ملامح الحياة الاجتماعية :

١- العمارة :

كانت عمارة القنفذة قديماً من القش أو سعف النخيل وبخاصة في البوادي والقرى والأرياف، أما في الحواضر الرئيسة مثل: بلدة القفنذة والبرك وأجزاء من العرضيتين فتوجد الأبنية الحجرية إلى جانب منازل القش[(١)]. ويغلب على القرى قديماً تقارب المنازل سواءً كانت من القش أو الحجر، وذلك لما يغلب على ذلك الزمن من حاجة الناس بعضهم إلى بعض، فتراهم متعاونين متحابين متآلفين متجاورين في منازلهم وممارسة مهنهم الأخرى، بعكس اليوم الذي اتسع فيه البناء، وتعددت المدن والقرى الكبيرة والصغيرة، وتوفر الخير في أيدي الناس، لكنهم افتقدوا تلك الحياة الهادئة الجميلة التي كانوا يعيشونها في قراهم ومضاربهم، مع قلة ذات اليد وضعف حياتهم الاقتصادية[(٢)]. وقد شاهدنا وسمعنا عن العديد من النماذج العمرانية القديمة والحديثة، والتي نوجزها في النقاط التالية :

١. من خلال السير في بلاد القنفذة لم نر آثاراً كثيرة للقرى القديمة، والذي شاهدناه بعض القرى الأثرية الحجرية المحدودة جداً في بلاد البرك والعرضيتين[(٣)]، أما باقي المنطقة فلم نشاهد بها شيئاً يذكر. والسبب في ذلك أن غالبية المنازل والقرى كانت من القش، ومن ثم تلاشت لضعف بناء العشش وعدم تحملها عوامل الزمن[(٤)].

٢. لاحظنا بعض الآثار العمرانية في البرك، وبلدتي القنفذة والقوز، وديار العرضيتين مثل: الآبار الهلالية القديمة، والقلاع والحصون، والطرق القديمة، والمقابر[(٥)]. وللأسف من يقرأ عن هذه البلاد في القرون الماضية المتأخرة يجدها كانت مليئة بهذه النماذج العمرانية المبنية من الحجر، ولكن يد الإنسان امتدت إليها فخربتها وقضت عليها، ونرجو من المؤسسات المعنية بهذه الآثار أن تحافظ على ما بقي، مع ندرته فتقوم على صيانته وحفظه من الضياع.

---

(١) للمزيد عما ذكره كثير من الرحالة الذين زاروا القنفذة خلال القرون الماضية المتأخرة، انظر: القسم الثالث من هذا الكتاب.

(٢) معاصرة الباحث ومشاهدته لأحوال البلاد الجنوبية من المملكة العربية السعودية خلال العقود الخمسة الماضية.

(٣) مشاهدات وانطباعات الباحث في الفترة الممتدة من (١٦-١٩/١٢/١٤٣١هـ الموافق ٢٢-٢٥/١٢/٢٠١٠م)

(٤) قرأنا وسمعنا عن عشرات القرى ومئات العشش في بعض الأماكن من بلاد القنفذة، ولكن عند زيارة بعض تلك الأماكن لم نجد أي شيء يذكر من هذه البيوت القشية.

(٥) مشاهدات وانطباعات الباحث (١٦-١٩/١٢/١٤٣١هـ).

٣. قرأنا في الوثائق وبعض كتب الرحالة أن القنفذة عرفت المنازل الحجرية المكونة من طابق وطابقين، وربما في بلاد العرضية كانت هناك أبنية تصل إلى ثلاثة أدوار فأكثر[١]، وكانت جميع مواد البناء محلية والبناءون محليين، كما أن أثاث تلك المنازل كان في الغالب صنعاً محلياً وبخاصة الأسرَّة، أو الكراسي، التي يطلقون عليها اسم الشباري أو القعائد[٢]، بالإضافة إلى الأواني المنزلية الأخرى، مثل: أدوات الطعام والشراب، والألبسة والملاحف وغيرها[٣].

٤. حدثني بعض أهالي البرك بأن المنازل الحجرية قديماً كان لها نوافذ واسعة تفتح على الغرب لأجل جلب الهواء من البحر، ومعظم منازلهم لها نوافذ غربية وشمالية وجنوبية، أما الناحية الشرقية فغير مفضلة ربما لرداءة الجو وشدة حرارته في الأجزاء الداخلية من تهامة[٤]. وكذلك الوضع نفسه يجري على بناء العشش ليس في البرك ولكن في عموم بلاد القنفذة الساحلية. وكانت تزين منازل القنفذة الساحلية من الداخل، فالبيوت الحجرية تليس بالنورة من حجر البحر المحروق، وتزين بأحزمة ذات زخارف وأشكال مختلفة. أما العشش فتخلب بالطين الأبيض والأحمر، أو بهما معاً[٥]. ويغلب على المنازل قديماً التواضع والمحدودية، فمعظمها حجر وقش، تتكون من غرفة وأحياناً غرفتين، للنوم والجلوس، بعكس الأغنياء والمقتدرين، وهم قليلون، فمنازلهم ربما كانت أوسع وأكبر قليلاً. ويوجد لبعض المنازل مرافق مثل: المثفى، أي مكان للطبخ وغالباً في بيوت الأغنياء، وحظيرة أو جندب لسكن المواشي، وهذه المرافق ملاصقة أو قريبة للبيت الرئيس، وربما وجد لبعض منازل الأغنياء مكان يسمى (المطهرة) أو (المبالة)، وهذا يستخدم لقضاء الحاجة، والاغتسال، مع أن

---

(١) للمزيد انظر: الأقسام الثلاثة الأولى في هذا الكتاب، وانظر: ابن جريس. القول المكتوب، ج٢، ص ٣٨٧-٤٣٢.

(٢) هناك بعض المتخصصين المحليين في صناعة السرر الخشبية، وقد يطلق عليهم في مدينة القنفذة وما حولها اسم (القداحة والعقاقين). مقابلة مع الأستاذ غازي أحمد علي الفقيه بمنزله في مدينة القوز بمنطقة القنفذة يوم الإثنين (١٦/١٢/١٤٣١هـ).

(٣) تاريخ العمارة والأطعمة والألبسة والأشربة في بلاد القنفذة جدير بالبحث والدراسة، حبذا لو نرى بعض الباحثين الذين يتصدون لمثل هذه الجوانب البحثية.

(٤) مقابلة مع عبد الرحمن الهلالي وبعض جماعته في بلدة البرك في (١٥/١٢/١٤٣١هـ).

(٥) المصدر نفسه.

غالبيـة الناس كانوا يخرجون في الخلاء الواسع، أما الاغتسال فقد يكون في أي مكان مستور بجوار المنزل (حجراً أو قشاً)[١] .

٥. لم تعـرف الأبـواب على منازل أهـل القنفذة إلا منذ عهـد قريب، وربما عاد ذلـك إلى سهولـة النـاس ويسرهم، وعـدم وجودٍ مـا يهدد أمنهـم، كما أن حـرارة الجو ربما ساعدت في بقـاء المنزل مفتوحاً طوال الوقت حتى يتعرض للتهويـة[٢] . وهذا جانب يختلف تماماً عـن أهل السراة الذين يحرصون على تركيب أبواب قويـة وضخمة على منازلهم خوفاً مما قد يهددهم من أخطار بشرية أو حيوانية أو غيرها[٣] .

٦. كان وضـع العمـران في القنفـذة بدائياً وبسيطـاً إلى الثمانينيـات من القرن الهجـري الماضي (العشرين الميلاديـة) ، وبعد أن بدأت أحوال الناس المادية في التحسـن أخـذوا يتدرجون في تطـور العمارة فقام بعض منهـم باستبدال بيوت القش القديمـة بالصنادق المصنوعة من الأخشاب ثم الحديد المعروف محليـاً باسم (الشينكو، أو الزنك) ، ولم يستمر ذلك طويلاً ، وإنما استبدلت بعض بيوت الصنـادق بالبيوت الشعبية المبنية بالبلـك، وغالباً تكون أسقفها مغطاة بالخشب والتراب، وغالباً لا يكون لهذه المنازل أحواش[٤] .

ومنـذ تسعينيات القرن الهجري الماضي (العشريـن الميلادية) وصلت آثار صندوق التنمية العقاري، وانتشـرت المخططات، وهُيئت الأراضي الصالحة للسكن، وبدأ الناس يحصلون على قروض عقارية سكنية، وتطورت المؤسسات الحكومية المشرفة على سير البناء والعمران في البلاد، وهكذا تطورت الحياة العمرانية في شتى المجالات[٥] .

---

(١) مقابلـة مع غازي أحمـد الفقيه في منزلـه بمدينة القوز الإثنـين (١٦/١٢/١٤٣١هــ) ، مقابلات مع عبد الرحمن بن عبد الرحيم الهلالي (١٥-١٧/١٢/١٤٣١هـ) ، مقابلة مع عبد الله بن حسن الرزقي في ثريبان بالعرضية الجنوبية يوم الأربعاء (١٨/١٢/١٤٣١هـ) .

(٢) وذلك يعود إلى توفر الأمن، وربما عدم وجود غرباء يخاف منهم . مقابلة مع غازي أحمد الفقيه في مدينة القوز (١٦/١٢/١٤٣١هـ) .

(٣) مشاهدات الباحث في بلاد السراة خلال الأربعة العقود الماضية .

(٤) مقابلـة مع غـازي أحمد الفقيه في مدينة القـوز في (١٦/١٢/١٤٣١هـ) ، مقابلة مع عبـد الرحمن بن عبد الرحيم الهلالي في بلدة البرك في (١٥-١٦/١٢/١٤٣١هـ) . مشاهدات الباحث وانطباعاته خلال العقود الماضية المتأخرة .

(٥) معاصـرة الباحث لهذا النمو والتطور الذي تمر به جميـع مناطق المملكة العربية السعودية خلال الخمسة العقود الماضية (١٣٩٠-١٤٣٢هـ/١٩٧٠-٢٠١٠م) .

٧. يشاهد السائح في محافظة القنفذة اليوم هذه النهضة العمرانية الهائلة، فهناك المنازل الواسعة والشاهقة في كل ناحية من نواحي المنطقة، بل يرى قيام معظم مؤسسات الدولة الإدارية، وكثير من هذه الإدارات تمارس أعمالها في مبانٍ حكومية خاصة، وهناك مؤسسات أخرى تقيم في أبنية وعمائر كبيرة مستأجَرة . بل يشاهد الكثير الكثير من المشاريع العمرانية الناشئة بالإضافة إلى توفر الكثير من الخدمات الرئيسة مثل : الطرق المعبدة، ومئات الأبنية الجميلة الأخرى : كالمساجد والجوامع، والمدارس، والكليات، والمستشفيات والمراكز الصحية الأخرى، والأسواق، والمتنزهات وغيرها من العمارات والمنازل والمرافق العامة والخاصة التي يصعب حصرها[١].

٨. لا يبدو التساوي في نمط وتطور العمارة في بلاد القنفذة، فالمراكز الكبرى مثل مدينتي القنفذة والقوز تحظى بنصيب الأسد مما تم الإشارة إليه في النقطة السابقة . وهذا شيءٌ بديهي لأن هاتين المنطقتين هما المركزان الحضاريان الرئيسان لبلاد القنفذة منذ أمد بعيد، وبخاصة المدينة الرئيسة (القنفذة[٢]. والمراكز والقرى والأرياف الأخرى نالها الكثير من أنماط التنمية العمرانية التي تعيشها المملكة العربية السعودية، ولكنها لازالت أيضاً بحاجة إلى تطوير وتنمية أكثر، وهذا الواجب المعقود على محافظ ومحافظة القنفذة الرئيسة، وكذلك على إمارة مكة المكرمة التي تتبع لها هذه المحافظة[٣].

٢- الأطعمة والأشربة :

موضوع الأطعمة والأشربة جانب واسعٌ، ويختلف من منطقة لأخرى، لكن جميع الأشربة والأطعمة في القرون الماضية كانت ترتكز على ناتج السكان المحلي[٤].

---

(١) مشاهدات الباحث لهذا النمو والتطور الذي تمر به مدن وحواضر المناطق الجنوبية من المملكة العربية السعودية . والواجب على الباحثين والمؤرخين والدارسين لتاريخ وحضارة البلاد، بل الواجب أيضاً على مؤسسات التعليم العالي ممثلة في الكليات والجامعة أن تولي ما تمر به البلاد من نموٍ وتطورٍ كبيرَ اهتمامٍ فيوثق، ونشجع الباحثين والدارسين على دراسته وحفظه .

(٢) مدينة القنفذة حاضرة تاريخية يجب الاهتمام بها وتنميتها، وتوفير جميع الخدمات لسكانها، وهذا مما سيعود بالفائدة والنفع على عموم سكان المحافظة .

(٣) وهذا ما يجب العمل عليه من قبل أهل هذه البلاد، ومحافظ ومحافظة المنطقة، وكذلك الإمارة الرئيسة في مكة المكرمة .

(٤) لمزيد من التفصيلات عن الأطعمة والأشربة في أجزاء من منطقة عسير، انظر: ابن جريس . عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص ٥٨-٦٥ .

فالمزارعـون يقتاتـون مما تنتجـه مزارعهم، وكذلـك البدو الرعـاة، وغيرهم من التجـار، والصيادين كل حسـب بيئته وما يقوم بامتهانه مـن أعمال[١] . والملاحظ علـى منطقة القنفذة أنـه يتواجد بها الزرع والمزارعون، والبـدو الرعاة، وأصحاب التجـارات وكثير من الحرف والصناعات التقليديـة الأخرى، ومن ثم لم يكن لدى أهـل القنفذة مشكلـة في جلب أطعمتهـم وأشربتهم [٢]، لكنهم أيضـاً يتفاوتون في درجة الغنى والفقر، وهذا مما يؤثر على نوعية الطعام والشراب الذي يتناولونه[٣].

فأما المـدن والمراكز الحضارية، كالـبرك، والقوز، والقنفـذة وغيرها فعرفت بعضـ الأطعمـة والأشربـة التي تصـدر إليها من خـارج حدود البـلاد، أو المناطق الداخليـة كبلاد الخبت والعرضيتـين وما جاورهما، وعلية القـوم والمقتدرون وهم قليلـون، كانوا يمتلكون الأطعمة المتنوعة مـن اللحوم، والحبوب، والحلوى وغيرها . أمـا عامة النـاس في المراكز الآنفة الذكر، وعموم بلاد القنفذة فكانوا لا يجدون إلا النزر اليسير مما يسدون رمقهم به، وأحياناً كان بعضهم فقراء معوزين لا يجدون شيئـاً [٤] . ونجد عشـرات الوثائق في منتصف القرن الهجـري الماضي (العشرين الميـلادي) تشير إلى عشرات الأسماء من فقراء القنفذة، الذين كانت توزع عليهم الصدقات من قبل الدولة السعودية ممثلة في وزارة المالية[٥].

وحتـى لا نخوضـ كثـيراً في هذا الجانـب[٦]، ونركـز حديثنا على مـا سمعناه وشاهدنـاه، فإننا نسرد بعضـ الأطعمة القديمة في منطقـة القنفذة، التي تلاشت واندثر معظمها، وهي على النحو التالي :

أ- الفطـير والخمير: خبز غير مخمر يصنع من حبوب الذرة أو الدخن . أما الثـاني : فهـو نفس الطعام، لكن بعـد مروره بمرحلة الخمـيرة . وأحياناً يقدم معه

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) بـلاد القنفـذة غنية بخيراتها فهي تجمع بـين التضاريس المرتفعة، والأراضـي السهلية الزراعية، وكذلك السهل الساحلي البحري . مشاهدات الباحث وانطباعاته خلال زيارات عديدة لمنطقة القنفذة.

(٣) أصحـاب المـال النقدي أو الزراعي أو التجاري أو الحرف كانـوا أفضل حالاً من غيرهم من عموم السكان الذين لا يجدون مصدراً يقتاتون منه .

(٤) كانت حياة الأوائل فقيرة لقلة مصادر العيش، بل كان الناس يقاسون حياة صعبة وشاقة في سبيل كسب أرزاقهم .

(٥) كثـير مـن هـذه الوثائـق غـير المنشـورة ضمن مكتبـة د. غيثـان بـن جريسـ العلميـة، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج ٣، ص ١٧١ .

(٦) موضوع الطعام والشراب في القنفذة بحث جيد وجدير بالدراسة، حبذا أن نرى من إخواننا أو طلابنا في برامج الدراسات العليا من يدرسه بطريقة علمية أكاديمية جيدة .

السمـك والزيت، وقد يعمل مـن الخمير والفطير وجبة العصيـد وتقدم مع السكر والسمن والعسل[١] .

ب ـ المخـردل : وهـي وجبـة نادرة أيام الجـوع، وغالباً تخلـط أوراق السلع مع خمـير الذرة، كي تزيد كميته، ومن ثم يطبخ ويـؤكل[٢] . وقد لا يتورع بعض الفقراء والمعوزين مـن أكل أوراق الأشجار ولحائها، وربما أجبرته الظروف على أكل الميتة، أو اللجوء أحياناً إلى السرقة كي لا يفقد حياته[٣] .

ج ـ الفحيقة، والسـحينة، والعربـدة . الأولى : حب دخن يحمص ويطحن، ويضاف عليه حب السمسم بعد التحميص، ويضاف عليه قليل من السكر في القرى والحواضـر. أمـا في الباديـة فلا يضـاف عليه أي شـيء . وهو في هيئـة المسحوق، ويـؤكل سفاً ويبقى لفترة طويلة صالحاً للاستخدام[٤]. **الثانية :** السحينة وهو حب السمسم يحمص ويسحق ثـم يضاف عليه السكر والعسل، وربما يقلى السمسم ثم يضـاف عليه السكر ويؤكل مـع بعض المشروبات، وتعرف هذه الأكلـة بـ (السمسمية)[٥]. أما **الثالثة :** العربدة، وربما سميت (العريكة) ، فهي سمسم مع التمر يطحن بعضـه مع بعض ويضاف إليه عيشـ الخمير . وهذه الأطعمـة الثلاثة الآنفة الذكر غالباً ما يتم تناولها في وجبة الإفطار[٦] .

د ـ الخوان، والخضـير، والرضيفة . الأول : يؤخذ حليب البقرة أو الشاة بعد الولادة مباشرة، ويوضع على نار هادئة فيتخثر حتى يكون أشبه بالجبنة، ثم يوضع عليـه السكر وبخاصـة في الحواضر، وهذه وجبـة مفضلة حتى اليـوم[٧] . **الثاني:** الخضـير: يؤخذ من ثمار الذرة الخضراء، ويستخرج الحب ويطحن، وبعدها يخبز على هيئة فطير . **الثالثة:** الرضيفة، وهو نفس الحبوب السابقة، لكنها تطبخ على نار هادئة، ويضاف إليها الحليب والسكر وتعد من الأكلات المحببة في القنفذة[٨] .

---

(١) مقابلة مع كل من غازي أحمد الفقيه وعبد الرحمن الهلالي في (١٤٣١/١٢/١٦هـ).

(٢) مقابلة مع عبد الرحمن بن عبدة الهلالي في منزله ببلدة البرك (١٥ـ١٤٣١/١٢/١٦هـ)

(٣) يحدثنا الأوائل عن العوز والفقر الذي أصابهم وأصاب من قبلهم، وكيف كانوا يهيمون في الأرض بحثاً عن سد رمقهم، ويقال إن بعضاً منهم كان لا يتورع عن السرقة، أو الوقوع في الحرام لكسب لقمة عيشه .

(٤) مقابلة مع غازي الفقيه في القوز، وعبد الرحمن الهلالي في البرك في(١٤٣١/١٢/١٦هـ).

(٥) المصدران نفسهما .

(٦) المصدران نفسهما .

(٧) المصدران نفسهما .

(٨) المصدران نفسهما .

هـ - وهناك أكلات أخرى عديدة مثل : الصيادية من سمك البحر، والمدهوس: الخمير مع السمسم. والمشغوت: في بلاد العرضيتين، ويصنع من حب الذرة أو الدخن ويضاف إليه السمن والعسل[١]. والثريف، من خبز الدخن أو الذرة ويفت في صحفة أو وعاء آخر ويضاف عليه لبن الماعز أو الضأن، وأحياناً يوضع عليه السكر وهو من أجود الأكلات الشعبية. وعيش المرق، يطبخ اللحم، ثم يفت خبز الدخن أو الذرة في المرق ويؤكل، وهو ما يعرف عند العرب قديماً باسم (الثريد). والحنيذ: وهو من الأكلات القديمة والمشهورة في عموم المنطقة الجنوبية [٢].

أما الأشربة قديماً فكانت من منتوجات أهل البلاد الحيوانية والزراعية، وربما وجد بعض المشروبات المحلية أو المستوردة في مدينة القنفذة، لأنها ميناء يرد إليها الكثير من التجار الداخليين والخارجيين [٣].

و - معظم الأطعمة الآنف ذكرها اختفت، أو أصبحت تمارس على نطاق ضيق، وذلك لما دخل البلاد وعرف الناس من الأطعمة والأشربة التي يصعب حصرها، والتي جلها أصبح مستورد من خارج منطقة القنفذة، ولم يصبح عند القنفذيين أي اهتمام كبير تجاه تلك الأطعمة بل أصبحت المطاعم بجميع أحجامها وأنواعها تنافس الأسر في طهي عشرات الأصناف من المأكولات والمشروبات[٤].

ز - كان للأطعمة في الماضي نظام وقواعد في الطبخ والإعداد، بل كان لها أوان محلية وصحية يطهى فيها الأكل[٥]. أما اليوم فحل محل القديم أوان حديدية وبلاستيكية ضررها أكثر من نفعها، بل إن تناول الطعام واجتماع أفراد الأسرة الواحدة لم يعد ملتزماً بنظام أو قواعد معينة للاجتماع على الأكل كما كان في

(١) مذكرة من عبد الله بن حسن الرزقي بتاريخ (١٤٣١/١٢/١٧هـ). صورة منها ضمن مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية. (بحوث ودراسات غير منشورة) رقم (٣١٦) ص ٣١٠-٣٢٢.

(٢) المصدر نفسه، للمزيد انظر: ابن جريس، عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص ٥٨ وما بعدها.

(٣) للمزيد عن تاريخ وحضارة مدينة القنفذة انظر: الأقسام الثلاثة الأولى من هذا الكتاب.

(٤) هذه ظاهرة عامة في جميع مناطق البلاد السعودية، بل في جميع مناطق العالم. وموضوع الأطعمة والأشربة القديمة والحديثة في بلاد القنفذة جدير بالبحث والدراسة، ونتمنى أن نرى من يرعى هذا المجال بطريقة علمية أكاديمية جادة.

(٥) كانت أواني الطهي قديماً صحية في صنعها ومكوناتها، ومن يزر بعض المتاحف المحلية في جنوبي البلاد السعودية يشاهد عشرات الأدوات الخشبية والفخارية والحديدية المحلية، والخاصة بالأعمال المنزلية المختلفة كطهي الطعام وتقديمه وأكله.

السابق، بـل اضطربت أوقات النـاس ونظام حياتهم، وصاروا يعيشون حياة التمدن التي يخالطها الكثير من الفوضى وعدم السير على منهج متزن سليم وصحي[١].

٣ - الألبسة والزينة :

كانت الألبسة في القنفذة بسيطة ومحدودة، وأهل الحاضرة أفضل حالاً من سكان البوادي والأريـاف، وذلك بسبب التجارة والتجار الذين يرتـادون سوق مدينة القنفذة فيجلبون معهم بعض الأقمشة والمنسوجات التي يمتلكها المقتدرون دون الفقراء[٢].

وفي الفقرات نذكر نناقش أهم الألبسة التي عرفها القنفذيون، وهي على النحو التالي :

١. **لباس الرأس :** يغطي الرجال رؤوسهم بالعمامة، وتعرف أيضاً بـ (الصمادة)، وكذلك العمامة ولها طرق عديدة في اللبس، فقد تلف على الرأس، وربما تسدل على الصدر أو الكتفين من الخلف، وقد يُحتنك بها وتلف من تحت الذقن وتربط على أعلى الرأس أو جانبي الوجه . وتصلح العمامة للذكور صغاراً وكباراً، وهي عند عمـوم العرب لباس هام وضـروري للرجال[٣]. وفي باديـة القنفذة يوضع لباسـ يعـرف بـ (القويع) مصنــوع من سعف النخل، وتستخـدم المظلة، أو ما يعـرف بـ (الطفشـة) عند أهل عسير، وهـي لباس هام أثنـاء ممارسة أعمال الرعي والزراعة، ومن مهامها حماية الرأس من الشمس أو المطر[٤]. وفي بعض نواحي القنفذة يلبس الأطفال البرنس على الرأس، وهو شبيه بالزي المغربي[٥]. أمـا المرأة فتلبس المقلمـة أو القطاعة التي تغطي بها رأسها وعنقها، وقد تتزين بالريحان وبعض النباتات العطريـة، أما الرجال فقد يتركون شعورهم مسدلة ويزينون رؤوسهم بعصابة من النباتات العطرية المختلفة[٦] .

---

(١) حبـذا لـو تتضافر جهود المؤرخين والأطبـاء في دراسة ومقارنة أدوات الطعـام والشراب مع الحرص على إبراز السلبيات والإيجابيات التاريخية والطبية لكل عصر.

(٢) مدينـة القنفذة ذات سوق رائـج بين اليمن والحجاز، ولذا كان يرتادها تجار وتجـارات عديدة تأتيها من أقطار مختلفة . للمزيد انظر: ابن جريس، القول المكتوب، ج٢، ص ٣٣١ وما بعدها .

(٣) للمزيد من التفصيلات عن تاريخ العمامة، انظر: غيثان بن جريس " العمائم تيجان العرب " مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي . العدد (٨) شهر المحرم (١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ص٦٦-٧١.

(٤) مشاهدات الباحث في نواح من بلاد المغرب العربي وبعض مناطق جنوبي البلاد السعودية.

(٥) هـذه العـادة انقرضت في عموم منطقة القنفذة لكنها لازالت تمارسـ عند العديد من سكان تهامة عسير وقحطان، وأجزاء من بلاد جازان، مشاهدات الباحث وجولاته في هذه النواحي خلال السنوات الماضية .

(٦) انقرضـت هـذه العادة في عموم منطقة القنفذة لكنها لازالت تمارسـ عند العديد من سكان تهامة عسير وقحطان وأجزاء من بلاد جازان.مشاهدات الباحث وجولاته في هذه النواحي خلال السنوات الماضية.

٢. **لباس الجسم :** يلبس الرجال القميص أو الثوب المشجر المصنوع من نوع (أبو مبروم)، أو (أبو تفاحة) وفي التسعينيات من القرن(١٤هـ/٢٠م) كانوا يرتدون قماش أبو غزالين[١] . وهذا اللباس يصبغ عند رجال البادية. كذلك يلبسه النساء بعد صبغه باللون الأسود أو الأحمر، أو الأصفر، أو النيلي الأزرق . ويحرص الرجل على لبس الحزام، أو الكمر، والسكين أو الجنبية، وكذلك رباط للوسط مصنوع من السيور الجلدية يعرف بالجديلة، ويعتقد أغلب الرجال أنها تحمي الوسط من أي أذى مثل الفتق وغيره أثناء حمل الأحمال الثقيلة، ولأهمية الجديلة عند سكان منطقة القنفذة، صار هناك مثل شعبي يقول : (مقطوع الجديلة عيرته زنبيله)، وهذا مما يدل على وجوب الحرص على لبسها منذ الطفولة إلى سن الشيخوخة[٢] .

ومن ألبسة الرجال الحوكة، وهي قطعة واحدة تلف على أسفل الجسد، واستخدام المصنف والسراويل قليل لعدم توفرها، وغالباً لا يلبسها إلا المقتدرون مادياً[٣] . كما تلبس الصديرية (السديرية)[٤] وتغطي الجزء الأعلى من الجسم، وحل محلها لباس (الفنلة) . أما الأطفال ما دون الخامسة فكانوا في الغالب عراة، ولا يغطى من أجسامهم إلا ما يستر العورة بلباس يدعى (الشذرة) وغالباً يربط على عورة الطفل بالجديلة[٥] .

أما لباس النساء فهن إلى جانب لبس القميص (الثوب) المشجر المصبوغيلبسن الصدرة (السدرة) وهو لباس أسود يغطي الجسد من العنق إلى أسفل الركبة، وربما أطلق عليه درعة في بعض الجهات من منطقة

---

(١) للمزيد عن تاريخ الألبسة والزينة في منطقة عسير وما جاورها انظر: ابن جريس، عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص ٦٥-٧٤ .

(٢) مقابلة مع عبد الرحمن بن عبده الهلالي في بلدة البرك في (١٥-١٦/١٢/١٤٣١هـ)، مقابلة مع غازي أحمد الفقيه في مدينة القوز في (١٦/١٢/١٤٣١هـ)، مقابلة مع عوض بن حسن العمري من أعيان قبيلة العمور في وادي حلي في (١٦/١٢/١٤٣١هـ) .

(٣) مقابلة مع غازي أحمد الفقيه في (١٦/١٢/١٤٣١هـ) . مقابلة مع عوض بن حسن العمري بوادي حلي في (١٦/١٢/١٤٣١هـ) . والمصنف : نوع من الألبسة الخارجية التي تلف على أعلى الجسد وبخاصة الرأس والكتفين والصدر والظهر.

(٤) المصدران نفسهما . ربما تلفظ السديرية، أو الصديرية، والأخير هو الصحيح نسبة إلى منطقة الصدر التي يغطيها جزء كبير من هذا اللباس .

(٥) مقابلة مع غازي الفقيه وعوض العمري في (١٦/١٢/١٤٣١هـ) .

القنفذة، وأحياناً يلبس تحت الصدرة، صديرية نسائية، وعلى الجزء الأسفل من الجسم الحوكة الملونة[١] . ويتزين النساء بالخواتم في أصابع اليد وأحياناً الرجل، والمسكة في الرسغ، والأوضاح في العضد، وأحزمة الفضة وربما الذهب إذا وجد على الخصر[٢]، والحجول في الأرجل، والمعاصم على الرأس، والخرص في الأذنين، والزمام في الأنف، والذباذب والتنابي المصنوعة من العسيلي والظفار والأحجار الكريمة في الرقبة (العنق)[٣].

٣. **لباس القدم**، غالبية الناس أيام الجوع والفقر يمشون حفاة، ومن توفر له أحذية فغالباً تكون من السعف، أو جلود البقر والجمال، أو البلاستيك المعروف محلياً بـ(الطرنبيل)[٤].

ومنذ العقود الأخيرة في القرن (١٤هـ/٢٠م) بدأت أسواق القنفذة تستقبل بعض الألبسة من خارج بلادها، وبدأ الناس يسافرون إلى خارج أوطانهم، ويجلبون ألبسة متنوعة، وهكذا تطور الحال حتى جاء هذا القرن (١٥هـ/٢٠-٢١م)، وفاض الخير على الناس، وصار جميع الناس في بحبوحة من العيش، ولم نعد نسمع أو نرى الألبسة السابقة الذكر إلا في المتاحف المحلية، بل اندثر أغلبها وضاع، وأصبحت الأسواق مليئة بمئات الآلاف من الألبسة الداخلية والخارجية النسائية والرجالية[٥].

٤- عادات وتقاليد أخرى :

منطقة القنفذة متباعدة الأطراف، متنوعة التضاريس[٦]، وهذا مما أوجد تنوعاً في أعرافها وتقاليدها، وأعيادها ومناسباتها، وأفراحها وأتراحها وأحزانها، وهذا مما جعل أهلها يمارسون الكثير من التقاليد والعادات والمراسيم الشعبية

---

(١) المصدران نفسهما ، مقابلة مع عبد الرحمن بن عبده الهلالي في (١٥-١٦/١٢/١٤٣١هـ).

(٢) المصادر نفسها .

(٣) المصادر نفسها .

(٤) المصادر نفسها .

(٥) إجراء دراسة تاريخية مقارنة على الألبسة والزينة قديماً وحديثاً في القنفذة ،أو في البلدان الجنوبية من البلاد السعودية من المواضيع الحضارية الجيدة، ، حبذا أن نرى أحد طلابنا أو طالباتنا في برامج الدراسات العليا في جامعة الملك خالد، أو في جامعات نجران، أو جازان، أو الباحة، أو الطائف من يتخذ هذا العنوان موضوعاً لبحثه في أطروحة درجة الماجستير أو الدكتوراة، مع الحرص على توضيح ما طرأ على عادة اللباس في وقتنا الحاضر من سلبيات وإيجابيات .

(٦) انظر: القسمين الأولين من هذا الكتاب .

التي تخضع لقوانين وضوابط لا يعرفها إلا أهل البلاد[١]. والناظر في الوثائق المحلية يجدها مليئة بالتفصيلات التي تصف نظام الحياة في معظم عادات وتقاليد أهالي القنفذة[٢]. كما أن عادات الزواج، والتعاون والتكافل، وتعايش الناس في جميع أمورهم السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية والثقافية والفكرية هي الأخرى غنية بأعرافها وتقاليدها الجميلة، مع أن ظروف الناس آنذاك كانت صعبة وقاسية، إلا أنهم متجاوبون متفائلون بما سخر الله لهم من الضرب في مناكب بلادهم[٣]. وهذا ما تلمسه عندما تلتقي بالمسنين الذين عاصروا الماضي، فتجدهم يحنون لذلك الزمن الطيب لما كان في أهله من النقاء والطيبة والرضا بما رزقهم الله[٤].

واليوم أصبحت الكثير من عادات الأوائل مهملة منسية، وانغمس عموم الناس في عادات وتقاليد أخرى جديدة تختلف عما عاشه آباؤهم وأجدادهم، والفارق الجوهري في توفر الخير والرزق عند عموم الناس، لكن كثرت الصعوبات والمتاعب الجسدية والنفسية والأخلاقية، بل تلك الأيام الحلوة القديمة حل محلها أيام صعبة قاسية، فازدادت الفرقة والقطيعة بين الناس، واشتد الحرص والصراع على حطام الدنيا، وضاع التعاون والاحترام المحكوم بإطار الأخوة في الله، وصارت المصلحة هي المحرك الرئيس لتعايش الناس وتقاربهم، وانتهى الأمر إلى فوراق كثيرة بين حياة الناس في الماضي والحاضر[٥]. ومن خلال تجوالي في ديار القنفذة، وقراءتي وسماعي للكثير عن عاداتهم وتقاليدهم المختلفة، وضحت لي عدة أمور نذكرها في النقاط التالية:

---

(١) باب الحياة الاجتماعية، والتقاليد والأعراف، والفنون والأدب الشعبي في منطقة القنفذة من الموضوعات الجديدة والجديرة بالبحث والتقصي والدراسة. حبذا أن نرى من يوليها كبير اهتمام وخاصة من المهتمين والمؤرخين وعلماء الاجتماع وغيرهم.

(٢) تم الاطلاع على مئات الوثائق التي تعكس سير نظام الحياة الاجتماعية في منطقة القنفذة، وأغلبها يعود إلى القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م).

(٣) تاريخ بلاد القنفذة الاجتماعي في العصر الحديث (ق١٢-١٤هـ/١٨-٢٠م) جدير بالبحث والدراسة والتحليل، حبذا أن نراه موضوعاً لرسالة دكتوراه في إحدى جامعاتنا السعودية.

(٤) هذا الإحساس نجده عند معظم الأوائل الذين التقينا بهم في نواح عديدة من جنوبي البلاد السعودية (الطائف، القنفذة، الباحة، بيشة، أبها وخميس مشيط، محائل عَسير، جازان ونجران). مشاهدات الباحث وانطباعاته خلال العشر السنوات الماضية ١٤٢٠-١٤٣١هـ/ ٢٠٠٠-٢٠١٠م).

(٥) اليوم الناس في رخاء وأمن واستقرار، لكن ظهر في المجتمع الكثير من السلبيات الاجتماعية، وأصبح كل بيت وأسرة لا تخلو من هذه المؤثرات السلبية في المطعم والمشرب، واللباس، والقيم والأعراف وغيرها مما يصعب حصره.

١. إن أهـل الساحل يختلفون في كثير من عاداتهـم الاجتماعية عن سكان الداخل في العرضيتين وما جاورها، فالغالب على سكان السواحل البساطة والسهولة في ممارسـة حياتهم اليومية، وذلك يعود إلى طبيعة البحر، وما يعود على جيرانه مـن فوائـد قوامها الاسترخـاء والراحـة، بعكس القاطنـين في عطوف الجبال والأودية فهم أسرع انفعالاً وتأهباً واستعداداً لمصارعة الحياة[١].

٢. تختلـف ألعاب وفنـون أهل الساحـل عن سكان الجبـال والمرتفعـات الداخلية. ففـي السهول الساحلية يظهر على فلكلورهـم ورقصاتهم وأغانيهم وأهازيجهم تأثير الفن والفلكلـور الإفريقي، وهذا مما يؤكد عل التواصل الثقافي الحضاري بـين جانبي البحر الأحمر. في حين أن سكان الداخل تجدهم أكثر تأثراً بأهالي الجبال والسروات الممتدة من الحجاز إلى اليمن[٢]. وهذه المؤثرات على الفريقين ربمـا امتدت في الماضـي إلى الكثير من مجالات الحيـاة الاجتماعية مثل: اللغة واللهجات، والألبسة، وفن العمارة، وعادات الزواج، والمآتم وغيرها [٣].

٣. بإجـراء مقارنـة علـى الألعـاب الرياضيـة[٤] والرقصـات الشعبيـة عنـد سـكان الساحلـين الشرقـي والغربـي للبحـر الأحمـر، وعند سـكان سفوح السـروات الغربية، وأعالي جبال السـروات من الطائف حتى صنعاء، تأكد لنا مـا ذكرناه في النقطة السابقـة، واتضح أن ثمة ألعاباً وفنونـا في شرق إفريقيا تتشابـه مـع مثيلاتها في سواحـل منطقة القنفذة وما جاورهـا. وكذلك الحال نفسه مع أهالي بلاد العرضيتين وأبناء عمومتهم في أعالي جبال السروات[٥].

٤. اتضـح لنـا من خـلال زيارتنا الأخـيرة لمحافظة القنفـذة الاختلاف الكبير جـداً بين عادات وتقاليد جيل اليوم، وبين أعـراف وتقاليد الأوائل من الآباء

(١) مشاهدات الباحث وانطباعاته خلال تجواله ومعرفته بلاد تهامة والساحل خلال الأربعين السنة الماضية.

(٢) زيـارة الباحث لبعض بلدان شـرق إفريقيا مثل: السودان، وجنوب مصـر، وتجواله في مناطق عديدة من ساحل البحر الأحمر وجبال السروات خلال السنوات العشر الماضية.

(٣) هذه مواضيع جديرة بالبحث والدراسة حبذا أن يظهر من يدرس هذه الجوانب دراسة علمية أكاديمية.

(٤) يوجـد في بلاد القنفذة خلال القرون الماضية المتأخرة الكثير مـن ألعاب التسلية والرياضة للنساء والرجال، الصغار والكبار، وهي ألعاب شعبية تختلف عن ألعاب الرياضة المعروفة اليوم. وهذا الموضوع جدير بالبحث والدراسة، حبذا نرى في المستقبل من يتخذ هذا الموضوع بحثاً لدراسته لنيل درجتي الماجستير أو الدكتوراه.

(٥) مشاهـدات وانطباعات وتجوال الباحث في بلاد تهامة والسراة، وزيارة بعض أجزاء ساحل البحر الأحمر الغربي خلال السنوات الماضية المتاخرة.

والأجداد. والذي يخشى منه أن تضيع وتختفي تماماً تلك القيم والمبادئ والتقاليد القديمة الجميلة، ويحل محلها أعراف مستوردة من أقطار عديدة في العالم، وهذا مما سيعرض هوية البلاد إلى المسخ والتشويه. وما يجري في ديار القنفذة تجده سائداً في عموم البلاد السعودية، بل في جميع أنحاء البلاد العربية والإسلامية، ولذ فالمسؤولية كبيرة على جميع سكان البلاد، أفراداً، وجماعات، ومسؤولين ومؤسسات أن تبذل الجهود في المحافظة على كل أصيل وجيد من أعراف وتقاليد وموروث شعبي قيم وجميل[١].

رابعا: ملامح الحياة الاقتصادية:

عرف سكان القفنذة العديد من الجوانب الاقتصادية مثل الجمع والالتقاط، والصيد، والزراعة، والتجارة، والحرف الصناعية والتقليدية، وهذا ما سوف نناقشه في النقاط التالية:

١- الجمع والالتقاط:

مارس سكان العرضيتين مهنة الاحتطاب من جبالهم وأوديتهم، بل كانوا على اتصال ببلاد الساحل أوبني عمومتهم في أعالي السروات أثناء حصاد المزروعات كي يحصلوا على بعض الهبات والعطايا من أصحاب المزارع أثناء حصادها[٢]. كما لا تخلو بلادهم من الأشجار المثمرة التي تتساقط ثمارها قبل جنيها، ومن ثم فهم يسعون إلى جمع تلك الثمار، وأحياناً كان الفقراء والمحتاجون يحصلون على بعض من تلك الثمار الساقطة[٣]. وكان أهل الساحل في أودية ذهبان، ويبة، وقنونا، والأحسبة، يقومون بالتقاط التمر وثمار الأشجار الأخرى أثناء سقوطها، أو وقت نضجها[٤]. وهناك بعض القواعد والأعراف المدونة عند سكان البلاد، وتشتمل على بنود تقنن طرق الجمع والالتقاط للاحتطاب من الأراضي المشاعة، أو من المزارع

(١) الانفجار الذي أحدثه عالم الاتصالات، وكذلك دخول الكثير من الثقافات والتقاليد الدخيلة إلى بلادنا، وعدم حصانة الفرد والأسرة السعودية كل هذا ساعد في استشراء وتأثير هذا الغزو الحضاري الخارجي، ومن ثم إذا لم يقابل من الداخل بالبناء وتسليح الفرد والأسرة بسلاح الفكر والثقافة الإسلامية النقية الطاهرة، وكذلك اليقظة لكل ما هو دخيل علينا وغث غير مفيد، ومقاومته بأسلوب هادئ وبناء، وإلا فإن العاقبة سوف تكون كبيرة ووخيمة.

(٢) لمزيد من التفصيلات عن مهنة الصيد في بلاد عسير وما جاورها من المناطق، انظر: ابن جريس، عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص ١٢٦-١٢٧.

(٣) مشاهدات الباحث ومقابلته للعديد من الأشخاص في كل من العرضيتين، والقوز، والقنفذة، وحلي، والبرك في الفترة من (١٥-١٩/١٢/١٤٣١هـ الموافق ٢١-٢٥/١٢/٢٠١٠م).

(٤) المصدر نفسه.

والبساتـين المملوكة، والهدف من ذلك حماية البيئة من الاحتطاب الجائر، وحماية الممتلكات الخاصة من جور واعتداء المحتاجين والفقراء أو المتسولين[١] .

لم يبـق اليوم أي ممارسة لمهنة الجمع والالتقاط التي كانت سائدة في الماضي، وإنمـا هناك أفراد يجمعون الحطب من الجبال لأجـل بيعه في الأسواق، أو إحراقه حتـى يتحـول إلى مـادة الفحم، ثم يصـدر إلى الأسـواق الأسبوعيـة أو اليومية[٢] وهنـاك بعض المزارعين، والذين أغلبهم من العمالة الوافدة[٣]، يجمعون محاصيل الطماطم والبطاطس والخضار وبعض الفواكه ويبيعونها [٤].

٢- الصيد :

كان سـكان الساحـل ولازالـوا يمارسون صيد الأسمـاك، والصيـادون لهم أعراف وتقاليد وفنون في الصيد البحري، بل كان لهم شيخ يحتكمون إليه في مشاكلهم وقضاياهم. وتتفـاوت سفنهم وقواربهم في الأحجام، والأنواع، والطاقات الاستيعابية [٥]. وبين صيادي البحر من التعاون والتكاتف ما يجعلهم يقفون إلى جانب من يحل به كارثة أو ضائقة، ومن لا يستطيـع ممارسة الصيد لمرض أصابه، أو مشكلة حلت به فإنهم يساعدونه ويشاركونه فيما جمعوه من الصيد حتى يعود إلى سالف عهده، ويتجاوز محنته[٦].

أمـا الصيد البري فـكان يمارس بشـكل واسع في المناطـق الداخلية من أرض القنفـذة، وبخاصـة في ديار العرضيتـين . ويشير كبار السـن إلى أن ديارهم كانت موطناً للوعول، والغزلان، والطيـور بأنواعها، وكان بعض السكان يمارسون الصيد بطريقـة جائرة، وهذا ما أثـر على انقراض الكثير من الطيـور والحيوانات البرية هناك[٧]، وإذا كانت الهيئة العامة لحماية الحياة الفطرية تبذل جهوداً كبيرة للحد من صيد الطيور والحيوانات، فإن ذلك لم يُجْدِ كثيراً لعدة أسباب هي :

---

(١) في حـوزة الباحـث بعض الوثائـق الخاصة بمهنة الجمـع والالتقـاط، وأغلبها من نواحٍ عديـدة في عسير والقنفذة ونجران .

(٢) يوجـد في بلاد القنفذة ومـن السكان الأصليين من يمارس هذه المهنـة، والاقتيات من كسبها . مشاهدات الباحث وانطباعاته في (١٥-١٩/١٢/١٤٣١هـ) .

(٣) معظم هؤلاء العمالة من المصريين واليمنيين . مشاهدات الباحث في (١٦ - ١٧/١٢/١٤٣١هـ) .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) هذا ما شاهدناه وسمعناه من بعض الصيادين في مراسي البرك والقنفذة في (١٦-١٨/١٢/١٤٣١هـ).

(٦) المصدر نفسه .

(٧) مشاهدات الباحث ومقابلة مع بعض سكان العرضية الجنوبية في (١٧/١٢/١٤٣١هـ).

١. عدم الوعـي عند بعض الناس ممن لازالوا يمارسون الصيد البري من باب التسلية وليس الحاجة .
٢. عـدم وجـود رقابـة واسعة وشديـدة على الممارسـين للصيد، وعـدم تطبيق العقوبة الشديدة والصارمة للمتمادين والمستهترين في ممارسةٍ هذه المهنة.
٣. تأسست مؤسسة الهيئة العامة لحماية الحياة الفطرية مؤخراً، بعد أن قضي على الكثير من الطيور والحيوانات الهامة والنادرة[١].

٣- الزراعة :

كانـت تمارسـ الزراعـة في القنفذة على نطاق واسـع، ومن يستقـرئ أقوال بعض الرحالة في القسم الثالث من هذا الكتاب يجدهم يذكرون الكثير من المحاصيل الزراعية الموجودة في أودية دوقة، والأحسبة، ويبة، وقنونا [٢] . ومن خلال تجوالي في هذه الأودية اتضح لنا صدق أقوالهم [٣]، ثم إن الناظر في الوثائق المالية الخاصة بالأراضي القنفذية يدرك مقدار الزكاة الكبير الذي كان يؤخذ على مزروعات أهل القنفذة[٤].

ومن خلال زيارتي لبـلاد البرك، وحلي، والقوز، والأحسبة والعرضيتين اتضح لي عدة أمور نذكر أهمها في النقاط التالية :
١. غنـى وادي حلي بالأراضـي الزراعية، ووفرة مياهه الصالحـة للزراعة . وإذا كان أهـالي القنفذة تقاعسوا عـن ممارسة الزراعة، فتلـك سمة سائدة على الكثير من سكان جنوب المملكة العربية السعودية، إلا أن أهالي حلي، وبخاصة الساكنين عند مصب الوادي لازالوا يمارسون الزراعة بشكل لابأس به[٥].
٢. هجر أغلب سكان البرك، ويبة، وقنونا، والأحسبة، والعرضيتين وما جاورها مزارعهم، ومن ثم تحولت إلى أراضٍ مهجورة ومطمورة بالأتربة والأحجار وغيرها[٦].

---

(١) وهـذا مـا سمعناه مـن بعض المسنين في بـلاد القنفذة وعسير خـلال الأسبوعين الأخيريـن من شهر ذي الحجـة عام (١٤٣١هـ) . كنا شاهدنا بعض الصيادين البريين في العقود الثلاثة الماضية، وهم يمارسون القنص والاصطياد من باب الرياضة والتسلية .

(٢) انظـر القسـم الثالث من هذا الكتـاب، وللمزيد انظر أيضاً: القسم الأول مـن الكتاب نفسه، ابن جريس، القول المكتوب، ج٢، ص ٣٣١ وما بعدها .

(٣) زيارة الباحث لهذه الأودية في (١٥-١٧/١٢/١٤٣١هـ) .

(٤) هنـاك عشـرات الوثائق التي توضح مقاديـر الزكاة على بلاد القنفذة خلال العقـود الوسطى من القرن الهجري الماضي . مكتبة د. غيثان بن علي بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٣-١٤هـ /١٩-٢٠م) .

(٥) مشاهدات الباحث أثناء زيارة بلاد حلي، وبخاصة مصبه في يوم الإثنين (١٦/١٢/١٤٣١هـ).

(٦) مشاهدات الباحث في الفترة الممتدة من (١٥-١٩/١٢/١٤٣١هـ).

٣. اعتـداء الإنسان على الأراضي الزراعية ؛ إذ حُوِّل بعض منها إلى مخططات سكنيـة، وأقيمت بعض المشاريع والأبنيـة والطرقات على بعضها الآخر، ومن ثـم تدهورت مهنة الزراعـة، وترك الكثير من المزارعـين مزارعهم، وذهبوا للبحث عن أعمال أخرى أسهل وأسرع لكسب الرزق[١] .

٤. توفـر الأطعمـة والحبـوب والسلـع المستـوردة في الأسـواق أسهـم في تقهقر الزراعة، وأصبح المزارع يفضل أن يشتري ما يحتاجه من الحبوب والأطعمة، دون اللجوء للتعب والعناء الذي يجده الزّراع في خدمة زروعهم[٢] .

٥. لم نتعرض للحديث عن ممارسة الزراعة في القديم، ونوعية الأراضيالزراعية، والمعوقات التي كان يواجهها الزّارع، والطرق والوسائلالمستخدمة في الزراعة، وأنـواع المحاصيـل، والعوامل المساعدة للزراعة[٣] ، وهـذا لا يعني عدم أهمية الموضـوع، وإنما تم الاكتفاء بذكر بعض الانطباعات والمشاهدات التي رأيناها[٤] . ونتمنى أن نرى من الباحثين، أو طلاب الدارسات العليا في أقسام التاريخ والجغرافيـا من يدرس موضوع الزراعة في منطقـة القنفذة وبخاصة الواقعة منها على أوديتها الرئيسة مثل : يبة وقنونا وما حولهما[٥] .

٤- التجارة :

توافـرت مقومات ممارسة التجارة بصورة جيـدة في القنفذة، وذلك لما تمتاز بـه البلاد من طبيعة غنية ومتنوعة بمواردها، فهناك الأراضي الزراعية الشاسعة، والموانـئ البحريـة النشطة، والمراعي والثروات الحيوانيـة[٦] ، وكل هذا جعل حركة البيـع والشـراء في أوج نشاطها، فلا تخلو ناحية من نواحي بـلاد القنفذة، إلا وبها سـوق أسبوعـي تفد إليـه أنواع البضائع والسلـع من كل مـكان[٧] . ولأهمية العامل المالي والتجاري في منطقة القنفذة، وما تحتفظ به المصادر والوثائق من تفصيلات

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) للمزيد عن تاريخ الزراعة في عسير وما حولها انظر: ، ابن جريس . عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص ١٢٩-١٤٦ .

(٤) مشاهدات الباحث وانطباعاته في الفترة الممتدة من (١٥-١٩/١٢/١٤٣١هـ) .

(٥) هذه موضوعات بحثية جديرة بالاهتمام .

(٦) هذا ما قرأه الباحث في العديد من المصادر والوثائق، وما شاهده وسمعه من أهل البلاد أثناء تجواله فيها في الأسبوعين الأخيرين من شهر ذي الحجة عام (١٤٣١هـ) .

(٧) هناك عشرات الأسواق الأسبوعية المندثرة تماماً، ولازال عدد قليل منها يمارس نشاطاته بشكل ضعيف جداً .

في هذا الباب جديرة بالبحث والتقصي والدراسة [١]، ومن يطرق هذا الموضوع فإنه بدون شك سوف يسهم في تزويد المكتبة العربية والإسلامية بمادة علمية جديدة وقيمة [٢]. وحتى لا نلج في باب الدراسات العلمية الأكاديمية التوثيقية، ونلتزم بعنوان هذا الفصل في تدوين ما سمعناه ورأيناه أثناء تجوالنا في ديار القنفذة، فإننا نلخص ما خرجنا به في عدد من النقاط نسردها على النحو التالي:

١. الفاحص للوثائق التاريخية، والناظر إلى طبيعة البلاد الحالية، والمستمع إلى روايات وأقوال أهل البلاد يتضح له أن التجارة في القرون الماضية المتأخرة كانت تعتمد على منتجات الأراضي الزراعية، والثروات الحيوانية، وما يرد أو يصدر عبر موانئ القنفذة البحرية[٣]. ولم تكن مهنة التجارة مقصورة على سكان البلاد الأصليين، وإنما كان يفد إليها تجار من خارج حدود القنفذة [٤]. وكانت السفن البحرية والقوافل البرية هي المسؤولة عن نقل التجارات داخل وخارج المنطقة[٥].

٢. المتأمل في ثروات القنفذة الزراعية والحيوانية اليوم يجدها تراجعت وتدهورت، فلم يعد هناك زروع ومزارع كما كانت في السابق، بل أصاب الكثير من الأراضي الزراعية الخراب والدمار[٦]. وكذلك الثروة الحيوانية، لم يعد القيام على تنميتها نشطاً كما كانت في القرون الماضية، وإنما حل بها ما حل بالزراعة. والأمر نفسه كذلك يندرج على باقي المهن والحرف الأخرى[٧].

٣. كانت الأسواق الشعبية الأسبوعية القلب النابض لأي ناحية أو جزء في القنفذة، وأصبحت هي الأخرى من القطاعات الميتة، فلم يعد لها ذلك البريق والنشاط الذي كانت تعيشه في السابق، وإنما تلاشى واندثر أعظمها، وإذا

(١) حبذا أن نرى أحد الباحثين، أو الباحثات من يتخذ تاريخ التجارة في القنفذة خلال القرون الماضية المتأخرة عنواناً لرسالته أو رسالتها لدرجتي الماجستير أو الدكتوراه.

(٢) هناك آلاف الوثائق غير المنشورة، وبخاصة في الجانب الاقتصادي والتجاري، ومعظمها في الأراشيف المصرية، والعثمانية والبريطانية. كما يوجد بمركز الوثائق والمحفوظات بالمملكة العربية السعودية كثير من الوثائق التجارية والمالية التي تعود إلى العقود الوسطى من القرن الهجري الماضي (١٤هـ/٢٠م).

(٣) ما سمعه وقرأ عنه الباحث خلال السنوات الماضية المتأخرة.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) التجارة البحرية في البحر الأحمر، ودور موانئ البرك والقنفذة فيها من الموضوعات الجديرة بالبحث والدراسة، حبذا أن نرى من الباحثين من يولي هذا الموضوع كبير اهتمام.

(٦) مشاهدات الباحث وانطباعاته في (١٥-١٩/١٢/١٤٣١هـ).

(٧) المصدر نفسه.

بقـي قلة قليلـة منها فهي في طور الاحتضار، وإن قامـت فيها ممارسة تجارية محدودة في بعض أيام الأسبوع[1]. والواجب على أهل تلك الأسواق والمؤسسات الثقافيـة والعلميـة، والهيئة السياحيـة العليا للسياحة والآثـار أن تحافظ على كيان هذه الأسواق حتى تكون معالم حضارية تاريخية في البلاد[2].

٤. نعـم إن البـلاد تمـر بنهضـة تجاريـة جديـدة وعالميـة، فالقنفـذة اليـوم يوجـد بهـا آلاف الأسـواق والسلـع العالميـة، كمـا أن وسائـل المواصـلات والاتصـالات سهلـت علـى التجـارة والتجـار الانفتـاح علـى عـوالم كثـيرة في الكـرة الأرضيـة، بـل جعلـت السلـع المصنوعـة في أقصـى الغـرب أو الشـرق تصـل إلى أسـواق القنفذة وغيرهـا في ساعات محـدودة[3]. وهذا أمر جميل ومحمود، لكن كثـيراً من السلع والمهن والتجارات المحلية القديمة انقرضـت، وهـذا مما يساعد علـى فقدان الهويـة والطابـع الشعبي المحلي الـذي عاشه الأوائـل[4]. والواجب على أهل البلاد وجميـع المؤسسات المعنية بالحفـاظ علـى القديم أن تؤسـس معارض ومتاحف واسعـة وكبيرة، يحفظ فيها تـراث الأوائل في المجالات الاقتصادية، ووسائـل التجارة، ومعاملاتها، وأدواتها، وعملاتها وغيرها[5].

٥. اتضـح لنـا أثناء السـير في بلاد القنفـذة، والالتقـاء والحديث مع معظـم شرائح المجتمـع القنفذي وبخاصة جيل الشباب والصغار منهم التباين الواسع في تجارات القديم والحاضر، بل جهل الجيل الحاضر بأنماط وفنون التجارات القديمة، وهذا ممـا يوسع الفجوة بين تاريخ الماضي والحاضـر، ومن ثم تظهر أجيال لا تعرف من

(١) مشاهـدات الباحث وتجواله في بلاد القنفـذة وغيرها من بلدان جنوبي البـلاد السعودية خلال العقدين الماضيين المتأخرين.

(٢) وعدم الاهتمام بهذه الأسواق من الناحية التاريخية والأثرية أدى إلى خرابها وضياع معالمها.

(٣) مـن يزر القنفـذة اليوم وبخاصة المدينة يجدها تشتمل على سلع وأسـواق وتجارات جاءت إليها من جميع أصقـاع الدنيـا، في حين أن الكثير مـن الشباب السعودي عاطل ولا يجد عمـلاً ذا راتب جيد يساعده على مصاريف الحياة المعيشية.

(٤) الكثير من الشباب (نساءً ورجالاً) لا يعرفون أي شيء عن حياة الأوائل التجارية، والمشكلة نفسها تشمل جميع المهن والحرف الأخرى. مع العلم أنك تجد الكثير منهم يعلمون الشيء الكثير عن تجارات عصرنا الحاضر.

(٥) نلاحـظ مثـل هذه المعارض والمتاحف في بعض البلـدان الصناعية والتجاريـة الكبرى مثـل: بريطانيا، وفرنسا، وألمانيا، وأمريكا، والصين، واليابان وغيرها.

تاريخ آبائها وأجدادها أي شيء، ويكون حبها واطلاعها وولاؤها لكل جديد يأتيها من أقصى بلاد الشرق أو الغرب [١]. نعم يجب أن نتكيف مع ما يجري في عالمنا اليوم، لكن ليس على حساب هويتنا وتاريخنا وحضارتنا الأصيلة والقديمة [٢].

٦. لو قارنا تجارات الماضي بالحاضر وبخاصة في نوعية السلع، وأسعارها، والطرق التجارية، وسعة الأسواق وترتيبها، والمعاملات التجارية الأخرى، فليس هناك مجال للمقارنة، ففي الماضي يغلب عليها المحدودية، والبدائية، وعدم وجود جميع الضروريات ناهيك عن الكماليات التي لا توجد على الإطلاق، وغيرها من العقبات التي يصعب حصرها. بعكس اليوم الذي فاضت فيه الأرزاق، وأصبح كثير من الناس يعيشون عصر رخاء[٣].

٧. كان للأوائل، وبخاصة في مجال الاقتصاد، مبادئ وأهداف نبيلة، وهذا ما يجب أن نعلمه أبناءنا وبناتنا في بعض مراحل التربية والتعليم، ومن ثم يكونون على صلة طيبة بماضي آبائهم وأجدادهم الجميل في مثله وقيمه[٤].

٥- الحرف والصناعات المحلية :

عرفت منطقة القنفذة الكثير من المهن والحرف الصناعية والتقليدية، فأغلب احتياجات أهل البلاد في ممارسة مهن الزراعة والتجارة، والدباغة، والصياغة، والصباغة وغيرها من الحرف الكثيرة كانت تصنع محلياً [٥]، وكان العاملون في جميع المهن من أهل البلاد [٦]، ولن ندرس تاريخ وممارسة تلك المهن، لأنه موضوع كبير وجدير بالدراسة العلمية الأكاديمية الجادة [٧]، ونوصي بأن يدرس من قبل أحد طلاب أو طالبات الدراسات العليا في أقسام التاريخ بجامعاتنا السعودية[٨].

---

(١) مشاهدات الباحث وانطباعاته في بلاد القنفذة خلال الفترة الممتدة من (١٥-١٩/١٢/١٤٣١هـ).

(٢) إذا حرصنا على ربط الماضي بالحاضر فإن نسبة الولاء وتوطيد الهوية سوف يترسخ في قلوبنا وقلوب ناشئتنا.

(٣) مشاهدات الباحث وانطباعاته أثناء تجواله في بلاد القنفذة في (١٥-١٩/١٢/١٤٣١هـ).

(٤) هذا ما يراه الباحث من خلا ل تجواله في مناطق عديدة من جنوبي البلاد السعودية.

(٥) للمزيد عن تاريخ الحرف الصناعية في جنوبي البلاد السعودية، وبخاصة في عسير وما جاورها، انظر، ابن جريس. عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص١٤٧-١٦٠.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) هذا موضوع جميل ولم يعالج حتى الآن بطريقة علمية أكاديمية.

(٨) من يتخذ هذا الموضوع عنواناً لرسالته، فإنه سوف يضيف جديداً إلى المكتبة.

ولكن نذكر في النقاط التالية العديد من الانطباعات التي سمعناها من أهل البلاد، وشاهدناها أثناء زيارتنا الأخيرة لمنطقة القنفذة [١]، وهذه الآراء على النحو التالي:

١. لم يكن معظم الناس يمارسون بعض المهن مثل الحدادة والصياغة وغيرها، بل كان الأغلبية يتأففون منها، بل يحتقرونها وربما من يعمل فيها . وهذه عادة لم تكن عند أهل القنفذة فقط[٢]، وإنما عند غالبية سكان الجزيرة العربية[٣]، بل إنها عادة قديمة عند العرب قبل الإسلام، فالذي كان يمارسها قبل الإسلام كانوا يطلقون عليه اسم (القين) من باب الازدراء[٤] . وهذا الموروث الجاهلي القديم استمر مئات السنين عند غالبية العرب[٥] .

٢. معظم المهن مثل: الزراعة، والنجارة، والخياطة، وما يحتاجه الناس في تجاراتهم، وزراعاتهم، ورعيهم وصيدهم كانت تمارس على نطاق واسع. وكان أفراد المجتمع هم الذين يقومون بتوفير المواد والأدوات الضرورية لممارسة مهنهم . وهذا جزء من حياة الفرد والأسرة اليومية، فتراهم يتعاونون فيما بينهم، ويساعد بعضهم بعضاً من أجل استمرارية حياتهم . ومن ثم فالمجتمع القنفذي، في البلدة أو القرية، يعيش عيشة تكاملية، فيسند ويكمل كل واحد منهم الآخر في تبادل المنافع، وتكامل مهن الحياة[٦] .

٣. أسواق القنفذة قديماً كانت مليئة بالصناعات الحرفية والمهنية، ومن ثم كان الحرفيون والصناع يصدرون سلعهم إلى الأسواق وذلك من أجل الاقتيات من كسبها [٧]. والملاحظ أنني وجدت الحليب في كثير من نواحي منطقة القنفذة لا يباع إطلاقاً، وإنما يُهدى، ومن يطلب شراءَه من ملاك

(١) وهذه الزيارة كانت في الفترة من (١٥-١٩/١٢/١٤٣١هـ).

(٢) تجد هذا الانصراف والتأفف عند عموم سكان الجزيرة العربية وبخاصة العناصر العربية منهم . مشاهدات الباحث وانطباعاته خلال العقود الأربعة الماضية .

(٣) هذه عادة قديمة تعود إلى العصر الجاهلي، انظر: جواد علي، المفصل، ج ٧، ص٥٠٦ .

(٤) المصدر نفسه . انظر ايضا : ابن جريس . عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص ١٤٧ وما بعدها .

(٥) المصادر نفسها .

(٦) مشاهدات الباحث وانطباعاته في (١٥-١٩/١٢/١٤٣١هـ) . كما أن هناك عشرات الوثائق التي تؤكد صحة ما ذهبنا إليه .

(٧) ابن جريس، عسير ١١٠٠ - ١٤٠٠هـ، ص ١٤٧، ١٦٧، ١٧١ .

الإبـل والبقـر والمواشـي فقـد يقابـل صـدوداً كبـيراً وعـدم تجـاوب مـع طلبه[١]. ولا ندري ما السبب في ذلك .

٤. مـن ينظـر في العوامل المساعـدة لممارسة كل مهنة في منطقـة القنفذة يجد معظـم الظروف مهيأة، لما تمتاز به البلاد من إمكانات في مواردها الزراعية والتجارية والحيوانية، وكذلك جمعها بين بيئتي اليابس والبحر، وغيرها مما يساعد أي حرفي على ممارسة حرفته[٢].

٥. من خلال تجوالي في المنطقة وجدت معظم المهن والحرف القديمة اندثرت، ولم يصبح يـرى إلا بعض الأدوات الأثرية لبعض تلـك الصناعات[٣]، ونالها مـن الاندثار والتقهقر ما نـال غيرها في ميادين الزراعـة والتجارة والرعي وغيرهـا . وحتى نربط جيل الحاضر بالماضي فإنـه يتوجب على أهل البلاد ومؤسسات التعليم، والتراث والآثار وغيرها أن تنشئ متاحف منظمة وكبيرة يُجمـع فيها ما عرفـه الأوائل من موروثات حرفيـة وصناعية، كما يجب على مؤسسـات التعليم العـام والعالي أن تدرج ضمن مناهجهـا ما لتلك الحرف والصناعات من فنون، ونظم وأعراف وتقاليد جميلة وسامية[٤].

٦. قضت سطـوة العصر الحديث بصناعاته وتقنياتـه واتصالاته على القديم، ونحن لا ننادي بعدم الدخول في إطار العصر الحديث وما جلب لنا من طفرة حضاريـة صناعية، وإنما يجب أن نأخذ بالجديد ونستفيد من كل مفيد فيه، لكن لا ننسـى ماضينا، وما واجه آباؤنا وأجدادنا مـن صعوبات وكيف تغلبوا عليهـا، واستطاعـوا تطويـع عصرهم لتحقيـق أهدافهـم . والمتأمل في شتى الحرف والمهن والصناعات القديمـة عند المتقدمين يدرك أنهم مبدعون في زمانهم، وفي مواجهة شتى الصعاب والعقبات في عصرهم[٥].

---

(١) مقابلة مع عبد الرحمن بن عبده الهلالي، وعوض بن حسن العمري، ومحمد علي عمر آل عمر الكناني في بلاد حلي يوم الاثنين (١٦/١٢/١٤٣١هـ).

(٢) مشاهدات الباحث لمنطقة القنفذة خلال الفترة الممتدة من (١٥-١٩/١٢/١٤٣١هـ).

(٣) المصدر نفسه .

(٤) لاحظ الباحث وفرة المواد التراثية القديمة عند أهل القنفذة، ويجب أن ينشأ لذلك متحفٌ تعليمي يرتاده الطلاب والسائحون وغيرهم .

(٥) مشاهـدات الباحث وانطباعاته، واطلاعه على بعض المتاحف الخاصـة في نواحٍ عديدة من جنوبي البلاد السعودية خلال السنوات العشر الماضية .

٧. الناظـر في أسواق بلاد القنفذة وغيرها، بل المتأمل في حياة الفرد السعودي في أي ناحية من نواحي المملكة العربية السعودية يجد أن هناك طفرة مهنية حرفية صناعيـة حديثة، ولكن للأسف ليست مـن ابتكار الأفراد السعوديين، وإنما هي نـاتج مصانع كبيرة داخل وخـارج البلاد، ومن صنع الآخريـن وإن نظرنا على مستوى الداخل فالعاملون في جميع الحرف والمهن والصناعات المحلية تجدهم من مجتمعات عربية وأجنبية وفدوا إلى أنحاء البلاد السعودية لكسب أرزاقهم وخدمتنـا في شتى مجالات الحياة [١]. ونحن أهالي البلاد لازلنا نجتر ماضينا الغابـر من التأفف وازدراء الانخراط في ممارسة المهن والصناعات المختلفة. وربمـا الثراء والخـير الذي يعيشه الناس ساعد في هـذه السلبية، لكن الشباب القنفذي ،أو السعودي قاطبة لازال لا يحبذ العمل في المهن الصناعية والحرفية، ويـرى ذلك من العيـب ومنقصة له في أسرته وبين أقرانـه وفي مجتمعه، مع أن مثـل هذه الحرف تدر أموالاً طائلة علـى أصحابها، وغالباً ما يفضل الشاب أن يظل عاطلاً، ولا يعمل في أي ورشة أو مهنة أو صناعة[٢].

خامسا : ملامح الحياة التعليمية والثقافية والفكرية :

١- التعليم :

كانـت الأجـزاء الساحلية أحسـن حالاً من غيرها، لأن طريـق الحج والتجارة الرئيسة كانت تعبر البلاد المحاذية للبحر، ومن ثم كان العديد من العلماء والأدباء وأربـاب الثقافة يتوقفون مع رفاقهم في المحطـات الرئيسة، ويلتقون ببعض السكان المحليـين فيؤثـرون فيهـم ببعض العلـوم والمعرفـة. كمـا أن بعض الأعيـان وربما المتعلمـين مـن أهل الحجاز وبخاصة مكة المكرمة كانوا يذهبـون إلى ديار القنفذة، فيملكـون العقـار، ويخالطـون الناس، بل كان منهـم من يعلم النـاس أمور دينهم، ويقيمـون بهم صلاة الجمع والجماعات، وتقسيم المواريـث، والفصل فيما يقع بين النـاس مـن خصومات. والمتأمل في بعض المصادر الإسلاميـة الوسيطة والوثائق التاريخيـة خلال القرون الأربعة الماضية. يجـد في بعضها إشارات إلى وجود حياة علمية متوسطة.

(١) المصدر نفسه.

(٢) هـذه النظـرة سائدة عند عمـوم الشعب والشباب السعودي، وإن كان قلـة قليلة بدؤوا يدخلون هذا الباب لكنهـم نسبة لا تذكر، مع أن آلاف الشباب تجدهم عاطلين وليست لهم أعمال، وإنما مصادر رزقهم على أهليهم، ولا يحبذون أعمال الحرف والمهن المختلفة، والمربحة في مصادر رزقها.

وإذا دققنا النظر في مستوى أرباب العلم والمعرفة الذين جاءوا إلى القنفذة وأقاموا فيها قبل وفي بداية التعليم النظامي نجدهم كانوا يبدؤون مراحل تعليمهم الأولى في بلادهم، وإذا بدأ الواحد منهم يتدرج في سلم العلم والتلقي فإنه يعزم على الهجرة في طلب العلم، وغالباً ما كان طلاب العلم يولون وجوههم إلى مكة وأحياناً إلى بعض حواضر اليمن الرئيسة[1]، وبعد دخول القنفذة تحت نفوذ بني عثمان كان يفد إليها بعض العلماء وطلاب العلوم الشرعية من مصر وبعض البلدان الإسلامية الأخرى. وهكذا استمرت بلدان القنفذة والبرك وربما بعض الأجزاء الداخلية تحتضن العديد من الفقهاء وأصحاب العلوم الشرعية والعربية الذين يتولون توجيه الناس وتفقيههم إلى ما كان صالحاً لهم في دينهم ودنياهم[2].

ومنذ ظهور التعليم النظامي في القنفذة في الخمسينيات الهجرية من القرن الماضي، بدأت الأحوال تتحسن تدريجياً، ففتحت المدارس الأولية، ثم تزايدت مع مرور الزمن حتى صارت متناثرة في جميع مدن وقرى وهجر وبوادي القنفذة، بل أصبح هناك مئات المدارس في جميع مراحل التعليم العام، وفتحت بعض المعاهد والمراكز الفنية والتقنية، وأصبح في مدينة القنفذة العديد من الكليات ومؤسسات التعليم العالي[3]، ونأمل أن نرى جامعة مستقلة في محافظة القنفذة حتى تخدم عشرات الآلاف من طلاب وطالبات الأجزاء التهامية الممتدة من الليث شمالاً إلى البرك والقحمة والحريضة جنوباً[4].

والسائح في بلاد القنفذة، بل في عموم البلاد السعودية يجد أن النساء والرجال القنافذة نالوا نصيباً من العلم والتعليم فأصبح بينهم الكثير من أساتذة الجامعات، والأطباء، والمهندسين والقانونيين، والإداريين، والمعلمين. بل

---

(١) هذا ما يلحظه الباحث في بعض المصادر الحجازية واليمنية خلال العصر الإسلامي الوسيط. وكذلك في عشرات الوثائق خلال القرون الماضية المتأخرة.

(١) إن موضوع الحياة التعليمية والثقافية في بلاد القنفذة خلال العصر الإسلامي الوسيط، أو القرون الأولى من العصر الحديث جدير بالبحث والدراسة. حبذا أن نرى أحد الباحثين أو طلاب الدراسات العليا من يتخذ هذه الموضوعات عناوين لرسائلهم في أطروحات الماجستير أو الدكتوراه، ونحن على يقين أن من يفعل ذلك سوف يحصل على فوائد علمية جيدة.

(٣) إن موضوع تاريخ التعليم العام والعالي في منطقة القنفذة جدير بالبحث والتقصي والدراسة، ونأمل أن نرى من يدرس هذا الجانب الحضاري الحيوي الهام.

(٤) من خلال تجوالنا في ديار القنفذة منذ عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) حتى اليوم عام (١٤٣١هـ/٢٠١٠م) لاحظنا عشرات المدن والقرى والهجر المكتظة بالسكان، والتي هي فعلاً بحاجة إلى مؤسسات تعليمية عالية.

تجد بينهم من يستطيع قرض الشعر وكتابته، وتأليف الرواية والقصة، وكتابة البحوث العلمية. كما أن فيهم من له إبداعات فنية وتشكيلية وغيرها . والناظر إلى المؤسسات الحكومية والأهلية في محافظة القنفذة أو خارجها يجد أيضاً أن العديد من نساء ورجالات القنفذة ممن لهم إسهامات في هذا الجانب، بل هناك من وصل إلى مراتب قيادية عليا في مجالات التعليم ،والتجارة، والصحة، والقضاء وغيرها. وهذا لم يتيسر لهذه الفئات إلا بعد أن أخذوا من العلم والمعرفة قسطاً وافراً أهلهم للوصول لهذه الأعمال والوظائف العالية .

٢- الثقافة والفكر :

لا تخلو منطقة القنفذة ممن له نشاطات ثقافية وبخاصة في عصرنا الحديث والمعاصر، ولكن لازالت أيضاً بحاجة إلى مراكز ثقافية ونواد اجتماعية تحتضن شباب وشابات المنطقة كي توجههم التوجيه السليم، وتكتشف أصحاب المواهب والإبداعات، ثم تشجعها وترعاها . وإذا كانت المؤسسات التعليمية العامة والعالية تسعى إلى نشر النشاطات الثقافية المختلفة بين الناس، فإنها لا تستطيع أن تفي بالغرض لأن عملها الرئيس منصب على المهنة التعليمية، ولابد من إيجاد نواد ومنتديات ومراكز ثقافية تقوم على نشر الوعي الثقافي بين الناس، بل الجدّ والاجتهاد على الارتقاء بكل ما يخدم الثقافة في شتى مجالاتها .

أما الفكر فهو الآخر من أهم المجالات التي يجب رعايتها وتوجيه جميع أفراد المجتمع إلى كل خير ونافع . والدارس لأحوال المجتمع القنفذي يجده خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة يدين بالمذهب الشافعي، ولم تخل بعض النواحي في هذه الديار، كأجزاء من حلي وغيرها من الممارسات الصوفية، بل إن بعض القوى السياسية في العصر الحديث، كالإدريسي مثلا ، سعت إلى نشر مبادئها العقدية وما تؤمن به بين السكان القنفذيين . والملاحظ على أهالي القنفذة أنهم طيبون مسالمون، فلا يبحثون عما يخرجهم عن الجادة . ومن يستقرئ الأفكار الهدامة التي تشربها وسار في ركابها بعض من أبنائنا خلال العقدين الماضيين، فإنه يلحظ نقاء منطقة القنفذة من هذا الفكر الضال، فلم أسمع حسب علمي وحسب ما قرأت أن أحداً من أبناء أو سكان بلاد القنفذة انخرط في زمرة من خرج عن صوابه، وسلك سبل الهلاك والخراب والدمار[1] .

---

(١) إن انتشار الفكر الضال بين بعض الأفراد من الشعب السعودي جدير بالتقصي بالبحث والدراسة، مع الحرص على دراسة الأسباب الرئيسة لظهور هذا الفكر، وما هي أكثر البيئات التي يعيش فيها ؟ وما هي الحلول لمواجهة مثل هذه الضلالات؟

٢- جوانب أخرى :

من خلال سياحتنا في نواحي القنفذة اتضح لنا أن أهلها يمتلكون موروثاً ثقافياً محلياً لا بأس به، فهناك الكثير من الأمثال والحكم الشعبية، والألغاز والأحاجي والقصص والنوادر والفكاهة وكذلك الشعر النبطي والروايات الشعبية. ومثل هذا التراث المحلي يعكس بعض الجوانب الحضارية الثقافية التي عاشتها ديار القنفذة ولازالت تعيشها حتى اليوم . كما أن الفنون الشعبية المتنوعة والأهازيج والأغاني والموسيقى هي الأخرى تُعدّ رافداً ثرياً لمن يرغب الاطلاع على حياة السكان العامة. ومثل هذه المحاور جديرة بالبحث والدراسة، والجميل أنه يوجد بمنطقة القنفذة الكثير من المتعلمين الذين يحملون شهادات عليا في العلوم النظرية والإنسانية وقد يظهر من بينهم من يسلط الضوء على مثل هذه القضايا المعرفية فيخرج لنا دراسة أو دراسات جديدة في بابها وثرية في معلوماتها .

أما ميدان اللغة واللهجات في بلاد القفنذة فهي الأخرى باب واسع يحتاج إلى دراسة علمية أكاديمية موسعة، وأملنا كبير في أقسام اللغة والأدب العربي في جامعات : أم القرى، والباحة، وجازان، والملك خالد، ونجران، والطائف فتسلط الضوء على لهجات جنوبي البلاد السعودية الثرية في مفرداتها، الأصيلة في معانيها وتاريخها[1] . وقد حاولت جمع بعض الشيء عن اللهجات أثناء زيارتي لديار القنفذة في النصف الثاني من شهر ذي الحجة عام (١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، وخرجت ببعض الرؤى والانطباعات التي نوردها في النقاط التالية :

أ- إن كل سكان قرى حلي ووادي يبة تكاد تكون لهجاتهم متشابهة عدا فروق يسيرة جداً في مخارج بعض الحروف، وهي فروق لا يميزها إلا أهل تلك القرى فقط[2] . أما الخلاف بين لهجات تلك القرى وأهل وادي قنونا وما يقع شمال مدينة القنفذة (الأحسبة، والمظيلف، ودوقة) فهو واضح إلى حد ما . ولفظة (الجاف) بجيم معجمة، وهي تعني (الرديء ،أو غير جيد) . ويقابلها لفظة (موطيب ،أو ذماة) ، كما أنهم ينطقون كاف المخاطب منصوبة في حالة الوصل، أو الوقف عليها

---

(١) المدقق في مفردات اللهجات (اللغة) المحلية الجنوبية يجد الكثير منها ذا أصول عربية أصيلة، بل يجد منها ما ورد في القرآن الكريم وكتب السنن، ناهيك عن المعاجم اللغوية فهي مليئة بمفردات ولغات سكان الجزيرة العربية .

(٢) مقابلة مع بعض المعلمين في مدارس حلي، والقوز، والقنفذة، والأحسبة . في الفترة الممتدة من (١٧-١٩/١٢/١٤٣١هـ) . كما زودنا الأستاذ يحيى بن إبراهيم بن يحيى العجلاني بمذكرة في صفحتين حول العديد من القضايا الثقافية في بلاد القنفذة . وهذه المذكرة ضمن الوثائق العامة . بمكتبة د. غيثان بن جريس العلمية (ق ١٥هـ/٢٠-٢١م)، جـ٥، ص ٩٧ — ٩٨ .

إذا جاءت بعد لفظة (أقولُ) مثل : (أقول لك) . بينما تنطق اللام وكاف المخاطب ساكنه عند أهل بلدة القنفذة وما يأتي شمالها[١] .

وتوجد فروق في طريقة مخارج الحروف بين أهالي حلي ويبة وبين أهالي مدينة القنفذة وما يقع شمالها إلى حدود محافظة الليث . وهذه الاختلافات بسيطة جداً فلا يشعر بها أو يميزها إلا سكان المحافظة[٢] . والملاحظ يجد أن استعمال أداة النصب شائعة بوضوح في بلدان حلي ويبة، بينما يستخدم الجزم والضغط على الحروف في النواحي الواقعة شمال بلدة القنفذة وجنوبها، فتجد لفظة (قلت له) ينطقها أهل الجنوب (قلتَ لُهَ) بكسر القاف وتاء مفتوحة ولام مضمومة وهاء مجزومة . وعند أهل الشمالَ (قِلتَ لَه) بكسر القاف وتاء منصوبة ولام منصوبة وجزم الهاء [٣]

وأهالي جنوب القنفذة يطلقون لفظة (أولاد) على الأطفال والرعاع والشباب. بينما أهالي الشرق وجنوب شرق المحافظة يقولون (بثور) على نفس الفئة، أما سكان الشمال فينادون باسم (الجهلة) لهذه الشريحة نفسها [٤].

ب ـ من خلال تجوالنا في بلدان الحبيل، والقوز، وثلاثاء يبة أو(ثلوث بلعير) وجدنا اختلافاً في نطق بعض الكلمات، فكلمة بقر في القوز تلفظ بفتح الباء (بَقر) ، وفي ثلاثاء يبة تضم الباء (بُقر). وفي القوز يقال للديك (فرنوج، أو فرخ) في حين يطلق عليه (زقل) في بلدة الحبيل . وهناك من يطلق على كلمة المسجد (المسيد) . وفي بلاد النواشر بمحافظة القنفذة تقدم وتؤخر حروف في بعض الكلمات أوالمسميات، فيقال : للكهرباء (الكرهباء) ، والعقرب (العرقب) ، والمصارعة (المراصعة) وغيرها مفردات عديدة من هذا النوع[٥].

ج ـ وأثناء زيارتنا لبلاد العرضيتين وجدنا عندهم أيضاً اختلافات وفروقاً يسيرة، فأهل العرضية الجنوبية يبدؤون نطق الاسم بحرفي الألف والميم (أم)

---

(١) المصادر نفسها .

(٢) المصادر نفسها .

(٣) المصادر نفسها .

(٤) المصادر نفسها . وإذا تأملنا في الكثير من المفردات المحلية لبلاد القنفذة لوجدناها ذات أصول عربية نقية . حبذا أن نرى من طلاب برامج الدراسات العليا في أقسام اللغة العربية من يدرس لهجات تهامة بشكل عام أو منطقة القنفذة بشكل خاص، وهذا في اعتقادنا موضوع جديد وجدير بالبحث والدراسة.

(٥) مقابلة مع عدد من رجالات مركز القوز في بلدات الحبيل، والقوز، وثلاثاء يبة في (١٨/١٢/١٤٣١هـ). وكما ذكرنا سابقا، اللهجات في منطقة القنفذة غنية بمفرداتها وجذورها اللغوية والتاريخية، وجديرة بالبحث والتقصي والدراسة من المتخصصين في علوم النحو واللغة في جامعاتنا السعودية .

بـدلاً من الألف واللام مثل: الكتاب، والرجال، والجبل تنطق (أم كتاب، أم رجال، أم جبـل) . أمـا غالبيـة سكان العرضيـة الشمالية فلا يدخلون الألـف والميم على الكلمة، وإنما ينطقون المفردة باستعمال الألف واللام [(١)] .

وكلمات الاستفسار أو الاستنكار أو الاستفهام في العرضية الجنوبية مما يلفت النظر يقولون (ليه) بمعنى لماذا ؟ وفي الشمالية يضاف حرف الألف وأحيانا الواو فيقـال (أليـه) أو (وليه) [(٢)] . وأسماء الإشارة في الشمالية عندما يشار إلى مكان شخـص قريب أو بعيد فيقال (نحاهو) ، وفي الجنوبية (لكلوه، عين له، شوف له) . وفي الإشـارة إلى هنـا وهناك يقـال في الجنوبية (هنيـة) وفي الشمالية (هنَّا) . والإشارة إلى القريب والبعيد يقال (انحلوه) . وعند نداء الأب أو الأخ في الشمالية يقال (بيهو، وخيهو) ، وربما يقال (بيه، وخيه) [(٣)] .

وهنـاك قواسـم مشتركة عند سـكان العرضيتين ومن جاورهـم وبخاصة في مصطلحـات الذم والمدح، فيقال (ونعـم وفصيحها نعم، وبيس وفصيحها بئس) . ومطلـق، وونعم، وقرم، (وفلان ذئب) كناية عـن الشهامة والمروة والكرم . وهناك بعض الاختلافات في لفظ مسميات بعض الأكلات والأدوات، فيقال (الرواكة) [(٤)] . في الجنوبيـة، و (الفريقـة) في الشمالية . و(البكرة) تسمـى في الجنوبية باسم (العجلة) ، وفي الشمالية (المحالة) [(٥)] .

وفي بـلاد الـبرك تجد انتشار الألف والميم بدلاً مـن الألف واللام، كما هو عند سكان العرضية الجنوبية (فيقال للرجل : (أم رجل) ، وإذا لم يدخل الألف والميم

---

(١) مقابلـة مـع العديد من المثقفين والمتعلمين في العرضيتـين في (١٨-١٤٣١/١٢/١٩هـ) . كما زودنا الأستاذ عبد الله الرزقي بمذكرة حول بعض الجوانب الحضارية في العرضيتين مثل: اللهجات وغيرها، بتاريخ (١٤٣١/١٢/١٨هـ) . المصدر : مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية (بحوث ودراسات غير منشورة) رقم (٣١٧) . ص ٣١٠-٣٢٢.

(٢) المصادر نفسها .

(٣) المصادر نفسها .

(٤) الرواكـة : مـن الأكلات المحلية، ومكوناتها دقيق الدخن أو الذرة مع اللـبن أو الماء تطهى على النار لبعض الوقت وتعطى أحياناً المريض، أو بعض أفراد الأسرة، وهي شبه سائلة . المصادر نفسها .

(٥) المصادر نفسها. قمنا بزيارة لبعض نواحي القنفذة الداخلية مثل : أحد بني زيد، وسبت الجارة، وخميس حـرب، وجبـل ثربان العسيري، واتضـح لنا ظهور العديد مـن الاختلافات اللغوية في تلـك النواحي .. بل بعضـ أهل البـلاد ذكروا لنا وجودٍ بعض العقبات في فهم لهجات جمعة ربيعة وما حولها . حبذا أن تدرس هـذه النواحـي تاريخياً وحضاريـاً فهي جديرة بالبحـث والدراسة . مشاهدات الباحـث وانطباعاته في (١٧-١٤٣١/١٢/١٩هـ) .

على أول الكلمة فإنه يضيف إليها تنوياً في آخر المفردة . مثل : رجل (رجلن) ، أو جبل (جبلن) وهكذا . وهناك كلمات لا يجري عليها نظام القاعدة السابقة . مثل البحر ، والبلد وما شابهها فإنها تنطق بالألف واللام . وكذلك بعض الأسماء المؤنثة مثل (القحمة، والسيارة، والمرأة) فتنطق (قحمة، وسيارة، وامرأة) ، ولا يدخل عليها الألف والميم في البداية، ولا التنوين في النهاية [١].

سادسا : الخلاصة : نتائج واقتراحات ، وتوصيات :

من خلال رحلتنا في بلاد القنفذة اتضح لنا عدة أمور نذكر أهمها في النقاط التالية :

١. تأكد لنا – فعلاً – تباين الوضع الجغرافي لديار القنفذة، التي جمعت بين الشريط الساحلي، وبلاد الخبت، ومنطقة الأصدار . وهذا مما أثر على سكان البلاد في ممارسة حياتهم اليومية، بل في لهجاتهم وأعرافهم وتقاليدهم الثقافية والاجتماعية . وهذا التباين جدير بالبحث والدراسة، وهو مسؤولية طلاب البحث التاريخي والجغرافي والنفسي والاجتماعي، ومن يلج في هذا الباب فيتأمله ويدرسه فإنه بدون شك سوف يخرج بنتائج جيدة ذات قيمة علمية مفيدة .

٢. تتميز القنفذة بامتلاكها شواطئ جميلة، ومرافئ صالحة لممارسة مهن السياحة، والتجارة، والصيد . وبعض هذه الموانئ مثل: القنفذة والبرك وغيرها كانت ذات نشاط تجاري حضاري عالمي إلى وقت قريب، بل كانت بوابة تجارية لأجزاء كثيرة من بلاد تهامة والسراة، الممتدة من منطقة الباحة إلى بلاد عسير ونجران . والواجب على إدارة الموانئ وغيرها من المؤسسات الحكومية الأخرى، التي لها صلة بعوالم التجارة والصلات الحضارية الاقتصادية الداخلية والخارجية ،أن تعيد النظر في إعادة سابق مجد هذه الموانئ إلى ما كانت عليه[٢]، ومن ثم فقد تعود بالخير العميم

(١) مقابلة مع بعض أعيان بلدة البرك في منزل الأستاذ عبد الرحمن بن عبد الرحيم الهلالي يوم الثلاثاء (١٤٣١/١٢/١٧هـ) . وكما أشرنا إلى موضوع اللهجات في عموم جنوبي البلاد السعودية بأنه من الموضوعات الهامة والجديرة بالبحث والدراسة .

(٢) من يدرس المصادر التاريخية المبكرة، ويطالع آلاف الوثائق خلال القرون الثلاثة المتأخرة الماضية يجد موانئ القنفذة، والبرك، والقحمة وغيرها كانت ذات نشاطات تجارية داخلية وخارجية واسعة، بل كانت أيضاً تستخدم في بعض النشاطات الحربية والعسكرية بين أهل البلاد ومن يسعى إلى غزو بلادهم والسيطرة عليها .

على عموم سكان البلاد القنفذية، بل على سكان تهامة والسراة الممتدة من زهران شمالاً إلى أبها ودرب بني شعبة ونجران جنوباً .

٣. تقع منطقة القنفذة على أودية كبيرة تجعلها ذات جودة عالية في نوعية مزارعها وجودة تربتها . ومثل هذا الجانب يجب أن يستغل بشكلٍ جيد، فتبنى السدود الواسعة، وتوظف مياهها في خدمة البلاد وأهلها زراعياً . وإذا تم مثل هذا الأمر، فإنها بدون شك سوف تثري الأسواق المحلية والخارجية بمحاصيلها وثمارها المختلفة .

٤. للقنفذة مقومات جغرافية وحضارية جيدة، وهذا مما يشجع على تنميتها وتزويدها بالعديد من المشاريع الحيوية مثل: مطار يساعد عشرات الآلاف من البشر على السفر جواً وقضاء حوائجهم في سهولة ويسر . كما أن منطقة القنفذة وما حولها من النواحي بحاجة ماسة إلى مؤسسات تعليمية عالية مجتمعة في جامعة مستقلة، فتساعد شبابٍ وشابات هذه البلاد على الترقي في مجالٍ التعليم العالي . وهذا ليس صعباً على الدولة وفقها الله فهي دائماً وأبداً سباقة إلى كل خير، بل إن ولاة الأمر حريصون على توفير كل ما يسعد المواطن، ويرفع من شأنه . وإذا كانت ديار القنفذة تشتمل علىٍ بعض المراكز والمستشفيات الصحية، فهذا شيء جميل، لكنها لازالت أيضاً بحاجة إلى مراكز ومشافٍ صحية أكبر ذات جودة عالية وأداء مميز.

٥. يعيش في منطقة القنفذة مئات المعلمين والمعلمات، ولا تخلو هذه الشريحة من نماذج قادرة على كتابة الرواية والقصة والقصيدة وإبداعات أخرى، وهذاٍ مما يحتم على وزارة الثقافة والإعلام أن تقيم بها نادياً أدبياً، أو مركزاً ثقافياً يبث النشاط الثقافي والفكري بين سكان المنطقة، بل يجعل البلاد التهامية الممتدة من مكة شمالاً إلى الحريضة والشقيق وبيش جنوباً ذات نشاطات ثقافية وفكرية جيدة، وهذا ما يتمناه ويتطلع إليه أهالي هذه البلاد .

٦. السائح في منطقة القنفذة يجد كثيراً من الصعوبات في الطرق والمواصلات بين الأجزاء الساحلية والنواحي الداخلية، وهذا مما يحتم على وزارة النقل أن تلتفت إلى مثل هذا الجانب فتشق الطرق الواسعة والمعبدة الممتدة بشكل عرضي فتربط أجزاء الساحل بالبلدان الداخلية، وإذا تم مثل هذا الأمر فإن

تلك الديار سوف تنمو ثقافياً واقتصادياً واجتماعياً، وهذا مما يرغبه أهل البلاد ويتمنونه، كما يتطلع إليه أهل السراة وسكان تهامة الداخليون الذين يفضلون عبور الطرق الساحلية لسهولة أرضها واستوائها .

٧. يجب على مؤسسات التعليم في بلاد القنفذة، بل على الأعيان والوجهاء والمثقفين وأصحاب الفكر والرأي أن يحافظوا على كل موروث اجتماعي، أو ثقافي، أو عمراني، أو اقتصادي يعكس تاريخ بلادهم . ومن خلال تجوالي في تلك الديار وجدت أنها لا تخلو من موروث شعبي متنوع، بل هناك الكثير من القصص، والأمثال، والأحاجي والألغاز، والنوادر والطرائف الفكاهية، وهذه الميادين الثقافية جديرة بجمعها والحفاظ عليها حتى تعرف الأجيال الحاضرة والقادمة كيف عاش آباؤهم وأجدادهم، وما كانوا يمارسون ويعيشون من أنماط حضارية متنوعة .

٨. القارئ عن بلاد القنفذة وبخاصة القديمة منها مثل : حلي قديم، والبرك، وضنكان، وحباشة، وعشم وغيرها يجد أنها تحتاج إلى تضافر جهود أصحاب القرار السياسي والإداري، وذوي الغنى والثراء في إجراء دراسات أثرية أكاديمية، ومن ثم التوصل إلى نتائج علمية قيمة تعكس تاريخ وحضارة الأمم والأقوام الذين عاشوا في هذه البلاد خلال العصور الماضية .

٩. لازال هناك بعض القرى والأبنية القديمة القليلة وبخاصة في الأجزاء الداخلية من منطقة القنفذة، ومن ثم يجب على الهيئة العليا للسياحة، والبلديات، ومؤسسات التعليم العام والعالي أن تقوم على صيانتها وترميمها والحفاظ عليها، حتى تكون من المعالم التاريخية والسياحية الجيدة، التي قد تعود على أهل البلاد بالخير الكثير في النواحي الاقتصادية والمعرفية .

١٠. الملاحظ ليس في بلاد القنفذة فحسب وإنما في عموم أنحاء البلاد السعودية وما جاورها من البلدان العربية التباين الكبير بين الأجيال القديمة والأجيال الصاعدة وبخاصة في أنماط التفكير وملامح الحياة اليومية العامة، فالأوائل لازال عندهم الكثير من الثوابت التي يجاهدون من أجل الحفاظ عليها مثل : طريقة اللباس، وبعض العادات والتقاليد الأخرى، أما الشباب المتأخرون فلا يأبهون لمثل هذه الجوانب، بل يرون أن كل قديم رجعي وعقيم، وبعض من هذه الأجيال انجرفوا

وسـاروا في ركاب الشباب المنبهـر بالحضارة المعاصرة . والواجب على كل الفئات والمستويات (حكومية وأهلية) في المجتمع السعودي أن تبذل قصارى جهودها في ربـط الحاضر بالماضـي، وتعمل على تشجيع الأجيـال الصاعدة في الحفاظ على هويتهـا وموروثها العقـدي والثقافي والفكري القائم على منهـج كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) . والله من وراء القصد .

٢- رحلات للمؤلف في نواحٍ من عسير (سراة عبيدة) (المجاردة)(*)

(*) نُشر في كتاب :
القول المكتوب في تاريخ الجنوب
ط١ : ١٤٣٢هـ ، الرياض ، مطابع الحميضي ، ج٢ ،
ص ص ٤٣٥ - ٤٥٦

رحلات للمؤلف في نواحي من عسير (سراة عبيدة) (المجاردة)

١ـ تمهيد :

من يطالع كتب التراث الإسلامي المبكرة، يجدها تحتوي على الكثير من المدونات والمؤلفات الخاصة بعلم الرحلات . وهناك العديد من الجغرافيين والمؤرخين الرحالة الذين جابوا بلاد الإسلام، بل بعضهم لم يقتصر في رحلاتهم على أراضي المسلمين وإنما ذهبوا إلى بلاد النصارى والبوذيين والهندوكيين وغيرهم، فدونوا قصصاص وأخباراً نادرة يصعب علينا أن نجدها في أي مصدر آخر[1] . واستمر علم الرحلات حتى عصرنا الحديث والمعاصر فنجد المكتبات تشتمل على عشرات الكتب لرحالة مسلمين وغير مسلمين، والبعض منهم وصلوا إلى الجزيرة العربية، وزاروا بلادنا المعنية في هذا الكتاب (عسير والقنفذة)[2].

ولسنا بصدد تتبع أولئك الرحالة وأعمالهم العلمية، ولكن من يقرأ ما وصلنا منهم عن جنوبي البلاد السعودية يطّلع على تفصيلات قيمة تم رصدها وتدوينها في تلك المؤلفات، والجميل في تلك المعلومات تنوعها، وندرتها، وغالباً عدم توفرها

---

(١) الرحالة المسلمون الأوائل كثيرون ومن أشهرهم : اليعقوبي، وابن رستة، وابن خرداذبة، وابن الفقيه، وابن حوقل، والإصطخري، وقدامة، والمسعودي، والهمداني، وابن جبير، وناصر خسرو، وياقوت الحموي، والإدريسي وابن فضلان، وابن المجاور، وابن بطوطة .

(٢) هناك عشرات الرحالة المسلمين وغير المسلمين في عصرنا الحاضر، ومنهم من زار الجزيرة العربية وبخاصة جنوبها مثل عسير وجازان ونجران والقنفذة وما حولها، ومنهم : نيبور، وتاميزية، وهاليفي، والسير كيناهان كورنواليس، وسليمان شفيق باشا، وفؤاد حمزة، وفيلبي، وفيليب ليبنز، والشريف البركاتي، ومحمود شاكر وغيرهم .

في أي مصدر أو مرجع آخر[١]. وبما أنني من أبناء جنوبي السعودية ومن منطقة عسير تحديداً وقضيت معظم حياتي في هذه الديار، ولي انطباعات ومشاهدات على ما عاصرناه، وآمل أن يأت اليوم الذي نجمع وننشر فيه هذه الخبرات والمشاهدات في سفر مستقل. أما هذه الجزئية التي ننشرها فهي عبارة عن رحلتين قصيرتين. **الأولى:** من أبها إلى سراة عبيدة يوم الخميس (١٤١٢/١٠/١٣هـ)[٢]. **والثانية:** من أبها إلى محائل عسير، ثم بارق والمجاردة وخاط يوم الجمعة (١٤١٣/٩/١٢هـ)[٣].

٢ـ رحلة أبها سراة عبيدة (الخميس ١٤١٢/١٠/١٣هـ)[٤].

كانت رحلتنا من مدينة أبها في الساعة الحادية عشرة صباحاً، وكنا نستقل سيارة كراون، صنع ياباني موديل (١٩٨٩م)، خرجنا من أبها على طريق الشعف الذي يربط مدينة أبها بمنتزة دلغان والقرعاء (الفرعاء)، والجرة، ثم اتجهنا إلى الطريق الذي يتصل بطريق نجران خميس مشيط، ويتفرع حول المدينة العسكرية، وعندما وصلنا إلى الطريق الرئيس الذي يربط خميس مشيط بنجران سلكناه تجاه الجنوب مروراً بأحد رفيدة، ثم واصلنا السير حتى مررنا على بعض القرى القحطانية مثل المضيق، والمربع، والقرحاء، وآل الداحس، وعين اللوى، والعسران، وآل بلحي، وقرى الوادي الأبيض وقرن وقشة، ثم سراة عبيدة، المركز الرئيس في تلك الديار، وهي في مستوى أحد رفيدة حضارياً وعمرانياً.

---

(١) هذا ما تم الاطلاع عليه، وقد أخرج الباحث بعض الدراسات الخاصة ببعض أولئك الرحالة في العصر الحديث، واتضح له أهمية القيمة العلمية التي حفظوها لنا.

(٢) خرج معي في هذه الرحلة كل من خالي عبد الله بن محمد بن سعيد العمري، والد زوجتي أم المثنى، وابني الأكبر المثنى بن غيثان. وكان خروجنا من أبها إلى أحد رفيدة قحطان ثم سراة عبيدة، وفي نفس اليوم عدنا إلى منزلنا في أبها مروراً بناحيتي الجرة وتمنية في شعف شهران.

(٣) في هذه الرحلة لم يكن برفقتي أحد. ولا زال لدينا العديد من الرحلات المدونة والمتنوعة في أهدافها ونتائجها وآمل أن يمد الله في العمر حتى نخرج جميع رحلاتنا الداخلية والخارجية في مؤلف واحد.

(٤) هذه البلاد الممتدة من أبها إل سراة عبيدة وظهران الجنوب في بلاد قحطان جديرة بالبحث والدراسة، والناظر في كل ماتم تدوينه عن منطقة عسير، يجد هذه الديار لازالت من أقل النواحي في مجالي البحث والدراسة، مع أنها مناطق مأهولة بالسكان منذ القدم، كما أنها ذات موقع استراتيجي تربط اليمن ونجران جنوباً ببلاد تهامة والسراة الواقعة شمال أبها والممتدة إلى الطائف ومكة المكرمة. آمل من أبناء هذه البلاد وبخاصة الأكاديميين منهم، كما آمل من جامعتي الملك خالد ونجران أن تبذلا قصارى جهودهما في دراسة هذه الناحية والبلاد الممتدة من نجران وظهران الجنوب إلى الباحة والقنفذة.

وعند وصولنا إلى مدينة السراة خرجنا إلى الجنوب بحوالي خمسة كيلو مترات فوجدنا مفرقاً من الخط تجاه الشرق فسلكناه وذهبنا في طريق ضيقة ومسفلتة حوالي (١٠ـ ١٥كـم) شاهدنا بعدها بعض القرى أمثال آل عوير وقرية الصحن التي كان خـالي يرغب في زيارتها، وكانـت قرى صغيرة، وأغلب المباني بها حديثة العهد . ثم عدنـا من ذلك المـكان في طريقنا تجاه سـراة عبيدة وبلاد رفيـدة ومنطقة الجرة وتمنية والمسقي في شعف شهران حتى مدينة أبها .

وفي هـذه الرحلة كنـا نرى العمران الحديث هو الغالب على جميع المواطن التي مررنـا عليهـا، إلى جانب النشـاط الاقتصاي مثـل المحلات التجاريـة على قارعة الطريـق، والمحطات الخاصة بمشتقـات البترول ، إلى جانب قـرى وبيوت ومرافق سكنية حديثة، كما شاهدنا قرى عديدة يظهرعليها القدم، والبعض منها يعود إلى مئات السنين ومعظمها غير مسكونة .

والقـرى والبيوت القديمة في أغلب بـلاد قحطان وفي أجزاء من بلاد شهران، مبنيـة من الطين وترتفـع إلى دور ودورين وثلاثة، وهناك بيـوت مبنية من الطين، وبعضـ الحصـون تجدهـا داخل القـرى وتستخدم للسكـن ويظهر عليهـا الاتساع والمساحة الفسيحة، في حين أن حصونا أخرى ترتفع ربما إلى (١٥) أو (٢٠) متراً، وتوجـد في الأودية، أوٍ على رؤوسـ الجبال، أو وسط المـزارع، ويغلب عليها الضيق، ولها مدخل ضيق جداً لا يدخل معه إلا الرجل منحنياً على يديه ورجليه، وبها أبراج صغـيرة لا يزيد سعة البرج الواحد عـن (٤٠سم × ٤٠سم)، والهدف من عمارتها استخدامها للمراقبة أثناء الحروب وحراسة المزارع.

وقـد سألت بعض سكان المنطقـة عن بنائها فقالوا: يجمع التراب بالأبقار لمدة يوم أو يومين، ثم يترك لبعض الوقت، ويسرب إليه الماء ويدرس مرة أخرى، وأحياناً يوضع عليه التـبن، أو الرفة[1]، وعندما يوضع عليه التبن يكون صالحاً للاستخدام وتبنى به تلك الحصون . والشيء الغريب في بناء تلك الحصون أنها تؤسس قاعدتها بالحجـارة وترتفـع أحياناً إلى متر أو مترين وأحياناً ثلاثـة أمتار، ثم يستكمل بقية البنـاء من الطين، والهدف مـن هذه القاعدة، حماية البيت مـن الانهيار مع مرور الزمن وسقوط الأمطار وهبوب الرياح، وأثناء تشييد الحصن أو البيت وبعد الارتفاع

(١) التبن والرفه : ما ينتج من درس منتوجات القمح والشعير بعد تصفية الحبوب .

في البناء بحوالي متر أو نصف متر يوضع على التوالي حول البناء حجارة لتكون على هيئة مظلة، حتى ينزل المطر عليها ثم يسقط على الأرض، ومن ثم يحمي الطين الذي شيد منه البيت من التلف، وبعض الأسماء لتلك الحجارة يطلق عليه بلهجة أهل البلاد (الرقف)[1].

وتختلف الموارد الطبيعية لسكان هذه البلاد، فهناك أماكن غنية بالمراعي والمياه، وجودة الغطاء النباتي، ومناطق أخرى كالجبال العالية، وسهول ووهاد لا يوجد بها إلا شجيرات صغيرة وحشائش، ولحسن الحظ أن الوقت الذي ذهبنا فيه كان في بداية الصيف فالجو معتدل ولكنه يميل إلى الحرارة في وسط النهار، والأرض قد سقيت بالأمطار الكثيرة فترى أغلب الجبال والأودية مكسوة بالحشائش والأعشاب وماشابهها . وأغلب نباتات المنطقة بين المدينة العسكرية وسراة عبيدة، شجر الطلح والذي يسميه أهل البلاد الشول، أما البلاد الممتدة من أبها عبر منطقة الشعف والجرة وتمنية والقرعاء (الفرعاء) ودلغان، فأغلب نباتاتها شجر العرعر ويوجد بها أيضاً الطلح، وبعض الأشجار الأخرى .

وكان الزمن الذي ذهبنا فيه وقت إجازة(يوم خميس) ، وهذه المناطق تعتير من أجمل الأماكن للنزهة، لهذا تجد بها أعداداً كثيرة من سكان أبها والخميس ومن بعض القرى المجاورة للمدن الكبرى جاءوا لقضاء يومهم في المتنزهات، وتلاحظ معهم أولادهم، ونساؤهم، وسياراتهم المختلفة في الألوان والموديلات، والغالبية على أولئك المتنزهين إنهم يحضرون معهم أطعمتهم وأشربتهم لقضاء يومهم، ثم يعودون آخر النهار إلى منازلهم، وفي الجرة وتمنية وما حولهما، مناطق زراعية جيدة، وغالبية زروعهم البر والشعير، والخضروات المختلفة .

وأثناء تجوالنا في شعف شهران تمنية والجرة وجدنا شيخاً كبيراً في السن يمشي على قدميه، وقد بلغ من العمر حوالي سبعين سنة، فتوقفنا لسؤاله عن بعض المعلومات، فرحب بنا أجمل ترحيب، وأول سؤال سألناه هل هو من المنطقة ؟ فأجابنا بنعم، فسألته عن اسمه فقال: سعيد الشهراني، ثم اتبع قوله أنه من قبيلة بني مالك شهران، وكنت أرغب أن أستزيده في بعض الأجوبة على بعض الأسئلة، فقلت له إلى أين أنت ذاهب؟ فقال: سوف أذهب إلى المسقي . وهي على الطريق

(١) للمزيد عن هذا البناء وشكله في العمارة، انظر: ابن جريس . عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص ٤١، ٤٤، ٤٦ .

الواصل بين القرعاء والجرة فقلت له الآن سوف نذهب من هناك، ثم طلبت منه أن يركب معنا لتوصيله فرحب بذلك . ثم سألته عن بعض القرى التي كنا نمر بها فقال : أما القرى التي ركبت منها فيطلق عليها دار عثمان وهي إحدى قرى قبيلة بني مالك الشهرانية، وهناك قرى في نفس المنطقة تتبع لنفس القبيلة، أمثال: آل دهمش، آل فرحاء، الشرحة، آل ينفع، القارية، تمنية، وآل قزع، وأضاف أن آل قزع بها سوق أسبوعي يسمى سوق اثنين ابن حموض[1] وكان يشير بيده إلى كل قرية يذكرها إلا أنه كان هناك قرى أخرى مختلطة مع القرى التي أشار إليها فسألته عن تلك القرى، فقال إنها تتبع لقبيلة رفيدة القحطانية، ثم عدد ثلاث قرى هي: آل علي، القرن، وآل جليحة، وكل هذه القرى كانت تشترك مع القرى الأخرى الشهرانية في المزارع، ومصبات المياه، وحتى في بعض المواطن السكنية، وجميع القرى التي أشرنا إليها نقلاً عن سعيد الشهراني كانت تقع في المنطقة التالية إلى قرية المسقي تجاه الجنوب، والجنوب الغربي من تلك الديار .

عدنا أدراجنا على طريق الشعف الذي يمر ببلاد القرعاء، وقرى عديدة لقبيلة شهران، وقبائل عسير، وبخاصة عشيرة مغيد حتى وصلنا منزلنا في أبها . ومن خلال هذه الرحلة المحدودة في زمنها وموقعها الجغرافي خرجنا بالعديد من الانطباعات التي ندرج أهمها في النقاط التالية :

١. من خلال استقراء تاريخ هذه الأوطان التي مررنا بها، والاطلاع على ما كتب حولها خلال القرون الماضية المتأخرة، وما تحويه بعض الوثائق التي استطعنا الاطلاع عليها اتضح لنا البون الشاسع في حياة الناس قديماً وما يعيشونه اليوم، ففي الماضي كان هناك فقر وعدم وفرة في ضروريات الحياة من سكن، وطعام وشراب، ولباس بعكس الثراء والخيرات التي يعيشها سكان هذه الأجزاء وغيرهم من سكان المملكة العربية السعودية في يومنا الحاضر . ومن ثم فلا وجه للمقارنة بين الماضي والحاضر. ومن يسعى للتأمل ومقارنة ما كان عليه الآباء والأجداد وما نحن عليه اليوم فإنه يدرك العناء والتعب الذي عاشه الأوائل، واليسر والرفاهية التي نعيشها نحن أبناء هذا العصر.

(١) ابن حموض، أو آل حموض : أسرة من عشيرة بني مالك شهران، بل هم مشايخ هذه العشيرة منذ عدة قرون .

٢. إن حضارة الماضي (سياسياً، واجتماعياً، واقتصادياً، وثقافياً وفكرياً، ونفسياً) لهذه البلاد، وواقعها الحاضر يؤكد على التطور والنمو الحضاري الذي مرت ولا زالت تعيشه هذه الناحية، وهي في الواقع جزء يسير جداً من حال المملكة العربية السعودية التي تعيش الآن في أزهى عصورها[١]

٣. لقد شاهدنا تطوراً حضارياً في بناء الدور ومرافقها، وشق الطرق، وإنشاء العديد من المشاريع الجبارة، وهذا في حد ذاته أمر محمود وإيجابي، لكن مع النمو والاستقرار الكبيرين ظهرت العديد من الجوانب السلبية، ومنها تباعد الناس بعضهم عن بعض في مساكنهم، وهذا جعل الفرد يشعر بالاستقلالية، وأحياناً الانقطاع والجفوة مع أهله وذويه وعشيرته، كما أن الصراع على حطام الدنيا، وكثرة البغضاء والشحناء ارتفعت نسبتها عما كانت عليه . كما واكب تعدد المشاريع العمرانية الإساءة إلى الطبيعة، ففي الماضي كانت معظم هذه الديار مكسوة بالغابات والكثير من الحشائش والأشجار، واليوم ترى الكثير من الأودية والجبال التي مررنا عليها خالية من الخضرة، وأحياناً بلاد جرداء لا يوجد بها أي شيء من الأعشاب والأشجار والنباتات الطبيعية .

٤. الملاحظ على جميع الديار المعنية في هذه الرحلة أنها قديماً وحديثاً بلاد مأهولة بالسكان، وجميع أهلها من أرومة عربية جلهم قبائل يمانية قحطانية . وإذا كان بينهم في الماضي عناصر غير عربية فهم قلة، ولا يقارنون مع سكان اليوم، لأن التطور الحضاري الذي تمر به عموم المملكة جعلت أهل هذه البلاد يجلبون أيادي بشرية من جميع أنحاء العالم، ومن ثم فلا غرابة أن ترى على طول هذه البلاد التي مررنا بها آلاف البشر من جنسيات أخرى عربية وغير عربية، وهم جميعا يعملون في مئات الحرف والمهن المختلفة . ومثل هذه العمالة التي جاءت إلى هذه البلاد، لها من الإيجابيات والسلبيات ما يصعب حصره في هذه الصفحات المحدودة، ونأمل من فرعي

---

(١) هذه الرحلة كانت في أوائل العقد الثاني من هذا القرن، في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز (يرحمه الله)، ولازلنا حتى هذا التاريخ أوائل العقد الرابع من القرن نفسه، وفي عهد خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز نعيش في رخاء ونعمة وفضل كبير من رب السماوات والأرض فلله الحمد والشكر على ما أنعم به الله على هذه البلاد .

جامعتي الملك سعود والإمام محمد بن سعود أن تولي مثل هذا الجانب كبير اهتمام في دراسة أوضاع هؤلاء الوافدين، وما جلبوه إلى بلادنا من جوانب سيئة وحسنة، وما هي الحلول المناسبة لمثل هذا الجانب [(١)] .

٥. من خلال مرورنا بهذا الجزء البسيط من بلاد المملكة العربية السعودية، تبلور لدينا العديد من النتائج والتوصيات والتي نورد بعضها في النقاط التالية .

أ. ما يجب علينا نحن رجال اليوم من مسؤولية أمام الله عز وجل وأمام ولاة أمرنا، وبلادنا هو الحرص على أن نكون أعضاء صالحين مفيدين لأنفسنا، ولجميع شرائح مجتمعنا، وأن نعمل على كل ما فيه رفعة ديننا ووطننا، وأن يعمل كل فيما أوكل إليه بجد وإخلاص راجياً الأجر من الله عز وجل .

ب. كلنا ندرك ما كان يعيشه آباؤنا وأجدادنا من الصراعات والنعرات القبلية، ومن الخوف والجوع والفقر، ثم تحولت أوضاع البلاد من سيء إلى حسن، ومن شر إلى خير، وهذا لم يحدث إلا بتوفيق من الله عز وجل، ثم بالجهود الجبارة التي بذلها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن (يرحمه الله) ومعه رجال صالحون مخلصون بذلوا الغالي والرخيص في توحيد كلمة الناس على راية التوحيد . ودورنا الآن هو السير على طريق الأوائل في نبذ الشتات والفرقة، والعمل على نصرة الدين ووحدة البلاد على منهج الله عز وجل .

ج. هناك الكثير من النواحي والأمور التي يجب معرفتها ودراستها حتى نحافظ على الماضي، ونربط الماضي بالحاضر. وهذه مسؤولية طلاب العلم والبحث، بل مسؤوليات المؤسسات التعليمية وكل من لديه قدرة على حفظ القديم الجيد وربطه بالحاضر والمستقبل المشرق . ومن تلك الأمور الهامة والواجب دراستها نذكر على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

---

(١) إذا كان تدوين هذه السطور في عام (١٤١٢هـ) ، ولا يوجد في الجنوب أي جامعة مستقلة، وإنما فروع لبعض الجامعات، أما اليوم فأصبح في جنوب المملكة أربع جامعات، هي (جامعة الملك خالد، وجامعات نجران، وجازان، والباحة) ، ناهيك عن عشرات المعاهد، ومراكز البحث والتدريب وغيرها التي أصبحت منتشرة في كل أصقاع الجنوب، ومن ثم فالمسؤولية على هذه المؤسسات العلمية أصبحت أعظم وأكبر، وأرجو أن تقوم بمسؤلياتها كما يجب .

١. تاريخ وحضارة العمارة القديمة والحديثة في بلاد عسير أو جنوب البلاد السعودية.
٢. تاريخ اللهجات وما جري على اللغة العربية قديماً وحديثاً، وما سوف تؤول إليه مع وصول آلاف الجنسيات واللهجات إلى هذه الأوطان، أو إلى عموم البلاد السعودية.
٣. ما يوجد بهذه البلاد من الأشجار والنباتات والأعشاب التي تستحق الدراسة تاريخياً وعلمياً وطبياً .
٤. التطورات والتبدلات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والحضارية الأخرى التي مرت وتمر بها البلاد، مع ذكر بعض التوصيات التي يمكن الاستفادة منها في المستقبل القريب والبعيد على حد سواء .

٢- رحلة أبها المجاردة خاط (الجمعة ١٤١٣/٩/١٢هـ)[(١)]

خرجت بمفردي مستقلاً نفس السيارة الكروان التي أشرت إليها في الرحلة السابقة [(٢)]، اتجهت إلى الشمال أثناء خروجي من أبها سالكاً الطريق المعبد الذي يربط بين أبها والطائف، وعند خروجي من المدينة وتجاوزي طرفها الشمالي، رأيت لوحة من إعداد وزارة المواصلات وعليها رقم (٥٤٣) كيلو متر، وهي المسافة التي بين أبها والطائف، واصلت طريقي ماراً على قرى علكم، وبني رزام، والفية، والملاحة حتى وصلت منطقة شعار بعد خمسة وعشرين كيلاً، عندئذ انحرفت تجاه الغرب حيث كانت رحلتي إلى الأجزاء التهامية من عسير كمحائل وبارق والمجاردة وخاط .

وفي رأس عقبة شعار وجدت نقطة عسكرية[(٣)] وبها العديد من العسكر المقيمين بها بشكل مستمر للمحافظة على إقامة الأمن والاستقرار، فتجاوزتهم دون أن يسألني أحد من الجنود الذين كانوا هناك وانحدرت بي الطريق، وكانت سهلة المسلك لأنها معبدة، بها أحد عشر نفقاً تتراوح أطوالها ما بين المئات والعشرات الأمتار، والملاحظ على تلك الأنفاق أن ارتفاعها يتراوح من (٥,٥م) إلى (٦م)، كما أن طول العقبة من رأس الجبل إلى سهل الوادي حوالي أربعة عشر كيلا، وعند نهاية العقبة مررنا

(١) بلاد المجاردة وخاط تقع في النواحي التهامية الخاصة ببلاد بني شهر وبني عمرو، وللمزيد عن تاريخ هذه البلاد، انظر كتابنا : بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين(١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) (الطبعة الثانية /١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، ص ٢٢ وما بعدها .

(٢) كان ذهابي في هذه الرحلة في شهر رمضان الموافق (١٤١٣/٩/١٢هـ) .

(٣) من يعود إلى العديد من الوثائق والمصادر المخطوطة والمطبوعة يجد تفصيلات تاريخية عن شعار، وما دار فيها من الحروب والمعارك بين العسيريين وبعض القوى الأخرى مثل: العثمانيين، والأشراف، والأدارسة، وغيرهم .

بوادي تيه الممتد من أسفل عقبة شعار إلى محائل، ويظهر عليه أنه لا يوجد به ماء ولا كثير أشجار وإنما أغلب نباتاته من الطلح وبعض الأعشاب والشجيرات الصغيرة الأخرى .

وبعد السير حوالي نصف ساعة أدركتني صلاة الجمعة في حضن زهير، وهي قرية صغيرة تأتي قبل بلدة محائلٍ فصليت بها ثم سرت في طريقي إلى مدينة محائل، وبالتالي قطعت حوالي ثمانين كيلاً من أبها إلى محائل . وعند وصولي إلى وسط مدينة محائل عرجت على سوقها المركزي الذي يطلق عليه سوق السبت تجولت في نواحيه ورأيت بعض النشاطات الاقتصادية والتجارية، ثم واصلت الرحلة متجها نحو الشمال في ذلك الطريق المعبد الضيق الذي هو خاص للذاهب والآيب من الشمال إلى الجنوب والعكس .

وكنت في اتجاهيٍ أريد الوصول إلى بارق التي تبعد عن محايل تجاه الشمال بحوالي خمسين كيلاً ، ومن هناك واصلت السير حتى بلادٍ المجاردة وخاط في تهامة بني شهر، وخاط تبعد عن بارق حوالي خمسين كيلاً ، والمجاردة قبل خاط بحوالي (٦-٨) كيلو مترات، فنزلت بها وتجولت في سوقها الذي يسمى سوق الأحد واشتريت منه بعض الأغراض البسيطة، ثم ذهبت إلى خاط ونزلت سوقها الذي يطلق عليه سوق الخميس، وكان في السابق يطلق عليه سوق الأحد أيضاً، وفي أعالي خاط انقطع بي الطريق المعبد وواجهت طريقاً ترابياً يصعد إلى مدينة النماص في بلاد بني شهر وتلك الطريق يطلق عليها عقبة سنان، ولا يستطيع الصعود معها إلا السيارات القوية مثل سيارات التويوتا وما شابهها[١] .

---

(١) ذهبت مرتين من قرية والدي في السراة إلى المجاردة وخاط مشياً على الأقدام . الأولى برفقة عمي، والثانية مع بعض زملاء الدراسة بثانوية النماص، وكلتاهما خلال النصف الأول من تسعينيات القرن الهجري الماضي . ولمست المشقة التي يعانيها أهل تهامة والسراة وهم يسلكون العقبات الوعرة التي تربط بين الناحيتين عبر السفوح الغربية للسروات، والمعروفة عند أهل البلاد باسم (الأصدرا، ومفردها صدر) . كما رأيت بساطة وتدني حياة السكان في تهامة (خاط والمجاردة) وبخاصة في هيئة مساكنهم، وألبستهم، ونوعية طعامهم وشرابهم، بالإضافة إلى صعوبة المواصلات بين القرى والأرياف لعدم وجود طرق واسعة وسهلة كما نرى اليوم، فلم يكن لهم وسائل نقل إلا حمل أمتعتهم وأغراضهم على ظهورهم، أو على الدواب كالحمير وما شابهها . وقد شاهدنا ازدحام أسواقهم الأسبوعية بالمتسوقين والسلع ومعظمها محلية، وأحياناً تجلب من البلدان المجاورة مثل القنفذة وتهامة عسير، ورجال ألمع، وجازان، ومكة المكرمة، بالإضافة إلى ما يسوق إليهم أهل السراة من البضائع كالبطاطس، والحبوب وغيرها .

وعنـد وصولي إلى أعالي خاط صارت الساعة الثالثة بعد العصر مع العلم أني قـد خرجت من مدينة أبها في صباح ذلك اليوم حـوالي الساعة العاشرة، ولم يكن علـيَّ إلا الرجوع إلى أبها لأجـل إدراك الإفطار وصلاتي العشاء والتراويح بها، ومع هذه الرغبة وضيق الوقت عدت إلى منزلي في أبها .

وفي تلك الرحلة التي استغرقت حوالي خمس ساعات شاهدت أموراً عديدة في الجوانـب الاجتماعية والفكرية والاقتصادية، نذكر نبـذةً منها لعل القارئ الكريم يـدرك ولو جزءاً بسيطاً طريقة التعايش في هذه المنطقة التي أتينا عليها والتي يبلغ طولها حوالي مائتي كيلو متر .

أمـا الجانـب الاجتماعي من وقت خروجي من أبهـا فيلاحظ النمط العمراني الجديد في المنازل والمتاجر المشيدة بالخرسانة تنتشر على قارعة الطرق، وفي الأجزاء السرويـة وقبل أن تنحدر بنا عقبة شعار وبخاصة في بلاد علكم، وبني رزام، والفية والملاحـة، وشعار، كمـا لاحظنا العديد من الحصون التي تـتراوح ارتفاعاتها من (١٠ إلى ٢٠ أو٢٥متراً)، ويوجد البعض منها على رؤوس الجبال والهضاب والبعض الآخـر في الأودية، كما أن بعضها على شـكل أسطواني وآخر على هيئة مرتفعات أو مستطيلات، ولكنها جميعاً ظهرت عليها علامات الانهيار والخراب، وجميعها مبنية من الأحجـار، وفي بعض الأحيان أجزاءها السفليـة مبنية من الحجر، ثم تستكمل بالطـين، وبعض تلك الحصـون كان الهدف الرئيس من بنائهـا هو استخدامها في الحـروب خلال القرون السابقة، إلى جانب أنـه كان هناك بيوت قديمة إلى جانب البيوت الحديثة وبدون شك كانت تستخدم للسكن [(١)].

وعند نزولنا في عقبة شعار التي يظهر عليها الانحدار الشديد، واصلت السير إلى محائل وبارق وخاط، ولاحظنا بيوتاً قديمة وأغلبها لا تزيد عن طابق واحد، في حين أن

---

(١) السائـح في بـلاد تهامة والسراة والممتدة من مكة المكرمة والطائـف إلى جازان والطائف ونجران يشاهد تنـوع الحصـون والقصور القديمة في هـذه النواحي، بل يلحظ تنـوع مواقعها ومواد بنائهـا . وهذا الأمر ينطبـق أيضـاً على مئات القرى القديمة المتناثـرة في هذه الديار . والجامعـات الموجودة في هذه الجهات عليهـا مسؤولية كبيرة لدراسـة العمران والجوانب الحضارية التراثية في هذه المناطق . وحسب علمي وأنا أدون هـذه الحاشيـة في أواخر عام (١٤٣١هـ/٢٠١٠م) أنه لا يوجد بهـذه الجامعات (الطائف، الباحة، الملـك خالـد، جازان، ونجـران) أي كلية أو قسم يدرس تاريخ العمارة أو الهندسـة المعمارية، أو التراث المعمـاري القـديم والحديث في هذه البـلاد، وهذا في نظري قصور في هذه الجامعـات، والواجب عليها أو بعضها أن يولى هذا الجانب أهمية قصوى .

هناك قرى وبيوتاً حديثة أنشئت وهي الأخرى تتكون من دور واحد وأحياناً دورين ومن النادر ثلاثة أدوار[١]. ولا يوجد في الأجزاء التهامية حصون كثيرة مقارنة بالأجزاء السروية، والكثير من أهل السراة نزلوا إلى المراكز الحضارية في الأجزاء التهامية مثل محائل وبارق والمجاردة وخاط وغيرها فامتلكوا الأراضي الزراعية والسكنية ومن ثم بنوا لهم المساكن والعقارات والمحلات التجارية[٢]. ويلاحظ التفاوت في تلك المدن الحضارية التي مررنا بها فأكثرها نشاطاً مدينة محائل ثم المجاردة، وبارق، فخاط ومعظمها بها مراكز إدارية كمستشفيات أو مستوصفات، ومحافظات (إمارات سابقاً)، وإدارات للشرطة، والمحكمة، والبرق والبريد، ومدارس وغيرها، وجميع هذه المراكز الحضارية ترجع في إدارتها إلى إمارة عسير .

ومعظم سكان المجاردة وخاط وبارق ومحائل يرجعون في أنسابهم إلى قبائل السراة الممتدة من أبها إلى النماص وسبت العلايا، وجميعهم يعودون في أنسابهم إلى قبائل قحطان اليمانية .

ومن ينظر في أعالي الجبال التي تطل على وادي خاط يلاحظ بعض البيوت القديمة المبنية من الحجارة والمطلية بالجص، والغريب في تلك المنازل أنها في قمم الجبال ولا يستطيع أن يذهب إليها الإنسان إلا بكل مشقة مشياً على الأرجل، وأخبرني بعض أهالي تلك المنطقة أن البعض منها لازال مسكونا ولا أدري صحة ما ذكر لأني لم أستطع الصعود إليها لوعورة مسالكها .

وكما أشرنا فغالبية سكان هذه البلاد من العرب الخلص إلا إنهم لا يخلون من بعض السكان الذين قدموا إلى البلاد في القرون الماضية، وبخاصة من الأجزاء

---

(١) هذا ما شاهدناه في أوائل العقد الثاني من هذا القرن، والآن ونحن ندون هذه الحاشية في أوائل العقد الرابع من القرن نفسه (١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، نلاحظ تزايد عدد أدوار البناء في مناطق محائل والمجاردة حتى الأربعة والخمسة أدوار وربما تزيد وترتفع في المستقبل .

(٢) أهالي تهامة يغلب عليهم الكسل والخمول، ففي الماضي بلادهم فقيرة والجوع والأمراض منتشرة فيها، ومع بدايات عصر التنمية في المملكة بدأت المدنية تعزو مراكز عسير الحضارية مثل أبها، وخميس مشيط، وبيشة وغيرها، وتأخرت بعض الشيء عن الحواضر الرئيسة في تهامة مثل : محائل، والمجاردة، ومع عصر النمو والتطور، ووفرة المال في أيدي الناس وبخاصة أهل السراة صاروا يذهبون إلى الأجزاء التهامية فيملكون الدور والأراضي والمزارع، ويسعون جاهدين على استثمار أموالهم في هذه النواحي، ومن ثم صارت بلاد تهامة تتغير إلى الأحسن، بل نجد محائل عسير والمجاردة في يومنا الحالي تضاهي المراكز الحضارية الأخرى في السروات، والفضل في تنشيط النمو والتحضر في هذه الديار بعد الله عز وجل، ثم لخطط دولتنا الرشيدة، ثم لأهالي السراة الذين ساروا بهذه البلاد إلى الأمام في نموها وتطورها الحضاري .

الإفريقية كالسودان والحبشة وإريتريا والصومال وغيرها[١]. بالإضافة إلى العديد من الوافدين المتأخرين من مصر والسودان والباكستان والهند وتركيا وغيرها من بلاد المسلمين، الذين يعملون في مهن متعددة كالزراعة والتجارة والحرفة المهنية المختلفة.

ويظهر على ألبسة وزينة سكان منطقتنا العمامة والثوب والنعال للرجال والحجاب والرداء أو العباءة للنساء، وأغلب الوافدين يلبسون القميص والبنطلون وما شابهها[٢]. وآخرين من أبناء المنطقة، وهم قليلون، لازالوا يلبسون الحوكة والمصنف وهي مثل الأزر التي تلبس على الجزء السفلى من الجسد أثناء الحج، وبعضهم يضع الريحان وبعض الأعشاب على الرأس وهي من علامات الزينة لديهم[٣].

أما الحياة التعليمية والثقافية فلا يخلو مكان من وجود مدرسة للبنين والبنات، وفي مدينتي محائل والمجاردة معاهد متقدمة كمعهد المعلمات والمعهد العلمي وما شابهها، إلا أنه لا يوجد بها كليات ومراكز للتعليم العالي لمن ينهي دراسته من الثانوية العامة[٤]. والملحوظ على الجانب الفكري عند أهل البلاد أنهم مسلمون متمسكون بكتاب الله وسنة رسوله، ومن الشيء الحسن الذي لاحظته في المسجد

---

(١) ربما قرب هذه البلاد من ساحل البحر الأحمر الشرقي الذي كان أهله على صلات مستمرة مع ساحله الآخر (الغربي) الذي يعيش عليه العديد من العناصر الإفريقية. وهذا مما جعل احتكاك سكان الساحلين سهلاً وميسراً، ومن ثم فلا غرابة أن وصل بعض سكان إفريقيا إلى أجزاء عديدة من البلاد المعنية في رحلتنا هذه، ومع تعاقب الأزمان استوطنوا هذه الديار وأصبحوا جزءاً لا يتجزأ منها.

(٢) إن دراسة اللباس والزينة في منطقة عسير من المواضيع الهامة التي يجب دراستها من حيث النوع، والحجم، والمدلول، واللون، ومن يقارن تاريخ اللباس في الماضي والحاضر يجد تبدلات وتغيرات كثيرة، والسبب في ذلك أعراف الناس، وثقافاتهم، واقتصادهم، والمؤثرات التي وفدت ولازالت تفد من خارج المنطقة أو البلاد بمفهومها الواسع. ومن يقارن زمن الرحلة عام (١٤١٣هـ)، وتاريخ تدوين هذه الحاشية يجد البون الشاسع في المتغيرات التي جرت على اللباس خلال عقدين من الزمان، فأصبح في أسواق محائل والمجاردة وبارق مئات الموديلات والألوان المستوردة من عوالم عديدة في شتى الألوان والموديلات، حتى أن بعض الألبسة التي نشاهدها في بعض الأماكن أو المناسبات صارت خارجة عن عرف ومألوف البلاد وما كان يعيشه الأوائل.

(٣) استخدام الريحان وأغصان الأشجار جزءاً من اللباس على الرأس ومن العادات القديمة عند أهل تهامة، ولازال البعض من رجال هذه النواحي يحبذونها ويحرصون على استخدامها في مناسباتهم وأسواقهم ومجالسهم العامة والخاصة.

(٤) في زمن رحلتنا لم يكن هناك مؤسسات تعليمية عالية، واليوم (١٤٣٩هـ)، أصبح هناك العديد من الكليات والمراكز الجامعية المنتشرة في محائل والمجاردة، بل صار هناك أرض واسعة مخصصة لبناء العديد من الكليات التابعة لجامعة الملك خالد، ونأمل أن نراها قريباً جامعة مستقلة،لأن بلاد تهامة الممتدة من القنفذة شمالاً إلى رجال ألمع ودرب بني شعبة جنوباً تستحق فعلاً جامعة لكثافة الطلاب والسكان بهذه النواحي.

الـذي صلينا به الجمعـة في حضن زهير، هو أن أغلـب الناس قبل مجيء الخطيب كان جميعهـم عاكفين على قراءة القرآن، وعند صعود الخطيب على المنبر تكلم في بعض القضايا الاجتماعية، وأهم ما ركز عليه العـادة التي صار يسلكها الناس في رمضـان وهو سهـر الليل ونوم النهار فحذر من خطورة هـذه المسألة ونبه إلى عدم إضاعـة الوقت، كما نبه أولياء الأمور بالانتباه إلى أولادهم وبناتهم الذين يضيعون الليـل فيما لا يفيد، وبعد الانتهاء من الصلاة قـام الخطيب مرة ثانية وحثهم على الصدقة في رمضان وعلى التبرع في سبيل الخير[١] .

أما الحياة الاقتصادية فالرعي لا يظهر إلا قليلاً ولم نشاهد إلا قلة من الرعاة على قارعـة الطريق يرعون بعض الماعز، مع العلم أن من يقوم بهذه المهنة بعض الوافدين كالباكستانيـين والمصريـين والسودانيين الذين جلبوا من قبـل بعض أهل البلاد . ولم نشاهد الكثير من الحيوانات، البرية أو الأليفة، اللهم إلا القرود في أعالي عقبة شعار، يتواجدون بكثرة على قارعة الطريق غير خائفين من البشر ومركباتهم[٢] .

أمـا الزراعة، فلا يوجد بها كثير مزرعات، وأكثر المناطق التي يوجد بها بعض الـزروع بلاد محائل وبارق والمجاردة، ومع وفرة الأراضي الصالحة للزراعة، إلا أن أصحابهـا تركوها وانصرفوا إلى العمل في الوظائـف الحكومية والأعمال التجارية والصناعية الأخرى بهدف الحصول على أرباح أفضل وأسرع[٣] .

ومهنتا التجارة والصناعات التقليدية والحرفية تمارسان بشكل جيد، والمتأمل في أسـواق وشوارع محائل عسير، والمجـاردة وخاط وبارق يجدها مكتظة بالمحلات

---

(١) عاصر المؤلف الصحوة الدينية التي عاشتها بلاد عسير وغيرها منذ أوائل هذا القرن (١٥هـ/٢١م) حتى الآن، بل شاهد ما حصل من سلبيات وإيجابيات للدعوة والدعاة وطلاب العلم، وخطباء المسجد، وما نتج مـن صدامـات فكرية ودينية وعقدية، وتلـك الفترة جديرة بالبحث والدراسة، حبـذا أن نرى البعض من طـلاب الدراسات العليا في أقسام التاريخ، والاجتماع، والعلـوم الشرعية . من يتصدى لتلك الحقبة، وما تخللها من تاريخ سيء وحسن، وما أفرزت من سلبيات على الصعيدين الداخلي والخارجي .

(٢) هـذا مـا شهدناه في عام (١٤١٣هـ) ، ولازال وضع هـذه القرود ساريـاً حتى اليـوم (١٤٣٩هـ) ، فتراهم متناثرين على أطراف الطريق في عقبة شعار، ويظهر عليهم ملامح الجوع والأمراض، وإذا لم يوجد لهم طريقة عزل أو إبعاد عن الناس والأماكن الهامة مثل الطرق وأماكن الاستراحة فإنهم يمثلون خطراً كبيراً وبخاصه في مجالي الأمن والصحة .

(٣) انصـرف سـكان المملكـة العربيـة السعودية عن الأعمـال الزراعيـة إلى غيرها من الوظائـف الحكومية والأعمال التجارية والصناعية تكاد تكون سائدة في معظم أنحاء البلاد، وثراء الناس ووفرة المال في أيديهم أحد الأسباب التي جعلتهم يبتعدون عن ممارسة مهنتي الرعي والزراعة التي تحتاج إلى مجهودات كبيرة وشاقة .

والدكاكين التجارية المختلفة، وهناك الكثير من الورش الصناعية والحرف التقليدية والسلع المتنوعة في بلدتي محائل والمجاردة. والذاهب إلى السوقين الشعبيين في كل من هاتين البلدتين يشهد نشاطاً تجارياً مميزاً، ويلاحظ وفرة العديد من السلع المصنوعة محلياً، بالإضافة إلى مئات السلع المستوردة من داخل المملكة وخارجها[١]. وهناك حرف وصناعات محلية قديمة ولازالت تمارس إلى هذا الوقت، ومن أشهرها صناعة الخصف أو (الطفي)، وكذلك عصر زيت السمسم وتستخدم الجمال لممارسة هذه المهنة[٢].

٤ ـ خلاصة القول :

إن هذا الجزء الجغرافي الصغير الذي اشتملت عليه رحلتنا، لا يمثل إلا جزءاً يسيراً من منطقة جغرافية واسعة تمتد من مكة المكرمة والطائف إلى جازان ونجران. وهذه البلاد بمفهومها الواسع تحوي الكثير من المقومات التاريخية والحضارية الجديرة بالبحث والدراسة، فهي حلقة الوصل بين اليمن والحجاز، وموطن قبائل عربية قديمة ترجع في نسبها إلى جدي العرب الرئيسين (القحطاني والعدناني)، ناهيك عن مدخرات هذه الديار من الرصيد التاريخي والحضاري في شتى العصور والمجالات، والتي آمل من الله عز وجل أن يوفقنا ويسددنا إلى إخراج العديد من الدراسات العلمية الهامة عن هذه البلاد[٣]. كما آمل أن نرى من طلابنا من يتدرج في سلم البحث والدراسة حتى نجد بينهم من يتخصص في دراسة وتاريخ وآثار وحضارة هذه البلاد الجنوبية الغنية بتراثها وموروثها

(١) في عام (١٤١٣هـ) كانت أعمال التجارة وممارسة الصناعة والحرف الأخرى موجودة، وتتوفر بشكل جيد في محائل والمجاردة، واليوم (١٤٣٩هـ) نلاحظ قفزة جيدة في الأعمال التجارية والصناعية، فهناك عشرات الأسواق والمتاجر الكبرى، بالإضافة إلى ورش صناعية وفنية متعددة في شتى المجالات، ناهيك عن سير التنمية والتطور فهو يسير بشكل ممتاز وعلى كل الأصعدة.

(٢) حب السمسم يوضع في برميل وبركب على البرميل جهاز مصنوع من الخشب، ثم يؤتى بالجمل لتحريك هذا الجهاز الذي أحد أطرافه في وسط السمسم بداخل البرميل والآخر مربوط بالجمل، ويتم تحريكه بواسطة هذا الحيوان لعدة ساعات حتى يتحول حب السمسم إلى زيت سائل يباع بأسعار عالية. ونلاحظ في أيامنا هذه أن حلت آلات الكهرباء محل الجمل فأصبح يعصر السمسم في البرميل عن طريق الكهرباء وليس الحيوان كما شهدناه من قبل.

(٣) خرج لنا بعد زمن هذه الرحلة (١٤١٣هـ) عشرات من البحوث والكتب والدراسات المنشورة والخاصة بتاريخ بلاد عسير، ونجران، والباحة، وأجزاء أخرى من بلاد تهامة والسراة، وفي عهود مختلفة منذ فجر الإسلام إلى عصرنا الحديث والمعاصر، وأرجو من الله عز وجل أن يوفقنا إلى إخراج المزيد وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم.

الحضاري، كما آمل أيضاً ان نرى من فرعي جامعتي الملك سعود والإمام محمد بن سعـود في أبها، وعلى المستويين الرسمي والفردي، من يولي هذه النواحي العسيرية ومـا جاورها كبير اهتمام في مجالي البحث والدراسـة والتنقيب الأثري[١] . وعودة إلى مناطـق رحلتنا، والتي هي. كما ذكرنا. أنموذج مصغر من بلاد تهامة والسراة الواقعـة بين مكة المكرمة ونجـران، فقد خرجنا ببعض الانطباعـات والنتائج التي نذكر منها ما يلي :

١. التبايـن الواضـح في جغرافية الجـزء السروي عن الجـزء التهامي، وهذا الاختلاف أثر أيضاً في المناخ، وألوان الناس ولهجاتهم، والبعض من عاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم، ناهيك عـن الأحوال الاجتماعية والاقتصادية فهي الأخـرى لا تخلو من التباين . وهذه الفـوارق والاختلافات جديرة بالبحث والتحليـل والدراسـة، وهي مسؤولية المتخصصين وطـلاب العلم، كما هي أيضاً مسؤولية المؤسسات الحكوميـة والتعليمية والأهلية فتتضافر الجهود في خدمة كل ما يصب في مصلحة الدين والبلاد .

٢. لا تخلـو هذه البلاد من المواطن الأثرية، بل إن عموم بلاد عسير . ونجران والباحـة وجازان غنية بآثارها، ونقوشهـا، ورسومها الصخرية، بالإضافة إلى الأماكن الأثرية الأخـرى مثل: القرى وأماكن التعدين وغيرها تستحق المحافظـة عليها، والاستفادة منها في مجال السياحـة، والدراسة والبحث والتنقيب عن تاريخها .

٣. من خـلال التجوال في أسواق محائل والمجـاردة، والالتقاء ببعض رجالها، والتأمـل في موروثهـا الشعبـي، اتضح لنا أن هناك كنوزاً مـن المعرفة التي يجـب البحـث عنها وحفظهـا وتدوينهـا، وهي كثـيرة جداً مثـل : تحديد الأسـواق الأسبوعية القديمة ودراسة تاريخهـا، معرفة الفنون والرقصات والأمثال الشعبية التي عرفها ولازال يعرفها البعض من سكان هذه الديار،

---

(١) في عصر الرحلة لم يكن في أبها من مؤسسات التعليم العالي إلا كليات معدودة لفرعي جامعة الملك سعود والإمام محمد بن سعود الإسلامية، والآن أصبح هناك مئات الكليات والمعاهد والمراكز العلمية موزعة بين خمس جامعات حكومية في طول وعرض بلاد تهامة والسراة الممتدة من نجران وجازان إلى الطائف ومكة المكرمة، بالإضافة إلى العديد من مؤسسات التعليم الأهلي والعالي، وهي الأخرى تعمل جنباً إلى جنب مع التعليم الجامعي الحكومي .

والسعي إلى جمع القصص الشعبية وأحياناً الأسطورية، والأحاجي والألغاز وغيرها والتي فعلاً تتواجد بكثرة في عموم بلاد تهامة والسراة، وهي جديرة بالاهتمام بالإضافة إلى معرفة تراجم أعيان وحكماء ورموز هذه البلاد في القرون السابقة، وما لعبوا من أدوار تاريخية وحضارية على مستوى ديارهم أو على مستوى العوالم التي عاصروها وعرفوها وشاركوا فيها .

٤. انصراف الناس بشكل عام إلى التباهي بملذات الدنيا وزخرفها، وهذا مما جعل وتيرة الوئام والحب السائدين عند الأوائل يضعف، بل بدأ يتلاشى، وازدادت الفتن والشحناء والعداوات بين الناس، وغالباً ما تكون بين الأقارب والأرحام، ولم يزد تحسن أوضاع الناس المادية والاقتصادية إلا نفرة فيما بينهم، وهذه أمور نلمسها عند كثير من المجتمعات التي شاهدناها في معظم الأجزاء الجنوبية من المملكة العربية السعودية، وربما تكون صفات عامة وسائدة على عموم سكان البلاد ومثل هذه الظواهر يجب دراستها من قبل المؤسسات التعليمية والبحثية واقتراح الحلول التي تساعد في تخفيف حدتها وعدم تفاقمها .

٣- منطقة جازان
كما سمعت عنها ورأيتها(*)

(*) نُشر في كتاب :
القول المكتوب في تاريخ الجنوب
ط١ : ١٤١٤هـ ، الرياض ، مطابع الحميضي ، ج٤ ،
ص ص ٢٢٧ - ٣٠٢

منطقة جازان كما سمعت عنها ورأيتها

منطقة جازان كما سمعت عنها ورأيتها [١]

أولاً : مدخل :

منطقة جازان بكر في مجال البحوث والدراسات، وإذا كنا أشرنا إليها في بعض بحوث سابقة في هذا الكتاب أو في غيره من الدراسات والأسفار التي سبق طبعها ونشرها فذلك لا يغني عن تسليط الضوء على جوانب تاريخية وحضارية أخرى جديدة . وهذا القسم يقوم على المشاهدة والتجوال في ربوع بلاد جازان، كما يعتمد على أقوال وشروحات بعض الجازانيين أنفسهم [٢] .

ولإنجاز هذه المهمة قمنا برحلة ميدانية في أنحاء بلاد جازان خلال أحد عشر يوماً تنقلنا فيها بين المدن والقرى والأرياف الجازانية، وكانت في الفترة الممتدة من يوم الإثنين (٢٦/٤/ إلى يوم الخميس ١٤٣٣/٥/٧هـ الموافق ١٩ـ٣٠/٣/ ٢٠١٢م)

---

(١) في الأيام العشرة التي قضيتها في هذه الرحلة، لم أكن مدعواً من مؤسسة حكومية أو أهلية، وإنما ذهبت بطريقة فردية، ولنا عشرات الأصدقاء والطلاب القدماء في عموم منطقة جازان، ولهذا حللت ضيفاً على بعضهم مثل محمد أبو فراس القحطاني في قرية الفطيحة، و علي أحمد نهاري في حقو ماغص، وربيع مهدي عطية في قرية الباحر بصبيا، ومحمد بن يزيد الحكمي الفيفي في جبل فيفا، وصبري ناصر محمد مكين في قرية خضير في وادي جازان، وحسين راجحي في قرية خزنة بأبي عريش، ومحمد حسن أبو عقيل في مركز القفل بمحافظة سامطة. وهؤلاء الأساتذة الكرام قدموا لي خدمات كثيرة يصعب حصرها من استضافة، ولطف معشر، وتنقلوا معي كل في ناحيته وما حولها فكانوا خير رفيق ودليل ومرشد . وليس لهم منا إلا الدعاء، والله نسأل أن يغفر لنا ولهم ويجعل أعمالنا جميعاً خالصة لوجهه الكريم . وفي الأيام الأخيرة من رحلتنا اتصلنا ببعض المسؤولين في جامعة جازان مثل: أ . د. علي الكاملي، وكيل الجامعة للجودة والتطوير فأكرمنا جزاه الله عنا كل خير باستضافتنا بمدينة جازان لعدة أيام على حساب الجامعة في فندق برج أوقات سعيدة، وفي تلك الأيام استطعنا مراجعة ما شاهدناه ودوناه وسمعناه، ومن ثم تمت كتابة هذا القسم . ومن على صفحات هذا الكتاب أشكر جامعة جازان على ما تقدم من خدمات للدراسة والبحث العلمي، كما أشكر الإخوة الكرام المذكورة أسمائهم أعلاه، وأيضاً أشكر كل من كان له فضل علينا، ولم يرد اسمه، في إنجاز هذه الجولة القصيرة في عرف الأبحاث العلمية، كما أشكر كل من قابلت من الإخوة الجازانيين الفضلاء الذين لم يبخلوا علينا بأوقاتهم وجهودهم الجسدية والفكرية وغيرها. وأسأل الله عز وجل أن يبارك لهم في أعمارهم وأعمالهم . والله من وراء القصد .

(٢) الروايات الشفاهية مهمة جداً في رصد بعض الصور التاريخية المختلفة، مع الحرص على تمحيص مثل هذه المصادر التي ربما يشوب بعضها المغالطات أو المبالغات أحياناً .

والبداية من مدينة أبها عبر عقبة ضلع، وعند جسر رجال ألمع اتجهنا إلى الجنوب الشرقي الذاهب إلى بلدة الفطيحة [١]. ثم تنقلنا في عشرات القرى والمدن خلال العشرة الأيام التالية لليوم الأول، من الرحلة، أي من (٢٧/٤-٧/٥/١٤٣٣هـ[٢]). وقد مررنا على الحقو، (حقو ماغص)[٣]، وهروب، والصهاليل، والعزيين، ومنجد، والريث[٤]. ثم سرنا في منطقة الخبت، بيش، والدرب والشقيق[٥]. ورجعنا إلى صبيا وتجولنا في العديد من قراها الداخلية والساحلية، وصعدنا إلى الجبل مرة ثانية فتجولنا في فيفا وبني مالك ووقفنا على بعض قراها مثل العيدابي والدائر، ووصلنا إلى أعلى جبل طلان[٦]. ثم نزلنا في السهل حتى مدينة جازان[٧]، وانتقلنا إلى مدينة أبو عريش[٨]، وصعدنا مرة أخرى إلى محافظة العارضة ثم إلى جبال العبادل[٩]. وانتقلنا في أيام تالية إلى كل من أحد المسارحة، وسامطة[١٠]. وشاهدنا العديد من أحيائها وقراها وجبالها وأوديتها، وقضينا بعض الوقت في

---

(١) هذه المنطقة التي ذهبنا إليها أول يوم كان معظمها يتبع إدارياً لمنطقة عسير. ويعتبر الطريق الممتد من جسر رجال ألمع إلى الفطيحة فاصلاً إدارياً بين منطقتي جازان وعسير. ونلحظ أن معظم الأراضي الزراعية الواقعة على الجزء الجنوبي من ذلك الطريق كان مملوكاً لأهالي الجبال من منطقة عسير الذين عمروها بإنشاء المزارع والمنازل المتنوعة في أحجامها وأشكالها.

(٢) لن نسهب الحديث عن التفصيلات الشخصية من حيث الجلوس والقيام والنوم والحركة الذاتية لتنقلاتنا. وإن فعلنا ذلك فسوف نسجل كماً هائلاً من المعلومات التي تأتي في المرتبة الثانية من حيث الأهمية.

(٣) اسمه حقو ماغص نسبة إلى جبل ماغص الذي يطل على بلدة الحقو. وكان أهل الحقو أساساً في الجبل ثم نزلوا عند سفح جبل ماغص.

(٤) هذه المناطق تقع جميعها في الناحية الشمالية الشرقية من منطقة جازان. وهي مناطق بكر للبحث والدراسة في مجالي التاريخ والحضارة.

(٥) هذه المناطق أيضاً ساحلية سهلية في الأجزاء الشمالية من منطقة جازان.

(٦) بلاد فيفا وبني مالك وجبل طلان أجزاء جازان الجبلية وتقع في الناحية الشمالية الشرقية من مدينة جازان.

(٧) مدينة جازان العاصمة الإدارية، وهي جديرة بالدراسة في شتى الجوانب التاريخية والحضارية والتنموية.

(٨) أبو عريش: تقع إلى شرق مدينة جازان، وهي مدينة تاريخية هامة وتستحق المزيد من البحث والدراسة. كما أن مدن صبيا، وبيش، والدرب، والشقيق هي الأخرى تحتاج إلى دراسات علمية أكاديمية ونتطلع إلى أن تخدم بحثياً من قبل المؤرخين والباحثين ولا سيما من أهل المنطقة.

(٩) العارضة والعبادل إلى الجنوب الشرقي من مدينة جازان، وهي ميدان جديد للباحثين في المجالات التاريخية والجغرافية والاجتماعية واللغوية. ونأمل أن تدرس من قبل المتخصصين في جامعة جازان وغيرها.

(١٠) أحد المسارحة وسامطة في الناحية الجنوبية من مدينة جازان، وهي ميادين خصبة لمجالات البحث التاريخي والأثري والجغرافي واللغوي والاجتماعي والاقتصادي والتعليمي. ونأمل من أبناء جازان الباحثين والمعلمين أن يولوا هذه المجالات كبير اهتمام في بحوثهم ودراساتهم.

مشاهـدة المناطق الحدودية بين اليمن والسعوديـة مثل: الموسم (الشرجة قديماً)، والطوال، والخوبـة[١]. هذه الجولة أخذت منا تقريباً عشرة أيام سجلنا فيها بعض المشاهدات والأقوال والروايات التي سمعناها من أهل البلاد[٢]. وقد قسمنا مادتنا العلميـة التي جمعناهـا إلى محاور عديدة مثل: [٣] التركيبـة الجغرافية والبشرية، وحياة الناس الاجتماعية العامة، والحياة الاقتصادية، والحياة التعليمية والثقافية والفكريـة والأدبيـة. ثم خرجنا ببعض التوصيات والنتائـج التي استخلصناها من سيرنا ومشاهداتنا في هذه الديار التهامية.

ثانيا: التركيبة الجغرافية والبشرية:

١ـ التركيبة الجغرافية:

ذكـر كثير من الجغرافيـين والمؤرخين تنوع الحيـاة الجغرافية في جازان، فهي تجمـع بـين تضاريس المرتفعـات الجبلية مثل: بـلاد العارضة، وفيفـا وبني مالك،

---

(١) هـذه الأجـزاء الحدودية تستحق إلى أن تدرس من حيث التركيبة الجغرافيـة والسكانية. كما أنها ميدان جديـد للدراسات التاريخية والاجتماعية والاقتصادية واللغويـة والتعليمية. ونأمل من الإخوة الجازانيين وبخاصـة الأكاديميـين والمتعلمـين في مجالات العلـوم الإنسانيـة أن يولوا هذه المناطق بعض الاهتمام في أطروحاتهم، وهي جديرة بذلك.

(٢) عشـرة أيـام قليلة جداً في رصد وتوثيـق تاريخ هذه المنطقة الحضارية الجازانيـة، وذلك للتنوع الجغرافي والبشـري الذي تعيشه هـذه البلاد خلال العقود الثلاثة الماضية. كمـا أن رصدنا التاريخي لهذه المنطقة يتركز على العصر الحديث وبخاصة منذ بداية القرن (١٥هـ/٢٠م ـ ٢١م) إلى وقتنا الحاضر. وجزء مثل هـذا القسم غير كاف، لأن مـا تعيشه أرض جازان منذ عقدين جدير بأن يدون عنه عدة مجلدات. وهذه المشاركـة فقط تؤكد على وجوب إفراد دراسـات علمية أكاديمية مطولة عن تاريخ التنمية الحضارية التي تعيشها هذه المنطقة الجنوبية السعودية التهامية. ونتطلع إلى أن نرى أبناءها طلاب الدراسات العليا من منطقة جازان فيخصصوا بعض بحوثهم وأطروحاتهم العلمية التي تخدم منطقتهم ثقافياً وعلمياً وأدبياً وفكرياً.

(٣) لم نسـر علـى منوال الرحالين الأوائل في شـرح ما شاهدنا عن كل منطقة في حيـز واحد. ومن ينظر إلى القسـم الأول من هـذا الكتاب يرى كثيراً من أولئـك الرحالة تجولوا في أجزاء مـن منطقة جازان وكانوا يصفـون مـا شاهدوه على التـوالي: فالذي جاء من الدرب إلى بيش وصبيـا وجازان يتكلم عن تلك المدن بشـكل متتابـع. والذي جاء من الجبل مثل: فلبي وشيجر وغيرهما يذكـرون مشاهداتهم حسب سيرهم وانتقالهـم مـن ناحية لأخرى. وربما كانت تلـك الطريقة أسهل وأدق إذا رغب القـارئ أن يعرف ما يدور حـول ناحيـة أو بلدة معينة. أما المدرسـة التي سلكناها فهي ترتكز على وحـدة الموضوع في عموم المنطقة الجازانيـة. فالحديـث مثلاً عـن الجانب الجغرافي سـوف يجمع في مكان واحد، وهكـذا نسير على نفس المنهـج في بقيـة محاور البحث. وقد حرصنـا أن نزور معظم منطقة جازان ثم نـدون ما استطعنا في هذا القسم المحدود، وعلى أمل أن نفتح بعض الرؤى والأفكار والموضوعات التي تستحق جهداً أوسع وأعمق من البحث والدراسة.

والريث . والأراضي الخبتية السهلية مثل: سامطة، وأحد المسارحة، وأبو عريش، وأجزاء من مدن جازان، وصبيا، وبيش، والدرب . أما الجزء الثالث فهي البلاد الساحلية والجزر مثل: القحمة، والشقيق، وأجزاء من مدن بيش وصبيا وجازان وسامطة وجزيرة فرسان[١] .

من خلال تجوالنا شاهدنا الكثير من المعالم الجغرافية التي لا نرغب تكرار المعلومات الوصفية التي ذكرها معظم الجغرافيين مثل: طبيعة التضاريس، والمناخ، والغطاء النباتي، والثروة الحيوانية وغيرها[٢] . وإنما نشير إلى صور مما جرى على التركيبة الجغرافية في هذه البلاد التهامية وهي على النحو التالي :

١. في الوقت الذي زرنا فيه المنطقة نجد عشرات المشاريع التنموية التي نفذت أو تنفذ في المنطقة مثل: شبكة الطرق البرية الهائلة، وإنشاء مدن وقرى عمرانية حديثة، وإقامة مشاريع تجارية كبيرة مثل: الأسواق، ومدن جامعية واقتصادية، ومشاريع صناعية، وحدائق ومتنزهات سياحية وغيرها . وجميع هذه الإنجازات الحضارية الإيجابية أثرت سلباً على تضاريس المنطقة. فظهر التصحر، وتهالك الغطاء النباتي الطبيعي، وزاد التلوث البيئي[٣] .
٢. نتيجة التطور الحضاري الذي تمر به البلاد ظهرت بعض السلبيات منها انقراض بعض الحيوانات البرية والطيور التي كانت تتواجد بكثرة في أنحاء

---

(١) هناك بعض الكتب والدراسات فصلت الحديث عن جغرافية منطقة جازان . وللمزيد انظر: موسوعة المملكة العربية السعودية (منطقة جازان) (الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ١٤هـ/٢٠م)، مج (١١)، ص ٢٥ وما بعدها .

(٢) المصدر نفسه . وللمزيد عن جغرافية جازان انظر: عبد الرحمن الشريف، جغرافية المملكة، ج٢، ص ١٣٧ وما بعدها . مع أن دراسة الغطاء النباتي والثروة الحيوانية والسمكية في جازان جديرة بالدراسة . وهذه مسؤوليات أصحاب التخصصات التاريخية والجغرافية والزراعية والطبية والعلمية البحتة مثل: علوم الأحياء، والكيمياء، والبيئة وغيرهم . ولعل جامعة جازان تقوم بإنشاء مراكز بحثية تخدم مثل هذه المجالات البحثية المهمة.

(٣) شاهدنا بعض الأجزاء الجبلية التي لم يتغلغل فيها العمل التطويري التنموي مثل: جبال قيس، ووادي لجب، وبعض الأجزاء الوعرة في كل من بلاد الريث وفيفاء والعارضة فتجد الطبيعة الجغرافية لازالت جميلة نقية زاهية . وإذا كانت المشاريع التطويرية قد أثرت على جمال وطبيعة الأرض، إلا أنك ترى الكثير من الحدائق المنتشرة في المدن والبلدات الكبرى . بل ترى أيضاً الأشجار المتنوعة على طول الطرق الرئيسة في جازان وهذا جانب إيجابي لصالح الحياة النباتية.

منطقة جازان، ومن يبحث عن بعض السباع والحيوانات مثل: النمور والأسود، والذئاب، والثعالب، والغزلان، والأرانب . أو النسور، والصقور، وبعض الطيور والزواحف النادرة فلن يجدها في الأجزاء السهلية والساحلية وبعض الأجزاء الجبلية [١] . وإذا وجد بعضها ففي الجبال العالية الوعرة مثل: جبل الحشر، وجبال سلا بني حريص، وجبال قيس، وربما في جبال الريث، وبلغازي، والعبادل، وآل تليد، وهروب، ومنجد، وفيفا وبني مالك، والجبل الأسود [٢] .

٣. اتساع المدن والقرى العمرانية اقتطع أجزاء كبيرة من الطبيعة الجغرافية للمنطقة. ومن خلال التنقل بين المدن والقرى شاهدنا إقامة أحزمة ترابية وأحياناً خرسانية لمنع القرى من مخاطر السيول. وهذا مما غير ملامح التضاريس في السهول والأراضي الخبتية [٣] .

٤. في الأجزاء الساحلية الممتدة من القحمة إلى سامطة لاحظنا بعض المناطق التي ظهر عليها الهبوط، وعند سؤال أهل البلاد عن ذلك ذكروا أن ملوحة الأرض الزائدة هي السبب الرئيس في ذلك [٤] .

٥. في فترة الرحلة هناك جفاف شديد عم المنطقة الجازانية [٥] ، بالإضافة إلى غبرة شديدة غطت السهل والساحل والجبال [٦] .

---

(١) وكذلك الأجزاء المنخفضة من الأودية، مثل: بيش، وتعشر، وخلب، وصبيا، وشهدان. أما لجب وريم والدحن فلا زال بها بعض الطيور والسباع المذكورة أعلاه .

(٢) دراسة الجبال والأودية جغرافياً وتاريخياً في بلاد جازان موضوع جدير بالبحث والاهتمام . ونأمل أن نرى دراسة علمية موسعة لهذه الأجزاء الجغرافية .

(٣) دراسة هذه الأحزمة من حيث البداية التاريخية وأسباب إقامتها، وطريقة التنفيذ تحتاج إلى دراسات علمية أكاديمية . ونأمل من المتخصصين في علوم الجغرافيا والزراعة والعمارة والبيئة أن يلتفتوا إلى مثل هذه الميادين العلمية، ويكون لها نصيب في بحوثهم وأعمالهم الأكاديمية .

(٤) كون منطقة جازان أرض مالحة، فذلك يؤثر على المنازل والمنشآت العمرانية حيث ينال بعضها الهبوط، وقد شاهدنا ذلك على بعض العمارات في كل من بيش وصبيا وجازان .

(٥) هذا القحط والجفاف يكاد يكون عاماً على جميع أنحاء المملكة العربية السعودية وما جاورها من بلدان. وقلة الأمطار سببت أيضاً ملوحة شديدة للمياه الجوفية . ومنذ عدة شهور لم يسقط المطر، وهذا مما جعل بعض الزروع والأشجار والطيور والحيوانات تنقرض . مشاهداتنا ومعاصرتنا لهذا الوضع منذ شهر شوال عام (١٤٣٢هـ/٢٠١١م) .

(٦) بلاد تهامة – من مكة المكرمة إلى اليمن – يسودها تزايد الغبار والأتربة خلال الصيف . وعند نزولنا إلى جازان كنا في أواخر فصل الشتاء، ولازال هناك حوالي شهرين عن حلول الغبار الموسمي . وربما الغبار الذي شاهدناه كان عارضاً . وغبار الصيف يستمر حوالي شهرين إلى ثلاثة شهور ثم يتحول إلى عوالق ترابية في الجبال . معاصرة الباحث لهذه الظواهر الطبيعية .

٢ـ التركيبة البشرية :

سكان منطقة جازان يتكونون في الغالب من قبائل عربية قحطانية وعدنانية. فأهل الجبال وبعض سكان السهل الساحلي من قبائل عربية يمانية قحطانية، وهناك الكثير من العشائر والأسر العدنانية . والمتجول في الأجزاء الخبتية مثل: بيش، وصبيا، وجازان، وأبو عريش يجد مئات الأسر والأفخاذ الذين ينتمون إلى طبقات الأشراف المختلفة [١] . أما الشقيق، والريث، وبلاد فيفا وبني مالك، والعبادل، والعارضة، وأجزاء كبيرة من محافظات أبو عريش، وأحد المسارحة وسامطة فجل سكانها يمانية ويلتقي جميعهم في قحطان وعدنان [٢] .

إن صلات جازان مع سواحل إفريقيا جعل الهجرة المتبادلة بين سكان ساحلي البحر الأحمر (الشرقي والغربي) مستمرة منذ عصور قديمة . ولذا فإن بعض السكان العرب والأفارقة كانوا يقدمون إلى جازان لممارسة أعمال مختلفة، وبعضهم استوطن نواحي عديدة منها، وأصبحوا ضمن نسيج المجتمع الجازاني حتى اليوم[٣] .

هناك عناصر إفريقية تعيش في جازان اليوم، وليسوا من أهل المنطقة وبعضهم نظاميون لديهم إقامات رسمية مثل: السودانيين وبعض الأفارقة الآخرين الذين يعملون في مهن عديدة مثل: الأطباء، وأساتذة الجامعة، وعمال في عدد من الحرف الاقتصادية . وشريحة أخرى غير نظامية مثل: الأحباش والإريتريين فهم متواجدون في أجزاء مختلفة من البلاد وهم من فئة المجهولين والمتسللين . كذلك أجناس عربية

---

(١) خلال جمع مادة هذا القسم، وفي زيارات سابقة لبعض أجزاء جازان من البرك والقحمة والشقيق إلى مدينة جازان التقينا بالعديد من الأسر والأفراد العدنانيين الهاشميين الذين أطلعونا على مخطوطات ومشجرات تثبت انتسابهم إلى الأشراف . ومن يدرس التاريخ السياسي لمنطقة جازان منذ القرون الإسلامية الوسيطة يجد أن بعض أسر الأشراف تولت أمور البلاد السياسية والإدارية لقرون عديدة . ونرجو من الأشراف في هذه البلاد وبخاصة الذين لديهم مخطوطات تؤرخ للمنطقة ألا يبخلوا بها على طلاب البحث العلمي .

(٢) دراسة التركيبة البشرية لبلاد جازان جديرة بالبحث والدراسة الأكاديمية الموثقة . ونأمل أن نرى من طلابنا من يتول مثل هذا الموضوع بالبحث الأكاديمي التحليلي .

(٣) يشاهد المتجول في أجزاء جازان عناصر من أصول إفريقية وهم يتمتعون بجميع حقوق المواطنة السعودية، بل بعضهم يعود تاريخ أجداده إلى مئات السنين . وكذلك بعض العشائر والبطون القبلية التي أصولها من قعر اليمن، وقد نزح أجدادهم الأوائل إلى مواطنهم الحالية قبل عشرات العقود .

أخـرى، ومنهم اقاماتهم نظاميـة . فالنظاميون مثل: المصريـون، والفلسطينيون، والأردنيـون، والسوريون، وبعض المنتسبين إلى شمال إفريقيـا، وكذلك اليمنيون . وجميعهم يعملون في شتى المهن مثل: الأعمال الاقتصادية، والاجتماعية، والصحية، والتعليمية، وغيرها[١] . وعناصر أخرى مجهولة واقاماتهم غير نظامية وخاصة من اليمنيـين، وهذه الشريحة تمثل نسبة كبـيرة في مجتمع جازان بل في أجزاء عديدة مـن المملكة العربية السعودية، ومن الجنسين الرجال والنساء. والدولة تعاني كثيراً في الحد منهم والعمل على إعادتهم إلى بلادهم[٢] .

وهناك عناصر أخرى تعيش على أرض جازان وهم من المسلمين وغير المسلمين. فالذين من بلاد إسلامية مثل: الباكستانيين والبنجاليين، والهنود، والإندونيسيين. أمـا غـير المسلمـين مثـل: بعض الأوربيـين والأمريكيين، وهـم قليـل، والكوريين، والفلبينيـين وغيرهـم . وجميع هذه الأجناس المسلمة وغـير المسلمة يقيمون بطرق نظاميـة، وتم استقدامهم بطرق فردية أو حكومية من أجل ممارسة بعض الأعمال الاقتصادية، أو التقنية، أو العمرانية وغيرها[٣] .

وإذا دققنـا النظر في السـكان المحليين لمنطقة جازان، وجدنا أن هناك شرائح سعوديـة تعيش وتعمل في جميـع نواحي جازان . والمؤسسـات الحكومية أكبر دليل، والمتأمـل في كل مؤسسة إداريـة حكومية وأحياناً أهلية يجدها خليط من السعوديين مـن جميع أنحاء المملكة العربية السعودية. جاءوا إلى هذه البلاد لممارسة أعمالهم الرسميـة المعينـين عليها، ومن ثم فـإن الكثير منهم يمتلكون العقـارات ويمارسون

---

(١) لقـد شاهدنـا هذه الأجناس موجودة بكثرة ومنتشرة في أنحاء منطقـة جازان . بل إن كثرتهم ساعدت في دفع عجلة التنمية والاقتصاد التي تعيشها بلاد جازان حالياً .

(٢) نلاحـظ تواجد اليمنيين المجهولين والمتسللين في جازان، وعسـير، والباحة، وعدد من مدن الحجاز ونجد وغيرهـا . والمواطـن السعودي يتحمل جزء مـن المسؤولية في وجودهم ومساعدتهم علـى البقاء والتكاثر، وذلـك عندمـا يتستر أحياناً عليهم ، ويمكنهـم من العمل في العديد من الأعمـال . وفي العشرة أيام التي قضيناهـا في أنحاء جـازان شاهدنا أعداداً منهم غـير قليلة يعملون في مهن الزراعـة، والرعي وغيرها، وتدفع لهم أجور قليلة من قبل السعوديين الذين يمكنونهم من هذه الأعمال .

(٣) الناظـر في الأسواق، والشـركات، والمؤسسات الاقتصاديـة والحكومية مثل: المطـار، والجامعة، والقطاع الصحـي، وصناعـة الأسمنت، والبترول، والأعمال البحرية وغيرها يجد أن كثيراً من هذه الأجناس تعمل في هذه القطاعات .

نشاطات متنوعة[١] . أما الجانب الاقتصادي مثل: الزراعة والتجارة وأحياناً الأعمال الصناعية فهناك شرائح سعودية من جميع بلدان المملكة جاءوا إلى جازان للاستثمار أو العمل في هذه الأعمال الاقتصادية المختلفة[٢] . وكذلك أهل السروات الممتدة من نجران إلى الباحة والطائف تجدهم من أكثر العناصر السعودية التي قدمت إلى جازان لممارسة التجارة وبخاصة شراء وبيع الأراضي والعقارات[٣] .

وفي زيارتنا لبعض الأماكن والمدن مثل: جازان، وصبيا، وأبو عريش، ومحافظة سامطة شاهدنا أحياء مليئة بعدد كبير من العناصر اليمنية . وإذا ذهبت إلى بعض الأسواق الأسبوعية في سامطة وصبيا وغيرها تجد جل العاملين في السوق من اليمنيين، وعند سؤال البعض منهم تجدهم مجهولين لا يمتلكون إقامات نظامية[٤] . وهناك من يأتي من اليمن بشكل نظامي للتجارة والرجوع إلى بلده خلال سبعة أيام من دخوله من الحدود السعودية اليمنية [٥] . كما يوجد في بعض المحافظات تواجد لبعض التجمعات اليمنية، نساءً ورجالاً، وهم نظاميون في إقاماتهم . وقد زرت قرية المجنة في مركز الطوال، وقرية الزبارة في مدينة صبيا وهم من العناصر

---

(١) شاهدنا أعداداً غير قليلة في جازان في الوظائف الحكومية : مثل المدرسين والموظفين في قطاعات مختلفة . ومنهم من يتولى مناصب قيادية في عدد من المؤسسات والقطاعات الرسمية . كما أن هناك فئة من التجار الكبار قدموا إلى المنطقة واستثمروا فيها وكسبوا خيراً كثيراً . وقد اطلعنا على مئات الوثائق خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) وهي تحتوى على أسماء موظفين حكوميين في جازان . وكثير منهم جاءوا من أنحاء المملكة . ودراسة مثل هؤلاء الموظفين وأثرهم على البناء الحضاري جدير بالاهتمام والبحث والدراسة .

(٢) هناك بعض المستثمرين الصغار يعملون في أعمال مختلفة، وتجدهم ذاهبين آيبين بين مسقط رؤوسهم في مناطقهم الرئيسة في المملكة وبين بلاد جازان .

(٣) أهالي السراة على صلات قديمة بالأجزاء التهامية من مكة إلى جازان، لكن ما تعيشه جازان من تنمية حضارية خلال العشر السنوات الأخيرة، جعلت أصحاب الأموال من بلاد السراة ينزلون إلى منطقة جازان للعمل والمضاربات التجارية في مجالات عديدة . وقد شاهدنا منهم النجرانيين والقحطانيين والشهرانيين والعسيريين وبعض رجال الحجر يمتلكون المزارع الواسعة، والعقارات المتنوعة في عموم بلاد جازان من الشقيق والدرب إلى جازان وأبو عريش .

(٤) دراسة موضوع التسلل والمجهولين مهم جداً لمعرفة أسبابه وأضراره على المجتمع. وما هي الإجراءات التي يمكن القيام بها للحد من هذه الظاهرة؟ ونأمل أن تنشئ جامعة جازان مركزاً بحثياً وقسماً لعلم الاجتماع لدراسة مثل هذه الظاهرة وما شابهها .

(٥) التجارة النظامية وغير النظامية بين المنطقة الجازانية واليمن موضوع مهم وجدير بالبحث والدراسة . وهذه مسؤولية جامعة جازان، ومسؤولية الباحثين والأكاديميين في جامعتي الملك خالد وجازان. ويجب على أقسام التاريخ في هاتين الجامعتين أن تدرس مثل هذه الموضوعات الجديدة والجيدة .

اليمنية [١] . وذات أسر متوسطة وأحياناً كبيرة، يعملون مع المواطنين السعوديين في مجالات اجتماعية واقتصادية عديدة، إلا أنك ترى سمات الحاجة والفقر ظاهرة على حياتهم العامة[٢] .

وفي أثناء تجوالنا على الشريط الحدودي بين السعودية واليمن شاهدنا بعض التغيرات في التركيبة الاجتماعية في تلك النواحي وبخاصة بعد الحرب التي وقعت بين الحكومة السعودية والحوثيين في عام (١٤٣٢.٣١هـ/ ٢٠١٠.٢٠١١م) [٣] . ونتيجة لتلك الحرب نزحت قرى سعودية بأكملها من مواطنها الرئيسة على الحدود الساحلية والسهلية والجبلية، واستوطنت مناطق داخلية في جازان، وبعض الأسر توزعت في مواطن عديدة في المملكة العربية السعودية، وقد شاهدت كثيراً من القرى والأوطان المهجورة في مراكز : الموسم، والطوال، والعبادل، وفي أجزاء من محافظات الخوبة، وفيفا وغيرها من المناطق الحدودية[٤] .

---

(١) هاتان القريتان أنموذجاً، مع أن في جازان وغيرها من مدن المملكة الكثير من التجمعات اليمنية والمتباينة في أحجام أسرها، ومستواها الاقتصادي والاجتماعي . وقد يكون في جازان مجتمعات من بلدان وجنسيات أخرى، وذات أحجام أكبر من اليمنيين الذين شاهدنا في قريتي الزبارة والمجنة . ودراسة مجتمع جازان من شتى الجوانب محور كبير يحتاج إلى مئات الصفحات . ولعلنا في قادم الأيام نستطيع أن نفرد كتاباً علمياً عن تاريخ جازان الاجتماعي خلال القرنين (١٤.١٣هـ/٢٠.١٩م) . .

(٢) حبذا أن تقوم أقسام علم الاجتماع في جامعاتنا السعودية بدراسة هذه المجتمعات وما يماثلها من المجتمعات الوافدة إلى المملكة العربية السعودية . ومن يقوم بمثل هذه الدراسات سوف يجد مجالات خصبة لإخراج دراسة علمية أكاديمية جيدة تساهم في وضع الحلول الكثيرة من المشكلات .

(٣) حروب الحوثيين مع الحكومة اليمنية ومع الدولة السعودية خلال العشر السنوات الماضية جديرة بأن يصدر عنها العديد من الدراسات الموسعة . وهذه مسؤوليات المؤرخين السعوديين واليمنيين ونأمل أن نرى بحوثاً علمية أكاديمية في هذا الميدان .

(٤) حرب الحوثيين (١٤٣٢.٣١هـ) مع المملكة العربية السعودية أنتجت خسارات كبيرة بين الطرفين. وهذا الموضوع يستحق البحث والدراسة العميقة والرصينة، لكن الذي لفت نظري الخوف الذي ساد تلك الأجزاء الحدودية . وحتى تأمن الدولة من شر الحوثيين على الحدود فقد أوجدت منطقة عازلة بعرض (٣.١) كيلو متر من الساحل في الموسم إلى أقصى الحدود الجبلية. وهذا مما دفع الحكومة إلى نقل السكان القاطنين ضمن تلك المساحة العازلة، وتسعى جاهدة إلى تعويضهم عن أوطانهم الرئيسة، وتوفير مناطق آمنة لهم داخل منطقة جازان . وقد قابلت أعداداً كثيرة من هؤلاء النازحين فتجدهم يعيشون في حسرة وألم على فراق بلادهم ومسقط رؤوسهم، وتسمع البعض منهم يتمنى الرجوع إلى دياره . ونأمل من المسؤولين في الدولة إلى الإسراع في إيجاد حلول جذرية لهم، لأن كثيراً منهم لازالوا غير مستقرين . كما يوجد في تلك المنطقة المعزولة، وبخاصة الجبلية في بلاد فيفا وبني مالك قرى لازالت مأهولة بالسكان، فلم يتم إخراجهم من أوطانهم، إلا أنهم أيضاً يعانون من نقص الخدمات الضرورية، وصعوبة التحرك من وإلى مواطنهم . وقد التقيت أيضاً بالعديد من سكان تلك النواحي ويتطلعون إلى حلول جيدة تسهل عليهم العيش في يسر وأمان في بلادهم. وآثار حروب الحوثيين على اليمن والمملكة العربية السعودية جديرة بالبحث والدراسة . ثم خطورة الحوثيين في المجالين السياسي والفكري يجب أن يجرى عليها دراسات أكاديمية، وهذه مسؤوليات الجامعات السعودية واليمنية فتؤسس مراكز بحثية تدرس مثل هذه القضايا الشائكة والمهمة والخطيرة.

وتلـك الأوطان والقـرى تتفاوت في الكبر والصغر، وبعضهـا تشتمل على جميع الخدمات الضرورية وأحياناً الكمالية[١] .

إن التنميـة التـي تعيشها منطقة جـازان أثرت إيجاباً علـى التركيبة البشرية، فنلحـظ أن أهـل البـوادي والأريـاف اتصلوا بأهـل الحاضرة، فـازدادت ثقافتهم ووعيهـم . كمـا أن أهـل الحواضر ذهبـوا إلى أرض الريـف والباديـة وتعاملوا مع سكانهـا اقتصاديـاً واجتماعياً[٢] . كمـا أن قدوم أهل السـراة، والعديد من سكان الحجاز أو نجد أو الشمال إلى جازان جعلهم يختلطون بالجازانيين في شتى صنوف الحيـاة، بل إن البعضٍ مـن الرجال السعوديين الوافدين إلى جـازان تصاهروا مع أهل جـازان، وأحياناً الرجال الجازانيين تزوجوا مـن خارج منطقتهم، وهذا مما شكل بعض التغيرات في تركيبة المجتمع الجازاني[٣] .

ثالثا : حياة الناس الاجتماعية العامة :

١ـ الأسرة والمجتمع :

كانت الأسرة والمجتمع الجازاني في القديم أكثر تواضعاً ومحدودية في المساحة الجغرافية والتركيبة البشرية[٤] ، فالأسرة الواحدة تتكون من الجد والجدة والأب

(١) شاهدنـا قرى عديدة في بعض المراكز التابعة لسامطة مثل مركـز : الطوال، والموسم، والقفل، وفي أجزاء من محافظة الخوبة، وجميعها مقفلة ومهجورة، ومع تقادم الزمن سوف تندثر وتتلاشى . ونأمل أن يجرى لها دراسات علمية حتى يستفاد منها ومن البنية التحتية الموجودة في كثير منها.

(٢) حياة الناس من المدينة إلى الريف إلى البادية، وأوضاع الناس الاقتصادية تؤثر على تركيبة المجتمعات . فأهل البوادي والأرياف لهم طابع في سلوكياتهم وتجمعاتهم الخاصة والعامة، بعكس أهل المدن التي يتنوع فيهـا الحراك الاجتماعي. وعند توفر التنمية وتحسين أوضاع النـاس الاقتصادية اليوم أصبحت تتقارب المجتمعات في نمط حياتها الداخلي والخارجي. والناظر إلى وثائق القرن (١٤هـ/٢٠م) مثلاً يجد التفاوت الكبـير، فأهل البوادي يختلفون كثيراً في تركيبتهم الاجتماعية عن أهل الحاضرة، فأهل البوادي يتنقلون مـن مكان لآخر خلـف مواشيهم، أما أهل المدن فهم أقرب إلى حياة الاستقـرار وممارسة أعمال التجارة والزراعة وبعض الحرف والصناعات التقليدية .

(٣) ظاهـرة الـزواج والمصاهرة من العوامل الرئيسة التي تغير ديموغرافية المجتمعات . ففي السابق كان أهل الساحـل والسهول يتزاوجون فقط من قراهم وبلدانهم القريبـة . وكذلك الوضع نفسه عند أهل الجبال، أمـا اليـوم فقد اختلط أهـل الجبال مع سـكان السهول والسواحـل . والجازانيون والوافـدون السعوديون ازدادت نسبتهـم في الـزواج من النساء اليمنيات، وهذه العادات موجودة بشكل بسيط جداً في الماضي، إلا أن هذه الظاهرة انتشرت بشكل أكبر في العقود الثلاثة الماضية .

(٤) دراسـة التاريـخ الاجتماعي الجازاني خلال القـرون الماضية المتأخرة جدير بالبحـث والدراسة. وهناك الكثـير من الوثائق والرواة وبعض الصور الفوتوغرافية التـي ترفد مثل هذا الموضوع. ونتمنى أن نرى من يدرسه دراسة علمية أكاديمية .

والأم والأبناء والبنات يعيشون في منزل صغير قد لا يتجاوز الغرفة والغرفتين، وربما زاد اتساع البيت وتعددت طوابقه عند بعض المقتدرين مادياً[١] . ومجتمع القرية أو القرى الذي تتكون منه الأسر هو الآخر متواضع في إمكاناته الحضارية[٢] . وعند تجوالنا في الديار الجازانية لاحظنا العديد من التحولات على الأسرة والمجتمع الجازاني، ونشير في الصفحات التالية إلى بعض هذه المتغيرات:

أ. تزايد حجم الأسر، فالأسرة التي كان أفرادها في السابق يتراوح ما بين (١٥.٥) فرداً أصبحت الأسرة نفسها تنقسم إلى عدد من الأسر وربما ارتفع عدد أفرادها، نساءً ورجالاً إلى العشرات، وأحياناً إلى المئات . والأسرة سابقاً كانت تجتمع في قرية أو موطن واحد، أما أفراد الأسرة اليوم فتجدهم موزعين في أنحاء المملكة. والتطور الحضاري الذي تمر به البلاد ثم ظروف الوظائف والأوضاع الاقتصادية جعلت أفراد الأسرة يتوزعون في مدن عديدة من البلاد . والوضع نفسه يمتد إلى أفراد القرية أو القرى المتقاربة التي يعود بعضها إلى جد واحد[٣] .

ب. شاهدنا الكثير من القرى والبلدات في الجبال والسهول والساحل، وكنت من قبل قد قرأت عن بعضها، وعند زيارتها وجدت بعض المواقع قد تغيرت معالمها الجغرافية، وربما اندثرت مبانيها، أما سكانها فلا زالوا في مواطنهم، فاستحدثوا قرى وبلدات ومدناً أوسع وأجمل وأفضل[٤] . وأصبح رب الأسرة لا

---

(١) نجد بعض الرحالين الأوائل قد أشاروا إلى تركيبة المجتمع الجازاني خلال القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) . وتاريخ الأسرة الجازانية خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) جدير بأن يفرد له دراسات علمية مستقلة .

(٢) المتجول في أنحاء بلاد جازان يشهد بعض القرى القديمة وبخاصة المبنية من الحجارة لازالت ماثلة للعيان . أما قرى العشش القديمة فلم يبق لها وجود . ونأمل أن نرى من طلاب الدراسات العليا في قسمي التاريخ وعلم الاجتماع في جامعاتنا السعودية من يدرس تاريخ القرى ومجتمعاتها في القرون الثلاثة المتأخرة الماضية .

(٣) هذه ظاهرة موجودة في عموم المملكة العربية السعودية، وتطور البلاد حضارياً وتنموياً من أهم الأسباب التي جعلت أفراد القرية أو الأسرة الواحدة يتكاثرون ويتواجدون في أجزاء عديدة من البلاد، وربما خارج الوطن وهذا النمو بدأ من آخر القرن الهجري الماضي، ثم زادت وتيرته في العقدين الماضيين . ومثل هذه التحولات وما نتج عنها من آثار إيجابية وسلبية جديرة إلى أن يفرد لها بحوثاً ودراسات أكاديمية وهذه مسؤوليات الجامعات والمؤسسات العلمية الي يجب الانتباه إلى مثل هذه الدراسات الاجتماعية الإنسانية المهمة .

(٤) ما يشاهده المتجول في منطقة جازان وغيرها من مناطق المملكة لا يصدقه العقل إذا قارنا حياة اليوم بحياة الآباء والأجداد قبل خمسين سنة وأكثر . بل إن الباحث أو الباحثين الجادين المنصفين يقفون عاجزين عن رصد ما تعيشه البلاد في الوقت الحاضر من نهضة وتطور حضاري .

يعيش مع أولاده الكبار في دور أو شقة وربما عمارة واحدة، وإنما كل واحد من رجال الأسرة الواحدة عنده منزله المستقل يعيش فيه، وقد يكون رجالات الأسرة متجاورين في القرية أو الحي أو المدينة التي يقطنونها [١].

ج ـ لم تعد الأسر والمجتمعات الجازانية مغلقة، بل صار في القرية أو الحي الواحد في المدينة أسر متباعدة في أنسابها وألوانها ومواطنها الرئيسة التي عاش فيها الآباء والأجداد الأوائل. وحياة المدينة أكثر تعقيداً من حياة القرى والأرياف. فالأولى تجدها خليطاً من الأسر والجنسيات المختلفة في أصولها الأولى، أما الأرياف والقرى فلازالت أحسن حالاً لأنها تتبع في الأساس مجتمعات عشائرية وقبلية معروفة. وربما كانت التركيبة القبلية لها موجودة في المدن الكبرى لكنها ليست مثل القرى. وإذا توغلت في داخل البوادي والأرياف البعيدة مثل: جبال قيس، وسلا، والعبادل، وفيفا وبني مالك، والريث فإنك تجد الأسر والمجتمع القروي أوالبدوي لازال أكثر تماسكاً وترابطاً في كثير من عاداته وأعرافه ونظام حياته اليومية [٢].

د ـ أقمت بعض الوقت في كل من مدن جازان، وصبيا، وأبو عريش، وأحد المسارحة، وسامطة. ثم انتقلت إلى بعض القرى القريبة من هذه المدن، وتجولت في أجزاء من محافظات ومراكز العارضة وفيفا، والدائر، والريث، وصعدت إلى بعض جبالها وقراها العالية واتضح لي أن هناك تقارباً كبيراً بين أسر وقرى هذه البلاد، إلا أن وطأة المدنية في المدن أثرت بشكل سلبي على ترابط أفراد الأسرة أو المجتمع الواحد، فلم يعد هناك ذلك الالتصاق الشديد بالأسرة، أو القرية وبخاصة بين الشباب والشابات وأيضاً الرجال الذين تتراوح أعمارهم بين (٣٠ـ٤٠) سنة، وإذا كان هناك من لا يزال متمسكاً إلى حد ما بالترابط والاجتماع في أوقات محددة وبخاصة في أوقات الطعام والشراب، وأداء بعض الأعمال الجماعية في خدمة الأسرة أو المجتمع أو الحي في المدينة. والسبب في هذا التراجع ـ كما أشرنا

(١) عاصرت التطورات الاجتماعية التي تعيشها المملكة منذ أربعة أو خمسة عقود. والذاهب في الأجزاء السروية من نجران إلى الطائف، أو من جنوبي مكة المكرمة إلى القنفذة والبرك والقحمة يجد أن وضع الأسر والمجتمعات تتقارب في الحراك الذي يمر فيه المجتمع الجازاني. ولا ننسِ أن التعليم وتوجيهات الدولة تسعى إلى توطين النمو والتحضر في كل مكان، وهذا مما ولد مجتمعا وشعبا كبيرا له معتقدات ومبادئ وأسس عامة.

(٢) الدراسات المقارنة بين المدن والقرى والبوادي في جازان مهمة جداً وخاصة في الجوانب الثقافية واللغوية والأعراف والتقاليد والتركيبات الاجتماعية المتنوعة.

سابقاً - الحضارة والتمدن في الكثير من مجالات الحياة، ثم وفرة المال والخير في أيدي الناس جعل بعضهم لا يتقرب كثيراً من قريبه أو صديقه أو جاره، وقد تتزايد الأمور في الاتجاه السلبي[١] . أما أهل الجبال والأرياف والقرى البعيدة نوعاً ما عن الحواضر الرئيسة فالعلاقات الأسرية والمجتمعية لازالت أحسن حالاً، وربما مع وسائل الإعلام والاتصالات والتقنيات الحديثة تتراجع الأحوال أكثر وأكثر وخاصة في ميدان التآزر والتعاون والتكاتف والترابط . ولهذا فالحكماء من أعيان المجتمع، والمربون، والمعلمون، والشيوخ، وصناع القرار، والمحتسبون والمؤسسات الحكومية والأهلية والتعليمية والأكاديمية وأرباب وربات الأسر عليهم جميعاً مسؤولية عظمى أمام الله - عز وجل - ثم أمام المجتمع والنشء والأجيال القادمة فيعملون جميعاً من أجل الرفع من مستوى التعايش الاجتماعي الراقي الذي يحث على الفضائل والقيم والمبادئ العربية الإسلامية ويحارب ما سواها[٢] .

٢- العمارة والبناء :

أشرنا إلى صور من العمارة التقليدية في جازان في القسم الثالث من هذا الكتاب [٣] . وفي الوقت الذي زرنا فيه المنطقة سعينا جاهدين للوقوف على بعض العمارة القديمة فلم نعثر على أثر للعشش المبنية من القش حتى في القرى والأرياف البعيدة عن الحواضر الرئيسة[٤] . وفي تجوالنا في السهول والجبال شاهدنا بعض

(١) تطور أوضاع الناس الاقتصادية سلاح ذو حدين ترفع من مستوى المعيشة في شتى الجوانب، لكنها أحياناً تسبب التكاسل والتقاعس في أمور اجتماعية عديدة مثل: الحفاظ على المبادئ والأعراف والتقاليد الحميدة. وليس كل من تحسنت أحواله المادية تقهقر في الثوابت الاجتماعية، لكن ظاهرة الرخاء والغنى لها سلبيات كثيرة وقد قرأنا عن حقائق وقصص واقعية في هذا الباب على مر التاريخ العالمي والعربي والإسلامي .

(٢) الأمم لا تُبنى بالمال فقط، وإنما الحضارة الراقية يجب أن تجمع بين الجانبين المادي والمعنوي . ونحن نعيش اليوم في فضل وخير ورخاء واسع، وهناك نشاطات كثيرة تصب في بناء الفرد والمجتمع، ولكن المسؤولية علينا جميعاً عظيمة في قيادة أسرنا وإخواننا وأحبابنا ومجتمعنا إلى كل عمل صالح يقربنا ويقربهم إلى قول الحق المبين والصراط المستقيم الذي رسمه لنا ربنا - عز وجل - وبلغنا إياه حبيبنا وقدوتنا نبينا المصطفى، محمد بن عبد الله، عليه أفضل الصلاة والسلام .

(٣) للمزيد انظر: القول الأول في القسم الثالث من هذا السفر .

(٤) العشش المشيدة من القش لا تعمر طويلاً، وربما يطول بها العمران إلى (٣٠-٤٠) سنة، لكنها بعد ذلك تندثر إذا لم ترمم باستمرار. وقد أخبرنا بعض الأصدقاء الجازانيين بأنه لازال هناك بعض العشش في المناطق البدوية السهلية، لكن في الأيام التي قضيتها في ربوع المنطقة لم أر شيئاً من ذلك، إلا في القرى التراثية التي تشتمل على نماذج من العشة، والعريش، والصبل القديم . انظر القول الأول في القسم الثالث من هذا الكتاب، وللمزيد انظر : ابن جريس، عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص٣٧ وما بعدها.

البيوت الشعبية المبنية من الحجر، وأحياناً من البلك ومغطاة بالزنك أو الخرسانة المسلحة ولازالت تستعمل على نطاق ضيق في القرى، فيسكنها بعض الأسر ذات الدخل البسيط، وقد يتمسك بها بعض كبار السن فيسكنونها حتى لو كان عند أبنائهم بيوت حديثة مسلحة. وهذه البيوت الشعبية تستخدم أيضاً سكناً من قبل العمالة الوافدة إلى البلاد بسبب أجورها الرخيصة [١]، وقد توضع فيها الأعلاف وأحياناً المواشي وبعض الحيوانات والطيور الأليفة الأخرى[٢].

أما العمارة الحديثة فتشاهدها منتشرة في جميع أجزاء المنطقة الجازانية، والذاهب إلى المدينة ثم إلى أقصى الأرياف مثل قرى: العبادل، أوالخوبة، أو الطوال، أو الريث، أو جبال قيس، أو الشقيق أوغيرها. فإنه يلاحظ نهضة عمرانية هائلة. ففي صبيا أو جازان أو أبو عريش ترى العمائر والفلل الضخمة المسلحة والمكونة من عدة أدوار ثم تذهب إلى تلك القرى والبوادي البعيدة في أطراف المنطقة فتجد أيضاً البيوت المسلحة الكبيرة التي تصل أدوارها إلى ثلاثة وأحياناً أربعة أدوار. والتفصيل في كيفية البناء، والمواد المستخدمة، والديكورات الموجودة، والمرافق الملحقة بكل منزل، وأنواع الأثاث وغير ذلك يحتاج إلى مئات بل الآلاف من الصفحات كي نرسم صورة متكاملة عن عمارة المنازل في العصر الحديث[٣].

وحتى لا ندخل في تفصيلات دقيقة عن العمارة الجازانية الحديثة، فإننا نشير في الصفحات التالية إلى أهم ما شاهدناه في باب العمران بشكل عام وفي عموم المنطقة، وهو على النحو التالي:

أ- العمارة الخاصة والتجارية والحكومية، مثل: منازل الناس في المدن والقرى فهي في الغالب مسلحة بالحديد والأسمنت وتتكون من طابق وربما ارتفعت إلى سبعة وثمانية طوابق في جازان وصبيا وابو عريش وأحد المسارحة وسامطة.

---

(١) أخبرني بعض السكان في صبيا وفيفا وجازان بأن هناك الكثيرة من البيوت الشعبة في المنطقة مهجورة وقد تسكن من قبل العمالة المتسللة والمجهولة في المنطقة مثل: الأحباش والإريتريين واليمنيين.

(٢) شاهدنا بعض المنازل الشعبية في أجزاء عديدة من المنطقة وقد خصصت لسكن المواشي مثل: الماعز والضأن والأبقار والحمير وأحياناً الكلاب الأليفة والدجاج.

(٣) نرجو أن تهتم جامعة جازان وبخاصة كلية العمارة والتخطيط بدراسة تاريخ العمارة الحديثة الجازانية. وهذا من وجهة نظري واجب على الجامعة تجاه المنطقة وأهلها.

أمـا عموم المنطقة فالمنازل أقل من ذلك وغالبها من طابق وطابقين . والغالب على المـدن أنها تشتمل على أحياء متقاربة في منازلها وشوارعها وخدماتها الأخرى، أما الأريـاف والقـرى الجانبية والمرتفعات الجبليـة فترى المنازل متفرقـة ومتباعدة، والسبب وعورة الأماكن في الجبال وربما تواجد الأملاك الخاصة المتفرقة في بعض المناطق السهلية الواقعة على بعض الأودية أو عند سفوح بعض الهضاب[١] .

ومـن زار جازان خـلال العشرين سنـة الماضية، ثم شاهدهـا اليوم لا يصدق النهضـة العمرانية التي تمر بهـا البلاد[٢] . وفي غضون (١٠-١٥) سنة تغير الوجه العمـراني القديم وصار معظـم السكان يسكنون في منازل مسلحـة مع توفر جميع الخدمات اللازمة مثل: الحمامات، وخزانات المياه، والكهرباء، والمكيفات، ووسائل الاتصالات الرئيسة، والطرق المعبدة[٣] .

وفي جولاتنـا في صبيا، وأبو عريش، وسامطـة، وبعض الأجزاء الجبلية شاهدنا بعض الحصون والقصور والأبنية الأثرية المهدمة . ففي صبيا وقفنا على بعض قصور الإدريسي وقصور با صهي وسط المدينة، وبعض الحصون في جبال بني مالك وفيفا، وقصـور حمود أبو مسمار في أبو عريشـ، وبعض القلاع في مدينة جازان، والحصن الأثري في سامطة وجميعها اندثرت ولم يبق منها إلا أجزاء بسيطة[٤] .

---

(١) شاهدنا هذا النوع من المنازل في جبال العبادل، وسلا، وفيفا وبني مالك، ومنجد، والريث، والصهاليل وغيرها .

(٢) زرت جـازان في أوائـل العقـد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، ثم في أواخر العقد الثـاني، وفي منتصف العقد الثالث، أي عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، وشاهدت نمط العمران ثابتا لم يتغير كثيرا. وفي هذه الزيارة التي خصصتها لتدويـن هذا القسم شاهدت تطورا كبيرا بين الماضـي والحاضر. وكان لحمى الوادي المتصدع الذي وقع في جازان عـام (١٤٢١هـ/٢٠٠١م). تأثـير عظيم، وبخاصـة بعد زيارة الملك عبـد الله بن عبد العزيـز آل سعود للمنطقة آنـذاك، يـوم أن كان وليا للعهـد . ومن تلك الفترة ضاعفت الدولة الاهتمام والرعايـة بهذه الناحية الجنوبية حتى صارت من البلاد المتطورة في تخطيطها وبنيتها التحتية، وهي سائرة إلى الأمام (بإذن الله تعالى) .

(٣) سـوف نترك الحديث عن الطـرق إلى محور حياة الناس الاقتصادية وتحديـدا في عنصر التجارة . لكن الذي لفـت نظـري في الطرق المنفذة بالمنطقة هي : الجسور التي تقع علـى الأودية الرئيسة . فالذي يسير من مناطق الدرب والشقيق وبيش والريث وهروب وبني مالك وفيفا إلى محافظة سامطة يشاهد عشرات الجسور الكبرى التـي نفذ بعضهـا، والبعض الآخر لازالت الدولة جارية في تنفيذها وهـذه المشاريع العمرانية تنفذ على مستوى عال من الجودة والإتقان . مشاهدات الباحث وسيره في طول وعرض البلاد أثناء جمع مادة هذا القسم .

(٤) لا تخلـو المنطقة من آثار ونفوش وتراث عمراني قـديم . وقد شاهدت منطقة أثرية ما بين قريتي الكواملة والريـان في وادي جـازان وتبلغ مساحتهـا تقريبا (١×١ كيلو)، وهي محاطة بسيـاج رديء جدا، ويظهر بهـا العديـد من الآثار والمواد المعدنية والفخارية المتنوعة، مما يؤكد على أنها كانت مركزا حضاريا قديما . وكليـات الآثار والسياحة في المملكة، والهيئة العليا للسياحة، وإمارة منطقة جازان وجامعة جازان عليهم جميعا مسؤولية تجاه هذه البلدة وغيرها من المناطق الأثرية في المنطقة .

ونلحظ أن الدولة أدركت معاناة بعض الجازانيين وخاصة أهل البوادي والأرياف، والنازحين من على الحدود السعودية اليمنية، فأصدر خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود أمره بإنشاء خمسة مشاريع إسكان تنموية بعدد عشرة آلاف وحدة سكنية في كل من الحصمة ورمادة في محافظة أحد المسارحة، والروان في محافظة العارضة، وخبت الخارش وديحمة في محافظة سامطة . وجميع هذه المشاريع تم اعتمادها، وبدأ العمل في تنفيذها منذ زمن . وقد تم الانتهاء حتى تدوين هذا القسم من ستة آلاف وحدة، وتم افتتاح بعضها من قبل أمير منطقة جازان في نهاية شهر ربيع الآخر عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، ولازال العمل جارياً في استكمال الباقي[١] .

أما العمارة التجارية فالبلاد الجازانية مكتظة بالأبنية الاقتصادية والتجارية[٢] . فالمدن على سبيل المثال تتوافر بها الأسواق المتنوعة في أحجامها وأنواعها، والعمائر المستخدمة للتجارة تتفاوت في مساحاتها وارتفاعاتها ومرافقها، ومدينة جازان تأتي في المقدمة بالنسبة لجودة عمائر جميع أنواع التجارات[٣] . تليها مدن صبيا وأبو عريش والدرب وأحد المسارحة وسامطة[٤]، وكلما ابتعدنا عن مراكز المدن تناقصت عمائر المتاجر الكبيرة، لكن القرى الكبيرة والبلدات، والقرى الصغيرة لا تخلو من عمائر ودكاكين مخصصة للتجارة[٥] . وهناك الفنادق، والشقق المفروشة، والمحطات التجارية، والشاليهات، وصالات الأفراح، والمراكز الطبية الأهلية وغيرها توجد في كل مدينة كبيرة، والبعض منها في المراكز والقرى

---

(١) لقد وقفت على بعضها مثل: مشروع الروان في العارضة، ومشروع ديحمة في محافظة سامطة . وهي عمائر مسلحة ذات مستوى حسن . ولكن المهم في ذلك أن تتضافر الجهود بين الجهات المسؤولة في الارتقاء بثقافة السكان الذين سوف يوطنون فيها، لأنهم على مستوى بسيط جداً من الوعي الثقافي والتربوي والديني، وإذا تم تحسين أوضاعهم المعيشية فالأوضاع النفسية والاجتماعية والثقافية تأتي في مرتبة متقدمة على تحسين الوضع المادي .

(٢) لن نفصل الحديث عن الحياة الاقتصادية، التجارية مثل الأسواق الأسبوعية واليومية، والمراكز التجارية الصغرى، لأننا سوف نذكرها بشكل أفضل في محور التجارة في صفحات قادمة من هذا القسم .

(٣) سوف نشير إلى بعض الأسواق الكبرى في مدينة جازان في محور التجارة في صفحات قادمة .

(٤) سوف نشير إلى بعض الأسواق اليومية والأسبوعية في بعض المدن الكبرى في جازان أثناء الحديث عن التجارة في محور قادم من هذا القسم .

(٥) لاحظت الدكاكين الصغيرة، والسوبر ماركات المتوسطة الحجم على جميع الطرقات الرئيسة والفرعية في عموم المنطقة .

الكبيرة في جميع أجزاء المنطقة[١] . كما توجد الكثير من الورش التجارية المتنوعة داخل المدن والقرى وعلى الطرق الرئيسة التي تربط بين الحواضر والأرياف . وهناك مدن صناعية في المدن الكبرى لإصلاح السيارات وجميع الآلات، بل يوجد الكثير من العمارات الخاصة بالمعارض والوكالات التجارية المختلفة . وهناك مدينة اقتصادية يتم بناءها حالياً على ساحل البحر الأحمر في محافظة بيش، وهي تشيد على مساحة قدرها (٨ كم × ٨ كم) [٢] .

أما العمائر الحكومية فهي من أكثر المنشآت العمرانية الظاهرة للعيان . والإمارة تأتي على رأس الهرم الإداري ومقرها مدينة جازان، وهي عمارة قديمة ويشيد لها مبنى جديد في المدينة، ويتبع للإمارة ثلاث عشرة محافظة[٣]، وتتبع هذه المحافظات أكثر من ثلاثين مركزاً، والعديد من هذه المراكز مستأجرة، وأخرى حكومية[٤] . كما أن المؤسسات الإدارية الأخرى من محاكم، وشرطة، ودفاع مدني، وإدارات للتعليم، ومدارس، ومعاهد ودوائر حكومية أخرى في المدن الكبرى والصغرى وحول كل مركز، ومعظمها في مبانٍ حكومية، وقليل منها وخاصة في القرى أو المراكز البعيدة عن المدن مستأجرة [٥] .

---

(١) إن الحديث عن العمارة الحديثة في جازان يحتاج إلى مئات الصفحات كي تتضح الصورة عن هذا الميدان الحيوي المهم .

(٢) لقد شاهدت في جازان وصبيا وأبو عريش وسامطة والدرب الكثير من الورش الصناعية التي تمارس العديد من المهن الاقتصادية . وغالبية هذه الورش مشيدة من البلك والحديد المسلح، وأحياناً تكون مغطاة بالزنك . أما وكالات السيارات وما شابهها فهي عمائر مسلحة وتتواجد بكثرة في مدينة جازان . أما المدينة الصناعية فحاولت الدخول إليها لكن حارس البوابة منعنا، وسألت بعض المعلمين من منطقة جازان فأخبرونا أن العمل مستمر فيها، وتقع على ساحل بيش .

(٣) محافظات منطقة جازان : صبيا، أبو عريش، سامطة، الحرث، ضمد، الريث، بيش، فرسان، الدائر (بني مالك)، أحد المسارحة، العيدابي، العارضة، الدرب، وقد شاهدت أبنية العديد منها، وجميعها كانت مبان حكومية .

(٤) من تلك المراكز : وادي جازان، الحكامية، مقزع، منجد، قوز الجعافرة، الكدمي، العالية، الطوال، الموسم، السهي، القفل، الشقيري، دفا، عثوان، آل يحيى وآل زيدان، السلف، جبل الحشر، فيفا، بلغازي، العزيين، هروب، قيس، القصبة، الحميراء، مسلية، الخلاوية والنجوع، الفطيحة، الحقو، الشقيق، ريم وعتود، الخشل . دراسة التاريخ الإداري والمالي لمنطقة جازان خلال القرن الرابع عشر وبداية هذا القرن موضوع جدير بالبحث والدراسة، ونأمل أن نرى إحدى طالباتنا أو طلابنا في برنامج الدراسات العليا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد فيتخذ هذا العنوان موضوعاً لأطروحة درجة الماجستير.

(٥) وأثناء سيرنا في بعض القرى البعيدة عن المدن الكبرى بعشرات الكيلومترات ترى المدارس الحكومية، وبعض الأبنية الرسمية الأخرى، وهذا مما يعكس نشاط التنمية العمرانية التي تعيشها منطقة جازان .

وإذا نظرنا إلى أبنية الجامعة فإنها تأتي على رأس القائمة، والمتجول في مدينة جازان يشهد أن بناء مشروع الجامعة على قدم وساق، وفي سنوات عديدة سوف نشهد قفزة عمرانية هائلة وجميعها ملك للجامعة، وقد تجولت في مشاريع بعض الكليات التي تشيد فتجدها تسير بخطوات وئيدة، وعند اكتمالها مع المستشفى الجامعي والملاعب والمرافق الخاصة بها، فسوف تزداد مدينة جازان نمواً وتقدماً. كما يوجد بعض الفروع للجامعة في بعض محافظات المنطقة، ونأمل أن نرى الجامعة قد فتحت فروعاً لها في جميع المحافظات [١] .

والمطار والميناء من الأبنية الحكومية الهامة التي لازالت تحتاج إلى بذل جهود كبيرة في تطوير هذين المجالين الحيويين . وقد أخبرني بعض مثقفي المنطقة أن هناك عمل جاد لتوسعة المطار الجديد، ونأمل أن نرى مطار وميناء جازان يضاهيان مطار وميناء جدة والدمام . وإذا خُدم هذان المشروعات خدمة جيدة فإن الفائدة لن تكون للجازانيين أنفسهم، وإنما آثارها الإيجابية سوف تصل إلى أقصى السروات الشرقية الممتدة من نجران إلى بيشة والباحة[٢] .

والمساجد والجوامع إحدى المعالم العمرانية المنتشرة في أنحاء جازان، فلا تخلو قرية أو مدينة أو بادية من وجود مساجد وجوامع تتفاوت في المساحات، وفي البناء والتشييد . فالبوادي والقرى الصغيرة يتواجد بها مساجد ذات مساحات صغيرة تتراوح بين (٥×٥ م) إلى (١٠×١٠م) وربما أكثر من ذلك قليلاً[٣] . أما البلدات والقرى المتوسطة والكبيرة نوعاً ما فتزداد مساحة المساجد بها وخاصة التي تقام فيها صلاة الجمعة إلى (١٥×١٥م) وقد تزيد مساحة بعضها

---

(١) تاريخ جامعة جازان قصير فلا يتجاوز سبع سنوات، وقد سارت بخطوات سريعة إلى الأمام، وقد تزداد تطوراً إذا حرص القائمون عليها على خدمة العملية التعليمية بشكل جيد ومدروس.

(٢) مناطق نجران وجازان وعسير والباحة والقنفذة تتقارب في كثير من المقومات الاقتصادية، وإذا تطور ميناء ومطار جازان فسكان هذه الأقاليم سوف يجنون الشيء الكثير من النمو والتطور الحضاري الذي تشهده المملكة . وهذه المناطق الخمس ذات كثافة سكانية عالية، بالإضافة إلى مواقعها الجيدة التي تربط بين اليمن والحجاز ومناطق الرياض والمنطقة الشرقية مع سواحل البحر الأحمر الشرقية .

(٣) مشاهدات العديد من المساجد، ذات المساحات المذكورة أعلاه، في البوادي والقرى الواقعة ضمن مناطق هروب، والريث، والصهاليل، وفيفا وبني مالك، والعارضة، وسامطة وغيرها .

إلى (٢٠×٢٠م)[١] .. ويوجد في بعض القرى والبوادي أكثر من مسجد وأحياناً جامع[٢] . ويوجد على جميع الطرق التي تربط بين مدن ونواحي جازان خدمات عديدة، والمساجد ومرافقها تأتي في أولويات هذه الخدمات[٣] .

أما جوامع مدن جازان الكبرى فقد زرت بعضها، وشاهدت جودة بنائها ومن تلك الجوامع ما يلي : جامع الدرب الرئيس عند تقاطع طريق الدرب بيش مع الطريق العام الواصل بين أبها ومكة المكرمة عبر مدينة الدرب، وجامع صبيا الواقع في وسط سوق صبيا المركزي، وجامع خادم الحرمين الشريفين، الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود في مدينة جازان، والملاصق لإدارة فرع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف في المنطقة، وجامع الحكير في مدينة أبو عريش، وفي المدينة نفسها جامع آخر كبير لم يستكمل بعد، وذكر لي بعض سكان أبو عريش أنه من مشاريع الراجحي الخيرية، وقد توقفت عند هذا الجامع فلاحظت عدم استكمال عمارته منذ زمن ربما يتجاوز الشهور وقد يدخل في خانة الأعوام، ولا أدري ما هو سبب عدم استكماله . وإذا صار جاهزاً للصلاة ففي نظري أنه سيكون أكبر جوامع مدينة أبو عريش[٤] .

(١) يوجد هذا النوع من المساجد في بعض أحياء المدن الكبيرة، وكذلك القرى المزدحمة بالسكان في ضواحي المدن الرئيسة .

(٢) بعض القرى الصغيرة والكبيرة وحتى الأحياء في المدن الكبيرة يتواجد بها أكثر من مسجد وقد تصل أحياناً إلى ثلاثة وأربعة مساجد تتفاوت في المساحات بين صغير وكبير . ونلحظ بعض المنازل في الأرياف والمدن يتواجد إلى جوانبها مساجد صغيرة خاصة بصاحب البيت أو الأسرة الواحدة . وهذه الظاهرة مشاهدة أيضاً في مناطق ونواح عديدة من جنوبي البلاد السعودية، بل في أنحاء المملكة العربية السعودية.

(٣) هذا من فضل الله على سكان جازان وغيرهم في جميع أنحاء البلاد السعودية، وهذه الخدمات تراها متوفرة على جميع الطرق البرية التي تربط بين قرى وأرياف ومدن المملكة العربية السعودية . وكانت جازان تعاني في الماضي النقص الشديد في خدمات الطرق وهذا ما شاهدته في زياراتي السابقة للمنطقة قبل عقد وعقدين سابقين .

(٤) كانت زيارتي لمدينة أبو عريش، وهذا الجامع على وجه التحديد يوم الجمعة الموافق (١٤٣٣/٤/٣٠هـ) . وفي اليوم نفسه ذهبت إلى مركز وادي جازان، وتحديداً في قرية الريان، وشاهدت هناك مسجداً أثرياً مبني من الحجر ومساحته تقريباً (١٥×٢٠)، ولازالت تقام فيه صلاة الجمع والجماعات . ومن خلال تجوالي في المسجد وجدت جدره الرئيسة يزيد عرضها عن متر، وعليه من الأعلى قباب حجرية على شكل نصف دائرة، وبداخله أربعة أعمدة حجرية يصل عرضها من الأعلى إلى (٢,٥-٣ م) وفي القاعدة يتروح العرض ما بين (٩٠سم) إلى متر وربما متر وعشرة سنتيمترات . وهناك ملحق مضاف إلى المسجد الرئيسي مبني من البلك والزنك . وفي نظري أن المسجد الأساسي يعود تاريخه إلى قرنين من الزمان وربما أكثر من ذلك .

وفي جنوب منطقة جازان شاهدت جامعاً كبيراً في أحد المسارحة، ويسمى جامع الدحمان وهو على الطريق الرئيسي الذي يسير من جازان إلى سامطة عبر أحد المسارحة. وفي سامطة تجولت في أرجاء المدينة وشاهدت حوالي ستة جوامع، هي: الجامع الوزاري ويقع في الحي القديم في سامطة بجوار الحصن الأثري ومساحته تقريباً (٢٠×٢٠م) غير توسعات حديثة أجريت عليه مؤخراً. وجامع السوق: ويقع في السوق الشعبي بسامطة ومساحته تقريبا (٢٥×٣٠م). وجامع الكرشمي: ويقع جنوب المعهد العلمي بسامطة، ومساحته تقريباً (٢٠×٢٠م). وجامع العليا شرق الخط الدولي في مدينة سامطة. وجامع الخوالف، حي من أحياء سامطة في الناحية الشرقية، ومساحته تقريباً (٢٠×٢٠). وجامع الشيخ حافظ الحكمي في الناحية الغربية من مدينة سامطة، ومساحته تقريباً (١٥×٢٠م) غير التوسعات التي أضيفت إليه[1]. وفي محافظة الخوبة شاهدت جامعين كبيرين هما: جامع الخوبة، وجامع حسن منصور الحارثي[2].

ومن خلال مشاهدتنا لعمارة المساجد والجوامع في منطقة جازان، استخلصنا عدداً من النتائج، ومن أهمها ما يلي:

أ- التربية الدينية التي يعيشها الجازانيون، فتجدهم حريصين مواظبين على تعمير وخدمة بيوت الله عز وجل. وعند دخولنا أي مسجد صغيراً أو كبيراً في أوقات الصلاة تجده مملوءاً بالمصلين الذين يرجون رحمة الله ومغفرته،

ب- الجهود الجبارة التي تبذلها الدولة في خدمة بيوت الله في كل صقع من أصقاع المنطقة الجازانية، فعند الدخول إلى الجوامع الكبرى تعجز العين عن

---

(١) هذه الجولة التي قضيتها في محافظة أحد المسارحة وسامطة كانت برفقة الأخ الصديق الأستاذ محمد حسن أبو عقيل أحد أبناء مركز القفل بمحافظة صامطة، وقد أكرمني جزاه الله كل خير بأن استضافني في منزله وتجول بنا في عموم محافظات أحد المسارحة، وسامطة، والخوبة، والحرث، وأرشدنا إلى الكثير من التفصيلات التاريخية والحضارية الخاصة بتلك الأجزاء من منطقة جازان، ونقول من على صفحات هذا الكتاب أن اجزاء منطقة جازان الجنوبية تحتاج إلى تضافر جهود الباحثين لدراستها تاريخياً واجتماعياً وأثرياً وأدبياً ولغوياً وحضارياً، ونعول على جامعة جازان وعلى الأكاديميين الجادين بها فيولوا هذه النواحي كبير اهتمام في بحوثهم وأطروحاتهم العلمية. كما يجب على الجامعة أن تفتح مراكز بحثية اجتماعية وحضارية تعتني بالمجتمع الجازاني بشكل عام وبأجزائه الجنوبية بشكل خاص.

(٢) كانت جولتنا مع الأستاذ محمد حسن أبو عقيل في المحافظات الجنوبية من منطقة جازان يومي السبت والأحد الموافق (١-٢ /٥/١٤٣٣هـ).

وصف ما تراه من جودة في البناء، واستكمال اللازم لكل جامع من كهرباء، وأثاث، ومكيفات، ودفع رواتب للقائمين على الجامع من الأئمة والمؤذنين والخدم والحراس. وإن ذهبت إلى المساجد الصغيرة في الأحياء والقرى والأرياف وعلى جنبات الطرق الرئيسة تجدها أيضاً مخدومة بجميع الضروريات الخاصة بهذه المساجد . ولا تخلو الجوامع الكبيرة من مرافق مثل الحمامات وسكن للأئمة والمؤذنين، وفي المساجد الصغيرة تتوفر مرافق الحمامات، أما مساكن الأئمة والمؤذنين فغالباً لا توجد إلا في الجوامع الكبرى[1] .

ج ـ من خلال السؤال عن الجوامع الآنف ذكرها، وجدنا بعضها أشرفت الدولة على تشييدها والإنفاق على عمارتها، وهناك جوامع أخرى عديدة في أبوعريش، وأحد المسارحة، وسامطة، والخوبة قام على بنائها أثرياء محتسبون، وبعض تلك الجوامع سميت بأسماء من أنفق عليها وبناها[2] .

د ـ من خلال دراسة وضع المساجد والجوامع المعمارية، يستحسن أن يدرس كل ما يتعلق بها عمرانياً، واجتماعياً، ودعوياً، وفكرياً وتعليمياً . وهناك قطاعات أخرى حكومية وأهلية لها علاقة بالمسجد والجامع مثل: عموم السكان من المصلين، وطلاب العلم الشرعي من الأئمة والقراء، وأيضاً الأغنياء والمحتسبين الذين يبحثون عن الأجر من الله عز وجل، وكذلك فرع وزارة الشؤون والأوقاف المسؤولة إدارياً ومالياً عن المساجد[3] .

ومن أنواع العمارة في جازان الحدائق والمتنزهات العامة ومدن الألعاب الرياضية والترفيهية، وهذه غالباً لا توجد إلا في المدن والبلدات الكبيرة . وقد شاهدت بعضاً من هذه المنشآت في مدينة جازان وصبيا وأبو عريش . والمتجول بين مدن

---

(١) إن دراسة تاريخ المساجد وعمارتها في منطقة جازان جدير بالبحث والدراسة، وحبذا أن نرى بعض المؤرخين أو المهندسين المعماريين وقد نال هذا الموضوع اهتمامهم في بحوثهم ودراساتهم العلمية .

(٢) بناء المشاريع الخيرية مثل المساجد والجوامع وغيرها من الموضوعات المهمة والجديرة بالبحث والدراسة في عموم جنوبي البلاد السعودية (الباحة، وعسير، والقنفذة، ونجران، وجازان) ونأمل أن يخدم هذا الموضوع بحثياً من قبل المؤرخين والمتخصصين في علوم الاجتماع والدعوة والاقتصاد والهندسة المعمارية.

(٣) كان دور المساجد والجوامع في القديم كبيراً جداً ولا سيما في خدمة المجتمع، واليوم ازدادت أعداد هذه المنشآت الدينية، لكن تأثيرها قل عما كانت عليه في القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة . ويجب الحرص على تفعيل دور المسجد والجامع من أجل نشر الخير والفضيلة بين عموم أفراد المجتمع .

وضواحي منطقة جازان يشاهد بعض الحدائق المزروعة وأحياناً المشجرة ببعض أشجار الزينة، وهذه الحدائق أو بعض أماكن التنزه نجدها مخدومة بالإضاءات والحمامات وبعض الخدمات الأخرى كالبوفيهات أو المطاعم وغيرها[١].

كذلك المدرجات الزراعية في مناطق الجبال مثل: العارضة، والعبادل، وجبل قيس، وجبل فيفا، وجبال بني مالك، وجبال الحشر، وآل تليد، وجبال الريث، والجبل الأسود، وجبال بلغازي، وجبل منجد[٢]، بها زراعة الحبوب والبن، والموز، والرمان، والتين وغيرها . والناظر إلى طبيعة أرضها يجدها تتفاوت في الارتفاع والوعورة، ثم إن جميع أراضيها الزراعية تحف بها أسوار حجرية على هيئة مدرجات من أجل حفظ تربتها[٣] . وهذه المدرجات أيضاً توجد في بعض نواحي جازان السهلية وبخاصة القريبة من الأودية وعند سفوح المرتفعات الجبلية [٤].

وفي بعض أودية جازان وحول بعض القرى شاهدنا بعض الحواجز والمصدات المبنية من الخرسانة المسلحة، وذلك من أجل منع السيول من دخول القرى وتخريب المزروعات . وقد رأيت في محافظات سامطة، وأحد المسارحة، وأبو عريش تفاوتاً في ارتفاع هذه المصدات، وغالباً تتراوح بين متر وأربعة أو خمسة أمتار[٥] .

(١) تاريخ السياحة والنزهة وما يتعلق بهما من حدائق أو أماكن سياحية جديرة بالبحث والدراسة . وكون جازان تشتمل على الساحل، والسهول، والمرتفعات الجبلية، فهي أيضاً تحوي الكثير من الأماكن الجميلة للنزهة، التي تحتاج إلى ذكر واهتمام من الناحية البحثية والمعرفية .

(٢) لقد زرنا بعضاً من هذه الجبال والمرتفعات وتجدها ذات غطاء نباتي جيد، بالإضافة إلى وجود الأراضي الزراعية بها، لكنها تختلف عن مناطق السهول من حيث ضيق أرضها وتدرجها . وهذه النواحي الجبلية جديرة بالبحث والدراسة من قبل المتخصصين في علم التاريخ والآثار والجغرافيا، وعلوم الحيوان والنبات، والعلوم الزراعية، والطبية، والعمرانية . ونرجو أن نرى أصحاب هذه التخصصات في جامعة جازان يولون هذه المنطقة اهتماماً كبيراً في بحوثهم ودراساتهم العلمية.

(٣) المدرجات الزراعية تتواجد بشكل كبير في مناطق اليمن الجبلية وبلاد السروات وفي مرتفعات جازان، وقد ذكرتها الكثير من المصادر القديمة، وهناك دراسات عديدة حول هذه الناحية العمرانية . لكن المدرجات الزراعية في جبال منطقة جازان لازالت تحتاج إلى مزيد من الدراسات العلمية الأكاديمية، وهذه مسؤوليات الأكاديميين الجيدين في جامعاتنا السعودية.

(٤) لقد شاهدت أيضاً الكثير من هذه المدرجات في بعض الأجزاء من محافظات سامطة، والعارضة، والدائر، وبيش . والمدرجات في عموم جازان تتفاوت في الارتفاع والسماكة وذلك حسب مواقع المزارع التي تحيط بها هذه المدرجات .

(٥) مشاهدات الباحث خلال (١-١٤٣٣/٥/٣هـ) .

والمقابر تعد من أنواع العمارة الجازانية، وفي أثناء تجوالنا في عموم منطقة جازان شاهدنا معظم المقابر في المدن تم تسويرها بجدر خرسانية يصل ارتفاعها ما بين (٢-٣م). وإدارة البلديات هي المسؤولة عن هذا العمران. وعند ذهابنا إلى بعض البوادي في مناطق الريث والعبادل وقيس وغيرها من المرتفعات شاهدنا بعض المقابر غير المسورة. ونأمل أن تقوم البلدية بمضاعفة الجهود في هذا الجانب، وذلك من باب إكرام الأموات في مقابرهم، وحفظها من عبث الحيوانات أو بعض الجهلاء من الناس[1].

٣- الطعام والشراب:

في الأيام التي قضيناها في نواحي عديدة من منطقة جازان جعلتنا نتناول أطعمة عديدة، وفي أماكن مختلفة. فقد نزلنا ضيوفاً على بعض أبنائنا وطلابنا وأصدقائنا في محافظات صبيا، وبيشٍ، ومدينة جازان، وأبو عريش، وأحد المسارحة، وسامطة، بل زرنا إخواناً كراماً في بلاد فيفا وبني مالك والعارضة. كما حضرنا بعض الولائم في مدينة جازان والحقو وأبو عريش، وذهبنا إلى مطاعم ومقاهي عامة، وسكنا في الفندق لبعض الوقت. وكل هذا التنوع في المكان جعلنا نطلع على الأطعمة والأشربة التي يتناولها الجازانيون أو من جاء إلى منطقتهم. ونلخص ما شاهدنا في النقاط التالية:

أ- الناظر إلى قوائم الأطعمة المقدمة في المطاعم العامة والفنادق ومراكز الاستراحات يشاهد أسماء كثير من المأكولات والمشروبات وبعضها وافد على المنطقة، بل على المملكة العربية السعودية. ومثل هذه الأطعمة العامة كتب فيها مؤلفات ومجلدات عديدة، وهذه المؤلفات تباع في المكتبات التجارية العامة وعليها إقبال شديد من النساء وبعض المهتمين بفنون الطهي والطعام والشراب[2]. والذاهب إلى المطاعم التجارية والفنادق يحتار أحياناً في نوع الطعام الذي يطلب

---

(١) الدولة لم تدخر - مشكورة - جهداً في خدمة الموتى في مقابرهم، ومن يتجول في أنحاء البلاد السعودية تجد معظم المقابر في المدن والحواضر محاطة بأسوار مسلحة، ونأمل أن يستكمل هذا المشروع فلا نرى مقبرة بدون حائط خرساني. كما أن دراسة تاريخ المقابر في المملكة أو في جنوبي البلاد السعودية جدير بالاهتمام والبحث والدراسة من قبل المؤرخين والآثاريين وغيرهم.

(٢) لقد التقيت ببعض تجار الكتب أو العاملين في المكتبات التجارية في كل من عسير، وجازان، والقنفذة، فأخبروني أن النساء في هذه البلاد يشترين باستمرار كتب الطبخ المعروضة عندهم، ويزداد الطلب على هذه الكتب في الإجازات وأيام إقامة معارض الكتب.

وذلك لكثرتها وتنوعها[١]. ولهذا فلن نفصل الحديث عن هذه الأطعمة التجارية[٢].

ب. يقدم الأهالي في منازلهم وخاصة للضيف أو الضيوف بعض الأطعمة المصنوعة من الأسماك أو اللحوم المختلفة[٣] بالإضافة إلى بعض الأطعمة الشعبية التي عرفتها منطقة جازان في الأزمنة الماضية ولازالت معروفة ودارجة بين الناس، وهي كثيرة، ومن أهمها: الخمير والعصيدة والمفالت[٤]، والمرسة والمفتوت والثريث[٥]، والمحشوش والحنيذ والمرشوش والزومة[٦]، والملعلع والقوار والقطيبة والمدول[٧]، والويكة والغلف والحلبة[٨]. وقد تناولنا بعض هذه الأطعمة في منازل من استضافنا، كما تقدم الكثير منها في بعض المطاعم الشعبية في مدينة جازان وبعض المدن الكبرى في المنطقة.

---

(١) جميع الأيدي العاملة في المطاعم التجارية من غير السعوديين، ومن النادر أن تجد سعودياً، وإن كان بعض السعوديين بدءوا يعملون في المطاعم العالمية في الأسواق الكبيرة في مدينة جازان. أما جل العمالة فهم من جنسيات عديدة مثل: اليمن، والهند، وبنجلاديش، والفلبين، والسوادنيين، والمصريين وغيرهم. دراسة تاريخ الطعام والشراب والعمالة في هذا الميدان جديرة إلى أن تكون عنواناً لكتاب أو بحث علمي، ونأمل أن نرى من أبناء منطقة جازان، أو من الباحثين الجادين من يتولاه بالدراسة والتحليل.

(٢) ذهبت مع بعض الأصدقاء إلى بعض المطاعم في أسواق الراشد (الراشد مول) في مدينة جازان، وذهبنا أيضاً إلى بعض البوفيهات والمطاعم المتوسطة والصغيرة في صبيا وأبو عريش، ورأينا ما تقدم الفنادق من الأطعمة فوجدناها متنوعة، لكنها تدور في فلك اللحوم والأسماك بأنواعها، والأرز، والسلطات، والحلويات والعصائر.

(٣) هذه الأطعمة يتناولها أفراد الأسرة في منازلهم، والنساء يقمن بإعدادها. وأحياناً يتم شراء أكلات جاهزة من اللحوم والسمك، وهي تطهى وتباع في معظم المطاعم التجارية.

(٤) الخمير: طحين الذرة يخبز في التنور (الميفاء). والعصيدة: ذرة طرية مع السمن والسكر والحليب وأحياناً بالعسل. والمفالت: يطبخ طحين الذرة أو الدخن مع السكر والحليب.

(٥) المرسة: من دقيق البر مع الموز والعسل والسمن البلدي. والمفتوت نوعان: الحامض من خمير الذرة واللبن والبهارات والسمن. والحالي: من خضير الذرة مع الحليب والسمن والسكر. والثريث: من السمن والعسل مع الدخن أو الذرة، وأحياناً يستخدم اللبن والسكر بدلاً من السمن والعسل.

(٦) المحشوش: من الشحم واللحم المقطع المطبوخ. والحنيذ: لحم خروف أو تيس مع البهارات في الميفا. والمرشوش: خمير أو لحوح مع الزيت والبصل واللبن الرائب. والزومة: ذرة أو طحين مع اللبن الرائب والماء ويتم طبخها بشكل جيد.

(٧) الملعلع: لحم وكبدة وكرشة مقطعة مع الشحم والبهارات وتطبخ معاً بشكل جيد. والقوار: طبخ نبات القوار مع بهارات وزيت السمسم. والقطيبة: لبن رائب مع الحليب والثوم والبهارات. والمدول: طبخ اللحم مع البهارات والطماطم والكوسة وعادة يتم طبخها في الميفا، وربما طبخت على البوتاجاز الحديث.

(٨) الويكة: نبتة تطبخ مع البهارات والثوم والفلفل الحار، وكذلك الحلبة تشبه في طهيها نبات الويكة. الغلف: يحنذ ثم يقطع قطعاً صغيرة ويخبز مع عجين الذرة (الخمير)، وتسمى هذه الوجبة (المخردل)، وهناك طريقة أخرى لطهيه، حيث يحنذ ورق شجر الغلف الطري في الميفا، ثم يسحق على المطحنة مع الفلفل ويقدم إداماً مع الخمير.

ج ـ الفاحص لنوع الأطعمة والأشربة في جازان يجد الأطعمة الحديثة طغت على الأطعمة القديمة. فالكبار في السن والرجال والنساء متوسطو الأعمار يفضلون إلى حد ما تناول الأطعمة الشعبية، ويتناولون أيضاً استطاعتهم من الأطعمة الحديثة. أما الشباب والأطفال فهم يحبذون تناول الأطعمة الحديثة. والزائر للأسواق الغذائية الصغيرة والكبيرة يجدها تزخر بأنواع السلع الغذائية، بالإضافة إلى الحلويات بأنواعها، والأشربة متعددة الألوان والأنواع والمذاق[1] .

د ـ المتجول في أسواق مدن جازان الشعبية، أو الأسبوعية أو حتى السوبرماركات والبقالات الصغيرة والكبيرة سوف يلحظ تنوع الفواكه والخضروات المعروضة للبيع، وبعضها مستورد من خارج المنطقة، والبعض الآخر مثل: الشمام والمانجووالطماطم، والخضروات الأخرى (الخس، والجرجير، والملوخية، والكوسة، والخيار، والفلفل، والباذنجان وغيرها) فهي محلية تزرع في الأرض الجازانية[2].

هـ ـ لم أتوغل كثيراً في حياة البادية الجازانية، ولم أر شيئاً من أطعمتهم، وإنما سمعت أقوال بعضهم فذكروا أن جل أطعمتهم من الحبوب التي يجلبونها من أسواق المنطقة[3] ، بالإضافة إلى أكل اللحوم وشرب اللبن أو الحليب من مواشيهم، وذكر لي آخرون أنهم يأكلون أيضاً لحوم الدجاج، ويجلبون بعض الأطعمة الأخرى من الأسواق اليومية أو الأسبوعية في جميع أنحاء المنطقة[4].

---

(١) قديماً كان اللبن وحليب المواشي والماء من أهم الأشربة، ثم عرف الناس في القرون الماضية المتأخرة، شرب القهوة والقشر، ثم الشاي . واليوم أصبح الإنسان عاجزاً عن حصر الأشربة الموجودة في الأسواق أما الحلويات : فكان التمر الحلوى الرئيسة، ثم تلاه أنواع كثيرة من الحلويات المصنوعة محلياً وإقليمياً وعالمياً . دراسة تاريخ الطعام والشراب خلال القرنين الماضيين موضوع جيد وجدير بالبحث والدراسة . حبذا أن نرى أحد طلابنا أو طالباتنا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد فيسجل هذا العنوان موضوعاً لنيل درجة الماجستير.

(٢) منطقة جازان زراعية، وجامعة جازان يجب أن تفتح كلية للزراعة في المنطقة، كما يجب فتح مراكز بحثية زراعية وبيطرية حتى تجري بحوث ودراسات على مزروعات وحيوانات المنطقة . كما أن المتخصصين في الجغرافيا والتاريخ والزراعة يجب عليهم دراسة أحوال المنطقة وبخاصة في المجالات الزراعية .

(٣) التقيت ببعض الرجال من بادية جازان في أجزاء من محافظتي سامطة وأحد المسارحة، وفي بلاد العارضة، وفيفا وبني مالك، وفي الريث، وفي بعض نواحي محافظتي صبيا وبيش .

(٤) المصدر نفسه . والناظر في طرق المواصلات التي تغطي معظم مناطق جازان (جبال، وسهول، وساحل) يدرك أن البدوي الذي في قمم الجبال يستطيع أن يجلب ما أراد من أسواق المدن في ساعات معدودة . ووفرة المال في أيدي الناس كان عاملاً مساعداً وقوياً في اتصال أهل البادية بالحاضرة، ونتج عن ذلك تبادل الثقافات والمصالح المادية والمعنوية .

و ـ من يزر بعض المتاحف المحلية في جازان أو يسأل بعض السكان عن أدوات الطهي والشرب، وخاصة التراثية[١]، يلحظ أن هناك العديد من المسميات مثل: البرمة، والمهرس، والمغش، والحيسية، والملحة، والميفا، والتنور، ومركب الجمر وجميعها أدوات لإعداد الطعام . أما أدوات الشرب فهي الأخرى كثيرة مثل: الجرة، والجمنة، والشربة، والدلة، والبلبلة ،والزير، والقوبة، والصحفة، والقعب[٢] .

٤ـ اللباس والزينة :

لباس وزينة الوقت الحاضر تختلف كثيراً عن الماضي، وعند زيارة العديد من الأماكن في الساحل، والسهول، والمرتفعات، ثم الذهاب إلى الأسواق الشعبية والحديثة، وزيارة بعض المتاحف المحلية، وسؤال بعض شرائح المجتمع استطعنا أن نخلص إلى العديد من الصور في باب اللباس والزينة، وهي على النحو التالي :

أ ـ اللباس الوطني: الثوب، والغترة، والعقال، والجزمة، يكاد يكون السائد في جميع أنحاء منطقة جازان، وبخاصة للسعوديين من جازان ومن خارجها[٣] .أما العناصر الوافدة من الدول العربية أو الإسلامية أو الغربية والشرقية فالبنطال والقميص يكاد يكون اللباس السائد . وانتشر لباس القميص والبنطال مؤخراً بين الأطفال الصغار (بنين وبنات) وبين المراهقين الذكور، بل نجد من الرجال الذين أعمارهم من (٢٠ـ٤٠) سنة لا يتورعون عن لبسه في الأسواق والأماكن العامة[٤] .

ب ـ زينة ولباس الجازانيين القديم : مثل الحوك، والوزرة، والسميج (القميص) والمدرعة، وعصابة الرأس المصنوعة من النباتات المحلية،

---

(١) أدوات الطهي والشرب الحديثة كثيرة جداً ومنها المصنوعة من البلاستيك، أو الحديد، أو الزجاج، أو النحاس وأحياناً من الخشب والفخار.

(٢) دراسة موضوع الطعام والشراب في جازان موضوع يستحق البحث والدراسة . كما أن العمل على إخراج معجم بأسماء أدوات الطعام والشراب، وجميع الأدوات المهمة التي استخدمها الجازاني في حياته الاجتماعية والاقتصادية جدير بالبحث حتى يعرف جيل اليوم الكثير من تراث الآباء والأجداد . ونأمل أن تتول جامعة جازان مسؤولية إنشاء متحف تاريخي كبير يجمع فيه جميع تراث وموروث المنطقة الجازانية.

(٣) هذا اللباس هو العام في المدارس، والوظائف الحكومية، واللقاءات الرسمية والمناسبات والاحتفالات الشعبية . وهناك من يترك لبس الغترة والعقال في أماكن النزهة أو الأسواق والمجالس الخاصة وأحياناً العامة .

(٤) انتشرت عادة اللباس الأجنبي (البنطال والقميص) عند شباب المملكة العربية السعودية في العقود الثلاثة الأخيرة . ويجب دراسة ألبسة الآباء والأجداد القديمة قبل أن تنقرض ويأتي أجيال لا يعرفون أي شيء عن تراث وحضارة أسلافهم .

والحنــاء والخــواتم للنساء والرجــال، والخناجــر والأحزمة للرجــال[١]. وزينة النســاء والرجال القديمــة وبخاصة في الزواج والمناسبــات الاجتماعية الأخرى تجدهــا تلاشــت بشكل كبير، ولازال هنــاك من يمارس بعضها مــن كبار السن، وربمــا بعض الرجــال والشباب، لكنهــا في طريقها إلى الانقراضــ[٢]. والمتجول في الأســواق التجارية الكبــيرة، والمشاهــد للمناسبات الاجتماعيــة، ومن يسأل بعضــ الجازانيين فإنه يجد الرجال أكثر التزامــاً باللباس الوطني[٣]. أما عالم النساء فالذي سمعناه من بعض الرواة، وشاهدناه من الموديلات وأنواع الألبسة المتعــددة في الأســواق يتضــح أن المــرأة عرفت الكثير مــن الموضــوات الإقليمية والعالميــة [٤]. والشيء الموفق والجميــل أن الدولة، التي تحكم بشرع الله في هذه البــلاد لازالت وستبقى (إن شاء الله) تلزم النســاء والفتيات بلبس الحجاب، ووضعــت قواعــد ونظم محــددة للباس مدارســ البنــات في المراحــل التعليمية الأولى (الابتدائــي،والمتوســط،والثانــوي)[٥].

ج ـ شاهدنا بعض الجازانيين في الأسواق الأسبوعية الشعبية وفي بعض النواحي من أرياف وبوادي المنطقة لازالوا يلبسون الألبسة القديمة مثل: الحوك أو المصنــف على الجزء السفلي للجسد، والقميص (السميج أو الشميز) على الجزء

---

(١) للمزيــد عن ألبسة منطقة جازان القديمة انظــر: موسوعة المملكة العربية السعودية (جازان)، مج، ١١، ص ٢٩٧ـ٣٠٠، انظر أيضاً: ابن جريس، عسير (١١٠٠ـ١٤٠٠هـ)، ص٦٥ـ٧٣.

(٢) يجب دراسة تلك الألبسة قبل انقراضها، كما يجب أن نسعى جاهدين إلى حفظ تراث الأوائل من اللباس والزينة وفي جميع الجوانب الحضارية الأخرى .

(٣) اللباس الوطني سمة سائدة عند جميع السعوديين ويجب الحفاظ عليها والعمل على تبجيلها واحترامها .

(٤) لباســ النســاء الحديث في جميع أنحاء المملكــة صار متعدداً متنوعاً في الشــكل، والحجم، واللون وطريقة اللبســ . وكثير من عــادات لباس المرأة الحديث وبخاصة في المنــزل أو المناسبات الاجتماعية صار دخيلاً علينا، وكثير من هذه الألبسة يُظهر مفاتن المرأة وجمالها .

(٥) الناظــر إلى وضــع المــرأة في بعض البلــدان العربية المسلمة يجــد الكثير منهن تركن الحجــاب الإسلامي وإن لبســن الحجاب على الرأس، فإنهن يتركن الوجه مكشوفاً مع إضافة بعض المواد الجمالية على الوجه والشكل الخارجــي . وهــذا العمل يتعارض مع الشرع ومع الحجاب الإسلامي الــذي رسمه لنا ديننا . ويجب على المرأة السعوديــة أن تهتم بالحجــاب الإسلامي وتحرص عليه، وهذا مما يحفظها في نفسهــا ويحفظ دينها . كما أن المؤسســات الفكرية والدعوية والتعليمية والثقافية وأربــاب الأسر وغيرهم يجب عليهم توعية بناتهم ونسائهم بما يدبر لهم من تغريب وتشجيع على التخلي عن الحجاب وعن الفضائل التي حث عليها ديننا الحنيف.

العلـوي[١]. بالإضافة إلى عصائب على الرأس، وهذه العصائب معمولة من أشجار الكادي والبعيثران وغيرها[٢].

د ـ الفاحص لألبسة الناس في الأسواق، والمطاعـم والأسواق الشعبية يلحظ انتشـار لباس البنطال والقميص حتـى إنه يصعب على المشاهـد تمييز الشخص الجـازاني من غير الجازاني، وبخاصة في جيل الشبـاب والرجال دون الأربعين[٣]. وشاهدنـا أيضاً كثيراً من كبـار السن في الأسواق وعليهم ألبسة الحوك والقميص، وأحياناً المظلة المصنوعة من الطفي، أو الغترة الملفوفة على الرأس[٤].

هـ ـ عموم النسـاء يلبسن عباءة سوداء ويغطـين رؤوسهن ووجوهن بالقناع الأسود المعروف بـ (الشيلة)، وهناك نسوة، ومعظمهن يمنيات، يلبسن عباءة على الجسـد وغطاء أسود على الرأس، ويتركـن أحياناً وجوههن بدون غطاء . والبعض منهن يشتغلن في الأسواق الأسبوعية أو يعملن في بعض الأعمال المهنية والاقتصادية الأخـرى، ومـن هؤلاء النساء مـن يتسولن في الأسـواق، وعند أبـواب المساجد وفي الطرقات والأماكن العامة[٥].

٥ ـ عادات، وأعراف، وتقاليد أخرى :

عـرف عـن الجازانيين الكثـير من العـادات والأعـراف الجيـدة، ومنها على سبيـل المثـال: هدوء الطبـع فتجد الرجل منهـم سهلاً لطيفـاً في تعامله، فلا يحب

---

(١) ومـن الألبسـة القديمـة : اللحاف، والحطيـم، والسديرية، والمقلمـة، وهناك ألبسة أخـرى مصنوعة من الخصف أو الجلد .

(٢) مشاهـدات الباحـث في أسـواق صبيـا، وجـازان، والريث والدائـر والعارضـة خلال الفـترة الممتدة من (٢٨ـ٣٠/٤/١٤٣٣هـ) .

(٣) في المجتمـع الجازاني كثـير من الأجناس الوافـدة إلى البلاد وخاصة اليمنيين وغيرهـم . وتقارب الشبه بـين اليمنيـين والجازانيـين يجعل المشاهد في حـيرة لتمييز السعودي مـن اليمنـي حتـى وإن تكلم الواحد منهـم فاللهجات أحيانـاً متقاربة، وعدم التمييز يبقى قائماً . أما الأجنـاس الأخرى مثل: بعض العناصر العربية أو الهندية أو البنجالية أو الباكستانية، فالتمييز سهل للاختلاف الواضح . في الشكل بين الإنسان الجـازاني وغـيره من تلك العناصر البشرية . مشاهدات الباحث في كثـير من أسواق وقرى ومدن منطقة جازان الممتدة من الموسم والخوبة جنوباً إلى الدرب والريث والحقو وفيفا شمالاً .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) ظاهـرة التسـول من الرجال والنسـاء، ليست في منطقة جـازان فحسب، وإنما في عمـوم المملكة العربية السعوديـة . ومعظم المتسولين تجدهـم من الجاليات اليمنية . وهذه المشكلـة الاجتماعية جديرة بالبحث والدراسـة، وعلى الجامعات المحلية مسؤولية كبيرة تجاه مثل هـذه القضايا الاجتماعية التي يجب دراسة أسبابها، وآثارها، ونتائجها، ثم توضع الحلول التي يمكن أن تحد منها أو تقضي عليها .

العنف والتصادم. كما أنهم قنوعون ومتساهلون مع الغير[١]. ومن صفاتهم الذكاء والاجتهاد في أداء واجباتهم. كما أنهم كرماء يحرصون على إغاثة الملهوف، وإكرام الضيف، وحفظ الجوار، ومساعدة المحتاج[٢].

وهناك بعض الأعراف والعادات الجازانية مثل: الأعياد والزواج، والمآتم، والألعاب والفنون الشعبية وغيرها، ونذكر بعضاً منها في النقاط التالية:

أ- عندما قرأت وسمعت وشاهدت ممارسات المجتمع الجازاني لعادات الزواج، والأعياد والمآتم اتضح لي أنهم كانوا في السابق بسطاء في تكاليف الزواج والأعياد. فالمهور وولائم الزواج كانت سهلة ويسيرة. والأعياد يحتفلون بها كل حسب استطاعته وقدرته المادية[٣]. أما المآتم فكانوا يقيمون العزاء أياماً عديدة ويكلفون أهل الميت الكثير من التعب والعناء والخسارات المالية[٤]. واليوم تبدل الحال فصارت عادات الموت والعزاء أسهل من قبل، وانتشر الوعي بين أفراد المجتمع فهم يسعون إلى مؤازرة ومساعدة أهل الميت وعدم تكليفهم بما يشق عليهم[٥]. أما الأعياد فيحتفل الناس بها بشكل طيب ومعقول، مع الحرص على الاجتماع والتآلف والتقارب[٦]. وعادة الزواج اليوم صارت شاقة مكلفة للزوج وأهله وكذلك للزوجة

---

(١) هذا ما لمسته عند الجازانيين منذ أواخر القرن الهجري الماضي، وأثناء تعاملي مع بعضهم كزملاء وطلاب، ثم تأكد لنا صحة هذا الإحساس أثناء زيارتنا لبلادهم من أجل جمع مادة هذا القسم.

(٢) هذه الصفات كانت عالية جداً عند الأوائل في جميع أنحاء جنوبي البلاد السعودية، وبدأ كثير منها يتلاشى أو يختفي ،وذلك مع تسارع نظام الحياة، وانفتاح العالم بعضه على بعض، وتوافر المال والخيرات في أيدي الناس. ومثل هذه العادات جديرة بالبحث المطول حتى نطلع أجيالنا على بعض أعراف وتقاليد السابقين، والتي كان كثير منها يحث على التعاون والتراحم والتكافل الاجتماعي.

(٣) حياة الناس قديماً كانت تجعلهم بسطاء مقتصدين في ممارسة بعض عاداتهم مثل الزواج وغيره. والسبب في ذلك قلة ذات اليد، أما اليوم فتوفر المال عند الناس فأصبحوا يبالغون في مصروفاتهم ومآكلهم ومشاربهم.

(٤) عادة المآتم كانت في السابق شاقة ومكلفة. كما كانت عادة الختان قاسية وعنيفة، واليوم اختفت تلك العادة، وأصبح الطفل يختن في أيامه الأولى في المستشفى. للمزيد انظر: ابن جريس، عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص ٨٥-٩٠.

(٥) الوعي الثقافي انتشر بين الناس، وأصبحوا يعرفون الكثير من السلبيات والإيجابيات في حياتهم العامة والخاصة.

(٦) حدثني بعض الجازانيين في المدن والقرى أنهم يقضون أعيادهم في اليوم الأول بالاجتماع والمؤانسة والتآلف. وهذه عادة شاهدتها عند كثير من أهل القرى والأحياء والبلدات في كثير من مناطق المملكة العربية السعودية.

وأهلها وأقارب أسرتي الزوج والزوجة . فهناك المهور عالية، وولائم وهدايا باهظة، وغالبا صارت مناسبات الزواج تقام في قصور وصالات أفراح ذات أسعار غالية . كما يصاحب عادات الزواج أحياناً مبالغة في أجور الفنون الشعبية التي تقدم في ليلة الحفل. وأصبح النساء يبالغن في شراء الأغراض والملبوسات الخاصة بحضور مناسبات الزواج[١] .

ب ـ من خلال التنقل في بعض أرياف جازان مثل بلاد العارضة، والعبادل، والريث، وغيرها وجدت أن مهور النساء لازالت تعطى من المواشي، ومن لديه المال يدفعه، ومقدار مهر الزوجة البكر يتراوح من خمسين إلى ثلاثمئة رأس من الغنم، وهذا التفاوت الكبير يعود إلى وضع الزوج، فإذا كان من قبيلة والزوجة من قبيلة أخرى فإن المهر يكون أعلى وإذا كان الزوج والزوجة من عشيرة أو قبيلة واحدة فأعداد الغنم التي تدفع مهراً تكون أقل[٢] . أما المهور في السهول والساحل ففي الغالب تكون نقوداً .

ج ـ هناك العديد من الفنون الشعبية التي عرفتها منطقة جازان مثل:

الربش: وهي لعبة الرجال ويستخدم الطبل أثناء أداء بعض المهارات الفردية . والدلع : وهي لعبة رجالية تستعمل الطبلة والزير أثناء أداء بعض المهارات الفردية. وممارسة بعض المهارات الجماعية مع إنشاد الأشعار الحماسية . والسيف، والعزاوي: وهما من الفنون الشعبية الجازانية التي تمارس بشكل فردي. أما العرضة فتمارس جماعياً مع ضرب الطبول . والخمرة، والمصقة من فنون النساء التي تضرب فيها الدفوف . أما البرهة : فهي فن شعبي عرفه أهل جازان قبل

---

(١) أصبحت هذه العادات منتشرة عند معظم المجتمع السعودي، مع أن هناك قلة من الأسر والأفراد لازالوا يحرصون على عدم المبالغة في المهور والتكاليف. وظاهرة الغلاء والتكاليف الزائدة في الزواجات ساعدت على انتشار العنوسة بين الرجال والنساء، كما أسهمت في ارتفاع نسبة الطلاق، والتفكك الأسري وغيرها من المشاكل الاجتماعية التي نشاهدها على صفحات الجرائد وفي دوائر المحاكم والحقوق والشرط وغيرها .

(٢) أخبرني بعض رجال الريث والعارضة أن هناك بعض الاتفاقيات بين أفراد العشيرة الواحدة، وهذه الاتفاقيات تنص على ضبط مقدار المهور وبعض الأعراف الأخرى . ويمتلك الباحث مئات الوثائق التي تؤكد صحة مثل هذه الاتفاقيات عند بعض العشائر في جنوبي البلاد السعودية . دراسة عادات وأعراف وتقاليد جنوبي المملكة العربية السعودية وما يتوافر عنها من الوثائق غير المنشورة جديرة بالبحث والدراسة . وحبذا أن نرى بعض طلابنا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد، والعاملين على درجات الماجستير أن يولوا مثل هذا الموضوع كبير اهتمام في أطروحاتهم العلمية .

خروج الشباب للختان قديماً، ويليه بعض الرقصات بعد انتهاء مراسم الختان. وقد انقرضت هذه العادة في وقتنا الحاضر[١].

د ـ هناك أيضاً ألعاب شعبية أخرى مارسها السكان ومن تلك الألعاب ما يلي: المشادخة : لعبة رجالية مثل المصارعة بين اثنين والهدف منها إظهار القوة للمتصارعين . الصكعة: لعبة رجالية ونسائية وتستخدم فيها العصي والأعواد . الدسيس : أو الدسيسة : لعبة رجالية ونسائية يمارس فيها فن الاختفاء . من الطرف الثاني . المسحر: لعبة رجالية يستخدم فيها المسحر، وهي عصا في طرفها إعوجاج ويضرب بها الكرة المصنوعة من الحبال والخرق. الساري : لعبة رجالية جماعية وتمارس ليلاً على هيئة فريقين. المحاداة: لعبة رجالية عن طريق القفز على رجل واحدة، وغالباً تكون في أرض مستوية . المهادبة : لعبة للرجال عن طريق الحجارة التي أحجامها قبضة اليد . المتايرة: استخدام الأصداف البحرية وعظام الخراف[٢]. وألعاب أخرى عديدة : مثل السباحة في البحر، أو الأودية والغدران في السهول وعند سفوح المرتفعات، والصيد البري والبحري[٣].

هـ ـ معظم الألعاب والفنون الشعبية السابق ذكرها انقرضت أو في طريقها إلى الانقراض، وظهر العديد من الرياضات الحديثة مثل: لعب كرة القدم، والطائرة، والسلة، واليد، وألعاب القوى، أو بعض الألعاب الإليكترونية عن طريق أجهزة الحاسب الآلي، والبلاي ستيشن، والجوال وغيرها[٤]. أيضاً عادة

---

(١) الأستاذ محمد العقيلي ذكر شروحات جيدة عن الفنون الشعبية التي عرفتها منطقة جازان. لكن هذا الموضوع لازال يحتاج إلى دراسات علمية أكاديمية عميقة . والمنطقة الجازانية غنية جداً بفنونها الشعبية، ونأمل من جامعة جازان أن تفتح قسماً لعلم الاجتماع حتى يستطيع المتخصصون في هذا القسم دراسة ثقافة ومجتمع وفكر الديار الجازانية.

(٢) دراسة الألعاب الشعبية أو الرياضية القديمة في منطقة جازان جديرة بالبحث والدراسة . وهذا النوع من البحوث مسؤولية المثقفين والمؤرخين، ونأمل من أبناء المنطقة أن يدرسوا مثل هذه الموضوعات الحضارية الجيدة .

(٣) الصيد من المهن التي عرفها الجازانيون، وسوف نناقش هذا العنصر في صفحات قادمة من هذا القسم.

(٤) في العصر الحديث ظهر الكثير من المتغيرات الدخيلة على مجتمعاتنا، وكثير من هذه التحولات أثرت في قيم وأعراف وتقاليد الناس، بل أصبح القديم في كثير من العادات والتقاليد القديمة منبوذاً . وهذا مما يساعد على إبعادنا عن ماضينا وهويتنا الاجتماعية والحضارية التي عاشها أسلافنا . وأصبحنا نشاهد ذلك واضحاً للعيان في حياة أبنائنا وبناتنا، وسوف تزداد مع قادم الأيام. ويجب على المعلمين والمربين والمفكرين وأصحاب القرار أن ينتبهوا إلى مثل هذا الغزو الجارف الهدام، فيجتهدوا في وضع الحلول المناسبة للحفاظ على قيم المجتمع وهويته .

أكل القات والشمة، أو ما يسمى بـ (الدقدقة) . تجدها منتشرة بين نسبة غير قليلة من المجتمع الجازاني[١] .

و- من عادات أهل جازان أو من يسكنها قضاء بعض أوقات النزهة والاسترخاء على شواطئ البحر . ومن يذهب إلى ساحل البحر الممتد من الشقيق إلى بيش ومدينة جازان يجد أعدادا كثيرة من السكان والسائحين يقضون ساعات طويلة على الشاطئ، وأفضل الأوقات لممارسة هذه العادة من الساعة الرابعة عصراً إلى نصف الليل، وأحياناً يمتد الوقت ببعضهم إلى الصباح . وهناك من يذهب للاستجمام والنزهة في الجبال مثل: بلاد العارضة، والعبادل، وفيفاء وبني مالك، وهروب، ومنجد، ولجب، والريث وغيرها[٢] .

هناك عدد من الأعمال الاقتصادية التي تمارس في المجتمع الجازاني مثل: الصيد والجمع والالتقاط، والرعي، والزراعة، والحرف والصناعات، والتجارة. وسوف نذكر في الصفحات التالية ما سمعنا أو شاهدنا في هذه المجالات.

رابعا : حياة الناس الاقتصادية :

١- الصيد والجمع والالتقاط :

نتج عن تنوع تضاريس جازان ممارسة الصيد في البر والبحر[٣] . وصيد البر موجود إلى حد ما في السهول والمرتفعات الجبلية[٤] . ولازال هناك من يقوم باصطياد الأرانب، والغزلان، والحجل، والقطا، وأحياناً الحمام . والممارسون لهذه المهنة ليس من باب احتياجهم لما يصطادون، ولكن للترويح والتسلية[٥] .

---

(١) هاتان العادتان أكل القات والشمة، موجودتان عند الجازانيين ومن جاورهم من اليمنيين منذ أزمنة بعيدة . وهي مواد غير مفيدة، ولها أضرار صحية، ناهيك عن آثارها الاقتصادية وبخاصة القات فالذي يمارس أكله باستمرار تجده يعيش في ظروف اقتصادية سيئة وأحيانا كثيرة يكون مفلسا، لأن جميع أمواله تصرف في شراء القات . والحزمة الصغيرة منه اليوم، أي قبضة اليد يتراوح سعرها من (٦٠ - ١٠٠) ريال، وذلك حسب النوعية والجودة .

(٢) يوجد بهذه المرتفعات مناطق سياحية جميلة، وإذا سقطت عليها الأمطار تراها مكسوة بالغطاء النباتي الجميل، كما ترى المياه تجري في منحدراتها وأوديتها، بالإضافة إلى تغريد الطيور .

(٣) الصيد البري كان نشطاً في الماضي، وذلك لحاجة الناس إلى الطعام . ومن الأشياء التي كان يتم اصطيادها : الجراد، والطيور بأنواعها، والأرانب والغزلان والوبران وغيرها. هذا ما سمعناه من بعض كبار السن الذين التقينا بهم في صبيا والعارضة وأبو عريش وسامطة وأحد المسارحة.

(٤) المصدر نفسه . والباحث في مجال الحيوانات والطيور البرية يجدها في الأودية، وأحياناً في المزارع، وفي المرتفعات الجبلية مثل: جبال خاشر، وفيفا، والريث، وطلان، وقيس، والقهر، والجبل الأسود وغيرها . المصدر : بعض من التقيت بهم في ديار الريث وفيفا وبني مالك والعارضة .

(٥) في الماضي يصطاد الناس بحثاً عن الطعام، أما اليوم فالخير متوفر في كل مكان، وليس هناك حاجة إلى لحوم الحيوانات أو الطيور المصادة . وهذا مما جعل الصيادين البريين يمارسون هذه المهنة للترفيه فقط .

أمـا الصيد البحـري فهو من الأعمـال الرئيسة عند الجازانيـين . وقد وقفت وسألـت عن الشواطئ التي ينشط فيها صيـد الأسماك، فكانت على النحو التالي : شواطئ الشقيق، وبيش، ومدينة جازان، والموسم، والمضايا، والسهي، وجزر فرسان . ومـن الأسماك التي تصطاد : الشعـور، والهامور، والبياض، والديرك (الكنعد) ، والحريد، والناجل وهو من أكثر الأسماك المحببة إلى سكان المنطقة . وهناك أنواع أخـرى من الأسماك والجمبري[١] . والمتأمل في قوائم الأطعمة الموجودة في المطاعم والفنـادق الجازانيـة يجد أسمـاء الكثير من هـذه الأسماك[٢] . وقـد زرت مرسى قـوارب مدينة جـازان لصيـد الأسمـاك في (١٤٣٣/٤/٢٩هـ) فوجـدت عشرات القـوارب الموجـودة على الساحل، وعند الالتقاء مع عدد مـن العاملين عليها ذكروا لنـا أن القوارب في ذلك المرسى تنقسم إلى قسمـين . القسم الأول : قوارب خاصة لبعض السعوديين وهم يستخدمونها للنزهة، ويُسمـح لأصحابها بالسير في البحر لمـدة لا تزيد عـن (٢٤) ساعة . والقسم الثـاني قوارب للصيد، وهـي أيضاً لملاك سعوديـين ولكن العاملين عليها من الجنسيات الهندية والبنجالية واليمنية، ويسمح لهـم بالسـير في البحر لمدة ثلاثة أيام بهـدف الصيد[٣] . وانتقلنـا من المرسى إلى سـوق أسماك قريب من الشاطـئ فوجدنا عشرات الأنواع من الأسماك المختلفة في أسمائهـا ، وأنواعها، وأحجامهـا ، وأسعارها . ثم إن القائمين على البيع والشراء في ذلـك السوق هم الهنـود واليمنيون والبنجاليون[٤] . كما أخـبرني بعض الصيادين اليمنيـين أن صيـد السمـك يكـون بطرق متعـددة مثـل: الشبكة العاديـة من على الشواطئ، أو عـن طريق قوارب الصيد، أو عن طريق الجلب (السنارة) ، والسمك الـذي يتم اصطياده بالسنارة يكون أفضل وأغلى عنـد المستهلكين . وعند اصطياد

---

(١) دراسـة الـثروة السمكية في منطقة جـازان جديرة بالبحث . ونأمل من الأكاديميـين المهتمين بعالم البحر والأسمـاك في جامعـة جـازان أن يلتفتـوا إلى مثـل هذا المجـال المهم الـذي يستحق العديد مـن البحوث والدراسات العلمية .

(٢) هذا ما شاهده الباحث عند زيارته لبعض الفنادق والمطاعم في مدينة جازان من (١-١٤٣٣/٥/٦هـ) .

(٣) مشاهدات الباحث في (١٤٣٣/٤/٢٩هـ) .

(٤) المصـدر نفسـه . وقـد لاحظنا بعض الأسماك التي يصـل سعر الواحـدة منهـا إلى (١٠٠ و٢٠٠) ريال. وهنـاك مـن كان يبيـع أكوامـاً مـن السمـك الصغـير، في حـدود كيلـين إلى ثلاثـة أكيـال بعشـرة وعشريـن ريـالاً . وعند سؤال بعض الباعة عن التفاوت في الأسعار ذكـروا أن ذلك يعود إلى نوعية وجودة السمك المباع.

السمك يتم جلبه إلى سوق المزاد، وغالباً يشترى بالجملة من قبل الهنود والبنجاليين الذين لديهم محلات لبيع الأسماك داخل المنطقة وخارجها(١).

وفي محافظتي صبيا وسامطة من يتحدث عن صيد الصقور(٢)، وذُكر لنا بعض المهرة العاملين في هذه المهنة من أبناء المنطقة، وقد التقينا ببعضهم فذكروا أن هناك نوعين من الصقور التي تُصاد في منطقة جازان بعضها ما هو جبلي محلي وربما كان فيها السهلي وتتراوح أسعارها ما بين (٣٠٠٠ ـ ٣٥٠٠) ريالاً للصقر الواحد. والنوع الآخر خارجي يأتي إلى المنطقة من تونس وليبيا وإيران وباكستان، وقدومها غالباً يكون في نهاية كل عام هجري، أي تقريباً في شهري ذي القعدة وذي الحجة. وحجم هذا النوع من الصقور أكبر من الصقور المحلية، وأسعارها تتراوح ما بين (١٥٠٠٠ ـ ١٢٠٠٠٠)، ومن أسمائها: الأشعل، والأكحل، والأبيض. أما زبائنها فغالباً من مدن المملكة الكبيرة مثل: الرياض، وجدة، والدمام. وهناك بعض الزبائن من الكويت والإمارات وقطر(٣).

أما حرفة الجمع والالتقاط فكانت في السابق نشطة عندما كان الناس يجولون في الأرض بحثاً عن الطعام والشراب نتيجة للفاقة وقلة ذات اليد(٤). أما اليوم فقد انقرضت هذه الحرفة، وصار السكان في وضع اقتصادي جيد، مما جعلهم لا يحتاجون إلى مثل هذه المهنة. وعند تجوالنا في الأسواق الشعبية الجازانية، وبعض المجمعات التجارية شاهدنا من يقوم ببيع سلع الحطب والفحم، وعند سؤال أولئك الباعة عن مصادر هذه السلع قالوا إنهم يجلبونها من بعض الغابات والجبال البعيدة في أطراف المنطقة. وربما جلب بعضها من المناطق اليمنية القريبة من

---

(١) الذاهب إلى أسواق الأسماك في منطقة جازان أو أي منطقة من مناطق جنوب المملكة من الطائف وجنوبي مكة المكرمة إلى جازان ونجران يجد أن معظم العاملين في أسواق السمك من الهنود والبنجاليين، وأحياناً من الباكستانيين واليمنيين. مشاهدات الباحث وجولاته المتعددة في أجزاء عديدة من جنوبي البلاد السعودية خلال الخمس السنوات الماضية.

(٢) من الطرق المستخدمة في صيد الصقور، يوضع للصقر كمين على هيئة شباك، ويوضع في الشباك طائر، وعندما يشاهد الصقر الطائر ينزل عليه لاصطياده، لكن الصيادين يغلقون الشباك على الصقر والطائر معاً.

(٣) ما سمعه الباحث أثناء الرحلة من (٢٨/٤ إلى ١٤٣٣/٥/٦هـ).

(٤) كان الناس في السابق يقومون بالتقاط بعض الثمار والنباتات من الجبال والأودية. كما كانوا يجمعون الحطب الذي يستخدمونه في طهي طعامهم، وتدفئة منازلهم وبخاصة الساكنين في المرتفعات الجبلية.

الحدود السعودية . وهذه الحرفة وإن كانت تعتمد على طريقة الجمع والالتقاط، إلا أنها لم تعد شائعة بشكل كبير كما كانت في الماضي(١) .

٢ـ الرعي :

في السابق كانت مهنة الرعي شائعة عند معظم المجتمع الجازاني . فأهل الجبال كانوا يمارسونها بشكل كبير، بل تكاد تكون من أهم المهن عندهم . أما أهل السهول فكانـوا يمارسون مهن الرعي بالإضافة إلى أعمـال الزراعة والتجارة(٢) . أما اليوم فقد تحسنت أوضاع الناس الاقتصادية، وانشغل أغلبهم بالأعمال الحكومية وأحياناً التجاريـة، وصـارت مهنة الرعي تمارس على نطاق ضيق في الأريـاف والمرتفعات الجبليـة(٣) . وفي المـدن وحواضرها فهناك من يملك المـزارع الكبيرة وأحياناً تربى بعض الأبقار والمواشي والخيول والكلاب والطيور في مثل هذه المزارع(٤) .

وفي مناطـق الجبال مثـل: الريث، وفيفا وبنـي مالك، والعارضـة شاهدنا من يقتنـي أعـداداً كبيرة من الأغنـام وبخاصة الماعـز، ويصل أعدادهـا إلى (٤٠٠) و(٦٠٠) وربمـا هنـاك من يملك ألف رأس . والقائمـون على رعي هذه الأغنام من السكان أنفسهم، ويستعينون ببعض العمال الوافدين مثل: اليمنيين، والصوماليين، والإريتريـين، والإثيوبيـين (٥) . ومثـل هـذه الأعـداد الكبيرة يتم رعيهـا في الجبال

(١) مهنـة الجمع والالتقـاط عرفها إنسان الجزيرة العربية منذ القدم، واستمرت على مر العصور الإسلامية المبكـرة والوسيطة والحديثة . وفي عصرنا الحالي تلاشت نتيجة لتطور أوضاع الناس الاقتصادية . وكون منطقة جازان على ساحل البحر الأحمر، ولها جزر مثل : جزيرة فرسان، فكان بعض الصيادين والبحارة يجمعون بعض الأصداف البحرية، أو تعد اللآلئ الموجودة في البحر . وعند سؤالنا عن هذه المهنة وجدناها هي الأخرى انقرضت ولم تعد شائعة بين الناس .

(٢) دراسة الحياة الاقتصادية في جازان خلال القرنين الماضيين جديرة بالاهتمام والبحث والدراسة . ونأمل أن نـرى أحـد طلاب الدراسات العليا في أقسام التاريخ في جامعاتنا المحلية من يتخذ هذا الموضوع عنواناً لأطروحة الماجستير أو الدكتوراة .

(٣) هذا ما شاهده الباحث أثناء جولته في بعض المرتفعات الجازانية . كما سمعنا من قال بذلك من أهل بيش وصبيا والحقو وجازان وأبو عريش وسامطة .

(٤) لقـد زار الباحث بعض الأصدقاء في مناطق بيش وضمد وصبيا وجازان وأبو عريش، وشاهد بعض المزارع في هذه النواحي، وكان في بعض أجزائها بعض الحيوانات مثل الأبقار والجمال والضأن والماعز، وقد يصل أعداد بعض الماعز والضأن إلى (١٠٠ـ ٢٠٠) رأس .

(٥) كثـير من هـؤلاء الوافدين غير نظاميين في إقاماتهم، وهم من المجهولـين المتسللين . وقد زرنا العديد من المـزارع في عموم منطقـة جازان فوجدنا كثيراً من هؤلاء المجهولين يعملـون في هذه المزارع،بالإضافة إلى تربية الأغنام ورعيها.

والأوديـة والهضـاب، وهناك أنواع أخرى مـن الأغنام تربى في زرائـب أو أحواش، وأعدادها تتراوح من (١٠٠ـ ٢٠٠) رأس، ومثل هذه الأغنام يتم تربيتها حتى تباع بأسعار عالية في مواسم الأعياد، وبداية شهر رمضان(١).

ويوجـد الماعـز بكثرة في الجبال والمرتفعـات، وإلى جانبه يوجـد بعض الضأن والبقـر والجمال والحمير. أما السهول فالخـراف توجد بكثرة وأيضاً الماعز وباقي البهائم الأخرى. وفي عيد الأضحى يفضل أهل الجبال أن تكون أعيادهم من الماعز، بعكس أهل السهـول والساحل ففي الغالب أضاحيهم تكون من الضأن، وأحياناً من الماعـز أو الجمال والأبقـار(٢). وقد توقفت عند العديد مـن المطاعم الموجودة على قارعـة الطـرق الرئيسة، وداخـل القرى الكبيرة والمـدن الرئيسـة فوجدنا بعضها تحتجـز عشرات وأحياناً مئات الماعز وقليـلاً من الضأن، وعند سؤال أصحاب تلك المطاعـم عـن هذه البهائم ذكروا لنـا أنه يذبح منها يومياً أعـداد معلومة من أجل طبخها وتقديمها للزبائن (٣).

والذاهب إلى الأسواق الأسبوعية أو اليومية في قرى ومدن جازان يلحظ تواجد الأغنـام والجمال والأبقار. وهـذه الثروات الحيوانية ليسـت محلية فقط، فهناك مـا يجلب من الرعـاة المحليين، أو يستورد من بعض الـدول الخارجية مثل: اليمن، والحبشة، والصومال، وإريتريا وغيرها. وهذه الأنواع من المواشي والبهائم تتفاوت في أحجامها، وجودتها، وأسعارها(٤).

٣ـ الزراعة :

تمتـاز الأراضي الزراعية في جازان بالعديـد من المقومات مثل: صلاح التربة، ووفـرة الميـاه، وتنوع التضاريـس. والملكية الخاصة هي السمـة السائدة على جميع

---

(١) وأسعار مثل هذه الأغنام المرباة عالية جداً فتباع في المواسم من (١٥٠٠ـ ٢٠٠٠) ريال للرأس الواحد.

(٢) هـذا مـا سمعناه من بعض الـرواة في الأجـزاء الجبليـة والسهلية من المنطقـة ودراسة أوضـاع الثروات الحيوانية في جازان موضوعات مهمة وجديرة بالبحث والدراسة.

(٣) السعوديـون يسرفون كثـيراً في أكل اللحوم. والمتجول في أنحاء البلاد السعوديـة يجد أن هذه العادة تكاد تكون واسعة الانتشار في المطاعم والمناسبات الاجتماعية المختلفة.

(٤) لقد شاهدنا العديد من الأسواق في الحقو، وصبيا، والدائر، ومدينة جازان، وأبو عريش، والعارضة، وأحد المسارحـة، وسامطـة، وكانت جميعها تعرض العديد من الأغنام والبهائـم الأخرى. والقائمون على بيعها خليـط من سكان المنطقة، أو بعض الوافدين مثـل: السودانيين، واليمنيين وغيرهم. المصدر: مشاهدات الباحث في أجزاء عديدة من منطقة جازان في الفترة الممتدة من (٢٨/٤ـ٦/٥/١٤٣٣هـ).

الأراضي في المنطقة . فكل عشيرة أو فخذ أو أسرة تعرف أملاكها الزراعية [١]. والناظر في عموم منطقة جازان يجد أن أرضها الزراعية تتنوع من الجبال إلى السهول والساحل. فالأرض في المرتفعات على هيئة مدرجات، ومن ثم فهي محدودة في مساحاتها. أما أراضي السهول والساحل فالغالب عليها الاتساع والانبساط . وهناك بعض الأراضي عند سفوح المرتفعات أو قريبة من بعض الأودية، وهي متوسطة المساحة[٢]. وأجود الأراضي الزراعية التي تقع على وادي بيش، وضمد. وخلب، ووادي جازان، وذلك عائد إلى جودة التربة[٣].

والمحاصيل الزراعية التي تزرع في منطقة جازان اليوم : الدخن، والبن، والزعر، والذرة البيضاء والحمراء[٤]، والسمسم، والقمح، والشعير، في المرتفعات الجبلية، والأعلاف مثل: قصب الذرة[٥]. ومن الخضروات المزروعة، الطماطم، والبامية، والحبحب، والكوسة، والخيار، والباذنجان[٦]. أما الفواكه، فمنها : المانجو، والجوافة، والتين، والرمان، والباباي (العمبرود)، والموز[٧]. وهناك مزروعات تنبت على الأمطار، والآبار، ومياه الأودية مثل : الشدح، والويكة، والرجلة، والملوخية، والبصل، والدجر، والقوار، وبعض البقوليات الأخرى [٨]. ومن النباتات

---

(١) هذه عادات معروفة عند أهل البلاد منذ القدم، ولازال أهل القرى والأرياف وضواحي المدن يمارسون ملكيتهم لأراضيهم حتى اليوم . لكن مع التنمية والتطور الذي تمر به منطقة جازان منذ ثلاثة عقود بدأت الأراضي الزراعية تتحول إلى أراض سكنية، وبدأ كثير من الناس في المدن والحواضر وما جاورها يبيعون بعض مزراعهم على بعض القادمين من خارج المنطقة . وهناك عشرات المزارع المنتشرة في أنحاء البلاد وأصول ملاكها من خارج الديار الجازانية . مشاهدات الباحث خلال رحلته أثناء جمع مادة هذا القسم.

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) أهل الجبال يفضلون الذرة الحمراء، أما أهل السهول والساحل فميلهم إلى الذرة البيضاء أكثر. ما سمعه الباحث من عدد من أهل السهول وأهل الجبال .

(٥) شاهدنا قصب الذرة أكواماً في أطراف المزارع، وتجده مرتباً بشكل مخروطي بعد حصاده، وذلك حتى لا تدخله المياه أثناء سقوط الأمطار .

(٦) أبلغنا عدد من الجازانيين عدم زراعة البطاطس في جازان، وربما يعود ذلك إلى عدم صلاحية استنباته هناك .

(٧) بعض هذه الفواكه مثل: التين، والرمان، تنبت في الجبال، وجميعها تنبت في المناطق السهلية . ونلاحظ في جبال ومرتفعات جازان وأحياناً في أوديتها الكثير من الأشجار البرية مثل: السلم، الدوم، الأراك (الرديف)، العنبر، القتاد، القطف، السدر، البشام، القات، الضهياء، الحمض، السمر، المض، الأثل وغيرها .

(٨) المتجول في أسواق عديدة من المملكة العربية السعودية وخاصة جنوبها يجد بعض المزروعات الجازانية متوافرة فيها بكثرة .

العطريـة التـي تزرع في المزارع الكبـيرة والصغيرة، وقريباً من المنـازل وأحياناً في أحواشها مثل: الريحان، والفل، والكادي، والنعناع، والشيح، والبعيثران [١].

وتتـم خدمـة الأراضي الزراعية تتم عـن طريق آلات عديـدة مثل الحراثات، والدركتـورات، والحصادات وبخاصة في المناطـق السهلية والساحلية . أما المناطق الجبليـة مثـل فيفا وبني مالـك، والريث والعارضـة فالأبقار هـي الوسيلة الرئيسة لحراثـة الأراضـي[٢]. اما ري المزارع، فهو عـن طريق الأمطـار الموسمية وبخاصة الأراضـي الخبتيـة والمرتفعـات الجبلية، وهناك مـزارع تعتمد على ميـاه الأمطار والأوديـة. وهذا النوع مـن الأراضي يقوم المزارعون بايجـاد عقوم وحواجز للمياه، وتفتـح عنـد الرغبة في ري المزروعـات[٣]. وفي ناحية الخوبـة وأجزاء من محافظة سامطـة شاهدنا المزارعـين يعتمدون على مياه الأمطـار، وإذا رغبوا في حفر آبار، فإنهـم يحفرون آبـاراً عادية، بعكس أهـل صبيا وبيش وما حولهـم الذين يحفرون فقـط الآبـار الارتوازية . وعند سؤالنـا بعض سكان الخوبة وسامطـة ذكروا لنا أن الميـاه الجوفية في بلادهم قريبة من سطح الأرض، فعند حفر أمتار قليلة يستطيع الإنسـان أن يحصل على الماء، أما في الأجـزاء الشمالية مثل : صبيا وبيش والدرب فحفر الآبار الارتوازية وقت زيارتنا للمنطقة يصل إلى (٦٠) و(٧٠) وربما (١٠٠) متر[٤].

شاهدنا في جازان العديد من المشاريع والمؤسسات الحكومية والأهلية التي تقوم علـى خدمة الزراعة والميـاه في المنطقة . ومن تلك المشروعـات : سد وادي جازان، ومحطة الأبحاث الزراعية بوادي جازان، ومحطة التجارب الزراعية بمنطقة فيفا،

---

(١) عنـد زيـارة بعض الأصدقـاء أو الطلاب في منازلهـم أو مزارعهم شاهدنا هذه النباتـات متوفرة بكثرة، والنسـاء غالباً يفضلن رعايتها بالسقاية والاهتمـام . والسائر أيضاً في أسواق المنطقة الأسبوعية وأحياناً اليوميـة يجدهـا تبـاع بشكل جيـد، ولها زبائن كثـيرون . كما يوجـد في مناطق الجبال الـوزاب، والشار، والدوش، والبياض . المصدر: مشاهدات الباحث أثناء جمع مادة هذا القسم .

(٢) مشاهدات الباحث في العارضة والريث وفيفا، وأجزاء من المناطق السهلية والساحلية .

(٣) شاهدنـا العديد من تلك العقوم في بيش وأبوعريش وسامطة ونواحي أخرى من المنطقة . ودراسة العقوم أو السـدود الترابيـة ووسائل الري في منطقة جـازان موضوع جيد وهام ويستحـق الاهتمام والرعاية من الأكاديميين في علوم الزراعة والجغرافيا والتاريخ . ونأمل أن نرى من طلاب جامعة جازان من يدرس هذا الموضوع دراسة علمية أكاديمية .

(٤) أخبرنـا بعضـ السـكان في صبيا والحقـو وبيش إلى أنهـم إلى وقت قريـب كانوا يجدون المـاء بعد عشرة وعشرين متراً . أما اليوم فأصبح الحصول على الماء بعيداً جداً يصل إلى عشرات الأمتار.

والبنـك الزراعي العربي، ومديرية الزراعة والميـاه بمنطقة جازان، وشركة جازان للتنميـة[١]. كما شاهدنا مشروع تنقية المياه بالماطـري[٢]. وهو مشروع لتنقية المياه بهـذه الناحية، وقـد افتتح هذا المشروع أمير المنطقة صاحـب السمو الملكي الأمير محمد بن ناصر بن عبد العزيز آل سعود عام (١٤٣٢هـ/٢٠١١م).

الأيـدي العاملة في الزراعة من أهل البلاد الأصليين في المرتفعات والسهول[٣]. ونشاهـد في الأريـاف أن كبـار السـن لازالـوا يتولـون مزارعهـم ببعض الرعاية والاهتمام[٤]. وعند زيارتنا بعض المزارع في الحقو، والدرب، وبيش، وصبيا، ووادي جـازان، وأبو عريش، وسامطة وجدنـا ملاك الأراضي يشرفون على مزارعهم، أما الأيدي التي تقوم على حرث الأرض وخدمتها فهم من العمالة الخارجية من اليمن، ومن بعض دول إفريقيا مثل: مصر، والسودان، والحبشـة، والصومال، وإريتريا. وكثير من هـؤلاء العمال من المجهولين والمقيمين في البلاد بطريقة غير نظامية[٥].

(١) جازان بلاد زراعية، ويجب أن تضاعف الجهود في هذه المؤسسات وغيرها لاستصلاح هذه المنطقة الغنية بالتربة والثروات الزراعية. وفي أثناء تجوالنا في بلاد الخوبة بمحافظة الحرث توقفنا عند العيون الحارة الموجودة بها، والتي تبعد عن مدينة جازان حوالي (٦٩ كم). فوجدنا حولها بعض الزائرين. كما وجدنا مكانهـا غـير معتنى بـه. وأخبرنا مـن كان معنا بوجود العيون الحـارة في موضعين بجـازان، الأول شرق سـد وادي جـازان ويبعد عن مدينة جازان حـوالي (٥١كم)، والأخر بوادي ضمد. ويقـال أنها أيضاً غير مخدومة بالاستراحات والحمامات وغيرها. ويجب على وزارة الزراعة والمياه والبلديات أن تولي مثل هذه المعالم بعض الاهتمام، وإن فعلت ذلك فسوف تعود على المنطقة بفوائد سياحية واقتصادية عديدة.

(٢) الماطـري: قريـة في وادي جـازان وعـدد سكانها اليـوم حـوالي (٨٠٠) نسمة. وهـذه الناحية كانت في الأسـاس خلال السبعينيات من القـرن (١٤هـ/٢٠م) لمستثمر حضرمي يدعى بامهـري، وكان ينقل الماء الحلو منها إلى مدينة جازان، والنقل في أول الأمر على ظهور الجمال، ثم أنشئ خط ناقل للماء بالمواسير بحجم (٦) بوصة، ولمسافة تصل إلى (٢٥كم) بين الماطري وجازان، وعند زيارة الملك سعود لجازان عام (١٣٧٤هـ/١٩٥٤م) تم شـراء هذه الأرض من صاحبها وما عليها من آبار وجعلها سقيا لمدينة جازان وما حولهـا. ويقـال: أن الماطري: هي في الأساس مكونة من كلمتين (الماء، الطري) وذلك عندما كان ينادي المنـادي لبيـع الماء في مدينـة جازان خلال النصـف الأول من العقد الثاني من القـرن (١٤هـ/٢٠م)، ثم دمجت الكلمة فيما بعد إلى الماطري واطلق على قرية الماطري المعروفة حالياً بهذا الاسم. المصدر: مقابلة الباحث مع بعض سكان قرية الماطري في (١٤٣٣/٤/٣٠هـ).

(٣) لا يعمـل أهل البـلاد كثيراً في خدمة مزارعهم، واكتفوا بالمراقبة والإشـراف العام، والسبب في ذلك عدم احتياجهم الشديد للزراعة لأن لديهم مصادر مادية أخرى تغنيهم عن هذه المهن. والبعض منهم يمارس الزراعة من باب التسلية والاستمتاع، وليس من باب الضرورة.

(٤) مشاهـدة بعض كبار السن الذين يقومون على مزارعهم في أرياف أبو عريش، وسامطة، وأحد المسارحة، والخوبة.

(٥) الأحباش، واليمنيون، والإريتريون من أكثر الأجناس المجهولة في جازان.

وعند سؤال بعض أصحاب المزارع عن السبب في لجوئهم إلى عمالة سائبة قالوا إن هناك عقبات كثيرة في استقدام عمال نظاميين(١). وأثناء مقابلة عدد من السكان وأصحاب بعض الأراضي الزراعية سمعناهم يشتكون من بعض المعوقات في مجال العمل الزراعي، ومما قالوا:

١. عزوف الشباب والرجال متوسطي الأعمار عن الزراعة بسبب انخراطهم في الوظائف الحكومية وبعض الأعمال التجارية الأخرى(٢). أما كبار السن فأصبحوا عاجزين صحياً عن خدمة الأراضي الزراعية.

٢. صعوبة الإجراءات الإدارية أثناء السعي في الحصول على عمالة نظامية، ومن أكبر العقبات وجوب حصول مالك الأرض الزراعية على حجج استحكام وصكوك شرعية حتى يتمكنوا من جلب عمالة خارجية. وامتلاك صكوك شرعية يعتريها العديد من العقبات والنظم الإدارية المعقدة.

٣. قلة الأمطار وجفاف الأودية تسبب في هجران الأراضي الزراعية، وهذا مما ساعد على خرابها وتدهورها(٣).

٤. ضعف الدعم المادي والفني لممارسة الزراعة، وعدم وجود ثلاجات كبيرة لتخزين الإنتاج الزراعي مثل: التين، والمانجو، والجوافة وغيرها، وعدم حماية السوق من الإنتاج الرزاعي المستورد. والتكاليف الباهظة لاستصلاح الأراضي، وأحياناً تأخر الإجراءات لدعم الزراعة مثل إعطاء القروض الزراعية، أو تزويد المزارعين ببعض الاحتياجات المهمة للاستمرار في مهنة الزراعة(٤).

---

(١) انظر بعض المعوقات الزراعية في سطور تالية من هذا المحور.

(٢) دراسة تاريخ الزراعة في جازان خلال القرنين الماضيين عنوان جدير بالبحث والدراسة، ونأمل أن نرى من طلابنا في برنامج الدراسات العليا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد من يتخذ هذا الموضوع عنواناً لرسالة الماجستير.

(٣) شاهدنا عدداً من الأراضي الزراعية في بيش وصبيا وجازان وأبو عريش وقد هجرها أصحابها، والبعض منها تشتمل على بعض الأبنية والآبار والآلات مثل: الحراثات، ومواتير المياه وبالتالي أصبحت مقفولة ومهجورة.

(٤) جامعة جازان تتحمل بعض المسؤوليات في خدمة مجال الزراعة في المنطقة. وإنشاء كلية للزراعة من أهم الخطوات التي يجب أن تسعى الجامعة إلى تنفيذها وتطويرها.

٤ـ الحرف والصناعات:

عرفت جازان عدداً من الحرف والصناعات القديمة[١]، بعضها انقرض، والبعض الآخر لازال يمارس بشكل يسير. ومما شاهدنا مزاولته عصر السمسم عن طريق استخدام الجمال[٢]. وصناعة الحلوى المحلية، وصناعة بعض التشكيلات والمشغولات اليدوية، وصناعة بعض الأواني الفخارية مثل: البرام، والميفا، والكاسات الصغيرة والكبيرة، والأكواز وغيرها[٣]. وصناعة بعض المفروشات أو المظلات من الخصف، وصناعة بعض الجلديات مثل: الأحزمة، والحبال وغيرها. وهناك بعض النساء اللاتي يقمن بنسج بعض الألبسة مثل: الأغطية، والملاحف، والطاقيات وغيرها [٤]. وفي بلاد الريث شاهدنا صناعة القطران، ويستخلص من زيت أشجار السلم والسمر والأثل. وعند استخلاص هذه المادة يخرج نوعان من السائل أثناء حرق الأخشاب. سائل خفيف ويسمى في عرف السكان بـ (الشوب) ويستخدم في طلاء الأغنام، وقد يستخدمه النساء في غسيل شعر الرأس وتنظيفه. وسائل ثقيل، وهو ما يعرف بـ (القطران) ويستخدم في طلاء الجمال عند إصابتها بالجرب، وتطلى به الأبواب والنوافذ الخشبية[٥].

والسائح في مدن وقرى جازان يشاهد أعداداً كبيرة من الحرف والصناعات الحديثة، مثل: الورش الخاصة بخدمة السيارات من سمكرة، وميكانيكا، وإصلاحات أخرى[٦]، وبناشر وأماكن لزينة السيارات وخدمتها. كما شاهدنا الكثير من الفنيين والمهندسين لبعض الأدوات المنزلية، مثل: الغسالات، والمكيفات،

---

(١) دراسة الحياة الحرفية والصناعات التقليدية جديرة بالبحث والدراسة. ومثل هذا الموضوع يستحق أن يدرس في كتاب أو رسالة علمية.

(٢) هذه الصفة موجودة منذ القدم في جازان وتهامة عسير. وقد شاهدنا العسيريين في مدينة محائل وما جاورها استبدلوا الجمال بالآلات الكهربائية. أما الجازانيون فلا زالوا يستخدمون الجمال، وأخبرني بعضهم أن هناك من بدأ في استخدام الكهرباء، مع أنني لم أر من يقوم بذلك. والجمل لازال هو المستخدم الرئيس في ممارسة هذه الحرفة.

(٣) صناعة الفخاريات لازالت منتشرة في المنطقة الممتدة من الشقيق والدرب إلى جازان وأبو عريش وما حولها.

(٤) شاهدنا بعض النساء في أسواق صبيا وجازان وهن يمارسن صناعة النسيج لبعض الملبوسات.

(٥) مادة القطران معروفة منذ القدم. وكانت منتشرة عند عموم سكان الجزيرة العربية. واليوم انقرضت وصارت تمارس فقط في البوادي والمناطق البعيدة عن الحواضر والمدن الرئيسة.

(٦) السائر في جميع أنحاء المملكة العربية السعودية، وعلى طرقها الرئيسة يلحظ انتشار الورش الصناعية في كل مكان. وورش إصلاح السيارات تكاد تكون هي الأكثر انتشاراً في عموم البلاد.

والتلفزيونات وأجهزة أخرى عديدة تستخدم في مجالات الإعلام والاتصالات[١].
وقد سمعت بوجود المدن الصناعية في مدن المنطقة، لكنني لم أزرها، وهذه المدن تشتمل على جميع الحرف والصناعات الضرورية لخدمة أهل المنطقة ميكانيكياً وفنياً وتقنياً[٢].

وفي جازان بعض المشاريع الصناعية البارزة مثل: مصنع إسمنت الجنوب الذي يقع شرق محافظة أحد المسارحة، ومصانع البلك الخرساني في أكثر من مكان، وبعض ورش أو مصانع الزجاج، والأخشاب، والألمنيوم في جميع مدن المنطقة، بالإضافة إلى مصانع تحلية المياه، وهناك ورش لصناعة وإصلاح القوارب والسفن الصغيرة التي تستخدم للصيد أو النزهة في البحر[٣]. ونلحظ في جامعة جازان، وبعض المعاهد والكليات الفنية والتقنية بعض التخصصات المهنية والصناعية، وهي تقوم على تخريج طلاب متخصصين في عدد من الحرف والصناعات المتنوعة[٤].

الأيدي العاملة في مجالات الحرف والصناعات المختلفة، تكاد تكون من العمالة الوافدة إلى المملكة . وفي جازان أعداد كبيرة من الجنسيات : العربية، والإفريقية والهندية والباكستانية والبنجالية، وجنسيات أخرى محدودة من بعض الدول الغربية، أو بلاد الشرق الأقصى مثل: الإندونيسيين، والصينيين، والكوريين، والفلبينيين وغيرهم[٥].

---

(١) مجالات الإعلام والاتصالات تطورت في العقدين الماضيين، فظهر عشرات الورش المتناثرة في جميع مدن جازان، من أجل صيانة وإصلاح الآلات والأجهزة المتعلقة بالاتصالات والإعلام، مثل: الحاسبات الآلية، والجوالات، وغيرها .

(٢) تعيش المملكة العربية السعودية في وقتنا الحاضر طفرة تنموية اقتصادية صناعية . ونأمل أن نرى في المملكة مصانع كبرى متقدمة تقوم على صناعة السيارات والطائرات والأجهزة التقنية العالية .

(٣) دراسة تاريخ الحرف والصناعات في جازان في الماضي والحاضر، موضوع يستحق أن يكون عنواناً لرسالة أو كتاب علمي. ونأمل أن نرى بعض الباحثين الجادين الذين يستطيعون دراسة مثل هذه العناوين المهمة والجيدة .

(٤) تاريخ التعليم في جازان بشكل عام، والتعليم الفني المهني بشكل خاص موضوع جيد وجدير بالدراسة في هيئة رسالة علمية أكاديمية .

(٥) هذا ما شاهده الباحث أثناء التنقل في ربوع منطقة جازان . ودراسة هذه الأجناس وأثرها وتأثرها جدير بدراسة اجتماعية ثقافية فكرية. والمسؤولية كبيرة على جامعة جازان فتؤسس أقساماً ومراكز ثقافية واجتماعية تدرس أوضاع هذه العناصر الوافدة إلى البلاد، وتدرس أيضاً ما يدور في المجتمع الجازاني من حراك اجتماعي متسارع الخطى والتغيرات .

٥ـ التجارة :

تمتاز منطقة جازان بالعديد من المقومات التجارية مثل: تنوع التضاريس، والكثافة السكانية الكبيرة، وخصوبة التربة، وتعدد الأسواق الأسبوعية والحديثة، وتوسط الموقع بين اليمن من الجنوب وعسير والباحة والحجاز من الشمال، وغنى الثروة الحيوانية والسمكية، ووفرة المال في أيدي كثير من الناس، ووجود الميناء، والمطار، وشبكة طرق برية جيدة[١].

أما الطرق البرية في عموم المنطقة فتجدها ممتازة مقارنة بالماضي[٢]. وأهمها الطريق الدولي الساحلي الذي يربط بلاد جازان بمناطق المملكة حيث يمتد من أقصى الجنوب على حدود اليمن وعبر مركز الطوال إلى أقصى شمال المنطقة عبر الحدود الإدارية مع عسير ويتراوح طوله من (٢٦٠-٣٠٠) كيلومتر تقريباً[٣]. والناظر في طرق جازان الداخلية يجد المزدوج منها يربط بين المدن والحواضر الرئيسة، مثل: جازان أبو عريش، جازان صبيا، صبيا بيش والدرب والشقيق، جازان أحد المسارحة وسامطة، جازان العارضة، صبيا فيفا والدائر، صبيا الحقو وهروب والريث. وجميع هذه الطرقات معبدة، ومرصوفة أطرفها وأجزائها القريبة من مداخل كل مدينة ومضاءة بالأنوار، ويوجد على جنباتها أماكن للاستراحة، ومحطات للوقود، وأحياناً مطاعم أو بوفيهات، وبناشر، وبقالات يتوفر بداخلها جميع الضروريات وحتى الكماليات. وفي داخل كل مدينة تجد شبكة طرق جيدة تربط بين أحياء وأطراف المدينة، وغالباً يكون الشارع الرئيس مزدوجاً وأحياناً أكثر من شارع[٤].

---

(١) هذا ما لمسه الباحث أثناء تجواله في المنطقة أثناء جمع مادة هذا القسم. وموضوع التجارة خلال العقود الأربعة الماضية. جدير بالبحث والدراسة. ونتطلع إلى أن يدرس من قبل المؤرخين والباحثين في منطقة جازان.

(٢) زرنا منطقة جازان خلال العقود الثلاثة الماضية عدة مرات، وكانت آخر زيارة عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ولم نشهد أي تطور على شبكات الطرق آنذاك، فكانت محدودة وضيقة ورديئة. وفي هذه الزيارة ذهلنا من التطور الهائل الذي جرى على شق الطرق المزدوجة وذات المسار الواحد في كل مدينة وقرية وريف. مشاهدات الباحث أثناء جمع مادة هذا القسم.

(٣) الطريق الدولي الآنف الذكر يعبر القحمة، والحريضة، ثم الشقيق، والدرب، وبيش، وصبيا، حتى جازان ثم أحد المسارحة وسامطة والطوال. وهناك طريق دولي أقصر تحت الإنشاء الآن، وقد وقفنا على أجزاء منه في رحلتنا الحالية، يسير من القحمة والحريضة بشكل شبه مستقيم حتى يخرج في أطراف مدينة صبيا ثم يواصل السير إلى مدينة جازان وأبو عريش وأحد المسارحة وسامطة حتى بلاد اليمن. مشاهدات الباحث أثناء جمع مادة هذا القسم.

(٤) ذلك في مراكز منطقة جازان الرئيسة، أما مدينة جازان فجميع شوارعها الداخلية الكبيرة مزدوجة، وإذا نظرت إلى طريق الكورنيش في المدينة فهو مزدوج وعليه الكثير من المطاعم، والأبراج الفندقية، والشقق المفروشة. ولازال العمل جاريا بشكل جيد لتنمية وتطوير مدينة جازان. وفي اعتقادنا أنها سوف تضاهي مدينة جدة قريبا، ونأمل أن نراها كذلك.

وأثناء تنقلنا في حواضر ومزارع وأرياف منطقة جازان شاهدنا الطرق المعبدة ذات المسار الواحد تتصل بكل قرية، وبادية، وريف، بل هناك الكثير من الطرق الزراعية التي تربط بين القرى والنواحي الريفية المتفرقة في المنطقة . كما شاهدنا شق الطرق وتوسيعها وسفلتتها في كل أنحاء البلاد على قدم وساق . والذي رأى جازان في الماضي ثم جاءها في الوقت الحاضر لا يصدق ما وصلت إليه من نمو وتطور هائلين في مجال فتح الطرق البرية وسفلتتها [١] .

وطرق جازان البرية امتدت إلى أعالي المرتفعات مثل: جبال العارضة، والعبادل، وقيس، وفيفا وبني مالك، والحشر، ومنجد، والريث، والقهر وغيرها. وقد سرنا إلى بعض هذه النواحي فوجدنا معظم طرقها معبدة ذات مسار واحد [٢] . كما سمعنا من بعض أهالي جازان وجود عقبات عديدة تربط سروات عسير وقحطان وشهران بمناطق جازان، ومن تلك العقبات : عقبة ضلع، مربة، الدرب، بيش أو الشقيق [٣] . وعقبة تبدأ من أشعاف شهران في تمنية إلى وادي بيش، وعقبة من سراة عبيدة إلى فرشة قحطان ثم إلى الريث والحقو وصبيا وجازان . وفي العقبة الآنفة الذكر، وبعد فرشة قحطان بحوالي (١٠-١٥كم) يتفرع طريق آخر يتجه إلى جبل الحشر وبني مالك وصبيا . وعقبة أخرى من ظهران الجنوب إلى ربوعة آل تليد إلى الفرشة، ثم يتفرع هذا الطريق إلى جبال الحشر وبني مالك، أو إلى الريث والحقو وصبيا . وهناك عقبة تخرج من الربوعة بآل تليد إلى وادي وعيلة، ثم وادي حمر إلى وادي دفا وبني مالك ثم صبيا [٤] .

---

(١) شهدت المملكة العربية السعودي نمواً هائلاً في مجال الطرق البرية . وما تمر به البلاد في هذا الميدان جدير بالبحث والدراسة والتوثيق العلمي التاريخي .

(٢) هذه المناطق وصلتها الطرق المسفلتة، ومن ثم نمت عمرانياً، واجتماعياً وثقافياً . ومن يقرأ في المصادر أو الوثائق السابقة عن هذه الأوطان قديماً يجدها كانت موغلة في البداوة والتخلف . وصعوبة المواصلات كانت من أهم العقبات التي تواجه أهلها، وعند وصول الطرق إليهم بدأت حياة المدنية واضحة في جميع أنماط حياتهم الحضارية .

(٣) هذه الطريق التي سلكنا أثناء قيامنا بهذه الرحلة . وهي الطريق الرئيس والأسهل الذي يربط بين سروات عسير وما جاورها وبين منطقة جازان الممتدة من البرك والقحمة إلى الطوال والموسم والخوبة . وهناك عقبات أخرى تنزل من جبال عسير إلى بلاد رجال ألمع، ومن بلاد شعار وعقبة تية إلى محافظة محائل، والعمل جارياً الآن في بعض الطرق التي تربط بين محافظة محائل وساحل البحر الأحمر . مشاهدات الباحث خلال عام (١٤٣٢هـ / ٢٠١١م) .

(٤) لم أر هذه العقبات ولكن ذكر لنا أن معظمها أصبح مسفلتاً، ولازال في بعضها أجزاء يسيرة تحت العمل والتنفيذ للرصف والسفلتة .

كما عرفت منطقة جازان العديد من الأسواق الأسبوعية المنتشرة في معظم مدنها وقراها وأحياناً بواديها . ومن تلك الأسواق ما يلي: سوق السبت في كل من بيش والشقيق . سوق الأحد في هروب وأحد المسارحة . سوق الإثنين في سامطة وضمد ، سوق الثلاثاء في صبيا والعيدابي والخشل[١] . سوق الأربعاء في أبو عريش، ويعرف هذا السوق بسوق الصميل[٢] ، وبني مالك الدائر ، والموشت[٣] . وجميع هذه الأسواق لازالت تعمل، لكن بصورة أقل مما كانت عليه في الماضي، وقد زرت بعضها في الدرب وصبيا وأبوعريش وسامطة، ووجدناها مغطاة بالزنك، وأخرى مكشوفة . وشاهدنا في بعضها من يمارس البيع والشراء خلال أيام الأسبوع، لكن اليوم الذي يعقد فيه السوق يكون أكثر نشاطاً وازدحاماً . ويعرض في هذه الأسواق الكثير من السلع المحلية، والمستوردة من مناطق عديدة في المملكة، أو من بلدان أخرى عربية وإسلامية وأحياناً أجنبية[٤] .

وهناك أسواق شعبية أخرى، توجد في وسط وأطراف المدن الرئيسة . وقد شاهدنا الكثير منها في مدينة جازان، وأبو عريش، وسامطة، وأحد المسارحة، والدرب، وصبيا. وهذه الأسواق تعمل على مدار الأسبوع، ومعظم ساعات النهار، وأحياناً ساعات من أول الليل[٥] . وفي هذه الأسواق تعرض عدداً من السلع مثل:

---

(١) الخشل : ناحية تقع جنوب مركز القصبة التابع لمحافظة العارضة .

(٢) سمي سوق الصميل : لأن الذين كانوا يشرفون عليه في النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) من رجال الحسبة ومراقبي الأسواق كانوا يحملون في أيديهم العصا المعروفة باسم (الصميل) . فأطلق على هذا السوق اسم (سوق الصميل) نسبة إلى تلك العصا . هذا ما سمعه الباحث من بعض أهالي أبو عريش عند زيارته لهذا السوق في (٣٠/٤/١٤٣٣هـ) .

(٣) الموشت : ناحية تقع شرق مدينة صبيا جنوب مركز الكدمي التابع لمحافظة صبيا . الأسواق الأسبوعية في الماضي كانت ذا تأثير كبير في حياة الناس الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والأدبية والفكرية . وهناك مئات الوثائق التي تؤكد ذلك . ونأمل إلى أن تدرس الأسواق الأسبوعية في منطقة جازان، وحبذا أن تكون عنواناً لرسالة ماجستير أو دكتوراة في إحدى أقسام التاريخ بالجامعات السعودية . ومن يتخذ هذا الموضوع عنواناً لبحثه فسوف يضيف إلى المكتبة العربية مادة علمية جديدة .

(٤) لم يعد السوق الأسبوعي اليوم محصوراً في تجاراته على السلع المحلية، كما كان في السابق، وسهولة المواصلات، ونشاط الصادرات والواردات البرية، وتنوع الأجناس جعل سلع الأسواق الأسبوعية تتنوع في أنواعها وأسعارها وأماكن استيرادها . مشاهدات الباحث لعدد من الأسواق الأسبوعية في منطقة جازان وغيرها خلال السنوات العشر الماضية.

(٥) هذه الأسواق تكاد تكون أسواقاً يومية لأنها تعمل جميع أيام الأسبوع . وربما سميت الأسواق الشعبية لأن كثيراً من المعروضات فيها شعبية محلية، ثم إن نظامها يميل إلى الارتجالية وعدم الترتيب للبضائع المعروضة، أو للأفراد الذين يمارسون التجارات في هذه الأسواق .

الخضـروات، والفواكـه، ومـواد غذائية أخـرى. والظاهر على هـذه الأسواق عدم التنظيم، وعدم النظافة لأرض السوق، وللمعروضات التجارية، والأيدي العاملة في هذه الأسواق[١].

وهنـاك الأسـواق الحديثـة المتفاوتة في الكـبر وفي الصغر، وفي نوعيـة السلع، وفي أصحـاب الأسواق، وفي المواقع، والجـودة والأسعار. ونأخذ مدينة جازان مثالاً: فالسائر في جنباتها يلحظ التطور التجاري الكبير، ومما شاهدنا فيها من الأسواق الكبـيرة والحديثـة : سـوق الراشـد مـول، وسـوق كادي[٢]. وأسواق أخـرى مثل: الغـروي، والحناوي، والراية، ومارينا مـول، والضياء مول، وسوق الصالح التجاري الترفيهي، وأسـواق المزرعة، والسمك، والسوق الداخلي القديم[٣]. وأسواق جديدة تحت الإنشاء مثل: داون تاون، ومحمود سعيد[٤].

كما زرنا بعض الأسواق الحديثة في أبو عريش وصبيا . ولاحظنا أسواق عديدة في أبـو عريش مثل: ريجن مول، وعائلة مـول، والحريبـي، وسعيد مول، وتاتوج، والريان. كمـا رأينـا في وسط مدينة صبيا السـوق المركزي، وهو في مـكان مزدحم، وفي أبنية قديمـة وحديثـة متداخلة[٥]. أيضـاً تنقلنا في محافظـات سامطة، وأحـد المسارحة والدرب،وبيش . وشاهدنا أسواقاً عديدة لكنها أقل في المستوى والحجم والنوعية مما رأيناه في مدينة جازان بشكل خاص، وفي باقي مدن جازان الكبرى بشكل عام[٦].

---

(١) المتجـول في أنحاء جنوبـي البلاد السعودية، بل في المملكـة، يلحظ هذه الأسـواق الشعبية متواجدة بكثرة وتعمل طوال النهار . وربما حياة الناس واحتياجاتهم لمثل هذه الأسواق بشكل دائم، كان سبباً في وجودها، حتى توفر احتياجات الناس اليومية .

(٢) هـذان السوقـان أكبر وأحدث أسـواق مدينة جازان . ويوجـد فيهما جميع السلع التجاريـة التي يحتاجها الإنسـان وبخاصة الألبسة والزينـة والأطعمة والأشربة . ويوجد ملاصقاً لسـوق الراشد أسواق بندة التي يتوافر بها جميع المواد الغذائية والخضروات والفواكه المتنوعة، وسلع أخرى عديدة .

(٣) جميع هذه الأسواق الأخرى يوجد بها السلع والتجارات، لكنها تأتي في أحجامها وقوتها التجارية في مرتبة ثانية بعد سوقي كادي والراشد مول .

(٤) هـذان السوقان في طريقهما للإنشاء والتعمير. ومدينة جازان قادمة على طفرة اقتصادية هائلة . بل إن أصحـاب رؤوس الأموال في أنحاء المملكة أصبحوا يقدمون إلى منطقة جازان للاستثمار وتوظيف أموالهم في هذه المنطقة الناهضة.

(٥) أسواق مدينة صبيا غير مرتبة من حيث مواقف السيارات، ووضع المحلات التجارية ومرافقها. وقد أبلغنا بعض سكان صبيا أن هنـاك تخطيطاً جديداً لبناء أسـواق جديدة في صبيا، مثل أسـواق مدينة جازان، وفيها أيضاً أسواق شعبية أكثر ترتيباً وتنظيماً .

(٦) في اعتقادنـا أن هـذه المدن الجازانية مقبلة على طفرة حديثة، وقد نرى في بعضها أسواقاً حديثة وممتازة في عمارتها ونظامها ومعروضاتها .

تنقلنا ما بين المدن، والقرى، والأرياف، والبوادي، ورأينا النشاط التجاري سارياً في كل مكان . فالبقالات والأسواق الصغيرة المحدودة تجدها في أطراف القرى والبوادي. ناهيك عن البلدات والضواحي القريبة من المدن الرئيسة فهي مليئة بالدكاكين الصغيرة، وأحياناً بالسوبر ماركات الكبيرة . كما توجد محطات الوقود الموزعة في أنحاء المنطقة، وإلى جوار كل محطة دكاكين للمواد الغذائية ومعظم أنواع السلع . وهناك الفنادق، والشقق المفروشة على جوانب الطرق الرئيسة التي تربط بين المدن، أو داخل المدن والبلدات نفسها، وتجد متاجر تجارية تشتمل على جميع الضروريات وكثيراً من الكماليات التي يحتاجها الإنسان (١) .

وفي مدينة جازان العديد من وكالات ومعارض السيارات الغربية والشرقية. ومن تلك الوكالات : تويوتا، ومازدا، ونيسان، وهوندا، وهونداي، وجيمس، وشيفروليه، كما يوجد أماكن للترفيه والملاهي . وأخبرني بعض من رافقنا أن التاجر الحكير يقوم الآن بإنشاء مشروع كبير في مدينة جازان يشتمل على بعض الأسواق والملاهي الترفيهية المتنوعة (٢) .

وكثير من الأسواق التي شاهدناها في مدينة جازان لتجار من خارج المنطقة، أو يشرف عليها ويتولى أمرها شركات عالمية (٣) . كما يوجد في المنطقة عدد من التجار الكبار، ومنهم على سبيل المثال : البابقي في مدينة جازان والمشرقي، والصعدي، والرفاعي، وآل الأمير في أبو عريش . والعثاثي في صبيا . وعبده حسن الحكمي في أحد المسارحة (٤) .

---

(١) ما تمر به منطقة جازان من نهضة حضارية تجارية، وما تعيشه جميع أنحاء المملكة العربية السعودية من نمو وتقدم حضاريين يعجز عنه الوصف . ورصد تاريخ هذه النهضة مهمة الجامعات والمؤسسات الأكاديمية، بل مهمة الباحثين الأكاديميين الوطنيين الذين يريدون لبلادهم الرقي والرفعة . وإذا لم يحفظ تاريخ البلاد الحضاري في وقتنا الحاضر، فقد يضيع مستقبلاً، وتعاني أجيالنا القادمة من فقدان تاريخ آبائهم وأجدادهم . كما نحن نعاني اليوم من معرفة تاريخ الأوائل وخاصة ما كان قبل النصف الأول من القرن (١٤هـ/٢٠م) .

(٢) كما أشرت في أكثر من مكان من هذا القسم، من يعرف جازان في الماضي ويراها في الحاضر يدرك الجهود الجبارة المبذولة في تنمية وتطوير المنطقة .

(٣) وفي باقي مدن جازان تجد بعض التجار من خارج المنطقة، وقد يشترك بعضهم مع بعض التجار المحليين . وهناك أيضاً تجار محليون صغار، لكن تجاراتهم محدودة مقارنة بأصحاب المتاجر الكبرى مثل: الراشد مول، وريجن مول، وكادي مول وغيرها .

(٤) لم نحصر جميع تجار المنطقة الكبار . ونأمل أن نرى من طلابنا في برامج الدراسات العليا، أو من بعض الباحثين الجادين من يدرس تاريخ التجارة في منطقة جازان خلال الخمسين عاماً الماضية . ومن يفعل ذلك فلن يجد صعوبة في جمع المادة . كما أنه سوف يخدم الباحثين والمكتبة العربية بدراسة هذا الموضوع .

والأيدي العاملة في التجارة تتنوع، فالتجار الكبار وملاك الأموال من الجنسية السعودية . وأصحاب الأسواق الكبرى يشتركون مع تجار كبار أمثالهم، وربما البعض من هؤلاء التجار من خارج البلاد . كما أن الأسواق التي لها صبغة عالمية مثل: بندة، وريجن مول، وكادي، والراشد وغيرها تتعامل تجارياً مع شركات عالمية تسهم وتشرف على تشغيل السوق . والمتجول في هذه الأسواق يجد أن الأيدي العاملة مجلوبة من عشرات الدول، بل إن عشرات المتاجر في كل سوق تجدها مستأجرة من مؤسسات أو شركات مضاربة في مدن وبلدان عديدة في أجزاء من العالم[١] .

أما الأيدي العاملة الأخرى التي تعمل في التجارات الصغيرة أو المحدودة فمنهم السعوديون وأولهم الجازانيون الذين يعملون في العديد من تجارة المواد الغذائية، أو المواشي، والعقارات، والألبسة وغيرها[٢] . ومنهم سعوديون جاءوا إلى جازان من مناطق عديدة في المملكة مثل: الحجاز، أو نجد، أو بلاد السراة الممتدة من الطائف حتى نجران. وهذه الشريحة الأخيرة من مناطق نجران وعسير والباحة نزلوا إلى المنطقة الجازانية، وعملوا في تجارة العقارات مثل: شراء الأراضي السكنية والفلل والعمائر، أو الأراضي الزراعية . بل بعضهم امتلك فنادق وشققاً مفروشة واستراحات أو أراضي زراعية . ومنهم من يتاجر في البهائم والأغنام، وفي بيع الحبوب والفواكه والخضروات، وفي الإسمنت، وبيع الأسماك . ونستطيع القول أن أهل السراة أكثر العناصر العاملة في مجال التجارات بأنواعها في عموم منطقة جازان[٣] .

وهناك عناصر أخرى عديدة تعمل في التجارات المختلفة، ومنهم : اليمنيون الذين يصدرون بعض السلع اليمنية إلى أسواق جازان، ثم يعودون إلى بلادهم للتجارة نفسها . ومنهم مقيمون نظاميون يعلمون في أعمال تجارية عديدة مثل:

---

(١) إذا تحدثنا عن الأيدي العامة في هذه الأسواق الكبرى فإننا نحتاج إلى مئات الصفحات لندرس جنسياتهم، ومستوياتهم الدراسية، وطرق جلبهم إلى الأسواق التي يعملون فيها . بل نجد تنوع جنسياتهم .

(٢) هذا ما شاهدناه في الأسواق الأسبوعية والشعبية وبعض الأسواق الحديثة، في طول وعرض المنطقة .

(٣) هذا ما تأكد لنا من خلال السير في منطقة السهول الممتدة من الدرب والفطيحة والحقو إلى مدينة جازان وأبو عريش . كما أن بعضهم ملكوا عقارات كثيرة على الساحل أو قريباً منه . ودراسة الحراك التجاري بين أهل السراة والمناطق التهامية الممتدة من الليث إلى سامطة جدير بالبحث والدراسة . وهذه الصلات والنشاطات الحضارية بين الناحيتين لم تبدأ وتتطور إلا منذ خمسة عقود. ونأمل أن نرى واحداً من طلابنا في قسم التاريخ للدراسات العليا بجامعة الملك خالد، فيتخذ من هذا المجال عنواناً لأطروحته العلمية .

خدمة السيارات وصيانتها، وفي البناء والمقاولات، وفي المواد الغذائية وسلع أخرى مختلفة . ومنهم مجهولون متسللون تراهم يعملون في بعض المزارع، ورعي الأغنام، والبناء والعمران . بل نجد كثير منهم يعلمون في تجارات عديدة في الأسواق الأسبوعية والشعبية. ومثلهم الصوماليون والأحباش، والإريتريون غير النظاميين في إقاماتهم، وهم يعملون في مهن عديدة مثل اليمنيين المجهولين(١) .

وعمال آخرون نظاميون من بلدان عديدة في العالم مثل: المصريين، والسودانيين، والبنجاليين، والهنود، والباكستانيين . وهناك بعض الإندونيسيين والنيباليين، والفلبينيين وقليل من المغاربة، وبعض الخليجيين . وجميعهم يعملون في أعمال تجارية، وأحياناً يمتهنون بعض المهن والحرف التي لها علاقة بالأعمال التجارية، مثل ورش السيارات، وإصلاح الأجهزة التقنية، أو العمل في بعض الأدوات الخشبية أو الحديدية أو البلاستيكية وغيرها(٢) .

ونجد الواردات إلى أسواق جازان متنوعة جداً، فمنها: صناعات صينية، وهي منتشرة بشكل كبير(٣)، وصناعات هندية وكورية ويابانية(٤) . والعديد من الصناعات العربية من سوريا ومصر وبلاد المغرب(٥) . كما أن الصناعات الغربية، الأمريكية والأوربية، موجودة في جميع أسواق جازان(٦) .

---

(١) دراسة أوضاع وآثار المجهولين اليمنيين وغيرهم مهمة جداً . ولا يقتصر تواجدهم على منطقة جازان، وإنما هم منتشرون في أنحاء المملكة العربية السعودية . وإذا تأملت وضع المنطقة الممتدة من مكة والطائف إلى نجران وجازان (تهامة وسراة) وجدتهم في أنحاء هذه البلاد . ولهم آثار سلبية عديدة . والواجب على جامعات الباحة، والملك خالد، ونجران، وجازان، أن تنشئ مراكز بحوث اجتماعية تقوم بدراسة المشاكل الاجتماعية القائمة في المنطقة، والمجهولون إحدى تلك المشاكل .

(٢) دراسة أوضاع العمالة الوافدة نظاميين إلى جازان جديرة بالبحث التاريخي الاجتماعي والثقافي . ونأمل أن تقوم أقسام علم الاجتماع والتربية والتاريخ بدراسة مثل هذه الموضوعات المهمة والجديرة بالاهتمام .

(٣) الصناعات الصينية أغرقت أسواق العالم، ووصل إلى منطقة جازان الكثير منها مثل: الألبسة والمنسوجات، والأدوات الخشبية والبلاستيكية والزجاج . وتكاد تكون جميع السلع الصينية التي يحتاجها الإنسان موجودة في أسواق جازان . مشاهدات الباحث أثناء جمع مادة هذا القسم .

(٤) من الصادرات اليابانية والكورية والهندية : السيارات، والأجهزة الإليكترونية مثل: الجوالات والحاسبات وغيرها .

(٥) من الصناعات العربية بعض الألبسة، والأدوات الخشبية، والأدوية وغيرها .

(٦) الصناعات الغربية تأتي بعد الصناعات الصينية مثل: السيارات، وقطع الغيار لجميع الآلات الميكانيكية، وأدوات الكهرباء، والأخشاب وغيرها . ودراسة الصادرات الخارجية من الشرق والغرب إلى المملكة العربية السعودية بشكل عام جديرة بالبحث والدراسة، وهذا موضوع واسع ويخرج في عشرات المجلدات .

وإذا قصرنا حديثنا على الواردات المحلية والإقليمية، فاليمن من أكثر البلاد التي تصدر سلعها إلى جازان . والناظر في الأسواق الأسبوعية والشعبية يجدها مليئة بسلع يمنية مثل: القهوة، والزبيب، والعسل، والحيوانات، وبعض الحبوب والبذور وغيرها[١] . ومن السودان والصومال والحبشة وإريتريا ترد بعض السلع مثل: المواشي وغيرها[٢] . ومن مدن المملكة الكبرى تصدر إلى جازان الكثير من السلع مثل: الحبوب، والأقمشة ،والتمر، والأدوات الخشبية والبلاستيكية، ومشتقات البترول وغيرها[٣] .

ومن جازان تصدر العديد من السلع إلى داخل المملكة وخارجها . ومن أهم تلك الصادرات : المواشي مثل: الأبقار والماعز، والذرة، وبعض الخضروات، والمانجو والتين والطماطم والجوافة[٤] .

أما الصادرات والورادات بين مناطقٍ جازان نفسها، أو بين جازان ومناطق عسير ونجران والباحة . فأهل جازان غالباً يصدرون بعض سلعهم الزراعية مثل: الفواكه والخضروات، والبهائم، والأسماك، والربيان، إلى أسواق سروات الباحة وعسير ونجران . كما أن الجازنيين يذهبون باستمرار إلى أسواق أبها وخميس مشيط لشراء الكثير من أغراضهم المختلفة [٥] . وأهل الساحل والسهول يصدرون إلى سكان المرتفعات الجازانية حبوب الذرة والدخن والفواكه والخضروات، وبعض الأدوات الفخارية وغيرها . أما أهل الجبال فيصدرون إلى مناطق السهل والساحل

---

(١) جازان سوق كبير لكثير من سلع اليمن. وهناك بعضٍ السلع التي تهرب بطريقة غير نظامية إلى منطقة جازان . مثل: القات، وبعضٍ الأسلحة، وأحياناً البهائم . وقضية التهريب بين اليمن وجنوبي السعودية موضوع معقد ويستحق بحوثاً ودراسات علمية أكاديمية، مع الحرص على وضع الحلول المدروسة لمواجهة مثل هذه العقبة . وجامعات الملك خالد، ونجران، وجازان عليها مسؤولية كبرى لإنشاء أقسام ومراكز بحثية اجتماعية تدرس مثل هذه المشكلة الاجتماعية وغيرها .

(٢) الصادرات والواردات الحديثة بين جازان ودول شرق إفريقيا موضوع جيد ويستحق الخدمة البحثية .

(٣) الصادرات والواردات الحديثة بين جازان وأجزاء المملكة العربية السعودية خلال العقود الماضية المتأخرة جديرة بالبحث والدراسة والتحليل .

(٤) معظم صادرات جازان من الثروة الحيوانية، وبعض المزروعات . وفي الوقت الحاضر يشتكي كثير من التجار المصدرين لمثل هذه السلع، ويذكرون تراجع تجاراتهم بشكل كبير لعدم توفر المياه، وعدم التشجيع والدعم المادي الذي يجعلهم قادرين على مواصلة أعمالهم . هذا ما سمعه الباحث من بعض المزراعين وأصحاب الحيوانات في صبيا، وأبو عريش، والعارضة، وفيفا، والريث، وسامطة .

(٥) الصلات التجارية بين جازانٍ وعسير وما جاورها خلال الخمسة أو الستة العقود الماضية موضوع مهم وجيد ويستحق أن يكون عنواناً لرسالة ماجستير . .

السمن والعسل والروائح العطرية . وغالباً ما يصدرون إلى الأسواق الأسبوعية في السهول المواشي، والإبل، والأبقار[١] .

وفي أثناء جولتنا في أسواق جازان استطعنا أن ندون بعض النماذج عن الأسعار. فالأراضي السكنية في المدن الكبيرة مثل: صبيا، وبيش، وجازان، وأبو عريش، وسامطة تتراوح أسعار الأرض ذات المساحات (٦٠٠م٢) إلى (١٠٠٠م٢) من (١٥٠) ألف إلى (٣٠٠ و٤٠٠) ألف ريال، على الشوارع الداخلية في المدينة . أما المساحات نفسها على الشوارع الرئيسة فإنها تصل إلى المليون ريال وقد تزيد إلى عدة ملايين حسب موقع الحي والشارع الذي توجد عليه الأرض[٢] . وفي المدن والقرى والأرياف تكون الأسعار أقل. وانتشر في جازان بيع الأراضي الزراعية، حسب مقاس المعاد، وهو (٦٠م×٦٠م) ، وسعره في القرى الداخلية أو الضواحي البعيدة نوعا ما عن المدينة يقدر بـ (١٠ إلى ٥٠ وربما ٦٠) ألف ريال . وسعر العمارة من دور أو دورين داخل المدن تقدر بـ (٦٠٠) ألف إلى المليون وأكثر قليلاً إذا كانت مكونة من طابقين . والاستراحات في المدن وما حولها من (٢٠٠) إلى (٥٠٠) ألف ريال حسب مساحتها ومستوى بنائها.

وعند تنقلنا في أسواق جازان الكبرى مثل: الراشد مول، وبعض أسواق صبيا وأبو عريش، وشاهدنا أسعار الألبسة مثل: الأقمصة أو التنورات أو الفساتين النسائية من عشرة ريالات إلى ألف وألفي ريال، وربما تجاوزت بعض أسعار الفساتين هذا السعر . وألبسة الأطفال في خانة العشرات، وأحياناً ترتفع بعض الألبسة الأصلية

---

(١) التبادل التجاري بين الجازانيين في السهول والجبال موجوداً منذ القدم، ولازال مستمراً حتى اليوم. وبعد أن فاض الخير في البلاد واتصلت شبكات الطرق بين الجبل والسهل أصبح التعامل التجاري بين الطرفين سهلاً . بل صار أهل الجبال يذهبون إلى مناطق السهل ويعودون إلى منازلهم في وقت وجيز . بل بعضهم وبخاصة الموظفين في الساحل والسهول تجدهم يخرجون من منازلهم صباحاً ويعودون إليها في آخر النهار . والمتجول في المناطق السروية والتهامية من القنفذة والباحة إلى ظهران الجنوب وجازان تجدهم جميعاً ينعمون بسهولة الطرق التي تربط أهل الجبال مع سكان السهول والساحل. وموضوع الصلات الحضارية بين سكان السروات وتهامة خلال القرنين الماضيين جدير بالبحث . ونأمل أن نرى من يدرس هذا الموضوع في هيئة كتاب أو رسالة عملية .

(٢) الأرض ذات المساحات من (٦٠٠م٢) إلى (٩٠٠م٢) و(١٠٠٠م٢) على الشوارع الكبيرة والرئيسة في مدن جازان وأبو عريش وصبيا تصل إلى خانة الملايين . وقد زرت مخططات داخل مدينة جازان فوجدت الأرض ذات (٦٠٠م٢) تصل إلى (٣٠٠) و(٤٠٠) ألف . وهناك مخططات اخرى توجد فيها نفس المساحات ولا تتجاوز أسعارها (٢٠٠) ألف ريال . مشاهدات الباحث في (١٤٣٣/٥/٣-٢هـ) .

والجيدة إلى المئة والمئتي ريال . أما الأحذية للنساء والرجال فتتراوح من العشرة والعشرين ريالاً إلى الثلاثمائة والأربعمائة ريال . وأدوات الزينة للنساء والرجال مثل: العطور، والكحل، ومساحيق وكريمات المرأة تكون في نفس أسعار الأحذية. أما الحلي مثل: الذهب والألماس فهي غالية، وتتراوح أسعارها حسب الحجم والكمية والنوع من المئات إلى عشرات الآلاف من الريالات[١] .

وفي سوق الراشد مول توقفنا عند بعض المطاعم الموجودة في السوق مثل: السوق اليمني الذي يقدم بعض الأكلات الشعبية والحديثة، فكانت الوجبة من الأرز ولحوم الدجاج والضأن بأسعار تتراوح من (١٥-٣٠) ريالاً . وهناك وجبات محلية مثل: المرسة، والفتة، والحنيذ، والمغش وغيرها وتتراوح أسعار الوجبة الواحدة من (١٠- ٥٠) ريالاً . والمطاعم الإيطالية طبق المكرونة لشخص واحد من (١٠-٢٥) ريالاً . أما المطاعم الصينية، الوجبة الكافية لأربعة أو خمسة أشخاص من الدجاج، أو السمك والأرز الأبيض والسلطات تتراوح من (٤٠-١٢٠) ريالاً[٢] .

وفي المطاعم العادية في مدينة جازان وصبيا وأبو عريش وسامطة وغيرها، الدجاجة مع الأرز بحوالي(٢٦) ريالاً، وعلبة البيبسي أو السفن أب، بريالين . والكيلو من لحم الماعز، أو الضأن المطبوخ مع الأرز بـ (٨٠-٩٠) ريالاً . ووجبة الفول أو العدس مع الخبز بـ (٣-٤) ريالات . وصحن الإدام لشخص واحد من خمسة إلى عشرة ريالات حسب نوع الإيدام . والذبيحة الكاملة من الماعز أو الضأن بمبلغ (٨٠٠- ١٢٠٠) ريالاً حسب حجم الذبيحة، وطبخها فقط بـ (١٥٠-١٨٠) ريالاً . وأسعار الأطعمة في الفنادق تتضاعف تقريباً ثلاثة أو أربعة أضعاف عن أسعارها في المطاعم العادية. وأسعار الأكلات الشعبية، والخبز، والأشربة من الماء، واللبن، والحليب، والعصيرات، والمشروبات الغازية فهي متساوية داخل المدن وفي الأرياف والقرى[٣] .

---

(١) أسعار الألبسة وأدوات الزينة متنوعة ومختلفة . بحسب نوع اللباس، وموديله، وجودة قماشه، وحجمه، وموطن صنعه، وما ذكرنا فقط نماذج، مع أن أسعار الألبسة، أو الأسعار بشكل عام تحتاج إلى دراسات مطولة تصل إلى مئات الصفحات .

(٢) مشاهدات الباحث من (١-١٤٣٣/٥/٥هـ) .

(٣) المصدر نفسه .

وفي سوق صبيا الشعبي سألت عن بعض الأسعار فإذا الكيلو الواحد من القهوة، أو القشر، أو الهرد، أو الليمون الناشف، أو الزبيب تتراوح من (١٠-١٢٠) ريالاً [١]. وكيس البصل والبطاطس الصغير (١٠) ريالات، والحبق الجبلي الحزمة قبضة اليد (٥) ريالات، وكيلو الدجر عشرة ريالات، وثلاثة كيلو من موز اليمن عشرة ريالات . أما الفواكه المستوردة فالكيلو الواحد من التفاح ثمانية ريالات، والبرتقال أو الموز ستة ريالات . وأسعار كيس الذرة الحمراء والبيضاء (٣٠٠-٥٠٠) ريال[٢]. وحمل السيارة التويوتا من الحطب (٢٠٠-٥٠٠) ريالاً . وحبوب الشعير الكيس (٤٥) ريالاً، ونخالة الشعير (٤٠) ريالاً . وكيلو الحلوى الجازانية عشرة ريالات، وأسعار السمك تتراوح من عشرة إلى مئة ومئة وخمسون ريالاً للسمكة الواحدة حسب حجمها . أما الكيلو من السمك فيتراوح من (٢٠-٧٠) ريالاً . وفي سوق السمك بعض الباعة الذين يبيعون أكوام صغيرة من السمك بأسعار متفاوتة من (١٠-٥٠) أو (٦٠) ريالاً . أما الأغنام، فالذبيحة المتوسطة من الماعز في المرتفعات (٨٠٠-١٢٠٠) ريالاً، وفي السهول والساحل (٨٠٠-١٠٠٠) ريالاً . ومن الضأن في الجبل (٧٠٠-١٠٠٠) ريالاً، وفي السهول والساحل (١٠٠٠-٢٠٠٠) ريالاً [٣]. وفي الأعياد ترتفع أسعار الأغنام إلى الضعف أحياناً . أما الأبقار فأسعارها من (٥٠٠-٨٠٠٠) ريالاً، والجمال من (٨٠٠٠-١٥٠٠٠) ريالاً وربما ارتفعت أسعار الجمل الواحد إلى (٢٠٠٠٠) ريال [٤].

وفي بلاد الريث وما حولها لاحظنا بعض التجار الذين يشترون سيارات ويقسطونها على من يرغب الشراء من المنطقة نفسها، والقسط غالباً يتراوح ما بين (٥٠٠-١٠٠٠) و (٢٠٠٠) ريال . والسيارات التي يتاجرون بها من صنع تويوتا (الشاص)، فهذا النوع هو المرغوب عند سكان الجبال لقوته وقدرته على صعود المرتفعات .

---

(١) جميع هذه السلع يمنية، وكان القائمون على المتاجرة فيها من اليمنيين أنفسهم . وسألتهم عن طريقة الدخول بتجاراتهم فقالوا: نحن ندخل من اليمن إلى السعودية كل أسبوع مرة واحدة، ويجب أن نعود إلى اليمن للتأشيرة مرة ثانية كل سبعة أيام من تاريخ الدخول .

(٢) الكيس خمسة أصواع، والصاع عشرة كيلوات . في الذرة الحمراء أرخص من الذرة البيضاء . وأهل الجبال يرغبون الذرة الحمراء بعكس أهل السهول والساحل فهم يفضلون الذرة البيضاء .

(٣) أهل الجبال يفضلون الذبائح من الماعز بعكس أهل الساحل والسهل فهم يفضلون الضأن . ولهذا ترى أن الماعز أغلى في الجبل . والضأن أغلى من الماعز في السهول والساحل. مشاهدات الباحث أثناء تجواله في السهول والجبال خلال جمع مادة هذا القسم .

(٤) المصدر نفسه .

أما الأجور، فالشقق ذات الغرفتين في عمارة جيدة في مدينة جازان تصل أجرتها السنوية إلى عشرين ألف ريال، وهناك شقق أكبر ترتفع أجرتها إلى الثلاثين ألف. وإذا كانت مثل هذه الشقق في أحياء شعبية، أو بيوت قديمة فأجورها بين (٨٠٠٠) و (١٢٠٠٠) ريال، والأدوار في العمائر النظيفة والأحياء الجيدة تصل إلى (٣٠) و(٣٥) ألف ريال. أما الأحياء أو الأبنية القديمة فتتراوح أجورها من (١٢٠٠٠) إلى (٢٠٠٠٠) ألف ريال. وفي القرى والبوادي والنواحي البعيدة عن المدن الرئيسة تكون أسعار الشقق والأدوار قليلة، وغالباً لا تزيد عن العشرة أو (١٢٠٠٠) ألف ريال[١].

ومع تزايد أعداد الطلاب في مدينة جازان ارتفعت أجور الغرف. فالغرفة الواحدة مع حمام تؤجر في الشهر بـ (١٢٠٠)، وربما وصلت (١٥٠٠) ريالاً. وهكذا ارتفاع أجور الشقق القريبة من الجامعة والمرغوبة من الطلاب[٢]. والاستراحات المستخدمة للمناسبات، الصغيرة (١٠٠٠) ريال لليلة الواحدة. والكبيرة التي تؤجر للزواجات والمناسبات الأخرى تتراوح أجورها من (٥٠٠٠) إلى (٢٠٠٠٠) حسب موقعها، وسعتها، ونظافتها وتنظيمها. والاستراحات داخل المدن الكبيرة تكون غالباً أغلى من الاستراحات في القرى والأرياف[٣].

وأجور غرف الفنادق أعلى من غرف الشقق المفروشة أو الشقق العادية. وفي مدينة جازان وبعض المدن الأخرى فنادق تتراوح أسعار غرفها لليلة الواحدة من (٢٠٠-٧٠٠) ريالاً حسب درجة الفندق، وموقعه، وحداثته. وفي أيام المواسم تتضاعف. أما أسعار الأجنحة فهي عالية، وقد يصل بعضها إلى (١٠٠٠) و (١٥٠٠) ريالاً. وأحياناً يكون هناك خدمات في بعض الفنادق للعرسان مع تقديم الطعام والشراب وكل ما يلزم، ومثل هذا النوع من الغرف أو الأجنحة تكون أجرتها أعلى من الأسعار الآنفة الذكر[٤].

---

(١) هذا ما سمعناه من الذين قابلناهم وسألناهم في صبيا، وبيش، وجازان، وسامطة، والخوبة، والطوال.

(٢) الأحياء القريبة من المدن الجامعية غالباً تكون أسعار أراضيها عالية وأجور شققها وغرفها مرتفعة.

(٣) انتشرت الاستراحات في عموم المملكة العربية السعودية. والمدن العامة والخاصة. أما الأرياف والقرى فلازالت تفتقر إلى مثل هذه الخدمات. وقد نراها منتشرة في تلك النواحي خلال السنوات القريبة القادمة.

(٤) مشاهدات الباحث أثناء جمع مادة هذا القسم.

وأجور العمال تتفاوت، فالعامل العادي (١٠٠) ريال لليوم . وهناك عمال مجهولون في أنحاء المنطقة وأجورهم تتراوح من (٢٠) إلى (٧٠) ريالاً[١] . وأجور الفنيين والتقنيين اليومية تصل إلى (٢٠٠) و(٣٠٠) ريال . وبعض العمال في المقاولات المعمارية، أو الهندسية الكهربائية أو الميكانيكية . ومثل هؤلاء يعقدون اتفاقيات مع صاحب العمل، وتكون غالباً إجمالية على إنجاز العمل دون ارتباطها بيوم أو شهر محدد. وأصحاب الشركات والمؤسسات العاملة في العمارة والبناء أو المشاريع العمرانية الأخرى يجلبون العمال من الخارج على مسؤولياتهم. ويتفقون معهم على الراتب . ورواتب العمالِ باختلاف أصنافهم ومستوياتهم في المؤسسات الكبيرة والمتوسطة والصغيرة غالباً تتراوح بين (٧٠٠ـ ٣٠٠٠) ريال كل حسب عمله واختصاصه[٢].

وهناك معوقات عديدة للتجارة في جازان مثل: (١) ازدحام الأسواق الشعبية في المدن وعدم تنظيمها . (٢) الأسواق الأسبوعية بدأت تتلاشى، وسوف تندثر إذا لم تصان ويعتنى بها من قبل البلديات ووزارة التجارة . (٣) تصدير الأغنام من المنطقة إلى خارجها رفع من أسعارها المحلية . (٤) تزايد العمالة المجهولة في الأسواق زاد من الفوضى وعدم سير النشاطات التجارية بسلاسة . (٥) عدم تمكين الشباب السعودي الجيد من الانخراط في الأعمال التجارية المختلفة، وهذا ما جعل الوافدين يسيطرون على معظم التجارات في الأسواق الحديثة والشعبية والأسبوعية [٣].

خامسا : حياة الناس التعليمية والثقافية والفكرية:

١ـ التربية والتعليم :

بلاد جازان غنية بعلمائها وأدبائها منذ قرون إسلامية قديمة، والباحث عن أرباب الشعر والأدب في هذه الديار التهامية يجدهم بالعشرات، ونجد المؤرخ

(١) هذا النوع من العمال يوجدون بكثرة في المزارع ورعي الأغنام وهم يعلمون غالباً بالشهر، فرواتب بعضهم (٥٠٠) و (٦٠٠) ريال، وآخرون تصل أجورهم إلى (١٥٠٠) ريال وربما تزيد حسب الأعمال التي يتم الاتفاق عليها مع صاحب العمل. .

(٢) هذا ما عرفه الباحث أثناء الالتقاء ببعض العمال في بناء العمائر والكباري والطرقات في منطقة جازان أثناء جمع مادة هذا القسم .

(٣) دراسة التاريخ التجاري في جازان منذ بداية النصف الثاني في القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر موضوع مهم ويستحق إلى أن يفرد له كتاب أو رسالة عملية أكاديمية .

محمد بن أحمد العقيلي يذكر الكثير منهم[١]. وإذا بحثنا في كتب التاريخ والتراجم اليمنية نجد أسماء العديد من علمائها وشيوخها البارزين في بعض العلوم الشرعية والعربية والأدبية والفكرية[٢].

أما التعليم النظامي في المنطقة فكانت بداياته منذ أوائل النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) . والناظر في وثائق التعليم خلال العقود الأربعة الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م) يجد التطور التعليمي شمل معظم سهول وساحل وجبال جازان[٣]. أما إذا تتبعنا حركة التعليم في العقود الثلاثة الأولى من القرن (١٥هـ/٢٠-٢١م) ، فإننا سوف نفاجأ بالتطور الهائل الذي جرى على هذا القطاع المهم والحساس [٤].

---

(١) ومن أولئك الشعراء والأدباء في العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة: علي بن محمد التهامي، وعمارة اليمني، والقاسم بن علي بن هتيمل الضمدي، والأمير الشاعر القاسم بن علي الذروي، والجراح بن شاجر الذروي. ومنذ القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن كثيرون مثل: علي محمد السنوسي، ومحمد بن علي السنوسي، ومحمد أحمد العقيلي، وعلي بن حسين الفيفي، وعلي بن قاسم الفيفي، وعلي بن أحمد النعمي، وحسن أبو علة، وحجاب الحازمي، وأحمد البهكلي، وإبراهيم مفتاح، وعلي صيقل . وأعداد كثيرة لازالوا معاصرين، وللكثير منهم دواوين منشورة . للمزيد عن أسماء هؤلاء الشعراء، انظر: التاريخ الأدبي لمنطقة جازان، لمحمد أحمد العقيلي، ثلاثة مجلدات . ولمحات عن الشعر والشعراء، لحجاب بن يحيى الحازمي . وانظر الكثير من الدواوين الشعرية لعدد من شعراء المنطقة الحديثين، ومعظمها توجد في مكتبة نادي جازان الأدبي . ونأمل أن نرى أحد الباحثين الجادين فيقوم بحصر ودراسة شعر وشعراء المنطقة الجازانية منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر.

(٢) هناك الكثير من العلماء الجازانيين، الذين لهم ذكر في بعض كتب التراث الإسلامي منذ القرون الإسلامية الوسيطة حتى اليوم . بل هناك العديد من الوثائق غير المنشورة التي تشير إلى بعضهم خلال القرنين الماضيين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) . وموضوع تاريخ العلم والعلماء في منطقة جازان منذ القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري جدير بالدراسة، ويستحق إلى أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية أكاديمية . أما النشاط العلمي والدعوي والثقافي والفكري منذ بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠-٢١م) حتى وقتنا الحاضر فهو أيضاً موضوع واسع وكبير وجدير بالبحث والدراسة العلمية الأكاديمية .

(٣) تاريخ التعليم في منطقة جازان منذ عام (١٣٥٥-١٤٠٠هـ/١٩٣٥-١٩٨٠م) . موضوع مهم وجدير بالدراسة ويستحق إلى أن يكون عنواناً لرسالة دكتوراة، أو يخرج في كتاب علمي أكاديمي موثق . ونأمل أن نرى أحد أبناء جازان الباحثين الجادين فيتولى هذا الموضوع بالرعاية والخدمة البحثية الجيدة، ومن يفعل ذلك فسوف يحفظ كثير من تراث هذه المنطقة، بل سوف يضيف إلى المكتبة العربية والإسلامية مادة علمية قيمة ومفيدة . وفي تلك الفترة أيضاً ظهرت بعض الجهود التعليمية الفردية ممثلة في مدارس الشيخ عبد الله القرعاوي . وهذا الموضوع وإن خرج عنه بعض الكتب والدراسات، إلا أنه لازال يحتاج إلى بحوث أوسع وأعمق، ونأمل أن نرى أيضاً من طلاب العلم من يتولاه بالبحث العلمي الأكاديمي الرصين .

(٤) هذه الفترة (١٤٠٠-١٤٣٣هـ/ ١٩٨٠-٢٠١٢م) تستحق أن تكون عنواناً لرسالة ماجستير أو دكتوراة . ونأمل أن نرى من جامعة جازان وبخاصة في أقسام التربية أو التاريخ من يقوم بدراسة هذه الفترة التاريخية المهمة، وبخاصة في مجال التربية والتعليم .

ومـن خلال تجوالنا في نواحـي جازان، ومقابلتنا بعض مسـؤولي التعليم العام والعـالي، استطعنا أن نخرج بالعديـد من الحقائق والاستنتاجات التي نورد بعضها على النحو التالي :

أ- يوجـد في منطقـة جـازان إدارتـان رئيسيتان للتربيـة والتعليـم، الأولى : في مدينـة جازان،، وهـي الرئيسة. والثانية : في مدينة صبيـا. وقد سألنا بعض المسؤولـين في تلك الإدارتين أسئلة محددة تعكس النمو التعليمي الذي تعيشه المنطقـة، فوجدنا أن عـدد الطلاب والطالبات التابعـين لإدارة تعليم جازان يقدرون بـ (١٤٦٧٩٩) طالباً وطالبة في مراحل التعليم الثلاث (الإبتدائية، والمتوسطـة، والثانويـة)، وعدد الطـلاب في رياض الأطفـال (٣٤٢٨) طفل وطفلة، وعدد الدارسين والدارسـات بتعليم الكبار (٢٦٩١) دارس ودارسة. أمـا عدد المعلمـين والمعلمات فهـو (١٦٥٩٠) معلم ومعلمة، وعـدد الإداريين (٢٧٧٧) موظفـاً . وعـدد المدارس (١٠٢٨) مدرسة للبنـين والبنات، بها (٧٥٥٢) فصلاً دراسياً[1].

أمـا إدارة تعليـم صبيـا فعـدد مدارسهـا (٩٨٠) مدرسة للبنـين والبنات (ابتدائـي، ومتوسـط، وثانـوي)، وعدد مدارس البنـين (٥١٠) مدرسة، والبنـات (٤٧٠) مدرسة، وعدد رياض الأطفال (٥٠) روضة، وعدد مدارس وبرامـج محو الأميـة (٢٢٠) مدرسـة وبرنامج . وعدد الطـلاب والطالبات في جميـع المدارس العامة (١١٨٥٢٩) طالباً وطالبـة، بها (٦٨٥٢) فصلاً دراسيـاً . أما عدد المعلمين والمعلمات فهو (١٤٧٠٠) مدرس ومدرسة، منها (٧٢٠٠) معلماً، و (٧٥٠٠) معلمة[2].

---

(١) هذه المعلومات وصلتنا من ابننا الأستاذ غازي علي أحمد سهلي، مساعد مدير تعليم جازان في يوم الجمعة (١٤٣٣/٥/٧هـ). وأبلغنا أن عدد مدارس البنين (٥٢٣) مدرسة، وعدد مدارس البنات (٥٠٥) مدرسة. وهذه الإدارة تمتد مسؤوليتها الإدارية من جزيرة فرسان إلى قضاء العارضة، ومن أطراف مدينة جازان الشمالية إلى الحدود السعودية اليمنية : الموسم، والطوال، والخوبة وما جاورها .

(٢) مقابلـة مع الابـن الأستاذ ربيع مهدي عطيـة، مدير شؤون المعلمـين في إدارة تعليم صبيـا يوم الخميس(١٤٣٣/٤/٢٩هـ) في منزلـه بقريـة الباحر في صبيا . وهـذه الإدارة تمتد مسؤوليتهـا الإدارية من حدود مدينـة جازان الشماليـة إلى فيفا وبني مالك والريـث جنوباً وشرقاً، وإلى الـدرب والشقيق وساحل بيش وصبيـا غربـاً . وعدد الطلاب البنين (٦٢٤٦٤) في (٣٥٠٦) فصلاً . وعدد الطالبات (٥٦٠٦٥) طالبة في (٣٣٤٦) فصلاً . المصدر نفسه .

ب. إذا تأملنا أبنية المدارس في عموم المنطقة فهي تجمع بين الأبنية الحكومية والمستأجرة، ومعظم المدن الرئيسة وما حولها تكاد تكون مدارسها في مبان حكومية . أما البرامج والأنشطة الصفية واللاصفية، والميزانيات التي تصرف على التعليم، وتأثير التعليم الإيجابي على سكان المنطقة، وغيرها من الحقائق فهي الأخرى تحتاج إلى مئات الصفحات لرسم صورة واضحة عن التطور التعليمي الذي تعيشه منطقة جازان في وقتنا الحاضر[١].

ج. أما الجامعة فهي حديثة عهد في جازان ، فلم تتجاوز عقداً من عمرها الزمني[٢]. وعند التجوال في الحرم الجامعي[٣]، وفي فروعها الإدارية المتفرقة في مدينة جازان[٤]، استطعنا أن نخرج ببعض الحقائق التاريخية لنمو وتطور هذه المؤسسة التعلمية الأكاديمية، ونشير إلى أهمها على النحو التالي:

١. أنشئت جامعة جازان بقرار الأمر الملكي السامي رقم (٦٦١٦/م/ب) الصادر في (١٢/٥/١٤٢٦هـ الموافق ١٩/٦/٢٠٠٥م)، وكانت كليات : الطب، والهندسة، والحاسب الآلي، ونظم المعلومات[٥]، والمجتمع[٦]، النواة الأولى للجامعة. وضمت إلى الجامعة كليات أخرى في المنطقة

---

(١) لقد زرنا بعض المدارس، واتصلنا ببعض المسؤولين وتحدثنا معهم، وشاهدنا بعض المشاريع العمرانية الخاصة بإدارتي التعليم في صبيا وجازان وبعض المدارس، ومن ثم خرجنا بانطباع عن تطور التربية والتعليم في عموم المنطقة، ونأمل أن يواكب هذا التطور الكمي في الطلاب، والمدرسين والمشاريع تطور نوعي يركز أيضاً على الكيفية والمخرجات الجيدة .

(٢) لقد زودني الأخوان الكريمان أ . د علي الكاملي، وكيل الجامعة للجودة والتطوير، والدكتور حسن حجاب الحازمي، وكيل الجامعة للشؤون الأكاديمية بإحصائيات وتفصيلات مطولة عن سير الجامعة منذ نشأتها حتى اليوم . ونأمل أن نخرج في المستقبل كتاباً مستقلاً عن تاريخ التعليم العام والعالي في منطقة جازان منذ عام (١٣٥٥هـ / ١٩٣٥م) حتى عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) .

(٣) لازالت أبنية الجامعة متناثرة في مدينة جازان، والعمل جارياً على استكمال المشاريع العمرانية للمدينة الجامعية . مشاهدات الباحث في تاريخ (٦.٥/٥/١٤٣٣هـ) .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) هذه الكليات كانت في السابق قبل عام (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) تتبع إدارياً جامعة الملك عبد العزيز . المصدر : معاصرة الباحث لتلك الفترة .

(٦) كانت هذه الكلية تتبع إدارياً جامعة الملك خالد في أبها قبل عام (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) . المصدر: معاصرة الباحث لتلك الفترة .

مثل: كلية المعلمين، وكلية التربية للبنات[١]. وتزايدت أعداداً الكليات في الجامعة حتى وصلت عام (١٤٣٢هـ/٢٠١١م) إلى (٢٦) كلية[٢].

٢. كليات جامعة جازان في النصف الأول من عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) هي: كلية الطب، وطب الأسنان، والصيدلة، والعلوم الطبية التطبيقية، والصحة العامة وطب المناطق الحارة، والتمريض والعلوم الصحية المساعدة، والهندسة، والتصاميم والعمارة، والحاسب الآلي ونظم المعلومات، والعلوم، والشريعة والقانون، وإدارة الأعمال، والآداب والعلوم الإنسانية، والتربية[٣]. والعلوم والآداب في سامطة، والعلوم والآداب في فرسان، والعلوم والآداب بمحافظة العارضة، والعلوم والآداب بمحافظة الدائر، والعلوم والآداب في الدرب[٤].

٣. عند زيارتنا للجامعة في شهر جمادى الأولى عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) والتقينا بمعالي مدير الجامعة أ. د. محمد بن علي آل هيازع، ووكلاء الجامعة آنذاك. أ. د. علي الكاملي، وكيل الجامعة للجودة والتطور، والدكتور محمد بن ربيع وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي، والدكتور حسن بن حجاب الحازمي، وكيل الجامعة للشؤون الأكاديمية[٥]. ويتبع تلك الإدارات العليا تسع عمادات مساندة هي: عمادة البحث العلمي، والدراسات العليا، والتطوير الأكاديمي، والسنة التحضيرية، والقبول والتسجيل، والتعليم الإلكتروني والتعليم عن بعد، وشؤون الطلاب، والمكتبات، وخدمة المجتمع والتعليم المستمر[٦].

---

(١) أنشئت كلية المعلمين في جازان عام (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م). وأنشئت كلية التربية للبنات عام (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

(٢) المصدر: تقرير وصلنا من الجامعة حديثاً عام (٣٢-١٤٣٣هـ) وقد أرسل إلينا من وكالة الجامعة للشؤون الأكاديمية.

(٣) جميع الكليات المذكورة توجد في مدينة جازان. وتم افتتاحها ما بين عام (١٤٢٥-١٤٣٢هـ/ ٢٠٠٤-٢٠١١م).

(٤) الكليات المفتوحة في المحافظات كانت بين عامي (١٤٣١-١٤٣٢هـ/٢٠١٠-٢٠١١م). وهناك العديد من كليات البنات في عموم المنطقة تم إعادة هيكلتها خلال السنوات الماضية المتأخرة. المصدر: تقرير وصلنا من وكالتي الجامعة للشؤون الأكاديمية، والجودة والتطوير الأكاديمي في أوائل شهر جمادى الأولى عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).

(٥) أشاروا أن الجامعة لها أربع وكالات، وعند زيارتها في (١٤٣٣/٥/٩هـ) لم نجد إلا الثلاث المذكورة أعلاه. وربما يكون هناك وكالة قادمة، ولا نعرف عنها شيئاً.

(٦) المصدر: ما سمعه الباحث من بعض مسؤولي الجامعة، وما قرأه في التقرير الذي وصله من وكالتي الجامعة للشؤون الأكاديمية، والجودة والتطوير الأكاديمي.

٤. يدرس في الجامعة أثناء زيارتنا لها (٤٦٨٧٣) طالباً وطالبة، منهم (٤١٧٥١) طالباً وطالبة منتظمون في الجامعة، وعدد الذكور منهم (١٧٧٧٤) طالباً، و(٢٣٩٧٧) طالبة . وهناك (٥١٢٢) طالباً وطالبة من المجموع الكلي يدرسون في كليات المجتمع، وخدمة المجتمع والتعليم المستمر، والانتساب، والتعليم عن بعد[١] .

٥. إدارة الجامعة وعدد من الكليات والعمادات المساندة يعملون جميعاً في عمائر متجاورة في شمال المدينة، وعند السؤال عن تلك الأبنية ذكروا لنا أنها مستأجرة من بعض التجار المستثمرين[٢] .
أما المدينة الجامعية فقد خصصت لها مساحة (٩,٠٠٠,٠٠٠م^2) على ساحل البحر الأحمر شمال مدينة جازان، ووضع حجر أساسها خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود في (١٤/١٠/١٤٢٧هـ الموافق ١٥/١١/٢٠٠٦م)، وحتى الآن اكتملت بعض مشاريعها العمرانية، وهناك مشاريع أخرى في طريقها للانتهاء [٣] .

٦. عند تصفح التقرير الذي وصلنا من وكالات الجامعة اتضح لنا وجود عدد من المراكز والمعاهد البحثية، ومئات البحوث والندوات التي قدمها أعضاء هيئة التدريس بالجامعة خلال تاريخها القصير. وهناك عشرات المبتعثين إلى خارج المملكة لدراسة درجتي الماجستير والدكتوراة . كما أن عدد المقبولين حتى عام (١٤٣٢.٣١هـ) وصلوا عشرات الآلاف [٤]. كذلك تخرج في الجامعة حتى عام (١٤٣٢هـ) آلاف الطلاب [٥].

---

(١) هذه الإحصائيات وصلتنا عن طريق وكالة الجامعة للشؤون الاكاديمية في (٨/٥/١٤٣٣هـ).

(٢) هناك عمائر أخرى متفرقة في مدينة جازان وبها بعض الإدارات الأكاديمية والكليات العلمية .أما الإدارة الرئيسة للشؤون الإدارية والمالية فهي في نفس العمارة التي يعمل فيها مدير الجامعة ووكلاؤه . مشاهدات الباحث في (٨/٥/١٤٣٣هـ) .

(٣) ذهب الباحث إلى نفس المدينة الجامعية يومي الأربعاء والخميس (٥ـ٦/٥/١٤٣٣هـ) ، وشاهد عدداً من الكليات على وشك الانتهاء، وطلاب السنة التحضيرية أصبحوا يدرسون في المدينة نفسها، ومشاريع أخرى كثيرة للكليات، والعمادات، وإدارة الجامعة، والمستشفى الجامعي وغيرها سوف تكون جاهزة في غضون عام أو عامين من وقت زيارتنا .

(٤) في أحد إحصائيات التقرير الذي وصلنا، نجد أن المقبولين في الجامعة عام (١٤٣٢.٣١هـ) كانوا (١٠٦٥٢) طالباً وطالبة . ونأمل أن يخرج من جامعة جازان من يرصد تاريخ التعليم العام والعالي في منطقة جازان منذ عام (١٣٥٥ـ١٤٣٣هـ/١٩٣٥ـ٢٠١٢م) ، وهذا الموضوع جدير بالبحث والدراسة .

(٥) هناك إحصائية أخرى تشير إلى أن خريجي الجامعة عام (١٤٣٢.٣١هـ) كانوا (٥٥٥٥) طالباً وطالبة.

٧. إذا نظرنا في أنشطة الجامعة الأخرى من ندوات محلية وإقليمية وعالمية، وإسهامات الجامعة في خدمة المجتمع، وكيفية المختبرات العلمية، والمكتبة المركزيـة والمكتبـات الأخـرى في أنحـاء المنطقـة، والنشاطـات الثقافية والرياضية والاجتماعية فإننا نجد إنجازات مباركة وعمل دءوب من قبل القائمين على الجامعة. ونأمل أن نرى هذه الجامعة قريباً مكتملة في جميع مشاريعها العمرانية والإداريـة والعلمية والأكاديمية . ومما يبشر بالخير أنهـا في سنوات قليلة ومحدودة استطاعت أن تواكب التطور والتنمية التي تمر بها المملكة العربية السعودية[١] .

وللجامعة نشاطات وآثار إيجابية كثيرة، يصعب أن نذكرها في هذا القسم المحدود بصفحات محـدودة[٢] . لكن نذكر بعضها مثل: استيعاب أكبر عدد من أبناء المنطقة عندما فتحت لهم عدد من الكليات المختلفة في أهدافها وتخصصاتها، ووفرت عليهم مشقـة العناء والسفـر إلى مناطق أخرى في أنحاء المملكـة [٣] . وللجامعة جهود تذكر فتشكر حيث عقدت العديد من الاتفاقيات مع القطاع الخاص في المنطقة أو في المملكة من أجل التنمية والتطوير المحلي في مجالات عديدة . وجلبت العديد من الإخصائيين والاستشاريـين والمتخصصـين في علـوم ومجـالات أكاديميـة متعـددة . وبعض هذه الكفاءات المجلوبة من السعوديين أنفسهم، وأعداد غير قليلة من خارج البلاد[٤] . كما قامـت الجامعة في السنوات القريبة الماضية باستضافة العديد من الفعاليات المحلية والإقليمية والدولية مثل: إقامة العديد من الندوات المختلفة لخدمة المجتمع، ومعارض الكتاب، وندوات علمية تخصصية في بعض التخصصات العلمية الأكاديمية[٥] .

---

(١) منطقة جازان تسير في اتجاه تنموي حضاري جيد، وذلك بفضل الله عز وجل ثم بفضل الحكومة السعودية المباركة ممثلة في خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود (وفقه الله)

(٢) تاريخ الجامعة واسع وكبير ويستحق أن يفرد له دراسة علمية أكاديمية موثقة، وهو موضوع جدير بذلك .

(٣) عاصرنـا وشاهدنا المشقة والمعاناة التـي كان يعانيها طلاب جازان عندما كانوا يدرسون في فرعي جامعة الملك سعود والإمام محمد بن سعود في أبها من عام (١٣٩٦-١٤٢٠هـ / ١٩٧٦-٢٠٠٠م) . مشاهدة الباحث لهذه الحقبة طالباً وأستاذاً في فرع جامعة الملك سعود، ثم جامعة الملك خالد في أبها .

(٤) لقـد استقطبـت جامعة جـازان عدداً غير قليل مـن الأكاديميين في المملكة، وجامعة الملـك خالد من أكثر الجامعـات التي فرطت في أعضائها، فذهـب كثير منهم إلى جامعة جازان . وبعضهم الآن يشغل مناصب قيادية في الجامعة .

(٥) دراسـة تاريخ الجامعة خلال السنوات الماضية جديـر بالدراسة والتوثيق . ونأمل أن تقوم الجامعة نفسها بإنشاء مراكز علمية بحثية تهتم بمثل هذا الجانب المعرفي وما شابهه .

٢ـ الثقافة والفكر:

تحتضن جازان عشرات المثقفين والأدباء، والكتاب، والعلماء فهناك الكثير من الشعراء الذين تتراوح أعمارهم بين (١٥-٨٠) عاماً، وهناك الأدباء وأصحاب المؤلفات في الرواية والقصة والدراسات الأدبية والتاريخية والعلوم الإنسانية بشكل عام[١]. ويوجد هناك عشرات الدعاة، والعاملين في حلقات تحفيظ القرآن الكريم، وتقديم الدروس العلمية الشرعية والخطب في المساجد. وفي الجامعة أعداد غير قليلة من الجازانيين، وهم المتخصصون في أصعب العلوم العلمية وأدقها، بل تجد بعضهم حصلوا على جوائز وبراءات اختراعات في مجال تخصصاتهم[٢]. وفي كليات العلوم النظرية في الجامعة، ومن الدعاة والمشايخ الشرعيين في المنطقة متخصصون مبدعون مفكرون في مجالات أكاديمية وعلمية متعددة[٣].

ومن خلال استقرائي تاريخ نادي جازان الأدبي، اتضح لي أن هذا النادي منارة مشرقة في جازان عندما كان يقوم على إدارة دفته علماء أصحاب فكر وأدب وثقافة مثل: السنوسي، والعقيلي، والشريف علي أبو طالب آل خيرات، وإبراهيم مفتاح، وصيقل، والحازمي، والبهكلي وغيرهم[٤]. وهكذا استمر عقوداً عديدة يؤدي رسالته الثقافية والعلمية والأدبية. ونأمل من أرباب القلم، ومن المؤلفين المنصفين أن يدرسوا تاريخ هذا النادي وما قدم من جهود تذكر فتشكر، وما هي

---

(١) عرفت ذلك من خلال زيارة مكتبات الجامعة والنادي الأدبي، ومن خلال زيارة بعض الأدباء، والدعاة، والمثقفين، وأساتذة الجامعة الأكاديميين، في مدينة جازان وبعض المحافظات الأخرى من المنطقة.

(٢) البعض من هؤلاء يعمل في أقسام وكليات جامعة جازان، وآخرون من الجازانيين أيضاً لكنهم يعلمون في جامعات وكليات علمية أخرى في أنحاء المملكة.

(٣) في العشرة الأيام التي قضيتها في منطقة جازان، خرجت فعلاً مشدوهاً بما تمتلكه جازان من رجال متنوعين في علومهم وثقافتهم وأدبهم وفكرهم. نعم إنني أعلم منذ زمن أن جازان أرض فكر وثقافة، لكن لم أكن أدرك هذه الكثرة والتنوع في مجالات ثقافية وعلمية متعددة المجالات والرؤى والأهداف. إنني من على صفحات هذا السفر أنادي الجازانيين أنفسهم للعمل بجد واجتهاد على توثيق ما تزخر به بلادهم من حراك علمي وأدبي وثقافي، ويعملوا أيضاً على اطلاع الآخر الذي يعيش خارج منطقتهم على ما تحويه بلادهم ومجتمعهم من غنى عقلي علمي فكري ثقافي. المصدر: مشاهدات الباحث في جازان أثناء جمع مادة هذا القسم.

(٤) المجال محدود في هذا القسم لذكر كل من تولى أمر النادي وأدى رسالته، ونأمل من نادي جازان الأدبي أن يدرس تاريخ هذا النادي منذ نشأته حتى الآن.

النتائج والآثار الإيجابية لهذه المؤسسة الثقافية على المجتمع الجازاني، وبخاصة في العقدين أو الثلاثة الأولى من عمره(١).

نأمل من القائمين على نادي جازان اليوم أن يواصلوا طريق الجد والاجتهاد والإبداع الذي سلكه أسلافهم. كما نرجو أن يستشعروا ما يجب على النادي من واجبات تجاه رجال ونساء المنطقة الجازانية الغنية بخيراتها الطبيعية، والغنية بعقول أهلها الفكرية والأدبية والثقافية، وإن فعلوا ذلك، فالسفينة سوف تواصل سيرها - بإذن الله تعالى - لتحقيق إنجازات وإبداعات جديدة (٢).

٣- جوانب أخرى:

تنوع تضاريس منطقة جازان أوجد تعدد اللهجات الدارجة، وقد شاهدنا اللهجة في فيفا وبني مالك تختلف عن المناطق الأخرى في جازان فمثلاً كلمات: هشت: أي رحت، وهاس: ذهب، قمرة: حجر، الله يقبلس، أو يقبلج: أي الله يقبلك، وكأنهم يقولون أهلا وسهلاً. الهجن: الشباك (٣). وفي بعض الأجزاء السهلية يقولون: ميدك: أريدك، أو تعال. حليفي: أي صديقي، تعالى حولي: أي بجانبي. فرعني: ابتعد عني، مدرسة أمصبايا: مدرسة البنات، أمحطاط: صغار السن، ضاحي: جائع، زل: أي أدخل، أو تقدم(٤).

---

(١) ليس نادي جازان فحسب وإنما جميع نوادي المملكة العربية السعودية في العقود الأولى من عمرها. وهذه النوادي الأدبية يجب أن تدرس فترات حراكها الثقافي والفكري والأدبي منذ نشأتها إلى منتصف العشرينيات من هذا القرن. وتلك فترة مهمة جداً للدراسة. ويجب على الأقسام التاريخية والأدبية واللغوية والثقافية والاجتماعية والتربوية في جامعاتنا السعودية أن توجه رسائل طلابها للدراسات العليا إلى دراسة وتحليل تاريخ هذه النوادي في تلك الفترات. ومن يفعل ذلك بجدية وإنصاف فإنه سوف يضيف إلى المجتمع السعودي، وإلى المكتبة العربية والإسلامية مادة علمية مهمة وقيمة.

(٢) من يتابع في السنوات الأخيرة أداء النوادي الأدبية في أنحاء المملكة العربية السعودية يجده تراجع عما كان عليه في السابق. ويجب على المسؤولين في وزارة الثقافة، وعلى الأدباء والمثقفين والمبدعين في كل مكان وفي كل منطقة أن يتلمسوا مواطن الضعف والخلل، ثم يعملوا على علاجها حتى تعود هذه المؤسسات الثقافية إلى سابق عهدها، أو إلى أفضل مما كانت عليه، وذلك ليس عسيراً على كل من يسعى إلى رفعة وطنه وخدمة الفكر والعلم والثقافة.

(٣) لهجات أهل فيفا تكاد تكون مميزة مختلفة عن عموم لهجات منطقة جازان، وهي صعبة في مفرداتها، وتختلف في معانيها عن المفردات في السهول والساحل. وهي جديرة بالدراسات العلمية الأكاديمية من أقسام اللغة العربية في جامعات جازان وغيرها من الجامعات المحلية الجنوبية.

(٤) دراسة لهجات منطقة جازان في السهول والساحل تستحق الخدمة والعناية الأكاديمية من أقسام اللغة العربية في الجامعات السعودية.

في السهـول من بلدة الظبيـة ومدينة صبيا تجاه الشمـال إلى الدرب والشقيق يستخدمـون حرف الألف واللام في أول الكلمة، مثـل: الرجال، والسيارة، والسوق، والحديـد . ومن مدينـة صبيا نحو الجنـوب إلى الموسم والخوبـة يستبدلون الألف واللام بحرفي الألف والميم مثل: الرجال: أم رجال[١]، والسيارة: أم سيارة، والسوق: أم سوق، والحديد: أم حديد[٢]. وفي عموم المنطقة عبارة : السلام عليكم، تقال في بعض الأوقات، السلام عليكن، للجماعة، والنون تكون ساكنة[٣].

يوجـد أيضـاً في أنحـاء المنطقـة الكثير مـن الأمثـال والقصص الشعبيـة، والأحاجـي، والحكـم والألغـاز . وهـذه المعـارف تتواجد بشـكل كبـير في السهول والساحـل، ولا تخلو المرتفعات من هـذه الفنون الأدبية المتنوعة والمختلفة عما يوجد في الساحلوالسهول[٤]..

سادسا : نتائج وأقتراحات وتوصيات :

١. بـلاد جازان غنيـة بخيراتها، متنوعـة في موروثها وتاريخهـا وحضارتها . والذي أشرنا إليه في هذا القسم أكبر دليل على عمقها التاريخي، واتصال حاضرهـا بماضيها، وهي ميدان واسع لشتى الدراسات النظرية والعلمية. ونأمـل أن نـرى جامعة جـازان تقـوم بمسؤولياتها على خـير وجه، فتوجه مراكزهـا وأقسامها العلمية إلى خدمة أرض وإنسان هذه البلاد التهامية الواعدة.

٢. إعـادة النظر في مشكلة القات الذي يمثل عائقاً اقتصادياً للفرد والمجتمع، والقيـام بدراسات اجتماعية ونفسيـة واقتصادية وإدارية مع وضع الحلول الناجعة للتخلص من هذه الآفة وتوفير اقتصاد جيد ونظيف لأهل المنطقة.

---

(١) أم رجـال، تكتـب أيضاً : أمرجال . وإذا أراد المتكلم أن يثني على الرجال فيقول : رجال بدون حرفي الألف والميم .

(٢) دراسة اللهجات في عموم منطقة جازان موضوع جدير بالاهتمام .

(٣) مشاهدات الباحث في مدينة جازان، وفي مركز وادي جازان وفي العارضة في (١٤٣٣/٥/٣٠هـ) .

(٤) هذه المجالات غنية بالتراث الثقافي والأدبي . وهي من المصادر المهمة والرئيسة لدراسة التاريخ الحضاري الجـازاني . ونأمل أن يتجـه لدراستها بعض الأكاديميـين والمتخصصين في علوم اللغـة والأدب . بجامعة جـازان . ودراسات مثل هـذه الموضوعات يعد من الخدمات الاجتماعيـة والثقافية التي يستحقها المجتمع الجازاني .

٣. الاهتمام بالبنية التحتية على شواطئ البحر، وتوفير كل ما يحتاجه السائح من فنادق وشقق مفروشة . ورفع عدد العَبَّارات التي تسير ما بين مدينة جازان وفرسان، وبخاصة في مهرجان موسم الحريد الذي يقام في فرسان في منتصف كل عام، وهذا مما يساعد في القضاء على الازدحام الذي يقع للمسافرين والسائحين والتجار الذاهبين إلى جزر فرسان .

٤. تكاتف المجتمع والمسؤولين في القضاء أو التقليص لظاهرتي التسلل والتهريب . كما يجب على كل مواطن أن يمتنع عن تأجير المتسللين المجهولين الذين تراهم يعملون في معظم أجزاء المنطقة . ويجب أيضاً على المؤسسات الإدارية المسؤولة عن استقدام العمالة النظامية أن تسهل الإجراءات اللازمة حتى يستطيع المواطن الاستقدام بطرق رسمية ونظامية.

٥. جازان ذات موقع استراتيجي مهم، ويجب توسيع مطارها وميناثها وتوفير جميع الخدمات اللازمة بهما . وهذا مما يساعد على زيادة تقدم المنطقة وتطورها .

٦. نسبة كبيرة من أبناء منطقة جازان ومن ذوي الشأن الاجتماعي والتأثير يعملون خارج المنطقة . ويجب عليهم أن يكونوا على تواصل مستمر بمنطقتهم مع الحرص على تقديم كل ما يصب في مصلحة وتطوير بلادهم وأهلهم وذويهم . كما أن المنطقة نفسها تزخر أيضاً بإعداد غير قليلة من أصحاب الفكر والثقافة، والمراكز والمحاضن التي تخدم مثل هؤلاء قليلة وأحياناً معدومة. ويجب على الوزارات المعنية بالنشاطات الثقافية والفكرية والتعليمية أن تنشئ وتشجع كل ما يخدم الحياة العلمية والثقافية والفكرية . وعلى جامعة جازان مسؤولية كبيرة في رعاية ودعم المراكز الأدبية والعلمية والثقافية والبحثية في المنطقة، كما يجب أن تتبنى مجالات ومشاريع نوعية تميزها عن غيرها مثل: اعتماد كراسي بحثية متنوعة ومميزة في العديد من التخصصات العلمية والنظرية . ويجب على الجامعة أيضاً إنشاء كلية للزراعة ومراكز بحثية زراعية كون المنطقة تتمتع بمقومات زراعية عديدة.

٧. الاهتمام بالمناطق الأثرية والتراثية في المنطقة مثل: قرية المنارة الأثرية في وادي جازان، والجامع الأثري بقرية الريان، وبعض الحصون والقلاع الموجودة في عدد من المدن والقرى الجازانية، كما يجب إنشاء متحف كبير يحتوي على نماذج من موروثات المنطقة الأثرية، ويجب أن يكون في هذا المتحف بعض النماذج من المخطوطات والوثائق والعملات التي عرفتها منطقة جازان عبر عصور التاريخ .

٨. يجب على الجامعة والمؤسسات الإدارية الأخرى أن توجه بعض اهتماماتها التنموية إلى الأرياف والبوادي، والمناطق الحدودية مع اليمن وتنشئ بها فروع للجامعة ومؤسسات تعليمية وخدماتية . وهذا مما يساعد في نمو وتطور المنطقة ثقافياً وتنموياً . كما يجب على التجار والدولة معاً أن يدعموا ويشجعوا زيادة الأسواق الكبيرة في جميع محافظات المنطقة.

٩. إيجاد بعض المصانع المحلية الضرورية مثل: صوامع الغلال، وثلاجات كبيرة لتبريد الأطعمة والفواكه والخضروات . كما أن المنطقة تحتاج إلى كلية أو قسم أكاديمي لعلوم البيطرة الحيوانية والطيور .

١٠. يجب على فرع وزارة الزراعة والبلديات والمؤسسات المهتمة بالبيئة أن تحرص على حماية غابات المنطقة من الاعتداء البشري . كما يجب عليها أيضاً أن تضاعف من زراعة وحماية الأماكن السياحية مثل: شواطئ البحر، والحدائق، والمتنزهات المختلفة .

١١. كون محافظات وأرياف جازان قادمة على تنمية جيدة، فهي الأخرى بحاجة إلى مخططات سكنية منظمة وقائمة على أسس هندسية وحضرية جيدة . ويجب على أمانة المنطقة الانتباه لمثل هذا الجانب، والتخطيط له على المدى القصير والطويل.

١٢. وعلى المستوى الاجتماعي نلاحظ تزايد زواج السعوديين في جازان وغيرها من النساء اليمنيات اللاتي يسكن بعضهن في جازان . ويجب الحد من هذه الظاهرة التي قد ينتج عنها مشاكل مستقبلية وبخاصة ممن عندهم

أطفال من هذه الزيجات. ثم إن هذه الظاهرة أيضاً أثرت على تزايد العنوسة في المجتمع الجازاني وغيره[١].

١٣. من خلال تجوالنا في عموم المنطقة لاحظنا عدد من المشاريع العمرانية الحكومية المتعثرة، ويجب على أصحاب الاختصاص من الشركات والمؤسسات والمسؤولين أن يتكاتفوا جميعاً على إنجاز مثل هذه المشروعات التنموية . كما يجب عليهم أيضاً أن يراقبوا الله فيما أوكل إليهم من واجب ومسؤوليات .

١٤. السياحة مهمة في منطقة جازان، ومن أهم الأماكن السياحية: وادي لجب، وجبال سلا ، والحشر ، وخاشر ، والعبادل، وقيس، وفيفا ، والجبل الأسود. وفي مناطق الأودية والعيون، بالإضافة إلى شواطئ البحر . وهي تحتاج إلى طرق آمنة وواسعة وخاصة مناطق الجبال، وبعضها يحتاج إلى(تلفريك) كي يربط المرتفعات بالهضاب والسهول. وتحتاج أيضاً إلى جميع الخدمات مثل: الفنادق، والشقق المفروشة، والحمامات، والملاهي، والأماكن التجارية وغيرها[٢].

---

(١) نسبة العنوسة أصبحت عالية في المملكة العربية السعودية، بسبب غلاء المهور، وعدم حصول الشباب على وظائف، وشروط تُطلب من أسر الفتيات، أو من الفتيات أنفسهن، أو من الشباب، أو الزواج من الأجنبيات، أو مواصلة التعليم للبنات وغيرها من الأسباب التي ساعدت في ارتفاع أعداد العوانس في البلاد . كما أن العنوسة أيضاً انتشرت مؤخراً بين مجتمع الرجال . وهذه الظاهرة جديرة بالبحث والدراسة . ويجب على الجامعات المحلية أن تنشئ أقساماً للاجتماع وخدمة المجتمع حتى تتمكن من دراسة مثل هذه الظواهر وإيجاد الحلول المناسبة لها .

(٢) لقد زرنا بعض من هذه الأماكن السياحية، وهي على قدر عالٍ من الجمال الطبيعي، لكنها لا زالت تفتقد إلى معظم الخدمات التي يحتاجها السائحون . وإذا خدمت تنموياً فسوف تمثل استقطاباً سياحياً واقتصادياً جيداً . ونأمل أن نراها قريباً في وضع تنموي حضاري راق .

٤- منطقة الباحة (غامد وزهران) كما سمعت عنها وشاهدتها(*)

(*) نُشر في كتاب :
القول المكتوب في تاريخ الجنوب
ط١ : ١٤١٤هـ ، الرياض ، مطابع الحميضي ، ج٥ ، ص ص ١٥٩ - ٢٦٤

منطقة الباحة (غامد وزهران) كما سمعت عنها وشاهدتها (٢٩/١١- ٩/١٢/١٤٣٣هـ/١٥ - ٢٥/١٠/٢٠١٢)

أولاً : مدخل :

منطقة الباحة تقع بين مناطق المملكة الرئيسة الوسطى وعسير من الشرق والجنوب[١]، ومكة المكرمة من الشمال والغرب[٢]. وتشمل تضاريسها أجزاء تهامة والأصدار من الغرب، والسروات في الوسط، والبوادي في الشرق[٣]. وهي واحدة من مناطق المملكة الرئيسة[٤]. وفي هذا القسم لن ندرس منطقة الباحة دراسة توثيقية تعتمد على الوثائق والمصادر والكتب المطبوعة، فهذا منهج سلكناه في أقسام أخرى من هذا السفر[٥]، وقد نفرد دراسة مستقلة في المستقبل نؤرخ فيها لهذه المنطقة منذ فجر الإسلام إلى عصرنا الحديث[٦]، والذي سوف ندونه هو ما سمعناه وشاهدناه في هذه البلاد الغامدية والزهرانية. ولن نسلك مسلك الرحالة السابقين الذين ساروا في مناكب الأرض ورصدوا تحركاتهم ومشاهداتهم ساعة بساعة ويوماً بيوم وشهراً بشهر[٧]، وإنما سرنا وتجولنا في أرجاء هذه المنطقة الجنوبية، وجمعنا ما استطعنا جمعه، مستعينين بالعديد من الأساتذة الكرام في البلاد الباحوية[٨]، ثم دونا مادتنا المجموعة في محاور رئيسة، مع الحرص على

---

(١) تحدها بلاد خثعم وما جاورها من الجنوب، وقبائل سبيع والبقوم من الشرق. وتحدها العديد من محافظات ومراكز منطقة مكة المكرمة من الشرق وتحدها العديد من محافظات ومراكز منطقة مكة المكرمة من الشمال والغرب. مشاهدات الباحث خلال شهر ذي الحجة عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) تجول الباحث في أرجاء هذه المنطقة في نهاية عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).

(٤) منطقة الباحة من مناطق الجنوب الرئيسة مثل: عسير، وجازان، ونجران. بالإضافة إلى مناطق المملكة العربية السعودية: الوسطى، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة، والمنطقة الشرقية، والقصيم، والجوف، وتبوك، وحائل، والحدود الشمالية. للمزيد من التفصيلات عن هذه المناطق انظر سجلات وتقارير وزارة الداخلية، والتقارير والكتيبات الصادرة من كل إمارة رئيسة في هذه المناطق.

(٥) انظر مثلاً القسم الأول من هذا الكتاب.

(٦) سبق وأن أخرجنا دراسة عن الباحة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة. انظر: ابن جريس، دراسات في تاريخ تهامة والسراة (ق١ـ ق١٠هـ/ق٧ق١٦م)، ج٢، ص١٣٣ وما بعدها. وقد نخرج دراسة موسعة في كتاب مستقل عن هذه البلاد خلال العصر الإسلامي المبكر والوسيط، وهي فعلاً تستحق أن يصدر عنها دراسات أكاديمية عديدة.

(٧) من ينظر في كتب الرحالين المسلمين وغير المسلمين يجدهم يتحدثون عن المواقع حسب سيرهم الجغرافي والزمني، فعندما ينزل الواحد في مكان ما يذكر وقت نزوله، ثم يشرح ما رآه وشاهده، ثم ينتقل إلى مكان آخر، وهكذا يسير على نفس المنهج.

(٨) في الأسبوع الأخير من شهر ذي القعدة عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) خاطبنا الأستاذ الكريم حسن بن محمد الزهراني، رئيس نادي الباحة الأدبي، وأبدينا له ولأعضاء مجلس إدارة النادي رغبتنا في زيارة منطقة

وحـدة الموضوع دون أن نذكـر الساعة أو اليوم الذي زرنا فيـه كل ناحية، وإنما اكتفينـا في الحاشيـة السابقـة بذكر التاريخ الذي مكثناه في بـلاد الباحة أثناء جمـع مروياتنا ومشاهداتنا، وقـد يتخلل هذا القسم النقـص والقصور، ونأمل أن نـورد ما يفيـد وينفع، كما نأمل أن يظهـر في المستقبل مـن يصحح ما وقعنا فيـه مـن أخطاء غـير مقصودة، أو يستكمـل ما لم نستطـع تدوينه. (والله من وراء القصـد).

ثانيا : الوضع الجغرافي والسكاني :

أ ـ الجانب الجغرافي :

تنقلنا في أرجاء منطقة الباحة بدءاً من مركز شرى جنوب المنطقة حتى مدينة بلجرشـي ومـا جاورها من أحياء[1]، ثـم سرنا في جنبات وضواحـي المدينة، وزرنا بعضـ مراكز محافظة بلجرشي مثـل: مركز بالشهم، ومركز جـرد[2] . ثم انتقلنا مـن حاضرة بلجرشي إلى بوادي غامد التي تمتـد من شرق مدينة بلجرشي مروراً بمركـز جـرد حتى شرق وادي العقيـق في غامد، ووادي بيدة في زهـران، بل وصلنا

الباحـة وجمع مادتنا لهـذا القسم، وتجاوب مشكوراً هو ومجلس إدارة ناديـه على استضافتنا عشرة أيام مـن (١١/٢٩/ ـ ١٢/٩/١٤٣٣هـ)، وقـد وصلت إلى مدينة الباحة يوم الثلاثاء الموافق (١٤٣٣/١١/٢٩هـ / ٢٠١٢/١٠/١٥م)، وقابلنـي ممثـل النـادي الأستـاذ عبد الله بـن سعيد بن ناصـر الغامدي وسهل لي أمـر السكـن، وبـدأت اتصل بشكـل ودي وشخصي ببعض مثقفـي المنطقة، فوجدت العديـد من الإخوان والأصدقـاء الذيـن قدموا لنا يد العـون وتنقل معنا بعضهـم في أرجاء المنطقة، وبعضهـم استضافني في منزلـه، وآخـرون رتبـوا لي زيارة بعض الأعـلام والمواضع في أنحـاء البلاد . ومن باب ذكـر أهل الفضل بفضلهـم فإنني أشكرهم وأذكرهم، وهم على النحو التالي : الدكتور جمعان عبد الكريم عطية الغامدي، والدكتـور علي بـن عثمان الزنـدي، والدكتور محمد بن جمعان بـن دادة الغامدي، والدكتـور عوض علي السبـالي الزهراني، والأساتذة الكرام : عبد الله محمد الدربـي، ومحمد فرحة شاهر الغامدي، وموسى أحمد محمد العبدلي، ومنصور محمد عبد الله موالا، ومحمد سعيد موالا، ومحمد سعيد رمزي الغامدي، وعلي فيصـل عبد الرحمن الزهراني، وأحمد عبد الكريم عطية الغامدي، وعلي محمد صالح الزهراني، وحسـن عبد الكريم عطية الغامدي، وجمعان غـرم الله آل موسى الغامدي، وخالد محمد كرت الغامدي، وعلي محمد سعيد آل مسعود الزهراني .

(١) وادي شـرى ومـا يوجد به من عشائـر وقرى يقع إلى الشمال من قبائل خثعـم وعليان وشمران، وكان يتبع إداريـاً إمارة منطقة عسير، وفي عام (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) صار تابعاً لإمارة منطقة الباحة ويسكنه قبائل بني ميمون وعشائر أخرى . مشاهدات الباحث في شهر ذي الحجة عام(١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) .

(٢) محافظـة بلجرشـي مدينـة رئيسة في منطقة الباحـة وكانت الإمـارة الرئيسة فيها في العقـود الأولى من النصـف الثـاني للقرن الهجري المـاضـي، ويتبع لها العديد من المراكز مثل: بالشهـم، وبني كبير، وشرى، وجـرد وغيرهـا . وهي المدينـة الثانية تنمويـاً وحضارياً بعد مدينـة الباحة . مشاهـدات الباحث في عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) .

إلى أطـراف غامد وزهــران الشرقية قريباً من بلاد سبيــع والبقوم.[(١)] وذهبنا في جولاتنا السروية شمالاً إلى بلاد بني كبير وبني ظبيان وبني عبد الله وبني خثيم في مدينة الباحة وما جاورها من المراكز والنواحي، ثم سرنا إلى قرية بني سار في بني عامــر من زهران، ودخلنا إلى وادي بيدة الذي يتجه من سروات زهران شمالاً إلى وادي تربـة، وشاهدنـا محافظة القرى وما يوجد بها مـن معالم جغرافية، واتجهنا شمالاً حتى رأس جبل شمرخ، ثم سرنا نحو الشمال الغربي مروراً بعقبة ذلاله التي أخذتنـا إلى بلاد دوس، وواصلنا السير من هنــاك إلى بلاد بني حسن الزهرانية، وبلاد بالحكم وبلخزمر مروراً بمحافظة المندق، وهذه البلاد يعبرها طريق الباحة الطائـف السياحـي، ثم تجولنا أخـيراً في مدينة الباحة وقراهــا وضواحيها،[(٢)] ثم نزلنا إلى الأجـزاء التهامية سالكين عقبة الباحة المخواة[(٣)] . وتوقفنا في قرية ذات عــين الواقعة في أسفل تلك العقبة[(٤)]، وعند وصولنا إلى المخواة تجولنا في أرجائها، ثـم اتجهنا شمالاً إلى محافظة قلـوة الزهرانية، ووصلنا إلى قرية الخُلف والخليف الأثريـة، وواصلنا السير حتى بلدة الشعراء ثـم محافظة الحجرة في أقصى تهامة زهــران من الشمــال، وعند عودتنا مررنا على أسفل جبل شـدا الأعلى والأسفل[(٥)].

(١) مـن خـلال جولتنا اتضـح لنا أن بلاد غامد السـراة والبادية أوسـع أرضاً وأكثر سكانــاً من بلاد زهران السراة . ثم إن قبيلة غامد لها سروات وبواد وأجزاء تهامية، في حين أن زهران ليس بها بواد، ومساحتها أصغـر مـن غامد في السراة، لكـن أرضها ومستوطناتهـا في تهامة أوسع أرضاً وأكـثر سكاناً . مشاهدات الباحث عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) . .

(٢) قضينا خمسة أيام في التنقل في هذه الأجزاء السروية والبوادي، وجميع هذه البلاد التي مررنا بها غامدية وزهرانية، ومركزها إمارة الباحة، ويوجد بها العديد من المحافظات والمراكز التابعة للإمارة، ناهيك عن مئات المدن والقرى . أما العشائر والأفخاذ فهي أيضاً تدخل في خانة المئات أيضاً . وهناك عشرات الكتب المطبوعـة والمنشـورة التي تحدثت عـن أسماء وقرى وعشائـر وقبائل هذه البلاد . وكثـير من هذه الكتب تحتاج إلى دراسة وتحليل لما يوجد فيها من الخلط وعدم الدقة في رصد كثير من المعلومات.

(٣) المخواة : أكبر محافظة تهامية تتبع إمارة منطقة الباحة، وسكانها الرئيسيين قبيلة بني عمر. وهذه القبيلة تدعي أنها قبيلة مستقلة عن غامد وزهران، وهناك من يقول أنها تابعة نسبياً وقبلياً لقبيلة زهران . وهذا الموضـوع يحتـاج إلى دراسة علمية أكاديمية قائمة على وثائق ومصـادر موثوقة، ونأمل أن يظهر من أبناء هذه البلاد من يتولى هذا الموضوع بالبحث والدراسة .

(٤) قريـة ذي عين : سميت بهذا الاسم نسبـة إلى العين الجارية فيها، وهي قرية أثرية يعود سكانها إلى قبيلة بني عمر وقد هُجرت، وتتكون منازلها من دور إلى أربعة وخمسة أدوار، وتعد معلماً حضارياً هاماً تستحق الصيانـة والاعتنـاء من قبـل الجهات المسؤولـة في إمارة الباحـة أو في الدولة. وقد شاهدنـا إقامة بعض المنشـآت القليلة والضئيلة من قبل الهيئة العليـا للسياحة، وتحتاج إلى جهود وإنفاق أكبر من أجل حفظها من الخراب والاندثار الظاهر عليها .

(٥) لم نصعد إلى رأس هذين الجبلين . ونأمل أن نزوره مره أخرى ونجري حوله بعض الدراسات مع أنه ذُكر لنا أن معظم أهله نزلوا إلى السهول ولم يبق في أعلاها شيء كبير من الحياة السكانية .

ثـم اتجهنـا إلى وادي نيرا، ومن هناك ذهبنا إلى بـلاد غامد الزناد وجنوب تهامة غامـد[١]، وأخيراً واصلنا السير في الجهة الشمالية الغربية حتى وصلنا إلى أجزاء مـن وادي الأحسبـة، وناحية نـاوان الزهرانيـة[٢]، وعند الانتهاء مـن هذه الجولة التهاميـة عدنا للإقامة في مدينة الباحة من أجل جمع وتصنيف وترتيب مادة هذه الرحلة السروية والتهامية في منطقة الباحة.[٣]

من خلال هـذه الرحلة استطعنا أن نخرج في باب الجغرافيا بالعديد من الحقائق والمدونات والمشاهدات التي نذكر أهمها في النقاط التالية :

أ - تتنوع تضاريس بلاد الباحة، فقد جمعت بين البادية، والسراة، والأجزاء التهامية. ونلحظ في القديم والحديث أن معظم مواطن الاستيطان كانت في أرض السراة، وفي الأجـزاء التهاميـة . وقـد شاهدنا مئـات القرى القديمـة المندثرة في هاتين الناحيتـين، أمـا البادية فلـم تكن خالية من السـكان، إلا أنهم كانـوا في السابق مـن البدو الرحل الذين يذهبون وراء مواشيهـم بحثاً عن الماء والمرعى، ونشاهد اليـوم أن أماكن الاستيطان الحديثـة حلت قريباً من الأماكـن القديمة، إلا أنها أكـثر اتساعاً وتنظيماً وكثافة سكانية، كما شاهدنا البوادي وقد أصبحت مأهولة بالسكان المستقرين الذين يملكون المنازل المسلحة، والخدمات الضرورية[٤] .

ب - طبيعـة الأرض تختلـف من مكان لآخـر، فالبـوادي والأجـزاء الشرقية من سراة زهران ذات غطاء نباتي فقير، وقد شاهدنا بعض الشجر والشجيرات

---

(١) غامـد الزنـاد : الذين شيوخهـم أسرة آل الزنـدي يمثلون جزءاً كبـيراً من قبيلة غامد . وهـذه النواحي التهامية تحتاج إلى تضافر جهود المؤرخين في دراسة تاريخها وحضارتها .

(٢) هـذه المناطق محاذية لأطـراف محافظة القنفذة الشرقية، وسكان هذه البلاد يتقاسمون الحياة المعيشية مع إمارة منطقة مكة المكرمة . وسبب بعدها عن مراكز النمو الحضاري في الباحة ومكة المكرمة فقد نالها بعض الإهمال التنموي، ولازالت تحتـاج إلى تضافر جهود أهلها والمسؤولـين في بلادها وفي مواطن صنع القرار في الباحة أو في الوزارات حتى يرتقوا بالأرض والإنسان في هذه البلاد التهامية .

(٣) قضينـا يومـين في رحلة تهامة، وثلاثـة أيام أخرى في مدينـة الباحة من أجل مراجعـة مادتنا المجموعة، والتأكـد مـن صحة بعض المعلومات المسموعة والمشاهدة . وكان الإخـوة الكرام الذين ذكرنا أسماءهم في إحدى حواشي المحور السابق خير دليل وسند ومعاون في إنجاز هذه المهمة، فالله نسأل أن يرزقنا وإياهم الثبات على دينه، وأن يخلص لنا ولهم النية، وألا يحرمهم أجر ما قدموا لنا .

(٤) دراسة التغيرات الاجتماعية التي جرت في منطقة الباحة خلال الخمسين أو الستين سنة الماضية القريبة جديـرة بالبحث والدراسة . ويجـب على جامعة الباحة أن تنشئ مراكز أبحـاث لدراسة الأرض والسكان والتغيرات التي جرت عليها .

القليلة، لكن طبيعتها الجرداء هي الغالبة على هذه الناحية بعكس سروات غامد والأجزاء الغربية من زهران وغامد المطلة على تهامة، والنواحي الشمالية الغربية من سراة زهران فهي ذات غطاء نباتي جيد، حيث يوجد فيها غابات وأشجار وشجيرات عديدة وإذا حصرنا أنواع وأسماء الأشجار في هذه الأجزاء فإنها تعد بالمئات وربما الآلاف.[١] وإذا طالعنا منطقة تهامة وجدناها هي الأخرى لا تخلو من غابات وأشجار وشجيرات عديدة ومتنوعة.[٢]

ج- شاهدنا عشرات الجبال والهضاب والأدوية في البادية والسراة وتهامة، ورأينا تفاوت أطوالها، وكثافة غطائها النباتي، بالإضافة إلى كثافتها السكانية[٣] وقد خرجنا من هذا الرصد والمشاهدة بالعديد من الملحوظات مثل:

١. أماكن الاستيطان قديماً تجدها في أعالي الهضاب والجبال وأحياناً على أطراف الأودية، في حين أن معظم أماكن الاستيطان اليوم في السهول وعند الأجزاء السفلية من الجبال وأحياناً في مجاري الأودية أو على أطرافها[٤]، والتنمية الحديثة، وسهولة المواصلات، وتوفر الأمن، وتكاثر المال في أيدي الناس جعل الاستفادة عمرانياً وحضارياً من الجبال والأودية أفضل مما كانت عليه في السابق[٥].

٢. امتداد يد الإنسان إلى بيئات الأودية والجبال وما جاورها فقام بشق

---

(١) على أقسام علم النبات والطب في جامعة الباحة مسؤولية عظمى تجاه دراسة نباتات هذه المنطقة، مع إيضاح فوائدها، وكيفية توظيفها لخدمة إنسان هذه المنطقة.

(٢) من أهم نباتات وأشجار منطقة الباحة (تهامة وسراة وبادية)، العرعر، والعتم، والأثب، والرقِّع، والسلم، والنشم، والسمر، والعرفج، والطباق، والشث، والإبراء، والنيم، والأثل، والسدر، والقرض، والظهياء، والشوحط، والتألب، والطلح، والثعب، والمض، والعشر، والمرخ، والبشام، والسعور وغيرها. ومن خلال تجول الباحث شاهدنا عشرات الغابات المتناثرة في سراة غامد، وفي السروات الغربية الزهرانية، وفي أودية الأحسبة ونيرا وبعض النواحي القريبة من محافظة المخواة. ودراسة الغابات وما يوجد بها من نباتات وكيفية الاستفادة منها موضوع جدير بالبحث والدراسة.

(٣) لم نتعرض لذكر أسماء الجبال والأودية في منطقة الباحة، فلا تخلو كل محافظة من كتب تعريفية بالأرض، كما أن الأستاذ علي السلوك أصدر معجماً توضيحياً فصل فيه قرى وجبال وأودية بلاد غامد وزهران. ولازالت منطقة الباحة تحتاج إلى دراسات تأصيلية توثيقية عن الأرض والسكان. ونأمل أن يلتفت بعض الأكاديميين في جامعة الباحة إلى هذا الجانب الهام.

(٤) مشاهدات الباحث خلال شهر ذي الحجة عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).

(٥) المصدر نفسه.

الطرق، وبناء القرى والأحياء والمدن، وإنشاء بعض المشاريع الاقتصادية، كل ذلك أثر سلباً على الغطاء النباتي، وجمال الأرض الطبيعي [١] .

د. مما سمعنا وعرفنا وجود العديد من الحيوانات البرية، والأليفة والطيور التي كانت تتواجد بكثرة في أنحاء منطقة الباحة[٢]. وفي العقود الماضية المتأخرة لازلنا نشاهد بعض الحيوانات والطيور الموجودة في بوادي وأرياف وأصدار المنطقة، مثل: الضباع والثعالب، والنيص، والغزلان، والعصافير، والحجل، والحمام. بالإضافة إلى الحيوانات الأليفة مثل : الماعز، والغنم، والبقر، والجمال. وبعض الطيور مثل: الدجاج، والحمام وغيره[٣]

هـ. تعاني طبيعة منطقة الباحة اليوم من مشاكل عديدة مثل:

١. التصحر الذي جرى على بعض الجبال والأودية، وهذا يعود إلى الجفاف وقلة الأمطار، وامتدت يد الإنسان بدون وعي، أو من باب الطمع، إلى البيئة فقام بتجريف الأرض وقطع الأشجار من أجل إقامة مشروع خاصٍ أو عام، والتوسع العمراني، وإن كان ذا جانب إيجابي، إلا أنه أثر سلباً على جغرافية الأرض وطبيعتها.[٤]

٢. انحسار وقلة المياه في الآبار الجوفية، وتزايد الآبار الارتوازية، وجفاف العيون والجداول كل هذا أثر على تدهور الزراعة والغطاء النباتي في المنطقة[٥].

---

(١) كوني من أبناء منطقة عسير، المجاورة لمنطقة الباحة من الجنوب، ثم معرفتي لبلاد الجنوب (الباحة وعسيرٍ وجازان والقنفذة ونجران) منذ أربعين سنة فقد عرفت وشاهدت جمال الطبيعة في هذه الأوطان قديماً، وما جرى عليها من تدهور وجفاف وتجريف خلال هذه العقود الماضية، كل هذا أثر سلباً على طبيعة هذه البلاد. ودراسة التاريخ الجغرافي لهذه المناطق منذ خمسين عاماً إلى اليوم جدير بالبحث والاهتمام من الجغرافيين والباحثين الجادين . وهذه مسؤوليات جامعاتنا المحلية، والتي يجب عليها إنشاء مراكز بحثية تقوم بإجراء مثل هذه البحوث الأكاديمية الهامة .

(٢) كانت منطقة الباحة في القديم من البلاد المأهولة بالحيوانات البرية، مثل : النمور، والأسود، والضباع، والذئاب وغيرها، وأنواع عديدة من الطيور . كما أن السكان كانوا يمتلكون قطعاناً كبيرة من الأغنام والماعز والبقر والجمال، ومنذ بداية هذا القرن بدأ الناس يتركون امتلاك هذه الثروة الحيوانية، ويلجأون إلى أعمال أخرى وهذا مما أثر في حياة الأرض والسكان .

(٣) امتلاك مثل هذه الحيوانات والطيور أصبحت موجودة على نطاق ضيق مقارنة بالنصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) .

(٤) دراسة ما حل بطبيعة الأرض سلبياً يحتاج إلى إجراء دراسة علمية أكاديمية، وهذه مسؤوليات الجامعات والأقسام الأكاديمية .

(٥) هذه مشكلة لا تعاني منها منطقة الباحة فقط وإنما معظم أجزاء المملكة العربية السعودية، ولابد من عمل دراسات وإيجاد بدائل وحلول لهذه المشكلات الطبيعية الجغرافية .

٣. امتداد يد الإنسان إلى قطع صخور الجبال إلى قوالب ونقلها من أماكنها إلى أماكن أخرى من أجل التجارة واستخدامها في العمارة والبناء.[١]

٤. ظهور العديد من المشاكل المناخية مثل: الأعاصير والغبار، واختلاف مواعيد الأمطار، وغالبا عدم هطولها، وحدوث بعض الصواعق، والجفاف، وارتفاع الحرارة كل هذا ساعد في إلحاق الضرر بأرض وإنسان منطقة الباحة وما جاورها .

٢ـ الوضع السكاني :

معظم سكان منطقة الباحة من قبيلة الأزد القحطانية . وهناك العديد من كتب النسب القديمة، ودراسات حديثة قالت بذلك[٢] . ولا تخلو قبائل منطقة الباحة من مخالطتها لبعض العشائر أو الفخوذ أو الأسر العدنانية، وذلك يعود لبعض الأسباب مثل:

١. اتصال قبائل غامد وزهران بأهل الحجاز منذ العصر الجاهلي، فكانوا على علاقات اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية[٣] .

٢. كان أشراف مكة وأحياناً المدينة المنورة يمدون نفوذهم سياسياً وعسكرياً إلى الديار الغامدية والزهرانية . بل إن بعض أمراء الأشراف جاءوا إلى هذه البلاد واستقروا بها، وملكوا بها الدور والعقار، وأحيانا يطلب أمراء الأشراف العون والنجدة من الغامدين والزهرانيين ضد أمراء وأشراف آخرين في مكة والمدينة[٤] .

---

(١) في الماضي كانت جميع مواد البناء محلية، وكانت الطبيعة في أزهى ازدهارها وجمالها . واليوم أصبحت معظم بل جميع مواد البناء مستوردة، ومع ذلك قام الإنسان بالاعتداء على الطبيعة فجرف أتربتها، ونقل حجارتها، وقطع أشجارها ونباتاتها، وكل هذا أثر سلباً على تضاريس ومناخ البلاد، بل إن هذه الآثار السلبية امتدت إلى حياة الإنسان الاجتماعية والاقتصادية .

(٢) هناك العديد من المصادر والمراجع التي ذكرت تاريخ وأنساب بلاد غامد وزهران، واعتقد أن معظمها يحتاج إلى دراسة وتحليل، ثم التثبت من صحة ما ورد بها . كما أن أنساب غامد وزهران لازالت تحتاج إلى دراسات علمية أكاديمية موثوقة .

(٣) كتب التراث الإسلامي المبكرة تشتمل على شذرات وروايات تؤكد على علاقة زهران وغامد بسكان الحجاز وبخاصة قبيلة كنانة التي منها عشيرة قريش . وتاريخ هذه البلاد الأزدية قبل الإسلام وخلال القرون الإسلامية الأولى جدير بالبحث والدراسة العلمية الأكاديمية .

(٤) مصادر تاريخ الحجاز منذ القرن (١٢٠٣هـ/١٨٠٩م) تحوي بعض الروايات التي تؤكد استعانة بعض أشراف مكة بالزهرانيين والغامدين من أجل استعادة سلطانهم من بعض عمومتهم الذين تغلبوا عليهم، والصلات التاريخية والحضارية بين غامد وزهران وأهل الحجاز خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة، موضوع جدير بالبحث والدراسة . ويستحق أن يكون عنواناً لرسالة ماجستير، ونأمل أن يتولى ذلك أحد طلاب أقسام التاريخ الأكاديمية في جامعاتنا السعودية .

٣. الذاهب في أرجاء بلاد غامد وزهران اليوم، تهامة وسراة، يجد بعض القرى والأسر التي تدعي نسبها في القبائل العدنانية . وقد التقيت أثناء جولتي التي قام عليها هذا البحث ببعض الأعيان والوجهاء والعامة في قرى ونواح من تهامة وسراة زهران، وأطلعوني على بعض المخطوطات والمشجرات النسبية التي ترجع نسبهم إلى بني هاشم وأحياناً إلى قريش . وقد حاولت الحصول على صور من تلك المشجرات لكنهم امتنعوا، فأوصيتهم بالكتابة عنها، مع أنهم طلبوا منا عدم ذكر أسمائهم، ونأمل أن يأتي اليوم الذي يقتنعون فيخرجون ما لديهم من تراث وموروث علمي، أو يسلموها إلى باحثين أو مركز بحث يتولى دراستها وإخراجها[١] .

في العصر الحديث تجاذبت بلاد الباحة بعض القوى السياسية والإدارية، ففي النصف الأول من القرن (١٣هـ/١٩م) دخلت تحت نفوذ الأشراف والقوى العثمانية في الحجاز، وفي فترة أخرى صارت إلى جانب إمارة آل المتحمي في عسير، واستمرت على هذا المنوال منذ الخمسينيات إلى ثمانينيات القرن نفسه[٢] . وعندما أصبحت عسير تحت حكم المتصرفية العثمانية في أبها (١٢٨٩ـ١٣٣٧هـ /١٨٧٣ـ١٩١٨م) أصبحت منطقة الباحة إدارياً وسياسياً تابعة لحكومة بني عثمان في أبها[٣] . وعند مجيء الحكم السعودي الحديث إلى الجنوب في أربعينيات القرن

(١) من خلال تجوالنا في عموم منطقة الباحة، ومقابلتنا لبعض الأسر والأفراد الذين ينتمون إلى بيوتات علم قديمة وجدنا أنهم يقتنون بعض الوثائق السطحية في مادتها العلمية، وربما لو درست فقد يجد الباحث فيها معلومات ذات قيمة . مع العلم أنني على يقين أن هناك وثائق محلية متناثرة بين أيدي الناس، وربما تكون ذات فائدة كبيرة في ميدان البحث التاريخي والحضاري لبلاد غامد وزهران . ونأمل أن يقوم أحد طلابنا في برنامج الدراسات العليا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد فيتولى هذا الموضوع بالبحث والدراسة العلمية الأكاديمية .

(٢) هناك العديد من الدراسات الحديثة التي ذكرت تاريخ منطقة الباحة خلال حكمي الأشراف في الحجاز وآل المتحمي وآل عائض في عسير .خلال القرن (١٣هـ/١٩م)، وتاريخ غامد وزهران في تلك الحقبة يستحق أن يفرد له كتاب أو رسالة علمية مستقلة .

(٣) هناك إشارات ودراسات مختصرة عن متصرفية عسير في عصر النفوذ العثماني من (١٢٨٩ـ١٣٣٧هـ/١٨٧٣ـ١٩١٨م)، وإفراد بحث مستقل عن البلاد الممتدة من أبها إلى الباحة خلال تلك الحقبة جدير بالاهتمام، ونأمل أن يقوم أحد طلاب الدراسات العليا في واحد من أقسام التاريخ بالمملكة فيتولى هذه الفترة بالبحث والدراسة العلمية .

(١٤هـ/٢٠م)، دخلت هذه البلاد تحت حكومة ابن سعود، وتطورت حتى أصبحت منطقة رئيسة من مناطق المملكة العربية السعودية[١] .

ومن ثم فالمنطقة الباحوية بقيت ولازالت متمسكة بصراحة نسب أهلها، مع أنه وفد إلى المنطقة خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) العديد من الأجناس البشرية، ومنهم من مكث بها وقتاً قصيراً، وآخرون أقاموا فيها أوقاتاً طويلة، ونسبة قليلة استوطنوها ولا زالوا يعيشون بها إلى اليوم، وقد جرى على التركيبة السكانية الغامدية والزهرانية منذ القرن (١٣هـ/١٩م) بعض التحولات التي نذكر بعضها في النقاط التالية :

١. السكان الأصليون مقيمون في مواطنهم، والذاهب الآيب في البلاد يجد أن كل قرية، وكل فخذ وعشيرة وبطن يسكنون في ناحية من هذه الديار السروية والتهامية، وإذا انتقلوا من مواطنهم أو مساكنهم فهم لا يذهبون بعيداً وإنما يبقون في محيط ديارهم التي قطنوها منذ أزمنة قديمة[٢] .

٢. ممارسة التجارة، أو الزراعة، أو غزوات حربية قدمت إلى المنطقة، كل هذه الأعمال السياسية والحضارية جلبت بعض الأجناس والعناصر البشرية إلى المنطقة لكنها لم تؤثر بشكل ملموس في تغيير التركيبة السكانية .

٣. منذ قيام الدولة السعودية الحديثة وفتح المؤسسات الإدارية والمدارس، أدى ذلك إلى وفود عناصر بشرية إلى المنطقة بعضهم من داخل المملكة وآخرين من خارجها . فالعاملون في المؤسسات الإدارية قدموا من الحجاز ونجد للعمل في هذه القطاعات الحكومية، وعاشروا أهل المنطقة، وقليل منهم تزوجوا من هذه الديار الغامدية والزهرانية، أما مهنة التعليم فقد جاء للعمل فيها أجناس عديدة من داخل المملكة ومعظمهم من خارجها[٣] .

---

(١) تاريخ منطقة الباحة في العصر السعودي الحالي يستحق عشرات الكتب وهذه مهمة جامعة الباحة فتنشئ مركز بحث يتولى هذه الحقبة بالبحث والدراسة الأكاديمية الجادة .

(٢) وقف الباحث على قرى حديثة وقديمة في مواطن العشيرة الواحدة، وساكنيها من بطن أو فخذ أو نسب واحدة . والحراك العمراني أحياناً هو الذي يجعلهم ينتقلون من مكان لآخر ضمن حدود قبائلهم أو عشائرهم الرئيسة .

(٣) تاريخ التطور الإداري والتعليمي في منطقة الباحة خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) يستحق أن يكون موضوعاً لأطروحة علمية لدرجتي الماجستير أو الدكتوراه، نأمل أن نرى طالباً جاداً في أحد أقسام التاريخ فيقوم بالبحث والدراسة الأكاديمية لهذا الموضوع .

والراصد لحركة المعلمين في منطقة الباحة منذ التسعينيات يجد أن معظمهم من بلاد الشام، ومصر، والسودان، وهناك مدرسون آخرون غربيون لتدريس اللغة الإنجليزية، واستمر ذلك حتى الثمانينيات، ثم بدأ المعلمون السعوديون يصلون إلى منطقة الباحة ويحلون محل الوافدين المتعاقدين[١].

٤. تدفق البترول بكميات كبيرة، واتساع وتطور التنمية في المملكة، ووجود جامعات ووظائف حكومية، جعل أبناء منطقة الباحة يهاجرون من أوطانهم إلى المدن والحواضر الكبرى من أجل تنمية أنفسهم وتطوير أوضاعهم الاقتصادية والتعليمية، ومن ثم حدثت هجرة كبيرة من قرى منطقة الباحة إلى مدن المملكة الكبرى، وعندما افتتحت المدارس العليا والوظائف الحكومية في الباحة وبلجرشي نجد شباب ورجال القرى والبوادي يتجهون إلى مراكز النمو والحضارة، في المنطقة نفسها، وهذا مما جعل التركيبة السكانية تتأثر من خلال هذه الهجرات. والغالب أن النساء والأطفال والمسنين مكثوا في مواطنهم الرئيسة، والمتنقلون هم من فئة الشباب والرجال[٢].

٥. فتح الطرق وربط القرى والمدن بعضها ببعض جعل أبناء المنطقة أنفسهم يتصلون ببعضهم البعض في تجاراتهم وأوضاعهم الاقتصادية، كما أن المصاهرة والزواج انتشر وتوسع بين العشائر والبطون، ففي الماضي كان الرجل أو المرأة لا يتزوجون إلا في محيط قراهم، ومنذ عقدين أو ثلاثة نجد أن الرجال لا يقتصرون على الزواج من قبائل غامد وزهران وإنما خرجوا إلى القبائل الأخرى في الجنوب السعودي وأحياناً في مناطق بعيدة من المملكة، بل إن البعض - وهم قلة - تزوجوا من خارج البلاد، كذلك النساء أصبحن يتزوجن في أطراف المنطقة، وفي أنحاء عديدة من المملكة العربية السعودية، كما أن أهل البادية والسراة وتهامة في الباحة أصبحوا على صلات اجتماعية قوية، والناظر في أحوال المنطقة قبل ربع قرن. يجد أن اتصال أهل السراة بتهامة كان صعباً جداً، وذلك لوعورة الطرق، أما

(١) المصدر نفسه.
(٢) تاريخ هذا الحراك الاجتماعي خلال الثمانين سنة الماضية جدير بالبحث والدراسة العلمية الأكاديمية.

اليوم فالغالبية من السرويين امتلكوا عقارات ومنازل في الأجزاء التهامية الممتدة من مكة المكرمة إلى جازان[١] . وكثير من الغامديين والزهرانيين يعيشون في المدن الصغرى والكبرى من المملكة، وصاروا أصحاب أموال وعقار، ولا يأتون بلادهم الرئيسة إلا في أوقات الصيف، وأحياناً لا يعودون إليها إلا في فترات متباعدة[٢] . وقد عثرنا على بعض الوثائق التي تشير إلى هجرة بعض رجال غامد وزهران إلى خارج المملكة العربية السعودية منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م)، وذلك لأسباب تعليمية أو تجارية، وبعضهم عادوا إلى بلادهم واستقر بعضهم في اليمن وبعض البلاد الإفريقية مثل إريتريا والحبشة ومصر وغيرها[٣] .

٦. نلحظ أن سكان بادية غامد كانوا بدواً يتنقلون في أرجاء المنطقة، وربما خرجوا منها إلى أطراف نجد. ومع ظهور التمدن والتوطين تركوا التنقل والترحال وبنوا منازل مسلحة واستقروا في محيط قبائلهم، والمتجول في بوادي شرق غامد يجد مواطنهم أصبحت قراهم وبيوتهم تتراوح من دور إلى ثلاثة أدوار، مع توفر الخدمات الضرورية لهم مثل: الكهرباء، والسيارات وغيرها[٤] .

وإذا ألقينا نظرة عامة على مواطن الاستقرار في المنطقة وجدناها أصبحت مكتظة بالسكان. فهناك كثير من المدن والقرى المتمدنة في معظم خدماتها، ونرى المخططات والأحياء الحديثة المنتشرة في كل حاضرة ومدينة وكذلك البنية التحتية الجيدة التي يمتلكها الناس في مدنهم وقراهم وأريافهم، فهناك المؤسسات الحكومية المتطورة، والجامعات، والمستشفيات وغيرها

---

(١) إن اتصال أهل السراة بتهامة خلال الثلاثين سنة الماضية يحتاج إلى دراسة أكاديمية تشرح العوامل والمقومات التي ساعدت في هذا الصلات، مع ذكر الإيجابيات والسلبيات التي ترتبت على هذه العلاقات البشرية .

(٢) تاريخ الهجرة داخل المملكة العربية السعودية جدير بالبحث والدراسة، مع ذكر الأسباب والنتائج لتلك الهجرات .

(٣) هجرة بعض الغامديين والزهرانيين خارج المملكة العربية السعودية موضوع هام وجدير بالبحث والدراسة . نأمل أن يتخذ موضوعاً لرسالة ماجستير في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد أو أي قسم من أقسام التاريخ في الجامعات السعودية .

(٤) تاريخ توطين البادية في جنوبي البلاد السعودية موضوع جدير بالبحث والدراسة الأكاديمية الموثقة .

مـن الخدمات[١]، كل هذا أثر على أهل البلاد الساكنين في المدن الرئيسة في المملكة، فالبعض منهم تركوا المدينة وعادوا إلى موطن الآباء والأجداد، واستمـروا يعيشـون بين أهلهم وعشيرتهـم، وأحياناً يعـود البعض ويسكن المدن الكبيرة في منطقة الباحة مثل: الباحة، وبلجرشي، والمندق وغيرها . وفيهـا يجدون معظم احتياجاتهم، فلا يفكرون بالخروج والاستقرار خارج المنطقة[٢] .

٧. منذ أربعة عقود مضت سارت عجلة التنمية والتطور في بلاد الباحة، فاتسعت المـدن، وازدادت الأسـواق، ونشطـت الحيـاة الاقتصاديـة والاجتماعيـة، وبـدأت العمالـة الخارجية تفـد إلى البـلاد، وكان اليمنيـون الأكثر نسبة في التسعينيـات من القـرن (١٤هـ/٢٠م)، ثم استقدمـت جنسيات أخرى مثل: المصريـون، والسودانيون، والأفغـان، والباكستانيون، والهنود، وبعض الفلبـين، والبنجاليين، وأعداد قليلة من الغربيـين، والصينيين والكوريين، وغيرهـم . والمتجـول اليوم في أرجـاء منطقة الباحة يجـد أن هذه العمالة الوافـدة هي المحـرك الاقتصادي في المنطقة، فلا يخلـو مصنع أو سوق أو مؤسسة أهلية أو حكومية من وجود هذه العناصر الخارجية[٣] .

ثالثاً : الأوضاع الاجتماعية :

١. الأسرة والمجتمع:

كانـت الأسـرة في الماضـي القريب تعيش في منـزل واحد، وتتكـون آنذاك من الأجـداد إن وجدوا، والآبـاء، والأحفاد، والجد أو الأب الأكبر هو رئيس العائلة، فلا

(١) حركة التنمية في منطقة الباحة لا بأس بها لكن لازالت تحتاج إلى جهود كبيرة من أجل النهوض بالمنطقة وتطويرها حتى تتساوى مع المناطق الأخرى المتحضرة والمتطورة في المملكة .

(٢) هـذا ما لمسه الباحث، وقابل بعض الأسر والرجال الذين تركوا المدن الكبرى وعادوا إلى بلادهم. وأعتقد أن نسبتهـم لازالـت قليلـة، لأن منطقة الباحة لازالت تعـاني من بعض القصور في مجـالات التنمية مثل: القطاع الصحي، والمطارات، والمياه وخدمات الصرف الصحي وغيرها .

(٣) هـذه العمالـة غير مستقرة، وتعيش في المنطقة ضمن قوانين سنتها الدولة، لكنهم شكلوا شريحة كبيرة في الحياة السكانية . وجميع مدن وحواضر وقرى وأرياف المملكة تعيش الوضع نفسه واختلاط هذه الأجناس الوافـدة مع سكان البلاد الأصليين جعلهـم يؤثرون ويتأثرون في الحياة الاجتماعيـة والحضارية و دراسة علاقـة هذه العمالـة بأهل البلاد الأصليين، والآثـار المترتبة على ذلك موضوع يستحـق الدراسة والبحث الأكاديمي الجاد .

يتخذ قرار هام مثل: سفر، أو زواج، أو إقامة وليمة، أو القيام بأمر ما من أي فرد من أفراد العائلة إلا بعد أخذ رأي وموافقة كبير الأسرة . وأحياناً تكون بعض الأسر في مكان واحد، وتعيش في دار واحدة، وتتعاون فيما بينها على كسب أرزاقهم . والرجال غالباً يعملون خارج البيت، والنساء يعملن في البيوت ويساعدن رجالهن في الأعمال الخارجية مثل: أعمال الزراعة، والرعي، والاحتطاب وغير ذلك [١] . وكان أهل السراة يعملون في الزراعة إلى جانب الرعي وجمع الحطب، والوضع نفسه عند أهل تهامة،أما البوادي فعملهم الرئيس رعي مواشيهم ومتابعتها[٢] .

ومجتمع القرية الواحدة يتكون من أسر عديدة يجتمعون أحياناً في جد واحد، وقد تعيش أسر عديدة في القرية وأجدادهم مختلفون، إلا أنهم ينتسبون إلى قبائل أزدية قحطانية، وربما عاشت بعض الأسر العدنانية إلى جوار هذه الأسر القحطانية[٣] . وكل مجتمع قروي يوجد عند سكانه العديد من الأعراف والنظم التي تساعدهم على التجاور والتعاون والتعايش، والعشيرة الواحدة تتألف من عدد من الأسر والقرى التي يجمع بينها رابط النسب أو الجوار أو الحلف . وهكذا كان نظام حياة سكان منطقة الباحة في القرون السابقة[٤] .

التمدن والتطور الذي تعيشه منطقة الباحة خلال العقود الثلاثة الماضية جعل أفراد الأسرة الواحدة وأفراد المجتمع القروي أو العشائري الصغير يتغير، فلم يصبح هناك اجتماع وتآلف وتقارب كما كانوا في السابق، وذلك لأسباب عديدة نذكر أهمها في النقاط التالية :

---

(١) دراسة تاريخ الأسرة في منطقة الباحة موضوع هام، ويستحق أن يكون موضوع بحث علمي أو رسالة أكاديمية .

(٢) هذا ما سمعه الباحث من بعض الغامديين والزهرانيين الذين عاصروا حياة الناس في النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م). كما أن الباحث عاصر الوضع نفسه في منطقة عسير خلال التسعينيات من القرن الهجري الماضي .

(٣) من خلال تجوالنا في أجزاء من تهامة وسراة منطقة الباحة وجدنا بعض الأسر العدنانية، وهم قليلون، يستوطنون بعض القرى التي جل سكانها من الأزد . مشاهدات الباحث في شهر ذي الحجة عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) .

(٤) حياة القرى والعشائر الغامدية والزهرانية في الماضي يسودها الترابط والتعاون والتكاتف، وشيخ العشيرة أو القبيلة هو صاحب الحل والربط بين أفراد قبيلته، وهناك الكثير من الوثائق الاجتماعية التي تعكس نظام حياة الأسرة والمجتمعات العشائرية في المنطقة . ودراسة التاريخ الاجتماعي للمنطقة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، أو أي قرن سابق لذلك موضوع جدير بالبحث والدراسة ويستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو أطروحة علمية .

١. وفـرة المال في أيدي الناس جعلتهم يتفرقون في السكن وبناء الدور، فنادراً أن تجد الابن بعد زواجه يبقى ساكناً مع والده، وإنما يسعى إلى بناء منزل خاص به وأبنائه، أو يستأجر بيتاً مستقلاً.
٢. تكاثـر أفراد الأسرة، ورغبة الرجـل في الاستقلال بزوجته ومنع اختلاطها مع غير المحارم(١)، وأحياناً ضيق النفوس فالأخ أو الأخت كل منهما يفضل العيش بمفرده وفي مكان منفصل عن الآخر.
٣. اتسـاع القرى والمـدن، واختـلاط الناس بعضهـم ببعض، والسفر خارج المنطقـة أو داخلها من أجل العمل في بعض الوظائف، أو التعليم . والسفر للوظيفة والتعليم والتعلم لم يصبح مقصوراً على الرجال فقط، وإنما شمل شريحة من النساء، وهذا ساعد في تفتت الأسر وتناثرها، وقد لا يلتقون إلا في المناسبات، وأحياناً تمر الشهور والسنوات ولا يتقابلون(٢).

٢- العمارة ومرافقها :

أ- القرى والمدن :

شاهدنا مئات القرى المتناثرة في سروات زهران وغامد، وفي بوادي غامد، وفي الأجـزاء التهامية الممتدة من غامـد الزناد جنوباً إلى قريـة الحجرة شمال تهامة زهران، وفي مدينة المخواة، وأسفل شدا الأعلى والأسفل، وفي وادي الأحسبة ونيرا. وقد خرجنا بانطباعات عامة ندرج أهمها في النقاط التالية:

١. جميـع القـرى مبنية بالحجـارة، ولا يوجد في منطقة الباحـة قرى مشيدة بالطـين كمـا هـي في بلاد شهـران، وأجـزاء مـن مناطق عسـير وجازان

---

(١) إلى نهاية القرن الهجري الماضي كان الاختلاط سائداً بين الناس، فالنساء لا يغطين وجوههن، ويجالسن الغريب وغير المحرم، ويعملن مع الرجال في ممارسة المهن الاقتصادية المختلفة . ومنذ بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) نشطت الدعوة والتعليم بين الناس وبدأ النساء تدريجياً يلبسن الحجاب، ولم يأت العقد الثـاني مـن القرن نفسه، إلا وجميع النساء متحجبات، ومجتمع النساء منفصل عن المجتمع الرجالي . ما سمعه الباحث في الباحة وشاهده في أرجاء منطقة عسير خلال تسعينيات القرن(١٤هـ/٢٠م).

(٢) مقارنـة وضع الأسر والمجتمعات بين الماضي والحاضر، ففي الماضي كانوا يعيشون في وئام وتآلف وتراحم وتـآزر وتكاتـف، مـع أن ظروف المعيشة كانـت صعبة وقاسية . أمـا اليوم فأصبحوا في أوضـاع اقتصادية وثقافيـة وتعليميـة وصحية أفضل من السابق، إلا أن الجانب المعنـوي الاجتماعي الإيجابي أصبح ضعيفاً، فتجـد أحياناً القطيعـة والبغضاء بين أفراد الأسرة أو المجتمع الواحد، بل تصـل الأمور أحياناً عند بعض الأفراد إلى الكراهية، وهذه أمور خطيرة تؤدي إلى هدم الأسر والمجتمعات .

ونجـران[١]، والقـرى تبنى علـى مساحة ضيقـة من الأرض، وتشيد على ضفـاف الأوديـة، وهناك قرى كثـيرة في رؤوس الجبال، ومنـازل القرى متلاصقـة بعضها مع بعض، وتتراوح ارتفاعاتها من دور إلى دورين، وربما وصـل بعضهـا إلى أربعة أو خمسة أدوار وبخاصة منـازل الأعيان والشيوخ والوجهاء وأصحاب المال[٢].

٢. الملاحظ على معظم القرى وجود بعض الأزقة (المساريب: جمع مسراب) التي تربـط أجزاء القرية بعضها ببعض، وهي ممـرات ضيقة يستخدمها المـارة أثنـاء التنقـل في القرية، والظاهر علـى هذه الطرقـات أنها ضيقة فـلا يزيـد عرض الزقاق الواحد عن متر وربما وصـل إلى مترين في بعض الأماكن، كما أن كل قرية يتوسطها مسجد، وجميع مواد بناء القرية محلية، ونادراً ما تستورد شيئاً من خارج المنطقة[٣].

٣. أصـاب الكثير من قرى السراة الخراب، وهنـاك قرى كثيرة اندثرت تماماً ولم يبـق إلا أثرها، بعكس قرى تهامة فلازال الكثير منها متماسك العمارة مع أنها مهجورة، وهي في طريقها إلى الدمار.

٤. تفتقـد القرى القديمـة بعض المرافـق الرئيسة مثل الحمامـات، والمطابخ المستقلـة، ويحيـط ببعضهـا أحواش من الحجـارة، وأحيانـاً تشيد بعض الملاحـق القريبة مـن المنزل الرئيس، وذلك من أجـل استخدامها مخازن لبعض الأعلاف أو سكن للحيوانات، وقد تستخدم للنوم أحياناً[٤].

٥. عـرف سكان تهامة بعض القـرى المبنية من القش والأخشـاب، أما سكان البـوادي فكانوا بدواً رحلاً وإذا مكثوا في مـكان ما فإنهم يبنون تجمعاتهم السكنية من بيوت الشعر[٥].

---

(١) مشاهـدات الباحث في مناطـق الجنوب(جازان، ونجران، وعسير، والقنفـذة، والباحة) خلال الثلاثين عاما الماضية .

(٢) مشاهدات الباحث وجولاته في شهر ذي الحجة عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) .

(٣) تاريـخ القرى الغامدية والزهرانية تستحق أن يفرد لها دراسة علمية موثقة بالصورة . ونأمل أن نرى أحد الباحثين الجادين فيتولاها بالبحث والتوثيق .

(٤) لا توجـد هـذه المرافق إلا في بيوت الأغنيـاء والوجهاء والشيـوخ، أما أغلبية منازل القريـة فهي متواضعة ومحدودة المساحة .

(٥) مـا سمعـه الباحث من بعض الـرواة في منطقة الباحة، كمـا شاهد هذا النوع من التجمعـات السكنية في منطقة عسير خلال تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) .

وقد قامت قرى وبلدات ومدن حديثة في المنطقة، والناظر إلى مدن الباحة، وبلجرشي، والمندق، والمخواة، وقلوة . أو إلى بعض الأحياء في حاضرة الباحة مثل: الظفير، أو بني ظبيان، أو العقيق، أو رغدان . أو إلى أي قرية صغيرة أو كبيرة في المنقطة، فإنه يلحظ ما يلي:

١. جميع منازل المدينة أو القرية الحديثة مسلحة، وتتراوح أدوارها من دور واحد إلى خمسة وستة أدوار في القرى والمراكز الفرعية، وربما وصلت بعض الأبنية في مدينتي الباحة وبلجرشي إلى ثمانية وعشرة أدوار، وهي قليلة[١] .

٢. مساحة القرى والمدن الحديثة أكبر من مساحات القرى القديمة، كما أنها ذات تخطيط أفضل من القرية، فهناك شوارع واسعة تربط أطراف القرية أو المدينة بعضها مع بعض، وتوجد أيضاً طرق سهلة مسفلتة تربط بين المدن والقرى[٢] .

٣. جميع القرى والمدن والحواضر تشتمل على مسجد واسع، ويجتمع سكان القرية أوالبلدة في مسجد جامع تقام فيه صلاة الجمعة، وجميع منازل المدن العصرية تتكون من غرف ومجالس متعددة بالإضافة إلى مطابخ مستقلة وحمامات، ولا تخلو كل مدينة أو قرية من دكاكين أو أسواق تجارية تتفاوت في معروضاتها ومساحاتها وطريقة تشييدها [٣] .

٤. تختلف مدن وقرى اليوم عن القرى القديمة، ففي السابق كانت كل قرية مستقلة بذاتها، كما أن أغلب القرى في السابق تُبنى في المرتفعات، أما التجمعات العمرانية في العصر الحديث فتكون متقاربة وأحياناً مترابطة بطرق مسفلتة مضاءة ومرصوفة، والناظر في مدينة الباحة أو بلجرشي مثلاً يجدها تتكون من عدة أحياء كونت الحاضرة بمفهومها الواسع[٤] .

---

(١) مشاهدات الباحث في شهر ذي الحجة عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) إجراء دراسة تاريخية عمرانية مقارنة بين القرى القديمة أو المدن والقرى الحديثة موضوع جدير بالبحث والدراسة . ونأمل أن نرى أحد طلابنا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد فيسجل هذا الموضوع عنواناً لأطروحته في درجتي الماجستير أو الدكتوراه .

(٤) دراسة مدن منطقة الباحة الرئيسة جديرة بالبحث التاريخي، ونأمل أن تستشعر جامعة الباحة هذه المسؤولية فتؤسس مراكز بحثية تقوم بواجباتها البحثية كما يجب .

ب - المنازل، والحصون، والمساجد:

منــازل المنطقة قديماً محدودة في غرفها وفي أدوارها، فالسواد الأعظم تتكون مــن دور وأحيانــاً دورين، والــدور الأول لسكنــى البهائم وخزن الأعــلاف، والثاني للسكــن وربما خــزن الحبوب وبعضــ الأمتعة والأغراضــ الثمينة، وأبــواب ونوافذ وسقــوف المنازل مــن الأخشاب المحلية، والمشيدون للمنزل مــن البداية إلى النهاية من سكان المنطقة، وهناك من يعمل بالأجر مثل: البنـاء، وبعض العمال الماهرين في إصلاح الحجارة[1].

كانــت إضاءة المنازل سابقاً بدائيــة، وتنقل المياه إليها من الآبار على ظهور النــاس، وأحياناً ينقل الماء في القرب على ظهور الحمــير، أما الأثاث فكان بسيطاً، فــلا أســرة أو كراسي إلا عند بعضــ الأسر وغالباً تكون لرب البيــت أو كبار السن، وجميع الأثاث محلي، وقد يجلب بعض الأثاث أو أدوات الطبخ من ميناء القنفذة أو أسواق الحجاز[2].

أما الحصون والقصور، فالثانية قليلة ومقصورة على التجار والوجهاء وشيوخ القبائــل، وقد شاهدنا قصور ابن كدسة في بلجرشــي، وقصور ابن رقوش في قرية بني ســار من بلاد بني عامر في زهران، ويظهر عليها سعة المساحة، وتعدد المرافق والأدوار، كمــا يبــدو عليها الفخامــة في البناء فلها جــدر عريضة وأبــواب واسعة، وسقف وأعمدة كبيرة وقوية [3].

أمــا الحصــون فلازلنا نشاهدها متناثــرة في أرجاء المنطقــة، ومنها ما يوجد وســط القرى وكان يستخــدم لخزن الحبــوب الخاصة بأفراد القريــة، والحصون

---

(١) يقــدم صاحــب المنزل الأطعمــة والأشربة للعاملين في البنــاء والتشييد لمنزله . وكان أهــل القرية الواحدة يتعاونون فيما بينهم أثناء بناء منازلهم . كما أن البناء نفسه يساعد صاحب البيت بإعفائه من أجرة عدد من الأيام . معاصرة الباحث لهذا النوع من التعاون في أجزاء من منطقة عسير . كما سمع هذه الروايات من بعض الزهرانيين والغامدين أثناء تجواله في بلادهم .

(٢) عثر الباحث على بعض الوثائق الاجتماعية والاقتصادية التي تشير إلى شراء بعض الأدوات والأثاث الذي يستخــدم في البيوت من الأسواق الأسبوعيــة ومن اسواق الحجاز . كما سمع روايات بهذا المعنى من بعض المسنين في منطقة الباحة .

(٣) مشاهــدات الباحــث في شهــر ذي الحجة عــام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) . يوجــد في منطقة الباحــة (تهامة والســراة) العديــد مــن القصور وبخاصــة بيوت الوجهــاء وشيوخ القبائــل، ولازال أكثرهــا قائماً ويجب ترميمها وحفظها من الاندثار . كما تستحق إلى أن يجرى عنها العديد من الدراسات الأكاديمية .

القريبة من المزارع وتستخدم لغرض حراسة الأراضي الزراعية، أما الحصون المتواجدة على رؤوس الجبال فتستخدم للمراقبة الأمنية، وأحياناً تستخدم أثناء الحروب القبلية، وقد لاحظنا تعدد هذه الحصون في بوادي وسروات تهامة المنطقة، وتستحق الاهتمام والعناية من قبل الهيئة العليا للسياحة، ونأمل أن تحفظ وترمم حتى لا تندثر[١].

لا تخلو أي قرية من مسجد يتوسطها، والغالب على المساجد قديماً ضيق مساحتها وارتفاعها محدود فلا يزيد عن مترين، ولا يوجد بها خدمات مثل: أماكن للوضوء وحمامات، كما أن فرشها بسيط، وأحياناً تكون دون فرش ويكتفى بالتراب، وإضاءتها بالقناديل البدائية، وأحياناً كانت تستخدم الفوانيس القديمة في إضاءتها ليلاً[٢].

لا يوجد وجه مقارنة للمنازل والقصور في وقتنا الحالي بما كانت عليه في السابق، فالذاهب في أرجاء المنطقة يجد منازل واسعة في مساحتها وتعدد ملاحقها، كما يجدها فخمة في مواد بنائها وتزويقها، ناهيك عن أثاثها وإضاءتها وتشييد حماماتها ومطابخها فهي على قدر كبير من الجودة، وإن نظرت في أبوابها ونوافذها وجدتها واسعة، ومواد بنائها جميلة، والفارق بين مواد البناء والعاملين في مهنة البناء والتشييد قديماً وحديثاً أنها محلية في العمارة القديمة، أما اليوم فالأيدي العاملة والمواد جميعها مستوردة من خارج حدود البلاد السعودية، وبعض المواد قد يكون مصنوعاً داخلياً لكن المواد الخام الرئيسة مستوردة من الخارج[٣].

أما المساجد اليوم فلا تقارن مع السابق، وبناء المساجد علامة مميزة في تاريخ المملكة العربية السعودية، فالذاهب في أنحاء البلاد يجد منظومة كبيرة

---

(١) هذه الحصون من المعالم الحضارية التي تعكس صور من تاريخ الأوائل ويجب على ملاك هذه الحصون أن يحافظوا عليها من الخراب. كما يجب على الهيئة العليا للسياحة أن تبذل جهوداً كبيرة من أجل الحفاظ على هذا الموروث العمراني.

(٢) وقفت على بعض المساجد القديمة في قرى الباحة وبلجرشي، وبعض قرى سراة زهران، وفي المخواة وقلوة وغامد الزناد، فوجدتها خربة مندثرة مثلها مثل منازل وحصون القرى القديمة. بل وجدت على جدر بعضها نقوشاً تذكر تاريخ بناء المسجد، وأحياناً اسم الباني للمسجد أو من قام على تشييده. مشاهدات الباحث في شهر ذي الحجة عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).

(٣) تاريخ العمارة قديماً وحديثاً جدير بالبحث والدراسة. نأمل أن نرى أحد طلاب الدراسات العليا في جامعاتنا السعودية وقد اتخذ موضوع العمران في جنوبي البلاد السعودية موضوعاً لدرجة الدكتوراه.

مـن المساجد التي تتراوح في أحجامهـا ومساحاتها، بل يجدهـا تشتمل على جميع الخدمـات الرئيسة مثل: الحمامات، والإضاءة والأثاث الممتاز، ومواقف للسيارات، وأماكـن لتدريس القـرآن، وأحياناً مساكن للإمام والمـؤذن في الجوامع الكبرى[١]، ومن خلال تجوالي في المنطقة اطلعت على عدة مساجد متوسطة المساحة بالإضافة إلى جوامع كبيرة مثل: جامع الملك فهد في حي الظفير، وجامع الفاروق وسط مدينة الباحـة، وجامـع بني سار في بني سـار من سراة زهران، وجامـع الأمير محمد بن سعـود في بلجرشي، وجامع الأطاولة في محافظة القـرى، وجامعا أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب في محافظة المخواة، وجامع الملك عبد الله في محافظة قلوة[٢].

ج ـ المقابر، الكهوف، الأسواق:

لاحظنا المقابـر منتشرة في أرجاء منطقة الباحة (بادية وسراة وتهامة)، وقامت البلديات بجهود مشكورة في تسوير المقابر بالبلك والخرسانة المسلحة، وهناك بعض المقابـر المسورة بسياج حديـدي[٣]، وقد شاهدنا في أجـزاء عديدة من سراة وباديـة غامد العديد من المقابـر السطحية، والتي يصل ارتفـاع بعضها إلى مترين، بل تتكون أحياناً من دور ودورين[٤]، ومن تلك المقابر مقبرتان في جبل مهراس وقبور الزينـات في باديـة غامد فارتفاع بعضها يصل إلى المـتر، والمتر والنصف، والمترين، ومساحتهـا تقريباً بـين (٢×٢م) و(٣×٣م)، ومبنية من الحجـارة المحلية، وبعض القبور منقوش بالمـرو الأبيض[٥]، ومعظمها على اتجاه القبلة، وقليل منها غير ذلك، وربما يعود بناء مثل هذه المقابر السطحية إلى عدة أسباب هي:

---

(١) تاريـخ المساجـد في المملكة العربية السعودية جدير بالبحـث والدراسة، ويجب أن يصدر عن هذا الموضوع عشرات الكتب والدراسات ونأمل من الجامعات السعودية أن تلتفت لمثل هذا الموضوع العلمي الهام.

(٢) مشاهـدات الباحـث في شهـر ذي القعـدة عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م). وأجـرى دراسة مقارنـة بين تاريخ المساجـد في القـديم ومساجد وجوامع اليوم، موضوع جدير بالدراسـة والاهتمام، ونأمل أن نرى من يتول هذا الموضوع بالبحث والدراسة والتحليل الأكاديمي.

(٣) مشاهـدات الباحـث في نـواحٍ عديـدة مـن الأجـزاء التهاميـة والسرويـة في شهـر ذي الحجـة عـام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).

(٤) تجولنـا في قـرى سـراة غامد وأجزاء من زهـران فشاهدنا تواجـد المقابر السطحيـة في كل مكان، وهذه ظاهرة لم أشاهدها في مناطق أخرى من جنوب البلاد السعودية. اللهم إلا في أماكن محصورة وقليلة في عسير وأجزاء من نجران. مشاهدات الباحث خلال الثلاثين عاماً الماضية.

(٥) المرو الأبيض: اسمه في علم الجيولوجيا (الكوارتز). وفي علم الكيمياء (أكسيد السليكون). وهذا النوع مـن الحجـارة يستخدم كزينة للأبنية في جنوب البـلاد السعودية، مثل: القصـور، والحصون، والمنازل، والمقابر، وأحياناً المدرجات الزراعية وغيرها. مشاهدات الباحث خلال العقود الماضية المتأخرة.

١. أصحابهـا كانوا مـن البدو الرحل وليسـ لديهم أدوات حفـر يحفرون بها الأرضـ لدفن موتاهم، لذا لجـأوا إلى بناء هذه القبـور التي يتسع بعضها لخمس وأحياناً لعشر جثث .

٢. عدم بناء بعضها على اتجاه القبلة وذلك يعود إلى جهل أهلها ببعض تعاليم الإسلام.

٣. بعضـ القبور التي شاهدناهـا في بادية غامد ليس حولها أماكن استيطان، ومن المؤكد أن أهلها كانوا من البدو وبيوتهم من الشعر فهم لا يستقرون في مكان واحد وإنما يسعون وراء الماء والكلأ.

كان لكل قرية أو قرى متجاورة وتعود في نسب واحد مقبرة خاصة بهم، وأحياناً تجـد لبعض الأسر مقابـر تخصها ولا تسمح لأحد من خـارج أسرهم الدفن فيها، ولازالـت بعض المقابر على هـذا النهج إلى يومنا الحالي . كمـا وجد مؤخراً مقابر عامة وبخاصة في المدن والحواضر الكبرى، فهي لكل الناس يدفنون فيها موتاهم[١] .

لا تخلـو بـوادي وأصدار منطقـة الباحة من الكهـوف الصخرية التـي سكنها الإنسـان قديماً، وأحياناً كانت الوحوشـ المفترسة تسكن في بعض الكهوف[٢]، وقد شاهدنـا كهفاً في بادية بني كبير ببلاد غامد، وفي وادي الساق تحديداً فكان عبارة عن مغارة كبيرة في الصخر يصل طوله تقريباً إلى عشرة أمتار، وعرضه في المقدمة تقريبـاً ثلاثة أمتار، وكلما اتجهنا إلى الداخل يضيق العرض حتى يصل إلى متر أو متر ونصف تقريباً[٣]. وهذا الكهف يحيط به الصخر من جميع الجهات، وبداخله آثار للسكنى[٤].

---

(١) دراسة المقابر القديمة في منطقة الباحة ثم مقارنتها مع المقابر الحديثة موضوع جدير بالاهتمام والبحث . ونأمـل أن نـرى أحد الباحثين الجاديـن من بلاد الباحة فيتـولى هذا المحور بالدراسـة والبحث العلمي الأكاديمي الموثق .

(٢) يوجـد في منطقة الأصدار العديد من الكهوف التي كانـت تسكنها السباع، وربما اتخذت مقراً للراحة من بعضـ القاطنـين أو المسافرين عبر بلاد الأصدار. مشاهدات الباحث في نواحي عديدة من مناطق الباحة وعسير وجازان خلال السنوات القريبة الماضية .

(٣) مشاهدات الباحث في شهر ذي الحجة عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) .

(٤) حبـذا أن نرى أحد الباحثين الجادين فيقـوم بدراسة تاريخ الكهوف في بلاد تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة . وهذا الموضوع جدير بالبحث والدراسة العلمية الأكاديمية .

كانـت الأسواق الأسبوعيـة في كل ناحية أو عشيرة من منطقـة الباحة (تهامة وباديـة وسراة)[١]، وكان لكل سوق أنظمة وقوانين يسنها ويتولى تفعيلها العشيرة أو العشائر التي يوجد السوق في أرضها[٢]، والسوق قديماً يقام بساحة مكشوفة في إحدى النواحي أو القرى التي يتبع لها السوق، وقد وقفنا على العديد من الأسواق القديمة في سراة وتهامة غامد وزهران، ولتشابه الأسواق في المكان والعرض، وضيق المساحة المخصصـة لهذا المحور نذكر وصفاً موجزاً لسوق الحجرة في محافظة الحجرة في شمـال تهامة زهران[٣]، فهذا السوق يقع في أرض قبيلة الشغبان، ومساحته تقريباً (١٠٠ × ١٠٠م)، وفي طرفه حصن من ثلاثة طوابق، وجزء منه مساحة مكشوفة وعلـى جوانبه دكاكين صغيرة مبنية بالحجارة ومساحة الواحد منها يتراوح ما بين (٢×٢م) و(٣×٣م)، وارتفاعهـا تقريباً مترين ونصـف ومسقوفة بالخشب، ولها أبـواب بمقاس (١×٢م)، وهذا السوق يقع عنـد أسفل هضبة شمالية تعلوها قرية تـتراوح منازلها مـن (٢٠ إلى ٣٠) منزلاً، ولتلك القريـة نوافذ صغيرة. والملاحظ علـى هذه القرية والسـوق علامات الخراب والاندثار بسبب هجـرة أهلها[٤]، ومن خـلال مشاهداتنا لهذه السـوق والقرية المحيطة به، وكذلك أسـواق أخرى عديدة ومشابهة لسوق الحجرة، نخلص إلى النقاط التالية:

١. الأسـواق الأسبوعيـة القديمة تشتمل على أرض مكشوفة ودكاكين صغيرة في أجـزاء من السوق، وهذه الدكاكين لملاك مقيمـين وأحياناً تستأجر من أصحابها للبيع والشراء في بعض السلع المتنوعة.
٢. الأسـواق تكون دائماً قريباً من القـرى، وأحياناً تكون في مكان متوسط من أرض العشائر التي تملك السوق وترتاده.
٣. جميع مواد البناء في الأسواق محلية مثلها مثل مواد بناء القرى والحصون وغيرها.

---

(١) سـوف نذكـر أسماء العديد مـن الأسواق الأسبوعيـة القديمة في منطقة الباحـة، في الصفحات الخاصة بالأوضاع الاقتصادية في نهاية هذا القسم، وفي محور التجارة تحديداً.

(٢) يوجـد لـدى الباحث مئات الوثائق الخاصة بالأسواق الأسبوعية القديمة في كل من الباحة وعسير وجازان والقنفـذة ونجران. وجميع هذه الوثائق تدور في فلك القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م)، وقد يأتي اليوم الذي نخرجها في كتاب أو دراسة مستقلة.

(٣) زيارة الباحث لهذا السوق في أوائل شهر ذي الحجة عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).

(٤) مشاهدات الباحث لسوق الحجرة في (١٤٣٣/١٢/٣هـ).

د ـ الآبار، والسدود والمصدات، والعيون، والمدرجات الزراعية، والأحمية :

الآبار من المصادر المائية الرئيسة في حياة سكان منطقة الباحة، فلا تخلو قرية، أو واد أو ناحية بدوية أوسروية أوتهامية من وجود آبار جوفية، يقوم على تعيين أماكنها وحفرها أهل البلاد، وتتراوح أطوالها من (٢٠ـ٥٠م) [١]. ويتعاون سكان القرى فيما يخصهم من آبار، وحفرها يكون بشكل أسطواني دائري، وأحياناً على شكل مربع، وعند الانتهاء من الحفر يتم بناء الجزء العلوي منها بالحجارة حتى لا يتساقط التراب في البئر مرة أخرى، وكل بئر يوضع لها شارة: تدل عليها كبئر، وتستخدم السواني أثناء رفع المياه من الآبار، وكل بئر يعمل في أحد أطرافها العلوية حوضاً يسمى (القف)، وكذلك ممر يسير فيه الحيوان (الأبقار وأحياناً الجمل) أثناء رفع الماء للشرب وري المزارع[٢].

ومن خلال جولاتنا في منطقة الباحة والوقوف على بعض الآبار الجوفية اتضح لنا عدد من الأمور نذكر أهمها:

١. معظم الآبار الجوفية جفت وغارت مياهها، وربما كان الجفاف وعدم سقوط الأمطار من أهم العوامل التي أدت إلى هذا الوضع، ثم إن كثيراً من الناس قام بحفر آبار ارتوازية تصل أطوالها إلى عشرات أو مئات الأمتار، وهذا تسبب في تسرب مياه الآبار الجوفية، كما أن بعض مالكي الآبار القديمة قام بإجراء بعض الحفريات وتعميق آبارهم مع استخدام بعض المتفجرات (الديناميت) وهذا أيضاً مما خلخل الصخور وساعد في نضوب وتسرب مياه الآبار الجوفية.

٢. لازالت بعض الآبار تستخدم في الشرب والزراعة، وذلك لتوفر المياه بها، ويعود ذلك إلى وقوعها في بطون الأودية أو قريباً من بعض العيون والمياه الجوفية الجارية، ومثل هذه الآبار يطلق عليها اسم (العدّ) وذلك لوفرة مياهها وغزارتها، ونلاحظ بعض الوايتات وتجار المياه الذين يقومون بنقل

---

(١) الذاهب في أرجاء جنوب الجزيرة العربية من مكة والطائف إلى أقصى اليمن يجد طريقة حفر وبناء الآبار متقاربة ومتشابهة في هذه النواحي. وقد شاهدنا مئات الآبار من صنعاء إلى الطائف، ولازال بعضها يستخدم إلى وقتنا الحاضر، وتواريخ البعض منها يعود إلى الماضي بمئات السنين.

(٢) في العقود الماضية المتأخرة حلت المكائن والآلات التي ترفع المياه بدلاً من استخدام الحيوانات، ولم نعد نرى استخدام الحيوان في هذه المهنة. مشاهدات الباحث خلال الثلاثين عاماً الماضية.

مياه هذه الآبار إلى المنازل والقرى المتناثرة في منطقة الباحة في يومنا الحاضر[١].

٣. بعض الآبار قريبة من التجمعات السكانية في المدن والقرى، وأدى هذا إلى تسرب مياه الحمامات ودورات المياه إلى هذه الآبار، ومن ثم أصبحت غير صالحة للشرب، وأحياناً كثيرة لا تصلح لري المزارع والخضروات التي تزرع حولها أو قريباً منها [٢].

٤. جميع الآبار الجوفية الموجودة في عموم منطقة الباحة لها أسماء، فقد تسمى باسم القرية أو المكان الذي وجدت فيه، وقد تسمى باسم امرأة أو رجل، وأحياناً تسمى باسم جبل أو وادي، ومصطلحات أخر عديدة تطلق على الآبار المتناثرة في طول وعرض البلاد .

لم نسمع في السابق عن السدود بمنطقة الباحة سوى القليل أو النادر، وذلك لعدم الإمكانات قديماً وكذلك وجود العديد من العقبات التي تقابل بناء السدود. وفي السنوات الأخيرة قامت وزارة الزراعة بإنشاء العديد من السدود في منطقة الباحة من أجل حفظ مياه الأمطار، وتزويد المدن والقرى بالمياه عن طريق تركيب مضخات على بعض السدود بعد إجراء التنقية والتعقيم اللازم، ومن السدود التي تم بناؤها : سد وادي الجنابين، وسد قذانة، وسد الطلقية، وسد القمع، وسد الأجاعدة في محافظة بلجرشي، وفي حاضرة الباحة : سد وادي الملد، وسد وادي ثراد، وسد وادي العقيق ويوجد عليه محطة تحلية مياه لتزويد مدينة الباحة وما جاورها بالمياه النقية، وفي تهامة سد الحجرة في محافظة الحجرة، وسد وادي الأحسبة، وسد الملح شرق المخواة[٣].

---

(١) شاهد الباحث بعض الوايتات (١٦) طن و(١٤) طن تنقل المياه من بعض الآبار إلى المنازل بأسعار تتراوح من (١٠٠-٣٠٠) ريال .

(٢) هذه المشكلة تكاد تكون سائدة في أنحاء المملكة العربية السعودية، فهناك الكثير من الآبار داخل المدن والقرى، لكن مياهها لا تصلح للاستخدام الآدمي أو ري المزروعات .

(٣) وقف الباحث على بعض هذه السدود فوجدها مليئة بالماء، وتقوم بخدمات عديدة أشرنا إلى بعضها في المتن أعلاه، بالإضافة إلى ري المزارع القريبة من بعض السدود، ونقل المياه أحياناً بواسطة الوايتات لري بعض المزروعات وسقي البهائم في القرى والمدن . مشاهدات الباحث في منطقة الباحة من (٢٩/١١-٩/١٢/١٤٣٣هـ) .

وفي بعض أودية تهامة القريبة من المدن الرئيسة مثل: المخواة، وقلوة وغيرها وجدنا مصدات أسمنتية مسلحة في بعض الأودية، وذلك من أجل حماية القرى أو المدن القريبة منها من سيول الأودية أثناء هطول الأمطار، وتتراوح أطوال هذه المصدات من مئة إلى ثلاثمائة وأربعمائة متر، وارتفاعها من (٢-٤م)، وعند سؤال السكان القاطنين قريباً من هذه المصدات عن مدى فاعليتها أشاروا إلى أهميتها في حماية بيوتهم وعقاراتهم وأملاكهم من سيول الأودية عند سقوط الأمطار(١).

لا تخلو منطقة الباحة من القنوات والعيون المائية التي استخدمها الإنسان في ري الزراعة، وسقيا بهائمه، واستخداماته اليومية(٢). وفي قرية ذي عين الواقعة في أسفل عقبة الباحة المخواة(٣)، عين تجري عند أسفل القرية وهي تنبع من سفوح الجبال المطلة على القرية، والملاحظ أن الجزء العلوي من العين مغطى بالحجارة، ومياهها تتجه غرباً، فتسقي مزارع الموز والأشجار المثمرة في بطن الوادي(٤).

والمدرجات الزراعية من المعالم العمرانية التي عرفها سكان المنطقة، فالسائر في أنحاء البادية والسراة وتهامة يشاهد آلاف القطع الزراعية التي تحيط بها الأسوار لحفظ تربتها ومياهها(٥). ولازلنا نشاهد المدرجات متناثرة في أنحاء البلاد وهي مبنية من الحجارة وتتراوح ارتفاعاتها من (١-٤م)(٦).

---

(١) مشاهدات الباحث لبعض هذه المصدرات في أودية مدينة المخواة وما جاورها في (١٤٢٣/١٢/٤هـ).

(٢) من خلال جولاتنا في المنطقة وجدنا آثار بعض العيون المندثرة في بوادي وسراة غامد وزهران.

(٣) هذه القرية مبنية على هضبة من صخور الجرانيت، ويزيد عدد منازلها عن (١٠٠) متز، وارتفاع بعضها إلى أربعة وخمسة طوابق، بالإضافة إلى المرافق الملحقة ببعض المنازل مثل المسجد والأفنية وغيرها. مشاهدة الباحث في (١٤٣٣/١٢/٣هـ).

(٤) لازالت العين جارية حتى الآن، وهذه القرية تُعد من المعالم الهامة والرئيسة في بلاد تهامة والسراة، وليس هناك اهتماماً أو رعاية بها والمسؤولية ملقاة على عاتق إمارة الباحة وعلى الهيئة العليا للسياحة فتقوم على صيانتها وتوفير الخدمات اللازمة لها حتى تتحول إلى معلم سياحي حضاري يرتاده زوار منطقة الباحة وغيرهم.

(٥) المدرجات الزراعية من الأبنية التي عرفها سكان جنوب الجزيرة العربية، وذلك لأن معظم الأراضي الزراعية توجد في الجبال وسفوحها وفي جوانب الأودية، فكان على الإنسان أن يحيط مزارعه بالجدر والمدرجات العمرانية التي تحفظ حدود وتربة المزرعة.

(٦) دراسة تاريخ المدرجات في بلاد تهامة والسراة موضوع جدير بالبحث، ونأمل أن يكون موضوعاً لرسالة ماجستير أو دكتوراه في أحد أقسام التاريخ في جامعاتنا السعودية.

والأحمية العامة والخاصة من المظاهر الحضارية التي عرفتها غامد وزهران، فقد كان الناس في الماضي يمارسون مهن الرعي والصيد والاحتطاب، ومن ثم كان لكل عشيرة أو قرية حِمًى خاص يُحْمَى في بعض أيام أو شهور من السنة، وعند الحاجة إليه يتم الرعي وجمع الحطب من تلك الأحمية. والذاهب في بعض أرجاء المنطقة يشاهد آثار بعض الأحمية في الجبال والشعاب والأودية، وطبيعة الحمَي أنه يحاط بأسوار حجرية يصل ارتفاعها إلى متر ومترين[١]، وقد عثر الباحث على العديد من الوثائق التي تنص على حفظ بعض الأحمية وحراستها، ومتى تستخدم ومتى تمنع من الاستخدام، ومن هم المسئولون عن الحمي، إلى غير ذلك من القوانين والأنظمة العرفية التي تعارف عليها أصحاب الحِمَى[٢].

وإذا نظرنا في العمارة الحديثة في منطقة الباحة، وجدناها شملت كل جانب من جوانب التنمية الحضارية، فهناك المدن والقرى، وبها المنازل والقصور، والشقق المفروشة، والفنادق، والمؤسسات الحكومية والأهلية . وبها أيضاً الأسواق التجارية المتفاوتة في أحجامها ومساحاتها، والمراكز الطبية والصناعية، والمشاريع السياحية، كما نشاهد الطرق البرية المسفلتة داخل المدن والقرى وخارجها، وهناك بعض المعالم العمرانية الكبيرة في المنطقة مثل: مباني الإمارة والمحافظات في الباحة وبلجرشي وغيرهما، ومباني البلديات في بعض مدن المنطقة، ومباني جامعة الباحة داخل المدينة، وفي المدينة الجامعية في محافظة العقيق، والمطار، والمستشفيات الرئيسة في الباحة وبلجرشي، وغيرها من أنواع العمارة المتنوعة في أحجامها وأهداف استخداماتها، ومساحاتها وطريقة تشييدها[٣].

---

(١) مشاهدات الباحث وجولاته في منطقة الباحة من (٢٩/١١ـ٨/١٢/١٤٣٣هـ) .

(٢) يوجد في مكتبة الباحث مئات الوثائق الخاصة ببعض الأَحْمِيَة وأنظمتها في جنوبي البلاد السعودية (الباحة، وعسير، وجازان، ونجران) . وهذا الموضوع يستحق إلى أن يكون عنواناً لدراسة أو رسالة علمية أكاديمية موثقة .

(٣) تاريخ العمارة الحديثة في منطقة الباحة يستحق إلى أن يفرد له دراسات علمية أكاديمية . ويجب مقارنة العمارة القديمة مع العمارة الحديثة مع توضيح السلبيات والإيجابيات بين النوعين من العمارة . كما يجب على جامعة الباحة أن تنشئ كلية هندسة للعمارة والتخطيط كي تتولى دراسة عمارة المنطقة، والحفاظ على عمارتها القديمة. المصدر: مشاهدات الباحث وجولاته في منطقة الباحة (١٩/١١ـ٩/١٢/١٤٣٣هـ).

٣ـ الأطعمة والأشربة :

كانت أطعمة أهل الباحة قديماً من ناتج مزارعهم، والأسرة في المنزل تعتمد بشكل رئيس على البر(الحنطة) والذرة وأحياناً الشعير في السراة، والدخن والذرة في تهامة، أو ما تحصل عليه بعض الأسر من أبقارها وأغنامها مثل: اللبن والسمن[١]، وهناك أطعمة تُجلب من الأسواق الأسبوعية كل أسبوع أو كل شهر مثل: اللحم والتمر[٢].

من الأطعمة التي عرفها الغامديون والزهرانيون ما يلي:

أ ـ العصيدة، واللبزة، والقرصان، والأولى : من دقيق البر أو الذرة أو بهما معاً في ماء مغلي، والثانية أشبه بالعصيدة، لكنها تعمل من القرصان بعد لبزها، أما القرصان فتصنع من دقيق البر وتوضع في صاج من الحديد حتى تنضج .

ب ـ الخبزة : والدغابيس، والمرصوص، والعيش، والكسكسية :

الأولى: أكلة شعبية مشهورة وتمتاز بها بلاد زهران، وهي من البر الخالص، وتختلف في حجمها باختلاف المناسبة، وهي بشكل دائري يتراوح قطرها من(٣٠ إلى ١٠٠سم)[٣]. والدغابيس : أكلة مشهورة عرفها أهل غامد وزهران، وتصنع من البر، وتوضع في المرق حتى تستوي ثم تؤكل[٤]. والمرصوص: خبزة تزال قشرتها العليا ثم تقطع وترص مع بعضها البعض، وتسمى (العريكة) في بعض مناطق عسير[٥] . والعيش : أكلة مشهورة في جنوب المملكة، وتصنع من اللبن ودقيق الذرة، وتقدم للضيوف في آنية خشبية تسمى (الصحفة) بقطر يصل إلى (١٠٠سم)، ويصب عليها السمن والعسل[٦] . والكسكسية من الأكلات المعروفة عند سكان

---

(١) هذه أطعمة أهل البادية الرئيسة، أما أهل تهامة والسراة فكانت من أطعمتهم أيضاً بالإضافة إلى ما يزرعونه في مزارعهم .

(٢) اللحم والتمر لا تملكه كل الأسر، وإنما المقتدرون منهم، وهناك أفراد وأسر لا يستطيعون شراءه لعدم وجود النقود لديهم .

(٣) شاهدها الباحث أثناء جولاته لجمع مادة هذا القسم وأكل منها في عدد من بيوت زهران (١ـ٩/٩/١٢/١٤٣٣هـ) .

(٤) أكل منها الباحث أثناء جولاته في بلاد غامد (٣ـ٥/ ١٢/١٤٣٣هـ) .

(٥) مشاهدات الباحث وجولاته في جنوبي البلاد السعودية خلال العقود الثلاثة الماضية.

(٦) هذه الأكلة تعرف في بلاد بني شهر باسم (المشغوثة) ، ويتفنن سكان بني عمرو وبني شهر في عملها وتقديمها، وهي من الأكلات المفضلة عندكثير من الناس وبخاصة كبار السن .

منطقة الباحة، وتصنع من دقيق الذرة، ويتم إعدادها في أوانٍ فخارية مخصصة لها، وتستوي على بخار الماء أو المرق مع اللحم[١].

ج ـ أطعمة أخرى : القَلِيَّة : وهي من الحب المقلي على النار . والفواكه مثل: الرمان، والعنب، والتفاح، والبَرشومي، والتين، واللوز، والبرسيم، والدجر، والبلسن وغيرها .

د ـ والأشربة القديمة المتنوعة، مثل: السمن، واللبن، والعسل، والفريقة المصنوعة من اللبن والدقيق . والسويق المصنوع من سنابل الشعير[٢]. والمرق، والروبة، وهو الحليب الرائب قبل خضه[٣] .

والأطعمة والأشربة السابقة الذكر يغلب عليها أمور عديدة نذكر أهمها:

١. إن جميع الأطعمة والأشربة محلية من نتاج مزارع وحيوانات أهل البلاد، ثم إن القائمين على إعدادها هم أهل البلاد وبخاصة النساء .

٢. كان الطعام والشراب في منطقة الباحة قديماً يسد حاجة الناس، ومن ثم تجدهم في عمل دءوب في مزارعهم ورعي مواشيهم من أجل كسب أقواتهم[٤].

٣. جميع الأطعمة والأشربة كانت تصنع وتقدم في أدوات وأوانٍ محلية تصنع في محيط جنوب البلاد السعودية، وأحياناً كانوا يستوردونَ بعض الأواني من أسواق الحجاز ومن ميناء القنفذة وغيره[٥].

(١) تاريخ الأطعمة والأشربة في منطقة الباحة موضوع جدير بالبحث والدراسة نأمل أن يتخذ موضوعاً لرسالة ماجستير في أحد أقسام التاريخ في جنوبي البلاد السعودية. _

(٢) المصدر نفسه . _

(٣) هـذا ما سمعه الباحث من بعض كبار السن في منطقة الباحة . كما أنه شاهد الأشربة المذكورة أعلاه في مناطق عسير ونجران وجازان، وأحياناً تكون المسميات مختلفة، إلا أن نوع الطعام واحد . مشاهدات وجولات الباحث في جنوبي البلاد السعودية منذ ثلاثة عقود .

(٤) عاصر الباحث جزءاً من حياة الناس القديمة في نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م)، ومن ثم تجدهم مكتفين ذاتياً في توفير أطعمتهم وأشربتهم . _

(٥) زار الباحث بعض المتاحف التاريخية والشعبية في مدينتي بلجرشي والباحة أثناء تواجده في المنطقة من (٢٩/١١-٩/١٢/١٤٣٣هـ) ، وشاهد في تلك المتاحف العديد من الأدوات الأثرية التي عرفتها المنطقة وكان بينها بعض الأواني الخاصة بصنع الطعام والشراب وتقديمه . _

ما سبق ذكره أطعمة وأشربة قديمة عرفها الأوائل، وهي طعامهم وشرابهم منذ مئات السنين، ومنذ النصف الثاني للقرن (١٤هـ/٢٠م) بدأت الأطعمة والأشربة المستوردة تصل إلى أسواق منطقة الباحة، وبدأ الناس ينوعون مآكلهم، وبخاصة الشيوخ والأعيان وأصحاب المال، ثم تطورت أحوال الناس الوظيفية والتعليمية والمادية، وازدادت أنواع الأطعمة في المنطقة، وصارت تفتح المطاعم التي تقدم بعض الأطعمة، وهكذا استمر الحال حتى فاض الخير على الناس وتعددت المشارب والمآكل، وتنوعت المواد الغذائية التي جلها مستورد من خارج المنطقة، ومن خلال تجوالنا في المنطقة خرجنا ببعض الانطباعات في باب الأكل والشرب مثل :

١. ازدحام المنطقة بالدكاكين (والسوبر ماركت) الخاصة بالبيع والشراء في مواد الأطعمة المختلفة.

٢. تعدد المطاعم (والبوفيهات) والاستراحات والمطابخ الخاصة بصنع الأطعمة، والمتفاوتة في أحجامها، وأماكنها، وأنواع أطعمتها، وأسعارها .

٣. ازدياد الأطعمة والأشربة عند الأسر، وفي المجتمعات، والمناسبات، والولائم، حتى أصبح الإنسان غير قادر على معرفة أسمائها وحصر أنواعها.

٤. جميع الأيدي العاملة في صنع الأطعمة في المطاعم والمطابخ التجارية من العمالة الوافدة من بلدن عربية وشرقية وأحياناً غربية، ونادراً مانجد سعودياً يعمل في مهنة الطبخ والمطاعم . وكثير من الأسر الغامدية والزهرانية استقدموا عاملات منزليات من خارج البلاد، وأصبح بعضهن يقمن بعمل الأطعمة والأشربة الخاصة بأفراد الأسرة[١].

٤ـ الألبسة والزينة :

عرف سكان منطقة الباحة العديد من الألبسة. فالرجال يلبسون ثوباً من قماش (الدوت)، قصير الأكمام، ويسمى (الثوب المزند) نسبة إلى زند الرجل، وهو منطقة الصدر والذراعين، ويلف الرجل على رأسه عمامة بيضاء وأحياناً مقلمة بخطوط سوداء، وتلف حول الرأس، والملابس الداخلية عند بعض المقتدرين سروال

(١) إجراء دراسة مقارنة لتاريخ الأطعمة والأشربة قديماً وفي عصرنا الحاضر موضوع هام وجدير بالبحث والدراسة . ونأمل من بعض أقسام التاريخ والحضارة في جامعاتنا السعودية أن تكلف بعض طلابها لدراسة مثل هذا العنوان في مناطق عديدة من المملكة .

مـن قماش الدوت، وكثـير من الرجال لا يجد ملابس داخليـة يلبسها، وبخاصة في العقـود الأولى من القرن (١٤هـ/٢٠م)، ويحتزم الرجل بحزام من الجلد، وأحياناً يربط مع الحزام سكين صغيرة في غمدها[١].

وللرجـال ملابس خاصـة في المناسبات مثل: الثـوب، والعمامة، والخنجر، وحـزام من الجلد يثبت عليه الخنجر، وغالبـاً يلبس في المناسبات حزام مرصوص بالرصاص، ويصطحب الوجيه أو الشيخ بندقيته، وأحياناً السيف والبشت[٢].

وفي فصـل الشتاء يرتدي الرجال (العبـاءة) أو (الجبة) وهي مصنوعة من صـوف الغنم، ومفتوحة من الأمام ولها أكمام طويلة، وغالباً تكون ذات لون أبيض، وتصنع في وادي بيدة من بلاد زهران، وبعض الأسر الغامدية تمتهن صنعها[٣].

ويلبس النساء ثياب ذات ألوان سوداء أو حمراء، وأحياناً ألوان أخرى مختلفة، وهذا النوع من الثياب تلبسه المرأة في المنزل وخارجه. وهناك ألبسة أخرى مطرزة الأكمـام، وهـذا اللون من اللباسـ يستخدم في مناسبـات الأفـراح[٤]، ومن ألبسة النساء الشيلة أو القناع الذي تلفه المرأة على رأسها وعنقها، ولونه في الغالب أسود، والنسـاء يلبسن أيضاً السراويل التـي تصل إلى القدمين، وهي ذات خطوط سوداء أو حمراء أو غيرها.

وعرف الرجال والنساء الأحذية حسـب الإمكانات فالأغنياء والأعيان يلبسون أحذيـة مصنوعة مـن الجلد، أو البلاستيـك. والأحذية أنواع فمنهـا المستورد من أسـواق الحجاز وغيرها، ومنهـا المصنوع محلياً من جلـود الأبقار والجمال. وكثير مـن السكان صغـاراً وكباراً يمشون حفاة لعدم وجود المـال الذي يشترون به أحذية وما شابهها.

---

(١) دراسـة تاريـخ الألبسـة والزينة في بـلاد تهامة والسـراة خلال القـرون الماضية المتأخـرة موضوع جدير بالدراسة والتوثيق.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) هـذا النوع من اللباس يُصَدر إلى خارج منطقة الباحة. وعرفت في نجران وبلاد عسير بالعباءة البيدية، نسبـة إلى (وادي بيـدة) أو الغامدية نسبة إلى بلاد (غامد). هذا ما شاهده وسمعه الباحث من بعض كبار السن في منطقتي نجران وعسير خلال أعوام ماضية.

(٤) زار الباحـث بعض متاحف منطقة الباحة وشاهد بعض الألبسة القديمة التي كان يلبسها الرجال والنساء وكذلك الأطفال.

كان الرجـال يحرصون عل لبس الحزام، وهناك أحزمة من الجلد وسعف النخل وأحيانـاً من القماش، ويلبس الرجـال في المناسبات أحزمة كبيرة محـلاة بالفضة، وأحيانـاً يلبسـون أحزمة وقد ثبت عليهـا الخناجر في أجفانهـا المزدانة بزخارف من الفضة. ويستخدمون الكحل في العيون، والحناء في اللحية والرأس، وبخاصة في منطقة تهامة، ويلبسون العقال ويضعون أغصان الريحان مع العقال أو العمامة. ويلبس بعض الرجال الخاتم في اليد، وبعض الأعيان والوجهاء يحملون المسبحة في اليد[1].

وكان النسـاء يتزيـن بالقلائد والخـواتم في الصـدر وأصابع اليـد، وبعضهن يلبسـن في مناسبات الـزواج العصابة علـى الرأس، والحزام الذهبـي، أو الفضي علـى الوسط، والزمام في الأنف وبعض الأخراص في الأذن، والمفارد المصنوعة من الخرز وأحياناً من الذهب أو الفضة في اليد[2].

أما لباس الأطفال فهو من نوع الأقمشة التي يلبسها الآباء والأمهات. وكانت الألبسة قليلـة، فالواحد منهم لا يملك إلا ثوبـاً واحداً وربما ثوبين بالكثير، أحدهما للعمل داخل البيت وخارجه، والآخر لصلاة الجمعة أو حضور المناسبات الاجتماعية في منطقته.

ومنذ ثمانينيـات القرن (١٤هـ/٢٠م) بـدأت أوضاع الغامديـين والزهرانيين تتحسن تنموياً واقتصادياً، وتزايد المال في أيديهم، وتطوروا في ألبستهم، فأصبحوا يمتلكون أنواعاً عديدة من الألبسة والزينة، وأصبح كل فرد في المجتمع يقتني العديد مـن الألبسة الداخليـة والخارجية. ولم يـأت هذا القرن (١٥هــ/٢٠م) إلا ومدن منطقة الباحة تحتضن العديد من الدكاكين والأسواق الخاصة باللباس والخياطة، وهكـذا تطور الأمر حتى يومنا هذا والذاهب إلى أسواق المنطقة يجدها تعج بمئات الأسـواق الخاصـة بالألبسة والزينة (نساءً ورجالاً وأطفـالاً) ومعظم أسواق اليوم تختـص بالأطفـال والنسـاء[3]، وهنـاك أماكن خياطـة في كل مدينـة وقرية تقوم بتفصيل جميع أنواع الموديلات الخاصة بالجنسين[4].

---

(١) ليس عموم الرجال يتزينون بما ذكرنا أعلاه، وغالبية السكان يكتفون باللباس العادي الذي سبق ذكره، لكن المجتمع لا يخلو ممن كان يتزين بما أشرنا إليه.

(٢) كان الوضع عند النساء كما هو عند الرجال فليس كل النساء يقدرن على التزين بما سبق ذكره، أما عموم النساء فكن يكتفين بألبسة وأحزمة عادية، وإذا لبسن بعض الحلي فإنها ذات أنواع رخيصة.

(٣) في صفحـات قادمة من هذا القسم، وفي عنصر التجـارة سوف نذكر أسماء بعض الأسواق الكبيرة في مدن الباحة الرئيسة وجميع هذه الأسواق تعرض آلاف الأنواع والأشكال من الألبسة والزينة التي يحتاجها إنسان اليوم.

(٤) تاريخ اللباس والزينة والمقارنة بين الماضي والحاضر موضوع هام وجدير بالدراسة.

ومن خلال الإشارة إلى بعض ألبسة الماضي وما وصلت إليه في الوقت الحاضر، وما جرى من تبدلات على الناس في باب اللباس نذكر بعض الرؤى والانطباعات عن ما عرفنا وشاهدنا، وهي على النحو التالي:

١. ندرة اللباس قديماً جعل الناس يقتصدون في ملابسهم ويحافظون عليها. بعكس الوقت الحاضر الذي بالغ فيه الفرد والمجتمع في استخدام الألبسة وأدوات الزينة المختلفة.

٢. كان النساء قديماً يحرصن على لبس الملابس الساترة لأجسادهن في الداخل والخارج مع ترك وجوههن سافرة، واليوم أصبح النساء يتسترن بالحجاب والعباءة خارج المنزل لكن في الأفراح والمناسبات الاجتماعية كالزواج مثلاً تجدهن يبالغن في لبس ملابس كاشفة لأجسادهن، مع المبالغة في التزين. وهذا أمر لا يتفق مع الشرع والعرف حتى وإن كن أمام النساء فقط.

٣. نلاحظ دخول موديلات حديثة عند الرجال والنساء وبخاصة الشباب، مثل: بعض أنواع البنطال، وملابس داخلية وخارجية أخرى. والمتأمل في هذه الألبسة يجد فيها خدشاً للكرامة والمروءة وبخاصة إذا أعدنا ذلك إلى الشرع القويم، وإلى ما عرفه وعاشه الآباء والأجداد [١].

٤. ملابس الأوائل كانت تقوم في الغالب على مواد وأيدي عاملة محلية بعكس ألبسة اليوم المستوردة من خارج البلاد، والقائمون على عرضها وبيعها وتفصيلها وخياطتها من العمالة القادمين من خارج المملكة العربية السعودية[٢].

٥. وفرة الألبسة وأدوات الزينة اليوم لم تؤثر في رخص أسعارها. وإنما البعض منها ذات أسعار عالية مثل: الذهب، وبعض أدوات الزينة، والثياب والفساتين، والأحذية للرجال والنساء.

(١) بعض هذه الألبسة تظهر مفاتن المرأة، وأخرى لا تليق بالرجل الشاب، لأنها تظهر أحياناً أطرافاً من عورته، أو أن فيها تشبهاً بالنساء أو بلباس اليهود والنصارى.

(٢) من أراد الاستزادة عن أنواع وأسماء وأشكال الملابس وأدوات الزينة القديمة في منطقة الباحة فليذهب لزيارة بعض المتاحف المحلية في مدن المنطقة، وسوف يجد الكثير من ألبسة القدماء. ومعظمها صناعة محلية، مع أن بعض موادها الرئيسة مثل: القماش وأدوات الزينة كانت مستوردة من أسواق الحجاز واليمن وغيرها.

٦. أدوات الزينــة مثل: العصابــة، وأحزمة الذهب والفضة للنســاء، والأسلحة للرجال، وكثير من الألبسة القديمة عند الجنسين أصبحت جزءاً من التراث فـلا يستخدمها أحد، اللهم إلا بعض الأسلحة التي يستخدمها بعض الرجال في المناسبات الاجتماعية، كذلك الحزام الذي كان لا يفارق الرجال والنساء والأطفال قديماً صار غير مرغوب عند جميع عناصر المجتمع[١].

٥ـ الفنون الشعبية والألعاب الرياضية :

عرفت منطقة الباحة العديد من الفنون الشعبية، وقد فصلها الاستاذ علي صالـح السلـوك في موسوعته : **الموروثـات الشعبية لغامد وزهـران**، وأفرد لكل فـن سفر مستقـل، **الأول:** قصائد الجبل واللبيني . **والثـاني** : قصائد العرضة في مناسباتهـا المختلفة. **والثالث :** قصائد اللعب والمسحبـاني، والهرموج، والعزاوي والسامر . **والرابع :** الأناشيد الشعبية (القاف) . **والخامس:** الأمثال والحكم[٢]. ومن خلال هذا الرصد التاريخي الأدبي نورد الآراء والأقوال التالية:

١. منطقة الباحة غنية بتراثها وأدبها الشعبي .
٢. غنى الجانب اللغوي والحكم والأمثال في هذه البلاد الأزدية القحطانية .
٣. على جامعة الباحة مسؤولية كبرى تجاه موروث منطقة الباحة الشعبي والثقافي والأدبـي واللغـوي، ومن ثم يجـب عليها إنشاء مراكز أبحـاث متخصصة في دراسة التراث الشعبي للمنطقة، كما يجب عليها تشجيع أقسام اللغة العربية والتاريخ والاجتماع على دراسة أدب وتراث ولغة هذه البلاد[٣].
٤. الأدب الشعبـي الذي تتميـز به منطقة الباحة يستحـق الصيانة والحفاظ عليه، فإمارة المنطقة مع الجامعة والنادي الأدبي، وجمعية الثقافة والفنون عليها جميعاً مسؤولية التعاون والتضافر لإنقاذ هذا الموروث من الضياع.
٥. السائر في منطقة الباحة اليوم يشاهد أجيالاً صاعدة لا تعرف عن موروث آبائهـا وأجدادهـا أي شيء، وهذه كارثـة كبيرة وبخاصـة إذا غرقوا فيما

---

(١) دراسة تاريخ اللباس والزينة في منطقة الباحة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) موضوع جدير بالبحث والدراسة ويستحق إلى أن يكون موضوعاً لرسالة ماجستير أو دكتوراه .

(٢) هـذه الكتب الخمسة التي ألفهـا ونشرها الأستاذ السلوك، طبعت في مطابـع مؤسسة المدينة في جدة عام (١٤١٥هـ) .

(٣) منطقة الباحة جديرة بالعديد من الدراسات الأكاديمية وبخاصة في موروثها الثقافي واللغوي والشعبي .

تصدر لهم وسائل التقنية والقنوات الفضائية من ثقافات وفنون سلبية وبعيدة عن تراث آبائهم، وما عرفته منطقة الباحة من أصالة وقيم ومبادئ.

٦. على إدارة التعليم مع القائمين على مهنة التربية والتعليم في المراحل الجامعية والعامة مسؤولية الحفاظ على الموروث الأدبي القديم، ثم نقله إلى أجيال اليوم التي تعيش مرحلة فاصلة كبيرة ما بين الماضي والحاضر.

٧. المشاهد للفنون الشعبية التي تمارس في بعض المناسبات الاجتماعية والرسمية يجد خللاً كبيراً في أدائها وحفظ تراثها. فهناك أجيال جديدة لا تجيد ممارستها، ولا يوجد هناك شعراء أكفاء يقولون ويحفظون ويبدعون كما كان عمالقة الموروث الشعبي السابق[١].

عرف الغامديون والزهرانيون ألعاباً رياضية قديمة مثل: السباحة في الآبار والغدران، والمصارعة، والسباق وهناك ألعاب محلية أخرى عديدة، ولها أسماء شعبية عند الناس[٢]. مثل: الدلاوة، واللقطة، والأمثال، والبيوت، والقبة، (وماك) بالحجارة، ولعبة اللسح، وساري بالغترة، او بأغصان شجر لا يؤلم عند الضرب، وألعاب على ضوء القمر، وألعاب يجتمع الشباب لها ليلاً فيوقدون النار ويؤدونها على ضوء القمر والنار، وألعاب القفز والسمر وغيرها[٣].

وفي العقود الماضية المتأخرة عرفت المنطقة العديد من الألعاب الرياضية الحديثة مثل: كرة القدم، والطاولة، والسلة، واليد، وألعاب القوى المختلفة. والآن عرف أجيال اليوم العديد من الرياضات التقنية والإلكترونية عن طريق الجوالات، والكمبيوتر، والبلاي ستيشن وغيرها، ومن خلال ما عرفنا وسمعنا عند الأوائل وما نشاهده اليوم نستطيع القول:

---

(١) نأمل أن نرى دارسين ومتخصصين في أدب وثقافة الفنون الشعبية. كما نأمل أن نرى بعض الباحثين الجادين الذين يتولون دراسة تاريخ الأدب الشعبي القديم مع ذكر سلبياته وإيجابياته في السابق، وما ناله من التقهقر والضعف في عصرنا الحالي، ثم رصد بعض النتائج والتوصيات التي تؤدي إلى إنقاذ ما بقي منه.

(٢) للمزيد عن هذه الألعاب، انظر: أحمد سالم عثمان. ألوان من تراث غامد وزهران (الرياض: الدار العربية للطباعة والنشر، ١٤٢٤هـ)، ص٥٢-٥٤.

(٣) المصدر نفسه. ودراسة تاريخ الألعاب الرياضية القديمة في بلاد السراة وتهامة من مدن الحجاز الرئيسة إلى جازان ونجران خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) موضوع يستحق أن يفرد له كتاب علمي موثق، ولازال في هذه المنطقة من كبار السن من يروي تفصيلات عن ألعاب ذلك الزمن الغابر.

١. جهل وعدم معرفة جيل اليوم لألعاب ووسائل تسلية الآباء والأجداد . وهذا مما سوف يوسع الفجوة النفسية والثقافية والاجتماعية والفكرية بين الأوائل والمتأخرين .

٢. الألعاب الرياضية القديمة تبني عقول وأجسام الممارسين لها، كما أنهم يشعرون بالرضى النفسي، وتزيد من الألفة والترابط بينهم . بعكس كثير من ألعاب اليوم فهي تسبب التوتر والقلق في عقول وأجسام من يمارسها، كما أن بعضها مثل الألعاب التقنية تسبب البدانة وأمراض الضغط والسكر وغيرها من العلل لأن الممارسين لهذه الألعاب يقضون أوقاتاً طويلة وهم جالسون، بالإضافة إلى استهلاك كميات كبيرة من الطعام والمشروبات الغازية[١] .

٣. تنوع الألعاب الترفيهية في بعض المراكز السياحية مثل : الحدائق والمتنزهات، والتجمعات السكانية . وهذا النوع من الألعاب له جوانب إيجابية للترويح والاستجمام لمن يذهب إليها ويمارسها بطريقة سليمة ومقننة، أما الذي يذهب إلى مثل هذه الأماكن فيقضي بها أوقاتاً طويلة، أو يتعامل مع بعض آلات اللعب بقسوة وغير بصيرة فهذا مما قد يسبب له أذى جسدياً يودي بحياته[٢] .

٦ـ عادات وتقاليد وأعراف أخرى :

عرفت منطقة الباحة العديد من التقاليد والأعراف الاجتماعية مثل: عادات الزواج، والمآتم، والأعياد، والتعاون والتكافل، وحفظ الجوار، والأحلاف القبلية، وأعراف أخرى عديدة أثناء ممارسة بعض الأعمال الاقتصادية في التجارة، والزراعة، وصناعة بعض الحرف والصناعات التقليدية[٣] . كما مارس الغامديون

---

(١) هذا ما شاهده الباحث أثناء زيارة بعض الصالات والمقاهي الترفيهية في منطقة الباحة أثناء فترة جمع مادة هذا القسم (٢٩/١١ـ ٩/١٢/١٤٣٣هـ) .

(٢) هناك من فقد حياته في بعض المراكز أو الألعاب الترفيهية في منطقة الباحة، نتيجة لسوء اللعبة التي يمارسها، أو عدم صيانة بعض الألعاب قبل استخدامها . هذا ما سمعه الباحث من بعض القائمين على بعض المجمعات الترفيهية في مدينة الباحة في (٥/١٢/١٤٣٣هـ) .

(٣) للمزيد من التفصيلات عن بعض التقاليد والعادات التي عرفها سكان منطقة الباحة انظر: سعيد فالح الغامدي . التراث الشعبي في القرية والمدينة (منطقة الباحة مدينة جدة) (جدة : دار العلم للطباعة والنشر، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص ١٤٦ وما بعدها، انظر أيضاً : أحمد سالم عثمان، ألوان من تراث غامد وزهران، ص ٢٣ وما بعدها .

بعض التقاليد والأعراف في زيارة مرضاهم، واختلاطهم ببعضهم في قراهم وأسواقهم وأسفارهم، واستقبالهم ضيوفهم وتوديعهم، وفي حروبهم وسلمهم[١].

وإذا قارنا ما سمعنا وعرفنا من أعراف وعادات وتقاليد قديمة في منطقة الباحة، ثم شاهدنا ما تعيشه البلاد اجتماعياً في الوقت الحاضر، فإننا نستطيع الخروج بالعديد من الانطباعات التي نذكر أهمها في النقاط التالية.

أ- تنوع بيئة منطقة الباحة أثرت قديماً في تقاليد وأعراف الناس فأهل البوادي يمارسون مهنة الرعي، ومن ثم فهم يعيشون تقاليد وعادات أهل البادية . أما أهل تهامة والسراة فقد جمعوا بين حضارة الحضر والبادية فهم يمارسون رعي مواشيهم ويعملون في مهن الصناعات اليدوية والزراعة والتجارة[٢].

ب- يغلب على الناس قديماً البساطة وعدم التكلف في بعض عاداتهم، مثل الأعياد، والزواج، وتجد التقارب والمحبة في ممارسة أعمالهم المختلفة . وكان جميع أفراد الأسرة أو القرية أو المجتمع الواحد يتعاونون في كل ما يعود عليهم بالنفع والفائدة، ولا تخلو المنطقة من صراعات بين العشائر المتجاورة، وكانت جل صراعاتهم تدور في فلك المراعي والمزارع وموارد المياه والشرف وغيرها[٣].

ج- لازالت بعض عادات الزواج، والأعياد، والمآتم تمارس عند سكان منطقة الباحة إلى اليوم، إلا أنه جرى عليها أيضاً بعض التغيرات، فالأماكن الخاصة بالزواج، والهدايا، والمهور والفنون التي تمارس أثناء الزواجات

---

(١) المرجعان نفسهما . ولازالت منطقة الباحة (بادية وسراة وتهامة) تحتاج إلى دراسات علمية أكاديمية تركز على عادات وأعراف الناس . وهناك ثروة ثقافية ولغوية في ممارسة كثير من التقاليد والأعراف، والباحث في هذا المحور يجد منطقة الباحة غنية في هذا الجانب الثقافي والتعليمي .

(٢) هذا ما سمعه الباحث أثناء تجواله في منطقة الباحة، بل عاصر صوراً من هذه الحياة في منطقة عسير خلال العقود الأربعة الماضية .

(٣) عاشت منطقة الباحة وعموم بلاد تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية الوسيطة والحديثة الماضية بعض أشكال من الصراعات والفوضى، وذلك بسبب فقدان الأمن، وعدم وجود سلطة مركزية تسوسهم، وعند مجيء الحكم السعودي الحديث وحد البلاد حتى صارت خاضعة لحكومة رئيسة تحكم فيهم شرع الله . هناك مئات الوثائق التاريخية غير المنشورة التي تؤكد ما ذهبنا إليه . ودراسة أحوال بلاد السراة وتهامة سياسياً وإدارياً خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) . موضوع جدير بالبحث والدراسة العلمية الأكاديمية .

أصبح مبالغا فيها كماً وكيفاً[١]، والتراحم والتقارب الذي كان مألوفاً في الأعياد صار محدودا بل صار في حكم المفقود في أحيان أخرى[٢]. أما عادات المآتم فممارستها اليوم أفضل مما كانت عليه في الماضي وبخاصة في الولائم والتكاليف التي كانت تقام في منزل الميت ويصرف عليها من ماله[٣].

د- كان التعاون والتكافل والتراحم سائداً بين الناس قديماً، وحل التباعد والقطيعة بين الأقارب بشكل خاص وبين بعض أفراد القرية والمجتمع الواحد بشكل عام، وربما كان لعوامل التمدن والحضارة، والأسفار، ووفرة المال في أيدي الناس، والسعي في جمع الأموال، والتوسع في المآكل والمشرب والمسكن، وأحياناً ضعف الوازع الديني أثر في تباعد أفراد المجتمع، وفقدانهم صفات التراحم والتعاون التي كانت سائدة بين آبائهم وأجدادهم[٤].

هـ- مقارنة الكثير من الأعراف والتقاليد التي يمارسها شباب وشابات اليوم مع التقاليد وعادات شباب الماضي يجدها متباينة ومختلفة في التفكير، واللباس، والطعام، ونظرتهم للأجيال السابقة، وتعاملهم مع عصرهم . فالأوائل كانوا سائرين على خطى آبائهم في جميع أفراحهم وأتراحهم وتعايشهم مع مجتمعهم المحدود جغرافياً وثقافياً وتعليمياً، أما جيل اليوم فقد خرجوا بتفكيرهم من إطار مجتمعهم، وأصبحوا يعيشون مع جميع أنحاء العالم من خلال وسائل التنقية الحديثة التي غزت عقولنا ومنازلنا

---

(١) المشاهد لحفلات الزواجات اليوم يجد المبالغة في شراء الملابس والمصروفات التي تنفق على الحفل، من إيجار صالات، وتقديم ولائم وهدايا وغيرها . مشاهدات الباحث لعادات الزواج قديمة وحديثاً في مناطق عديدة من جنوبي البلاد السعودية .

(٢) لازالت تمارس عادات الاحتفال بالأعياد، لكنها تحولت في الغالب من النهار إلى الليل، ولم يصبح لها النكهة والطعم الذي عرفناه وعشناه في أواخر القرن الهجري الماضي . دراسة عادات وتقاليد الأعياد في الماضي والحاضر موضوع يستحق الدراسة والاهتمام .

(٣) كانت عادات وتقاليد المآتم قديماً قاسية على أهل الميت، وذلك باجتماع أهل القرية والعشيرة في منزل المتوفى لعدة أيام، وهم يأكلون ويشربون من مال الميت مدة إقامتهم للعزاء التي تستمر لعدة أيام .

(٤) هذا ما سمعه الباحث من بعض أفراد في تهامة وسراة منطقة الباحة، بل عاصر حياة الناس في هذا الباب قديماً وحديثاً . وأجرى دراسة مقارنه عن تاريخ التكافل والتعاون في جنوبي البلاد السعودية خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) عنوان يستحق البحث والدراسة . وهناك آلاف الوثائق المحلية التي بين أيدي بعض الأسر السروية والتهامية، وجميعها تصب في خدمة هذا الموضوع .

ومجتمعاتنـا، والمؤسف أن كثيراً من ناتج هذه الوسائل قاد أجيالنا المعاصرة إلى سلبيات كثيرة أثرت في قيم وأعراف وتقاليد المجتمع الأصيلة[١].

و. ظهور المـدن الكبيرة واتساعها، وشق الطرق وتعبيدهـا بين الأرياف والقرى والمـدن، وترابـط المنطقـة (تهامة وسـراة وبادية) جغرافيـاً، كل هذا أنتج تقـارب الثقافات، وتبـادل بعض العـادات والأعراف والتقاليـد وبخاصة في مجـال: اللهجـات، والأطعمـة، والأشربـة، والألبسـة والزينـة، والاحتفالات والمناسبات الاجتماعية، وبعض الألعاب والفنون الشعبية وغيرها[٢].

ز. حصـل الباحـث أثنـاء جولته لجمع مـادة هذا القسـم على بعض الوثائق الاجتماعيـة المحلية التي تعود إلى العقود الوسطى من القرن (١٤هـ/ ٢٠م)، وبعد قراءتها اتضح له عدة أمور نذكر أهمها في النقاط التالية:

١. جميـع هذه الوثائق تتعلق بقرى وعشائـر غامدية وزهرانية وعُمرية، وهي تناقش بعض أعراف المجتمـع مثل : تحديد مهور الزواج، ومقدار الكسوة التي يقدمها العريس لعروسه قبل الدخول بها، ومقدار الوليمة التي تقدم في الزواج، وعدد الرجال الذاهبين مع العريس يوم زواجه . وجميع البنود الـواردة في هذه الوثائـق تصب في الحد من المبالغـة في التكاليف وتسهل أمورالزواج بين أفراد القبيلة التي تخصها مثل هذه الوثائق.

(١) يصعـب علينـا حصر هـذه التأثيرات في هذه السطـور المحدودة، لكـن البعض من هـذه التأثيرات يمس عـادات الطعـام والشـراب، واللباس، وتعلـم القيـم والمبـادئ الساميـة مثـل: بـر الوالديـن، واحترام الكبـير، والصدق، والأمانة، والمـروءة، والشيم وغيرها . وإجراء دراسة تقارن بـين أعراف وتقاليد وقيم الشبـاب اليوم وفي الماضـي موضوع جدير بالبحث. نأمـل أن نرى أحد الباحثين يتـولاه بالدراسة العلمية الأكاديمية الجادة .

(٢) في الماضي كانت كل قرية منعزلة على نفسها، وغالباً بعض القرى المتقاربة التي تنتمي إلى عشيرة واحدة تجدهـا تعيش أعراف وتقاليد وقيم واحدة، وهكذا وضع العشائـر والقبائل قديماً . وفي عصرنا الحاضر اتصـل الشـرق بالغـرب والشمال بالجنـوب، وصارت المنطقـة الواحدة مع اتسـاع أرضها وتعـدد قراها وعشائرهـا وبطونهـا تعيش في مجتمع واحـد يسوده الأمن وتبادل المصالح الإداريـة والحضارية، ومن ثم انصهـرت العادات واللهجات والأعراف، وأصبح الذي في أقصـى تهامة الباحة يعيش كما يعيش الذي في أعـالي السراة أو أقصى الباديـة . لقد عاصر الباحث الحراك الاجتماعي الـذي عاشته مناطق الجنوب (الباحـة، وعسير، والقنفـذة، وجازان، ونجران) منذ أربعة عقود . ولذا فإجراء دراسة أكاديمية مقارنه علـى أحوال الناس الاجتماعية الحضارية في الماضي والحاضر موضوع جدير بالبحث والتوثيق، ونأمل أن نرى بعض طلابنا الأكاديميين فيقوموا بدراسة هذا الموضوع .

٢. ورود بنـود أخـرى في بعض الوثائـق وهي تقـدر نسبة النـكال أو التعزير (العقوبة) لمن يتجاوز في أرض جاره أو يعتدي على أحد من أفراد القبيلة، أو يقوم بأي تصرف يتعارض مع قوانين ونظم القبيلة .

٣. يتضح في عدد من الوثائق بعض النصوص التي تنظم نظام الأحلاف بين القبائـل أو العشائر، وحماية الأسواق الأسبوعية، أو الطرق والأحمية التي بين القرى أو العشائر.

٤. هناك وثائق تدور في فلـك التكافل والتعاون والتآزر الاجتماعي بين أفراد القرية أو العشيرة المسؤولة عن مثل هذا النوع من الوثائق . ووثائق أخرى حول السمايـة، وإغاثة الملهوف، واستقبال المسافريـن وتوديعهم، وإكرام الضيوف، وتبادل الهدايا بين أفراد المجتمع الواحد وغيرها[١] .

٥. يجب على جامعة الباحة، والنادي الأدبي، وجمعية الثقافة والفنون، وإمارة ومحافظـات المنطقة أن تجمع مثل هـذه الوثائق الآنفة الذكر، وتحفظ في متحـف عـام لخدمة المنطقة وتراثهـا . كما يجب على هـذه المؤسسات أن تشجـع دراسة هـذه الوثائق واستخلاص ما فيها مـن دروس وعبر جميلة وطباعتهـا ونشرهـا للقراء، ويجب على وزارة التربيـة والتعليم أن ترصد في مقرراتها التي تدرس للطلاب والطالبات بعضاً من الجوانب الإيجابية التـي وردت في مثل هـذه الوثائـق . وإذا تم إنجاز مثل هـذه الجهود قولاً وعملاً فإننا دون شك سوف نسهم في ربط أجيالنا الحاضرة ببعض القيم والأعراف القديمة الصالحة في بناء الفرد والأسرة والمجتمع[٢] .

رابعاً : الأوضاع الاقتصادية :

١ـ الجمع والالتقاط :

كانـت حياة سـكان منطقة الباحة بسيطة اقتصاديـاً، ومهنة الجمع والالتقاط مـن المهـن التي مارسوهـا بشكل كبير، ففي الوقـت الذي لم يكن فيـه كهرباء كان

(١) دراسة التاريخ الاجتماعي لبلاد الباحة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) موضوع جدير بالدراسة، ويستحق إلى أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية أكاديمية .

(٢) الذاهب في أرجاء بلاد تهامة والسراة، والفاحص لموروثها الأدبي والثقافي والاجتماعي فإنه سوف يجد مخزوناً قيمـاً وجيـداً في بناء المجتمعات على مبـادئ العزة والقوة والشهامة والإنسانية. ولا ننكـر أنه كان عند الأوائل بعض السلبيات، لكن عندهم من الإيجابيات ما يستحق التأمل فيه والاستفادة منه في حاضرنا ومستقبلنا .

الناس جميعاً يحرصون على جمع الحطب من الجبال والأدوية حتى يستخدموه في طهي طعامهم، والتدفئة [١]، كما كانوا ينقلون المياه على ظهورهم أو على ظهور الدواب من الآبار أو مصادر المياه القريبة من أماكن استيطانهم[٢]. ويقومون أيضاً على جمع الأعشاب والحشائش التي يقدمونها لحيواناتهم الأليفة في منازلهم[٣].

وأثناء حصد الثمار والحبوب في مناطق السراة وتهامة كان هناك بعض المتجولين من أهل المنطقة، وأحياناً من المناطق المجاورة الذين يتصلون بأصحاب الزروع وقت الحصاد ويطلبون منهم الصدقة - غالبا - يحصلون على مطلبهم، وهكذا يتنقلون بين أصحاب المزارع للغرض نفسه[٤]. وعندما يتجمع عندهم مقادير من الحبوب أو الثمار ينقلونها إلى أماكن إقامتهم[٥].

وهناك العديد من الأشجار والنباتات المثمرة في الأودية والجبال، مثل: التين الشوكي (البرشومي)، والعنب، والرمان، والتين، واللوز، وفواكه وثمار أخرى، وهي أملاك خاصة لبعض الأسر في المنطقة، وعند التقاطها يستعان ببعض أفراد القرية أو عابري السبيل، وعند الانتهاء من قطعها وجمعها تعطى تلك الأيدي العاملة نصيبا من محاصيل هذه الثمار[٦]. ويوجد في الجبال والأدوية العامة بعض الأشجار المثمرة، مثل: النبق من أشجار السدر، والهدب من أشجار العرعر، وربما التفاح البلدي والتين الجبلي، وأحياناً الصمغ[٧]، وكل هذا يتم جمعه من قبل بعض

---

(١) عند استخدام الكهرباء بدأت مهنة جمع الحطب تتلاشى، ولم يبق هناك إلا أفراد قليلون يقومون بجمع الحطب من بعض الجبال والأودية وحمله في سياراتهم من أجل بيعه في الأسواق. وغالباً يستخدم لطهي بعض الأطعمة والأشربة أثناء الخروج للترويح والنزهة في الجبال، ويستخدم أيضاً في حرق البخور أو العودة التي تقدم للضيوف وأحياناً في المساجد يوم الجمعة وخلال شهر رمضان.

(٢) هذا ما سمعه الباحث وعاصره في منطقة عسير خلال العقد الأول من القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) هذا ما سمعه الباحث من بعض كبار السن في سروات الباحة، وشاهده في بلاد بني شهر وبني عمرو من منطقة عسير خلال تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٥) كان أصحاب المزارع يطلبون أحياناً من أولئك المتجولين أن يعملوا معهم أثناء حصد المحاصيل والثمار، لعدة أيام وربما أسابيع أو شهور حتى الانتهاء من حصد ودرس ثمار مزارعهم. مشاهدات الباحث في نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٦) مشاهدات الباحث في أواخر القرن (١٤هـ/٢٠م)، وسماع مثل هذه الروايات من بعض أفراد غامد وزهران أثناء رحلتنا.

(٧) يوجد الصمغ بكمية جيدة في أشجار سروات وأصدار منطقة الباحة.

أفـراد القريـة أو العشيرة القريبة من منابت هذا الشجـر[١]، وكان يجتاح المنطقة أحيانـاً موجة الجـراد الذي يهبط على الزروع وفي الأوديـة والجبال، ومن ثم تكون فرصة للسكان لصيده وجمعه وأكله[٢].

وفي العقـود المتأخرة تلاشت واختفت مهنة الجمع والالتقاط، وذلك لعدة أسباب نذكر أهمها:

١. عـدم الحاجـة إلى هذه المهنة لوفرة المال والخيـر في أيدي الناس، وكانت الحاجـة هـي التي تدفـع الأوائـل إلى ممارسة هـذه الحـرف بشكل كبير وبخاصة في جمع الماء والحطب من مصادرها الرئيسة.

٢. انتشـار التعليم، وامتـداد التنمية والتمدن جعلت تـراث وتاريخ هذه المهنة غير معروفة، والزائر لبعض المتاحف المحلية في منطقة الباحة، أو الحديث مـع أهـل المنطقة لا يجد ذكـراً ولا أثراً كبـيراً لها، ويجب علـى مؤسسات التعليـم والثقافة في المملكـة وفي المنطقة أن تُطلع الأجيـال الحاضرة على كيفية ممارسة هذه المهن، وفوائدها، وأسباب انقراضها، والعبر والدروس المستفادة منها[٣].

٢. الصيد:

إن الطبيعـة الجغرافية لمنطقة الباحة تؤكد الغنى الكبير في ثرواتها الحيوانية، فهنـاك العديد من أنواع السباع، والحيوانات والطيـور. وهناك صيادون يمارسون مهنة الصيد في جميع أرجاء المنطقة، وكانوا على النحو التالي:

١. صيـادو الطيـور مثـل: الحمـام، والحجـل، والعصافير وغيرهـا من أجل اقتنائها. وصيادو الطيور مثل: الغربان، والحدأة، وأحياناً النسور للتخلص منهـا لمـا يصدر منها مـن أذى علـى المزارع وبعض الطيـور والحيوانات الأليفة[٤].

---

(١) مشاهدات الباحث في تسعينات القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٢) كانـت موجات الجراد تجتاح منطقة تهامـة والسراة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، ويحصل بسببه الأذى الكبير على محاصيل ومنتوجات أهل البلاد.

(٣) مثل هذه المهن وغيرها من المهن التي انقرضت تستحق الذكر والتدوين بل إن نقل موروث الأجيال القديمة إلى الأجيال الحديثة أمانة في أعناقنا، ويجب أن تؤدى هذه الأمانة بأساليب قولية وعملية فعالة.

(٤) هذا ما سمعه الباحث من بعض كبار السن في منطقة الباحة في(١، ٥ /١٢/١٤٣٣هـ).

٢. صيادو السباع والحيوانات البرية مثل: الأسود، والنمور، والضباع، والذئاب، والنيص، والثعالب وجميعها مفترسة لبعض الحيوانات والطيور الأليفة، ومن ثم لا يتورع الإنسان عن صيدها والقضاء عليها، وهناك صيادون للغزلان، والوبران وغيرها بهدف أكلها(١).

٣. كان هناك بعض الصيادين للزواحف : مثل العقارب، والثعابين، والحيات وغيرها . وهذه الزواحف كانت تتواجد بكثرة في جميع أرجاء المنطقة، ويصدر منها بعض الأذى على السكان، لهذا لا يتورعون عن القضاء عليها عند وجودها(٢).

وللصيادين العديد من الأساليب والحيل، أثناء ممارسة الصيد، ومن تلك الحيل ما يلي:

١. استخدام الأسلحة النارية مثل: بنادق الرصاص والبارود، وبهذه الوسيلة تصطاد السباع والحيوانات والطيور والزواحف(٣).

٢. تستخدم بعض الطرق البدائية مثل : حفر الحفر في طريق بعض السباع، مع تغطيتها ببعض القش حتى لا ينتبه لها الحيوان الذي يُراد اصطياده(٤).

٣. هناك العديد من الأدوات مثل: الحبال، والمسامير وأحياناً البلاستيك، والأغطية مثل: الحنابل والسجاد وفرش السعف التي تستخدم في بعض الخدع لاصطياد بعض الطيور في أوكارها، أو بعض الحيوانات والسباع في مغاراتها(٥).

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) تاريخ الصيد في بلاد تهامة والسراة خلال القرون الماضية المتأخرة موضوع يستحق إلى أن يجرى عنه العديد من الدراسات العلمية الأكاديمية .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) الصيد مهنة قديمة عرفها العربي، وهناك العديد من الدراسات الأكاديمية الجيدة التي درست تاريخ الصيد عند العرب قبل الإسلام وبعده، وذكر بهذه البحوث العديد من الأساليب والطرق التي لجأ لها الصياد أثناء ممارسة الصيد، ومنطقة تهامة والسراة الممتدة من الحجاز إلى اليمن كانت بيئة مناسبة للصيد. وهذه البلاد جديرة بدراسة تاريخ الصيد فيها خلال القرون الإسلامية الوسيطة والحديثة والمعاصرة، ومن يتخذ هذا الموضوع عنواناً لأطروحة الدكتوراه، أو كتاب أكاديمي فإنه سوف يخرج لنا بفوائد علمية جيد .

وقد سألنا بعض الغامديين والزهرانيين عن ممارسة الصيد في عصرنا الحاضر، فذكروا لنا ندرة ممارسته، وذلك للأسباب التالية :

١. عدم الحاجة إلى صيد الحيوانات والطيور الصالحة للأكل، وذلك لوفرة الأطعمة والأشربة المتنوعة، ومن ثم فلا حاجة إلى مثل هذه المهنة . ولازال هناك قلة من الصيادين يمارسون الصيد في جبال المنطقة وأوديتها من أجل النزهة والاستمتاع فقط .

٢. بعد شق الطرق، وقيام المدن، وازدياد السيارات والكهرباء والآلات الأخرى هاجرت السباع المتوحشة أو انقرضت، والوضع نفسه امتد إلى الطيور والزواحف الضارة، ومن ثم فلا حاجة للصياد أن يمارس هذه المهنة[١] .

٣ـ الزراعة :

تنتشر الأراضي الزراعية في أنحاء منطقة الباحة، فكل أسرة لها مزارع خاصة بها يتوارثونها فيما بينهم، والمتجول في المنطقة يلحظ البلاد الزراعية محفوظة بالمدرجات الزراعية في الأجزاء السروية، وأحياناً بالعقوم الترابية أو المدرجات في النواحي التهامية[٢]، وقد اطلعنا على بعض الوثائق التاريخية في بلاد زهران وغامد، واستخلصنا منها الجوانب التالية :

١. جميع تلك الوثائق يعود تاريخها إلى القرنين (١٣ـ ١٤هـ/١٩ـ٢٠م)، ومكتوبة بخط اليد، وعليها أسماء من تخصهم وشهود بعض الحاضرين على تدوينها[٣] .

٢. وجدنا كل قطعة زراعية لها اسم، وحدود، وأحياناً يشترك فيها أكثر من وارث، ومنها ما هو مسقوي تسقى من الآبار أو العيون، ومنها الذي يروى بمياه الأمطار[٤] .

---

(١) تستخدم أحياناً الأسلحة النارية في قتل هذه الحيوانات أو الطيور وبخاصة إذا ظهرت قريباً من مواطن الاستيطان في المنطقة . مشاهدات الباحث، وما سمعه من بعض سكان المنطقة في (١٤٣٣/١٢/٦هـ) .

(٢) تاريخ المدرجات الزراعية في بلاد تهامة والسراة جدير بالبحث والدراسة .

(٣) تقدر الوثائق التي اطلعنا عليها بالمئات، ويوجد منها صور في مكتبة الباحث (مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية) .

(٤) جميع الأراضي في منطقة الباحة تسقى من الآبار أو الأمطار ويطلق على النوع الأول (مسقوي)، والثاني (عثري) .

٣. هنـاك أراض موقوفة من أصحابها وأسرهم علـى أهل بيوتهم وذراريهم، فـلا تُباع أو تُهدى، وإنما تبقـى وقفاً يأكل منها الداخلـون والباقون ضمن إطار مالكها وذريته، ولا تذهب إلى غيرهم[١].

كان جميـع سكان السـراة وتهامة يمارسـون الزراعة[٢]، فهـي المهنة الرئيسة التـي يقتاتون منها، ولديهم وسائل وطرق عديدة لخدمة أراضيهم، وزراعتها وريها وحصدها . وهناك الكثير من الأدوات المستخدمة في ممارسة هذه المهنة[٣].

والمحاصيـل الزراعيـة في الباحة : البر(القمح)، والـذرة، والشعير، والدجر، والبلسن، وجميع هذه الحبوب تزرع في السراة . أما تهامة فالذرة والدخن من أكثر محاصيلهـا . ومن الفواكه التي اشتهرت بها المنطقة الرمان والعنب واللوز، وهناك فواكـه أخرى تـزرع في الأجـزاء التهامية والسرويـة مثل: التين والتفـاح، والخوخ، والموز، والمشمش، والبرشومي . ويُزرع فيها بعض الخضروات كالكوسة، والطماطم، والبطاطس، والخس، والجرجير، والبصل وغيرها[٤].

وسـكان المنطقـة متعاونون في ممارسـة أعمالهم الزراعية مـن تسوية الأرض واستصلاحهـا إلى زراعتهـا وسقياهـا وحصادهـا . وهنـاك مـوروث اقتصـادي واجتماعـي وثقافي ولغـوي واسع عند أصحـاب الأرض، وما يقومـون به من أعمال ووسائل أثناء القيام على مزارعهم وخدمتها[٥].

---

(١) نلحظ بعض مزارع الوقف التي هلك ورثتها تنتقل إلى ملكية الدولة، وأصبح هناك مؤسسة إدارية حكومية تشرف على هذه العقارات، وهي (وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف) .

(٢) أهل البوادي لا يمتهنون الزراعة وإنما الرعي والجمع والالتقاط مهنهم الرئيسة .

(٣) الزائـر لبعض المتاحف المحلية في الباحة وبلجرشي يشاهد الكثير من تلك الأدوات المصنوعة من الخشب أو الحديـد وأحيانـاً من الجلود، كما أن سكان المنطقة يمتلكون آلاف الوثائق التي تصور تاريخ الزراعة في منطقة الباحة . ودراسة موضوع الزراعة خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) موضوع يستحق إلى أن يكون موضوعاً لرسالة ماجستير، أو دكتوراه.

(٤) هـذا مـا سمعه الباحث مـن بعض المسنـين في منطقة الباحة . وهـذه المزروعات نفسهـا عرفتها منطقة عسـير. للمزيد انظر: ابن جريس، عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ (١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، ص ١٤٢ وما بعدها، ويوجد في أوديـة وجبـال منطقة الباحة الكثير من الأشجار والشجـيرات والحشائش التي تعيش على مياه الأمطار، وليس للإنسان تدخل في زراعتها واستصلاحها، ومن تلك النباتات : العرعر، العتم، الشث، الأثب، التألب، النشم، العرفج، الطباق، السدر، السمر، الطلح، وشجيرات وحشائش متعددة الأشكال والأغراض .

(٥) هنـاك تفصيلات حضارية وثقافية عن مواسم الزراعة في منطقة الباحة، وعن طريق الحراثة والزراعة والري، وأساليب أخرى عديدة في النشاط والتبادل الزراعي، والأدوات الزراعية المستخدمة في هذه المهنة منـذ استصـلاح الأرض حتى جني المحاصيل ودرسها وتخزينهـا . وتاريخ الزراعة في بلاد تهامة والسراة خلال القرون الماضية المتأخرة جدير بالبحث والدراسة الأكاديمية .

وإذا قارنا الزراعة قديماً بما نشاهده عن زراعة اليوم، فإننا نجد الفرق شاسعاً، وسوف نذكر في السطور التالية أهم تلك المفارقات وهي على النحو التالي :

١. أدوات الزراعة قديماً يدوية وتقليدية، واليوم تستخدم الآلات والكهرباء في ممارسة هذه المهنة، مع أن الزراعة في السابق كانت هي العمود الفقري الذي يقوم عليه اقتصاد البلاد فيكفي الناتج الزراعي لسد حاجة السكان المحليين، ويصدر الكثير من محاصيل منطقة الباحة وما جاورها إلى أسواق الحجاز ونجد وغيرها(١).

٢. قام السكان الأصليون قديماً (نساءً ورجالاً) على خدمة أراضيهم واستصلاحها، بل كانت مهنتهم الرئيسة في الحصول على أقواتهم، واليوم تدهورت الزراعة في منطقة الباحة، فتركت الأراضي الزراعية، وحول بعضها إلى مدن وقرى وأحياء سكنية(٢). وإن بقي نسبة قليلة جداً من السكان تمارس الزراعة في بعض الأودية أو النواحي فإنهم يجلبون لها مزارعين من خارج المملكة(٣).

٣. لم يجد المزارعون قديماً أي مساعدة أو دعم حكومي، وذلك لضعف الظروف الاقتصادية، ومع ذلك فالزراعة كانت نشطة وعامرة في كل مكان. ومنذ أربعة عقود مضت لم تألُ الدولة جهداً في تقديم القروض للمزارعين، وتزويدهم بالآلات اللازمة مثل: الحراثات، ومواتير رفع المياه من الآبار، والحصادات وغيرها، ومع هذا كله نجد الزراعة تدهورت بل انعدمت في معظم أنحاء المنطقة (٤).

---

(١) كانت منطقة الباحة وعموم بلاد السراة تصدر حبوبها بكميات كبيرة إلى أسواق الحجاز . وهناك الكثير من المصادر التاريخية المبكرة والوثائق الحديثة أشارت إلى التجارات المتبادلة بين الطائف ومكة وبين أرض السراة. وتاريخ الصلات الاقتصادية بين هاتين الناحيتين في العصر الإسلامي المبكر والحديث موضوع جدير بالبحث والدراسة العلمية .

(٢) يلحظ المتجول في عموم منطقة الباحة (بادية وسراة وتهامة) كثيراً من الأراضي الزراعية تحولت إلى أراض سكنية . ويلاحظ أيضاً أن الأراضي الزراعية التي لازالت على وضعها الطبيعي أصابها الخراب والدمار، وذلك لانصراف عموم السكان إلى الوظائف الحكومية وممارسة أعمال صناعية وتجارية أخرى . مشاهدات الباحث في الفترة الممتدة من (٢٩/١١/ـ ٢٩/١٢/١٤٣٣هـ).

(٣) معظم المزارعين المجلوبين من مصر والسودان واليمن . وهذه ظاهرة سائدة في عموم المنطقة الجنوبية . مشاهدات الباحث خلال السنوات الماضية المتأخرة .

(٤) تاريخ الزراعة في العصر الحديث وما قدمت الدولة من إعانات عينية ومادية موضوع جدير بالدراسة، نأمل أن نرى أحد الباحثين الجادين فيخرج لنا دراسة أكاديمية في هذا الجانب .

٤. الفجـوة الكبيرة التي يعيشهـا جيل اليوم، وعدم معرفتـه للتاريخ والتراث الزراعي الذي عاشه الآباء والجدد يعد سلبية ثقافية وحضارية تفصل بين أجيال اليوم والأجيال السابقة، ومن ثم فإن على وزارة الزراعة والمؤسسات التعليميـة العامة والعاليـة، والإمارات والمحافظات عليهـا مسؤولية كبيرة في معالجـة هذه الهوة وذلـك باستصلاح الأراضـي الزراعية، وربط جيلٍ اليـوم بهـذه المهنة الهامـة والرئيسة في بنـاء حياة المجتمعـات اقتصاديا وحضارياً[١].

٤. الحرف والصناعات :

مارس سكان منطقـة الباحـة العديد مـن الصناعات والحـرف اليدوية مثـل: دباغة الجلـود وخرازتها، والنجـارة وصناعة الخشـب، والتعدين والحدادة والصياغة، وصناعة الفخار والأحجار، وصناعة الملح، وصناعة الخصف والنسيج، والصباغـة والخياطـة، كمـا مارسوا حـرف الحلاقـة، والحجامة، وجمـع الثمار والحبوب والحطب، ونقل الأمتعة على ظهور الدواب وغيرها[٢].

والغالب على ممارسة الصناعات القديمة في بلاد غامد وزهران أمور عديدة نذكر أهمها في النقاط التالية :

١. جميـع الصناعات والحرف السابقة الذكـر وغيرها من ضروريات الحياة عند جميع طبقـات المجتمع، وذلك لاحتياجهم إلى جميع المصنوعات التي تساعدهم على العيش وممارسة نظام حياتهم الاجتماعي والاقتصادي[٣].

٢. العاملـون في الحـرف والصناعـات قديمـاً مـن سـكان المنطقـة، وبعض المهن يشـترك فيها الأب والأم وأفراد الأسـرة، وهناك صناعات يقوم بها

---

(١) العمل على إنجاز دراسة مقارنة بين وضع الزراعة في القديم والحديث موضوع يستحق إلى أن يجرى عليه بعض الدراسة الأكاديمية . كما أن إجراء دراسات ومقارنات تحليلية بين أوضاع الزراعة في الباحة وعسير ونجـران وجازان تستحـق الاهتمام من الجامعات المحلية في هذا الجنوب السعـودي . وكذلك فتح كليات للزراعة في هذه الجامعات الجنوبية جدير بالاهتمام.

(٢) تاريخ الحرف والصناعات في منطقة الباحة خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) جدير بالبحث والدراسة . حبذا أن يُتخذ موضوعاً لرسالة ماجستير أو دكتوراه في أحد أقسام التاريخ بالجامعات السعودية.

(٣) فالصناعات الخشبية مثلاً ضرورية في أدوات الطعام والشراب، وفي الأعمال الزراعية والتجارية وغيرها. وقس على ذلك جميـع الأدوات الصناعية والحرفية الأخرى الهامـة والضرورية في استقامة حياة الناس ومعيشتهم .

أناس متخصصون في ممارستها مثل : النجارة، والحدادة، والخياطة، والصناعة، والبناء وغيرها[١] .

٣. جميع المواد الأولية لممارسة معظم الحرف والصناعات في منطقة الباحة محلية، وغالباً يتم جلبها من أنحاء المنطقة، كما أن مناخ البلاد يساعد أيضاً في ممارسة بعض الحرف والصناعات فمثلاً: الدباغة والخرازة نجد موادها الرئيسة مجلوبة من البيئة المحلية، ثم إن الطقس في الأجزاء السروية وأحياناً البدوية أفضل في معالجة الأديم وصناعته من المناطق التهامية [٢] .

٤. بعض الصناعات تحتاج إلى استيراد بعض المواد الرئيسة لممارستها مثل: النسيج والخياطة، فالأقمشة تستورد من أسواق الحجاز والقنفذة واليمن[٣] . وكذلك بعض الصناعات المعدنية وغيرها[٤] .

٥. تتفاوت نوعية الحرف والصناعات من مكان لآخر، فالبوادي مثلاً لا يحتاجون كثيراً من المصنوعات لأنهم بدو رحل، وأهم حاجياتهم نسج وصناعة بيوتهم من شعر حيواناتهم، وربما حصلوا على بعض الأدوات الصناعية من الأسواق الأسبوعية فهم يقايضونها مع بعض سلعهم أو يشترونها بالنقود، أما سكان السراة وتهامة فهم مستقرون في أوطانهم ويمارسون الزراعة، والتجارة، وأعمال حضارية أخرى، ومن ثم فهم بحاجة إلى كثير من الأدوات الصناعية والحرفية . التي يستخدمونها في حياتهم اليومية[٥] .

---

(١) عندما كنت متجولاً في منطقة الباحة ذكر لنا العديد من أسماء الأسر والأفراد الذين كانوا مشهورين في عمل بعض الحرف والصناعات بل التقيت بأبناء وأحفاد بعض تلك الأسر وأطلعوني على بعض الوثائق التي تدور في فلك ممارسة أجدادهم أو آبائهم لبعض الصناعات اليدوية التقليدية .

(٢) صناعة الأديم، والحديد، والنجارة من أهم الحرف التي مارسها سكان غامد وزهران . وهذه الصناعات الثلاثة تستحق إلى أن يفرد لها دراسة مفصلة توضح أهميتها في حياة الناس . وهناك صناعات أخرى عديدة تستحق أيضاً البحث والدراسة .

(٣) حصل الباحث على عشرات الوثائق التي تصور شراء بعض المواد الأولية لعدد من الصناعات . وكانت أسواق الحجاز والقنفذة هي المورد الرئيس لكثير من تلك السلع، مثل: الأقمشة، وأدوات الخياطة، وأحياناً بعض أدوات الصباغة والصياغة، وبعض الأواني المنزلية وغيرها.

(٤) المصدر نفسه .

(٥) الزائر لبعض المتاحف المحلية في منطقة الباحة يلحظ أدوات صناعية كثيرة، ومعظمها صناعة محلية . ودراسة الصناعات والحرف القديمة في منطقة الباحة موضوع يستحق البحث والدراسة العلمية الأكاديمية.

٦. و- الممارسون لبعض الحرف والصناعات يواجهون العديد من العقبات، مثل: نقص المواد الأولية لممارسة صنعتهم، وعدم توفر المال أحياناً يكون عائقاً في تطوير الصناعة وزيادة الإنتاج، كما أن الأدوات المصنوعة قد لا تباع بالنقود لعدم وجود المال، ومن ثم يلجأ الصناع إلى بيع سلعهم بالأجل أو مقايضتها مع سلع أخرى مثل: الحبوب والمواشي ومشتقاتها[١].

٧. ز- بعض الدارسين أو الكتاب الغامديين والزهرانيين أشاروا في بعض دراساتهم إلى صور أو شذرات من الصناعات والحرف التي عرفتها مجتمعاتهم في العصور الماضية[٢]، وحتى هذه اللحظة لم نطلع على دراسة وافية أكاديمية تناقش هذا الموضوع، ونأمل أن نرى من أساتذة جامعة الباحة أو بعض المؤرخين أو الأكاديميين من زهران وغامد من يتناول هذا الموضوع بالبحث والدراسة العلمية الجادة والرصينة[٣].

وعند تجوالنا في المنطقة لاحظنا تلاشي معظم الصناعات والحرف اليدوية القديمة، وإذا كان هناك من يمارسها فهم قليلون . وقد شاهدت بعض أدوات الصناعات التراثية القديمة في أسواق المنطقة، وعند سؤالي عن أماكن صنعها قال لنا بعض الباعة أنها تمارس على نطاق ضيق جداً . وربما قام على ممارستها بعض العمالة الوافدة والمؤجرة من قبل بعض التجار المحليين[٤].

---

(١) هناك صناعات مثل: الحدادة، والصياغة وربما حرف أخرى تُحتقر اجتماعياً فالصناع الذين يمارسونها لا يزوجون أو يتزوجون إلا من فئاتهم . وعموم طبقات المجتمع ينظرون إليهم بهذه النظرة مع أنها صناعات هامة في حياة المجتمع . وهذه العادة عرفها وتوارثها العرب منذ العصر الجاهلي ولازالت سارية عند كثير من القبائل العربية وبخاصة قبائل الجزيرة العربية حتى يومنا الحاضر.

(٢) هناك عشرات الدراسات الحديثة التي خرجت في العقود الأربعة الماضية عن تاريخ وحضارة منطقة الباحة . وبعض من هذه الدراسات أشارت بشكل موجز إلى حرف وصناعات مارسها الغامديون والزهرانيون في القرون الماضية .

(٣) ونأمل أن نرى مثل هذا الموضوع مدروس في رسالة دكتوراه بقسم التاريخ في جامعة الباحة أو أي قسم من أقسام التاريخ في الجامعات السعودية .

(٤) شاهدنا في الأسواق الأسبوعية في منطقة الباحة بعض الهنود والباكستانيين واليمنيين والبنجاليين وغيرهم الذين كانوا يمارسون أعمال الحدادة، والصياغة، والخياطة، والدباغة وغيرها. مشاهدات الباحث في (٦-٢ /١٢/ ١٤٣٣هـ).

وهناك بعض الأسباب أو المعوقات أو الاختلافات المصاحبة للصناعات والحرف القديمة والحديثة، ومن أهمها ما يلي:

١. انصراف سكان المنطقة إلى مهن التعليم والوظائف الحكومية الأخرى، ثم استقدام الأيدي العاملة الخارجية، وبالتالي ممارستهم جميع الصناعات والحرف التي كان يمارسها أهل البلاد في القرون الماضية[١].

٢. النمو والتطور الذي ساد البلاد، جعل الصناعات اليدوية القديمة تتلاشى، وحل محلها الآلات والمعدات والأدوات والأجهزة التقنية، ومن ثم تطورت نوعية الصناعة، وزاد إنتاجها، وارتفعت سرعة الإنجاز، ودقة وجودة الصنع[٢].

٣. الفرق بين الأيدي العاملة القديمة والحديثة، أن جميع العاملين اليوم في الحرف والصناعات من خارج المملكة العربية السعودية، أما الأيدي العاملة القديمة فكانوا من سكان المنطقة، ونادراً ما تجد يداً عاملة وفدت من منطقة أو إقليم آخر، كما أن المواد الأولية لأي صنعة أو حرفة مستوردة من الأسواق الكبرى في المملكة، وغالباً المصدر الرئيس لكثير من هذه المواد مستورد من خارج المملكة[٣].

٤. صناعات اليوم أجود وأجمل في الشكل، لكنها ربما تكون أخطر صحياً من الصناعات القديمة، والسبب أن المواد الصناعية السابقة يتم الحصول عليها من الطبيعة، في حين أن صناعات اليوم أصبحت ممزوجة بمواد كيماوية وبترولية سامة وخطيرة[٤].

---

(١) تجولت في أسواق ومدن وحواضر منطقة الباحة وشاهدت عشرات الجنسيات من العمالة الوافدة، وكثير منهم كانوا يعملون في عشرات الصناعات والحرف اليدوية التجارية في الأسواق والمدن الصناعية، ولا تخلو قرية أو حي أو ناحية من نواحي المنطقة إلا يوجد بها العديد من العاملين المهرة والصناع والأيدي العاملة المختلفة. مشاهدات الباحث (١-٩/١٢/١٤٣٣هـ).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) إجراء دراسة مقارنة عن الأيدي العاملة والمواد الأولية للصناعات قديماً وحديثاً موضوع يستحق الدراسة. نأمل أن نرى بعض الباحثين في جامعة الباحة فيدرسون هذا المحور دراسة علمية جادة.

(٤) نأمل أن تقوم كلية الطب، وأقسام الكيمياء وعلوم الحياة في جامعة الباحة بإجراء بعض الدراسات العلمية الأكاديمية على بعض الصناعات القديمة والحديثة في منطقة الباحة، وإبراز المنافع والأضرار لكل صنعة.

٥. كانت الصناعات والحرف القديمة تمارس لسد حاجة أفراد الأسرة أو القرية في نطاقها الضيق، وإذا صدرت بعض المصنوعات إلى الأسواق المحلية فهي تجارات قليلة ومحدودة جداً، أما صناعات وحرف اليوم فهي أكثر انتشارا وأكثر في العدد والحجم والنوع، وذلك عائد إلى كثافة السكان الكبيرة، وتوفر المال في أيدي الناس، وزيادة النمو والتطور الحضاري الذي تعيشه البلاد(١).

٦. ادات وثقافات ومشاكل الصناع والحرفيين قديماً وحديثاً تتنوع في بيئاتها، والظروف الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية التي عاصرتها، وقد سمعت العديد من الروايات في هذا الجانب أثناء تجوالي في منطقة الباحة خلال الأيام الأولى من شهر ذي الحجة عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) (٢).

٥- التجارة :

أ- مدخل :

هناك العديد من المقومات التجارية والاقتصادية في منطقة الباحة مثل:

١. المنطقة بين مناطق جازان ونجران وعسير، من الجنوب والجنوب الشرقي، ومنطقة مكة المكرمة من الشمال والغرب، وأجزاء من المنطقة الوسطى من ناحية الشرقية، وهذا الموقع جعلها على صلات تجارية واقتصادية بهذه المناطق الجغرافية والإدارية.

٢. كانت منطقة الباحة غنية، بخيراتها وثرواتها الزراعية والحيوانية، والناظر في بعض كتب التراث، والوثائق الحديثة والمعاصرة، وأقوال بعض الرواة يجد أن هذه البلاد الزهرانية والغامدية مليئة بجميع أنواع المحاصيل الزراعية، ناهيك عن الثروة الحيوانية التي كانت تصدر إلى أسواق الحجاز وبعض الأسواق الأسبوعية داخل منطقة الباحة وخارجها(٣).

---

(١) دراسة الصناعات التقليدية في منطقة الباحة ومقارنتها مع النمو والتطور الحرفي والصناعي الذي تعيشه المنطقة اليوم موضوع يستحق البحث والدراسة، نأمل أن نرى أحد الباحثين الجادين من بلاد الباحة فيتولاه بالبحث والتقصي والدراسة.

(٢) لقد سمعت روايات حول مشاكل وثقافات الصناع قديماً وحديثاً. بل عثرت على العديد من الوثائق التي تعكس بعض الأعراف أو التقاليد المصاحبة لبعض الحرف والصناعات الحديثة. وموضوع الثقافات والأعراف والتقاليد عند الحرفيين والصناع قديما وحديثا موضوع جديد وجدير أن يكون عنوانا لكتاب أو رسالة علمية.

(٣) دراسة التاريخ التجاري لمنطقة الباحة خلال القرون الإسلامية الوسيطة والحديثة. موضوع جدير بالاهتمام والدراسة، ويستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية أكاديمية.

ب ـ الطرق والأسواق :

كانت الطرق في الماضي وعرة وغير معبدة، ولا تخلو أي قرية أو ناحية في منطقة الباحة من طرق ضيقة تصل بعضها ببعض، وتعد الجمال والحمير وسائل النقل الرئيسة عند عامة الناس، ومنذ النصف الثاني في القرن (١٤هـ/٢٠م) اتصلت مناطق الحجاز وعسير وجازان ونجران عبر منطقة الباحة بطريق رئيس معبد تسلكه السيارات، وكان حتى أوائل هذا القرن طريقاً ضيقاً وخطيراً في معظم أجزائه[١]، كما أن نواحي منطقة الباحة البدوية والتهامية كانت متصلة مع الأجزاء السروية بطرق وعقبات ضيقة ووعرة في مسالكها وحزونها[٢].

وعند زيارة المنطقة في نهاية عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، والتجوال في معظم أجزائها اتضحت لنا مظاهر عديدة في باب الطرق ووسائل النقل نذكر أهمها في النقاط التالية :

١. جميع المدن والقرى والبوادي والأرياف متصلة بعشرات الطرق المسفلتة والمتفاوتة في الطول والعرض، وإذا نظرنا إلى مدن الباحة والمندق وبلجرشي والمخواة، نجد أنها تتميز على غيرها في جودة وسعة طرقها، وربما مدينة الباحة بأحيائها ومخططاتها تعد الأفضل بين المدن الآنفة الذكر، ولازالت تحتاج إلى المزيد من الطرق الفسيحة والخدمات الهامة والضرورية لأنها الحاضرة الرئيسة للمنطقة[٣].

٢. والطريق الرئيس المزدوج في منطقة الباحة، هو طريق الطائف أبها الذي يعبر مدن منطقة الباحة الرئيسة، بدءاً من جبل شمرخ ومحافظة القرى في بلدة الأطاولة شمالاً إلى مركزي بالشهم وشرى، في أقصى جنوب

---

(١) منذ حوالي عشر سنوات بدأت التوسعات في هذا الطريق وفي هذا العام الهجري وربما العام القادم (١٤٣٥-٣٤هـ/٢٠١٣-٢٠١٤م) سوف يسير في اتجاهين، وقد تم التغلب على كثير من تعرجاته ووعورته. مشاهدات الباحث خلال هذا العام (١٤٣٤-٣٣هـ /٢٠١٢-٢٠١٣م) .

(٢) تاريخ التجارة لبلاد الباحة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) موضوع هام ويستحق أن يكون عنواناً لرسالة ماجستير أو دكتوراه . ونأمل من أحد طلابنا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد أن يتخذه موضوعاً لأطروحته العلمية .

(٣) عندما نقارن مدينة الباحة أو المدينة الثانية في المنطقة (بلجرشي) مع مدن أخرى في عسير أو مكة المكرمة أو المدينة المنورة وغيرها فطرق منطقة الباحة تأتي في مستوى أقل من غيرها من مناطق المملكة الرئيسة . ونأمل أن نرى بلاد الباحة في مستوى أجمل وأفضل مما هي عليه الآن. مشاهدات الباحث خلال شهر ذي الحجة عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) .

المنطقـة، كما يوجد بعض الطرق القليلة والمزدوجـة داخل مدينتي الباحة وبلجرشي، مع أن بعض تلك الطرق يعتريها العديد من العقبات مثل: ضيق المساحة، أو عدم نفاذ بعضها، فقد تكون واسعة مفتوحة من ناحية، وضيقة مقفولة من ناحية أخرى[١].

٣. جميع الطرق المنتشرة في المدن والقرى والأرياف (بادية، وسراة، وتهامة) مكونـة من اتجاه واحد، ولم أشاهد أي طريـق آخر مزدوج غير ما ذكر في النقطـة السابقة، ويلحـظ المشاهد أن جميع المحافظـات والمراكز والقرى والنوحي في عموم البلاد مترابطة بشبكة طرق معبدة، لكنها لازالت تحتاج إلى المزيد من حيث العدد والتطوير[٢].

٤. في السابـق هنـاك عقبـات (طـرق) صعبـة وضيقـة تربـط بـلاد تهامة بالسـراة، واليـوم تحولت بعضـ هذه العقبـات إلى طرق مسفلتـة تسلكها معظم السيارات[٣]. ومن هذه(العقبات) ما يلي :

أ- عقبـة الباحة (طريـق الملك فهد) وهـي أكبرها وأسهلهـا، وتربط مدينة الباحـة مـع مدينة المخواة في تهامة، بل إنها تتصـل بالطرق الرئيسة التي تربط بين مكة المكرمة وعسير وجازان عبر تهامة والسراة[٤]. ويبلغ طولها مـن الباحة إلى المخـواة حوالي (٢٥ـ٣٠كـم)، وتتكون مـن بعض الجسور وحـوالي (٢٥) نفقا. وتعد من أطـول وأفضل الطرق التي تربط بين تهامة والسراة وبخاصة في منطقة الباحة وما جاورها من البلدان[٥].

---

(١) هذه العقبات تتواجد بنسبة أكبر في مدينة بلجرشي . وهناك مسؤولية كبيرة على الأمانة العامة للبلديات في المنطقـة، ويجـب عليها السعـي إلى حل هذه المشاكل التـي تسبب الازدحام وإعاقـة السير. مشاهدات الباحث من (٢ـ٤/١٢/١٤٣٣هـ) .

(٢) في السنوات العشر الماضية قمت بالعديد من الرحلات في أنحاء المملكة العربية السعودية وبخاصة جنوبها ومنطقـة الباحة لازالت تحتاج إلى مشاريع أكبر وأشمـل في ميدان العمارة العامة مثل: الأبنية الحكومية، وشـق الطـرق وتوسيعهـا، وتوسيـع المطـار، وتوفير خدمـات أكثر وأوسـع في مجال النقـل والمواصلات . مشاهدات الباحث في أوائل شهر ذي الحجة عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).

(٣) لقـد سلكنـا بعضها مع بعضـ الرفـاق الغامديين والزهرانيـين، أثناء زيارتنـا لمنطقة الباحـة في الفترة (٢٩ـ١١ـ٩/١٢/١٤٣٣هـ) .

(٤) هنـاك طريقيـا يربطان بين الحجاز وعسير عـبر بلاد الباحة . الأولى : الطريـق الجبلي الذي يخرج من الطائـف إلى الباحـة ثم أبها . والثـاني : الطريق التهامي الـذي ينطلق من مكـة إلى المظيلف ثم المخواة فتهامة عسير. مشاهدات الباحث في عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) .

(٥) سلـك الباحث بعض العقبـات التي تربط بين تهامة والسراة في كل من عسـير والباحة وجازان ونجران . وكانت عقبة الباحة من أكبر وأسهل تلك الطرق . مشاهدات الباحث (١٤٣٠ـ١٤٣٣هـ/٢٠١٠ـ٢١٢م) .

ب ـ عقبـة الأبناء التي تخرج من قرية الأبنــاء جنوب محافظة بلجرشي إلى وادي الخيطـان ثـم بلدة نمـرة في العرضيــة الشماليــة التابعة لمحافظة القنفذة[١]، وهذه الطريق معبدة وتجتازها معظم السيارات الصغيرة[٢].

ج ـ عقبـة حزنــة (طريق الملك عبد الله)، وهــي معبدة تخرج من قرية حزنة في حاضرة بلجرشي وتعبر وادي ظبيان حتى مدينة المخواة.

د ـ طريق الملك خالد، واسمها سابقاً عقبة مساعد نسبة إلى مساعد بن رقوش، أحد شيوخ مشايـخ زهران في القرن (١٤هـ/٢٠م)، وتنطلق مــن ديار قبائـل بيضان الزهرانية في الســراة إلى أعالي وادي دوقة ومنــه إلى محافظة قلوة في تهامة زهــران، ولازال العمل جارياً على تعبيدها حتى تدوين هذه السطور[٣].

هـ ـ عقبـة ذي منعــاء وتنزل مــن بلدة برحــرح في الســروات الزهرانية وتصــل إلى جــرداء بني علي في تهامة[٤]. وهنــاك عقبة حميدة بني عمــر وتنطلق من شفــاء محافظة بلجرشي حتى تصــل إلى المخواة، وهي طريق عادية تستخدم للرجل فقط[٥].

---

(١) للمزيــد مــن التفصيلات عن محافظة القنفذة، والعرضية الشمالية وبلــدة نمرة، انظر غيثان بن جريس. بــلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق١٠ـ١٥هـ/ق١٦ـ٢١م) دراسة تاريخية حضارية (الرياض : مطابع الحميضــي، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م) . ص ٣٠١ـ٣٥٦. للمؤلف نفســه . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير والقنفذة) (الرياض : مطابع الحميضي، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م) ج٢، ص ٣٣١ ـ ٤٣٢ .

(٢) حبــذا أن تُجــرى دراســات أكاديمية على هــذه العقبة وغيرها من الــدروب والمسالك التــي تربط سروات الباحة بالأجزاء التهامية .

(٣) مشاهدات الباحث في الأيام الأولى من شهر ذي الحجة عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) .

(٤) هذه العقبة لم نسلكها لكنها لازالت من الطرق الوعرة والصعبة التي تربط بين تهامة والسراة . مشاهدات الباحث في (١٤٣٣/١٢/٥هـ) .

(٥) المتجــول في المنطقة الممتــدة من بلاد نجران وقحطان جنوبــاً إلى الطائف شمالاً يجــد آثار مئات الطرق العاديــة التي كان يسلكها الناس قديماً عندمــا يذهبون من بلاد السراة إلى تهامة أو العكس. وجميع هذه الطــرق أصبحــت مهجورة ولا تستخــدم لأنه حل محلها طرق معبــدة تسلكها السيــارات . وإجراء دراسة مقارنــة على الطرق القديمة والحديثة التــي تربط تهامة بالسراة موضوع يستحــق البحث والدراسة، مع التركيز على طريقة بنائها قديماً وحديثاً، والسلبيات والإيجابيات لكل نوع من هذه الدروب .

وفي منطقة الباحة السروية بعض العقبات والطرق الوعرة نوعاً ما مثل: عقبة ذلالة التي تنحرف من رأس جبل شمرخ نحو الشمال الغربي وتستمر تسير في العديد من المرتفعات والأودية والهضاب حتى تصل جبال وقرى قبائل دوس الزهرانية السروية، وهذه الطريق معبدة وعرضها تقريباً يتراوح من (٥-٨م)[1]، وطرق أخرى تهامية شبيهة بعقبة ذلالة مثل: عقبتي عرشة والمسودة وكلاهما تبدأ من وادي بطاط في تهامة الباحة وتنتهي الأولى في رأس جبل عرشة، والثانية في فرعة المسودة[2].

والأسواق الأسبوعية قديماً متواجدة في كل ناحية من أجزاء المنطقة الباحة تهامة وسراة، وقد شاهدنا أماكن تلك الأسواق، فوجدنا أغلبها قد اندثر، ولازال هناك بعض الأسواق الأسبوعية التي تقام حتى اليوم، لكن نشاطها لم يعد كما كان في السابق[3]. ومن الأسواق التي شاهدناها أو سمعنا عنها ما يلي :

١. سوق السبت في مدينة بلجرشي، وسبت الغشامرة ببلدة الغشامرة في سراة غامد، وسبت النقعة ببني حسن الزهرانية، وسبت قرية الرومي غرب قرية بني سار الزهرانية، وسوق المندق ببلدة المندق الزهرانية وسبت ناوان في تهامة
٢. أسواق الأحد في بلدة رغدان، وبني كبير في قرية والبة الغامدية، وأحد الحجرة في تهامة[4].
٣. أسواق اثنين القرن في بلدة بني سالم بسراة غامد، واثنين بني علي في وادي تروق دوس بن علي بزهران، واثنين بني عيسى بقرية بني عيسى في تهامة .
٤. ومن أسواق الثلاثاء : قلوة، والظفير، والحميد، وبني عدوان في قرية

---

(١) الباحث سلكها مع بعض الأخوة الزهرانيين في (١٤٣٣/١٢/٦هـ) .

(٢) الباحث لم يشاهده هاتين العقبتين ولم يسلكهما، ولكن سمع عنهما من بعض رفاقه الغامديين الذين رافقوه إلى تهامة غامد في (١٤٣٣/١٢/٤هـ) .

(٣) الباحث شاهد أماكن بعض هذه الأسواق وأصبحت خربة ومندثرة . والمعروف أن الأسواق الأسبوعية قديماً كانت تمثل جامعة اقتصادية واجتماعية وثقافية تعكس حياة الناس العامة . والواجب على المؤسسات المعنية بهذه الأسواق أن تحافظ عليها فتقوم بصيانتها وجعلها من الأماكن السياحية الهامة والجديرة بالزيارة.

(٤) شاهد الباحث مواقع بعض هذه الأسواق، وهي مدمرة مندثرة، بل تشغل أحياناً أماكن رئيسة ومتوسطة في بعض القرى المختلطة بالعمارة القديمة والحديثة .

الضحوات بزهران، وأيل نعمة في قرية نعمة بزهران[١].

٥. وأسواق الأربعاء مثل : سوق قرية الأطاولة الزهرانية، وقد عرف أيضاً بربوع قريش، وسوق قرية الصفح في محافظة المندق، وفي بلدة بلخزمر الزهرانية السروية تحديداً .

٦. وأسواق الخميس، مثل خميس الباحة، ويقام في وسط مدينة الباحة، وخميس المخواة[٢]، وخميس برحرح الزهراني، وسوق الشعراء في تهامة، وسوق الخميس في بيدة بمحافظة القرى الزهرانية، وقد اندثر وتم إنشاء سوق أسبوعي جديد في وادي بيدة ببادية آل زياد ويقام يوم الجمعة[٣]. وهناك سوق الخميس في قرية معشوقة الزهرانية السروية، ويقع في أسفل وادي بيدة من بلاد زهران[٤].

هذه بعض الأسواق التي شاهدناها أو سمعنا عنها، وهناك بعض الآراء أو الانطباعات التي خرجنا بها أثناء السير في المنطقة والاطلاع على أسواقها الأسبوعية، ومنها ما يلي:

١. عدم الاهتمام بهذه الأسواق سواءً من أهلها، أو من المؤسسات الحكومية المعنية مثل: البلديات، أو الإدارات التعليمية والأكاديمية، أو من الهيئة العليا للسياحة التي يجب عليها مضاعفة الجهود لصيانة ورعاية مثل هذه المعالم الحضارية .

٢. تم الاطلاع على بعض الوثائق المحلية التي أشارت إلى بعض تلك الأسواق، والقوانين التي كانت سائدة فيها، بل إن معظم تلك الوثائق لا تخلو من معارف علمية وثقافية وأدبية وفكرية تعكس حياة مجتمع منطقة الباحة في القرون الماضية المتأخرة.

---

(١) لم يشاهد الباحث هذه الأسواق وإنما سمع عنها من بعض الرواة الذين التقى بهم في تهامة وسراة المنطقة.

(٢) هناك من أخبرني أن هذا السوق يقام يوم الثلاثاء، بل ذكر أنه يبدأ الثلاثاء ويبقى مستمراً إلى يوم الأربعاء . المصدر: بعض الرواة التهاميين الغامديين الذين جرى اللقاء بهم في محافظة المخواة أثناء زيارتنا لمنطقة الباحة في الفترة (٢٩-١١-٩/١٢/١٤٣٣هـ) .

(٣) هذا ما سمعه الباحث من بعض الرواة الزهرانيين الذين التقى بهم في وادي بيدة .

(٤) المصدر نفسه .

٣. بعض أماكن الأسواق القديمة المندثرة تشكل الوجه الحضاري السيئ للنمو والتطـور الذي تمر به المنطقة .وبخاصـة أن مواضع بعض الأسواق تجدها وسط التمدن العمراني الحديث[١].

والسائـر في منطقة الباحة اليوم يلاحظ أنها تكتظ بالأسواق الحديثة المتنوعة في أحجامهـا، ومساحاتهـا، وأنواعهـا ومعروضاتهـا، وقد زرنا عدداً مـن الأسواق الكبـيرة والحديثة وتجولنا في أرجائها، وأحيانـاً مررنا ببعضها، ومن تلك الأسواق التـي شاهدنـا. أسواق الغنيم في شفاء الباحة، وأسـواق أبو الخير وسط الباحة في حـي الجاديـة، وسوق التوفير مـول بجوار مستشفـى الملك فهد في مدينـة الباحة، ومتاجـر أوفرلي في بلـدة رغدان بالباحـة، والباحة مول في شمـال المدينة . وسوق الراية شمال مدينة بلجرشي، وأسواق بن زومة وسط بلجرشي، وأسواق بن قزي في حي البركـة، ومركز عبد الواحد وكلاهما وسط مدينـة بلجرشي، وبلجرشي مول، وأسواق المستهلك جنوب مدينة المخواة، وأسواق الحازمي وسوق السلام. والأول في وسط مدينة المخواة، والثاني في شمالها[٢]. ولا يخلو حي أو مدينة أو قرية أو بادية أو ريف من أسواق متنوعة في المساحات والسلع المعروضة[٣].

وهنـاك قليل من التشابه وكثير من الاختلافات بين الأسواق القديمة والحديثة، ونذكر بعضا منها في النقاط التالية :

١. مارس سـكان منطقة الباحة مهنـاً تجارية عديـدة في الماضي والحاضر، وتقـوم الأسواق الأسبوعية قديماً على تجارات ونشاطات السكان المحليين، ومنـذ سبعينيات القـرن الهجري الماضي وفد إلى المنطقـة عناصر بشرية مختلفـة، داخلية وخارجيـة[٤]، وكانوا يرتـادون الأسواق للشـراء أو البيع والشـراء معـاً[٥]، ومنذ نهايـة القرن (١٤هـ/ ٢٠م) وبداية هـذا القرن

---

(١) يجـب على البلديات القريبة من بعض الأسواق المندثرة أن تصونها وترممها حتى تظهر بصورة حضارية جميلـة، وإذا كانـت غير قـادرة على ذلك فأزالتها مـن أماكنها أفضل حتى لا تبقى صـورة مشوهة وسط البناء والعمارة الحديثة . مشاهدات الباحث أثناء تجواله في المنطقة (٢٩.١١.٩/١٢/١٤٣٣هـ) .

(٢) مشاهدات الباحث أثناء زيارته منطقة الباحة في (٢٩/١١.٩/١٢/١٤٣٣هـ) .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) جـاء إلى المنطقـة بعض الموظفين مـن السعوديين الذين قدموا مـن مناطق أخرى، أو مـن الوافدين من بلدان عربية، وجميعهم عملوا في مؤسسات إدارية مختلفة وشاركوا سكان منطقة الباحة اجتماعيا واقتصاديا . .

(٥) الموظفـون والأيـدي العاملة الأخـرى مثل اليمنيين وغيرهـم شاركوا أهل البـلاد في أسواقهم وتعاملاتهم الاقتصادية والحضارية . .

(١٥هـ/٢٠م) تزايدت الأيدي العاملة الخارجية حتى أصبحوا عماد الأعمال التجارية في أنحاء المنطقة[١].

٢. يظهر عدم التنظيم أثناء عرض السلع المراد بيعها في الأسواق الأسبوعية، وإنما تعرض بشكل عشوائي، وعند انتهاء السوق تنقل أيضاً بطريقة عشوائية[٢]، أما الأسواق الحديثة فهي ذات وضع أفضل وأجمل في العرض والبيع والشراء والخزن[٣]، ومعظم السلع قديماً محلية مثل: الحبوب، والخضروات، والفواكه، وبعض الألبسة، والحيوانات والطيور الأليفة المختلفة: كالأبقار، والجمال، والحمير، والدجاج، والحمام وغيرها، والقائمون على بيع وشراء هذه السلع من أهل البلاد نفسها[٤]، وفي وقتنا الحاضر أصبحت الأسواق تحتوي على آلاف الأنواع من البضائع المستوردة، وانصرف أبناء غامد وزهران عن العمل في التجارة[٥]، حتى وإن كانوا أصحاب الأموال التي قامت بها الأسواق التجارية، وإنما يوظفون أيادي عاملة خارجية وأحياناً داخلية لممارسة النشاطات التجارية المختلفة[٦].

٣. طرق المواصلات بين الأسواق الأسبوعية قديماً قليلة ووعرة وضيقة في مساحتها الجغرافية، بعكس الطرق التجارية اليوم فهي ممهدة معبدة، وغالباً مضاءة، وتسلكها جميع أنواع السيارات[٧].

---

(١) الناظر اليوم في جميع الأماكن التجارية يجد أن الأيدي العاملة الخارجية منتشرة في أنحاء المنطقة، بل هم المحرك الاقتصادي الرئيس لهذا القطاع الحضاري الهام .

(٢) مشاهدات الباحث لعدد من الأسواق الأسبوعية في جنوبي البلاد السعودية خلال العقد الماضي.

(٣) هذا ما عاصره الباحث في نواح عديدة بجنوبي البلاد السعودية منذ ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) .

(٤) معاصرة الباحث لهذه المظاهر منذ نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٥) هذه الظاهرة موجودة في جميع الأسواق التجارية في المملكة، وقليلاً ما ترى الفرد السعودي يعمل في الأعمال التجارية المختلفة مثل: بيع الألبسة وأدوات الزينة، أو المواد الغذائية، وغالباً يعملون في تجارة العقارات وربما عمل بعضهم في تجارة الذهب وغيرها . مشاهدات الباحث خلال الثلاثة عقود الماضية المتأخرة .

(٦) تجولنا في نواح عديدة من منطقة الباحة وزرنا بعض أسواقها التجارية الحديثة الصغير والمتوسطة والكبيرة فوجدنا غالبية العاملين في هذا القطاع الاقتصادي الهام من الأيدي العاملة المستقدمة من خارج المملكة العربية السعودية .

(٧) جميع الطرق القديمة تستخدم مشياً على الأقدام، وتسلكها أيضاً الجمال والحمير التي كانت تنقل البضائع بين الأسواق والمدن والقرى . وفي العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م) كان هناك طرق محدودة استخدمت فيها بعض السيارات، ثم توسعت شبكة الطرق البرية حتى أصبحت السيارة تصل إلى كل مكان في المنطقة، ومن ثم صارت الوسيلة الرئيسة لنقل البضائع في أرجاء البلاد، هذا ما شاهده وسمعه الباحث من بعض الرواة الغامديين والزهرانيين أثناء رحلته في المنطقة (٢٩-١١-٩/١٢/١٤٣٣هـ) .

٤. تم الاطـلاع على عشرات الوثائـق والعقود والاتفاقيات التي تدور حول بناء وتنظيـم وإدارة الأسـواق الأسبوعية القديمة والأسـواق التجارية الحديثة والمعاصـرة، فاتضح لنا العديد من الانطباعـات والاستنتاجات التي نذكر أهمها في النقاط التالية:

- لغـة هـذه الوثائـق والاتفاقيات يظهر عليهـا الركاكة والأخطـاء النحوية والإملائية وبخاصة ما يتعلق بوثائق الأسواق الأسبوعية، والوثائق الحديثة لا تخلو أيضاً من ذلك مع تضمينها أحياناً بمصطلحات ومفردات أجنبية، وغالباً من اللغة الإنجليزية أو بعض اللغات الأوربية الأخرى[١].

- كانـت العشـيرة أو القبيلة التي يقـام فيها السـوق الأسبوعي هي التي تصـدر الوثائق الخاصـة بأسواقهـا، ومعظم النصوص التي ترد في هـذا النوع من الوثائق تؤكـد على حماية السوق وحرمـة دماء وأموال وأعراض كل من يرتاده، وإذا حدث ما يهدد أمن الأسواق فإن القبيلة التي يقام في أرضها السوق هي المسؤولة عن كل ذلك[٢]، أما اتفاقيات وعقـود الأسـواق الحديثة، فهناك عقـود فردية وأحيانـاً جماعية بين أصحـاب البضائع وأماكن الأسواق، كمـا أن هناك عقوداً بين شركات أو مؤسسـات تجارية وبـين ملاك الأراضي التي تقـام عليها الأسواق. كما أن للبلديـات والغرف التجارية ومؤسسات إدارية أخرى إسهامات واضحة ومعروفة نظامياً وإدارياً أثناء بناء أي سوق صغيراً أو كبيراً[٣].

ج ـ السلع، الأسعار، تعاملات تجارية:

كمـا أشرنا سابقـاً إلى قلة السلع قديمـاً لندرة المال في أيـدي الناس، وضعف الاقتصـاد، لأن الأسواق الأسبوعية كانت تقوم علـى احتياجات الناس محلياً أو ما

(١) دراسـة اللغة واللهجـات في الأسواق الأسبوعية القديمة والحديثة والمعاصـر موضوع هام ويستحق البحث والدراسـة. ونأمـل من بعض المتخصصين في قسم اللغة العربية بجامعة الباحـة أن يلتفتوا إلى مثل هذا الجانب المعرفي فيخدم بدراسات أكاديمية علمية.

(٢) جمع الباحث وثائق عديدة عن بعض الأسواق الأسبوعية في منطقة الباحة ويتطلع في المستقبل إلى أن يقوم بدراستها ونشرها (بإذن الله تعالى).

(٣) نظـام الأسـواق الحديثـة والمعاصرة، وما يدور حولهـا من عقود واتفاقيـات، وتعاون المؤسسـات الإدارية الحكوميـة في النظـم والإجراءات الخاصـة ببناء أو فتح سوق تجـاري جديرة بالبحـث والدراسة، ونأمل مـن أقسام التاريخ والجغرافيا، والإدارة، والتسويق في جامعة الباحة أن تولي مثل هذه الموضوعات أهمية كبرى في بحوثها ودراساتها.

يُصَّـدر إليهـا من بعض الأسـواق والمراكز المجاورة أو القريبة مـن منطقة الباحة. وبعـد اتسـاع شبكة الطـرق، ودخول البـلاد مرحلة مـن النمو والتطـور التاريخي والحضاري[١]، اتسع نطاق التجارة حتى صارت المنطقة تعج بآلاف الأسواق والمتاجر الصغـيرة والكبيرة، وأصبح الإنسان غير قادر على حصر البضائع المعروضة للبيع والشراء، والتي جاء معظمها من خارج حدود المملكة العربية السعودية[٢].

أمـا الأسعار فهـو موضوع مهم، ومن الصعب الإلمام بـه في صفحات محدودة، لكننـا سـوف نورد نمـاذج عديـدة لأسعـار بعضـ التجـارات القديمـة والحديثة والمعاصرة، وذلك من خلال ما سمعنا،[٣] أو شاهدنا[٤].

الأسعـار في ستينيـات القرن الهجري الماضـي وما سبقه رخيصـة جداً، فهي تقـدر بالهلل والقروش، وكانت المقايضة من المعامـلات الرئيسة بين سكان منطقة الباحة[٥]، ومنذ سبعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) نجد الأسعار لازالت قليلة، وصارت ترتفـع تدريجياً حتـى بداية القرن (١٥هـ/٢٠م) . فالمـواد الغذائية مثل: الحبوب(

---

(١) تاريخ التنمية في منطقة الباحة موضوع جدير بالبحث والدراسة، ونأمل من جامعة الباحة أن تشجع بعض البحوث العلمية التي تصب في هذا المجال الحضاري الهام .

(٢) حصـر السلـع المعروضة في الأسـواق الحديثة والمعاصرة موضوع كبير ويحتـاج إلى مجلدات حتى يتم معرفة أسمـاء هذه البضائع، وأنواعها، وأماكن صنعها، وطـرق استيرادها، والسلبيات والإيجابيات المصاحبة لهذه السلـع. كمـا أن إجراء دراسة مقارنة بين صادرات وواردات منطقة الباحة في العصر الحديث والمعاصر، وفي القـرون الماضيـة المتأخرة موضـوع هام ويستحق إلى أن يكـون عنوانا لكتاب أو رسالـة ماجستير أو دكتوراه، ونأمل أن نرى إحدى طلابنا في برامج الدراسات العليا في جامعات الجنوب فيتخذه عنوانا لأطروحته .

(٣) لقـد سمعنـا روايات كثيرة عن الأسعـار قديماً، ومن ينظـر في وثائق القرن (١٤هـ/٢٠م) غير المنشورة يجدها مليئة بالمادة العلمية الجديدة التي تشرح أسعار البضائع والسلع المختلفة في أسواق المنطقة، كما أن بعض هذه الوثائق تعكس تاريخ النقل والأجور والعاملين في التجارات المختلفة . ومثل هذا الموضوع يستحق أن يكـون رسالـة ماجستير أو دكتوراه، نرجو من إحدى طالباتنا أو طلابنـا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد أن يتخذه موضوعاً لأطروحته، فهو من الموضوعات الجديدة والجديرة بالبحث والدراسة.

(٤) تاريخ الأسعار في منطقة الباحة منذ بداية القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر موضوع جيد ويستحق أن يكون بحثاً علمياً أكاديمياً مطولاً في مئات الصفحات . والباحث في الوثائق والمصادر والمراجع، والمدونات، والمذكـرات، والمقابـلات وبخاصة مع من عملوا في التجارات منذ القرن الماضـي إلى يومنا هذا فإنه سوف يجمع مادية علمية جديدة وجيدة تستحق النشر وتعكس التطور التاريخي للأسعار في المنطقة .

(٥) لقـد اطلعت على مئات الوثائق غـير المنشورة التي تعكس تاريخ الأسعـار والرواتب والأجور في بلاد تهامة والسراة الممتدة من الطائف وجنوبي مكة إلى جازان ونجران وبخاصة منذ الثلاثينيات إلى نهاية ستينيات القـرن الهجري الماضي فوجدتها قليلة جـداً . فأسعار الجمل، أو الثور، أو الخروف، أو الماعز تقدر بالهلل وأحيانـاً بالقروش مثـل: ربع أو ثلث أو نصف الريال. وقس على ذلك جميع البضائع والسلع التي كانت تعرض في أسـواق هـذه المنطقة الشاسعة، وبلاد الباحة جزء بسيط من هذه الأوطان . ومن يدرس هذا الموضوع ويطلع على الوثائق التي تصب في خدمته فسوف يجد مادة علمية قيمة وجديدة في بابها، وهي جديرة بالبحث والنشر.

القمـح، والشعير، والذرة، والدجـر، والبلسن وغيرها) تباع بالصـاع. وقد يباع المد أو المديـن وربمـا الأربعة والخمسة بربع ونصـف وثلاثة أربع الريـال في أوائل السبعينيات (ق١٤هـ/٢٠م)، وذلك حسب نوعيـة الحب المباع، فالقمح أغلى من الذرة والشعير[١]، ثـم تدرجـت أسعار هـذه السلع حتى وصلـت إلى الريـال والريالين والثلاثـة في أواخر تسعينيـات القرن (١٤هــ/٢٠م) وبداية القرن (١٥هــ/٢٠م)[٢]، ثـم ارتفعت أسعار هـذه السلع حتـى أصبح سعر المـد في وقتنا الحالي عشرة ريـالات وأكثر لحبوب القمح وأحياناً الذرة والشعـير[٣]، واستمرت جميع الأطعمة والأشربة بمنطقة الباحة تسير في هـذا التزايد التدريجي في الأسعار حتى أصبحت عالية وشاقة في وقتنا الحاضر، بل إن الأسر الفقيرة والمتوسطة وما دونها تعاني بشكل كبير في توفير طعامها وشرابها[٤].

وأسعـار الألبسـة وأدوات الزينـة مـرت في الخطـوات التي حدثت لسلـع الطعام والشـراب، فجميـع ألبسـة الرجال والنسـاء والأطفـال لا تتجاوز الهلـل في منتصف القـرن (١٤هـ/٢٠م)، للباس الواحد، وقد تدخـل في خانة الريالات إذا كانت ملابس عديدة[٥] وهكذا تدرجت حتى أصبح سعر الثوب في تسعينيات القرن الهجري الماضي يقـدر بـ (١٥.٥) ريالاً، وربما كان أقل من ذلك أو أكثر حسب نوعية القماش، والأردية أحيانـاً مثل: العباءة، والشملـة وغيرها قد تكون أغلى بنسبـة بسيطة[٦]، والنـاظر في أسـواق المنطقة منذ عقدين أو ثلاثة حتى يومنا الحالي يجـد الأسواق امتلأت بأنواع كثـيرة من الألبسة والزينة، وغالبيتها مستوردة من خارج البلاد السعودية، وأسعارها تتراوح من الخمسة وعشرة إلى المئات وأحياناً آلاف الريالات. وقد تدخل بعض أدوات الزينة مثل: الذهب والألماس والأحجار الكريمة في مئات الآلاف[٧].

---

(١) هـذا ما وجدته في بعض الوثائق الاقتصادية في منطقة الباحة وسمعته أيضاً من بعض الرواة الزهرانيين والغامديين في فترة زيارتنا (٢٩/١١ـ ٩/١٢/١٤٣٣هـ).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) هذا ما شاهدته في بعض أسواق منطقة الباحة السروية والتهامية.

(٤) هـذا ما شاهدته في أسـواق منطقة الباحة وسمعته من بعض أرباب الأسـر في المنطقة بل إن هذه المشكلة عامة على الشعب السعودي والعربي والإسلامي.

(٥) كان الكثـير من الأسر تعاني من الحصول على الألبسة وبخاصة في البوادي والأرياف والقرى وقد لا يكون عند الفرد إلا لباس واحد لفترة طويلة، من الأنواع الرديئة.

(٦) هـذا مـا وجده الباحث في بعض الوثائق، وسمعه من بعض الـرواة الذين عملوا في مجال التجارة في نهاية القرن (١٤هـ) وبداية القرن (١٥هـ/٢٠م).

(٧) هـذه الأسعـار تـكاد تكون سائـدة في مناطق الباحـة وعسير وغيرها من مـدن وحواضر المملكة. وقـد شاهدت ذلك وسمعته من كثير من الباعة والتجار أثناء تجوالي في نواحٍ عديدة من البلاد السعودية خلال العشرين سنة الماضية.

أمـا بيع وشراءِ العقارات مثل: الأراضي الزراعية والسكنية، والمنازل ومرافقها فكانت بسيطة جداً في الخمسينيات والستينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) فقد تباع مزرعة مساحتها (٥٠×٥٠م) أو (١٠٠×١٠٠م) بنصف ريال وربما وصل سعرها إلى ريال أو ريالين حسب جودتها، وأحياناً قد تباع بمقايضة مد أو مدين أو ثلاثة من بر، أو ذرة، أو شعير، أو تيس، أو خروف[١]، ثم ارتفعت أسعار الأرض تدريجياً حتى نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) وأصبحت أسعار بعض الأراضي الزراعية تقدر بـ (٥٠٠٠ ـ ٢٠٠٠٠) وربمـا (٣٠،٠٠٠) ألـف ريـال، وكذلك الأراضي السكنيـة تقريباً بنفس الأسعار وبخاصة في القرى والأرياف أما المدن والحواضر مثل: الباحة، وبلجرشي، والمندق، والمخواة فقد ارتفعت أسعار أراضيها وعمائرها حتى دخلت عشرات وأحياناً مئات الآلاف[٢]، ومنذ بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) نلحظ أسعار العقارات ترتفع بشكل سريع وكبير، فالأرض التي كانت تباع بريالات معدودة في حاضرة الباحة في النصـف الثاني من القرن (١٤هــ/٢٠م) أصبحت تباع اليوم بمئات الآلاف، وربما دخلت خانة الملايين، وذلك حسب مساحتها وموقعها[٣]. والمنازل ـ أيضاً ـ التي كانت تباع بعدد من الريالات دخلت خانة العشرات في الستينيات والسبعينيات من القرن (١٤هــ/٢٠م)، ونجـد أسعارها اليوم تقدر بمئـات الآلاف، وهنـاك عمائر ومنازل كبـيرة في حواضر منطقة الباحة مثل: الباحة، وبلجرشي، والمخواة، والمندق وصلت أسعارها إلى عشرات وأحياناً مئات الملايين[٤].

وعنـد تجوالنـا في بعض الأسـواق الأسبوعيـة في منطقة الباحـة وسؤالنا عن أسعار بعض الأدوات المختلفة والمستخدمة في مهن الزراعة والتجارة وصنع الطعام والشـراب، والحـدادة والصباغـة والدباغة والخـرازة وغيرها . وجدنـا أسعارها تـتراوح مـن خمسة أو عشرة ريـالات إلى المئة والخمسمائة والألـف والألفين وربما أكـثر، وذلك حسب نوعيـة الأداة المباعة، وحجمها وجـودة صنعها. فمثلاً السيوف والخناجـر التي يصنعهـا الصاغة والحدادون قد تصل أسعـار بعضها إلى الآلاف مـن الريـالات، وربما وجد منهـا بعض الأنواع تبـاع بالخمسمائـة والألف . كذلك أدوات الحراثـة والزراعة القديمة تتراوح أسعار بعضها من العشرة والمئة ريال إلى

(١) هذا ما وجدناه في بعض الوثائق غير المنشورة وسمعناه من بعض المسنين في منطقة الباحة .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) هذا ما لمسته في بعض مكاتب العقار في منطقة الباحة في الفترة من (٢٩/١١ـ٩ / ١٢/ ١٤٣٣هـ).

(٤) هذا ما وجده الباحث عند سؤال بعض العقاريين في منطقة الباحة في الفترة (٢٩/٩،١١/١٢/١٤٣٣هـ) .

الخمسمائة والألـف ريال[١]، وهنـاك بعض الصنـاعـات الجلدية أو المنسوجات من القماش أو الخصف تتراوح أسعارها بين العشرات والمئات من الريالات[٢].

وهنـاك بعض التعاملات التجارية التي عرفتها منطقة الباحة . مثل المقايضة بين التجـار وعامة الناس، فالمزارعون مثلاً يقايضون حبوبهم مع تجار الأقمشة وبعض أدوات الزينـة، وهكذا تتم عملية المقايضة، وذلـك لندرة النقود المتداولة بين أيدي النـاس[٣] كما ظهرت بعض العملات المتداولة بين الناس مثل: الريال المجيدي نسبة إلى السلطـان العثماني عبد المجيد بن محمـود (١٢٥٥-١٢٧٨هـ/ ١٨٣٩-١٨٦١م)، وكانت هـذه العملة مصنوعة من الذهب والفضة ومتداولـة في جميع أقطار البلاد العربيـة، بالإضافـة إلى عدة عملات عثمانية ضربت في مصـر ووصل التداول بها إلى منطقـة الباحـة وما جاورها من بلدان الحجاز وتهامـة والسراة واليمن[٤]، ثم أعقب ذلك التعامل بالعملات السعودية المعدنية والورقية[٥].

أمـا الأوزان والمكاييـل والمقاييـس فلا نجد مصـادر موثوقة تشـرح لنا كيفية التعامـل معهـا . فالـوزن أو الكيل، لم يعرف عنـد سكان منطقـة الباحة ما يمسى بـ(الكيلـو جـرام) إلا في العقود الماضيـة القريبة[٦]. وقبل استخـدام الكيلوجرام

(١) مشاهـدات ومقابـلات الباحـث أثنـاء تجوالـه في أسـواق منطقـة الباحـة الأسبوعيـة في الفـترة مـن (٢٩-١١-٩/١٢/١٤٣٣هـ) .

(٢) المصـدر نفسـه . ونلحظ أن جل العاملـين في هذه الصناعة مـن العمالة الوافدة، وقـد يعمل معهم بعض السعوديـين، وتتراوح أجور العامـل اليوم بين (٥٠٠-٢٠٠٠) ريال في الشهر، وربمـا عمل بعضهم بالنسبة مـع كافلـه السعودي فقد يكون لكل واحد منهم (٥٠٪) من سعر السلعـة الواحدة . وإذا قارنا أجور عمالة اليوم مع عمالة القرن (١٤هـ/٢٠م)، لوجدنا فرقاً كبيراً فقد كانت أجور العمالة آنذاك لا تتجاوز القروش وأحياناً الريالات، وربما حصل العامل على أجرته من المهنة التي يمارسها . فالمزارع مثلاً يأخذ أجوره من محاصيل الزراعة التي يقوم على خدمتها، وهكذا تسير الأمور مع التجارات والمهن والسلع الأخرى .

(٣) تاريخ المقايضة في جنوبي البلاد السعودية خلال القرون الماضية المتأخرة موضوع يستحق إلى أن يفرد له دراسة علمية أكاديمية موثقة .

(٤) للمزيـد عن العملات في مناطـق الباحة وعسير وجازان وما جاورها خلال القرن (١٣هـ/١٩م) والنصف الأول مـن القـرن (١٤هـ/٢٠م). انظـر: علـي أحمـد عيسى عسيري . عسير مـن (١٢٤٩-١٨٣٣ م-١٢٨٩/١٨٧٢م) (أبها : مطبوعات نادي أبها، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ص ٤٠٧-٤١٠ .

(٥) لمزيـد مـن التفصيلات عن العمـلات في مناطق الباحة وجـازان وعسير خلال العهـد السعودي الحديث انظـر، غيثان بن جريس . عسـير دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعيـة والاقتصادية (١١٠٠-١٤٠٠هـ / ١٦٨٨-١٩٨٠م) (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م)ص ١٨١-١٨٧ .

(٦) هـذا مـا سمعه الباحث مـن بعض التجار الكبـار في منطقة الباحـة، الذين عاصروا فـترة الخمسينيات والستينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) .

كانوا يستخدمون نظـام الأقة، والرطل، والأوقية، والدرهم، والأقة قطعة مصنوعة مـن الحديـد، عرف منها الأقـة الواحدة، ونصـف وربع الأقة، وربمـا كانت تصنع خـارج بلاد الباحة، وبخاصة في المدن الكبرى من شبه الجزيرة، أو الشام، ومصر وغيرهـا، وهـذه الأداة تساوي أربعمائة درهم، أو رطلـين ونصف، أو اثنين وثلاثين أوقية، وتزيد عن وزن الكيلو جرام الواحد في وقتنا الحاضر[١]، والرطل اثنتا عشرة أوقيـة، أو ما يقـارب اثني عشر ريالاً فرنسياً، ومن أجزائـه نصف الرطل، والربع، والثمـن، أما الأوقية الواحـدة فتساوي اثني عشر درهماً. وجميـع الأدوات السابقة تستخـدم في وزن السوائل مثل: السمن والعطور وغيرها، والبخور، والتوابل، وبعض المـواد الغذائية الخفيفة، كالهيل، والبن والزعفـران وغير ذلك من المعادن الثمينة والأطياب الغالية، ويستخدم في هذا ما يسمى بـ (الميزان)[٢].

أمـا وحدة الكيل فتستخدم بالدرجـة الأولى في كيل الحبوب وماشابهها، ومنها المد، والصـاع، والفرق، والأردب، والكيلة، والقـدح، والوسق وغيرها. فالمد يساوي ثلاثة أقق، وعرف منه المد الكامل، ونصف المد وربعه وثمنه، وكانت تعتمد بمقاييس موحدة في أنحـاء بلاد غامد وزهران، وتصنع في الأساس من الخشب[٣]. والإردب عبـارة عن وحدة من وحـدات المكاييل، ويساوي اثنتي عشرة كيلـة، والكيلة تساوي أربع أقـق، وهو ماعون أسطواني أو مستطيل الشـكل مصنوع من الخشب، ومخرم من الخارج بأطر من الحديد ومنه نصف الكيلة وربعها وثمنها، وهي تساوي ثمانية أقداح، والقدح وحده من وحدات المكاييل يساوي($\frac{١}{٨}$) الكيلة[٤].

وأدوات الوزن والكيل غير متوفرة في كل مكان من بلاد الباحة، وأغلب تواجدها في الأسـواق الكبيرة، وأحيانـاً توجد عند التجار الكبار، وربمـا توفر بعضها، كالمد والصاع عند بعض أفراد المجتمع، وبخاصة الذين يمارسون مهنة الزراعة والتجارة.

---

(١) للمزيد انظر، مغربي، محمد علي . ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن (١٤هـ/٢٠م) (جدة: دار العلم للطباعـة والنشر، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م)، ص ١٦٠، مبارك محمد المعيدي . النظم الإدارية والمالية في تهامـة عسير خلال الإشراف السعودي (١٣٤٥ـ١٣٥١هـ). (جـدة : شركة دار العلم للطباعة والنشر، ١٤٠٥ـ١٤٠٦هـ)، ص٩٤، ٢٠٤ .

(٢) مشاهدات ومقابلات الباحث مع بعض التجار الزهرانيين والغامديين في الفترة (١١.٢٩ ـ ٩/ ١٢/ ١٤٣٣هـ) .

(٣) المصـدر نفسه . دراسة هـذه الوحدات جديرة بالبحـث والتدوين، ونأمل من طـلاب الدراسات العليا في أقسام التاريخ بجامعات جنوبي البلاد السعودية أن تولي مثل هذا الموضوع أهمية في بحوثها ودراساتها .

(٤) مغربي، ملامح الحياة الاجتماعية، ص ١٦٠ .

وعرف البيع بالجملة، فقد لا تكال ولا توزن السلع التي يراد بيعها، وإنما توضع على هيئة أكوام، أو في أكياس كبيرة، ثم تقدر أسعارها نظرياً ويتم بيعها[١].

لم يكن هناك أدوات تستخدم في القياس، كالمتر والكيلومتر إلا بعد ظهور الحكم السعودي الحالي، وخصوصاً في العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م)، لكن الأراضي الزراعية والمواقع التي تقام عليها المساكن تقاس بالخطوة أو القدم عند الرجال، وهناك بعض الأسماء التي تطلق على الأراضي الزراعية مثل: الفلق: وهو جزء صغير من القطعة الزراعية الكبيرة. والشقة وأحياناً الركيب وهي: القطعة الزراعية المحدودة بحدود واضحة من جميع أطرافها بصرف النظر عن مساحتها. والزهب: وهو ما يكون محدوداً بحدود معلومة وملاصقاً لقطع زراعية أخرى تكون أكبر منه في المساحة وأحسن في نوعية التربة[٢].

ومن المقاييس ـ قبل استخدام المتر ـ الذراع: وهو ذراع اليد، وبخاصة في مناطق الأرياف وأسواق البادية. والهنداسة: وهي قطعة حديدية رفيعة. والذراع والهنداسة يستعملان في قياس الألبسة والأقمشة وما شابهها[٣].

٦ـ معوقات الحياة الاقتصادية:

العقبات التي واجهت الأوائل في منطقة الباحة وغيرها من أجزاء شبه الجزيرة العربية كثيرة وتحتاج إلى دراسة وافية وموثقة في جميع جوانب الحياة[٤]. وما سوف ندرجه في السطور التالية ليس إلا شذرات لنبين للقارئ الكريم ما عانى منه الأوائل، وما يعانيه أهل المنطقة اليوم في حياتهم الاقتصادية. ومن تلك المعوقات ما يلي:

١. غلاء الأسعار في الأسواق والبوادي. وهذا ما سمعته من بعض المسنين في منطقة الباحة حيث ذكروا لنا غلاء الأسعار الذي عرفته المنطقة في

---

(١) مقابلة الباحث مع بعض تجار غامد وزهران الذين عاصروا ستينيات وسبعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، وذلك في الفترة التي زار فيها المنطقة لجمع مادة هذا القسم (٢٩.١١.٩/١٢/١٤٣٣هـ).

(٢) مشاهدات الباحث ومقابلاته مع بعض الغامديين والزهرانيين أثناء زيارته مناطقهم بهدف جمع مادة هذا القسم في (٢٩.١١.٩/١٢/١٤٣٣هـ).

(٣) المصدر نفسه. والعملات والمكاييل والمقاييس والأوزان في منطقة الباحة موضوع هام وجدير بالدراسة المقارنة التي تصور كيف كانت في الماضي وكيف أصبحت اليوم. ونأمل أن نرى أحد أبنائنا في أقسام التاريخ السعودية فيتخذ هذا العنوان موضوعاً لرسالة ماجستير أو دكتوراه.

(٤) دراسة العقبات والمعوقات التاريخية والحضارية في منطقة الباحة خلال القرون الماضية المتأخرة موضوع هام ويستحق إلى أن يكون عنواناً لرسالة ماجستير أو دكتوراه. ونأمل أن نرى أحد من طلابنا يتولى هذا الموضوع بالبحث والدراسة والتوثيق.

بعض عقود القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي)[١]. وأشاروا إلى أن القحط الذي ساد البلاد وقلة سقوط الأمطار كان من الأسباب الرئيسة لارتفاع أسعار السلع الرئيسة والضرورية[٢]، والناظر اليوم في أسواق منطقة الباحة وغيرها يجد الأسعار عالية جداً، وأصحاب الدخل القليل يعانون من ضيق الحياة في شتى الجوانب، بالإضافة إلى عدم وجود الأموال التي تساعدهم على تصريف شؤون حياتهم اليومية[٣].

٢. كانت صعوبة المواصلات قديماً عائقاً رئيساً في نقل البضائع والتجارات من مكان لآخر، بالإضافة إلى قلة وسائل النقل، فليس كل واحد يستطيع أن يمتلك جملاً أو حماراً ينقل عليه سلعه واحتياجاته[٤]، مع وجود بعض اللصوص وقطاع الطرق الذين يعترضون العاملين في مجال التجارة فيقومون بسلبهم وإيذائهم في أنفسهم وأموالهم[٥]، وفي عصرنا الحالي توفرت شبكة طرق جيدة ووسائل نقل مريحة، لكن كثرة الحوادث المرورية أصبحت من المشاكل الرئيسة التي أودت بالكثير من الأرواح والأموال والعقارات والتجارات وغيرها[٦].

---

(١) ما سمعه الباحث من بعض كبار السن في منطقة الباحة خلال زيارته لها في (١١/٢٩ـ ١٢/٩/ ١٤٣٣هـ).

(٢) نجد بعض المصادر تشير إلى غلاء الأسعار وانتشار الجوع والقحط بين سكان شبه الجزيرة العربية. فيذكر ابن بشر وأيوب صبري باشا بأن الأعوام (١٠٤٦هـ، ١٠٤٧هـ، ١٠٨١هـ، ١٢٢٠هـ، ١٢٤٣هـ، ١٣٢٩هـ، ١٣٣٣هـ، ١٣٣٤هـ) ارتفعت فيها الأسعار، وقلت الأمطار، وساد الجوع والفقر بين الناس. للمزيد انظر: عثمان بن بشر. عنوان المجد في تاريخ نجد (القاهرة، ١٩٧٣م)، ج١، ص٤٦، ٥٢، أيوب صبري باشا. مرآة جزيرة العرب. ترجمه من اللغة التركية إلى العربية أحمد فؤاد متولي والصفصافي أحمد المرسي (الرياض: دار الرياض للنشر، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ج١، ص ١٤٣.

(٣) هذا ما لمسه وسمعه الباحث من عدد من الأفراد والأسر في منطقة الباحة أثناء زيارتها في (١١/٢٩ـ ١٢/٩/ ١٤٣٣هـ).

(٤) كانت معظم الأسر تمتلك حماراً وربما أكثر من أسرة، وأحياناً تشترك جميع الأسر، أو الفخذ أو القرية في جمل أو جملين فقط.

(٥) لم تكن أعمال اللصوص مقتصرة على مهاجمة التجار وسرقة ما بأيديهم، لكنهم كانوا يقتحمون المزارع والبساتين أثناء الليل، وكان البعض منهم يهاجمون البيوت فيسرقون بعض المواشي أو ما يجدونه في المنازل التي يداهمونها، والحاجة وانتشار الجوع بين الناس هما السببان الرئيسان اللذان يدفعان اللصوص للقيام بالسرقة وإيذاء الناس. هذا الموضوع جدير بالدراسة، نأمل أن نرى أحد طلابنا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد (برنامج الدراسات العليا) فيتخذ هذا العنوان موضوعاً لأطروحته وبخاصة في القرن (١٤هـ/٢٠م)، وذلك لوفرة الرواة المعاصرين، وبعض الوثائق الجديرة بالدراسة.

(٦) هناك نسب عالية في ميدان الحوادث المرورية، والكثير من الأموال والتجارات والأرواح تذهب نتيجة لهذه الأخطار، حبذا أن نرى أحد أكاديمي جامعة الباحة فيدرس هذا الجانب مع رصد الإيجابيات والسلبيات له، وذكر الوسائل والحلول التي يجب أن تُتبع للتخفيف من آثاره السيئة.

٣. في السابق كانت الحروب والصراعات والثآرات القبلية من العقبات الرئيسة التي تولد الخوف وفقدان الأمن عند السكان، بالإضافة إلى ما ينتج عن ذلك من دمار وخراب في الأموال والعقارات والأرواح[١].

٤. هناك بعض الآفات والأوبئة التي تحل بالمزروعات مثل الجراد والديدان وغيرها، وتذكر بعض الروايات المدونة والمسموعة اجتياح الجراد لمنطقة الباحة خلال بعض الأعوام من القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م)، وقد ألحقت أضراراً بالغة بمحاصيل المزارعين، أو ببعض الأشجار المثمرة[٢].

٥. كانت الأيدي العاملة محدودة في جميع المجالات الاقتصادية خلال القرن (١٣هـ/٢٠م) والثمانية عقود الأولى من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وكانت غالباً مقصورة على سكان البلاد الأصليين[٣]، والزراعة من أهم المهن الرئيسة والنشطة آنذاك[٤]. ومنذ نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) وبداية القرن (١٥هـ/٢٠م) تلاشت الزراعة حتى أصبحت شبه معدومة[٥]، وتطورت المهن الاقتصادية الأخرى وبخاصة الأعمال التجارية والصناعية، ومن ثم تراجع انخراط السكان المحليين في هذه الحرف، وحل محلهم العمال الوافدون من بلدان عديدة في العالم العربي والإسلامي وغير الإسلامي[٦]، وهذه التحولات الاجتماعية والاقتصادية أثرت سلباً على أبناء البلاد فانتشرت بينهم البطالة والاتكالية وأحياناً اللامبالاة وعدم الاكتراث وبخاصة بين جيل الشباب[٧].

---

(١) دراسة تاريخ الأمن في منطقة الباحة خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) موضوع جديد وجدير بالبحث والدراسة، ويستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية أكاديمية، وهناك مئات الوثائق الجديدة وغير المنشورة التي تصب في خدمة مثل هذا العنوان.

(٢) هذا ما سمعه الباحث من بعض المسنين في مناطق الباحة وعسير للمزيد انظر: غيثان بن جريس. عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص ١٩٠-١٩١.

(٣) ما قرأه الباحث وشاهده وسمعه أثناء الدراسة والتجوال في منطقة الباحة وما جاورها من المناطق خلال الثلاثين عاماً الماضية.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) معاصرة الباحث لهذه التغيرات الاجتماعية والاقتصادية في جميع أجزاء المنطقة الجنوبية منذ عام (١٣٩٥-١٤٣٤هـ/١٩٧٥-٢٠١٣م).

(٧) المصدر نفسه. والثابت أن هناك أموالاً كبيرة جداً تجنى من قبل الأيدي العاملة الأجنبية نتيجة عملهم في هذه المهن الاقتصادية الهامة والمربحة، ومن باب أولى أن يعمل الشباب المحلي في هذه الأعمال ويكسبون منها أرباحاً طائلة.

خامساً : الأوضاع التعليمية والفكرية والثقافية:

١ـ التعليم

لم تكـن بلاد غامد وزهران خالية من النشاطـات العلمية والثقافية والفكرية، والباحـث في كتـب التراث الإسلامـي المبكر يجـد أن أهل هذه البلاد تلقـوا بعضاً مـن العلوم الشرعية والعربيـة منذ فجر الإسلام وبخاصة عندمـا وفد إليها بعض الصحابة (رضوان الله عليهم) ، كما هاجر منها بعض أهلها حتى التقوا بالرسول (صلـى الله عليـه وسلم) وصحابته في المدينة المنـورة[١] ، وهكذا استمرت منطقة الباحة على صلات ثقافية وحضارية خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة[٢] .

ومنـذ القرنـين (١٢ـ١٣هـ/١٨ـ١٩م) نجـد عـدداً مـن أبناء غامـد وزهران يهاجـرون مـن بلادهم بهدف كسب العيش وطلب العلـم، وكانت وجهتهم إلى مدن الحجـاز الرئيسـة (مكة المكرمة والمدينة المنورة) ، أو اليمـن، أو الشام، أو مصر، أو إريتريـا وغيرهـا، ومنهم من يذهـب للبقاء في بعض هذه البلـدان لفترة وجيزة ثـم يعـودون إلى مسقط رؤوسهـم لتعليم أبناء بنـي جلدتهم. والبعـض من أولئك المهاجرين تنقل في بلدان عديدة بهدف التعليم والتعلم، وكانت تصل غربة بعضهم إلى العشـر والعشرين سنـة، ثم يعودون إلى وطنهم الرئيس، أو يستقرون أحياناً في بعض حواضر شبه الجزيرة العربية الرئيسة مثل: مدن اليمن أو الحجاز الكبرى[٣] .

والباحث في مصادر ومراجع تاريخ منطقة الباحة يلحظ أسماء عدد من الأسر العلميـة التـي قامت بنشر العلـم والثقافة والدعـوة والإفتاء والإصـلاح بين سكان المنطقـة وبخاصة منذ القرن الثاني عشر الهجـري (الثامن عشر الميلادي) حتى

(١) لمزيد من التفصيلات انظر بعض كتب التراث الإسلامي المبكر والوسيط : مثل: كتب الرحلات، والمعاجم اللغوية والجغرافية، وكتب الأدب والتاريخ العامة، وكتب تاريخ الحجاز المحلي وبخاصة تواريخ مكة المكرمة والطائف والمدينة المنورة .

(٢) المصادر نفسها . وللمزيد انظر: موسوعة المملكة العربية السعودية (منطقة الباحة). (الرياض : مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ١٤٢٨هـ) المجلد رقم (١٦) ، ص ٣٦٧ وما بعدها.

(٣) للمزيد انظر، موسوعة المملكة العربية السعودية (منطقة الباحة) مج١٦، ص٣٧٣ ـ ٣٧٦. وتاريخ الهجرات العلميـة من منطقة الباحة وإليها خلال القرون الهجريـة الماضية المتأخرة (١٢ـ١٤هـ/١٨ـ٢٠م) ، موضوع هـام وجدير بالدراسة ويستحق أن يكون عنوانـاً لرسالة دكتوراه، حبذا أن نرى أحد الباحثين الجادين في أقسـام التاريـخ بالجامعات السعودية فيتخـذه موضوعاً لأطروحته، وهناك عدد مـن المخطوطات ومئات الوثائق غير المنشورة التي تصب في خدمته مثل هذا الموضوع العلمي .

القرن (١٤هـ/٢٠م) [١]. وهناك عشرات الكتاتيب المتناثرة في بلاد غامد وزهران (تهامة وسراة)، وكان القائمون عليها من الفقهاء وبعض طلاب العلم الذين تلقوا تعليمهم في أماكن عديدة داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها [٢]، وغالبية هذه الكتاتيب كانت للذكور التي تتراوح أعمارهم من (١٠سنوات إلى ٢٠، و٣٠، و٤٠ سنة)، وكتاتيب أخرى للفتيات والنساء وهي قليلة ويشرف عليها غالباً بعض النساء المتعلمات في المنطقة [٣].

أ ـ التعليم النظامي الحكومي العام :

بدأ في العصر الحديث والمعاصر تعليم البنين النظامي في المنطقة عام (١٣٥٣هـ/١٩٣٤م)، عندما افتتحت أول مدرسة ابتدائية تحضيرية أميرية في بلدة الظفير [٤]..، وقام بالتدريس في هذه المدرسة عدد من الأساتذة الفضلاء الذين قدموا إليها من مدن الحجاز الرئيسة مثل: الأستاذ شاكر بن علي، والأساتذة : عبد الحي كمال، وابن هليل، وعبد العزيز ابن رشيد، ومحمد بن سليم وغيرهم [٥]، ثم افتتحت مدارس ابتدائية عديدة في أنحاء المنطقة الغامد والزهرانية.

وفي عام (١٣٨٠هـ/١٩٦٠م) افتتحت أول مدرسة متوسطة في بلدة بلجرشي، وفي عام (٨٦ ـ ١٣٨٧هـ/٦٦ـ١٩٦٧م) افتتحت أول مدرسة ثانوية في بلجرشي أيضاً [٦].

---

(١) للمزيد عن الأسر العلمية في منطقة الباحة منذ العصر الإسلامي الوسيط إلى القرن (١٤هـ/٢٠م)، انظر سعدي بن عيد الحريتي . الحركة التعليمية في سراة منطقة الباحة (جدة: المطابع الإسلامية الحديثة، ١٤٢١هـ)، ص٣٢، علي بن صالح السلوك. غامد وزهران (السكان والمكان) . (جدة: شركة المدينة المنورة للطباعة ،١٤٢٢هـ)، ص١٥٩، ١٩٩. موسوعة المملكة العربية السعودية (منطقة الباحة)، مج١٦، ص ٣٧٥ ـ ٣٧٦ .

(٢) انظر الحريتي، ص ٦١ / ٨٧، السلوك، غامد وزهران (السكان والمكان)، ص١٥٠.

(٣) السلوك، غامد وزهران (السكان والمكان) ص٨٧، موسوعة المملكة العربية السعودية (منطقة الباحة) مج١٦، ص ٣٧٦ـ ٣٧٧ . وموضوع تاريخ الأسر العلمية والكتاتيب في منطقة الباحة من القرن (١٢ـ١٤هـ/١٨ـ٢٠م) يستحق الدراسة ، حبذا أن نرى أحد الباحثين الجادين فيدرسه دراسة علمية أكاديمية ويوضح لنا الرموز العلمية التي عرفتها المنطقة وجهودهم في ذلك الزمن، وأسماء الكتاتيب، ونظامها وطرق التدريس فيها، والمواد التي تدرس، وعلاقة تلك الكتاتيب والأسر مع مجتمعاتها.

(٤) الظفير : أحد الأحياء الرئيسة في مدينة الباحة ويوجد به اليوم العديد من المؤسسات الإدارية الرئيسة الحكومية والأهلية . مشاهدات الباحث في (٣ـ٢ /١٢/١٤٣٣هـ) .

(٥) من خلال اطلاعنا على بعض سجلات وزارة التربية والتعليم في عام (١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، وما استطعنا جمعه من وثائق ومذكرات عن منطقة الباحة، ومن خلال ما وصلنا من الأستاذ سعد المليص في قوله المنشور في القسم الرابع من هذا الكتاب تحت اسم (القول الثالث) اتضح لنا أسماء أعلام كثيرون عملوا في مهنة التربية والتعليم منذ عام (١٣٥٣ـ١٣٩٠هـ / ١٩٣٣ـ١٩٦٠م) . ونأمل من المتعلمين الباحثين في بلاد الباحة أن يجمعوا تراجم أولئك الرواد الأوائل في تاريخ منطقة الباحة الحديث ومن يفعل ذلك فسوف يسدي للمنطقة وأهلها خير كثير.

(٦) للمزيد انظر، موسوعة تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية في مائة عام ـ (وزارة المعارف، ١٤١٩هـ)، ص ٥٦ وما بعدها .

وكانـت الإدارة الرئيسة للمدارس الآنفة الذكـر تتبع في البداية لإدارة المدرسة الابتدائية التحضيرية في الظفير، بل كانت إدارة هذه المدرسة الأخيرة بمثابة حلقة الوصـل بين مدارس المنطقة النظامية المبكرة وبين مديرية المعارف في مكة [١]، وفي عـام (١٣٧٣ـ١٣٧٤هـ/١٩٥٣ـ١٩٥٤م) أنشئت أول معتمدية للتعليم في الباحة، ثم تحولت إلى إدارة تعليـم عـام (١٣٧٧هـ/١٩٥٧م)، ثم إدارة عامـة للتعليم في المنطقة عام (١٤١٥هــ/١٩٩٥م) [٢]. وفي عام (١٤١٩هــ/١٩٩٩م) افتتح ثلاثة مراكز إشراف تربوي في كل من محافظة بلجرشي ومحافظة المندق، والعقيق بالإضافة إلى مركز الإشراف التربوي بمحافظة القرى[٣].

أمـا الأجـزاء التهامية من منطقة الباحة فتشير بعض الوثائق والمذكرات إلى تبعيتهـا إدارياً وتعليمياً لبلاد القنفذة التابعة لمنطقة مكة المكرمة . وكان بها مكتب للإشراف منذ عـام (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م) [٤]، وفي عـام (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) تحول هذا المكتب إلى إدارة تعليم، ومنذ عام (١٤١٥هـ/١٩٨٣م) تحول اسم هذه الإدارة إلى إدارة التعليـم بمحافظـة المخواة، وأصبحت تابعة لمنطقـة الباحة التعليمية[٥]. وكانـت أول ابتدائيـة بالمخـواة عـام (١٣٧٢هــ/ ١٩٥٢م)، وأول متوسطـة عـام (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م)، وأول ثانوية في عام (١٣٩٧هـ) [٦].

أمـا تعليم البنات فقد وصل متأخراً، وذلك في عام (١٣٨٢هـ/١٩٦٢م) عندما افتتحـت أول مدرستين ابتدائيتـين في بلجرشي والظفـير، وكان يشرف على تعليم المنطقة خمس مندوبيات، منها ثلاثة في السراة وتتبع إدارياً إدارة تعليم الطائف[٧]،

---

(١) هــذا ما وجده الباحـث في بعض الوثائق التاريخيـة المبكرة التي تعود إلى الخمسينيـات أو الستينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) .

(٢) هـذا مـا سمعـه الباحث مـن بعض الأساتـذة التربويـين في منطقـة الباحة أثنـاء زيارتهـا في (١١/٢٩ـ١٢/٩/١٤٣٣هـ) .

(٣) انظر : الكتيبات والمطويات والتقارير السنوية الخاصة بإدارة التربية والتعليم في الباحة .

(٤) هذا ما عثر عليه الباحث أثناء جمع مادة كتابه الخاص بمنطقة القنفذة، والموسوم بـ : بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق١٠ـ١٥هـ/ق١٦ـ٢١م) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٢هـ /٢٠١١م) .

(٥) انظر : موسوعة تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية في مائة عام، ص ٥٧ .

(٦) تم الاطلاع على بعض التقارير والمذكرات والكتب السنوية الصادرة من إدارة التربية والتعليم في محافظة المخواة أثناء زيارتنا للمنطقة في (١١/٢٩ـ١٢/٩/١٤٣٣هـ) .

(٧) وتلك المندوبيات هي (بلجرشي، والظفير، والنصباء) .

واثنتـان في تهامة، بالمخواة وقلوة، وترتبط بإدارة تعليم البنات في مكة المكرمة[١]، وفي عـام (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) أنشئـت أول إدارة تعليم مستقلة للبنـات في الباحة وربطت بها جميع مندوبيات المنطقة[٢].

وفي عـام (١٤٢٩هـ/ ٢٠١٠م) جرى بعض القرارات العليا على التعليم في المملكة العربيـة السعوديـة، ومـن ثم دمـج إدارة التعليم للبنـين وإدارة التعليـم للبنات حيث أصبحـت إدارة واحدة تشرف على التعليم (الذكور والإناث) في كل منطقة[٣]، ونجد إدارة التربية والتعليم في الباحة تشرف على جميع مراحل التعليم في الأجزاء السروية والبدويـة[٤]، وقد وصل عدد الطلاب والطالبات في عام (١٤٣٣-٣٢هـ) إلى (٢٣٦٠٠) طالباً و(٢٣٩١٠) طالبة، والمعلمين والمعلمات إلى (٥٣٥٧) معلماً و(٦٤٤) معلمة.

أمـا عدد المدارس التابعـة لإدارة تعليم المخواة فهـي (٣٥٢) مدرسة، (١٧٩) للبنات، و(١٧٣) للبنين، وعدد المدرسين (٢٥٤٦) معلماً و(٢٤٤٩) معلمة، ومجموع عدد الطلاب والطالبات حوالي (٢٨٠٠٠) طالباً وطالبة[٥].

ويتواجـد في المنطقة عدد من المعاهد التي تمنح طلابها (دبلومات) في بعض العلـوم مثل: المعاهد العلمية، وهي ثلاثـة، الأول : في مدينة بلجرشي وكان افتتاحه

---

(١) تم الاطـلاع على بعض المنشـورات والتقارير الصادرة مـن إدارة التربية والتعليـم . بمحافظة المخواة في (٣-٢/١٢/١٤٣٣هـ).

(٢) تاريـخ التعليـم في منطقة الباحة منذ عـام (١٣٥٣-١٤٠٠هـ/١٩٩٣-١٩٨٠م) موضوع علمـي أكاديمي ويستحق أن يكـون عنوانـاً لرسالة دكتوراه، حبذا أن نرى أحد طلابنا في قسـم التاريخ بجامعة الملك خالد أو أي جامعة سعودية أخرى فيتخذه عنواناً لأطروحته وهو جدير بالبحث والدراسة. كما أن في إدارات تعليم منطقة الباحة ووزارة التربية كماً هائلاً من السجلات والوثائق الجديدة في مادتها العلمية والمفيدة لخدمة مثل هذا الموضوع.

(٣) للمزيـد عن هـذه الإجـراءات الإدارية انظر سجـلات ومنشورات وكتبـاً عديدة أصدرتهـا وزارة التربية والتعليم في المملكة من عام (١٤٣٠-١٤٣٣هـ/٢٠١٠-٢٠١٢م)

(٤) وهناك بعض المسؤوليات لدى إدارة تعليم الباحة تجاه إدارة التعليم في المخواة . فإدارة تعليم الباحة عامة وتراجعهـا إدارة تعليـم المخواة في بعض الجوانب الإدارية والمالية والتعليمية . للمزيد عن تاريخ التعليم في منطقة الباحة . انظر، موسوعة المملكة العربية السعودية (منطقة الباحة). مج١٦، ص ٤٧٦ - ٤٨١ .

(٥) مقابلات مع بعض موظفي إدارة تعليم محافظة المخواة في الفترة الممتدة من (٢٩/١١-٩/١٢/١٤٣٣هـ). ومـن المؤكـد أن هناك كماً هائلاً من المذكـرات والوثائق والسجلات في إدارتـي التعليم في منطقة الباحة (الباحـة والمخـواة) ، ولم أتمكـن مـن الاطـلاع عليهـا لأن قدومي إلى المنطقـة كان في وقـت إجازة عيد الأضحى عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) ونستطيع القول أن الرصد التاريخي للتعليم في منطقة الباحة منذ عام (١٤٠٠-١٤٣٣هـ / ١٩٨٠-٢٠١٢م) ، موضوع هام وسهـل ونأمل أن نرى بعض الباحثين الجادين في جامعة الباحة فيتولوه بالبحث والدراسة والتحليل.

عـام (١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م)، والثـاني في الباحة عام (١٣٨٦ـ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦ـ٦٥م). والثالـث في المندق عـام (١٣٩٨هـ /١٩٧٨م) وجل المناهج التي تدرس في هذه المعاهـد تاريخية وعربية وشرعيـة[١]، وهي تابعة إدارياً لجامعـة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ومن خلال الاطلاع على بعض الوثائق والسجلات الخاصة ببعض هـذه المعاهد اتضـح لنا أنه تخرج فيهـا طلاب نجباء مبتدعـون في علوم الشريعة واللغـة العربيـة، فمنهم من أصبح قاضياً أو أستـاذاً في الجامعة، وصار الكثير من طلاب هذه المعاهد أدباء وشعراء ووعّاظاً ودعاة ومحامين ومستشارين وغيرهم[٢].

وهناك معاهد أخرى علمية وفنية مثل: المعاهد الصحية، وأول معهد افتتح في الباحة عام(١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ومن مهامه تخريج كوادر فنية في علـوم التمريض، والصيدلة، والأشعـة، والتخديـر، والمختبر، والأسنـان، والتغذية، والتفتيش الصحـي، وقد تم تطويره إلى كليـة علوم تطبيقية تابعة لجامعـة الباحة[٣]. ومعاهد فنية مثل: مركز التدريب المهني الـذي افتتح في مدينـة الباحة عـام (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، والمعهد الثانـوي التجاري عام (١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، والكليـة التقنيـة في حاضرة الباحـة عام (١٤١٩هـ/١٩٨٨م)[٤]، والكلية والمعاهد التقنية تقوم على تدريس تخصصات فنية وتقنية مثل: الكهرباء، والنجارة، وميكانيـكا السيارات، والتمديـدات الصحية، والتبريـد والتكييف، والتقنيـة الكهربائية، وتقنية الحاسب الآلي، والتقنية الإدارية، واللحام، والميكانيكا العامة وغيرها[٥].

---

(١) ومنـذ تسعينيـات القـرن (١٤هـ/٢٠م) تم إدخـال مناهج ذات صبغـة علمية بحتة في هـذه المعاهد مثل: الرياضيـات، والإنجليـزي، والفيزيـاء، والكيميـاء وغيرها، وصارت تدرس جنباً إلى جنـب مع المناهج الشرعية والعربية الرئيسة والأساسية.

(٢) دراسـة تاريخ المعاهد العلميـة في منطقة الباحـة أو في أي منطقة مـن مناطق المملكـة موضوعات هامة وجديـرة بالدراسـة والاهتمام، ومن يفعل ذلك فسـوف يطلعنا على الأدوار العلميـة والثقافية المهمة التي أدتهـا هـذه المعاهد منذ نشأتها إلى اليـوم. للمزيد انظـر، موسوعة المملكة العربيـة السعودية (منطقة الباحة). مج١٦، ص ٤٨٠.

(٣) انظر في صفحات قادمة تجد بعض التفصيلات عن التعليم العالي في المنطقة.

(٤) هذه الكلية تطوير للمعهد الثانوي الصناعي وتخصصاتها أقسام متقدمة في المجالات الفنية والصناعية، وتتبـع إدارياً للمؤسسـة العامة للتعليم التقني والمهني وعميد الكلية هو الـذي يتولى الإشراف على مجلس التدريـب التقنـي والمهني في كل منطقة، ودور هذا المجلس متابعة سـير العملية التعليمية والإدارية والمالية والتخطيـط لجميـع المؤسسات الفنية والتقنية. هـذا ما سمعه الباحث من بعض العاملين الرئيسيين في بعض المؤسسات الفنية والتقنية أثناء زيارة بلاد الباحة في (١١/٢٩ ـ ١٢/٩/١٤٣٣هـ).

(٥) جميـع هذه التخصصات مهمـة وضرورية في حياة الناس اليومية، ويتخرج فيهـا مئات الطلاب لكنهم لا يذهبـون للعمـل في مجال العلوم التي درسوها. ونـرى اليوم معظم العاملين في هذه المهـن الفنية التقنية مـن العمـال الوافدين من خـارج البلاد، مع أن أرباحها جيـدة وعالية. هذا ما شاهـده الباحث في المدن الصناعية بجنوبي البلاد السعودية، وفي بعض المدن الكبرى بالمملكة العربية السعودية.

ب ـ التعليم الحكومي العالي :

بدأ التعليم الجامعي للبنات في الباحة عام (١٤٠٣ـ ١٤٠٤هـ / ٨٣ ـ ١٩٨٤م) عندما افتتحت أول كلية متوسطة بمدينة الباحة، ومدة الدراسة بها آنذاك سنتين، وفي عام (١٤١٢هـ/١٩٩١م) تم تطوير تلك الكلية لتصبح كلية جامعية في مجال التربية وأصبح زمن الدراسة بها أربع سنوات، ونظراً لتزايد الطالبات على هذه الكلية تم فصلها في عام (١٤١٥هـ/١٩٩٥م) إلى كليتين إحداهما للأقسام الأدبية والأخرى للأقسام العلمية، ثم افتتحت كليات مشابهة في بلدان أخرى من منطقة الباحة مثل مدن بلجرشي والمخواة والمندق وغيرها بهدف التيسير على طالبات المنطقة وتلبية احتياجات التعليم العام من الكوادر الوطنية المؤهلة [١]، وفي عام (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م) أنشئت الإدارة العامة لكليات البنات بمنطقة الباحة من أجل الإشراف الإداري والتعليمي والمالي على تلك الكليات، وكانت هذه الإدارة تابعة إدارياً ومالياً لوكالة الرئاسة العامة لتعليم البنات في الرياض [٢].

أما التعليم الجامعي للبنين فقد بدأ بكلية المعلمين عام (١٤٠٩ـ١٤١٠هـ/ ٨٨ ـ ١٩٨٩م)، وعدد أعضاء هيئة التدريس آنذاك (٩) أعضاء، أربعة سعوديين وخمسة متعاقدين، وعدد الطلاب (١٥٠) طالباً، وفي عام (١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م) ارتفع عدد الطلاب إلى (١١٨٦) طالباً، وعدد الأساتذة (٨٥) عضو هيئة تدريس، (٤٩) متعاقداً، و (٣٦) سعودياً، وعدد المبتعثين لدرجتي الماجستير والدكتوراه (٣١) طالباً، (٢٤) للماجستير و(٧) للدكتوراه [٣].

واستمر التعليم العالي في منطقة الباحة محدوداً حتى أنشئت جامعة الباحة عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، وخصص لها أرض مساحتها حوالي ثلاثة ملايين متر مربع في منطقة العقيق، والعمل جارٍ الآن في استكمال مشاريعها العمرانية، وقد

---

(١) تاريخ التعليم العالي للبنات في منطقة الباحة موضوع يستحق البحث والدراسة. حبذا أن نرى إحدى طالباتنا في قسم التاريخ، بجامعة الملك خالد فتتخذه موضوعاً لأطروحتها لدرجة الماجستير، وهناك الكثير من الوثائق والسجلات الجديدة تصب في خدمة هذا الموضوع.

(٢) هذا ما عرفته من بعض المسؤولين في تعليم البنات في منطقة الباحة أثناء زيارتي للمنطقة عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) بل حصلت آنذاك على بعض المذكرات والوثائق المتعلقة بالتعليم العالي للبنات في بلاد الباحة.

(٣) المصدر: مذكرة وصلتنا من عميد كلية المعلمين في الباحة في عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م). وأصل وصورة هذه المذكرة ضمن أوراق مكتبة الباحث (ابن جريس).

أنجـز أغلبهـا، وأصبح يعمـل في الموقع الجديد معظـم الكليات، وبعضـ الإدارات الرئيسـة[١]. وعنـد زيارتي أرض الجامعـة في (١٤٣٣/١٢/٢هـ) اتضح لي أنها تضـم خمس عشـرة كلية هي: (١) كليـة الطب التي تم إنشاؤهـا عام (١٤٢٩هـ)، وبـدأت الدراسة بها في (١٤٣١-٣٠هـ). (٢) كليـة العلوم الطبية التطبيقية في عام (١٤٢٦هـ). (٣) كلية الهندسة عام ٢٦-١٤٢٧هـ). (٤) كلية العلوم عام (١٤٢٦هـ). (٥) كليـة العلوم الإدارية والمالية عام (١٤٢٩هـ). (٦) كلية التربية، وهي امتداد لكليـة المعلمـين بالباحة، وفي (١٤٢٧/٥/٣هــ) صدر قرار بإلحـاق كليات المعلمين وكليـات البنات وكلية المجتمع بجامعـة الباحة، وصدرت الموافقة السامية على قرار مجلس التعليم العالي بتاريخ (١٤٢٩/٤/٢٩هـ) على إعادة هيكلة هذه الكليات من أجل إلحاقها بمنظومة التعليم الجامعي. (٧) كلية العلوم والآداب الإنسانية في عام (١٤٣٠هــ). (٨، ٩، ١٠) ثلاث كليات للعلوم والآداب ببلجرشي، والمخواة، والمندق عام (١٤٢٩هـ) (١١) كلية المجتمع بالباحة عام (١٤٢٢هـ)، (١٢) كلية الدراسات التطبيقية والتعليـم المستمر عام (١٤٣١هـ)، (١٣) كلية الصيدلة الإكلينيكية عام (١٤٣٢هــ)، (١٤) كلية علـوم الحاسب وتقنية المعلومات عـام (١٤٣٢هـ)، (١٥) كلية العلوم الإدارية بقلوة عام (١٤٣٣هـ)[٢].

ويوجـد بهذه الكليات الآنفة الذكر عشرات الأقسام في شتى العلوم والمعارف ويعمل بهـا حـوالي (١٠٠٩) عضو هيئة تدريس من وظيفة معيد إلى درجة أستاذ. كما يدرس بالجامعـة حوالي (١٩٧٥٦) طالباً وطالبة منتظمين ومنتسبين، ناهيك عن مشاريعها التنموية في منشآتها العمرانية ونشاطاتها العلمية والفكرية والثقافية والأدبية[٣].

---

(١) لقـد زرت منطقـة الباحة عام (١٤٣٠-٢٩هـ/٢٠٠٩-٢٠١٠م) فوجـدت الإدارة الرئيسـة للجامعة وجميع الكليـات لازالـت داخل مدينة الباحة، ثم زرتهـا في الفترة مـن (١١/٢٩-١٤٣٣/١٢/هـ) فوجدت معظم كليـات وإدارات الجامعـة، طلاباً وأساتذة وموظفـين، يعملون في الموقع الجديد بمنطقـة العقيق، ولازال هنـاك كليـات وأقسـام وإدارات قليلـة في أماكنها القديمة بحاضـرة الباحة. وسوف تنتقـل إلى أماكنها الجديدة في موقع الجامعة الجديد قريباً. هذا ما سمعه الباحث من بعض المسؤولين في جامعة الباحة في الفترة من (١١/٢٩-١٤٣٣/١٢/٥هـ).

(٢) حصـل الباحـث على هـذه المعلومات من المنشـورات والتقارير السنويـة لجامعة الباحة، وقـد زودني بها مشكوراً الدكتور علي الزندي، عميد شؤون القبول والتسجيل بالجامعة في (١٤٣٣/١٢/٣هـ).

(٣) تحتـاج جامعة الباحة إلى رصد تاريخ علمي موثق يشمل بدايـة نشأتها وتطورها، وعلاقتها بالمجتمع، وما يقابلهـا مـن سلبيات، وما أنجزت مـن أعمال وما يجب عليها من أجل خدمة الأرض والسكان، ونأمل أن يتـولى أحـد أعضاء هيئة التدريـس بالجامعة هذه المهمـة، وإن فعل أحد ذلك فسوف يقـدم خدمة جليلة للجامعة وللمجتمع ولكل من يرغب تفصيلات علمية عن هذه الجامعة الوليدة.

وكوني أحد أبناء المنطقة الجنوبية وأعرف منطقة الباحة أرضاً وسكاناً، فإنني قد خرجت ببعض الانطباعات في باب التعليم والفكر والثقافة وما قدمته الجامعة، وما يجب أن تقدم في هذا الباب، ومن تلك الرؤى والانطباعات ما يلي:

١. تأسيس جامعة في المنطقة قرار صائب، فقد سهل على أبناء وبنات المنطقة العناء، فبقوا في أوطانهم، ونمت وتطورت بلادهم اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً . وتحولت المنطقة من طاردة لسكانها إلى مستقطبة مستقبلة لهم، ويجب على القائمين على الجامعة أن يدركوا هذا الجانب الحضاري التنموي فيعملوا بجد وإخلاص على تذليل الصعاب وتوفير الإمكانات العلمية والإدارية والتنموية لتحقيق كل ما يصب في الارتقاء بهذا الجانب[1].

٢. للجامعة دور كبير ومؤثر في الرقي بالمستوى العلمي والفكري، والثقافي، والأدبي، والحضاري، ويجب على صناع القرار في الجامعة أن يدركوا أهمية هذا الجانب . فالمنطقة بكر في ميدانها العلمي وفي شتى المجالات، كما أنها تحتضن الكثير من الكفاءات والقدرات الثقافية والإبداعية، ومن ثم فيجب عليها أن تتصل بالمجتمع وتشركه وتستنير به في صنع بعض قراراتها وبخاصة فيما يتعلق بأحوال الناس العلمية والثقافية والحضارية .

٣. يجب على الجامعة أن تستقطب دائماً الكفاءات والطاقات البشرية الجيدة الفعالة المنتجة، كما يجب عليها أن تقارب وتزاوج ثقافياً وعلمياً بين أعضائها الأكاديميين والمبدعين ومؤسسات المجتمع المدني، وإن فعلت ذلك فقد تجني ثماراً يانعة صالحة على المدى القريب والبعيد .

٤. لقد زرت منطقة الباحة من عام (١٤٢٤-١٤٣٣هـ/٢٠٠٤-٢٠١٢م) عدة مرات، وفي كل زيارة أزور بعض الكليات ومؤسسات الجامعة العلمية والإدارية، وألتقي ببعض فئات المجتمع من أقصى البلاد إلى أدناها، كما سمعت أقوال بعض الوجهاء والأعيان والمثقفين والموظفين والعامة، ومن ثم لمست حراكاً اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً تعيشه المنطقة والسبب

---

(١) والوضع نفسه وجدته في مناطق عسير وجازان ونجران والطائف، ونأمل أن نرى جامعات أخرى جديدة في أماكن التجمعات السكانية الكبيرة مثل: بلاد القنفذة، ومحائل، وشرورة، وبيشة وغيرها.

الرئيس في ذلك هو تأسيس جامعة علمية ثقافية أكاديمية في هذه الناحية الجغرافية الهامة [١].

ج ـ التعليم الأهلي العام والعالي :

قبل التعليم النظامي كان هناك بعض الفقهاء ورجال العلم الذين يقومون على تعليم الناس أمور دينهم ويؤمونهم في صلواتهم، ويقضون بينهم في خصوماتهم وتقسيم مواريثهم، وعقود أنكحتهم [٢]، ثم جاء التعليم الحكومي وتطور، كما ذكرنا سابقاً، كما شهدت المنطقة خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) بعض المدارس الأهلية التي قام على تأسيسها بعض الوجهاء والمشايخ والعلماء والدعاة، وبالتالي أسهمت بدور رائد في الحركة العلمية والثقافية، واستفاد منها طلاب عديدون في العقود الأخيرة من القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي)، ومن تلك المدارس :

١ـ المدرسة السلفية ببلجرشي :

أنشئت هذه المدرسة عام (١٣٧٠هـ/١٩٥١م) على يد مؤسسها الشيخ محمد بن علي بنٍ جماح الغامدي [٣]، فكان صاحب فكرتها وتأسيسها ومن ثم بقي مديراً لها وقائماً على شؤونها عدة عقود، وقد دون عنها كتاباً يقع في (٢٧٠) صفحة من القطع المتوسط سماه : رحلتي مع الإيمان والمدرسة السلفية والدعوة والقرآن

---

(١) حبذا أن نرى دراسة علمية موثقة تصور الحراك الحضاري الذي تعيشه منطقة الباحة قبيل وبعد افتتاح جامعة الباحة إلى وقتنا الحاضر، ونأمل من مراكز الجامعة البحثية أن تتولى مثل هذا الموضوع بالبحث والدراسة، كما نأمل من الجامعة أيضاً أن تنشئ مراكز بحثية متخصصة تقوم على دارسة ما تتميز به منطقة الباحة، أو بعض الظواهر الطبيعية أو السكانية أو الاجتماعية أو الاقتصادية في البلاد الزهرانية والغامدية (بادية وسراة وتهامة) .

(٢) تاريخ تعليم المساجد والكتاتيب والأسر العلمية في منطقة الباحة قبل خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) موضوع جديد وجدير بالبحث والدراسة ويستحق إلى أن يكون عنواناً لأطروحة ماجستير أو دكتوراه في أحد أقسام التاريخ بإحدى الجامعات السعودية.

(٣) محمد بن جماح : أحد رجالات حاضرة بلجرشي، رحل في طلب العلم داخل وخارج المملكة العربية السعودية، ومن الدعاة الفضلاء الذين لهم جهود تذكر فتشكر عاش معظم حياته في خدمة الدين والعلم والدعوة في منطقة الباحة (بلجرشي)، وكان وفاته عام (هـ/ م) . ويستحق أن يصدر عنه كتاب علمي موثق، أو يخصص له رسالة دكتوراه في أحد الأقسام الأكاديمية بإحدى جامعاتنا السعودية، ونأمل من أبنائه وأحفاده أن يسعوا إلى جمع وثائقه ومراسلاته ومدوناته وكتبه وتوفيرها لباحث نزيه يقوم برصد مآثره وجهوده في ميادين الدعوة والإصلاح والتعليم فهو جدير أن يكتب عنه كتب وبحوث علمية عديدة .

مـن جبال السروات لجميع الإخوة والأخوات (مواعظ وعبر)[١]، شرح في هذا الكتاب بدايـة حياته، ثم رحلاتـه في طلب العلم، وأخيرا رجوعـه إلى موطنه من أجل تأسيس مدرستـه (المدرسـة السلفيـة)، مـع ذكر الـرواد الأوائل الذيـن ساندوه أثنـاء البناء والتأسيس حتى وجد الدعم والمؤازرة من ملوك آل سعود (عبد العزيز وأبنائه: سعود، وفيصـل، وخالد، وفهد، وعبد الله، وسلمان وغيرهـم)[٢]، وفي الكتاب تفصيلات عن تحديد مكان المدرسة في بلدة بلجرشي، ثم جمع التبرعات من بعض المحسنين لبنائها، وتوافـد الطلاب للانضمام إليها، ثم دعمهـا ماليا ومعنويا من الملك سعود أثناء زيارة منطقة الباحة عام (١٣٧٤هـ/١٩٥٥م)، ثم دعم الملك فيصل لها أيضاً[٣]، وكانت علوم الشريعة والعربية جل المواد التي تُدرس فيها، وفي عام (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) طبقت فيها مناهـج وزارة المعـارف، ثم افتتحت فيها المرحلة الثانويـة بقسميها (العلمي والأدبي)، [٤]. وبقي الشيخ ابن جماح وبعض أقربائه وطلابه قائمين على سير هذه المدرسة أكثر من أربعين عاما، كما قابل العديد من العقبات أثناء رعايته وإشرافه على هذه المؤسسة الأهليـة المباركة . وفي أوائل القرن (١٥هـ/٢٠م) أسندت السلفية الأهلية إلى مديرين تعينهـم وزارة المعـارف، وقد تم تحويل اسم مرحلتي المتوسطـة والثانوية إلى مسمى (مدرسة بدر) وبقيت المرحلة الابتدائية باسم : المدرسة السلفية الابتدائية [٥].

وعند الاطـلاع على لفيف من المذكـرات والوثائـق والأوراق التي تم جمعهـا عن هذه المدرسة من عام (١٤٢٤-١٤٣٣هـ/ ٢٠٠٤-٢٠١٢م) اتضح لنا نقاط عديدة نذكر أهمها في السطور التالية :

١. هـذه المدرسة نشـرت الوعي الثقـافي والمعرفي والديني بـين سكان منطقة البـاحـة، فتخـرج فيها طـلاب ترقوا في درجـات المعرفة حتـى صار منهم المعلمون والقضاة والدعاة وغيرهم .

---

(١) كتاب مجلد طبعة : المدينة المنورة : مكتبة العلوم والحكم، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) .

(٢) المصدر نفسه، ص ٢ وما بعدها .

(٣) المصدر نفسه، ص ٨٠-٩١، ١١٠-١١١ .

(٤) المصـدر نفسـه، ص١٢ ومـا بعدها . هناك بعض الأعلام والرموز الذيـن درَّسوا وساهمـوا في بناء هذه المدرسـة، وكل واحد منهم يستحق بحثاً مستقلاً أو ترجمة مطولة، ونأمل أن نرى أحد أبناء غامد وزهران المثقفـين فيتولى هذا الموضوع بالبحـث والتدوين . ومن يفعل ذلك فسوف يطلعنا على صور ثقافية وعلمية لأولئك الرعيل النقي الوفي .

(٥) تم فصـل المرحلـة الابتدائية عن المرحلتين المتوسطة والثانوية في عـام (١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ثم تغير اسم المدرسة السلفية الابتدائية إلى بدر أيضاً في عام (١٤٢١-١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

٢. جهـود فردية من الشيخ ابن جماح جعلت أهل الخير والصالحين ينضمون إليـه فيؤازرونه بالمال والفكر والجسد، بـل وقفوا معه في كثير من العقبات والمحن التي واجهها أثناء الرعايـة والإشراف على هذه المؤسسة التعليمية الخيريـة . وقـد عثرنا على عشـرات الوثائـق والرسائل التـي أرسلت إلى الشيـخ صاحب المدرسـة وهي صادرة مـن علماء ومشايـخ ودعاة ووجهاء وشيـوخ قبائل ومدراء وموظفـين في الدولة داخل منطقة الباحة وخارجها، وجميعهـم يثنون على جهود الشيخ وعلى جهود مدرسته المباركة في ميادين الدعوة والثقافة والتعليم(١).

٣. حسب ما علمت من بعض أعيان ووجهاء بلجرشي أثناء تجوالي في بلادهم في (١-٢/ ١٢/ ١٤٣٣هـ)، أن موقع المدرسة السلفية القديم أصبح مهجوراً، ونرجـو من أبناء الشيخ ابـن جماح وطلابه ومحبيه أن يسعـوا إلى صيانة وترميم هذا المعلم التاريخي الحضاري، ثم جعله مكتبة عامة يستفيد منها النـاس، وتذكير أجيال اليوم والمستقبل بما بذله الشيخ ورفاقه وطلابه من جهود مباركة في نشر العلم والفضيلة والقول الحسن.

٤. كـون المدرسة السلفيـة بقيت تحت إشراف الشيخ وطلابـه وزملائه لعقود عديدة، فلابـد أن يكون هنـاك كم هائل من المذكـرات والوثائق التاريخية والحضاريـة الخاصة بالجهـود المبذولة من وإلى هـذه المؤسسة التعليمية، ونأمـل أن يجمـع هذا التراث الثقـافي الذي يصور حقبة مـن الزمان كان الجهل والفقر والجوع هي الآفات المدمرة والخانقة لإنسان ذلك العصر.

٢- المدرسة الريحانية ببني ظبيان:

هـذه المدرسـة نسبـة إلى قريـة الريحـان ببنـي ظبيـان في سـراة غامد، ومؤسسها الأستاذ سعد بن عبد الله المليص، صاحب القول الثالث في القسم الرابع

(١) حبـذا أن تجمع هذه الرسائل المتبادلة مع الشيخ، وقد يكـون معظمها عند أبنائه وطلابه وأقاربه وأحفاده ومريديـه ومحبيه ثم تدرس دراسة علمية تاريخية ثقافيـة لغوية أكاديمية، وهذا أقـل واجب على أهالي منطقة الباحة وبخاصة سكان محافظة بلجرشي.

من هذا السفر[١]، وكان إنشاؤها في عام(١٣٧٨هـ/١٩٥٨م) [٢]، ومراحل الدراسة بها المتوسطة والثانوية على منهج نظام دار التوحيد بالطائف، وقد تفرع عن هذه المدرسة فرعين، أحدهما بمدينة الباحة، والآخر بمدينة بلجرشي، وكانت الدراسة بالمجان على نفقة مؤسسها وأهل بيته وقرابته بالإضافة إلى بعض التبرعات والمعونات اليسيرة من وزارة المعارف وبعض الجهات الحكومية والأهلية الأخرى. وقد توقفت الدراسة بهذه المدارس عام (١٤١٠-١٤١١هـ/ ١٩٨٩-١٩٩٠م)[٣]، تخرج فيها عدد كبير من الطلاب، ومنهم من ترقى في سلم الوظيفة والتعليم حتى وصل إلى مناصب عالية في الدولة[٤].

٣- مدارس القرعاوي، ومدرسة زهران السلفية:

الشيخ عبد الله القرعاوي أحد رجالات عنيزة في القصيم، ولد بها عام (١٣١٥هـ/١٨٩٧م) وتعلم بها في بداية حياته ثم سافر إلى بلدان عديدة داخل المملكة العربية السعودية وخارجها من أجل طلب العلم[٥]، وفي بداية النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) قرر الخروج إلى جنوبي البلاد السعودية من أجل الدعوة

---

(١) انظر تفصيلات أكثر عن الأستاذ المليص وعن تعليم البنين في منطقة الباحة خلال العقود الماضية المتأخرة، في هذا الكتاب الذي بين يدينا، وفي القسم الرابع تحديداً.

(٢) للمزيد انظر: سعد عبد الله المليص. "تاريخ التعليم النظامي للبنين بمنطقة الباحة" مجلة المنتدى، نادي الباحة الأدبي، عدد(٧) (الباحة، ١٤٢٥هـ)، ص٣٤ وما بعدها.

(٣) مقابلات مع الشيخ سعد المليص مرات عديدة من (١٤٢٤-١٤٣٣هـ / ٢٠٠٤-٢٠١٢م)، ولازال الشيخ حتى تدوين هذه السطور يؤدي رسالته العلمية والثقافية والحضارية، ونسأل الله له الصحة والثبات والتوفيق. كما أن الشيخ سعد المليص يستحق أن تكون حياته عنواناً لرسالة ماجستير أو دكتوراه في أحد أقسام التاريخ بجامعاتنا السعودية، ونأمل من طلابه وأحبابه وأبنائه أن يسعوا إلى جمع أوراقه ووثائقه ومذكراتها ودفعها إلى باحث نزيه يدرسها ويخرجها في كتاب علمي أكاديمي موثق.

(٤) المدرسة الريحانية استمرت تؤدي رسالة علمية سامية عقوداً عديدة، والواجب على مثقفي منطقة الباحة وبخاصة ممن استفاد من هذه المدرسة أن يقوموا على صيانة مكانها وترميمه ليكون متحفاً أو مكتبة عامة يستفيد منها أجيال اليوم، كما يجب أن يجمع في هذا المكان جميع ما يتعلق بالمدرسة من سجلات ووثائق ومذكرات وأدوات أثرية، وهذا في نظري أقل واجب يجب عمله تجاه هذه المدرسة، والمدرسة نفسها تستحق أن يفرد لها رسالة أو كتاب علمي يرصد فيه الجهود التاريخية التي حققتها هذه المؤسسات الأهلية على مدار ثلاثة عقود.

(٥) للمزيد عن الشيخ القرعاوي انظر موسى بن حاسر السهلي. الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي ودعوته في جنوبي المملكة العربية السعودية (معلومات النشر غير مذكورة، ١٤١٣هـ)، ص١٠ وما بعدها، غيثان بن جريس. تاريخ التعليم في منطقة عسير (١٣٥٤-١٣٨٦هـ/١٩٣٤-١٩٦٦م) (جدة: دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، ج١، ص ٢٦٠-٢٦١.

ونشـر العلم والثقافة. وفي عامٍ (١٣٥٨هـ/١٩٣٩م) وصل منطقة جازان واستوطن ببلدة صامطة وفتح بها عدداً من المدارس وزودها بجميع مستلزمات الطلبة[١]، ثم وسع نشاطاتـه التعليمية وانتشرت مدارسه في تهامـة والسراة حتى وصلت مناطق القنفذة والباحة وعسير ونجران[٢].

وكان للشيـخ القرعاوي جهـود في نشر مدارسه في بعض قـرى غامد وزهران، وهناك بعض الأعلام الزهرانية والغامدية التي تعاونت معه وعملوا في مدارسه[٣]، وقـد اطلعت على بعض الوثائق في منطقة الباحة وفيها ذكر لبعض المدرسين الذين درّسـوا في مدارسه بسروات المنطقة، وأسماء بعض الطـلاب الذين تعلموا في تلك المدارس، كما وقفنا على بعض القـرى والبيوت التي عملت فيها بعض مدارس هذا الشيخ المحتسب (رحمه الله)[٤].

أمـا مدرسة زهـران السلفية فمؤسسهـا الشيخ عبد الله بـن مسفر الزهراني في بلـدة جافان بسراة زهران[٥]، وفي عـام (١٣٧٥هـ/١٩٥٦٥م) سميت بالمدرسة السلفيـة على غـرار المدرسة السلفيةٍ ببلجرشي، ومناهجهـا الرئيسة اللغة العربية وعلـوم الشريعـة، ولم تستمر طويلاً وإنما تحولت إلى مدرسـة حكومية، وقد تخرج فيها عدد من الطلاب الذين عملوا في مجال الدعوة والتعليم بالمنطقة[٦].

---

(١) انظـر أحمـد بن إبراهيـم السلوم . تاريـخ الحركة التعليميـة في المملكة العربيـة السعوديـة . (أمريكا : واشنطن، ١٤١١هـ/١٩٩١م) ج٢، ص٦٤٧ . ابن جريس، تاريخ التعليم في منطقة عسير، ج١، ص ٢٦٠ .

(٢) وعندمـا عجـز الشيخ من متابعة مدارسـه ضمت جميعهـا إلى وزارة المعارف والكليـات والمعاهد العلمية الدينيـة، وجهود القرعاوي العلميـة والتعليمية والثقافية في جنوب المملكة لازالت بحاجة إلى بحوث علمية أكاديميـة موثقـة، والجامعات المحلية في هذه البلـدان الجنوبية عليها مسؤوليـات كبيرة فتعمل على جمع تراث أعلامِ هذه الأوطان ومن كان له جهود تذكر فتشكر مثل الشيخ عبد الله القرعاوي وغيره (رحمهم الله جميعـاً) . كما يوجد عند الباحث بعض المذكرات المدونة مـن الأستاذين القديرين محمد أحمد أنور وسعد بن عبد الله المليص وفيها ذكر لجهود الشيخ القرعاوي في منطقتي عسير والباحة .

(٣) هذا ما سمعه الباحث من بعض رجالات غامد أثناء جمع مادة هذه الرحلة في (٢٩ـ١١/٩ـ١٢/١٤٣٣هـ) .

(٤) مـن خلال تجوالنا في مناطـق عديدة منٍ جنوبي البـلاد السعودية وسؤالنا عن جهـود الشيخ القرعاوي، وجدنا ذكره في كل مكان، بل قابلنا أفراداً عديدين في القنفذة وعسير ونجران والباحة وجميعهم شاهدوا الشيـخ والتقـوا بـه وأغلبهم درسوا في مدارسـه المتواضعة في الإمكانـات والإعداد والترتيـب، إلا أنها مع بساطتها كانت منتشرة في جميع البلدات والقرى والأرياف والبوادي بالمناطق السعودية الجنوبية .

(٥) مـن مواليـد عام (١٣٢٠هـ/١٩٠٢م)، تنقـل في طلب العلم بين اليمن والحجـاز، وعاصر عدداً من علماء وأعلام منطقة غامد وزهران، درس على يديه كثير من الطلاب . للمزيد انظر: سعدي بن عيد الحريتي، ص ٥٦، علي السلوك، غامد وزهران، السكان والمكان، ص ١٩٦ .

(٦) المرجعان نفسهما .

٤. مدرستا زهرة بنت سعيد الأعمى ببلجرشي :

لم يكن إنشاء المدارس الأهلية مقصوراً على الرجال، وإنما كان للنساء دور رائد في ذلك، وتذكر بعض الروايات إلى أن الأستاذة زهرة بنت سعيد الأعمى من قرية المكارمة ببلجرشي أنشأت مدرستين في عام (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م) [١]، واحدة للبنين وأخرى للبنات، وقد ضمت مدرسة البنين إلى المدرسة السلفية للذكور في بلجرشي عام (١٣٧٢هـ/١٩٥٣م)، أما مدرسة البنات فقد استمرت تحت مسمى : المدرسة السلفية للبنات بالمكارمة، وكانت تحت إشراف المدرسة السلفية الرئيسة للرجال في بلجرشي، وعند وفاة المعلمة زهرة قامت الأستاذة عزة بنت عبد الرحمن نسيلة بالإشراف على المدرسة حتى ضمت إلى مدارس التعليم النظامي للبنات في المنطقة في أوائل التسعينيات [٢].

٥. مدارس وكليات التعليم الأهلي الحديث:

من خلال تجوالنا في المنطقة اتضح لنا أن جميع مدارس التعليم العام فيها حكومية، وهناك عدد محدود جداً من المدارس الأهلية في المنطقة وهي خاصة لبعض المستثمرين من أهل البلاد الزهرانية والغامدية[٣]، أما التعليم العالي فقد افتتحت كلية الباحة الأهلية العالمية للعلوم عام (١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م)، وهي

---

(١) حبذا أن نرى أحد طلاب العلم الجادين فيجمع كل ما يتعلق بالتعليم النسائي في بلاد غامد وزهران خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) ويخرج من ذلك بحثاً أو دراسات علمية أكاديمية في هذا الباب الهام والجدير بالاهتمام .

(٢) هذا ما سمعه الباحث من بعض الرواة في محافظة بلجرشي في الفترة التي زار فيها المنطقة من (١١/٢٩-١٤٣٣/١٢/٩). وما تم الإشارة إليه في ميدان التعليم الأهلي في المنطقة، ليس إلا شذرات يسيرة من جهود كثير من المحتسبين والمحتسبات خلال القرنين (١٣-١٤هـ/ ١٩-٢٠م)، بل إن هناك رواداً في مجال هذا الصنف من هذا التعليم، ولازالت جهودهم مغمورة، وآثارهم الإيجابية غير مدونة . ونأمل أن نرى أحد طلاب البحث العلمي في منطقة الباحة، أو أحد طلاب الدراسات العليا في أقسام التاريخ بجامعاتنا السعودية فيتولى هذا الموضوع بالبحث والدراسة العلمية الأكاديمية . وهو موضوع جدير أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية أكاديمية .

(٣) ومن تلك المدارس الأهلية : مدارس جيل المستقبل، ومدارس الباحة وغيرها، والفرق بين التعليم الأهلي قديماً وحديثاً أن مؤسسي التعليم الأهلي في القرون الماضية المتأخرة كانوا يقومون على إنشاء الكتاتيب والمدارس من باب الاحتساب ونفع الناس ونشر الوعي والفكر والثقافة، ناهيك عن أنهم كانوا قدوة حسنة في أنفسهم ولكل من يتصل بهم، أما التعليم الأهلي اليوم فأصحابه يسعون إلى العمل التجاري الربحي من خلال فتحهم مدارس ومؤسسات تعليمية، وقد زرت العديد من المدارس الأهلية في المنطقة الجنوبية، (عسير، ونجران، وجازان، والقنفذة، والباحة) ودرست عن بعض الكتاتيب والمحتسبين القدماء في هذه البلاد فوجدت الفرق شاسعاً بين الفريقين، فالأوائل كانوا أفضل وأرقى في أهدافهم ومبادئهم وبحثهم عن الأجر والاحتساب من الله عز وجل.

كلية متخصصة في الجانب العلمي، وقد أنشئت لتكون نواة لجامعة أهلية تضم العديد من الكليات العلمية في الطب والهندسة والتقنية والإدارة، واعتمدت اللغة الإنجليزية لغة رئيسية للتدريس، وتقدم برامجها للبنات والبنين، وتضم العديد من الأجهزة والمعامل والمختبرات العلمية المتخصصة[١].

٢ـ الفكر والثقافة:

إذا درسنا فكر سكان منطقة الباحة نجدهم أصحاب فكر سليم في معتقداتهم وتوجهاتهم العلمية والثقافية، والباحث عن تاريخ هذه البلاد خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة والمعاصرة يجدهم من أوائل من دخل حوزة الإسلام، ومنهم علماء وفقهاء ورجال فكر وثقافة كثيرون ساهموا في بناء الحضارة الإسلامية داخل الجزيرة العربية وخارجها[٢]، وكان المذهب الشافعي هو السائد في بلادهم منذ القرون الإسلامية الأولى حتى القرن (١٣هـ/ ١٩م)، ثم بدأ المذهب الحنبلي ينتشر حتى صار الأكثر إتباعاً في المنطقة حتى يومنا الحاضر[٣].

والمتأمل لتاريخ منطقة الباحة الحديث والمعاصر يجده خالياً من التيارات والأفكار العقدية والسياسية المنحرفة، وربما وجد بعض الأفراد أو

---

(١) زار الباحث الكلية في عام (١٤٣٠هـ، و١٤٣٣هـ/ ٢٠١٠، ٢٠١٢م) وهي لازالت على وضعها عند التأسيس مكونة من كلية واحدة تضم العديد من التخصصات، وربما تتطور إلى جامعة أهلية في المستقبل، إلا أن إنشاء جامعة الباحة الحكومية سد حاجة أبناء المنطقة في كثير من العلوم والتخصصات الأكاديمية.

(٢) كتب التراث الإسلامي مليئة بالأقوال والروايات والنصوص والأشعار التي تؤكد على إسهامات الغامديين والزهرانيين الحضارية على مر القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة وأوائل الحديثة. وهذا الموضوع يستحق أن يصدر عنه كتب ورسائل وبحوث عديدة، ونأمل من الباحثين والمؤرخين الأكاديميين المنصفين أن يدرسوا جهود سكان هذه البلاد، بل نأمل من أبناء منطقة الباحة أن يظهر منهم من يهتم بهذا الجانب العلمي الهام.

(٣) كان المذهب الشافعي هو السائد في عموم الجزيرة العربية، والمذاهب الثلاثة الأخرى (المالكي، والحنبلي، والحنفي) كانت هي أيضاً موجودة لكن بنسب أقل، أما المذهب الزيدي والمذهب الإسماعيلي فكان لهما وجود في اليمن، ومنذ ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد وقيام الدولة السعودية الأولى صار المذهب الحنبلي ينتشر في كل المناطق التي سيطرت عليها الدولتان السعوديتان الأولى والثانية وجميع سكان المملكة العربية السعودية اليوم على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وهو المذهب الذي تتبعه الحكومة السعودية الحديثة. ودراسة الحياة العلمية والثقافية والفكرية والأدبية في جنوب الجزيرة العربية خلال العصور الإسلامية المختلفة، منذ فجر الإسلام حتى يومنا الحاضر مهم وجدير بالدراسة والتدوين، ويستحق إلى أن يصدر عنه العديد من الدراسات والبحوث والكتب العلمية. ونأمل من جامعات اليمن وجنوبي البلاد السعودية أن تهتم بهذا الجانب العلمي الهام الجدير بالاهتمام.

الأشخاص المحدودين والمدافعين أو المقتنعين بآراء وفتاوى أو توجهات ثقافية وعلمية وفكرية سلبية، لكن وضع مثل هؤلاء لم يصل إلى نسبة الظاهرة أو الرأي العام[١].

أما الحياة الثقافية التي عاشتها منطقة الباحة ولازالت تعيشها إلى اليوم فقد مرت بمراحل عديدة هي :

أ ـ مرحلة ما قبل التعليم النظامي :

حياة الناس الثقافية كانت بسيطة ومتواضعة، فلا مدارس ولا مؤسسات ولا مراكز علمية وثقافية، وإنما الناس يتبادلون ثقافاتهم في أسواقهم الأسبوعية، أو يحصلون على بعض الأخبار الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية من بعض المسافرين من أبناء المنطقة إلى خارجها، وعند عودتهم يروون ما شاهدوه في البلدان التي زاروها سواءً كانت داخل الجزيرة العربية أو خارجها، وكان للأسر والقرى والحواضر مجالس سمر محدودة وخاصة يتبادلون فيها الأخبار أو ما سمعه بعضهم من قصص أو أمثال أو حكم أو أشعار بالفصحى والعامية، وفي صلوات الجمع والجماعات خطب ودروس ومواعظ يتلوها بعض الفقهاء أو العارفون ببعض العلوم الشرعية والعربية، ونجد بعض الشعراء الشعبيين أو الحفاظ أو الرواة الذين يلقون بعض القصائد أو الأهازيج أو الأناشيد أو الحكم أو القصص الشعبية في بعض المناسبات الاجتماعية مثل: الأعياد، والزواج، والختان، واستقبال المسافرين أو توديعهم، وللمزارعين، والرعاة، والتجار، والحرفيين، والحجاج

---

(١) الناظر في الأحداث السياسية التي حدثت في العالم العربي والإسلامي خلال الأربعين سنة الماضية يلحظ أنه خرج العديد من المجاهدين المتحمسين الذين شاركوا في أفغانستان والبوسنة والصومال والعراق والشيشان وغيرها، بل ظهر هناك بعض الإرهابيين التكفيريين والمفجرين وغيرهم، وسمعنا وشاهدنا دعوات وفئات أخرى منحرفة، وكل هذه الإرهاصات الفكرية وصل شرها إلى المجتمع السعودي وانخرط فيها الكثير من شباب البلاد، وعانت ولازالت تعاني الدولة والمجتمع من هذه الأفكار والتوجهات الهدامة، وجنوبي البلاد السعودية (الباحة، وعسير، وجازان، ونجران، والقنفذة) نالها بعضاً من هذه الشرور والمعتقدات الخاطئة، وإذا فحصنا مجتمع منطقة الباحة، وفتشنا في وثائقه وأراشيفه وجدناه من أقل المجتمعات السعودية التي شارك بعض أفرادها في مثل هذه الانتكاسات والمعتقدات والأفكار المعوجة والخاطئة . ودراسة الأفكار الهدامة التي عاصرها المجتمع السعودي منذ أربعة عقود إلى اليوم موضوع مهم وجدير بالدراسة . ويجب على مراكز البحوث الإنسانية والاجتماعية والتاريخية والعقدية في جامعاتنا السعودية أن تولي مثل هذا الجانب اهتماماً كبيراً في بحوثها ودراساتها العلمية الأكاديمية.

وغيرهم لهم أيضاً نشاطات معرفية وثقافية يمارسونها أثناء ممارسة أعمالهم الاجتماعية والاقتصادية والحضارية(١).

ب ـ مرحلة ما بعد التعليم النظامي :

ما سبق الإشارة إليه في المرحلة السابقة استمر هو صلب الحياة الثقافية للمجتمع الغامدي والزهراني، وبعد إنشاء المدارس النظامية واستقدام مدرسين من بلدان عربية عديدة، واقتناء الكتب والمواد الدراسية المختلفة، وتحديد مواعيد وأنظمة ولوائح للدراسة، بالإضافة إلى وجود بعض الفقهاء والمتعلمين القلائل في المنطقة وبخاصة من ورثوا كتب أو مكتبات من آبائهم أو أجدادهم، أو من سافروا لطلب العلم في القرن (١٣هـ/٢٠م) والنصف الأول من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وتزايد بعض وسائل النقل والإعلام مثل: السيارات والراديو، وسهولة بعض الطرق مثل: الدروب الواصلة بين الباحة والحجاز وعسير وبيشة، كل هذا رفع من شأن المستوى الثقافي والمعرفي عند بعض الناس(٢).

ج ـ مرحلة الطفرة التنموية :

وهذه المرحلة بدأت مع نهاية التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) واستمرت حتى اليوم، وكانت المرحلتان السابقتان قد أسستا القواعد الرئيسة للحياة الثقافية في المنطقة، وعند توفر الأموال في أيدي الناس، وتحسن أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية، وتزايد أعداد المدارس والمؤسسات التربوية والتعليمية والأكاديمية، وازدياد أعداد الطلاب والمعلمين والمتعلمين في المنطقة، ومضاعفة الدولة جهودها من خلال الخطط الخمسية على تطوير الأرض والسكان، وكذلك وعي المواطن وحرصه على تطوير نفسه وأفراد أسرته، كل هذا زاد من مستوى الحياة الثقافية والعلمية في المنطقة حتى أصبحت قريبة من المناطق الرئيسة في المملكة العربية السعودية(٣).

---

(١) تاريخ الحياة الثقافية العامة عند عامة الناس في منطقة الباحة، وبخاصة طبقات المجتمع الوسطى والدنيا موضوع جديد وجيد وجدير بالدراسة والاهتمام، حبذا أن نرى أحد طلابنا فيدرسه كرسالة دكتوراه وبخاصة منذ النصف الأول من القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٢) تاريخ الحياة الثقافية العامة في منطقة الباحة من عام (١٣٥٠-١٤٠٠هـ/١٩٣٠-١٩٨٠م)، موضوع هام وجديد ويستحق أن يكون عنواناً لرسالة ماجستير أو دكتوراه، ونأمل من إحدى طالباتنا أو طلابنا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد أن يكون موضوعاً لأطروحتها، أو أطروحته العلمية، وسوف يجد وينشر جديداً عن مثل هذا الموضوع.

(٣) دراسة تاريخ التنمية التي شهدتها منطقة الباحة منذ (١٤٠٠-١٤٣٤هـ/ ١٩٨٠-٢٠١٣م)، والتركيز على دور التنمية في تطوير الحياة الثقافية بالمنطقة موضوع مهم ويستحق إلى أن يكون عنواناً لكتب من عدة مجلدات. ونأمل من جامعة الباحة وبخاصة من الأقسام ومراكز البحوث المتخصصة أن تولي مثل هذا الباب اهتماماً كبيراً لأهميته وفائدته العلمية الحضارية.

وهناك مؤسسات وروافد رئيسة أسهمت في تطوير الحياة الثقافية في المنطقة، ومنها ما يلي :

١. المكتبات أحد الشرايين الرئيسة لنمو وتطور الحركة الثقافية في المنطقة . فمنذ عام (١٤٢٧ـ ١٤٣٤هـ/٢٠٠٦ـ٢٠١٣م) وأنا أتردد على منطقة الباحة وقد سمعت ورأيت عشرات المكتبات الخاصة والعامة مثل: مكتبات بعض البيوتات العلمية في القرنين (١٣ـ١٤هـ/١٩ـ٢٠م)[١]، والمكتبات الحكومية العامة في المنطقة، كالمكتبات العامة في الباحة، وبلجرشي، والمخواة، وقلوة، والمكتبات المدرسية[٢]، ومكتبة الجامعة العامة ومكتبات الكليات النسائية والرجالية، ومكتبات نادي الباحة الأدبي والنوادي الرياضية وفرع جمعية الثقافة والفنون في الباحة، ومكتبات أخرى عديدة في بعض المؤسسات الإدارية مثل: الإمارة، والمحافظات، وفروع بعض الوزارات في المنطقة مثل: العدل، والشؤون الإسلامية، والبلديات، والداخلية، والثقافة والإعلام وغيرها[٣]. وإذا نظرنا في بعض المكتبات الخاصة منذ أوائل هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) حتى يومنا الحالي فهناك مئات المكتبات الفردية والمتنوعة في محتوياتها، وأحجامها وأماكنها، ومصادرها وطرق تصنيفها ومدى الاستفادة منها[٤].

---

(١) سمعت من بعض الرواة عن عدد من المكتبات التي عرفتها المنطقة خلال القرنين (١٣ـ١٤هـ/١٩ـ٢٠م) مثل : مكتبات عبد الرحمن الغامدي وآل منصور، وزهرة سعيد الأعمى، وساعد الغامدي، والبركي، وعلي المدني، والسلفية الريحانية وجميعها في سراة غامد . ومكتبات أخرى في تهامة وسراة زهران مثل: مكتبة عائلة السلولي في بلدة المخواة، ومكتبات أحمد وعبد الله ومحمد في قرى آل موسى وخيرة والقوارير في سروا ت زهران. نرجو أن نرى أحد الباحثين الجادين فيخرج لنا دراسة علمية مطولة عن هذه المكتبات وأصحابها وما قاموا به من إسهامات في نشر الثقافة في بلاد غامد وزهران .

(٢) لقد شاهدت وتجولت في أرجاء بعض المكتبات العامة في المنطقة وبعض المكتبات المدرسية مثل: مكتبة المعهد العلمي في الباحة وبعض الثانويات والمتوسطات في سروات غامد وزهران فوجدتها تحوي مئات وبعضها آلاف من المصادر والمراجع في علوم ومعارف عديدة .

(٣) منذ عام (١٤٢٧ـ١٤٣٤هـ/٢٠٠٦ـ٢٠١٣م) زرت بعضاً من هذه المكتبات مثل: مكتبة الجامعة العامة، والنادي الأدبي، وبعض النوادي الرياضية مثل: نادي السراة فوجدتها تضم آلاف الكتب العربية، والأجنبية وبخاصة في مكتبة الجامعة العامة، وعشرات المعاجم والموسوعات والدوريات .

(٤) خلال السنوات الماضية زرت عشرات الأساتذة والأسر في منطقة الباحة (تهامة وسراة) ومنهم من يعود نسبة في غامد وزهران، وآخرون من خارج المنطقة الغامدية والزهرانية وأحياناً من خارج المملكة العربية السعودية، وأولئك الأساتذة وبعض أفراد الأسر التي زرنا جميعهم أصحاب شهادات عليا تتراوح بين درجة البكالوريوس إلى درجة الدكتوراه في تخصصات عديدة . وبعضاً من حملة الدكتوراه كانوا على درجات مختلفةٍ من أستاذ مساعد إلى درجة أستاذ، وجميعهم يمتلكون مكتبات كل في مجال تخصصه، فالطبيب مثلاً تجد جل مكتبته في الطب، والمؤرخ، أو اللغوي أو القاضي وغيرهم كل في مجال تخصصه، وأستطيع القول أن معظم الأسر في منطقة الباحة اليوم يقتنون مكتبات تتراوح محتوياتها كل حسب طاقته واهتمامه من كتب عديدة إلى مئات وربما آلاف العناوين .

٢. الكثـير من المؤسسـات الإدارية والتربوية والعلميـة والاجتماعية والثقافية في المنطقـة لديهـا نشاطـات ثقافيـة متنوعـة تمارسها في حـدود نطاقها الجغـرافي، وأحيانـاً على مستـوى المنطقة، أو المملكة، أو العـالم العربي أو الإسلامـي أو العالمـي. ومن الأمثلة علـى ذلك إدارات التربيـة والتعليم أو الجامعـة، أو النادي الأدبـي، أو فرع جمعية الثقافة والفنـون بالمنطقة لها نشاطات مختلفـة تتدرج من داخل المدرسة أو الكلية أو مقر النادي الأدبي إلى خارج المنطقة وإلى خارج المملكة[1].

٣. مـن خلال تجوالنا في المنطقة في شهـر ذي الحجة عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) شاهدنا بعض المناشط والروافد الثقافية في المنطقة مثل: إنشاء مركز الملك عبد العزيز الحضاري الذي تم إنشاؤه في مدينة الباحة، وهدفه نشر التنمية الثقافية والحضارية بين سكان المنطقة، وكذلك الغرفة التجارية الصناعية وفروعهـا في المنطقـة فهـي الأخرى ذات نشـاط حضاري ثقـافي اقتصادي اجتماعي هام، ومركز تلفزيون وإذاعة الباحة، وما يصل إلى هذه البلاد من وسائـل الإعلام المرئية والمقروءة والمسموعة كلها بدون شك أسهمت في نشر الوعـي الثقافي وتطويره عند الأفـراد والأسر والمجتمعات في المنطقة، كذلك التقنية الحديثة أسهمت في توسيع دائرة الفكر والثقافة في الديار الزهرانية والغامدية فهناك مواقع ومنتديات وصحف إليكترونية عديدة، بل إن وسائلٍ التقنيـة الحديثـة أصبحت في متناول جميع شرائـح المجتمع وهي تحمل كماً هائلا من الفكر والعلم والثقافة المحلية والإقليمية والعالمية[2].

---

(١) عندمـا زرت منطقة الباحة في عامي (١٤٣٠، ١٤٣٣هـ/٢٠١٠، ٢٠١٢م) واطلعت على نشاطاتها وندواتها ومؤتمراتهـا العلميـة والثقافيـة وجدتها بالعشـرات خلال العشر سنـوات الماضية، ووجـدت منها المحلي والإقليمـي والعالمـي، وهذا يدل على الحراك الثقافي الجيد الذي تعيشه المنطقة، وإذا نظرنا إلى نشاطات أي منطقـة أخـرى في البلاد السعودية وجدناها تعيش الوضع نفسه، وهـذا مما يدل على ازدياد الحراك العلمـي والثقـافي الذي تعيشـه البلاد السعوديـة خلال الثلاثين سنـة الماضية . ودراسة الحيـاة الثقافية والعلمية والفكرية في البلاد السعودية في العصر الحديث والمعاصر موضوع هام وكبير ويحتاج عشرات بل مئات الدراسات العلمية الأكاديمية .

(٢) هـذه التقنية الحديثة سلاح ذو حدين فقد وصلنا عن طريقهـا ثقافاتٍ متنوعة في المحتوى والأهداف، ومنها السلبـي والإيجابـي، وشريحة كبـيرة من الناس اليوم يقضـون أوقاتاً طويلة في الاطلاع علـى ما تنقل وتبث، ونسأل الله عز وجل أن يهدينا ويهدي جميع المسلمين إلى خيرها ويصرف عنا شرورها، آمين يارب العالمين .

٤. والتآليف والطباعة تعد من أهم روافد الحياة الفكرية والثقافية في أي زمان ومكان. وإذا بحثنا عن هذا الجانب في المجتمع الغامدي والزهراني وجدنا له ذكر وتطور ففي القرون الماضية المتأخرة عثرنا على بعض الوثائق والمدونات والمخطوطات التي تم تدوينها وحفظها عند بعض الفقهاء أو البيوتات العلمية في المنطقة[١]. ومنذ نشأة التعليم النظامي في هذه البلاد، وقدوم بعض المعلمين الوافدين من بلدان عربية أخرى ظهر بعض الرسائل والمذكرات والنصوص المكتوبة عن المنطقة وفي المنطقة، وغالبيتها كانت من نتاج بعض أولئك المعلمين المتعاقدين[٢]. أيضاً إنشاء المؤسسات الإدارية في المنطقة، ثم عمل بعض المتعلمين القادمين من خارج المنطقة بها[٣]، وكذلك ظهور بعض الرواد في العلم والتعليم الحديث من أهل المنطقة كل هذا أسهم في تدوين العديد من المدونات أو الكتب والمطبوعات، وقد اطلعنا على فهارس مكتبات جامعات الباحة، وأم القرى، والملك عبد العزيز، والملك سعود، والإمام محمد بن سعود الإسلامية، ومكتبة الملك فهد الوطنية، ومكتبة الملك عبد العزيز العامة، ومكتبة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ومكتبة دارة الملك عبد العزيز، ومكتبة نادي الباحة الأدبي، ومكتبة الحرم المكي في مكة المكرمة من أجل معرفة ما تم تدوينه عن منطقة الباحة في شتى المعارف والعلوم، وكذلك معرفة إسهامات أهل المنطقة وبخاصة المتعلمين والمثقفين والأكاديميين منهم فوجدت مئات البحوث والدراسات والكتب في اللغة والأدب، والتاريخ والجغرافيا والرحلات، والنبات، والبيئة، والأنساب

---

(١) لقد عثر الباحث على عدد من هذه المصادر العلمية والثقافية وجميعها تدور في الجوانب المعرفية الإنسانية والأدبية، ونأمل أن تقوم إمارة أو جامعة الباحة بإنشاء مركز علمي ثقافي يجمع فيه جميع الوثائق والمخطوطات والمذكرات التي تتعلق بمنطقة الباحة منذ فجر الإسلام حتى وقتنا الحاضر. وهذا مشروع علمي ثقافي حضاري يخدم هذه البلاد في الحاضر والمستقبل.

(٢) لقد عثر الباحث على بعض القصائد الشعرية والرسائل والمذكرات التي دونها بعض المدرسين عن منطقة الباحة منذ الخمسينيات إلى تسعينيات القرن الهجري الماضي ونأمل أن ننتشر بعضها في كتب أو بحوث قادمة (بإذن الله تعالى).

(٣) إفراد دراسة عن الوافدين من خارج المنطقة للتدريس أو العمل في مجالات حضارية عديدة منذ الأربعينيات إلى تسعينيات القرن الهجري الماضي، مع الحرص على دراسة التأثير والتأثر بين أولئك الوافدين وأهل المنطقة موضوع هام وجدير بالدراسة ويستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية، ونأمل أن نرى أحد الأساتذة الأكاديميين في جامعة الباحة فيتولاه بالبحث والدراسة والتحليل.

والقبائل والمعاجم والأعلام والتراجم، كما وجدت العديد من الدراسات العلمية الأكاديمية في بعض العلوم العلمية البحتة مثل: الأحياء، والكيمياء، والطب، والفيزياء وغيرها[١]، وهذا يدل على أن منطقة الباحة حظيت بجهود لا بأس بها في التدوين والتأليف من أبنائها وبخاصة في العلوم التاريخية والأدبية، ومن بعض الأكاديمين الزهرانيين والغامديين وغيرهم في ميادين العلوم العلمية[٢]. ومن وسائل الثقافة في المنطقة صدور العديد من المجلات الورقية خلال الثلاثين سنة الماضية مثل: مجلة الباحة، وهي مجلة شائعة تصدرها الغرفة التجارية في الباحة، وكان أول عدد صدر منها في عام (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م). ومجلة صحة الباحة التي تصدر من المديرية العامة للشؤون الصحية بالباحة، وصدور العدد الأول منها كان في عام (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، وجميع موادها المنشورة تصب في خدمة الارتقاء بمستوى الثقافة الصحية في المنطقة. ومجلة المنتدى التي يصدرها النادي الأدبي وتهتم بشؤون الأدب والثقافة والفكر في المملكة العربية السعودية، وفي منطقة الباحة، وفي العالم العربي، وصدر أول عدد منها في عام (١٤١٦هـ/١٩٩٥م). ومجلات ومنشورات أخرى عديدة تصدر من إدارات التربية والتعليم ومن بعض المدارس، ومن الجامعة، ومن بعض المؤسسات الإدارية في المنطقة

وإذا نظرنا إلى النشر الإليكتروني فهناك بعض الصحف التي تصدر من أو عن المنطقة، وهناك مواقع فردية وجماعية لبعض أبناء غامد وزهران، وليس

(١) عثرنا على العديد من الرسائل العلمية في درجتي الماجستير والدكتوراه ومنها المكتوب باللغة العربية وأخرى باللغة الإنجليزية، وكثير منها تناقش موضوع أو مواضيع أدبية أو علمية في منطقة الباحة. حبذا أن يخرج من أبناء منطقة الباحة من يقوم بإخراج كتاب علمي في هيئة فهرس (بيليوجرافي) عن كل ما كتب عن منطقة الباحة في شتى العلوم باللغتين العربية والإنجليزية. ومن يفعل ذلك فإنه سوف يسدي إلى كل باحث وإلى أبناء المنطقة عمل رائداً ورائعاً في محتواه وفي بابه.

(٢) كثير من هذه البحوث طبعت في مطابع محلية وعربية، وبعضها طبع في كتب أو مجلات إقليمية وعالمية، وعند سؤالنا عن المطابع في منطقة الباحة وجدنا مطابع محدودة في إمكاناتها وإنتاجها مثل: مطبعة دار المنار، ومطبعة دار الغامدي للطباعة، والمطابع الريحانية، وهناك بعض الزهرانيين والغامديين الذين يمتلكون مطابع خاصة في بعض مدن المملكة الكبرى مثل: جدة والرياض وغيرها. وجميع المطابع الآنفة الذكر تجارية، وطباعة الكتب اليوم أصبحت يسيرة وسهلة لتوفر مطابع كثيرة داخل وخارج المنطقة، وكذلك الطبع والنشر الإليكتروني الذي بدأ ينافس بقوة الكتب التقليدية.

هناك صحيفة يومية ورقية تصدر من هذه المنطقة، ونأمل أن نرى مثل هذه الوسيلة قريباً تصدر في هذه المنطقة العريقة بأرضها وسكانها.

٣ـ اللهجات :

إن تجوالنا في منطقة الباحة ومعرفتنا بسكان وأرض هذه البلاد منذ زمن طويل[١]، لفت أنظارنا إلى بعض الأمور الخاصة بلهجات هذه البلاد ونورد أهمها في النقاط التالية :

١. إن لهجة بلاد الباحة من أقرب لهجات العرب إلى العربية الفصيحة، بل هي ضمن مناطق معقل الضاد في الجزيرة العربية [٢].

٢. تكاد تكون لهجة المنطقة واحدة في أنحاء المحافظات والمراكز والقرى والأرياف مع تباين طفيف بسبب تنوع بيئات البلاد [٣]، وفي الوقت نفسه ينفرد سكان هذه البلاد ببعض الألفاظ والمصطلحات التي لا تستخدم إلا بين أفرادها[٤].

٣. بسبب السفر واختلاط أبناء المنطقة مع غيرهم، ووسائل الاتصال الحديثة كل هذا أثر على لهجات منطقة غامد وزهران، فتجد بعض اللهجات أو المفردات النجدية، بالإضافة إلى مفردات أجنبية مثل الإنجليزية وغيرها،

---

(١) الباحث هو من سكان محافظة النماص التي تبعد عن الباحة إلى الجنوب حوالي (١٥٠ـ١٨٠كم)، ومجاورة منطقة الباحة لمنطقة عسير جعل سكان المنطقتين على اتصال حضاري دائم منذ عصر ما قبل الإسلام إلى يومنا الحالي، بل إن عموم سكان المنطقتين هم من أزد السراة . حبذا أن تجرى دراسات معمقة عن أرض وسكان هاتين المنطقتين منذ العهد الجاهلي إلى وقتنا الحاضر. وهذا العمل مسؤولية الباحثين والمؤرخين المنتمين لهاتين الناحيتين .

(٢) دراسة اللهجات في جنوبي البلاد السعودية، أو في المنطقة التي أطلقنا عليها اسم (تهامة والسراة) من الموضوعات الهامة والغنية في مادتها العلمية، والجميل أنه يوجد فيها عدد من الجامعات السعودية الحديثة وكل جامعة يوجد بها كلية لغات وترجمة، وأقسام للغة العربية، وهذه الكليات والأقسام عليها مسؤولية كبرى تجاه لهجات المنطقة فتدرسها دراسات علمية أكاديمية موثقة، وهذا أقل واجب على هذه المؤسسات الأكاديمية، فنرجو أن تقوم بواجباتها تجاه أهل هذه المناطق (الباحة، وعسير، ونجران، وجازان، والقنفذة). (والله من وراء القصد).

(٣) الذاهب في أرجاء سراة وبوادي وتهامة المنطقة لا يجد صعوبة في الحديث مع الناس والأخذ والعطاء معهم لغوياً، إلا أن هناك بعض الاختلافات في مخارج الأصوات، ومعاني بعض المفردات، وأحياناً تغير الحركات أو بعض الحروف لبعض الكلمات في نواح دون أخرى . انظر أمثلة أكثر في صفحات قادمة .

(٤) نعم هناك كلمات أو عبارات يتميز بها أبناء منطقة الباحة، بل إن العارف بالمنطقة وأهلها يستطيع أن يميز أي فرد غامدي أو زهراني عندما يتكلم من خلال لهجته ومفردات لغته انظر أمثلة في صفحات تالية .

ووجود عمالة كبيرة من الشرق مثل: الهند وباكستان وبنجلاديش والفلبين وإندونيسيا وسرلنكا وغيرها جعلت أبناء المنطقة (نساءً ورجالاً) يسيئون للغتهم بتكسيرها والتلاعب في حروفها ومفرداتها من أجل إيصال ما يرغبون قوله إلى هذه العمالة الأعجمية[١] .

٤. المتأمل في لهجات المنطقة خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م)، والعقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) وبخاصة ما كان مستعملاً في الأسواق المحلية الأسبوعية وفي مهن الرعي والصيد والجمع والالتقاط والزراعة والتجارة والحرف الصناعية التقليدية، وفي بعض النشاطات الاجتماعية مثل: الاحتفالات، والأعياد، وصور التعاون والتكافل والتآزر نجد الكثير من المفردات أو اللهجات المستخدمة في هذه الميادين المختلفة قد تلاشت وكثير منها ضاع واختفى، وهذا مما سوف يسبب فجوة كبيرة بين الأجيال السابقة واللاحقة، بل إن أجيال المستقبل سوف تكون جاهلة تماماً بالإرث اللغوي الذي عاشه آباؤهم وأجدادهم[٢] .

٥. مما شاهدناه وسمعناه بعض الفوارق البسيطة بين لهجات المنطقة، فلهجة البادية في الشرق أشبه بلهجة البدو عامة وخاصة قبائل سبيع والبقوم وأكلب وبالحارث وغيرها[٣] . أما لهجة تهامة والأصدار في الغرب فهي أشبه

---

(١) هذه ظاهرة عند عموم سكان الجزيرة العربية بل عند جميع سكان العالم العربي الذين يتعاملون مع هذه العمالة الآسيوية الأعجمية، وهذه التعاملات الاجتماعية أثرت كثيراً وسوف تكون تأثيراتها أسوأ وأعمق مع الأجيال القادمة من أبنائنا وأحفادنا، مع أن جيل الشباب اليوم يعيش مشكلة أخرى أدهى وأمر، وهي دخول وسائل التقنية وما تحمله من لهجات وعبارات سيئة وحسنة، وهذا الجانب التقني وإفراط الشباب في استخدامه دون تعقل ودون معرفة الغث من السمين سوف يكون له عواقب وخيمة على الفكر واللهجة واللغة والقيم وغيرها. ويجب على الجامعات ومراكز الأبحاث العلمية المتخصصة أن تدرس هذه الظواهر وتعمل جادة على إيجاد حلول جيدة تصب في خدمة الدين والأخلاق واللغة والمبادئ والقيم السامية .

(٢) وإذا اختفى الموروث اللغوي الذي عرفه الآباء والأجداد فهذا سوف يؤثر على أدب وثقافة وقيم ومبادئ الأجيال القادمة . وننادي من على صفحات هذا الكتاب ونحث الجامعات والمؤسسات العلمية والأكاديمية، والجهات والمؤسسات المختصة أن تجمع وترصد موروث الأوائل اللغوي والثقافي والحضاري وتحفظه وتدونه للأجيال القادمة . كما ننادي بإنشاء نواد ومتاحف ومراكز حضارية تحافظ على تراث الأوائل في شتى الجوانب، ومن يفعل ذلك فسوف يسدي لأهله وبلاده كنوز ثقافية وحضارية جيدة، بل سوف يحفظها من الخراب والاندثار (والله من وراء القصد) .

(٣) قبائل سبيع والبقوم وأكلب وبالحارث مجاورة لمنطقة غامد وزهران من الشرق والشمال الشرقي . وهذه القبائل تميل لهجاتها إلى لهجة البدو في الألفاظ ومخارج الأصوات وغيرها، وهذه البلاد جديرة بالبحث والدراسة وهي مسؤولية أقسام اللغة العربية في جامعتي الطائف والباحة، ونأمل أن نرى في هذه الأقسام بحوث علمية لغوية عن هذه الأوطان الجديرة بالبحث والدراسة .

بلهجات باقي تهامة وبخاصة ما حولها من قبائل العرضيتين الشمالية والجنوبية وزبيد والأشراف بمنطقة القنفذة [١]. ولهجة جنوب سروات المنطقة مثل: قبائل بالشهم وبني ميمون في وادي شرى فهي أقرب إلى لهجات خثعم وعليان وشمران وبلقرن[٢]، أما لهجة باقي سروات المنطقة من مدينة بلجرشي جنوباً إلى محافظة القرى في زهران شمالاً فتكاد تكون متشابهة مع فروق طفيفة بين لهجة سكان الأشعاف، ولهجات أهل الأودية والأسواق والحواضر الكبيرة[٣].

من خلال تنقلنا في جنوب سروات المنطقة وبخاصة عند قبائل بني ميمون وبالشهم وجدنا من يقلب أل التعريف إلى ميم فيقال = الرجال : أم رجال، والجمل = أم جمل وهكذا[٤]، وهناك من يقلب الكاف إلى جيم مشربة بشين فيقال: بيتك = بيتج، وعمك = عمج، وفي بعض النواحي من محافظة بلجرشي يحدث لبعض المفردات تقديم وتأخير في حروفها، وهذا يسمى القلب المكاني فمثلاً كلمة سروال تقلب إلى رسوال، حبذا تنطق وحذب[٥]، وقد سمعنا أن نون الأفعال الخمسة في كل حالاتها ترفع وتنصب وتجزم عند غالبية سكان المنطقة، أما جنوب بلجرشي، وفي قبائل بالشهم تحديداً، فتجدهم يحذفون النون من هذه الأفعال فمثلاً كلمة تقومون، أو لا تقومون يلفظونها تقوموا أولا تقوموا وهكذا، وفي عموم المنطقة ينطق السكان (أبو، أخو) بالألف والهمزة مثل: أبو سعيد، أبو محمد، أبوعلي. أما في بلاد

---

(١) منطقة تهامة من مكة المكرمة إلى القنفذة وجازان جديرة بدراسة تراثها اللغوي والحضاري . للمزيد انظر ابن جريس، بلاد القنفذة خلال خمسة قرون، ص١٥٩ وما بعدها، المؤلف نفسه، القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير والقنفذة) ج٢، ص٣٣١ وما بعدها، المؤلف نفسه، القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير وجازان والقنفذة)، ج٤، ص٢٦ وما بعدها .

(٢) هذه القبائل هي في الأجزاء الشمالية من منطقة عسير، ولها خصوصية في بعض الأصوات والمفردات ومخارج الأصوات، وهي الأخرى جديرة بالبحث والدراسة . ونأمل من أقسام اللغة العربية أو كليات اللغات في جامعتي الملك خالد والباحة أن تتضافر جهودها في دراسة لهجات منطقتي الباحة وعسير وهذا ميدان جدير بالاهتمام من أصحاب الاختصاص .

(٣) وسروات منطقة الباحة جديرة بدراسة لهجاتها ولغاتها وسوف نورد في سطور قادمة بعض الأمثلة القليلة لبعض المفردات ومعانيها في هذه البلاد .

(٤) هذه لهجة قديمة في اليمن وعند بعض سكان منطقة تهامة والسراة، ولازالت مستخدمة حتى اليوم . مشاهدات الباحث في نجران وعسير وجازان والقنفذة والباحة خلال السنوات الماضية المتأخرة .

(٥) هذا ما سمعه الباحث أثناء تجواله في محافظة بلجرشي في الأيام الأولى من شهر ذي الحجة عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) .

بالشهـم من محافظة بلجرشي فيحذفون الألـف والهمزة مثل: بو سعيد، بومحمد، بوعلـي، وقد حصرنا بعض المفردات في محافظة بلجرشـي فوجدناها تختلف من مكان لآخر في النطق والمعنى ونذكر أمثلة من ذلك في الجدول التالي:

م	بلجرشي وما جاورها شمالاً	جنوب بلجرشي (بالشهم)	المعنى
١.	نحو، ندر	دعب، ديح	نزل
٢.	سُفَان	بثور	أولاد
٣.	ألّمح - تلَّمح	تخيَّل	انظر
٤.	الثُمالة	الحِّدة	الجدار الصغير
٥.	شَمْطة	شَنْطه	حقيبة
٦.	مُصَاق	بُصَاق	بصاق
٧.	رسوال	سروال	السروال
٨.	غَمَص	صَمَغ	اللبان أو العلك
٩.	حَقيْنَه	لَبَنة	لبن
١٠.	ويِّ ذابك	ماذا بك، وراك	ماذا دهاك
١١.	وش معك	وش بك	مابك
١٢.	دُرُوَيْها	مَدْرَيْها	مرجيحا (أرجوحة)
١٣.	حَجَر	حَيْد	حَجَر
١٤.	ذيّايَهْ	ذَيْهْ	هذا
١٥.	تروحون	تروحوا	تروحون
١٦.	عرفتوك	عرفتك	عرفتك
١٧.	هنَّيابه، وَهَنَّا، وهنهَ	هنيًّا وهَنيه	هاهنا
١٨.	ذبّ تجون	بتاجوا	سوف تأتون
١٩.	مُحُمَّد	مَحَمدَّ	مُحَمدَّ
٢٠.	الحَيْلَهَ	الَلَّهْ	الأرض

وللمنطقـة بعض الخصوصية في بعض المفـردات والعبارات، فعلى سبيل المثال كلمـة ذب أي سـوف، فمثـلاً ذب نمشي = سـوف نمشي . جاء غويـره بمعنى جاء يسعى. وفي سروات المنطقة من يقلب الجيم ياءً فيقول للجمل = اليمل، بلجرشي =

بليرشـي، الرجال = الريال وهكذا . وفي بعض نواحي المنطقة من بقلب الجيم قافاً كاللهجـة المصرية فيقول جرب = قرب، وهناك من يقلبٍ الـواو ألفاً فيقال عوضه = عاضـه، وهـي إمالـة إلى الفتح، وقد تقلب التـاء كافاً فيقال: أنـت = إنك وهذه مـن لهجة حمير[١] . وعرف عند سـكان المنطقة ما يسمى بالإشباع في العربية مثل: أنـا عرفتوها بمعنى أنا عرفتُها، إشباع الضمـة إلى الواو، أنت عرفتاها بمعنى أنت عَرفتَهـا، إشباع الفتحة إلى الألف، وعلى هذا قس: أخذتوها = أخذتُها، أخذناها . سمعتوك= سمعتُك، سمعناك... وهكذا[٢] .

وفي سـراة غامد وزهران عندهم ضِم آخِر الكلمة في حالة الرفع عند التوقف، وعندما تنطق الكلمة كان في آخرها واواً . مثلاً بيت = تسمع من ينطقها بيتو . رز= رزو وهكذا، وفي بوادي غامد يقلب أحياناً الكاف سيناً مثل: بيتك = بيتس . جيدك = جيدسـ . وفي بعضـ نواحـي المنطقة تحـذف أل التعريف مثل: البيـت = آبيت. السيارة =ٍ آسيارة. أو اس= آس[٣] .

٧ـ سادسا : الخاتمة ـ نتائج وتوصيات :

في الأيـام العشرة التي قضيناهـا في التجوال في ربوع منطقة الباحة، استطعنا أن نخرج بعدد من الرؤى والنتائج والتوصيات التي ندرجها في النقاط التالية :

أ ـ عراقـة أنساب وتاريخ وحضارة هـذه البلاد، وقد شاهدنـا ذلك في تقاسيم وجـوه أهلهـا وفي طباعهـم وأعرافهـم وكرمهـم وحبهـم لمؤانسـة الأجنبي والغريب، كما لمسنا ذلك في قراهم ومنازلهم وأسواقهم الأسبوعية وطِرقهم القديمـة، وإذا انتقلنـا إلى صور التمـدن الذي تعيشه المنطقـة حديثاً فمنها الإيجابـي مثل: تطور التعليم، والاقتصـاد، وأحوال الناس المعيشية، واتصال أهـل البلاد بغيرهم من سكان المملكة وغيرهم من خارج البلاد، أما السلبية

(١) لهجـات منطقة السراة خليط من لهجات الأزد وحمير ومذحـج وبعض قبائل الحجاز مثل: هذيل وهوازن وثقيف وغيرها . ودراسة لهجات هذه المنطقة تحتاج إلى جهود جبارة من الباحثين والمؤسسات الأكاديمية في المنطقة وبخاصة كليات وأقسام اللغة العربية . ونأمل أن نرى بحوثاً عملية رصينة في هذا الميدان .

(٢) هذا ما شاهده وسمعه الباحث أثناء تجواله في المنطقة في الفترة من (٢٩/١١/ ـ ٩/١٢/١٤٣٣هـ) .

(٣) مـا تم الإشارة إليـه في هذه الجزئية الخاصة باللهجـات فقط أمثلة ونماذج، مـع أن منطقة الباحة غنية بمفرداتهـا ولهجتهـا وتحتاج إلى دراسـات عديدة منذ العصر الجاهلي إلى اليـوم، ومن يقمٍ بخدمةٍ مثل هذا الموضوع علمياً وأكاديمياً فسوف يسدي لنا معاشر الباحثين وسكان منطقة الباحة معروفاً كبيراً، ولن يحرمه الله عز وجل من الأجر والمثوبة (بإذنه تعالى) .

فهـي الأخرى عديدة مثل: ضعف الروابط الاجتماعيـة في التكافل والتعاون، واتساع نظام الحياة على الفرد والأسرة والمجتمع، والتفاوت في أحوال الناس الاقتصادية وغيرها.

ب- وإذا نظرنـا إلى نظام التربية والتعليـم والثقافة والفكر والتنمية بشكل عام، وجدنـا المنطقـة تعيشـ في طفرة حضاريـة لا بأس بها من حيـث تزايد عدد السـكان، وتزايد عدد المراكز الحضارية الإدارية والتجارية والتنموية، بل إن إنسان اليوم أصبح في وضع حضاري متمدن أحسن مما كان عليه جيل الآباء والأجـداد، لكن مبادئ وقيم وأخلاقيـات الأوائل كانت أكـثر متانة ورسوخاً وصدقـاً وثباتاً من جيل يومنا الحاضـر[١]، وهنـاك بعض النتائج والتوصيات التي نذكرها على النحو التالي:

١. المنطقـة إلى عهد قريب كانت ذات منتوجات وصادرات عديدة مثل: اللوز، والعسـل، والحبوب، والمواشـي، والعنب، والرمان وغيرهـا. وقد انقرضت اليـوم وتلاشـت جميع هـذه الصـادرات، وأصبحـت البـلاد معتمدة على الاستـيراد من داخل وخارج المملكـة العربية السعوديـة[٢]. والواجب على المؤسسـات الإدارية المعنية وأعيان ووجهـاء وأغنياء المنطقة أن يبحثوا عن بدائل اقتصادية استثمارية مثل: فتح بعض المشاريع الاقتصادية التي تخدم الفرد والمجتمع على حد سواء، كما يجب أن تكون هناك دراسات ومشاريع سياحية جيدة تعود على المنطقة بعوائد مادية واقتصادية جيدة[٣].

---

(١) مـن يجري دراسة مقارنة عن مبادئ وأخلاقيات وقيم وصفات الفـرد والمجتمع قديماً وحديثاً فإنه سوف يجد بوناً شاسعاً وفروقاً جلية بين الماضي والحاضر. فالحياة المادية اليوم طغت بشكل كبير على سلوكيات الناس، ومـن ثم تراجعت الصفـات الأخلاقية على مستوى الفـرد والأسرة والمجتمـع والأمة. وجامعات جنوبـي البلاد السعودية عليها مسؤولية عظمى تجاه دراسة الماضي والحاضر واستخلاص الفوائد والعبر والدروس، وهذا لن يتوفر إلا بفتح مراكز بحوث علمية تخدم مثل هذا الجانب، وجلب كوادر علمية مدربة صادقة ونزيهة تتولى مثل هذه المشاريع الهامة والمفيدة.

(٢) هـذا ما شاهدناه وسمعناه وقرأنا عنه في بعض الكتـب والوثائق والمذكرات، وتاريخ منطقة الباحة الاقتصادي خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) تستحق أن يكون عنواناً لرسالة ماجستير أو دكتوراه.

(٣) تجولـت في بعض الأماكـن السياحية في البوادي والسراة وتهامة فوجدت مواقـع جغرافية مؤهلة للسياحة مثل: الغابـات، والجبال، والطرق، والأسواق، والقرى الأثرية وغيرهـا، لكن الخدمات والعوامل المساعدة للسائح والسياحة مثل: الفنادق والشقق المفروشة، ودورات المياه، والأسواق والحدائق والملاهي في الأماكن السياحيـة، ومراكز للإرشاد السياحي وغيرها تكاد تكون معدومة، وإن وجد بعضها في المدن الكبرى مثل: الباحـة وبلجرشـي وغيرها فتجد أسعارها عالية، بل إنها لا تصـل إلى مرتبة الجيد في الجودة والخدمة. مشاهدات الباحث في الفترة من (١١/٢٩-١٢/٩/١٤٣٣هـ).

٢. تغص المنطقة بعشرات المواقع التراثية الأثرية مثل: القرى القديمة، والأسواق الأسبوعية، والحصون والقصور الأثرية، والطرق، والمدرجات الزراعية، والأودية والجبال التاريخية، والرسومات والنقوش والآثار، والآبار، والمقابر وغيرها، وجميع هذه المصادر التراثية لازال الكثير منها ماثل للعيان، لكنها في طريقها إلى الخراب والدمار، والواجب على الإمارة والمحافظات، والجامعة، ومؤسسات التربية والتعليم، والهيئة العليا للسياحة والوجهاء والأغنياء من أهل المنطقة أن يقوموا بمسؤولياتهم تجاه هذا التاريخ المشرق فيحافظوا على هذا الموروث الحضاري، وإن فعلوا ذلك فهو من باب الواجب عليهم، ثم إنهم سوف يحفظون لأبنائهم وأحفادهم تاريخ آبائهم وأجدادهم خلال القرون والعقود الماضية[١].

٣. أما التنمية العمرانية، فالواقع أن المنطقة تعيش مرحلة تطور جيد، لكن لازال هناك العديد من الجوانب التي تحتاج إلى تطوير أفضل، مثل: زيادةٍ الطرق المعبدة بين المحافظات والمراكز الرئيسة، وحبذا أن تكون طرقاً مزدوجة، كما أن بعض القرى والبوادي والأرياف لازالت بحاجة إلى طرق جديدة. أما مطار الباحة فطاقته محدودة، ويحتاج إلى توسيع في مدرجاته وأبنيته وخدماته، كما أن الجزء التهامي مع منطقة القنفذة يحتاج إلى مطار آخر كي يخدم مئات الآلاف من السكان[٢]. والمدن والحواضر الرئيسة في المنطقة (تهامة وسراة) تحتاج إلى تخطيط أفضل في شوارعها وأسواقها وخدماتها ومؤسساتها الإدارية، وبعض الطرق الرئيسة التي تربط أطراف المنطقة مع بعضها البعض، بل تربط المنطقة مع مناطق أخرى تحتاج إلى زيادة خدمات في محطاتها واستراحاتها وغيرها[٣].

---

(١) شاهدنا عشرات النقوش والرسومات الصخرية التي يرجع تاريخ بعضها إلى ما قبل الإسلام، وهناك قرى وحصون وطرق ومدرجات يعود تاريخها إلى مئات السنين. كما أن هناك بعض المخطوطات والوثائق الموجودة عند بعض الأسر وبيوتات العلم القديمة. وكل هذا التراث يحتاج إلى حفظ ورعاية وتوثيق وتدوين، وهذه مسؤوليات المؤسسات الأكاديمية، لكن لابد من توفر دعم معنوي ومادي من الجهات المسؤولة ومن الأغنياء وأصحاب الثراء في المنطقة.

(٢) منطقة تهامة من مكة المكرمة إلى جازان تحتاج إلى أكثر من مطار للكثافة السكانية العالية في هذه المنطقة، وللحاجة الشديدة والملحة إلى مثل هذه المشاريع التنموية الحضارية. هذا ماشاهده الباحث ولمسه أثناء تجواله في هذه البلاد منذ عدة سنوات.

(٣) هذا ما لمسة الباحث أثناء تجواله في المنطقة في الفترة من (٢٩/١١-٩/١٢/١٤٣٣هـ).

٤. منطقـة الباحة داخليـة بالنسبة لمناطـق مكة المكرمة وجـازان وعسير، وهـذه المناطـق الثلاث الأخيرة لهـا منافذ طبيعية علـى البحر الأحمر، ومنطقة الباحة حسب مساحتها الجغرافية الكبيرة وعدد سكانها الكبير فإنهـا هي الأخرى تحتاج إلى منفذ بحـري، وهذا مما سيعود على أهلها بفوائـد اجتماعية واقتصادية عديدة، حبـذا أن يدرس هذا الموضوع من قبـل المسؤولين في الدولـة، وحبذا أن يطالب سـكان منطقة الباحة بهذه الخدمة، ونأمل أن يتحقق كل ما فيه خير وصلاح للبلاد والعباد [١].

٥. لازالـت منطقـة الباحة بحاجـة إلى العديد مـن المحاضـن والمؤسسات الثقافيـة والتعليميـة، فالجامعـة عليهـا دور أكبر بزيـادة فروعها وفتح كليـات ومؤسسات أكاديمية في جميع محافظات المنطقة، والنادي الأدبي وجمعيـة الثقافـة والفنـون عليهمـا أيضـاً مسؤوليات أعظـم فتضاعف مناشط هاتين المؤسستين وتزيد فروعها بالمحافظات الكبرى في المنطقة، ويكون الباب والتشجيع مفتوحاً وميسراً لكل مثقفي ومثقفات المنطقة، ولا تكـون خدمات مثل هذه المراكز مقصورة على ناحية أو مدينة أو شريحة محدودة[٢].

٦. علـى صفوة أهل العلـم والأدب والفكر والثقافة من بـلاد غامد وزهران وخاصـة المقيمين خـارج منطقة الباحة أن تكون لهـم إسهامات مباشرة على أرضهم وأهلها فيكونـوا على اتصال دائم بحراكها الثقافي والعلمي والفكـري، بـل عليهـم أن يسهموا مـنٍ خـلال تخصصاتهـم وعلومهم وخبراتهـم بما يخـدم أوطانهم معرفياً وحضارياً. كمـا أن صناع القرار وطبقـة الفكـر والثقافة والعلـم داخل المنطقـة عليهم أيضـاً مسؤوليات كبـيرة فيكونوا على اتصال دائم بإخوانهـم وبني جلدتهم من أهل العلم

(١) منذ عقود عديدة وأنا أتجول في أرجاء المنطقة الجنوبية، وهذا ما لمسته أثناء المشاهدة والخبرة والسير في مناكـب تهامة والسراة، ونقول إن منطقة الباحة بحاجة إلى البحر، ولو ضمت منطقة القنفذة مع منطقة الباحة حتى تصير منطقة واحدة، فهذا قد يرفع ويزيد من تنمية وتطوير المنطقتين.

(٢) زرت منطقة الباحة عدة مرات، وحضرت عدداً من المناسبات الثقافية والفكرية، وجميعها تقام في مدينة الباحة، وعند ذهابنا إلى مدن ومحافظات أخرى قابلنا العديد من المثقفين وأرباب القلم، لكنهم في عزلة عمـا يحدث مـن حراك ثقافي في مدينة الباحة، ويجـب على المراكز والمؤسسات نفسهـا أن تبادر وتشرك الجميع في مناشط الحياة الثقافية والأدبية والفكرية والتعليمية، وهذا العمل من أهم مسؤولياتها.

والفكر والأدب خارج المنطقة، ويتعاون الفريقان في كل ما يعود بالخير والفائدة على ديارهم وأهلها، وعلى الجميع أن يبذلوا قصارى جهودهم لاستجلاب بعض المناشط العلمية والفكرية والثقافية إلى بلادهم مثل: معارض الكتاب الإقليمية والدولية، والندوات والمؤتمرات العلمية والفكرية، وبعض المناشط الدعوية والاجتماعية والاقتصادية والتطوعية وغيرها[١].

٧. هناك العديد من القضايا التي يجب على أهل الرأي والقرار والوعي السليم في المنطقة الانتباه إليها مثل: تشجيع الهجرة العكسية لأبناء المنطقة من المدن الكبرى إلى مدنهم وحواضرهم في منطقة الباحة، مع الحرص على توفير الخدمات الهامة والضرورية لهم ولغيرهم من سكان البلاد[٢]، حبذا أن يشجع فتح المجالس والمنتديات (الصوالين) الأدبية والثقافية في المنطقة، وهذا سوف يساعد على تنمية الوعي والثقافة والفكر عند الناس، كما يجب فتح مراكز اجتماعية رياضية ثقافية وينشر من خلالها الوعي الثقافي البناء مثل: الحفاظ على مقدرات البلاد وتراثها وموروثها الحضاري، ومحاربة السلوكيات الاجتماعية والأخلاقية الهدامة، ونشر الثقافة والأدب العفيف للفرد والأسرة والمجتمع[٣].

---

(١) هناك عشرات المناشط المتنوعة في أطروحاتها وأهدافها على مستوى المملكة أو العالم العربي، وقد يستضاف بعضها على أراضي الباحة، واستجلاب مثل هذه النشاطات يعود بفوائد حضارية عديدة على البلاد وأهلها.

(٢) تطوير القرى والأرياف والمناطق النائية، وتوفير الخدمات الصحية والتعليمية والاجتماعية وغيرها تعد من الأسباب التي تخلق هجرة عكسية من المدن الكبرى إلى المناطق والبلدان الصغيرة، وهذا ما تحتاجه منطقة الباحة ومثيلاتها من مناطق المملكة العربية السعودية. .

(٣) يتواجد في المجتمع كثير من المشاكل الاجتماعية والثقافية والحضارية، وإنشاء مراكز ونواد تعالج مثل هذه القضايا يعد من الضروريات التي يجب على الدولة والمجتمع أن يعمل من أجل تأسيسها ورعايتها

٥- لمحة عن محافظة بلقرن كما قرأت عنها وشاهدتها(*)

(*) نُشر في كتاب:
القول المكتوب في تاريخ الجنوب
ط١: ١٤هـ، الرياض، مطابع الحميضي، ج١١، ص ص ٣٣٠ - ٣٨١

لمحة عن محافظة بلقرن كما قرأت عنها وشاهدتها. بقلم أ.د. غيثان بن علي بن جريس

أولاً: مدخل:

عندما وصلني المحور الثاني في هذا القسم، الخاص بالغطاء النباتي في محافظة بلقرن، لم أستحسن نشره في هذه السلسلة، وبعد قراءة مادته وجدته عملاً علمياً أكاديمياً لأحد أبناء المحافظة، وهو فعلاً جدير بالنشر والقراءة[١]. لهذا ارتأيت الذهاب إلى هذه المحافظة والتجوال في أرضها، وفعلاً كان ذلك خلال ثلاثة أيام من شهر ذي القعدة (الخميس، والجمعة، والسبت ١٥-١٧/١١/١٤٣٧هـ الموافق ١٨-٢٠/أغسطس/٢٠١٦م)، حيث خرجت من مدينة أبها ودخلت قرى آل سلمة القرنية في جنوب المحافظة ثم تجولت في عدد من قراها مثل: آل الزارية، والحنيك، وآل سليمان، وسبت حجاب، وآل عمران، وآل يزيد، وبقيت يوماً ونصف أسير في مناكب بعض قرى بلقرن، وشمران، وعليان، وآل حبة (العوامر) وخثعم وبخاصة التي تقع على قمم السراة مثل: آل عبيد، والسقيفة وآل عامر، وقرن بن ساهر، والملك في بلاد باشوت، وقرية عجبة، وبعض قرى البشائر والفوهة، وعدد من قرى خَثعم في أعالي جبل البلس، وعلى جانبي الطريق الرئيسي في أرض خثعم، وآل حبة. وفي اليوم الأخير من هذه الزيارة تجولت في مدينة العلاية، مركز المحافظة وما جاورها شرقاً مثل: بلدتي البظاظة، وعفراء، وقرى أخرى في وادي طلال شرق المحافظة[٢]. وفي الصفحات التالية سوف أدون شيئاً من جغرافية وتاريخ وحضارة هذه البلاد وبخاصة في العصر الحديث والمعاصر.

---

(١) في بلاد تهامة والسراة قبائل ومواضع كثيرة ذات تاريخ عريق، لكنه غير مدون، بل ضاع أكثره، وبلاد بلقرن وشمران وخثعم وعليان وآل حبه (العوامر) من هذه الديار التي سادها النسيان في الجزيرة العربية فلم يحفظ تاريخها ويكتب. ونأمل أن نرى باحثين وطلاب دراسات عليا جادين في جامعتي بيشه والملك خالد فيدرسوا تاريخ وحضارة هذه الأوطان المنسية. ومن يبحث في المصادر والوثائق التي أشارت إلى تاريخ جنوب الجزيرة العربية سوف يجد بعض الصفحات التي ربما تنير الدرب عن طبيعة وحياة وسكان هذه البلاد.

(٢) كان للدكتور/ سعيد بن محمد بن سعد القرني، والأستاذ سعيد بن عبدالله آل زايد القرني جهود تذكر فتشكر حيث اتصلا بي وساعداني على التجول في هذه المحافظة. فالأول في الدمام قام بالاتصالات ببعض الأصدقاء والباحثين في المحافظة وطلب منهم مساعدتي. والثاني: معلم متقاعد في قرية الحرجة بالمحافظة استقبلني وقدم لي بعض الخدمات وأجاب على بعض الأسئلة والاستفسارات التي كنت أبحث عنها. وأستطيع القول بأن محافظة بلقرن جديرة بالبحث والدراسة، وحبذا أن يفرد لها رسالة ماجستير أو دكتوراه ليدرس تاريخها الحديث منذ القرن (١٢-١٤هـ/١٩-٢٠م)، وهذا الموضوع جديد ومن يبحث في إطاره فسوف يجد الكثير من المصادر والوثائق التي تخدم هذا الموضوع.

ثانياً: جغرافية وتاريخ المحافظة:

١- الجغرافيا:

محافظة بلقرن من المحافظات الرئيسية في عسير، تقع في الجزء الشمالي من المنطقة، ومدينة سبت العلاية قاعدة المحافظة[١]. وحدودها من الجنوب: أجزاء من محافظتي النماص وبيشة، ومن الشمال أجزاء من منطقة الباحة مثل وادي شرى وغيره، وكذلك بعض النواحي من محافظة بيشة، ومن الشرق أجزاء من محافظة بيشة، ومن الغرب بعض الأجزاء التابعة لمنطقة مكة المكرمة مثل: العرضيات وغيرها[٢]، وأجزاء من محافظة المجاردة التابعة لمنطقة عسير[٣].

وتقدر مساحة بلقرن أكثر من (٦٠٠ ألف كم٢)، فهي تمتد ما بين (٥٠-٧٥كم) من الشرق إلى الغرب، وما بين (٦٥-٨٠كم) من الشمال إلى الجنوب. وطبيعة المحافظة جبلية، فهي ضمن بلاد السروات الممتدة من الحجاز إلى اليمن، ومعظم سكان المحافظة يعيشون في المرتفعات السروية الممتدة من آل سلمة جنوباً

---

(١) سبت العلاية: عاصمة محافظة بلقرن، أكبر مدينة في هذه المحافظة. تقع في المنتصف. وهذه المدينة قديمة، فهناك بعض الوثائق التي تذكرها خلال القرنين (١٢-١٣هـ/١٨-١٩م)، وهي حلقة وصل بين مدينة النماص وأبها في الجنوب، وبيشة في الشرق، والظفير ثم الباحة في بلاد غامد وزهران من الشمال. وتقع في أرض بلقرن، والذاهب في أرجاء اليمن وبلاد السراة من صعدة إلى سبت العلاية يجد هناك أماكن أخرى يطلق عليها اسم (العلاية). واشتهرت سبت العلاية بسوقها الاسبوعي (السبت). وهذه البلدة جديرة بالبحث والدراسة، ونأمل أن يدرسها أحد طلاب قسم الدراسات العليا في جامعة الملك خالد، فتكون موضوعاً لأطروحة ماجستير أو دكتوراه.

(٢) محافظة القنفذة تتبع إدارياً لمنطقة مكة المكرمة، والعرضيات عند سفوح السروات الغربية ومن البلدان التابعة لمحافظة القنفذة، كانت في السابق مركزاً، وأصبحت منذ سنوات قليلة محافظة عرفت بـ (العرضيات) وتشمل العرضية الشمالية والعرضية الجنوبية. والسائح في أوطان هذه العرضيات يجد أغلب ساكنيها قبائل قرنية وشمرانية وخثعمية وغيرها، وهم يعودون في أنسابهم إلى القبائل السروية التي تستوطن محافظة بلقرن (بلقرن، وعليان، وشمران، وخثعم، وآل حبة (العوامر)). وبين هذه العشائر السروية والتهامية الكثير من الأحلاف والصلات القبلية وهي جديرة بالبحث والدراسة. كما أن محافظة العرضيات وعموم بلاد القنفذة تستحق أن يفرد لها العديد من البحوث والدراسات الأكاديمية. وهذه البلدان التهامية أصابها الكثير من النسيان عبر أطوار التاريخ الإسلامي المبكر والوسيط والحديث. ونأمل من جامعة أم القرى، وجامعتي الباحة وجازان أن تولي الأجزاء التهامية الممتدة من مكة المكرمة إلى جازان الكثير من الرعاية والاهتمام في أبحاثها ودراساتها العلمية. للمزيد عن القنفذة وبلاد تهامة من مكة إلى جازان انظر كتابنا: القنفذة خلال خمسة قرون (ق١٠-١٥هـ)، وبعض أجزاء سلسلة كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب.

(٣) محافظات منطقة عسير التهامية (رجال ألمع، ومحايل، وبارق، والمجاردة والبرك) تستحق أن يصدر عنها دراسة علمية أكاديمية، والأمل في أبناء هذه الأوطان من الباحثين في خدمة بلادهم علمياً وبحثياً.

إلى جبل البلس والفوقا شمالاً، وكذلك في الأجزاء الشرقية للمحافظة مثل: مدينة سبت العلاية، والبظاظة، وعفراء، وقرى عديدة في وادي طلال[١]. أما المنحدرات الغربية، فهي وعرة التضاريس، ويوجد بها غطاء نباتي جيد من الأشجار والنباتات والحشائش، كما لا تخلو من الحيوانات البرية والطيور والزواحف[٢]، وتعرف عند أهل المنطقة باسم (الأصدار)، وبعض العشائر السروية تمتلك فيها بيوتاً صغيرة تعرف باسم (حلال) ومفردها (حلة)، ينزل إليها بعض أهل السراة مع أغنامهم للرعي أثناء فترة الشتاء واشتداد البرد في السروات[٣].

وهناك بعض المعالم الرئيسية التي تشتهر بها محافظة بلقرن مثل المدن والقرى، والجبال، والأودية. ومواطن الاستيطان الكبيرة في المنطقة مثل: مدينة سبت العلاية، وهي مركز المحافظة، ومراكز: باشوت، والبشائر، وخثعم، وعفراء وغيرها[٤]. أما جبال المحافظة فهي كثيرة ومتفاوتة في الكبر والارتفاع مثل: جبل أبو خيال في ناحية الفوهة[٥]، وجبال الضور الكير والصغير، واوران، وجرب في

---

(١) مشاهدات الباحث وجولاته في المحافظة في الفترة من (١٥-١٧/١١/١٤٣٧هـ الموافق ١٨-٢٠/٨/٢٠١٦م). ونقول إن مدن سبت العلاية، والبظاظة، وعفراء تحتاج إلى دراسات علمية أكاديمية في ميادين التاريخ والجغرافيا والاقتصاد والاجتماع، والأمل في جامعة بيشة أن تؤسس بعض المراكز البحثية في العلوم الإنسانية والنظرية كي تدرس مثل هذه المدن والحواضر الرئيسية في محافظتي بيشه وبلاد بلقرن.

(٢) هذه طبيعة منطقة الأصدار الممتدة من بلاد فيفاء في جازان إلى تهامة الطائف. وهذه البلاد تستحق أن يفرد لها دراسة علمية توضح طبيعتها وما تحتوي عليه من النباتات، والمعادن، والحيوانات والطيور البرية، وعلاقتها التاريخية والحضارية مع بلاد السراة ومع السهول التهامية الممتدة من مكة المكرمة إلى جازان. وهي جديرة أن يصدر عنها عدد من البحوث العلمية.

(٣) هذه السقائف أو الحلال الموجودة في الاصدار كانت مهمة جداً في الماضي فترى أصحابها ينزلون إليها باستمرار لصيانتها، والسكن فيها وقت البرد، وفي العصر الحديث، أي منذ ثلاثين عاماً تقريباً، هجرت فاندثرت ولم يصبح لها قيمة عند أهلها، والسبب غنى الناس وتحسن أحوالهم الاقتصادية. وقد سألت بعض أعيان بلقرن فذكروا بعض العشائر القرنية التي تمتلك (حلال) في الاصدار مثل: عشائر دحيم، وآل مشيب، وبني رزق، وآل سليمان وغيرهم من عشائر عليان وشهران وخثعم حيث لهم (حلال) في إصدارهم، وغالباً تسمى هذه الحلال باسم العشيرة التي تملكها في السروات.

(٤) هذه الحواضر الرئيسية تحتاج إلى دراسات جغرافية وتاريخية واجتماعية واقتصادية توضح مراحل نموها وتطورها، ومنها القديم مثل سبت العلاية وباشوت، والحديث مثل: البشائر، وعفراء، وقرى وادي طلال. المصدر: مشاهدات الباحث من (١٥-١٧/١١/١٤٣٧هـ.

(٥) ديار الفوهة حديثة، وأهلها نزحوا من وادي ترج شرق بلاد رجال الحجر وإلى الغرب من محافظة بيشة، وقصة نزوحهم وتاريخهم يعود إلى القرون الإسلامية الوسيطة، والآن يسكنها (الحلافيون) ومفردهم (حلافي) ويتبعون إدارياً مركز البشائر التابعة لمحافظة بلقرن. وبلاد الفوهة قرية كبيرة يوجد فيها كثير من الخدمات مثل المدارس وغيرها، وهي حديثة في عمارتها، وأهلها أساساً بادية نزحوا إليها واستوطنوها في بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، ويوجد في أرضها سد كبير سعته حوالي (٣,٠٠٠,٠٠٠) متر مكعب. المصدر: جولة الباحث في قرية الفوهة يوم الجمعة (١٦/١١/١٤٣٧هـ).

سروات قبائل بلقرن[١]. وفي بلاد خثعم جبال عديدة مثل: جبال صولا، وعيبان وتعصر[٢]، وجبل البلس يعد أكبر وأطول جبال محافظة بلقرن، ويقع في شمال غرب المحافظة، ويقدر ارتفاعه بـ (٢٨٠٠) متر تقريباً. وهناك خط مسفلت يتفرع من الخط العام ويصعد إلى أعلى هذا الجبل، ويوجد في أعلاه سبع قرى، ومعظم بيوتها عمائر حديثة مسلحة. وفي يوم الخميس (١٤٣٧/١١/١٥هـ) ذهبت إلى أعلاه وقابلت بعض ساكنيه من الرجال فأخبروني أن فيه مزارع عديدة يزرع فيها بعض المحاصيل الزراعية وبعض الفواكه والخضروات، ويتوفر الماء في قمة الجبل، وجميع الآبار الموجودة فيه محفورة إلى أمتار عديدة، وهناك بعض المؤسسات الإدارية مثل المدارس لجميع المراحل (بنات وأولاد)، وخدمات للكهرباء، والاتصالات وغيرها. والملاحظ على أرض هذه الناحية وعورتها وضيق طرقها، ومعظم السيارات تصل إلى قمة الجبل، وبعض الآلات الأخرى مثل الحراثات والشيولات وغيرها[٣].

ويتخلل المحافظة عدد من الأودية التي ينحدر مياهها شرقاً مثل: وادي تبالة، الذي تأتي مياهه من سروات بلقرن، وهو من الروافد الرئيسية لوادي بيشة[٤]،

---

(١) مشاهدات الباحث لهذه الجبال وزيارة بعضها في يومي الجمعة والسبت (١٦-١٤٣٧/١١/١٧هـ).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) تقدر مساحة أراضي قمة الجبل المسكونة بحوالي (٨كم٢)، وعدد السكان حوالي (٣٠٠٠) نسمة يعيشون في سبع قرى هي: بشامة، والجعدة، وميتي، والشعبان (وتتبع قبيلة آل ثعلب في سهول خثعم). وقرى الجهوم، والندبة، والوهاد وتتبع قبيلة آل أبو صالح في خثعم (الرهيطة). وربما سمى (البلس) بهذا الاسم، لكثرة زراعة التين والبلسن (العدس) فيه. انظر: ابن منظور يُعرف مفردة (البلس) بالتين، وهذه الكلمة موجودة في اللغة الحبشية والسبئية، وأورد تعريفات أخرى عديدة لكنها لا تتوافق مع طبيعة هذا الجبل ومقدراته الاقتصادية وتركيبته الجغرافية والسكانية. وعند وصولي إلى أعلى الجبل تذكرت بلداناً أخرى تشبه مثل: منعاء في سراة بني شهر، وبعض المرتفعات في حاضرة أبها، أو منطقة جازان مثل: بني مالك، وجبل طلان، وفيفاء التي يوجد بها استيطان بشري، ويعيش فيها بعض الحيوانات والطيور الأليفة والبرية، ولا تخلو من المزارع والمياه السطحية والجوفية. المصدر: نبذة مختصرة وصلتني من الأستاذ سفر بن علي الخثعمي في (١٤٣٧/١١/٢١هـ)، وكذلك مشاهدات الباحث في محافظة بلقرن ومناطق أخرى جنوبي البلاد السعودية في ثلاثينيات القرن (١٥هـ/٢١م).

(٤) لمزيد من التفصيلات عن تاريخ وأهمية وادي تبالة، انظر غيثان بن جريس. "تبالة وأهميتها التاريخية والحضارية". بحث منشور في مداولات اللقاء العلمي السنوي الثامن لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج المنعقدة في مدينة المنامة بالبحرين في الفترة (٧-١٤٢٨/٤/١٠هـ الموافق ٢٤-٢٧/ ابريل/٢٠٠٧م) ص ١٧٩-٢١٥. كما نشره الباحث في كتابه: دراسات في تاريخ تهامة والسراة، الجزء الثاني (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣١-١٤٣٢هـ) ص ٤٢٣-٤٧٠.

ووادي شواص[١]، وهـو أيضاً من الأودية الرئيسيـة في المحافظة، ويصب في وادي رنيـة، وأوديـة أخرى في أنحـاء المحافظة، مثل: أوديـة باشوت، وأهنمـا، وشيبانه، وسقام، وادمه، والفوهة، ونبا، وحليل، والكرس، والصدر وغيرها[٢].

ومـن الأوديـة الغربية، بعض الأودية التهاميـة التي تبدأ مياههـا من سروات بلقـرن وشمـران وعليان وخثعـم، ثم تنحـدر في منطقة الأصدار حتـى تصل بلاد العرضيـات، وتسـير غرباً حتى تلتقـي بوادي قنونا ويبه اللذيـن يصبان في البحر الأحمر[٣]. ومن هذه الأودية التي تنطلق مياهها من سروات محافظة بلقرن: أودية النظر، والحفياء، وخيطا، وحضوضا، وجفن وغيرها[٤].

ومنـاخ محافظـة بلقرن، هو نفس منـاخ عموم بلاد السروات مـن بلاد وادعة وقحطـان جنوبـاً إلى بالحارث وبني سعد وثقيف في الطائـف. فالصيف معتدل في المرتفعـات، وتزداد الحـرارة قليلاً كلما اتجهنا شرقـاً، وفي الشتاء تزداد البرودة، ويخيـم الضباب أحياناً على أعـالي الجبال وأحياناً يغطي جميـع أرض المحافظة. وفي منطقـة الاصدار والأجـزاء التهامية ترتفع الحـرارة في الصيف ويعتدل الجو في الشتـاء. ونلاحـظ كثيراً من أهل السـروات ينزلون إلى الأجـزاء التهامية بحثاً

(١) وادي شواص مـن الأوديـة الرئيسيـة في محافظة بلقرن ويوجد بـه الكثير من النباتـات والطيور وبعض الحيوانـات البريـة، كمـا يستوطنـه بعض السـكان الذيـن كانـوا بـدواً رحـلاً. مشاهـدات الباحث في (١٦/١١/١٤٣٧هـ).

(٢) هذه الأودية تتفاوت في الطول والقصر، وفي مواقعها وخدمتها للمنطقة، وهي جديرة بالدراسة من حيث جغرافيتها وأهميتها التاريخية والحضارة لمحافظة بلقرن. ونأمل أن يتولى دراستها أحد الأساتذة في علم الجغرافيا بجامعتي الملك خالد أو بيشة.

(٣) تجولت في محافظة القنفذة اثناء جمع مادة كتابنا: بلاد القنفذة خلال خمسة قرون، وشاهدت عدداً من روافـد واديـي يبه وقنونا. ونقول إن هذيـن الواديين يحتاجان إلى دراسات علميـة تاريخية أثرية، وهناك الكثـير مـن الشعراء الذين تغنوا بهذيـن الواديين وقرضوا كثـيراً من الشعر فيهمـا، وبعض كتب التراث أيضـاً أشارت إلى بعض روافد هذين الواديين وكثير منها يأتي من سـروات محافظة بلقرن ويجتاز بلاد العرضيات.

(٤) تجولـت في أرجـاء هـذه الأوديـة التهاميـة في منطقة العرضيـات خلال عامـي (٣١-١٤٣٢هـ/ ٢٠١٠-٢٠١١م)، وشاهدت الكثير من الآثار في بعض أجزائها. ويعتبر وادي النظر من أجمل هذه الأودية وهو من المشاتي الرئيسية لقبائل بلقرن وما جاورها من شمران وعليان. وأقول إن الصلات التاريخية والحضارية والجعرافية بين محافظة بلقرن والعرضيات من الموضوعات الجديدة التي تستحق دراسة علمية أكاديمية تؤرخ لهذه البلاد خلال القرون الماضية المتأخرة.

عـن الدفء هروباً من شـدة البرد في السروات. وتسقط الأمطـار غالباً في فصلي الصيف والخريف[١].

٢- لمحة تاريخية:

يستوطن محافظة بلقرن اليوم عشائر عربية عريقة في مجدها وتاريخها، وهي مـن الشمـال إلى الجنوب (١) خثعـم (٢) آل حبة (العومـر). (٣) شمران. (٤) عليان (٥) بلقرن[٢]. وبعض هذه القبائل مثل خثعم وشمران ورد ذكرها وشيء من حروبها في عصور ما قبل الاسم، وأثناء ظهور الدعوة الإسلامية. والباحث في كتب التراث الاسلامي يجد الكثير من التفصيلات عن قبيلة خثعم قبل الإسلام وبعده، بـل كتـب الأدب مليئة بالأشعار التـي ذكرت بطولات خثعم وأعلامهـا وأيامها. وإن تحدثنـا عن قبائل الأزد التي تنتسـب إليها قبائل بلقرن وشمران فهي الأخرى ذات تاريخ عريق منذ هجرة قبائل الأزد من اليمن واستيطان بعض فروعها في السروات الممتـدة مـن شمال أبها إلى جنـوب الطائف[٣]. ودراسة تاريخ بـلاد السروات قبل الإسلام ما زال غامضاً ويحتاج إلى مزيد من الدراسة والتوضيح، ونأمل أن تبحث المنطقـة اثريـا فتجمع نقوشهـا ورسوماتهـا الصخرية، وتدرس بعضـ حواضرها التاريخيـة القديمة عن طريق الحفريات الأثرية، وإذا حدث ذلك فقد نحصل على صفحات من تاريخ هذه الأوطان المأهولة بالسكان منذ عهود ما قبل الإسلام[٤].

والمتتبـع للعصـر الإسلامي يجـد أن الإسلام انتشر تدريجيـاً من الحجاز إلى اليمـن، وأرض السروات الممتـدة من بلاد الحجر إلى ارض غامد وزهران المعروفة

---

(١) دراسة مناخ السروات وجغرافيتها في وقتنا الحاضر موضوع مهم يحتاج إلى بحوث أكاديمية توضح كيف كان، وماذا جرى عليه من تغيرات في عصرنا الحالي.

(٢) هنـاك قبائـل أخرى استوطنـت محافظة بلقرن ومنهـا القديمـة أو الحديثة مثل: بلحـارث، وبني واس، والحلافيون وغيرهم. وليس دورنا هنا دراسة أنساب وهجرات قبائل محافظة بلقرن، لأن كل قبيلة تستحق أن يفـرد لهـا كتاب مستقل فتدرس أصولها قبل الإسلام، ثم تاريخهـا السياسي والحضاري عبر العصور الإسلاميـة، وأعلامها، وصلاتها مع غيرها من القبائل في جنـوب الجزيرة العربية. ونوصي بدراسة مثل هذه الموضوعات الجديدة في أبوابها والجديرة بالبحث والدراسة.

(٣) يوجد العديد من البحوث والكتب المنشورة التي نشرناها خلال الثلاثين سنة الماضية عن أرض السروات الممتـدة مـن اليمن إلى الحجاز وفيها تفصيـلات لعدد من العشائر والمواضع الموجـودة اليوم في منطقتي عسـير والباحة. للمزيد انظـر غيثان بن جريس. دراسات في تاريخ تهامـة والسراة (مجلدان) في حوالي ألف صفحة.

(٤) لا شك أن أرض السروات من المستوطنات البشرية القديمة، وهي فعلاً بحاجة إلى دراسات تاريخية اثرية.

بـ (أزد السراة) ذات تاريخ واحد، فأهلها دخلوا في الإسلام منذ وقت مبكر[١]، وإن حصل تأخر لبعض القبائل فذلك أمر بديهي حيث إن بعض زعماء هذه العشائر السروية أخروا اسلامهم إلى السنة العاشرة للهجرة مثلهم مثل غيرهم كبعض قبائل جنوب لجزيرة العربية[٢]. وفي عهد الخلفاء الراشدين ثبت أغلب سكان السروات على الإسلام، وان ارتد بعضهم في عهد الخليفة الراشد الأول، أبو بكر الصديق (١١-١٣هـ/٦٤١-٦٤٣م)، فنسبتهم قليلة جداً[٣]، وعند خروج الخلافة الإسلامية من الحجاز إلى الشام في عصر بني أمية (٤٠-١٣١هـ/٦٦٠-٧٤٩م)، ثم إلى العراق في عصر بني العباس (١٣٢-٦٥٦هـ/٧٤٩-١٢٥٨م)، وكذلك في بعض القرون الإسلامية الوسيطة وبداية الحديثة (ق٨-١٣هـ/١٤-١٩م)، فقد عم أرض الجزيرة العربية التجاهل والنسيان، فلم تخدم البلاد حضارياً وسياسياً، وعاش أهلها وبخاصة أجزائها النائية كأرض السروات في عزلة، وتولى شيوخ قبائلها إدارة الأمور في أوطانهم، وانتشرت الفوضى والسلب والنهب والحروب الطاحنة بين القبائل وبطونها. ونرى بعض علماء العصور الإسلامية الوسيطة مثل: ناصر خسرو، وابن جبير، وابن المجاور، وابن بطوطة، والنويري، من القرن (٥-٨هـ/١١-١٤م) يذكرون شيئاً من حياة أهل السروات السياسية والإدارية والحربية، ويجمعون على أن شيوخ القبائل وأعيانها هم أصحاب الحل والعقد في بلادهم، وأن علية القوم يعيشون في حياة أفضل من غيرهم من طبقات المجتمع الأخرى. والزراعة، والرعي والصيد من أهم المهن التي يمارسها السرويون، ولا تخلو مجتمعاتهم من ممارسة التجارة وبعض الحرف والصناعات التقليدية[٤].

---

(١) قبائل دوس وبعض الأزديين دخلوا الإسلام في تاريخ الدعوة المكية، ثم تزايدوا حتى دخلت عموم ارض السروات في الإسلام في عهد الرسول (ﷺ). انظر: غيثان بن جريس، دراسات في تاريخ تهامة والسراة، جزءان، ويوجد في الجزء الأول دراسات مستقلة توضح إسلام أهل تهامة والسراة، ودورهم في الفتوحات الإسلامية.

(٢) من القبائل التي تأخر اسلامها: خثعم، وبعض عشائر من الأزد ومذحج في السروات ونجران واليمن.

(٣) دراسة تاريخ السروات خلال العقدين الأولى من عصر الإسلام من الموضوعات الجديدة ويستحق هذا الموضوع أن يكون عنواناً لرسالة دكتوراه أو ماجستير.

(٤) من خلال البحث والدراسة عن أرض وسكان تهامة والسراة خلال العقود الأربعة الماضية اتضح لي أن مجتمعات هذه البلاد كان عندها اكتفاء ذاتي في معايشها وكسب أرزاقها، فهم يمارسون الزراعة المتوفرة في أرضهم ويقومون على رعاية المواشي وخدمة أنفسهم في طعامهم وشرابهم ولباسهم وعمارة بيوتهم ومرافقها.

وفي العصر الحديث شمل قبائل محافظة بلقرن ما ساد أرض السروات، فمنذ ظهور إمارة المتاحمة في عسير، ثم مجيء قوات محمد علي باشا إلى الجزيرة العربية والقضاء على الدولة السعودية الأولى في الدرعية، وإمارة المتحمي في عسير، ثم ظهور إمارة آل عائض، ثم مجيء النفوذ العثماني إلى عسير (١٢٨٩-١٣٣٧هـ/١٨٧٣-١٩١٨م) وأخيراً دخول جميع بلاد تهامة والسراة تحت حكم الإمام عبدالعزيز عبدالرحمن الفيصل، في أواخر الثلاثينيات وبداية الأربعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) [١].

دخلت بلاد بلقرن وما جاورها من القبائل تحت مظلة الحكم السعودي الحديث[٢]. وفي عصر الملك عبدالعزيز ثم أبنائه من بعده الملوك (سعود، وفيصل، وخالد، وفهد، وعبدالله، وسلمان) تم توطيد الأمن في أرجاء الوطن، وعملوا جاهدين على تطوير البلاد حضارياً في شتى الميادين، حتى أصبحت عموم المملكة في نعمة لا تضاهيها بلاد أخرى.

وفي الصفحات التالية ندون بعض الرؤى التي استخلصناها عن بلاد السروات بشكل عام، ومحافظة بلقرن بشكل خاص خلال القرون الممتدة من عصر ما قبل الإسلام، إلى عهدنا الحديث والمعاصر.

١. عرفت بلاد السروات الاستيطان البشري منذ آلاف السنين قبل الإسلام وعبر عصور الإسلام المختلفة. وربما كان لوعورة أرضها وشدة بسالة

---

(١) جميع الأحداث التي جرت في الحجاز واليمن وما بينهما خلال العصر الحديث من القرن (١٢-١٤هـ/ ق١٨-٢٠م) دُرست في كثير من الكتب والرسائل العلمية والبحوث الأكاديمية المنشورة في مجلات علمية عربية وأجنبية. وما زال هناك موضوعات وجزئيات في هذه الفترة تحتاج إلى دراسات علمية تحليلية، بل إن هناك كثيراً من الوثائق الجديدة التي لم تدرس حتى الآن وتوجد في كثير من الأراشيف العربية والغربية. ومحافظة بلقرن (أرضاً وسكاناً) من الموضوعات التي ورد ذكرها في بعض المصادر والمراجع الحديثة بشكل سطحي، بل نستطيع القول إن أرض السروات من جنوبي الطائف إلى أرض قحطان كان لها دور وذكر في التاريخ الحديث إلا أنه لم يُدرس. بطريقة علمية تفصيلية. ونأمل من أقسام التاريخ في الجامعات الجنوبية السعودية أن تولي هذه البلاد كثيراً من العناية.

(٢) لا نقول إن هذه البلاد وغيرها من أرض السروات أصبحت تعيش في أمن وأمان من عام (١٣٣٨هـ/١٩١٩م)، أي منذ دخول منطقة عسير تحت الحكم السعودي، وإنما أخذت الأمور حوالي (٣٠) عاماً حتى استقرت البلاد وانتشر الأمن في ربوعها. ونقول إن دراسة التطور والتنمية التي تمر بها أنحاء البلاد السعودية منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) تحتاج إلى عشرات المجلدات ومئات البحوث التي ترصد هذا النماء والرخاء الذي يعيشه الإنسان في هذه البلاد (فلله الحمد والفضل والشكر).

أهلها، واستيطانها بالقبائل والعشائر المختلفة جعلها في عزلة عن عوالم الجزيرة العربية المتحضرة، وهذا مما أثر على عدم تدوين تاريخها وحفظه[١].

٢. بلاد السروات، والتي تقع محافظة بلقرن ضمنها، لها تاريخ سياسي واقتصادي واجتماعي وثقافي وفكري منذ عهود ما قبل الإسلام وخلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة. وذلك لعدد من الأسباب هي:

أ - كثرة الاستيطان البشري فيها، وهناك كثير من المؤشرات في مصادر التاريخ المختلفة (الدينية، وكتب الأنساب، والطبقات، والجغرافيا والرحلات، واللغة والأدب وغيرها) أشارت إلى حياة الناس في هذه البلاد بشكل موجز، وذكرت صلاحية أرضها للسكن والاستيطان.

ب - أن السائح في مناكب هذه السراة يرى جميع مقومات الحياة البشرية ماثلة للعيان، فهناك آلاف النقوش والرسومات الصخرية التي تدل على قدم استيطانها، وهناك الكثير من الموارد الطبيعية التي تتميز بها هذه البلاد مثل: وفرة مياهها، وغناء ثرواتها الحيوانية والنباتية، وتنوع تضاريسها، وكثرة معادنها، واستراتيجية موقعها الذي يربط بين صحاري نجد وساحل البحر الأحمر، وبين بلاد الحجاز واليمن. وكل هذه العوامل كفيلة بقيام وحضارات.

ج - الفاحص لطبيعة انسان هذه البلاد كهيئة جسمه، ولغته، وبعض أعرافه وتقاليده، واشعاره وفنونه الاجتماعية والأدبية، وطبيعة أرضه مثل تعدد الآبار القديمة والتاريخية، ووجود المدرجات الزراعية، والمقابر القديمة، والكهوف المتناثرة في الجبال والوهاد، ثم مقارنتها بأمثالها في بلاد اليمن السعيدة التي دون الكثير من

---

(١) إن عموم بلاد الجزيرة العربية، غير اليمن والحجاز وأحياناً بلاد البحرين، سادها النسيان والتجاهل عند مدوني التاريخ، وبخاصة في العصور القديمة والقرون الإسلامية المبكرة والوسيطة. ونقول أن المصادر التقليدية فقيرة في معلوماتها عن معظم أجزاء بلاد العرب، والأجدر أن تدرس كثير من بلدان الجزيرة دراسة تاريخية أثرية لعلنا نحصل على شذرات من تاريخها السياسي والحضاري المفقود.

تاريخهـا القـديم والإسلامي المبكـر والوسيط فإنـه يتأكد له قدم الحياة البشرية في هذه الأوطان السروية العربية.

د - إذا كانـت هـذه الأرضـ ذات تاريخ إنساني قديم، فهـي أيضاً ذات تاريـخ وحضارة إسلامية خلال العصر الإسلامي المبكر والوسيط. وهنـاك إشارات إلى نمـاذج من تاريخها في كتـب التاريخ الحولية والموضوعية، وكتب الأدب واللغة، وعدد جيد من مؤلفات الجغرافيا والرحلات وغيرهم[١].

هـ- العصـر الحديث من القـرن (١٠-١٤هـ/ق١٦-٢٠م) أفضل من حيث الإشارة إلى تاريخ هذه البلاد. نعم لو دققنا النظر في جزيئات صغـيرة من ارضـ تهامة والسراة مثـل بلاد بلقـرن، أو شمران أو خثعم، أو عليان، أو غيرها من العشائر التي تعيش في هذه السروات في وقتنـا الحاضر فقـد نجد صعوبـة في جمع مصادرهـا وتدوين تاريخها، لكنه ليسـ مستحيلاً مثل الفترات السابقة للقرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي). ولهذا فإنني أحث كل الباحثين الجادين في هذه المناطق أن يبذلوا قصارى جهودهم لحفظ وتدوين شـيء من تاريخ وحضارة بلادهم، الذي يوجد في عدد من الأماكن الداخلية والخارجية[٢].

---

(١) نعـم هناك إشـارات لتاريخ هـذه البلاد منذ القـرن (١-١٠هـ/ق٧-١٦م) في كثير من الكتـب العربية الإسلاميـة مثـل: مؤلفـات الطبري، وابـن كثير، واليعقوبـي، وابن الأثـير، والمسعودي، وكتـب الجاحظ، والأصفهـاني، وابن قتيبـة، وبعض الدواوين الشعريـة القديمة، وكتب الرحالة المسلمـين مثل: الهمداني، وابـن خرداذبة، واليعقوبي، وابن الفقيه، وابن قدامة، والبكـري، والإدريسي، وناصر خسرو، وابن جبير، وابـن المجـاور، وابن بطوطة وغيرهم. كمـا أن كتب تاريخ الحجاز واليمـن الإسلامية القديمة لا تخلو من معلومـات تاريخية وحضارية قيمة عـن أرض السروات الممتدة من أبها جنوباً إلى الباحة شمالاً. للمزيد انظر غيثان بن جريس. دراسات في تاريخ تهامة والسراة (مجلدان).

(٢) المهـم العـزم والنيـة عند مـن أراد القيام بشيء مـن هذه الجهود، فهنـاك الكثير مـن الوثائق والحجج والأوراق التاريخيـة التـي يمتلكها أهل البلاد ويعـود تاريخ بعضها إلى أكثر من ثلاثمائـة وأربعمائة عام، ولا تخلو من صور تاريخية وحضارية للبلاد. وهنـاك الكثير من الأوراق الرسمية في دور المحفوظات داخل المملكـة العربيـة السعودية وفي مصر وفي تركيا وبعض الدول الغربيـة مثل بريطانيا وإيطاليا وغيرها التي يوجـد فيها كثير مـن الوثائق الخاصة بتاريخ تهامة والسراة من الحجاز إلى اليمن، وفي بعضها ذكر لهذه القبائـل القاطنـة في وسط هـذه السروات مثـل بلقرن وغيرها. وهنـاك ايضاً مخطوطات غـير منشورة وروايات شفاهية يتناقلها الخلف عن السلف، ومن المؤكد أنها تشتمل على شيء من تاريخ هذه البلدان.

ثالثاً: مشاهدات وانطباعات:

١-الطبيعة والمجتمع:

تغيرت جغرافية محافظة بلقرن اليوم عما كانت عليه في السابق، فالحياة قديماً يسيرة ومتواضعة، فلا يوجد مدن كبيرة، ومشاريع عملاقة، والحياة محدودة قرى صغيرة، وطرق ضيقة، وأسواق قليلة، وسكان قليلون، ومن ثم فالطبيعة جميلة بأشجارها ونباتاتها وغاباتها، فتراها مليئة بحيواناتها وطيورها البرية والأليفة، وكذلك مياهها وفيرة في الأودية وفي الآبار الجوفية. أما اليوم فكل هذا تبدل عندما توسع الناس في جميع أمورهم الطبيعية والبشرية، فقامت المدن والقرى الكبيرة، وتزايد عدد السكان، وأنشئت المشاريع الحكومية والأهلية، وكل هذا أدى إلى تدهور البيئة فتناقصت وأحياناً اندثرت مكوناتها، وتسابق الناس في إتلاف غطائها النباتي وكل ما له صلة بجمال الأرض وزخرفها، ومن ثم ساد الجفاف في البلاد وقل الماء في الآبار، وازدادت حرارة الجو والأعاصير، وتدهورت التربة، وانتشرت الأمراض في مكونات الطبيعة[1].

والمجتمع تغير في طبيعته ومكوناتها. فهو في الأساس مجتمع قبلي يتكون من القبيلة والعشيرة والفخذ واللحمة والأسرة والأفراد، وهذه السمة موجودة منذ القدم، لكن اليوم تزايدت أعداد هذه المكونات، فأفراد القبيلة أو العشيرة أو الأسرة الواحدة كثروا وتشعبوا عما كانوا في السابق. والسبب التطور الاقتصادي الذي يعيشه الناس اليوم، فأصبح الفرد الواحد في الأسرة يستقل بنفسه في منزل خاص، ولا يعيش معه إلا زوجته وأولاده وبناته وأحياناً والده، بعكس الماضي إذ كانت مجموعة من الأسر تعيش في بيت واحد، وقس على ذلك القبيلة أو العشيرة أو الفخذ فقد تفرقوا في أماكن السكن والاستيطان، والكثير من أبناء هذه الشرائح يعيشون في أماكن مختلفة في المحافظة نفسها، ومنهم الذي ترك بلاده الرئيسية وانتقل إلى مدن أو أماكن أخرى بسبب عمله ووظيفته التي يكسب رزقه من خلالها[2].

---

(١) هذا الذي عاصرته وعرفته في بلاد السراة خلال الخمسين عاماً الماضية، فالبلاد الممتدة من أبها إلى الباحة، كانت ذات طبيعة خلابة، مكتظة بحيواناتها وطيورها ومزارعها، واليوم لم يبق من هذا شيء نتيجة التمدن الذي تعيشه هذه البلاد. نعم تطور الإنسان في لباسه، ومأكله ومشربه وعمارته وأسواقه وغيرها، لكن طبيعة البلاد تأثرت سلباً وحل بها الكثير من المعوقات.

(٢) هذه التحولات الاجتماعية في المجتمع السعودي الحالي جديرة بالدراسة، ومقارنتها مع حياة المجتمعات في القرون الماضية المتأخرة، وقد بدأ هذا التحول في بلدان جنوبي البلاد السعودية منذ ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، وتسارعت وتيرته خلال العشرين عاماً الماضية. وجامعات الجنوب السعودي عليها مسئوليات كبيرة فالواجب أن تنشىء مراكز بحوث تاريخية واجتماعية تدرس التغيرات الاجتماعية التي تعيشها بلدان تهامة والسراة منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى عصرنا الحاضر.

وإذا تأملنا في واقع مجتمع محافظة بلقرن اليوم، أو أي مجتمع في أرض السروات، نجد أن الترابط الذي كان بين أفراد العشيرة قد تناقص، ولم يصبح لشيخ القبيلة أي دور كبير، وإنما يقوم على إدارة شئون عشيرته في المناسبات العامة، أو التعريف عليهم عند المؤسسات الرسمية، وقامت الإدارات الحكومية بالكثير من الأعمال التي كان يمارسها الشيخ أو نائب القبيلة قديماً[1]. وأفراد القبيلة أو العشيرة الواحدة لم يصبح عندهم اليوم ذلك الارتباط والولاء الذي كان لرئيس القبيلة في السابق، بل يظهر هناك الكثير من الصدامات والصراعات بين أفراد القبيلة الواحدة، ولا يستطيع الشيخ أو النائب أن يحلها، وهناك من النواب أو الشيوخ من ينضم إلى فريق دون آخر أو شخص دون غيره في القبيلة، ومن ثم يزداد الخصام وعدم التوافق بين فخوذ وأفراد العشيرة الواحدة، ناهيك عن الصلات بين العشائر والقبائل المتقاربة في مكان واحد[2].

والناظر في وضع الأسر وأفرادها فهي الأخرى لم تبق مثل السابق في توادها وتحابها وتعاونها وترابطها، وإنما تناثرت الأسر بعضها عن بعض، فالأسر العديدة التي تنتسب إلى رجل واحد، أصبحت اليوم متفرقة وغير غير متوافقة، وأحياناً يكون بينها من الصراعات والبغضاء الشيء الكثير، وذلك بسبب الاختلافات على الميراث أو العقار وحطام الدنيا[3].

ونشاهد المحبة والتقارب الذي كان بين الأسر قديماً قل وتناقص، وإذا درسنا أحوال كبار السن أو من أعمارهم فوق الأربعين فإنك تجد أحوالهم أفضل من جيل الشباب ما دون الثلاثين، نعم الجيل الأكبر لا يخلو من صراعات وقطيعة

---

(١) دور الشيخ أو النائب في قبيلته أو عشيرته قديماً كبير فهو ومعه بعض رجالات قبائله أو عشائر صاحب الحل والعقد، وكان يحصل من بعض المشائخ أنواع من الظلم والجور على مجتمعاتهم ولا أحد يستطيع أن يمنعه، وعندما تأسست وتطورت المؤسسات الإدارية قلصت من نفوذ شيوخ القبائل. وموضوع تاريخ شيوخ القبائل في بلاد السراة في الماضي من الموضوعات التي لم تدرس ويستحق أن يفرد لها عشرات الكتب والبحوث.

(٢) من يذهب اليوم إلى مراكز الشرطة والسجون والمحاكم وإدارات المحافظات والمراكز فإنه سوف يطلع على مئات الوثائق والمعاملات التي تعكس علاقة شيوخ القبائل بقبائلهم، وكذلك الصراعات الجارية بين أفراد القبيلة أو العشيرة الواحدة. وهذا الميدان موضوع كبير ويستحق أن يفرد له عشرات البحوث والدراسات العلمية.

(٣) شاهدت بلاد السراة وتهامة منذ خمسين عاماً وعرفت ووقفت واطلعت على كثير من الحالات التي تتعلق بأسر عديدة كانت تعيش في أمن وأمان قبل ثلاثين أو أربعين سنة، وعندما فاض الخير عليهم وكثر المال في أيديهم، حلت البغضاء بينهم، ودخل الشيطان في قلوبهم، وساءت أخلاقهم.

وسلبيات عديدة، لكن جيل الشباب والشابات، وجميعهم متعلمون ولدى الكثير منهم شهادات جامعية، أو شهادات عليا، إلا أنهم في الترابط الأسري والاجتماعي قليلو الحظ، وإن كان منهم ما زال محافظاً على ترابطه مع أسرته وعشيرته فهم نسبة قليلة، والأكثرية غزتهم ثقافات التقنية، وكسبوا الكثير من الثقافات الأخرى الناتجة عن السفر أو الاتصال بحضارات وأجناس أخرى داخل البلاد السعودية وخارجها، وهذا بدون شك أثر على الكثير من السلوكيات الفردية والجماعية، وليس هذا التأثير مقصوراً على الترابط الاجتماعي وإنما شمل اللباس والزينة، والطعام والشراب، والثقافة والفكر وغيرها[١].

وكوني ذهبت من حاضرة أبها إلى سبت العلاية وغيرها من البلدات والقرى في محافظة بلقرن، فليس الاختلاف كبيراً بين هذه السروات، نعم إن الأوطان القرنية وما جاورها ما زالت ريفية قروية، ومن ثم فالتركيبة الاجتماعية ما زالت أفضل من الحواضر الكبرى في منطقة عسير مثل مدينتي أبها وخميس مشيط، لكن كثيرا من السلبيات التي غزت مجتمعات الخميس وأبها امتدت إلى الأرياف مثل محافظة بلقرن وغيرها. ونشاهد ذلك على الرجل والمرأة والشاب والشابة في القرى والمدن القرنية والشمرانية وغيرها، مثل: ضياع الوقت، والسعي وراء بريق التقنية واستخدامها الاستخدام السيء. وقد سألت الكثير من أعيان ووجهاء بلقرن وشمران وخثعم وبخاصة في العلاقة بين الرجال والنساء، بصرف النظر عن صلة القرابة، مثل الأم، أو الزوجة، أو الأخت، فذكر لي بعضهم مناداة بعض النساء بالتحرر من قبضة الرجل، ومن ثم زادت نسبة الطلاق، وأحيانا كثرة العنوسة، وتزايدت نسب الاختلافات بين الجنسين، وهناك من يعمل في بعض المحاكم ودوائر الشرطة والسجون والمستشفيات والرعاية الاجتماعية يشيرون إلى ارتفاع نسبة الخصام بين النساء والرجال على الميراث، أو عدم التوافق في الحياة الزوجية، أو رعاية الأبناء أو غيرها[٢].

(١) التغيرات الاجتماعية التي يعيشها المجتمع السعودي خلال العشر سنوات الأخيرة سريعة جداً، وخطيرة على الهوية الدينية والثقافية، ويجب على مؤسسات الدولة المعنية، وعلى العقلاء وأصحاب القرار والرأي السديد أن يبذلوا قصارى جهودهم للحد من هذه التحولات السلبية الخطيرة على جميع شرائح المجتمع.

(٢) في الثلاثة الأيام التي قضيتها في محافظة بلقرن التقيت بأكثر من شيخ أو نائب أو معلم أو قاض فذكروا لي أن المجتمع في تلك الناحية دخله الكثير من السلبيات التي أثرت على حياة الفرد والأسرة، وهذا مما سبب في ارتفاع نسبة التفكك الأسري، والقطيعة بين أفراد الأسرة أو القرية أو العشيرة الواحدة. والشحناء والاختلافات بين أفراد أي مجتمع قديما وحديثا موجودة، لكن نسبتها في السنوات الأخيرة ازدادت وإذا لم تعالج فقد يصل بعضها إلى ظاهرة عامة تؤثر على النسيج الاجتماعي فتدمره وتقضي عليه.

ليس مجتمع محافظة بلقرن مقصوراً على الأفراد أو الأسر المحلية في القبيلة أو العشيرة الواحدة، بل يوجد في المجتمع الكثير من العناصر الأخرى العربية وغير العربية. ففي الماضي جاء إلى هذه المجتمعات بعض الأفراد والأسر النازحة من مناطق أخرى وقد تكون أصولهم غير عربية مثل الأفارقة وغيرهم، ثم خالطوا بعض الأسر والعشائر، وكان بعضهم من الرقيق، ثم تحرروا وأصبحوا ينتمون إلى قبائل وعشائر سادتهم، وكثير من هذه الفئات موجودون في منطقة تهامة، ولا تخلو السراة من بعضهم[١].

وهناك عناصر عربية أخرى جاءوا من داخل المملكة العربية السعودية أو من بعض البلاد العربية للعمل في بعض الأعمال الحكومية أو الأهلية[٢]، وأيضاً هناك أجناس بشرية وفدوا إلى محافظة بلقرن خلال الثلاثين سنة الماضية للعمل في بعض الأعمال الاجتماعية أو الاقتصادية أو التعليمية مثل: الهنود، والباكستان، والبنجال، والفلبين، وأندونيسيا وغيرها[٣].

وهناك صور أخرى من حياة مجتمع المحافظة نذكرها في النقاط التالية:

أ - تتكون التركيبة البشرية من مدن، وبلدات، وقرى صغيرة وكبيرة، والمدن مثل: سبت العلاية، والبشائر، والبظاظة، تتألف من مجموعات سكنية وشوارع صغيرة تربط بين أجزاء المدينة، وأهمها الشارع الرئيسي الذي يصل بين الطائف وأبها ويمر من وسط هذه المدن. أما البلدات والقرى الكبيرة فتراها متناثرة في أرجاء المنطقة مثل: آل سلمة، وقرن بن ساهر في باشوت، والفوهة، وعفراء وغيرها. وهناك عشرات القرى الصغيرة والكبيرة في أنحاء المحافظة، ولا تخلو المنطقة من القرى القديمة المندثرة، وكثير منها أصابها الدمار والخراب، وبعض المنازل القديمة في بعض القرى ما زالت مسكونة ببعض الأسر السعودية الفقيرة، وهي قليلة، وبعض العمال والأفراد الذين وفدوا إلى المنطقة للعمل في مهن وأعمال مختلفة[٤].

---

(١) الذاهب في بلاد تهامة والسراة يرى بعضاً من هذه الفئات وهم اليوم سعوديون ويتمتعون بكامل المميزات التي يحصل عليها أي سعودي (ذكراً أو أنثى).

(٢) وهذه العناصر كثيرة يعملون في كثير من القطاعات العامة والخاصة مثل: المصريين، والسوريين، واليمنيين.

(٣) اثناء تجوالي في المحافظة رأيت كثير من هذه العناصر تعمل في السواق وبعض المهن والحرف الاقتصادية والاجتماعية وغيرها. المصدر: مشاهدات الباحث في الفترة من (١٥-١٧/١١/١٤٣٧هـ).

(٤) مشاهدات الباحث في الفترة من (١٥-١٧/١١/١٤٣٧هـ). والقرى القديمة ومقارنتها مع المدن والأحياء الجديدة من الموضوعات التي تستحق أن يفرد لها دراسة علمية.

وكل قبيلة أو عشيرة لها ناحية تستوطنها، ولها مزارع وأحمية وعقارات تتوارثها الأبناء عن الآباء، وفي العصر الحديث استحدثت مخططات حديثة تشرف عليها البلديات وبعض المؤسسات الإدارية الأخرى، وفي هذه المخططات قامت قرى وأحياء عديدة، ونشاهد ذلك في حاضرة سبت العلاية، والبشائر، وعفراء، حيث استوطن في هذه النواحي الجديدة أفراد وأسر من عموم المحافظة، وبعضهم من مناطق أو قبائل خارجية، حيث اشتروا أراضي في هذه الأجزاء وعمروها وسكنوها أو استثمروها[١].

ب- الدارس لأوضاع العمارة في عموم المحافظة يدرك التنوع، فهناك قرى وحصون وآبار ومساجد وطرق وأسواق ومقابر قديمة، ولا تخلو أي ناحية في المحافظة من هذه الأبنية، ومعظمها إن لم يكن جميعها اندثرت[٢]. أما العمارة الحديثة فهي السائدة، ومنها:

١. العمارة السكنية والتجارية والدينية، فالسكنية، هي جميع المنازل في المدن والقرى، وتتفاوت في مساحاتها، وارتفاعها حيث تتراوح من طابق واحد إلى عدة طوابق حسب المكانة الاجتماعية والحالة الاقتصادية لكل أسرة. والغالبية العظمى تتراوح منازلهم من دور إلى ثلاثة أدوار غير الأحواش والملاحق وبعض الغرف الخاصة بالخدم والحراس عند بعض الأسر المقتدرة مالياً. وجميع مواد البناء من الخرسانة المسلحة، ونادراً من يستخدم الطين والحجر كما كان يفعل الأوائل[٣]. والأبنية التجارية في بعض القرى الكبيرة أو المدن الرئيسية مثل: الدكاكين المختلفة، والورش الصناعية، والأسواق الصغيرة والكبيرة، والفنادق والشقق المفروشة، وبعض الوكالات والمعارض وغيرها. وكذلك الاستراحات الخاصة، وصالات الأفراح والاستراحات

---

(١) نشأة هذه القرى والأحياء الجديدة جديرة بالبحث، فتدرس مواقعها، وأسباب اختطاطها، والعشائر والأسر التي سكنتها، والتطورات التاريخية والحضارية التي عاصرتها، ثم مقارنة تركيباتها الاجتماعية والاقتصادية مع غيرها من المدن والقرى القديمة في المحافظة.

(٢) العمارة القديمة في محافظة بلقرن جديرة بالبحث والدراسة، ونأمل أن نرى باحثاً جاداً يدرسها خلال القرون الماضية المتأخرة دراسة علمية موثقة.

(٣) العمارة قديماً من الحجارة والطين، وكان هناك بوادي، وبيوت أهلها من الشعر، وما زلنا نشاهد بعض البدو في نواحي عديدة من المنطقة ومعظم بيوتهم من الزنك وأحياناً يستخدمون الخيام أو بعض الأغطية من البلاستيك.

التجارية الموجودة في محافظة العلاية، والبشائر، والبظاظة[١]. ونجد هذا النوع من العمائر على طريق أبها الطائف الرئيسي الذي يجتاز مدن سبت العلاية، والبظاظة، والبشائر، وباشوت، ومركز خثعم، فعلى جانبي هذا الطريق يوجد أنواع عديدة من هذه العمائر التجارية، التي تتراوح طوابقها من الواحد إلى السبعة والثمانية أدوار. وإن دخلت في القرى أو الطرق الممتدة من آل سلمة إلى باشوت والبشائر أو سبت العلاية أو عفراء أو شواص فسوف ترى العديد من الدكاكين التجارية المتنوعة في مساحاتها وارتفاعها ومعروضاتها. وعلى هذه الطرق وداخل المدن والقرى عشرات المساجد والجوامع المتفاوتة في سعتها ومواقعها وجودتها، ومن اشهر وأكبر المساجد التي زرتها: جامع آل سلمة، وجامع أويس القرني، وجامع هارون الرشيد بالحنيك، وجامع آل يزيد، وجامع آل عبيد، وجامع الخلفاء الراشدين في العلاية، وجامع سوق السبت، ومسجد عثمان بن عفان شمال العلاية، وجامع البظاظة، وجامع الجوهرة في عفراء وغيرها[٢].

٢. العمارة الحكومية والأهلية، منها الرسمية الخاصة بالدولة أو المستأجرة، والفاحص للحياة الإدارية في محافظة بلقرن يجدها تحتوي على جميع المؤسسات الإدراية مثل: المحافظة، والمحكمة، والشرطة، وإدارات أخرى للتعليم مثل: المدارس والمعاهد، وفرع جامعة بيشة. والصحة كالمستشفى ومراكز الرعاية الأولية، ومراكز الدعوة، وإدارات الشئون الاجتماعية، والبلديات، وغيرها[٣]. فجميع المؤسسات الإدارية توجد في أبنية حكومية وبعضها عمائر مستأجرة من المواطنين، ولا تخلو المحافظة وجميع المراكز

---

(١) مشاهدات الباحث في الفترة من (١٥-١٧/١١/١٤٣٧هـ).

(٢) الذاهب في الطريق الممتدة من بلاد قحطان إلى الطائف يشاهد ظاهرة الجوامع الكبيرة التي تم تشييدها على طريق أبها الطائف الرئيسي، وأحياناً يرى جوامع أخرى كبيرة، وسط المدن والقرى في أرض السراة الممتدة من وادعة جنوباً إلى وسط مدينة الطائف شمالاً. وعمارة المساجد الحديثة في هذه البلاد جديرة بالبحث والدراسة، وأيضاً المساجد القديمة في هذه البلاد تستحق من يدرسها في بحوث عديدة، ونأمل من طلابنا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد أن يلتفتوا إلى مجال العمارة في بلاد تهامة والسراة فتدرس في رسائل وبحوث علمية.

(٣) تاريخ القطاع الإداري الحكومي والأهلي في محافظة بلقرن جدير بالبحث والدراسة. نأمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخ جميع المؤسسات الإدارية في عموم المحافظة، خلال الستين عاماً الماضية، وهذا الموضوع جدير بالبحث ويستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية.

من إدارات رسمية تتراوح ارتفاع أبنيتها من طابق إلى عدة طوابق حسب حجم كل إدارة وعدد موظفيها وأهميتها في المنطقة.

٣. الطرق والأسواق: في المحافظة شبكة طرق برية جيدة، والطرق الرئيسية هي: (أ) طريق الطائف ابها الذي يمر من وسط مركز خثعم عند جبل البلس، فالبشائر، ثم باشوت حتى آل سلمة، وهو طريق مزدوج، ويتفرع من جنوب غرب العلاية حتى وسط مدينة العلاية ثم البطاظة، وعفراء إلى بيشه وهو أيضاً مزودج، ويوجد في بعض نواحي المحافظة طرق مسفلته ومزدوجة كالذي يخرج من العلاية إلى القوباء، أو من الطريق الرئيسي إلى الفوهة، أو من سبت العلاية إلى باشوت. أو من قرن بن ساهر إلى البطاظة عبر متنزهات شيبانه. ومعظم أجزاء المحافظة وقراها وبواديها واشعافها مربوطة بطرق معبدة، غير مزدوجة، ونادراً ما نجد قرية أو ناحية لا تربط بخط مسفلت[١]. وجميع الطرق الرئيسية وبعض الطرق الفرعية لا تخلو من خدمات المسافرين مثل: محطات الوقود، وبعض الصرافات البنكية، وورش وبناشر لخدمة السيارات، وبعض الدكاكين وأسواق للمواد الغذائية، وأحياناً بعض المطاعم و(البوفيهات) وأماكن استراحة وشرب القهوة والشاي[٢]. وهناك طرق تربط بين أعالي السروات والاصدار وتهامة[٣]، وتعرف باسم العقبات، ومفردها (عقبة). ويوجد في المحافظة أثناء زيارتها ست طرق تسلكها السيارات من أعالي السروات إلى تهامة، وتلك العقبات من الشمال إلى الجنوب:

---

(١) هذه البلدان مثل: محافظة بلقرن وغيرها كانت خالية من شبكة الطرق المسفلتة التي تربط جميع أجزائها، وفي الخمس عشر سنة الأخيرة حدث طفرة عظيمة في إنشاء الطرق في جميع أنحاء المملكة، ونالت منطقة عسير نصيب جيد من هذه الطرق فلا ترى ناحية أو بلدة أو قرية من جبال البلس شمالاً إلى وادعة وسراة عبيدة جنوباً إلا وفيها مئات الطرق المسفلتة التي تربط سهولها بجبالها وأوديتها، وقراها بمدنها وحواضرها.

(٢) مشاهدات الباحث خلال ثلاثة أيام من (١٥-١٧/١١/١٤٣٧هـ).

(٣) أثناء تجوالي في أرض المحافظة جلست مع بعض المسنين من شمران وعليا وخثعم فأخبروني أن هناك طرقاً عديدة قديمة كانت تربط بين السراة وتهامة، يسلكها المسافرون مشياً على الأقدام، وأحياناً يستخدمون الحمير التي يحملون عليها بعض أمتعتهم. وكانت هذه الطرق تستخدم بالسرويين الذين ينزلون إلى بعض الحلال في الأصدار، أو يذهبون للتجارة أو البحث عن الرزق في أسواق العرضيات والقنفذة. كما أن بعض سكان العرضيات كانوا يصعدون إلى السروات من تلك الطرق الصغيرة الضيقة.

أ - **عقبة الخشبة:** وتبدأ من الفوقاء شمال جبل البلس في سراة خثعم وتصل إلى العرضيـة الشمالية وتعد هذه الطريق من أسهل الطرق في المحافظة، وهي مسفلته وتسلكها جميع السيارات الصغيرة والكبيرة.

ب - **عقبة آل يزيد:** تخرج من آل يزيد في البشائر بلاد عليان حتى تصل بلاد العوامر في العرضية الشمالية.

جـ- **عقبة الملك:** من قرية الملك في عليان بباشوت وتصل إلى قرية مشرفة في تهامة.

د - **عقبـة نصاب:** تخرج مـن قرية السقيفة في عليـان، إلى بلاد آل كثير في العرضية الشمالية، وهذه العقبة تأتي في المرتبة الثانية من حيث السهولة بعد عقبة الخشبة.

هـ- **عقبـة الشعـف:** وتبدأ مـن شعف بلقـرن حتى تصل بلـدة ثريبـان في العرضية الجنوبية، وذكر لي أن معظم السيارات، وبخاصة ذات الدفع الرباعي، تسلكها.

و - **عقبـة آل الزاريـة:** تخرج مـن قريـة آل الزارية جنـوب المحافظة حتى تصل قرية اللحمتين في العرضية الجنوبية. وجميع هذه العقبات مسفلته، وتتفاوت في طولها وفي وعورة أرضها[١].

والأسـواق ذات صلـة قوية بالطـرق، ففي الماضي عرفت أرضـ المحافظة عدد من الأسواق الاسبوعية مثل: اثنين آل سلمة، وسبت حجاب، وسبت العلاية، وجمعة الحميـد، وخميسـ البظاظـة، وسوق الاثنين في عفـراء، وأسواق أخـرى عديدة في بـلاد شمران وعليان وخثعـم وآل حبة (العوامر). وقد زرت بعض من هذه الأسواق فوجـدت أغلبها اندثر[٢]، وحل محل بعضها أسـواق يومية، مثل سوق سبت العلاية

---

(١) الذاهـب من الطائف إلى ظهران الجنوب يشاهـد عشرات العقبات التي تربط تهامة بالسراة، وكانت في الماضـي طرقاً بدائية يسلكها المشاة مع الدواب، واليوم تحولت إلى طرق معبدة مسفلتة تسلكها السيارات بـدلاً من الدواب، ومن أكبر العقبات المعروفة اليـوم، عقبة الباحة، وعقبة شعار، وعقبة ضلع جنوب أبها، فهذه العقبات تسلكها جميع السيارات، أما باقي العقبات فهي تتفاوت في سهولتها واتساعها.

(٢) معظـم الأسـواق الاسبوعيـة اندثرت، ما عدا سـوق خميس البظاظـة وسوق عفراء فمـا زالا يعملان في يومهمـا الاسبوعي في ديار بلقرن. وأقول أن الأسـواق الاسبوعية في عموم محافظة بلقرن جديرة بالبحث والدراسـة، ونأمـل أن نرى باحثاً جاداً يدرس كل سوق اسبوعي في هذه البلاد دراسة علمية أكاديمية، وأنا على يقين أنه ما زال هناك مصادر مدونة وروايات شفاهية تحفظ الكثير من تاريخ هذه الأسواق.

الــذي تعرض فيــه الكثير من السلع، ويعمل طـول اليوم. والنـاظـر إلى معظم أماكن هذه الأسـواق الشعبية يجدها اندثرت، وأحياناً استبدلت أرض السوق بأبنية ومعالم تجارية وسكنية أخرى. أما الأسواق اليومية في المحافظة فهي منتشرة في أنحاء البلاد، وتوجد في أبنية خرسانية مسلحة، وتتفاوت في أحجامها، ومساحاتها، وطوابقها[١].

٤- أبنية أخرى:

ومـن أنواع العمارة المقابـر المتناثرة في أنحاء المحافظة، وقـد قامت البلديات بتسويرهـا بأسوار مسلحة يصل ارتفاعها إلى متريـن وأكثر، وهناك مقابر خاصة لبعضـ القـرى أو العشائـر أو الأسر سورهـا أصحابها، أو بعضـ فاعلي الخير من الأغنياء والمقتدرين[٢]. وهناك أبنية أخرى مسلحة في بعض المتنزهات مثل: أماكن للجلوسـ، وحمامات، وبعض الأسوار من البلك والخراسانة، وفي أجزاء عديدة من سـروات المحافظة بعض الأسوار الحجريـة المشابهة للمدرجات الزراعية القديمة، إلا أنها أكبر وأكثر ارتفاعاً وأشد صلابة لأنها تبنى بأحجار كبيرة وتستخدم الآلات الحديثة في بنائها[٣]. وفي بعض أجزاء المحافظة نرى أسواراً من البلك والخرسانة وأحياناً من الحجارة تحيط ببعض الأراضي أو أجزاء من الجبال أو بعض الأودية، وهــي بشبيه الأحمية القديمة[٤]، وعند السؤال عن هذا النوع من البناء علمت أنها

---

(١) سوف نشير إلى بعض الأسواق اليومية الموجودة في المحافظة في صفحات تالية من هذا البحث. ونأمل أن يقـوم أحد الباحثـين من محافظة بلقرن فيدرس الأسواق الاسبوعية واليوميـة (دراسة مقارنة)، ويوضح تفاصيل الحياة الاقتصادية والاجتماعية فيها، مع أوجه الشبه والاختلاف بين هذه الأسواق.

(٢) أثنـاء تجوالي في بعض أجزاء المحافظة شاهدت مقابر قديمة، وأجزاء منها مبنية فوق الأرض، ولا أدري إلى أي عصر يعود تاريخها، وفيما يبدو أنها خلال العصور الإسلامية، وربما أنشأها أناس يجهلون حرمة بناء القبور فوق سطح الأرض. وقد رأيت أيضاً مثل هذا النوع من المقابر في نجران، ورجال الحجر، وبلاد غامد وزهران. ونقول أن مثل هذه المقابر القديمة جديرة بالبحث والدراسة وتستحق من يدرسها في هيئة بحوث أو رسائل علمية أكاديمية.

(٣) هذا النوع من الأبنية يعرف عند بعض أهل السراة بـ (المرفى) وجمعها (مرافي)، وعادة تستصلح بعض الأراضي أو الهضاب أو سفوح الجبال من أجل البناء فيها والتعمير، ويلجأ الناس لمثل هذه (المرافى) من أجـل تسوية الأرضـ، فيبنى السور في الجزء المنخفض من الأرض ثم يدفن خلفه حتى يتم تسوية الأرض، ونـرى الكثـير من هذه الجدر (المرافـى) في عموم بلاد السراة من أبها حتـى الطائف. وتعد هذه المرافى مـن الأبنية الحديثة التي لم يعرفهـا الأوائل، وكانوا سابقاً يكتفون بالمدرجـات الزراعية التي تحفظ تربة المزارع، والتي نشاهد كثيراً منها ماثلاً للعيان في هذه السروات.

(٤) عرفـت بلاد بلقـرن وشمران وغيرها الأحمية القديمـة الخاصة ببعض الأسر أو القـرى أو العشائر، وما زال بعضها معروفاً حتى الآن، ففي شمال المحافظة حمى قديمة يعرفه عامة الناس باسم (حمى خثعم)، وكثير من الغابات في المحافظة استولت عليها الدولة وحولتها إلى متنزهات أحاطت بعضها بأسوار، أو حواجز حديدية.

أراضٍ خاصة لبعض الأفراد أو الأسر. وهناك بعض الأراضي السكنية في الأملاك الخاصة، أو في القرى أو المدينة أو بعض المحافظات الرسمية محاطة باسوار يرتفع بعضها إلى متر وأحياناً مترين[١].

٢-الطعام واللباس:

جرى على الطعام والشراب في المحافظة الكثير من التغيرات، ففي السابق، حتى نهاية القرن الهجري الماضي (ق١٤هـ/٢٠م)، كانت معظم الأشربة والأطعمة من صنع محلي، فالمواد الرئيسية لأغلب المأكولات من ناتج المزارع، والثروات الحيوانية[٢]. ولا تخلو الأسواق الأسبوعية آنذاك من أطعمة وأشربة مستوردة من أسواق الحجاز وبيشة والقنفذة وعسير وأحياناً من اليمن وبعض البلدان العربية[٣].

وفي العصر الحالي كثرت أنواع الأطعمة والأشربة حتى أنه صار من الصعب حصرها. والذاهب إلى أي سوق صغير أو كبير في محافظة بلقرن سيرى مئات الأنواع من الأطعمة النباتية والحيوانية، وكثيراً منها ما زالت مواد غذائية خام مستوردة من أماكن عديدة داخل المملكة العربية السعودية وخارجها، وأيضاً أطعمة وأشربة كثيرة في الأسواق التجارية جاهزة للأكل، ومنها الحيواني والنباتي. وأطعمة أخرى

---

(١) لا ندعي في هذه الجزئية أننا أشرنا إلى جميع أنواع العمارة في المحافظة، ونقول أن العمارة الحديثة والقديمة في هذه السروات جديرة بالبحث والدراسة، ونأمل أن نرى باحثاً جاداً يدرسها دراسة علمية تحليلية موثقة.

(٢) مهنتا الرعي والزراعة في الماضي أساس الحياة الاقتصادية في السروات، وسكان محافظة بلقرن وغيرها من محافظات وبلدان السراة يعتمدون اعتماداً كلياً على كسب معايشهم من هاتين المهنتين، فأغلب أشربتهم وأطعمتهم من محاصيلهم الزراعية ومن ثرواتهم الحيوانية. وتاريخ الرعي والزراعة في أرض تهامة والسراة خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) من الموضوعات التي يستحق أن يصدر عنه عشرات الكتب والرسائل العلمية، ويوجد هناك الكثير من المصادر المكتوبة والمروية التي تخدم هذا الميدان، ونأمل من الأقسام التاريخية الأكاديمية في جامعات تهامة والسراة أن تولي هذا الباب أهمية كبيرة في بحوثها ورسائل طالباتها وطلابها. والزائر لبعض المتاحف الخاصة المحلية يرى فيها كثيراً من الأدوات المنزلية التي كانت تستخدم في طهي كثير من الأطعمة والأشربة في بلاد شمران وبلقرن وخثعم، ومنها المواد الحديدية والخشبية والجلدية التي كان معظمها صناعة محلية.

(٣) الدارس لكثير من كتب الرحالة العرب والأجانب، والسامع للروايات الشفاهية المحلية، والناظر في الوثائق المحلية غير المنشورة، والمصادر والمراجع المطبوعة، سيجد مادة علمية كثيرة عن الأسواق الاسبوعية في أرض تهامة والسراة، وأنواع الأطعمة والأشربة التي تصدر إليها من داخل الجزيرة العربية وخارجها، وعن أسعارها وزبائنها. ولهذا فالأسواق الاسبوعية في محافظة بلقرن وما جاورها من أرض السروات كان يصل إليها الكثير من تلك البضائع والمواد الغذائية. ونأمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخ الأغذية والأشربة التي تُباع للناس في السروات خلال القرون الماضية المتأخرة.

تجمع بين المكونات النباتية والحيوانية[١]. وفي هذه الورقات لن نفصل الحديث على المواد الغذائية المعروضة للبيع في الأسواق الكبيرة، والصغيرة في أنحاء المحافظة، أو حتى في الأسواق الاسبوعية أو اليومية، مثل مدينتي سبت العلاية أو البظاظة وغيرهما، وإنما نجمل الحديث عن بعض الأطعمة والأشربة القديمة التي ما زالت مستخدمة، وكذلك صور من الأطعمة والأشربة الحديثة التي عم انتشارها عند معظم الناس[٢].

ومن الأطعمة القديمة التي ما زالت متداولة بين الناس وبخاصة عند أهل القرى والأرياف والبوادي، وعند كبار السن من الرجال والنساء: العصيدة، أو العريكة، أو الأقراص التي تصنع من حبوب الحنطة أو الذرة، وبعض الإدامات التي تجمع بين المواد النباتية كالكوسة والبامية والفاصوليا والبطاطس، والطماط والبصل وغيرها، وبين اللحوم من الضأن أو الماعز أو البقر أو الجمل[٣]. وأيضاً التمر وبعض الخضروات والفواكه التي يزرع بعضها في سروات بلقرن أو يستورد شيء منها من داخل البلاد أو خارجها وتقدم في بيوت العامة والخاصة مع القهوة العربية، والماء، والشاي، وبعض الأشربة الأخرى المحلية، كالمرق، والحساء المصنوع من دقيق البر أو الشعير، أو الذرة، أو المرسة: وهي شربة التمر المنقوع في الماء[٤].

---

(١) إيجاد دراسة مقارنة بين الأطعمة والأشربة القديمة والحديثة في محافظة بلقرن، أو منطقة عسير، من الموضوعات الجديدة والجديرة أن يصدر عنها رسالة علمية أو كتاب علمي موثق.

(٢) موضوع الأطعمة والأشربة من الموضوعات الحضارية التي يمارسها الناس يومياً، ولا يلتفت إليها الكثير من الباحثين في العصر الحديث، وهي في اعتقادي من المجالات المهمة التي يجب بحثها ودراستها مع الحرص على ربط الماضي بالحاضر والمعاصر وما جرى من تحولات وتاثيرات على تاريخ الطعام والشراب في العصور القديمة والحديثة.

(٣) كل هذه الأكلات كانت هي السائدة عند عموم السكان في السابق، وما زال الكثير منها يعمل ويطهى عند كثير من الأسر في البوادي والقرى والمدن الرئيسية. المصدر: شاهدت كثيراً من هذه الأطعمة عند بعض الأسر التي زرتها في بلاد خثعم وشمران وبلقرن أثناء زيارتي للمنطقة في الفترة من (١٥-١٧/١١/١٤٣٧هـ)، وسمعت شيء من التفصيلات عن بعضها من الأعلام والأعيان الذين قابلتهم في بعض مدن وقرى المحافظة.

(٤) المصدر: هذا ما سمعته من بعض رجال شمران وخثعم، وأيضاً وجدت ذكره في بعض الوثائق التي حصلت عليها من بعض الأسر أثناء تجوالي في المحافظة، وأثناء زيارات أخرى قديمة لكل من بلاد غامد وزهران وبلاد القنفذة. وأقول إن هناك بعض الأوراق والوثائق والقواعد القبلية المحلية التي يوجد فيها بعض المادة العلمية عن الأطعمة والأشربة القديمة، أسماؤها، أنواعها، مكوناتها، أسعارها، أماكن وجودها، في بلاد تهامة والسراة، وهي جديرة بالجمع والدراسة، لأنها تعكس صوراً تاريخية حضارية لهذه البلاد خلال القرون الماضية المتأخرة وبخاصة القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي).

وعنــد مقابلتي بعضــ الأعلام في منطقة شمــران وخثعم وبلقــرن سمعت مفردات محلية لبعضــ الأطعمة والأشربة التي كانت تستخدم قديمــاً، وكثيراً منها انقرض وحل محله أطعمة وأشربة حديثة[١].

أمــا الأطعمة والأشربــة الحديثة فهي باب واسع، والزائــر للمحافظة، والمرتاد لمطاعمها التجارية في سبت العلاية، وعلى الطرق الرئيسية من خثعم والبشائر إلى باشــوت، أو البظاظة وعفــراء أو سبت العلاية، أو داخل محافظة العلاية وفي بعض القرى الكبيرة مثل: قرن بن ساهر، وقرية الفوهة فإنه سوف يجد عشرات الأشربة والأطعمــة التــي تقدم في هذه المطاعم مثــل: اللحوم بأنواعهــا، والإدامات، والأرز، والسلطــات، والمشروبات الغازية، والحلويــات، والمقبلات وغيرها، ومعظم الأطعمة والأشربــة المقدمة تستورد موادها الغذائية، مــن الأسواق الكبيرة والصغيرة داخل المحافظــة ومن خارجهــا، ومنها المصنوع محليــاً داخل المملكة العربيــة السعودية، ومنها الذي يصدر إلى البلاد من بلدان عديدة في العالم[٢]. كما أن معظم القائمين علــى طهي الأطعمــة والأشربة في هذه المطاعــم بأنواعها أيد عاملــة مستوردة من اليمــن والشام، ومصر، والسودان، وبعضــ دول شرق وجنوب شرق آسيا، كالهنود، والباكستان، والأفغان، والبنجال، والنيبال، والأندونيسيين وغيرهم[٣].

وإذا نظرنــا في المطابخ والمطاعم الكبــيرة في المحافظة، نجدها تقدم الأطعمة الخاصة بالولائم والمناسبات الكبيرة مثل: ذبح الخراف والماعز والجمال التي تقدم

---

(١) سمعت مفردات محلية عديدة للأشربة والأطعمة القديمة، التي كانت تستخدم في البادية وبعض الأرياف القرنيــة والشمرانيــة، وعندما سألت عنها قالــوا: إن مكوناتها من الحبوب وبعضــ النباتات المحلية مثل: البرسيــم، ولحــاء بعض الأشجار، وبعضــ النباتات المحلية، وكانت سائدة أيام الجــوع والفقر عندما كان الناس لا يملكون شيئاً من حطام الدنيا. واقول: إن الواجب على الباحثين والدارسين الجادين في محافظة بلقرن أن يجمعوا المادة العلمية الخاصة بتلك الأطعمة وغيرها من الصور الحضارية التي عرفها المجتمع قديمــاً، ثم إن المفردات المحلية في المنطقة مــن الميادين الجديدة، التي يجب جمعها ودراستها ومقارنتها، واعلــم أن في هــذه المحافظة عشرات الأساتذة المتخصصين في علم اللغــة العربية، وعليهم مسئولية تجاه موروث بلادهم مثل اللهجات وغيرها ليقوموا بدراستها دراسات علمية موثقة.

(٢) تاريــخ الأطعمة والأشربة في العصر الحديث بمنطقة عسير من الموضوعات التي يجب دراستها في بحوث ورسائل علمية عديدة، وهذه مسئوليات الأقسام العلمية في جامعتي الملك خالد وبيشه.

(٣) موضــوع الأيــدي العاملة في الحيــاة الاجتماعيــة والاقتصادية بمحافظــة بلقرن مــن العناوين الجديدة الجديــرة بالبحث. والذاهــب في شوارع المحافظة الرئيسية يجد هناك بعضــ المطاعم المتخصصة، مثل: مطاعــم الأكلات الشعبيــة والقائمون عليها مــن الأيدي العاملــة اليمنية، ومطاعم شاميــة، وباكستانية، وبنجالية، وهندية، وترى جميع هذه المطاعم مليئة بالزبائن من شتى شرائح المجتمع.

في الأعراس ومناسبات اجتماعية أخرى عديدة. وجميع أهل المحافظة يرتادون هذه المطابخ أو ما يعرف بعضها بـ (المندي، أو الحنيذ) فيعدون ولائمهم هناك، ثم يجلبونها إلى مواقع المناسبات وسواء كان في المنازل الخاصة، أو في الصالات وقاعات الاحتفالات الكبيرة، أو حتى في الاستراحات الصغيرة أو الخاصة[١]. ومعظم الأطعمة المقدمة في هذه المطابخ أو المنادي هي من اللحوم والأرز، والسليق، والمرق وبعض الإدامات من اللحم وبعض الخضروات[٢].

والأسر في المدن والقرى يقومون بإعداد أطعمتهم في منازلهم، وجميع موادها الأولية تجلب من السوق مثل: اللحوم، والبقوليات، والخضروات، والأرز، والسكر، والشاي وغيرها من الأطعمة النباتية والحيوانية[٣]. وهناك أسر وأفراد يشترون أطعمتهم واشربتهم من المطاعم وبخاصة المسافرين، أو الساكنين في الفنادق والشقق المفروشة، وأيضاً بعض الأفراد وأرباب الأسر يجلبون أطعمة جاهزة

---

(١) كان الناس في السابق يعتمدون على أنفسهم في طهي وجباتهم التي تقدم لضيوفهم في جميع مناسباتهم، بل كان أفراد القرية الواحدة يتعاونون في اعداد مثل هذه الأطعمة، وكذلك النساء كن يقمن باعداد بعض الأطعمة الرئيسية في الولائم مثل: العصيد، والعريك، وأقراص الخبز. وفي العصر الحديث قامت المطابخ بالكثير من هذه الأعمال، وما زال النساء يقمن على إعداد بعض الأطعمة الشعبية في المناسبات، وهناك بعض الأسر في الأرياف (وهم قليلون)، يقومون على إعداد ولائمهم في منازلهم. والسائح في أرجاء المحافظة يشاهد انتشار الكثير من صالات الأفراح، والاستراحات الخاصة بالاحتفالات والمناسبات الاجتماعية المختلفة.

(٢) أقوم بجولات في مناطق عديدة من بلاد تهامة والسراة، وقد حضرت عدداً من المناسبات المختلفة في بلاد قحطان وشهران وعسير ورجال الحجر وشمران وبلقرن وغامد وزهران، وكذلك في بيشة ومحايل والدرب والقنفذة، ولاحظت التبذير الذي يقع فيه كثير من الناس، فأحياناً يكون عدد الضيوف واحداً وربما اثنين وثلاثة، والحضور لا يزيدون عن مئة رجل ثم يقدم المضيف عدداً من الذبائح، وربما قدم معها جملاً، ثم يبدأ الناس في الأكل، وعند الانتهاء ترمى هذه الأطعمة في أماكن القمامة، أو في الجبال والأودية. وفي العشرين عاماً الأخيرة نجد هذه الظاهرة توسعت عند كثير من شرائح المجتمع وبخاصة أهل البلاد، وهذه والله ظاهرة سيئة، يعاقب عليها صاحبها لما وقع فيه من السرف والتبذير، ويجب على عقلاء الناس من الدعاة والقضاء والإعلاميين والوجهاء والمربين وغيرهم أن يحاربوا هذه الظاهرة السلبية، ويحثوا الناس على الاختصار في حفلاتهم وولائمهم وأن يراقبوا الله، وأن يوازروا إخوانهم من المسلمين في أنحاء الكرة الأرضية وبخاصة المنكوبين الذين لا يجدون ما يقتاتون به.

(٣) بعكس الماضي، فكانت معظم الأسر تجني أشربتها وأطعمتها من مزارعها وحيواناتها، وإن جلبوا شيئاً من الأسواق الاسبوعية فتلك مواد غذائية محدودة مثل: القهوة،والسكر، وبعض الفواكه والخضروات وغيرها.

هذا ما عرفه الباحث وعاصره في نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) في سروات بلاد بني شهر وبني عمرو، ومثل هذا الوضع كان سائداً عند عموم أهل تهامة والسراة.

لأسرهـم، وأحياناً لضيوفهم. والسـكان القاطنون في المدينة أو القرى الكبيرة أكثر ارتيـاداً للمطاعـم التجارية، وأكـثر شراءً منهـا لأنفسهم وأفـراد أسرهم، بعكس سكان القرى الصغـيرة فأغلب أطعمتهم تطهى في منازلهم، والنساء هن من يقوم علـى إعداد الأطعمة في المنازل، وقـد يساعد الرجل في جلب وإعداد بعض الأطعمة الخاصة والعامة[١].

اللباس والزينة قديماً محـدودة، فألبسة البدن الخارجيـة للنساء والرجال لا تتجـاوز أصابع اليد من الثياب، والعباءات، والأردية، والأكوات وغيرها[٢]. والغالب على ألـوان ألبسة الرجال الأقمشـة البيضاء من الدوت (المـبرم) وبعض الأقمشة القطنية الأخـرى، أما النساء فألبستهن غالباً تكون من نفس أقمشة الرجال لكنها تصبـغ باللـون الأسود والأزرق. ويغطـي الرجال رؤوسهم بالعمامـة، أو ما يعرف بـ (الغـترة) أو (الدسمال)، وهـو قماش خفيف يلف على الرأس، وأحياناً يوضع على الرأس وتتدلى أطرافه على الصدر أو الظهر، ويلبس تحت (الغترة) طاقية، تعرف بـ (الكوفيـة) أو (القبعة) وهي مـن قماش القطن المخلوط بـ (النايلون). وتلبس النساء أقنعة على الرأس، وتغطي الفتيات غير المتزوجات رؤوسهن بمناديل صفراء أو بنيـة، أما المـرأة المتزوجة فيجب أن تلبس القناع الأسود[٣]. وقليـل من النساء والرجـال يلبسون أقمصة وسراويل داخلية لعدم وفرتها، أما ألبسة القدم فهي من البلاستيك، وأحياناً من الجلود [٤].

---

(١) المـرأة قديمـاً أكثر إيجابية في اسرتها، فهـي تساعد في كثير من أعمال الأسـرة الخارجة مثل: الزراعة، والرعـي، وجمع الحطب والماء وغيرها. كما أنهـا المسئولة في منزل زوجها فتقوم على تربية الأبناء وإدارة البيـت مـن نظافة وإعداد للطعام، ورعاية للزوج والأبناء واليوم تغيـرت أحوال المرأة كثيراً، فخرج الكثير منهـن إلى العمل، ومن لا تعمـل فإنها تخرج كثيراً للأسواق والزيارات وغيرهـا، وأصبحت أقل فاعلية في رعايـة الـزوج وتربية الأبنـاء، وجلبت كثير مـن الأسر الخادمة المنزليـة، التي تقوم بأعمـال البيت مثل: النظافـة، وتربية الأبناء، وأحيانـاً إعداد الطعام والشراب. وهذه الظاهـرة توجد بكثرة في المدن والقرى المتمدنـة. وللأسـف فالمدنية التـي يعيشها النـاس في منطقة عسير عمومـاً وأجزاء مـن محافظة بلقرن صاحبتهـا الكثير من السلبيـات مثل: ضعف التآلف والترابط في الأسر، وتخلـى الآباء والأمهات عن كثير من واجباتهم الرئيسية، وتزايد الأمراض الاجتماعية التي لم تكن موجودة عند الأجيال السابقة.

(٢) للمزيـد عن تاريخ اللباس والزينة في منطقة عسـير، كمحافظة بلقرن وغيرها، انظر: غيثان بن جريس. عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ) (جدة: دار البلاد، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، ص ٦٥ وما بعدها.

(٣) المرأة تلبس القناع الأسود، والبنات الأبكار يلبسن المنديل الأصفر، للتمييز بينهم حتى تعرف المتزوجة من البكر العزباء.

(٤) كان اللباس قديماً بسيطاً ومتواضعاً بسبب سوء الأحوال الاقتصادية عند عامة الناس في المحافظة، وفي عموم بلدان الجنوب السعودي.

عُرفت هذه الألبسة المتواضعة خلال العقود الوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م)، ومنذ ثمانينيات القرن الهجري الماضي استخدم بعض أهل البلاد شيئاً من الألبسة والأقمشة التي تباع في أسواقهم الأسبوعية، والمستوردة من مدن الحجاز، والقنفذة، واليمن، وأحياناً من خارج البلاد كالشام ومصر وغيرها[1].

وزينة الرجال والنساء محصورة في بعض النباتات العطرية؛ كالريحان، والشيح، والشار، والشذاب وجميعها تزرع في الأراضي القريبة من المنازل، كما استخدموا الحناء، وبعضِ الأحزمة المصنوعة من الجلد، والقماش، والبلاستيك. ويلبس بعض الرجال عقالاً على (الغترة)، وأحياناً يلبس الأعيان والوجهاء والشيوخ المشالح والعباءات الجيدة، وهناك من يلبس بعض الخناجر، والأحزمة المليئة بالرصاص أثناء حفلات الزواج، أوا لمشاركة في بعض المناسبات الاجتماعية أو العسكرية. أما النساء فيلبسن أحزمة من الفضة، وعدد قليل يلبس أحزمة من الذهب في الأعياد والحفلات العامة[2]، وغالبية النساء يضعن بعض الحلق والخواتم في الأصابع، أو مسك من الفضة، في المعصم أو العضد، ومنهن من يلبس قلائد وأقراطاً معدنية، ويكتحلن بالأثمد[3].

---

(١) هذا ما سمعته من بعض كبار السن في سبت العلاية، وباشوت والبظاظة،والبشائر. وقرأت بعض الوثائق الخاصة ببعض البضائع في سبعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) وفيها سلع ألبسة وأقمشة مستوردة من الطائف ومكة وبعشض الأسواق الاسبوعة المشهورة في بلاد غامد وزهران وعسير.

(٢) دراسة الزينة واللباس خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس في جميع محافظات ومدن مناطق عسير، وجازان، والباحة، ونجران. ونأمل أن يلتفت المؤرخون والباحثون الجادون لمثل هذه الأبواب الحضارية المهمة.

(٣) للمزيد انظر ابن جريس، عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص ٦٧ وما بعدها. ونقول أن دراسة تاريخ اللباس والزينة في محافظة بلقرن منذ بداية القرن (١٣هـ/١٩م) حتى ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) من الموضوعات الحضارية الجديدة، ويستحق أن يكون عنوان رسالة ماجستير أو دكتوراه، ونأمل من إحدى طالباتنا أو أحد طلابنا في برنامج الدراسات العليا بقسم التاريخ في جامعة الملك خالد أن يتخذ من هذا العنوان موضوعاً لاطروحة الماجستير أو الدكتوراه. كما نأمل من الزملاء أعضاء التدريس في أقسام التاريخ والآثار السعودية أن يوجهوا طلابهم في الدكتوراة والماجستير لدراسة بلدانهم المحلية، وهي ميادين بكر تستحق عشرات البحوث والدراسات.

إن الألبسة والزينة التي نشاهدها عند سكان محافظة بلقرن اليوم، تبدلت تماما عن زينة ولباس الأوائل، وذلك لأسباب عديدة، هي:

١. وفرة الأموال في أيدي الناس، وجود الأسواق الصغيرة، والكبيرة الخاصة باللباس والزينة[١].
٢. انفتاح العالم بعضه على بعض جعل آلاف الأنواع من الأقمشة والألبسة الداخلية والخارجية، وألبسة الرأس والقدم في متناول أيدي جميع سكان المحافظة.
٣. سهولة التنقل من أجزاء المحافظة إلى مدن وحواضر أخرى ساعد في الحصول على أي لبس رجالي أو نسائي، أو للأطفال، ثم اختلاط الناس في المدن والأسواق وغيرها، ودخول شبكات الاتصالات المتنوعة كل هذا سارع في انتشار مئات الموضات من الألبسة والزينة عند جميع شرائح المجتمع[٢].

والمتأمل في ألبسة الناس في المحافظة، يجد أن معظم الرجال والشباب يلبسون أثوابا بيضاء وأحيانا ملونة، والرجال وكبار السن يحرصون على تغطية رؤوسهم بالعمائم والعقال، ونادراً ما نرى رجالا أو شباباً يستخدمون أحزمة الوسط، ما عدا في مناسبات الزواج، فقد يلبسون بعض الأحزمة المرصوصة بالرصاص، وهناك أنواع عديدة من الأحذية والجزمات الخاصة بلبس القدم. ومن السعوديين شباباً وأحياناً رجالاً، ومعظم الذكور الوافدين إلى المحافظة يلبسون البنطال والقميص، ومنهم من يضع على رأسه (قبع) ذات أحجام وألوان مختلفة، والمتجول في أرجاء المحافظة يرى كثيرا من دكاكين الخياطة الخاصة بالرجال، وأماكن أخرى عديدة للنساء، والمتأمل في أسواق الألبسة والزينة سوف يجد عشرات الأنواع والألوان من الثياب والأكوات والمشالح والأردية، والجزمات والأحذية المصنوعة محليا، أوا لمستوردة من خارج المملكة[٣].

---

(١) من يتجول في أرجاء المحافظة وبخاصة الطريق الرئيسي من سبت العلاية إلى البظاظة، وفي البشائر فسيرى عشرات الأسواق الصغيرة والكبيرة المليئة بالألبسة المستودة من جميع أنحاء العالم. كما أن أدوات الزينة كثيرة في هذه الأسواق، وهناك متاجر أخرى مخصصة للزينة فقط، بالإضافة إلى دكاكين أخرى عديدة تتاجر في الذهب والأحجار الكريمة الأخرى.

(٢) التعليم، والسفر، وتنوع الثقافات عند الناس ساعد في التأنق في اللباس، حتى صار كثير من النساء وبعض الرجال يتبارون في لبس الموضات وشراء الألبسة وأدوات الزينة الفاخرة. وهذه السلوكيات نشاهدها في كثير من مجتمعاتنا، ومن يزر اسواق الأقمشة والألبسة فإنه يعجز عن معرفة أسمائها وأنواعها، وموديلاتها، وفنون لبسها، وأحيانا تنوع أسعارها.

(٣) دراسة ألبسة الرجال والشباب في محافظة بلقرن أو أي ناحية من بلدان تهامة والسراة من الموضوعات الجديدة التي تستحق أن يفرد لها دراسة مطولة منذ بداية القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر.

أمـا ألبسـة النساء والأطفال فهـي الغالبة على الأسواق المحليـة في المحافظة، والكثير من هذه الفئات من يذهب إلى المدن الكبرى في عسير أو الحجاز أو الرياض أو المنطقـة الشرقية لشـراء ألبسة وأدوات زينة متنوعة. والمدقـق في ألبسة النساء الحديثة يجد منها الطويل والقصـير، والضيق والعريض، والساتر والشفاف، وكل هذه الألبسة غزت أسواقنا المحلية، وصار نساؤنا يلبسن مثل النساء والفتيات اللاتي يشاهدونهن في القنوات الفضائية، ومعظم هذه الألبسة غير ساترة للجسد، ونادراً مـا نرى امـرأة تلبس الالبسة القديمة التـي كانت الأمهات والجـدات يلبسنها، مع أننـا شاهدنا كثير من هذه الألبسة القديمـة والساترة تباع في أسواق سبت العلاية والبظاظة وغيرها[1].

والذي يُجمّل المرأة السعودية هو لبسها للحجاب، وما زال محافظاً عليه في عموم البـلاد[2]، ومناطـق الأرياف والمجتمعات القبلية مثل محافظـة بلقرن ما زالت أشد تمسكاً من مجتمعات المدن، فتراهن محتشمات لابسات للحجاب بشكل جيد، وربما رأيت نساء عربيات وأحياناً سعوديات يتجولن في أسواق أو متنزهات المحافظة، وهن كاشفات الوجوه، وغير حريصات على تغطية أيديهن وأجزاء من أرجلهن[3].

---

(١) تجولت يومي الجمعة والسبت (١٦-١٧/١١/١٤٣٧هـ) في بعض أسواق المحافظة، ورأيت بعض الدكاكين الشعبية تبيـع أثواباً طويلة وواسعة، يطلق على بعضها الأثـواب العسيرية، وهي تصنع محلياً، وهناك أثواب أخرى ساترة وطويلة تستورد من بعض اسواق عسير والحجاز، وغالباً تكون خياطتها داخل المملكة العربية السعودية.

(٢) أن لبس الحجاب يخضع لنصوص شرعية في القرآن والسنة، ونظام الدولة السعودية يلزم المرأة بالحجاب في المدارس والجامعات والمؤسسات الحكومية. وللأسف نرى الكثير من النساء في المدن والأسواق يتهاون في لبـس الحجـاب بشكل سليم يحفظ جميـع أجزاء الجسد، ثـم إن الأسواق أصبحـت مليئة بالكثير من أنواع العباءات الضيقة أو الشفافة، أو القصيرة وأحياناً الملونة. والحرب القائمة ضد الحجاب من أعداء الإسلام ليست وليدة الساعة، وهناك مئات الكتب والدراسات العربية والأجنبية التي فصلت الحديث عن الوسائـل والأساليب عبر أطوار التاريخ الإسلامي مـن أجل اقناع المرأة بترك حجابها، والملاحظ في كثير مـن الـدول العربية والإسلامية أنها تخلت عن الحجاب، بل هنـاك حكومات أصدرت العديد من القوانين التي تجرم الحجاب وتعاقب من يلبسه من النساء.

(٣) هـذه أنمـاط من النساء في أنحاء المملكة، والذاهب إلى المدن والأسـواق الكبيرة يرى السفور متفشياً بين النساء، وكثيراً من النساء العربيات كالسوريات والمصريات والمغربيات يلبسن عبايات على صلب الجسد، ويتركـن أحياناً رؤوسهن مكشوفـة، وقد يغطينها بشكل مهلهل فلا يسترن الشعـر والعنق. وهذه الظاهرة غـزت بعض النسـاء السعوديات فأصبحن متهاونـات في لبس الحجاب بالطريقـة الصحيحة، وقد يلبس بعضهـن أحجبة مفتوحة من الأمام أو ضيقـة، ولا يلبسن تحتها إلا بنطالاً أو سراويل ضيقه تبين مفاتنهن أثنـاء المشي. وهـذا في اعتقادي من مظاهر الغزو الفكري الذي داهـم مجتمعاتنا واثر على كثير من قيم ومبادىء الناس الإسلامية.

٣- بعض الأعراف والتقاليد:

مجتمع المحافظة قبلي، ولديه الكثير من الأعراف التي ورثها من الأجيال السابقة مثل: الكرم، وحسن الجوار، والتعاون والتكاتف في كثير من الأفراح والأتراح[١]. ويوجد عند معظم عشائر المحافظة الكثير من الوثائق التاريخية التي تحارب الرذيلة، وتحفظ حقوق الفرد والجماعة، وتساعد على انتشار الأمن والترابط بين أفراد القرية أو العشيرة الواحدة، وتقوم على تنظيم حياة المجتمع والعلاقات بين أفراده[٢].

والحديث عن التقاليد والأعراف في محافظة بلقرن أو في منطقة عسير خلال العصر الحديث يحتاج إلى مئات الصفحات، كما أن هناك الكثير من الكتب والبحوث والرسائل العلمية المطبوعة، وأحياناً المدونات أو المسودات غير المنشورة، وجميعها فصلت الحديث عن كثير من العادات الاجتماعية التي عاشها الأوائل، وما زال يخضع لها ويمارسها كثير من القرى والمجتمعات التهامية والسروية[٣]. وفي الصفحات التالية لن ندخل في تفصيلات الأعراف والعادات في محافظة بلقرن، فهي موضوع جيد ويستحق أن يكون عنواناً لرسالة أو كتاب علمي موثق، وإنما اقتصرت في الحديث على ما شاهدته أو سمعته من أهل المنطقة أثناء زيارتي في نهاية عام (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م)[٤]، وهي على النحو التالي:

---

(١) الناظر في عادات وأعراف الزواج، والأعياد، واستقبال الضيوف، ومساعدة المحتاج أو المنكوب، وزيارة المريض، وغيرها ما زالت سائدة بين سكان المجتمع، لكنها خفت عما كان عليه جيل الآباء والأجداد. ورخاء البلاد وسعة الرزق وانتشار الأمن بين الناس من الأسباب الرئيسية التي جعلت الأعراف القديمة تتناقص. ودراسة التقاليد والأعراف قديماً وحديثاً في المحافظة من الموضوعات الجديدة حبذا أن يفرد لها عدد من الدراسات العلمية الموثقة.

(٢) يوجد في مكتبتنا مئات الوثائق والاتفاقيات والقواعد التي يعود تاريخها إلى القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م)، والسنوات الأولى من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وجميعها تدور في إطار تنظيم حياة الأسر والعشائر والقبائل في بلاد تهامة والسراة الممتدة من مكة والطائف إلى جازان ونجران. وجميع هذه الوثائق من إعداد أعيان ووجهاء وشيوخ العشائر. وغالباً يتم الاتفاق عليها من قبل أفراد الأسرة أو العشيرة التي أعدتها، وأحياناً يتم التصديق عليها من قبل شيخ القبيلة وبعض المؤسسات الإدارية، كالإمارة والشرطة.

(٣) للمزيد انظر مؤلفات عديدة مطبوعة ومنشورة للرحالين: فؤاد حمزة، ومحمد عمر رفيع، وفلبي، وفليب ليبنز. وانظر بعض المراجع المتأخرة التي صدرت خلال الأربعين سنة الماضية مثل: مؤلفات ابن زلفة، وأبو داهش، وغيثان بن جريس وكتب أخرى عديدة، وهناك الكثير من رسائل الماجستير والدكتوراة في أقسام التاريخ بالجامعات السعودية. وما زال هناك آلاف الوثائق غير المنشورة والمتناثرة في أيدي الناس، وبعض دور المحفوظات المحلية والإقليمية والعالمية وفيها مادة علمية كبيرة للحياة الاجتماعية في هذه الأوطان السروية والتهامية. أيضاً هناك الكثير من كبار السن والرواة الذين يجب السماع منهم والتدوين لمروياتهم قبل أن يغادروا هذه الدنيا.

(٤) أي خلال ثلاثة أيام (١٥-١٧/١١/١٤٣٧هـ الموافق ١٨-٢٠/أغسطس/٢٠١٦م).

أ - جميع شرائح المجتمع تعيش في أمن ورخاء، فتراهم ذاهبين آيبين في أعمالهم المختلفة، ويقضون مصالحهم المالية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية تحت مظلة الحكومة ومؤسساتها الإدارية متعددة الأهداف والمسئوليات. كما أن أبناء العشائر على صلات بعضهم ببعض لأنهم يعيشون في وطن واحد منذ القدم، ولهم نواب وشيوخ وأعيان ووجهاء يتشاورن معهم في كثير من أمورهم العامة والخاصة. والمتأمل في أعراف الزاوج، أو الإصلاح بين بعض الأسر أو الأفراد، وفي مناسبات الأعياد، والمآتم، واستقبال الضيوف وغيرها من النشاطات عند أبناء القرى والقبائل نجدهم يسيرون جميعاً في اتجاه التعاون والتآزر الذي يحقق لهم أمانيهم وحياة مجتمعاتهم[١]. نعم أننا لو أجرينا دراسة مقارنة بين حياة الأوائل والمعاصرين في تحقيق هذا التعايش، فإننا سنجد الكثير من المتغيرات السلبية والايجابية[٢]. وإذا طالعنا العناصر الوافدة إلى المنطقة التي ليس لها عزوة أو عصبية قبلية رأيناهم يعيشون على قدر مستواهم في المأكل والمشرب واللباس والترابط والتآلف، وهم في الغالب محدودو الحال، فيبذلون قصارى جهودهم لكسب أرزاقهم التي جاءوا من أجلها. وهذه الشريحة ما من شك أنهم يعانون بعض الصعوبات مثل: ضعف الدخل المادي، وتواضع حياتهم في اللباس والسكن وأحياناً في نوعية الطعام والشراب[٣]، ومنهم أعداد غير قليلة يواجهون عقبات مع سادتهم وكفلائهم، فيظلمون، وقد يهانون باللفظ والتجريح[٤]. ومنهم أفراد غير جيدين في أخلاقهم وتعاملاتهم الاجتماعية أو المالية فيصدر منهم سلوكيات

---

(١) هذه أعراف وعادات عاشها سكان البلاد منذ عشرات السنين، وما زالوا يمارسونها وفق والمبادىء الإسلامية.

(٢) من الإيجابيات استمرارية التعاون والتآلف والترابط، وتحسن أحوال الناس الاقتصادية والثقافية وغيرها. وهناك بعض السلبيات التي ظهرت ولم تكن في جيل الآباء والأجداد، مثل: الكبر والتعالي عند بعض الأفراد أو الأسر بسبب تغير أحوالهم من الفقر إلى الغنى، وأحياناً عدم الانصياع والقبول ببعض الآراء والتوجيهات التي تصدر من العقلاء والحكماء، وهناك من يتأخر في تآزره وتعاونه مع جماعته وأهل قريته، والسبب في ذلك الاستغناء كونه يمتلك المال وربما الوظيفة وغيرها، وبالتالي صار يستقل بنفسه، ويبتعد عن قومه.

(٣) زرت بعض العمال من جنسيات عربية وغير عربية، في البشائر وسبت العلاية، والبطاظة، فرأيت مساكنهم سيئة، وألبستهم رثة، وأطعمتهم غير صحية. كما رأيت عمالاً آخرين في بعض المراكز التجارية والفنادق مقصورة يعيشون حياة طيبة متأنقين في ألبستهم، ويعيشون في مساكن جيدة ونظيفة.

(٤) للأسف تعامل كثير من السعوديين مع عمالهم ومن يعمل تحت كفالاتهم غير جيدة، فيظلمون في حقوقهم، ويهانون في أنفسهم. وهذا والله سلوك يتعارض مع شرع الله وما يحث عليه الإسلام.

تتعارض مع الشرع والعرف، كالسرقة والخيانة في العمل، أو ممارسة بعض الأعمال المحرمة كشرب الخمر أو الزنا أو غير ذلك[١].

ب – المال، والتعليم، والجاه يجلب أحياناً بعض السلبيات على بعض الأفراد (ذكوراً وإناثاً) من السعوديين، فتراهم يبالغون في حفلاتهم ومناسباتهم، وفي بناء منازلهم وتأثيثها، وفي شراء سياراتهم، أو في أسفارهم الداخلية والخارجية بدون هدف أو فائدة. وهذه الظاهرة لاحظتها عند بعض الأسر والأفراد في بلدان تهامة والسراة. وموجودة بنسبة أكبر في المدن والأسر الغنية في أنحاء البلاد، ولا تخلو محافظة بلقرن من هذه السلبية، لكنها ليست على المستوى نفسه الذي شاهدته في النماص، والباحة، والطائف وتنومة، وأبها، وبيشة، وخميس مشيط وغيرها من الحواضر الكبيرة في منطقة عسير ومناطق أخرى في المملكة العربية السعودية[٢].

جـ- الفضيلة موجودة بنسبة كبيرة عند مجتمع المحافظة، مثل: ترابط الأفراد أو الأسر أو العشائر بعضها مع بعض، والقيام بأعمال تصب في زيادة الأخوة والتآزر. ونلاحظ ذلك في مجتمعات الموظفين في المؤسسات الإدارية، وبين المعلمين والمعلمات، وبين الوجهاء والعقلاء والأعيان[٣]. إلا أننا نلاحظ أيضاً بعض الأخطاء والقصور مثل: عدم احترام الأنظمة والقوانين أثناء قيادة السيارات، أو الانضباط والأمانة في أداء الأعمال الرسمية وغير الرسمية، وللأسف أن هذه السلبية الأخيرة

---

(١) هذا ما عرفته وسمعته من بعض العمال الوافدين إلى المنطقة، ومن بعض القضاء ورجال الشرطة وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المحافظة. وهذه السلوكيات ليست مقصورة على هذه الشريحة وإنما توجد الكثير من السلبيات الاجتماعية والأخلاقية عند أبناء العشائر والقرى والقبائل، وعند أبناء بعض الأسر العريقة والجيدة، وبين صفوف الطلاب والطالبات والمعلمين والمعلمات والموظفين وغيرهم من سكان المحافظة. والذاهب إلى إدارات المحاكم والشرطة وغيرها من المؤسسات الإدارية سوف يجد الكثير من الحالات الموثقة لجميع شرائح المجتمع.

(٢) عُرفت ظاهرة المبالغة والمفاخرة في مجتمعنا السعودي تقريباً منذ بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وتزايدت بشكل كبير خلال العشر سنوات الماضية حتى أصبحنا نرى بعض القنوات الفضائية وبعض وسائل التواصل تنقل صوراً من هذه المباهاة التي تتعارض مع نصوص الشريعة، وفي اعتقادي أنها لا تصدر إلاّ من أفراد جاهلين بدينهم، ناقصين في عقولهم، معتوهين في تصرفاتهم. وللأسف أن مثل هذه السلوكيات الشاذة قد تصدر من الرجال والنساء على حد سواء ويجب على مؤسسات الحكومة المعنية، والاعلام، والتعليم أن يبذلوا قصارى جهودهم لمحاربة كل ما يقود إلى التباهي والكبر والتبذير.

(٣) كل هذه الصفات يحث عليها الدين، ويجب على المسلم أن يكون على قدر كبير من الصدق والإخلاص والأمانة وكسب الرزق الحلال.

توجد عند بعض المسئولين والموظفين الكبار كالقضاة، والمعلمين، ورؤساء المؤسسات الإدارية الرسمية والأهلية، والمشكلة نفسها ليست مقصورة على الذكور وإنما توجد في مجتمعات النساء، والموظفات والموظفين الصغار.

د - جيل الشباب (ذكوراً وإناثاً) لديهم الكثير من الأخطاء، مثل: عدم احترام الكبير، وتضييع الأوقات في الملاهي والسهر، وممارسة بعض السلوكيات السلبية، والتهاون في الوظيفة أو الدراسة أو قيادة السيارة[١]. والواجب على المؤسسات الأمنية والتعليمية والإعلامية والدينية أن تضاعف الجهود في توجيه الشباب إلى الأعمال الصائبة التي تصب في زيادة الوطنية، وحب الخير، والانخراط في كل ما يفيد العقل، والصحة، والتمسك بالعقيدة الإسلامية السمحة[٢].

هـ - الفنون الشعبية، مثل : العرضة، واللعب، والخطوة، والدمة معروفة عند أهل البلاد منذ القدم، ويواكبها الكثير من الشعر الشعبي، والأناشيد، والأهازيج المليئة بالعبر والحكم والأقوال الجميلة التي تدور في فلك الرثاء، والمدح، والغزل، والتفاخر بالأحساب والأنساب، وأحياناً بالقبيلة أو الأسرة[٣]. وهذه الفنون ما زالت تمارس في الأعياد والمناسبات الاجتماعية كالزواجات وغيرها، لكن في مستوى أدنى مما كانت عليه في الماضي من حيث جودة الأداء، وكثرة الممارسة[٤].

---

(١) هذا ما شاهدته في متنزهات وبعض مدن وحواضر محافظة بلقرن. وللأسف أن هذه الظواهر تلاحظ بشكل أكبر في المدن الكبرى مثل: أبها، وخميس مشيط، وغيرها من المدن الرئيسية في منطقة عسير وغيرها من مناطق المملكة العربية السعودية.

(٢) من المحزن أننا نشاهد كثيراً من الشباب خلال الثلاثين سنة الماضية ساروا وما زالوا يسيرون في ركاب الانفلات الأخلاقي فلا يتورعون من عمل بعض السلوكيات السلبية الكبيرة والصغيرة التي تؤذي أنفسهم وأسرهم والمجتمع بأسره. بل إن بعضهم دخلوا في دوائر خطيرة مثل: تهديد الأمن والمقدسات، والنيل من أولياء الأمور كالآباء والأمهات، ونشر الخراب والفساد والارهاب في قراهم ومدنهم، بل تزايدت شرورهم حتى صاروا يتعاونون مع أعداء الإسلام داخل البلاد وخارجها. والواجب علينا جميعاً أن نتعاون في إصلاح شبابنا والأخذ بأيديهم إلى بر الأمان، وإبعادهم عن كل البيئات الضالة التي تفسدهم وتحولهم إلى أعداء للإسلام والمسلمين

(٣) سمعت أثناء تجوالي في المنطقة بعض القصائد الشعبية، والأهازيج الجميلة التي كانت تمارس في القرن الهجري الماضي وبداية هذا القرن. بل ذكر لي العديد من الشعراء الشعبيين والمحليين الجيدين السابقين. <u>وأقول أن تدوين تاريخ الفنون الشعبية في محافظة بلقرن خلال القرنين الماضيين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م موضوع جديد ويستحق البحث والدراسة. ونأمل أن نرى أحد الباحثين الجادين من هذه البلاد فيقوم بدراسة هذا الموضوع دراسة علمية.</u>

(٤) إن الحداثة والتقنية وتسارع نظام الحياة جعل الناس يتخلون عن كثير من فلكلورهم وفنونهم الأصيلة، ويستبدلونها بألعاب ورياضات وفنون مستوردة من ثقافات أخرى، وبعضها من بلدان عربية وأخرى أجنبية، وهذا مما يؤثر على الهوية الوطنية وعدم التمسك بأعراف وآداب وفنون الآباء والأجداد الجميلة.

وانتشر في المجتمع مؤخراً بين الأسر والأفراد فنون وأغان وأهازيج دخيلة، حتى إن بعضها لا معنى لمفرداته وجمله. ومن يسمع بعض المقاطع أو الجمل التي تردد في بعض الرقصات، أو ما يسمى بـ (الشيلات)[١] يدرك أن ضررها أكبر من نفعها، وهذا الضرر يمتد إلى الأصالة، والثوابت والقيم التي تربى عليها جيل الآباء. وقد شاهدت بعضاً من هذه العادات الدخيلة في بعض التجمعات الشبابية في سبت العلاية والبظاظة، وسمعت خطيب الجمعة في جامع الخلفاء الراشدين في وسط المحافظة يلقي في هذه العادات الدخلية (الشيلات) خطبة كاملة في يوم (١٤٣٧/١١/١٦هـ)، ويحذر من خطرها على الدين، والثقافة والأعراف والقيم الجيدة والأصيلة[٢]. وإذا تأملنا في بعض الفنون الاجتماعية الأخرى عند الشباب، وعند النساء في الأعراس، وفي أماكن وأدوات الترفيه الحديثة، فسنرى سلبيات عديدة تؤثر على بناء الشخصية فكرياً وثقافياً وأخلاقياً، بل تزيد من تفكك الروابط الاجتماعية، وتشجع على محاربة العادات والقيم القديمة، وتسعى إلى استبدالها بأعراف لا تمت لمجتمعنا بصلة، بل هي هدامة في أدائها ونتائجها[٣].

٤-اللهجات:

لغة أهل المحافظة العربية، ويكثر اللحن عند الناس، حتى في إلقاء الخُطب، أو المقابلات الاعلامية، وأحياناً في قراءة القرآن عند بعض الأئمة في المساجد[٤].

---

(١) الشيلات: أغان شعبية ليست معروفة في بلادنا قديماً، دخلت إلى مجتمعاتنا عن طريق الاتصالات والتواصل الاجتماعي، وأحياناً يردد فيها عبارات غير لائقة في معانيها وأهدافها.

(٢) دخل المجتمع السعودي خلال العشر سنوات الماضية الكثير من الأعراف والمتغيرات الدخيلة على مجتمعنا وهويتنا، ويبدو أن هناك نشاطات ونشطاء داخليين وخارجيين يعملون ليلاً ونهاراً من أجل استهداف هذا البلد في ثقافته وأعرافه ومقدراته وفي جميع شرائحه المجتمعية، ويجب محاربة هذه الجهود وإفشالها.

(٣) إن على جميع شرائح المجتمع بدءاً بالدولة ووزاراتها ومؤسساتها المختلفة، وكذلك الأفراد، والأسر، والقبيلة، واصحاب الحل والعقد في البلاد مسئوليات جساماً تجاه الحفاظ على مقدرات البلاد الأمنية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، واليقظة لما يدبر لهذا الوطن العربي الإسلامي الذي يحتضن الحرمين الشريفين. وإذا عملنا جميعاً على خدمة الإنسان والحفاظ على دينه وفكره وثقافته وقيمه الرفيعة فإننا – بإذن الله– سوف ننتصر ويهزم ويخسر كل من يسعى إلى إيذاء هذا البلد في دينه وشعبه.

(٤) ظاهرة اللحن في القرآن كانت في الماضي أكثر انتشاراً لعدم وجود قراء وحفظة جيدين، وفي العقدين الأخيرين بذلت جمعية تحفيظ القرآن جهوداً مباركة في تعليم القرآن من خلال حلق المساجد، ومدارس تحفيظ القرآن، وكليات الشريعة. وفي أثناء تجوالي في المحافظة خلال ثلاثة أيام (١٥-١٤٣٧/١١/١٧هـ)، والصلاة في بعض المساجد الصغيرة سمعت بعض الأئمة لا يجيدون تلاوة القرآن ومنهم من يلحن في الآيات ومخارج الأصوات.

وتواجد شرائح العمال العجم، وبعض الأجناس العربية، كاليمنيين، والمصريين، وبعض دول شمال أفريقيا وغيرهم جعلت تكسير اللغة واضحاً في الأسواق والمنازل وعند الكثير من شرائح المجتمع. ففي البقالات، أو الأسواق الشعبية والحديثة، والمهن الاجتماعية والاقتصادية تسمع من أبناء المنطقة من يورد في كلامه بعض المفردات باللهجة المصرية، وهناك نسبة كبيرة تكسر وتبدل الألفاظ ومخارجها عندما يتحدثون مع العناصر العجمية، كالباكستانيين، والهنود، والبنجاليين، والنيباليين، والأندونسيين وغيرهم. وهذا ما يحدث مع كثير من طبقات المجتمع المحلي، كالشيخ الكبير، والمرأة، والشباب، والموظفين، والمتعلمين والمعلمين وبعضهم من المتخصصين في اللغة العربية وفي علوم انسانية أخرى، وذلك من أجل إيصال المعنى المطلوب إلى من يتم الحديث معه من هذه الأجناس المقيمة، التي لا تعرف العربية، ولا تجيد الحديث بها[(١)].

وأثناء السير في مناكب المنطقة لاحظت بعض اللهجات عند أهل البلاد، ومعظمها قديمة، وربما وجد بعضها عند بعض العشائر والقبائل التي تعيش في أرض السروات من اليمن إلى الحجاز، مثل استبدال الألف واللام بالميم الحميرية، فيقولون: أمبيت (البيت)، أمسوق (السوق)، أمزرع (الزرع)، أمولد (الولد)، وهكذا. وفي بعض الأجزاء من المحافظة يقلبون (الجيم) إلى (ياء)، فيقولون: الريال (الرجال)، اليبل (الجبل)، الشيرة (الشجرة)، الييش (الجيش)، وفي بعض مرتفعات بلقرن وشمران وخثعم، وفي سبت العلاية تضاف حرف (الواو) في آخر الأسماء والأفعال مثل: معهو (معه)، كنو يبلو (كانه جبل)، أكلو املحم (أكل اللحم)، ومطرو (مطر)، وغبارو (غبار)[(٢)]. كما سمعت مفردات لا أدري ما معناها، وقد فسرت من بعض أهل البلاد الذين التقيت بهم، وتتميز بها المحافظة عن غيرها مثل: القول (لكلوه) أي انظره أو طالع فيه. أو كلمة (هنّا) أي هناك، وغالبا تستخدم هاتان المفردتان في سروات شمران وعليان. أو (لهول) أي كثير،

(١) إن تداخل الثقافات، وتزايد قنوات الاتصال، وتعدد الأجناس واللغات واللهجات في المملكة العربية السعودية أثرّ كثيراً على اللغة العربية، وأثر أيضاً على لهجات أهل البلاد القديمة، وفي العقود القادمة سنرى تغيراً كبيراً، وقد لاحظنا ذلك منذ سنوات وهذا مما أثر سلبا في لغتنا (جملها، ومفرداتها، ومخارج أصواتها).

(٢) المصدر: جولات الباحث في أجزاء عديدة من قرى آل سلمة جنوباً إلى رأس جبل البلس، وفي البشائر، وسبت العلاية، والبظاظة من (١٥-١٧/١١/١٤٣٧هـ).،

وتستعمل أكثر عند قبائل بلحارث المجاورة لقبائل بالقرن من الناحية الشمالية الشرقية، وعشائر بلقرن وبعض عشائر رجال الحجر يقولون (لعون) أي كثير، وهناك من يضيف حرف (الباء) قبل الفعل فيقول (بادرس)، أي أدرس، أو (بأكل)، أي آكل[١].

٥- لمحات اقتصادية:

اقتصاديات محافظة بلقرن موضوع واسع يحتاج إلى دراسة في مئات الصفحات، ونشير إلى شيء من ذلك في وقتنا الحاضر.

أ- الجمع، والصيد، والرعي، والزراعة:

جميع هذه المهن كانت تمارس بشكل كبير في القرون والعقود الماضية المتأخرة، يوم كان الناس يعتمدون اعتماداً كلياً في معايشهم وكسب أقواتهم على هذه الأعمال[٢]. وجمع الثمار، والحطب،وبعض الأقوات التي كانت سائدة قديماً في قرى وبوادي المحافظة، أصبحت اليوم من التاريخ. وإذا بقي شيء منها فلا يتجاوز القائمون بها أفراداً يجمعون الحطب من الجبال والأودية وبيعها في بعض الأسواق الاسبوعية أو اليومية. وهناك من يجمع بعض الثمار، أو المساويك، أو أوراق السدر والحناء ويتاجر فيها مثل الحطب والفحم[٣].

---

(١) أشرنا فقط إلى نماذج من لهجات المحافظة، وأقول إن دراسة لغة ولهجات هذه البلاد موضوع بكر وجديد، ويستحق أن يفرد له كتاب أو رسالة علمية. وأعلم أن هناك أساتذة كثيرين من هذه المحافظة وهم متخصصون في اللغة العربية، بل بعضهم شعراء وأدباء مجيدون، ونأمل أن نرى منهم من يدرس لهجات هذه الأوطان دراسة علمية موثقة. ويذكر أستاذ اللغة في جامعتي الملك خالد وتعز (أ.د. عباس السوسوة) "ما تم الإشارة إليه أعلاه ظاهرة قديمة تعود على الأقل إلى عام (١٨٠٠ق.م)، وذلك شائع في اللغة الأجربتية، وفي اللغة القتبانية، وأمثلة أخرى كثيرة" للمزيد ينظر كتابه: قد اليمنية.

(٢) كانت حرف الجمع والصيد والزراعة والرعي هي الأعمال الرئيسية عند سكان تهامة والسروات منذ عصور ما قبل الإسلام حتى نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م)، وهذه الموضوعات لم تدرس بشكل علمي وموضوعي، وذلك لقلة المصادر والمراجع التي تحدثت عنها، ومن ثم ضاع الكثير من هذا التاريخ وبخاصة في القرون القديمة، والإسلامية المبكرة والوسيطة. أما العصر الحديث والمعاصر فما زال أفضل حالاً لوجود بعض الآثار والمعالم التاريخية التي تشير إلى صور من تاريخ هذه الحرف. كما أن هناك الكثير من الوثائق غير المنشورة والروايات الشفاهية التي تحفظ بعضاً من نشاطات الناس المتعلقة بهذه الميادين الحضارية.

(٣) نرى بعض هذه السلع التي يتم جمعها من البيئة تعرض في الأسواق. وتباع بأسعار متفاوتة من الريال الواحد للمسواك إلى عشرات وأحياناً إلى مئات الريالات لأكوام الحطب، أو حمولة بعض السيارات الناقلة الصغيرة والكبيرة. المصدر: مشاهدات الباحث في بعض الأسواق الأسبوعية في خثعم، وشمران، وبلقرن، وفي بعض الدكاكين والمتاجر الصغيرة والكبيرة في مدن البشائر والبظاظة وسبت العلاية.

أمـا صيد الطيور والحجل والأرانب والغزلان والوبران قديماً، فلم يعد موجوداً اليـوم لـثراء الناس وغناهـم، ولم يعد هناك حاجـة لصيد هـذه الكائنات الحية، التـي كانت تُصطاد لأكلها[١]. وأثناء التجـوال في أجزاء المحافظة سمعت من قال، إن الصيـد انقرض في عصرنـا الحالي، وإن بقـي من يمارسه فهـم قليلون جدا، وممارستـه فقط للنزهـة والترفيه، وتستخـدم بنادق (الشـوزن) أو (الساكتون) لاصطيـاد بعض الطيور أو الوبـران أو الغزلان التي أصبح وجودها قليلاً في الجبال والوهـاد. ومنطقة الأصدار أكثر النواحي التي تعيش فيها مثل هذه الكائنات، ولم أسمع من قال إن هناك صقوراً تستخدم في الصيد[٢].

ومهنة الرعي تكاد تكون الأولى قديماً في محافظة بلقرن، فأغلب السكان بادية، وحياتهم قائمة على الرعي والتنقل والبحث عن الكلأ والماء. وقد قابلت بعض الرجال المسنـين في أسـواق خثعم وبلقرن فذكـروا لي أن رعي الأغنـام والماعز والجمال هو المعروف والسائد في البلاد حتى نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م)، ومنذ بداية هذا القرن تقهقـرت مهنة الرعي، وبدأ الناس يهجرون بواديهـم ويستوطنون القرى والمدن[٣]. والناظـر في حياة الرعي اليوم يرى أفراد قليلـين يجلبون رعاة من خارج البلاد كي يتولوا رعاية مواشيهـم، ومنهم من يملك أعداداً قليلة لا تتجاوز العشرات، وآخرون يملكـون قطعانـاً كثيرة من الأغنـام والجمال في الأجـزاء الشرقية مـن المحافظة، ويتاجـرون فيها بشـكل دائم في الأسواق المخصصة لبيع هذا النوع مـن السلع[٤].

---

(١) كانت مهنة الصيد نشيطة عند شرائح عديدة في المجتمع، وكانت المنطقة مليئة بأنواع كثيرة من الحيوانات والطيـور المحببة للصيد، والحيوانات المفترسة التي تؤذي الناس في مزارعهم ومواشيهم وأنفسهم، وكان هناك بعض الصيادين المهرة الذين يقضون على هذه السباع وغيرها من الطيور والحيوانات الخطيرة.

(٢) إن دراسـة الصيـد قديماً في أرض السروات وتهامة من الموضوعات الجيدة، وهذا الموضوع لم يدرس، مع أننـا نجـد بعض كتب التراث الإسلامـي وبخاصة كتب اللغة والأدب والرحلات تشـير إلى صور من تاريخ وحيل وأدوات الصيد في جنوب شبه الجزيرة العربية، وبلاد السروات من أغنى الأوطان التي يتواجد بها أنواع عديدة من الصيد.

(٣) كانـت أرض السـروات وبخاصة بواديها قائمـة على رعي المواشـي، وأهل القرى وأماكـن الاستيطان في المرتفعـات السرويـة جمعوا بـين الرعي والزراعة. واليـوم تلاشت هذه المهن، واستبدلـت بأعمال وحرف اقتصادية أخرى تدر على أصحابها أموالاً أكثر وأسرع.

(٤) شاهـدت بعض الأسـواق الأسبوعية والدائمة في بلقـرن وخثعم وشمران التي يعرض فيها العشرات من الماعـز والأغنام والجمال، وكثير من هـذه الحيوانات تربى وترعى في أنحاء المحافظة، وبعضها يجلب من أسـواق وبلـدان أخرى مثل بيشة، ورجال الحجر، وبلاد غامد، وأجزاء من تهامة، وبعضها أيضاً يتم جلبه من أفريقيا أو بلدان أخرى.

الزراعة قديماً مهنة أهل السروات من قرى آل سلمة جنوباً إلى الفوقاء وجبل البلس شمالاً، هكذا كانت حرفة أهل هذه البلاد حتى نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م). ومن يتنقل في أرجاء هذه المنطقة يشاهد الأراضي الزراعية الكثيرة، والصغيرة والكبيرة، ومعظمها محفوظة بالمدرجات الزراعية، ومنها الأراضي المسقوفة التي يتوسطها آبار قديمة، يعود بعضها إلى مئات السنين، ومنها المزارع العثرية التي تسقى بمياه الأمطار[١]. وتحدثت مع بعض أصحاب المزارع في وادي باشوت وسبت العلاية، فقالوا: "إن جميع الأراضي الزراعية في عموم المنطقة أملاك خاصة ورثناها من الآباء والأجداد، وكان قديماً في السابق عيباً على الرجل أن يبيع أي شيء من أراضيه الزراعية، وإذا اضطر أحد إلى ذلك، فلا يبيعها إلاّ من قريب أو من أحد أفراد قريته. وكل يعرف حدود مزرعته، وأفراد القرية الواحدة متجاورون في أراضيهم وأملاكهم الزراعية، ومتشاركون في الآبار، وأحياناً تكتب أوراق بين المتجاورين يحدد فيها أملاك كل واحد، والأيام التي يحتاجها لسقيا مزارعه من الآبار المشتركة[٢]، وهناك من يحصل على صكوك من المحاكم الشرعية تذكر أسماء بعض مزارعه، وحدودها، وأطوالها"[٣].

والباحث عن صلات السكان بعضهم ببعض في الزراعة والمزارع والعقارات، يجد كثرة النزاعات على الحدود، والآبار، ومسائل المياه من الجبال والأودية، وتقسيم التركة بين الورثة. وهذا هو ديدن أهل المنطقة، وشيوخ القبائل ونوابها والمؤسسات

(١) كانت الزراعة إلى عقود قريبة هي المهنة الأساسية عند سكان سروات المحافظة، ومنذ نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) بدأت المنطقة تتطور في ميادين عديدة: إدارية، ومالية، واقتصادية، وتعليمية، وبدأ الناس يتركون الزراعة ويلجأون إلى الوظائف الحكومية والتجارة، وتدريجياً تلاشت الزراعة من البلاد، وتحولت كثير من الأراضي الزراعية إلى أحياء سكنية وتجارية.

(٢) إن الذاهب في أنحاء بلاد تهامة والسراة يجد هذا النظام سائداً عند معظم السكان، فكل يعرف مزارعه، وما زال هناك آلاف الوثائق المحلية بأيدي الناس، وفيها تفصيلات عن أسماء مزارعهم، وطرق تعاملهم بعضهم مع بعض في الحرث والسقيا والحصاد والدرس والتخزين. للمزيد انظر: غيثان بن جريس. عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص ١٢٩-١٤٧. وآمل أن أرى باحثاً جاداً يدرس تاريخ الزراعة في محافظة بلقرن، أو المنطقة الممتدة من الباحة شمالاً إلى النماص وتنومة جنوبا خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م). ومن يفعل ذلك فسوف يجد الكثير من الوثائق والصكوك الشرعية في حوزة الأهالي، وفي أراشيف المحاكم الشرعية المحلية، وفي أرشيف مالية عسير، كما يستطيع جمع كثير من مادته من كبار السن الذين ما زالوا على قيد الحياة وعاصروا تاريخ الزراعة من خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)..

(٣) هذا ما شاهدته وحصلت على صور من هذه الوثائق، ويوجد في مكتبتنا مئات الوثائق التي تصب في خدمة تاريخ الزراعة في مناطق الجنوب السعودي خلال القرن (١٤هـ/٢٠م).

الحكومية (المحاكم، والشرطة، والبلدية، وغيرها) تجدهم في شغل دائم لمعالجة هذه المشاكل، وقد تمتد بعض النزاعات بين المتخاصمين لشهور وسنوات[١].

والزارعة في المحافظة اليوم تقهقرت، وتركها أهل المنطقة الأصليون، وإن بقي بعضهم يمارسها، فتراهم يجلبون عمالاً من خارج البلاد لزراعة بعض الفواكه والخضروات، وربما زرعوا البرسيم، والحنطة، والذرة، والشعير[٢]. والمشكلة اليوم أن المياه أصبحت قليلة في أنحاء المحافظة، وعامة أهل البلاد انشغلوا بأعمال ووظائف أخرى أسهل من حياة الزراعة، وأحسن في مستوى الدخل، كما اتجه البعض إلى تحويل الأراضي الزراعية إلى سكنية وأحياناً تجارية[٣].

والمتأمل في أوضاع الناس من بلاد قحطان جنوباً إلى بلاد زهران شمالاً، يجد أنهم يتفاوتون في خدمة الزرع والمزارع، ففي المدن والحواضر الكبيرة تدهورت حياة الزراعة، بعكس القرى والنواحي البعيدة عن حياة المدينة الصاخبة[٤]. وهذا ما رأيته في بعض قرى البلس وآل حبة (العوامر)، وقرى من شمران وعليان، وقرى آل سلمة حيث ما زالوا أحسن حالاً في خدمة الأراضي الزراعية مقارنة بالبظاظة، وأجزاء من سبت العلاية، والبشائر، وعفراء فهم أقل اهتماماً ورعاية بهذا الجانب الاقتصادي المهم[٥].

---

(١) للمزيد انظر: علي بن أحمد القرني. اتجاهات سكان القرى نحو النزاع حول حيازة الأراضي الزراعية (دراسة اجتماعية في منطقة بلقرن) مكان النشر والناشر بدون، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م) (٢٨٠ صفحة). والباحث سمع قصص عديدة في محافظة بلقرن ومعظمها تدور حول النزاعات على الأراضي الزراعية والعقارية، كما اطلع على بعض الوثائق التي تعالج بعض الخصومات، ومنها صكوك شرعية صدرت من بعض المحاكم الشرعية في المحافظة. ودراسة هذا الموضوع مهم جداً، وبخاصة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، والعقود المنصرمة من هذا القرن (١٥هـ/٢٠-٢١م)، وهناك الكثير من الوثائق غير المنشورة، والعثور عليها ما زال سهلاً والواجب دراستها وحفظها قبل أن تضيع.

(٢) جميع أفراد القرية والأسرة قديماً هم الذين يقومون على حراثة أراضيهم وزراعتها، لأنها كانت مصدر رزقهم ومعاشهم. ومحاصيل الزراعة سابقاً متنوعة مثل: الحبوب بأنواعها، والخضروات، والفواكه. وكانت أدوات الزراعة والسقاية بدائية حتى تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) عندما بدأت الآلات تصل إلى المنطقة وتستخدم في الأعمال الزراعية. للمزيد انظر: غيثان بن جريس، عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص ١٢٩ وما بعدها.

(٣) هذه مشكلة تعاني منها جميع مناطق المملكة العربية السعودية، وذلك نتيجة للتنمية الحضارية التي تمر بها البلاد ثم ظهور ميادين اقتصادية أخرى أفضل وأسرع في تحسين أحوال الناس.

(٤) المصدر: مشاهدات الباحث وتجواله في هذه البلدان خلال الثلاثين عاماً الماضية.

(٥) المصدر: مشاهدات الباحث من (١٥-١٧/١١/١٤٣٧هـ). وأقول أن محافظة بلقرن زراعياً ما زالت أيضاً أحسن من غيرها من محافظة الجنوب السعودي مثل: الباحة، والنماص، وابها، وخميس مشيط، وأحد رفيدة وغيرها من البلدان الكبيرة في حواضر تهامة والسراة.

ب- الحرف والصناعات والتجارة:

إن الحرف والصناعات قديمة في محافظة بلقرن، ويوجد مهن كثيرة يقوم بها معظم سكان المنطقة، مثل الزراعـة، والحصاد، والتجارة، والخياطة، والصباغة، وبنـاء المنـازل، وتزويـق البيـوت من الداخـل، وحمـل الحطب والأعـلاف، وغسل الملابس، وطهي الأكل وغيرها من الأعمال[١]. وأغلب الحرف والصناعات القديمة انقرضت، ولا يمارسها اليوم إلاّ أفراد قلائل، وأحياناً عمال أجانب تابعون لمستثمر سعودي[٢]. وحياة المدنية التي يعيشها أهل المحافظة، جعلتهم يستفيدون من الآلات والأجهزة الحديثة في تشييد منازلهم، وطهي أطعمتهم، وغسل ملابسهم، وإصلاح سياراتهـم، وتأثيـث بيوتهـم، والذاهـب في أرجاء البـلاد يرى الورشـ الصناعية والخشبية التي تقـوم على تطويع الحديد والأخشاب في مجالات عديدة[٣]، وكذلك أماكـن الخياطـة، والصباغة، والدهـان والصياغة، وطهي الطعـام، وغسل جميع أنـواع الملابس[٤]. وكل هذه المهن والصناعات والحرف الأخرى يعمل فيها حرفيون جُلبـوا مـن بلدان خارجية، ونادرا أن نرى فردا سعوديـا يعمل فيها . ونشاهد أيضا عشـرات الصناع الذين يعملـون في إصلاح الآلات الدقيقـة والثقيلة، وفي الأجهزة الالكترونية مثل: الجوالات، والحاسبات، والتلفزيونات، والكميرات وغيرها[٥].

---

(١) كان نظـام النـاس قديماً خدمة أنفسهم، فجميع أفراد الأسرة أو القرية تراهم يعملون في مهن كثيرة طوال ساعات النهار، لأن حياتهم المعيشية قائمة على السعي والكد كل في مجاله حتى يوفروا أقواتهم مما يعملون فيه. وبعض المهن محدودة على فئة قليلة من الناس مثل: الحدادة، والصياغة مثلاً فلا يعمل فيها إلاّ أفراد معلومون، وهم في نظر المجتمع في مستوى اجتماعي أقل فلا يتزوجون إلاّ من فصيلتهم، وينظر إليهم المجتمع نظـرة ازدراء. وهذه العـادة للأسف توجد عند العرب منذ العصر الجاهلـي واستمرت عبر عصور التاريخ الإسلامي حتى اليوم. والمتجول في بلاد تهامة والسراة يجد أن هناك تفاوتا تجاه الصناعات فبعض العشائر تنظـر إلى كل صاحب مهنـة (دباغة، وخرازة، ونجارة، وحـدادة، وصياغة، وجـزارة، وخياطة، وصباغة، وصياغـة، وغيرها) أنهم في مستوى أقل من باقي أفراد المجتمـع، وقبائل وعشائر أخرى تنظر فقط بدونية إلى بعضـ هذه المهن وبخاصة الجزارة، والحدادة، والصياغـة، وصناعة الحجر والفخار. المصدر: هذا ما سمعته وشاهدته عند مجتمعات عديدة في بلاد تهامة والسراة خلال الأربعين عاماً الماضية.

(٢) هـذا ما شهدته في الأسـواق اليومية في سبت العلايه وبلدة البشائر والبظاظة. والسعودي الذي يفتح مثل هذه الأعمال غالباً ما تكون مهنة ورثها من آبائه وأجداده مثل: اصلاح السيوف والخناجر، وبعض المعادن كالذهب والفضة، أو خرازة بعض الأدوات الجلدية، أو صناعة الخصف وما شابهها.

(٣) هـذه المحـلات التجارية منتشرة في عموم المحافظـة وتوجد بكثرة في المدن الكبيرة مثـل: سبت العلاية، والبشائر، والبظاظة.

(٤) دراسـة التاريـخ المعاصر للحرف والصناعات في منطقة عسير موضـوع لم يدرس، ويستحق أن يدرس في عدد من البحوث والرسائل العلمية.

(٥) موضوع مثل هذا يحتاج إلى دراسة مقارنة بين الماضي والحاضر، مع التركيز على المواد الأولية لكل مهنة، والأيدي العاملة، والمعوقات القديمة والحديثة لهذا الجانب الاقتصادي المهم.

تجـارة المنطقة سابقاً محدودة، فلا تخرج عن الأسواق الاسبوعية المنتشرة في المنطقة، ومعظم السلع المعروضة من المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية المحلية. ويُصدر إلى أسواق المحافظة بعض المواد الغذائية، والأدوات المنزلية القليلة، وربما بعض الحيوانات من بيشه، وبعض أسواق الباحة وبلاد الحجر، أو من بعض موانىء البحر الأحمر مثـل: جازان، والقنفذة، والليث. وكون بعضـ سكان البلاد يرتادون مـدن الحجاز أثناء الحج والعمـرة، فهم يحصلون على بعض السلع مثل: الملاحف، وبعضـ الملابس، والأقمشة، وشيء مـن أدوات الزينة للنساء والرجال: مثل الكحل، وبعض العطور، وأصباغ الملابس وغيرها[١].

ومـن معوقـات التجارة قديمـاً، صعوبـة الطرق بـين أنحاء المحافظـة، أو من المنطقـة نفسها إلى أجزاء أخرى في تهامة والسـروات، أو بعض النواحي الشرقية، مثـل بيشه وغيرهـا[٢]، وندرة المواصـلات، وفقدان الأمن، وتعـدد الصراعات بين العشائر والقرى، وكثرة السلب والنهب[٣].

---

(١) هذا النوع من التجارات كان سائداً خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الثمانينيات من القرن نفسه، ومنذ التسعينيات حتـى اليوم وصـل إلى المنطقة مئات الأصناف من البضائع والسلع المستودة مـن داخل المملكة وخارجها. ومن أهل المنطقة من يُصدر بعض الحبوب والحيوانات إلى أسواق بيشه وغيرها من أسواق السروات والحجاز.
المصدر: هـذا ما سمعه الباحث من بعض كبار السن في بلاد شمران وخثعم، كما اطلع على بعض الوثائق والسندات التي تصور شيء من حركة التجارة في المحافظة.

(٢) كانـت الطـرق قديمـاً صعبة وضيقة ووعـرة وغير آمنه مـن قطاع الطـرق والسباع المفترسـة. والطريق الرئيسـي للمنطقة هو الـذي يربط المنطقة بالباحـة والحجاز إلى سروات عسـير، وكذلك الطريق الذي يصل من بيشه إلى بلاد بلقرن. وهذان الطريقان كانا الشريان الأساسي الذي يتصل بالبلاد وأهلها، أما العقبات التي تنحدر من السروات إلى تهامة فهي صعبة جداً وغير آمنة، وقليلاً من يسلكها خلال القرون الماضيـة المتأخرة. ونقول أن طرق المواصلات في منطقة عسير من الموضوعات الجديدة وتستحق أن تكون عنوانـاً لكتاب أو رسالـة علمية خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م)، ونأمل أن نرى واحد من طلابنا في قسم الدراسات العليا (التاريخ) فيدرسها دراسة علمية موثقة.

(٣) إن الباحـث في التاريـخ الحضـاري لبلاد تهامـة والسراة، أو أي جـزء من البلاد السعوديـة منذ العصر الإسلامـي الوسيـط إلى ستينيات وربما سبعينيـات القرن (١٤هـ/٢٠م)، فإنه يـدرك صعوبة السفر من مكان لآخر، لأن الطرق صعبة جغرافياً، ووسائل النقل بدائية وأحياناً قليلة أو نادرة، وحياة الناس في خطر لعدم وجود الأمن، وكثرة المخاطر الطبيعية والبشرية. للمزيد انظر بعض مؤلفات غيثان بن جريس مثل: (١) بـلاد بنـي شهر وبني عمرو خلال القرنـين (١٣-١٤هـ). (٢) صفحات مـن تاريخ عسير. الجزءان الأول والثاني. (٣) دراسات في تاريخ تهامة والسراة (ق ١-ق١٠هـ/ق٧-ق١٦م) (مجلدان). (٤) سلسلة كتـاب القول المكتـوب في تاريخ الجنوب (عشرة مجلدات). كما انظر بعضـاً من الكتب الأخرى والرسائل العلميـة التـي صدرت في بعض أقسام التاريـخ السعودية خلال العشرين سنـة الماضية. وسوف تجد مادة كثيرة تصور لك تاريخ حياة جنوبي البلاد السعودية منذ القرن (٧-١٤هـ/١٣-٢٠م).

وحديثنا في الصفحات التالية سوف نقصره على مشاهداتنا لبعض الملامح التجارية في بلاد خثعم وشمران وعليان وبلقرن أثناء زيارتنا الأخيرة، وهي على النحو التالي:

١. توجد شبكة طرق اسفلت جيدة تصل إلى جميع أجزاء المحافظة، وتربطها مع غيرها من المناطق والبلدان الأخرى في عموم المنطقة الجنوبية وغيرها من بلدان المملكة العربية السعودية. وهذه الطرق تتفاوت في جودتها، واتساعها، وما يوجد على جوانبها من خدمات مساندة لمرتاديها من داخل المحافظة أو خارجها. كما تتوفر جميع أنواع السيارات، الصغيرة والكبيرة، التي تستخدمها، وتصب في خدمة جميع المواطنين والمقيمين في المحافظة[١].

٢. تعدد الأسواق الصغيرة والكبيرة في البلاد، والمتنوعة في مواقعها، ومساحاتها، وسلعها، والعاملين فيها. ومن أكبر وأنشط الأماكن ازدحاماً بالأسواق محافظة سبت العلاية وبخاصة شارعها الرئيسي المزدوج الذي يمتد من جنوب المدينة إلى بلدة البظاظة ومثلث بيشة. ويبلغ عرضه تقريباً (٤٠-٥٠) متراً، ويوجد عليه عشرات الدكاكين، والفنادق، والشقق المفروشة. ومن الأسواق التي شاهدتها على جانبيه: هايبر آل مسعد، وردتاغ، وماكس، وشواكسبرس[٢]، ونخبة العود، واسواق للدهانات، ومواد البناء، والصيدليات، والمطاعم و(البوفيهات)، ودكاكين حلاقة الرجال، ومشاغل للنساء، ومعارض سيارات، وورش صناعية وحرفية عديدة، وأماكن استراحة لشرب القهوة والشاي، ودكاكين صغيرة ومتوسطة الأحجام لبيع المواد الغذائية، ومحطات للوقود، ومصارف بنكية وغيرها مما يصعب حصره[٣].

---

(١) دراسة موضوع الطرق والمواصلات الحديثة في محافظة بلقرن، أو في منطقة عسير من الموضوعات الجديدة في بابها، ويستحق أن يكون عنواناً لكتاب علمي أو رسالة أكاديمية.

(٢) للأسف أن الذي يتجول في مدن وقرى المملكة العربية السعودية، يرى الكثير من الأسواق الصغيرة والكبيرة، وبعض المحلات التجارية أو المهنية أو الصناعية المسماة بأسماء أجنبية، وهذه مشكلة يجب محاربتها، الالتزام بلغتنا العربية الغنية بمفرداتها وعباراتها. وهذا المرض الاجتماعي انتشر أيضاً إلى أسماء المواليد وبخاصة الإناث، فهناك الكثير من الأسماء الأجنبية التي يسمى بها الأطفال، وهذه أيضاً مشكلة كبرى، لها آثار سلبية، ويجب على المؤسسات الحكومية ذات الاختصاص أن تحارب هذه الظاهرة وتقضي عليها.

(٣) إن دراسة الأماكن التجارية على هذا الشارع وما تشتمل عليه من سلع يحتاج عشرات الصفحات. كما لا يخلو هذا الطريق من وجود بعض الأبنية الحكومية مثل: إدارات الشرطة، والغرفة التجارية، والكلية التقنية، والمعهد الصناعي، ومكتب التربية والتعليم، والدفاع المدني وغيرها. ويوجد عليه المركز الحضاري للمحافظة، وما زال العمران فيه قائماً. المصدر: مشاهدات الباحث من (١٥-١٧/١١/١٤٣٧هـ).

والمتجول في أرجاء المحافظة يرى شوارعها الرئيسية في باشوت، والبشائر، ومركـز خثعم، والفوهة، وعفراء مليئة بالأسـواق ذات الأغراض المتعددة، والطريـق الرئيسـي مـن قـرى آل سلمـه عبر قرن بـن ساهـر في باشوت إلى الفوقـاء والكرسـ وجبل البلسـ، يوجد على كثير من جوانبـه أسواقاً، ومحطات للوقود، ومطاعم واستراحات للمسافرين[١].

ومن يدخـل إلى القرى والبلـدات الكبيرة فإنه يجد أسـواق أخرى عديدة تخدم السكان بجميع شرائحهم، وقد تجولت في أسواق مدينة سبت العلاية الداخليـة فوجدتها متنوعـة في معروضاتها، فمنها الشعبـي القديم الذي يبيع جميع السلع التراثية القديمة، ومنها الحديث الذي يعرض الكثير من السلع القديمة، والحديثة، ومعظم العاملين فيها من العمالة الوافدة[٢].

٣. الكيلو الأداة الرئيسية التي توزن بها كثير من السلع كالفواكه، والخضروات، والحبـوب، ويستخـدم المـد أيضاً في كيل بعضـ المحاصيـل الزراعية. وفي الأسواق الشعبية تبـاع بعض السلع مثل: الطماط، والبطاطس وغيرها من الخضـروات بالجملـة، وأحياناً بالمفـرق، أو الوزن[٣]. وهنـاك سلع تقاس بالمـتر مثـل: الأقشمة، والحبـال، والخشـب، والأنابيب، وسلـع أخرى تباع بالعـدد كالأدوات المنزلية، وبعض مواد البنـاء، والأدوات المدرسية، وأدوات الزينة وغيرها.

٤. الأسعـار باب واسـع، فالأراضي الزراعيـة والسكنية تتفـاوت حسب النوع والمـكان. والأرض داخل المدينة وعلى شارع تجـاري تقدر بالملايين وأحياناً مئات الآلاف، أما الأراضي الداخلية في المدينة أو القرى الكبيرة فأسعارها

(١) يربـط هذا الطريق القديم بين الحجـاز واليمن عبر السروات، ويحتاج إلى أن يفرد له دراسة مستقلة في كتاب أو رسالة علمية، يوضح فيها محطاته، وما جرى عليه من أحداث؟، وأهميته في خدمة أهل السراة، ومقارنتـه مع الطـرق الأخرى التي تربط بين الحجـاز واليمن منذ عصور ما قبـل الإسلام حتى عصرنا الحاضر.

(٢) هـذه الأسواق الداخليـة والشعبية أحسن حالاً مـن الأسواق الأخرى الحديثة والكبـيرة، حيث يعمل فيها بعضـ السعوديـين والسعوديات من كبار السن غالبـاً. أما الأسواق على جانبي الشـوارع الرئيسية فأغلب الأيدي العاملة فيها من الجنسيات الأخرى، كاليمنيين، أو من شرق أو جنوب شرق آسيا.

(٣) الأوزان والمقاييس في منطقـة عسير في العصر الحديث من العناوين الجديـدة وتستحق أن تكون عنواناً لبحث علمي أو رسالة أكاديمية. المصدر: مشاهدات الباحث من (١٥-١٧/١١/١٤٣٧هـ).

بين عشرات ومئات الآلاف. وقد وقفت على أراضي في مخططات البشائر، والفوهة، وعفراء، وقريباً من البطاظة فوجدت أسعارها تتراوح من (١٠٠،٠٠٠ – ٣٠٠،٠٠٠) ريال، وهناك أراض زراعية مساحة الواحدة منها (١٠٠٠-١٥٠٠) متر مربع في ضوحي باشوت وبلاد خثعم وسبت حجاب ووادي طلال من (١٥٠،٠٠٠- ٤٠٠،٠٠٠) ريال، حسب موقعها وقيمتها الزراعية والسكنية[1].

والحيوانات حسب أنواعها وأعمارها وأحجامها، فالجمال بين (٣٠٠٠-٧٠٠٠) ريال، والأبقار من (٢٠٠٠-٥٠٠٠) ريال، والضأن والمعز من (٨٠٠-١٧٠٠) ريال. والدهن (سمن) الضأن والأبقار (٢٠٠-٥٠٠) ريال للكمية التي مقدارها كيلو جرام إلى كيلوين أو ثلاثة، وجلود الضأن والماعز من (١٠-١٥) ريالاً للجلد الواحد حسب جودته وحجمه. وأسعار الحبوب: مد البر (الحنطة) (٢٠-٣٠) ريالاً، والذرة أو الشعير (١٥-٢٠) ريال، والعدس أو الحلبة (١٠-٢٠) ريال. أما كيس الأرز (٤٥كم) من (٢٠٠-٣٢٠) ريال حسب النوع، والسكر (١٥٠-١٧٠) ريالاً. واسعار المنازل وإيجارها، الشقة المكونة من غرفتين إلى ثلاث غرف من (١٠،٠٠٠- ٢٥،٠٠٠) ريالاً حسب موقعها وجودتها، والإيجار للدور الواحد (٢٠،٠٠٠-٣٠،٠٠٠) ريالاً داخل المدينة، و (١٥،٠٠٠-٢٠،٠٠٠) ريال داخل القرى الكبيرة ويباع المنزل المكون من دور أو دورين داخل القرى من (٣٠٠،٠٠٠ – ٧٠٠،٠٠٠) ريالاً، وفي المدن وعلى الشوارع الرئيسية تدخل أسعار العمارة المكونة من دورين أو أكثر في المليون إلى الثلاثة والأربعة ملايين حسب الموقع ونوعية مواد البناء[2]. وإيجار الغرفة الواحدة في الفندق أو الشقق المفروشة في محافظة العلاية بـ (١٥٠-٢٥٠) ريالاً. وفي أوقات الصيف ترتفع الإيجارات إلى الضعف في الاستراحات، والفنادق والشقق.

أما الفواكه: فكيلو الموز والبرتقال سبعة ريالات، والعنب أو الخوخ أو الكمثرى (١٥) ريالاً، وكيلو التمر الصفري أو البلح (١٥-٢٠) ريالاً حسب النوع

---

(١) ما زالت فكرة بيع الأراضي الزراعية في عموم المحافظة غير مرغوبة، لكنني وجدت في بعض أجزاء المنطقة من باع أرضاً زراعية، أو من عرض بعض الأراضي للبيع. المصدر: هذا ما سمعته أو شاهدته أثناء تجوالي في المنطقة من (١٥-١٧/١١/١٤٣٧هـ).

(٢) المصدر نفسه.

والجـودة[١]. والخضروات: حزمة الملوخية ثلاثـة ريالات، وكيلو الكوسة، أو الجزر، أو الفاصوليـا، أو الطمـاط، أو الفلفل، أو الخيـار، أو البامية من (٤-١٠) ريالات، وثـلاث حـزم صغـيرة مـن الخـس، أو الجرجـير، أو البقدونـس، أو الكزبـرة، أو الكرث، بريالين[٢].

وإيجـار المواصـلات داخـل المحافظة مـن (١٠-٣٠) ريالاً حسب نـوع السيارة، ونوعية المشوار، وذلك لنقل البشر، أما نقل السلع أو مواد البناء[٣]، أو الماء، أو الأغنام والأبقار والجمال فالأسعـار تخضع للاتفاق بين الطرفين لكنها تتراوح من العشرات إلى المئـات للمشوار الواحد حسـب المسافة والمواد المنقولة. وإيجـار نقل الركاب من سبـت العلايـة إلى الباحة (٢٠-٣٠) ريال للراكب الواحـد، و(١٥٠) المشوار كاملاً، والإيجـار إلى بيشـه مثل الباحة، أمـا الطائف ومكة وجدة فقد يصـل مشوار سيارة الأجرة إلى (٥٠٠) ريال، وربما وصل إلى (٣٠٠ أو٣٥٠) إلى أبها وخميس مشيط[٤].

٦-صور من التعليم والثقافة:

بقيـت محافظة بلقـرن في عزلة من التعليم والثقافة خـلال القرون الإسلامية المبكـرة والوسيطة والحديثة حتى نهاية الستينيات مـن القرن (١٤هـ/٢٠م)، وإن وجـد فيها من يقـرأ ويكتب فهم قليلـون[٥]، وموقعها الجغرافي ساعـد في عزلتها،

---

(١) هذا ما شاهدته في سوق سبت العلاية اليومي في (١٦/١١/١٤٣٧هـ).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) مواد البناء مثل: البلك، والحديد، والخرسانة، يقوم على بيعها محلات تجارية كبيرة وتتراوح أسعارها من عشرات الريالات إلى الآلاف حسب الكمية والنوع، وتجار هذه المواد يتعهدون بإيصالها إلى مكان الزبون. أما الماء فيقوم على نقله سيارات (وايت)، وهي أحجام، والأسعار حسب حجم (الوايت)، فمنها الـ (١٨) طن وأكبر وأصغـر، وأسعارها من (١٠٠-٣٠٠) ريال. مشاهـدات الباحث من (١٥-١٧/١١/١٤٣٧هـ)، ومقابلاته مع بعض أصحاب السيارات التي تنقل الماء أو بعض مواد البناء الأخرى.

(٤) لم استـوف الحديث عـن الأسعار،وإنما ذكرت نمـاذج مما شهدت وسمعت. واقـول إن تاريخ الأسعار في منطقـة عسـير، أو أي ناحيـة من نواحي هذه البلاد منـذ بداية القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر موضوع مهم ويجب دراسته، ومقارنة الأسعار خلال هذه العقود، ومعرفة أسباب ارتفاعها وانخفاضها.

(٥) نعـم كان في المنطقـة عـدد قليـل يقرأون ويكتبـون بشكل يسير، وربمـا تعلموا في بلاد الحرمـين أو بعض الحواضـر التعليميـة الرئيسية في الجزيرة العربية ثم عادوا أو جاءوا إلى هـذه السروات واستقروا فيها، وقاموا على إمامة الناس في الصلاة، وعقود الأنكحة، وتقسيم المواريث وغيرها من النشاطات الشرعية. تاريخ العلم والتعليم في بلاد السروات عبر عصور الإسلام حتى نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) من الموضوعات الجديدة وتستحق أن يفرد لها عشرات البحوث والدراسات العلمية.

فلـم تخدم ثقافياً وتعليمياً[١]. ومنذ سبعينيات القـرن (١٤هـ/٢٠م) وصل التعليم النظامـي إلى ديـار بلقرن وما جاورهـا[٢]، ثم تزايـدت المدارس والمعاهد وفروع الجامعـة حتى أصبحت هذه البلاد السروية مليئـة بمؤسسات التعليم، التي يدرس فيها آلاف الطالبات والطلاب[٣].

توثيـق تاريخ العلـم والثقافة في المحافظة مهـم، وجدير بالدراسـة، ونأمل أن تتولى كليات الآداب والتربية في جامعة بيشة هذا الباب، فتشجع أساتذتها لدراسة هـذا الموضوع وما شابـه، ويوجه طالبات وطلاب الدراسـات العليا لبحث مثل هذه الموضوعـات التنمويـة والحضارية. وفي الصفحات التالية نشـير إلى بعض الصور العلمية والثقافية التي سمعتها أو شاهدتها في هذه البلاد، وهي على النحو التالي:

١. التقيـت ببعـض المعلمـين، ومديـري المدارس، وأساتـذة الجامعـات في المحافظة وخارجهـا، وجميعهم من أبناء المنطقة، فيذكـرون توفر جميع مراحل التعليم العام (بنات، وأولاد)، وأن جميع المعلمات والمعلمين سعوديون، وأغلبهم من أبناء المحافظة. ويتمنى الجميع زيادة فتح الأقسام والكليات الجامعية العلمية والنظرية[٤].

٢. هناك الكثير من النشاطات التعليمية والثقافية والدعوية مثل: المحاضرات الدينية التي تلقى في المساجد، والمهرجانات الاجتماعية والثقافية، ودروس

---

(١) الدارس لحركة العلم والتعليم من القرن (١هـ-١٤هـ/ق٧-٢٠م) في أرض تهامة والسراة، يجد أن هناك حواضـر ومدنـاً رئيسية ظهر فيهـا علماء، ونشاط علمي خـلال عصور الإسلام المختلفـة، وذلك لموقعها الاستراتيجـي، وصلاتها ببعض العوالم المتحضرة من حولها. وهناك أيضاً مناطق وعرة ومعزولة (أرضاً وسكانـاً) مثل قبائل بلقـرن وشمران وخثعم وعليان وما جاورهم من قبائـل أزد السراة، الممتدة بلادهم مـن الباحـة إلى أبها، فأهلهـا يعيشون في بلادهـم، معتمدين في كسـب أقواتهم على ثرواتهـم الزراعية والحيوانية، ولم يكن لديهم نشاطات علمية وثقافية تذكر، وإن وجد شيء من ذلك فهي بسيطة ومحدودة.

(٢) أول مدرسـة إبتدائيـة انشئت في سروات بلقرن في عام (١٣٦٩هـ/١٩٤٩م) كانت ببلدة سبت العلاية، ثم تتابـع فتح المدارس والمعاهد والأقسام والكليات الجامعية إلى يومنا الحاضر. والتعليم العام في المحافظة يتبـع إدارة التعليـم في بيشة، وفـروع الجامعة تتبع جامعة الملـك خالد في أبها، ومنذ ثلاثـة أعوام تقريباً أصبحت تابعة لجامعة بيشة. المصدر: مشاهدات الباحث خلال الأربعين عاماً الماضية.

(٣) لـن نفصـل الحديث عـن تاريخ العلـم والثقافة في محافظة بلقـرن في العصر الحديـث والمعاصر، وهذا الموضـوع مهـم ويستحق أن يكون عنـوان كتاب أو رسالة علمية يرصد التطور الـذي مرت وما زالت تعيشه المنطقة من سبعينيات القرن الهجري الماضي إلى هذا العام (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م).

(٤) لا يوجد في المحافظة في هذا العام (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م) إلاّ كليتان فقط هما (كلية العلوم والأدب)، واحدة للبنـات، وأخرى للأولاد، وفيها عدد محدود مـن الأقسام العلمية والأدبية، ونأمل أن تفتح الجامعة أقسام وكليات أكثر تخدم أبناء وبنات هذه المحافظة المليئة بالقرى والسكان.

القرآن التي تعقدها جمعية تحفيظ القرآن في أجزاء عديدة من المحافظة، وخطب ومواعظ الجمعة التي يقوم عليها بعض الأئمة، وطلبة العلم[(١)].

٣. لا تخلو أي مدرسة كبيرة من مكتبة متواضعة، وهناك بعض المكتبات التجارية في محافظة سبت العلاية، والبشائر، وباشوت وفيها بعض الكتب الثقافية والتعليمية[(٢)]. وتصل أغلب الجرائد السعودية المحلية إلى المحافظة، وبعض المجلات العربية. ووسائل الاتصالات جلبت إلى المنطقة الكثير من الثقافات العربية وغير العربية عبر (النت) من خلال استخدام الحواسيب، أو بعض وسائل التواصل الأخرى، كالجوالات وغيرها[(٣)].

٤. في المنطقة بعض العقلاء والحكماء، والشعراء النبطيين، وفيها أيضاً الكثير من الروايات والأخبار، والأهازيج والأقوال الجميلة التي توارثها الآباء عن الأجداد، وبعض كبار السن ما زالوا يذكرون شيئاً من هذا الموروث الحضاري. ونرجو أن نرى بعض الباحثين الجادين من ابناء المحافظة يجمعون شيئاً من هذا التراث الحضاري، الذي يعكس صوراً من حياة الأوائل، وما عاشوه عبر حقب التاريخ الحديث[(٤)].

٥. أبناء المحافظة كغيرهم من سكان المملكة العربية السعودية، دخلوا تحت لواء الدولة، وانخرطوا في المشاركات السياسية والعسكرية والاجتماعية

---

(١) أشاهد الحراك الدعوي والثقافي في بلاد السروات منذ أكثر من (٤٠) عاماً، ويوجد في هذه المحافظة وبخاصة قبائل بلقرن أعداد غير قليلة من الدعاة والقضاة، وأساتذة الجامعة في العلوم الشرعية، وأدباء وشعراء وغيرهم، وكثير من هؤلاء الرموز يعيشون خارج محافظتهم، ولا نرى لهم تلك البصمة العلمية والثقافية على أهلهم وبلادهم، ومنهم من له نشاطات دعوية وثقافية، وتعليمية على مستوى المملكة العربية السعودية، وأحياناً تجاوزت أعمالهم وسمعتهم حدود البلاد مثل الدكتورين عوض وعائض القرنيين وغيرهما. دراسة رموز محافظة بلقرن في العصر الحديث والمعاصر، وإيضاح جهودهم ومناقبهم في مجال العلم يستحق أن يفرد له بعض الكتب والرسائل العلمية.

(٢) لا يوجد في المحافظة مكتبة عامة أو مراكز ثقافية وعلمية، مع أنه يوجد هناك نادي الزيتون الرياضي، ولا يقتصر عمله على الألعاب الرياضية، وإنما تعقد فيه بعض المحاضرات الثقافية العامة، والندوات الدينية والعلمية، وبعض النشاطات الاجتماعية المختلفة.

(٣) استخدام وسائل التواصل شر عم أنحاء البلاد، وهذه الوسائل جيدة لو استخدمت في كل مفيد، لكن الكثير للأسف يسخرها فيما لا ينفع، وفي ضياع الأوقات.

(٤) هذا ما لمسته أثناء تجوال في أسواق وقرى المحافظة، وسمعت من يذكر بعض الشعراء الشعبيين الأوائل، وبعض القصص الاجتماعية والسياسية التي عاشها بعض أفراد المنطقة عندما كانوا يسافرون إلى بلاد عسير، أو بيشة، أو تهامة، أو مدن الحجاز الرئيسية.

أثنــاء توحيد البلاد[١]، ثم ساروا في ركاب المجتمـع السعودي من بعد موت الملـك عبدالعزيـز بن عبدالرحمـن الفيصل حتـى اليوم، وهـم مشاركون (ذكـوراً وإناثـاً) في بناء أنفسهـم وبلادهم تحت مظلـة دولتهم[٢]. ومنهم أيضـاً من شارك في الأحداث الفكرية والسياسية التي عرفتها البلاد خلال الأربعين سنة الماضية. ففي التعليم والدعوة شارك بعض أعلامها في ارتقاء المنابـر والحديث في أبواب ثقافيـة، وشرعية ومعرفية عديـدة، ومنهم من اصاب وأخطأ[٣]. وفي العلم، والحـرب، والإدارة، والبناء الحضاري سمعنا وشاهدنا رموزاً عديدة أسهموا في هذه الميادين، وكانوا نبراساً يقتدى به[٤].

وفي باب انتشار الأفكار الهدامة، مثل السعي في الأرض بالفساد، والتفجيرات، أو محاربـة أهل التقى والصلاح، أو نشر أفـكار ضالة لا تتوافق مع مناهج الإسلام السليمة، فلم يسلم بعض أبناء المحافظة من الانخراط في مثل هذه الأعمال الخاطئة، التي لا يجنى صاحبها ومن يؤيده إلاّ الخراب والخسارة في الدنيا والآخرة[٥].

---

(١) الدارس للتاريخ السياسي أثناء توحيد منطقة عسير، يجد أن معظم قبائل المنطقة ساهموا سلباً أو إيجاباً، في بناء وتوحيد الدولة، ومع حزم الملك عبدالعزيز وأمرائه في عسير توطد الأمن واستقرت الأوضاع في كل مكان، وهناك مئات الوثائق غير المنشورة وبعض الكتب المنشورة والمطبوعة التي فصلت الحديث عن هذا التوحيـد وما جرى في منطقة عسير من أحداث من عام (١٣٣٨-١٣٧٣هـ/١٩١٩-١٩٥٠م). وهذه الفترة ما زالت تحتاج إلى مزيد من الدراسات العلمية الموثقة.

(٢) تاريخ سروات بلقرن وما جاورها لم تدرس سياسياً وحضارياً خلال القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميـلادي)، وهذا الموضوع يستحـق أن يكون عنواناً لرسالة علمية، ويوجـد الكثير من الوثائق المحلية غير المنشورة التي ربما تخدم في بحث هذا الموضوع وتوثيقه.

(٣) عاصـرت بعضـاً من هؤلاء الرموز ونشاطاتهم في منطقة عسير وفي أماكن أخرى عديدة من المملكة العربية السعودية خلال الأربعة عقود الماضية (١٤٠٠-١٤٣٧هـ/١٩٨٠-٢٠١٦م). ونقول إن دراسة ما عرف بعصر الصحـوة في العقـود الأولى من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، من الموضوعـات الجديدة والحساسة، التي يجب تسليط البحوث والدراسات العلمية عليها، مع الاتصاف بالصدق والأمانة فيما يجب دراسته وتدوينه.

(٤) سمعنا وشاهدنا بعضاً من هؤلاء الأعلام الشجعان في حرب تحرير الكويت، وحرب الحوثي وعلي صالح. وهناك رموز عديدون يعملون في أجهزة الدولة المختلفة، وهم صالحون نافعون لدولتهم وأنفسهم وأهليهم. نأمـل أن نـرى باحثاً جاداً يدرس اسهامـات أعلام المحافظة في بلادهم وفي عمـوم أنحاء المملكة العربية السعودية ومن يدرس هذا الموضوع لا بد أن يتصف بالانصاف والشفافية في كل ما يجمع ويدون.

(٥) مـن يحصر الشبـاب السعودي الذي شارك في حروب أفغانستان، والبوسنة، وفي حروب العراق، وسوريا، واليمـن فسيجد أعداداً كبيرة من رجال ونساء تهامة والسراة، ولم تكن محافظة بلقرن في معزل من هذه الشـرور فقد ذهب بعض أبنائها إلى البلـدان التي قامت فيها هذه الحروب ومنهم من قتل أو قبض عليه، وآخرون ما زالوا مشاركين في هذه الجبهات. دراسة شباب تهامة والسراة الذين شاركوا في بعض الحروب الخارجيـة خـلال الأربعين سنـة الماضية، أو من أعتقـد أو انخرط مع بعض الفئـات الضالة داخل البلاد وخارجها من الموضوعات المهمة التي يجب دراستها دراسة علمية موثقة.

٧- ملامح السياحة:

تتميز محافظة بلقرن بالتضاريس الجميلة المتنوعة من جبال ووهاد وأودية وغابات ومدرجات زراعية، ومناخها معتدل في الصيف، ويأتي إليها الكثير من الزوار والسياح، ولها أصدار مليئة بالحشائش والنباتات، وعند سفوح السروات الغربية توجد أماكن للاستيطان والسياحة في فصل الشتاء، فينزل فيها بعض سكان السراة، ويقضون بها أوقاتاً ممتعة[١].

ويشاهد السائح مواقع سياحية جميلة في المحافظة، وقد زرنا بعضها، مثل:

أ - متنزه شيبانه: ويقع في الناحية الغربية من المحافظة، ويعبره خط مسفلت يربط بين قرن بن ساهر في باشوت وسبت العلاية. ويتميز هذا المنتزه بالكثير من الأشجار الخضراء، كما أن بلدية المحافظة أشرفت على تطويره، فأسست فيه العديد من المظلات، والحمامات، وأماكن للملاهي، وبعض المساجد الصغيرة والمصليات. ويعد هذا الموقع السياحي أجمل متنزهات المحافظة[٢].

ب - متنزه الملك عبدالعزيز: ويقع في الجنوب الغربي من المحافظة، ويصل إليه السياح عن طريق أبها الطائف الرئيسي، وهو جزء من منطقة الشفاء المطلة على تهامة[٣].

جـ - متنزهات قلمين: ويبعد عن وسط المحافظة حوالي (٦-٧) أكيال، ويوجد فيه الكثير من الأشجار الكثيفة والجميلة، ويُذكر أن الأميرين سلطان بن عبد العزيز آل سعود، وخالد الفيصل آل سعود كانا يخيمان فيه أثناء مرورهما بمحافظة بلقرن[٤].

---

(١) مناطق الطائف، والباحة، وعسير من أجمل بلدان المملكة العربية السعودية، بل هي المصائف الأولى في البلاد، فيزورها الآلاف في فصل الصيف. ومحافظة بلقرن جزء من منطقة عسير الخضراء الجميلة.

(٢) مشاهدات الباحث وزيارته لهذه المتنزهات يوم الخميس (١٥/١١/١٤٣٧هـ).

(٣) محافظة العلاية من أجمل مناطق عسير، لكن استخدام الإنسان للبيئة أثر على الغطاء النباتي في هذه البلاد. ونجد البحث العلمي المنشور في الفرع الثاني من هذا القسم قد فصل الحديث عما أصاب الثروة النباتية والحيوانية من أذى نتيجة جهل الإنسان وما قام به من ممارسات سلبية تجاه هذه البلاد الجميلة.

(٤) ذلك في عهد إمارة خالد الفيصل آل سعود لمنطقة عسير، وعندما كان الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود يأتي إلى بلاد عسير، وأحياناً يمكث فيها عدة أيام يتجول في بعض أجزائها. وإمارة خالد الفيصل لمنطقة عسير أكثر من ثلاثين عاماً تستحق البحث والدراسة، حتى نرى كيف كانت المنطقة قبل قدومه إليها في تسعينيات القرن الهجري الماضي (ق١٤هـ/٢٠م)، وكيف أصبحت عندما غادرها في عشرينيات هذا القرن (ق١٥هـ/٢٠-٢١م) إلى إمارة مكة المكرمة.

د - متنزهات أخرى:

يوجد الكثير من المتنزهات في عموم المحافظة، ففي مركز البشائر: غابات آل العلا، وسد وادي نبًّا، ومتنزهات السقيم، وأدمة شمران، ووادي تبالة شرق الفوهة، وسد الفوهة، ووادي شواص[١]. وفي مركزي آل سلمة وباشوت يوجد بعض الأماكن السياحية الجيدة، ومن أفضلها وادي باشوت المليء بالأشجار والغابات والنباتات المتنوعة، إضافة إلى موقعه الجغرافي في السروات المطلة على منطقة الأصدار من الغرب[٢]. وقريباً من جبل البلس ضمن مركز خثعم يوجد العديد من المواقع السياحية مثل: جبل البلس نفسه، ووادي الصدر، ووادي الجوف، ووادي الحبقة، ومتنزهات وادي قبقاب، والكرس، ووادي ربيعة[٣]. وفي مركز عفراء على طريق سبت العلاية بيشه يوجد بعض الأمكنة الجميلة مثل: وادي سقام الذي يقع في الناحية الجنوبية من المركز، وهذا الوادي يلتقي مع وادي طلال الذي لا يخلو من الأماكن السياحية أيضاً. ومتنزه وادي مشحذ شمال عفراء، ويلتقي مع وادي تبالة، وفي هذا الوادي الكثير من الأشجار وبخاصة شجر السدر والطلح، ومتنزه عرعره الذي يجاور وادي مشحذ من الشرق[٤].

ونستطيع القول أن محافظة بلقرن حباها الله طبيعة جميلة ومتنوعة في تضاريسها وثرواتها النباتية، وتركيبتها العمرانية والبشرية، إلى جانب طقسها الجميل خلال فصلي الخريف والصيف، إلاّ أنها ما زالت بحاجة إلى تنمية وتطوير يحفظ للطبيعة جمالها الرباني، وللإنسان أصالته ووعيه في خدمة أرضه ونفسه،

---

(١) المصدر: زرت بعضاً من هذه المتنزهات وسمعت عن البعض الآخر في الفترة الممتدة من (١٥-١٧/١١/١٤٣٧هـ).

(٢) تجوال الباحث في قرى وأجزاء عديدة من وادي باشوت يوم الجمعة (١٦/١١/١٤٣٧هـ).

(٣) المصدر: هذا ما سمعه الباحث من بعض سكان جبل البلس وقرى الفوقاء التي تأتي في آخر المحافظة من الجهة الشمالية.

(٤) المصدر: تجول الباحث في بلاد عفراء وفي بعض مخططاتها وأماكنها السياحية في يومي الجمعة والسبت (١٦-١٧/١١/١٤٣٧هـ) وفي اعتقادي أن هذا المركز سوف يتطور في خدماته وربما يصبح من أفضل النواحي في المحافظة لوجوده على طريق العلاية بيشة، وسهولة أرضه وانبساطها، وأيضاً الاتصال الحضاري والتنموي الذي تعيشه المحافظة في الناحية الشمالية والشمالية الشرقية، وعفراء من أفضل الأماكن القابلة للتطور في هذا الاتجاه.

وكذلــك الســير في ركاب النمو الــذي يطور البشــر، ولا يؤذي الطبيعــة ومقدراتها الاقتصادية[١].

رابعا: الخلاصة: نتائج وتوصيات:

نخلص في هذه المشاهـدات إلى أن الهدف هو المرور علـى العديد من المحاور العلميـة التـي تتعلق بأرض وسكان هذه المحافظـة، التي كانـت إلى عهد قريب في شظـف مـن العيش لعـدم وجـود تنمية تخـدم الأرض والإنسان، وذلـك لصعوبة المواصـلات، ونـدرة التعليـم والمتعلمـين، وعـدم وجـود الخدمـات الاجتماعيـة والاقتصاديـة والصحية، وكل ذلك بسبـب الضعف المالي الذي كانت تعيشه الدولة والفـرد على حد سـواء[٢]. وعندما فاض الخير على الناس، وتطورت أحوال الدولة الأمنيـة، والسياسيـة، والاقتصادية بـدأت أوضاع الناس تتطـور في كل الاتجاهات بدءاً بالمدن الكبيرة، ثم البلدات والقرى والبوادي حتى عم الخير أرجاء البلاد[٣]. وهذه محافظة بلقرن كغيرها من محافظات منطقة عسير، أو غيرها من الحواضر الأخرى في المملكة العربية السعودية نالها من الرعاية والتنمية الشيء الكثيرن وقد أشرنا إلى صور من ذلك في الصفحات السابقة، ولا ندعي أننا فصلنا الحديث عن كل جانـب تاريخياً وحضارياً عاشته البـلاد منذ عصور ما قبل الإسلام حتى وقتنا

---

(١) أقـول هـذه الخلاصة لمعرفتـي القديمة بطبيعـة السروات الجميلـة، فكانت قراها، وجبالهـا، ووهادها، وأوديتهـا من أجمـل أرض الله. وفي العشرين أو الثلاثين سنة الأخيرة أصـاب الناس نهم كبير في التوسع العمـراني بجميـع أنواعه، ومن ثم جـاءوا على هذه الطبيعـة الخلابة فدمروا غطاءهـا النباتي الجميل، وقضـوا علـى كثير مـن ثرواتها الحيوانيـة، واسرفوا في هدر مياههـا الجوفية، وكل هذا عـاد على البيئة بالأضـرار الجسيمـة، وهذا مـا لا نريده، نعم نتطلع إلى نمـو وتطوير مقنن يخدم الإنسـان فكرياً وثقافياً وتوعوياً واقتصادياً واجتماعياً، لكننا لا نرغب أن تدمر طبيعـة البلاد الجميلة، التي أشار إليها كثير من مؤلفي التراث الإسلامي، وبعض الرحالة والمؤرخين والشعراء والأدباء في عصرنا الحديث.

(٢) هكذا كان تاريخ الدولة السعودية الحديثة، بدأت والناس في صراعات قبلية عديدة، وفي ضنك من العيش لقلـة الموارد الاقتصادية، والمنطقـة الجنوبية أفضل المناطق لكثرة زروعهـا ومحاصيلها الزراعية، ووفرة ثرواتهـا الحيوانيـة، لكن الحياة إجمالاً كانت صعبة، لعدم وجود الأمـن، وعدم وجود دولة تسوس البلاد، وعندمـا جـاء الملك عبدالعزيـز بن عبدالرحمن الفيصـل (يرحمه الله) ومعه رجال جـادون مخصلون، وحدت البلاد ثم سارت في طريق النماء والتطوير حتى أصبحت من الدول العصرية الحديثة المهمة.

(٣) هنـاك مئات الدراسات والبحوث العربية والأجنبية التي درست نشأة ثم تطور الدولة السعودية الحديثة في شتى المجالات، وما زال هناك مصادر ووثائق غير منشورة في كثير من دور الأرشيف المحلية والإقليمية والعالمية لم تدرس ويوجد بها الكثير من المواد العلمية الجديرة بالبحث والنشر.

الحالي، لكننا ذكرنا الكثير من الجزئيات التي ما زالت بحاجة إلى دراسات أطول وأعمق[١].

ومن خلال جولتي في هذه المحافظة، خرجت ببعض الرؤى والتوصيات التي أرى أهميتها لخدمة أرض وسكان المحافظة، ومنها ما يلي:

١. أهمية تاريخ وحضارة المنطقة، والواجب حفظ كل ما يصب في خدمة ذلك، فيقوم الباحثون من أبناء المحافظة على حفظ آثارها ونقوشها ورسوماتها الصخرية، التي ما زال شيء منها متناثراً في أجزاء عديدة من أرضها، وكثير من الأدوات الأثرية قريبة العهد في البناء والتشييد، والزراعة، والصيد، والرعي، والتجارة والتعليم ما زالت أيضاً موجودة عند بعض الناس، والواجب جمعها وحفظها في متحف وطني كبير يرتاده السياح، والزوار، والدارسون وغيرهم[٢]. وإنشاء مثل هذا يحتاج إلى قرار إداري وسياسي من الجهات الرسمية في الدولة، ويحتاج أيضاً إلى دعم إداري ومالي وعلمي من المؤسسات الحكومية المعنية ومن تجار وعقلاء وعلماء أهل المحافظة[٣]. والكثير من الوثائق المحلية بأيدي بعض الأفراد والأسر، وأقوال ومرويات وأشعار وأهازيج شفهية عند المسنين وبعض كبار القوم في قرى ومدن المحافظة، والواجب جمع مثل هذه المصادر المهمة التي تشتمل على صفحات من تاريخ وحضارة هذه المحافظة السروية[٤].

---

(١) نعم كثير من النقاط التي ذكرناها في طيات هذا البحث ما زالت تحتاج إلى توسع وتحليل، ونأمل من الباحثين في المحافظة، أو جامعة بيشة أو غيرها من الجامعات السعودية أن يلتفتوا إلى مثل هذه الجوانب ليس في محافظة بلقرن فحسب، وإنما في كل المحافظات في مناطق: الباحة، وعسير، وجازان، ونجران، فجميعها تستحق المزيد من البحوث العلمية الموثقة.

(٢) هناك بعض المتاحف المتواضعة الخاصة عند بعض الأفراد في المحافظة، لكنها لا تفي بالغرض، وهي جهود فردية محدودة، واصحابها متطوعون في جمعها وحفظها، ونسأل الله أن لا يحرمهم الأجر، وأن يرزقهم التوفيق والسداد.

(٣) مسئولية إنشاء متحف عام وكبير في المحافظة يحتاج إلى تضافر جهود رسمية وأهلية من أجل خدمة أهل البلاد، وحفظ شيء من موروث الآباء والأجداد.

(٤) اطلع الباحث على شيء من هذا التراث عند بعض الأسر في قرى باشوت، وسبت حجاب، وآل سلمة، وسبت العلاية، خلال الفترة الزمنية من (١٥-١٧/١١/١٤٣٧هـ). وهذه الزيارة ليست الأولى للمحافظة، وإنما اجتزتها في أسفاري ما بين عسير والحجاز مرات عديدة.

٢. لا يخلو أهل المنطقة من عنصرية تجاه بعضهم بعضا، هذا ما أدركته أثناء تنقلي في أرجاء المحافظة، وهناك من عبَّر عن ذلك بصراحة وبخاصة بين العشائر المستقلة مثل بلقرن تجاه القبائل الأخرى في المنطقة، أو العكس من خثعم، وشمران، وعليان تجاه بعضهم بعضاً، أو تجاه القبائل القرنية وغيرها بل إن عشائر القبيلة الواحدة لديها صور عديدة من النعرات والعنصريات المتنوعة. والواجب على الجميع أن ينبذوا هذه الصفة الذميمة التي لا يصاحبها إلاَّ القطيعة والضغينة والشحناء، ولا فائدة البتة من الاتصاف بها، والتعايش في محيطها[1].

٣. وجوب نشر الوعي التربوي والثقافي والديني الذي يصب في خدمة البيئة والفرد والجماعة، فيحافظ على الأرض من التلوث، وحماية أشجارها وثروتها النباتية والحيوانية، وتعاون جميع السكان في محاربة المبالغات والتبذير في الولائم والمناسبات، ومساعدة المعوزين والمحتاجين من الفقراء والمساكين، وتشجيع الشباب (ذكوراً وإناثاً) على السير في درب الفضيلة، والابتعاد عن التقليد الأعمى لغيرنا من الثقافات والموضات التي ليس لها صلة وثيقة بموروثنا الحضاري والديني والثقافي[2].

٤. ما زالت المنطقة في حاجة إلى عدد كبير من الخدمات، مثل: توسعة بعض الطرق الرئيسية في المحافظة، وإنشاء نادي أدبي، أو لجنة ثقافية متفرعة من نادي أبها الأدبي تقوم على خدمة المثقفين وأرباب القلم ومراقبة الخدمات السياحية مثل: تحديد الأسعار للشقق والفنادق، وتوفير بعض

(١) للأسف أن صفات التعصب والعنصرية سائدة عند جميع قبائل الجزيرة العربية، بل عبر عصور التاريخ، وعندما جاء الإسلام حاربها ونبذها، لكنه لم يتم القضاء عليها، وما زالت تمارس ويدافع عنها من الأفراد والأسر والمجتمعات الصغيرة والكبيرة. وفي جزيرة العرب ما زالت نشطة حتى اليوم، والدولة تعرف ذلك وتسعى بقوة في محاربة التعصب القبلي، والقضاء عليه، لكنها لم تستطع، ولن تستطيع، لتجذره في المجتمع العربي منذ القدم.

(٢) تم إيراد هذه التوصية، لأنني شاهدت بعض السلوكيات التي تنم عن جهلنا بموروث سلفنا الصالح من الآباء والأجداد، واستيراد ثقافات جديدة وغريبة على مجتمعنا، مع أن في ديننا الإسلامي كنوزاً عظيمة لو نهلنا منها فسوف نسير في الاتجاه الصائب الذي يقودنا إلى الخير والصلاح.

المواصلات الدائمة، وصيانة العقبات التي تربط السراة بالأصدار وتهامة، وتطوير متنزهات المحافظة، مثلما جرى في متنزه شيبانه وغيره[١].

٥. تحتاج أرض وسكان المحافظة إلى الكثير من الدراسات الأثرية والتاريخية السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، والتعليمية، والفكرية. كما عاش فيها أعلام عديدون منذ العصر الجاهلي إلى عصرنا الحالي، ويحتاجون إلى من يترجم لهم ويدرس آثارهم في بلادهم وخارجها. والمنطقة على صلات قديمة وحديثة بمن حولها من الحواضر والبلدان، وتستحق الدراسة والبحث، كيف كانت؟ وكيف أثرت وتاثرت على مر التاريخ[٢]؟

(١) للأسف لا يوجد مكتب فرعي للسياحة والآثار في المحافظة، ولو وجد مثل هذه الإدارة فربما تتطور البلاد في ميدان السياحة. ومنطقة مثل محافظة بلقرن يجب الاعتناء بها لتعدد القرى الأثرية فيها، وقدمها التاريخي والحضاري الذي ما زلنا نشاهده في جبالها وتضاريسها المختلفة.

(٢) محافظة بلقرن جزء من أرض السروات التاريخية، وكل ناحية في هذه السراة تستحق أن يفرد لها عشرات الدراسات العلمية والثقافية والأدبية واللغوية والتاريخية والجغرافية والاجتماعية والاقتصادية.

٦- ظهران الجنوب
في بعض المصادر، والوثائق، والمشاهدات
خلال العصر الحديث والمعاصر

(*) نُشر في كتاب:
القول المكتوب في تاريخ الجنوب
ط١: ١٤٣٨هـ، الرياض، مطابع الحميضي، ج١١،
ص ص ١٣ - ٧٤

ظهران الجنوب في بعض المصادر، والوثائق، والمشاهدات خلال العصر الحديث والمعاصر

أولاً: مدخل:

ذهبت في رحلة ميدانية إلى محافظة ظهران الجنوب لمدة أربعة أيام من (الخميس ١١/٢٩ إلى الأحد ١٤٣٧/١٢/٢هـ الموافق (١-٤/سبتمبر/ ٢٠١٦م) للمشاهدة والتنقل في أرجائها، وعند وصولي إليها تلقاني الأستاذان الكريمان حامد وعبدالعزيز أبناء دليم الوادعي[1]، وقاما على خدمتي والسير معي في جبال وأودية ووهاد حاضرة ظهران الجنوب وبعضاً من أجزائها الجنوبية والغربية والشرقية. وفي اليوم الأخير (الأحد) من زيارتي ذهبت إلى بعض الأجزاء الشمالية من المحافظة، والتقيت برئيس مركز الحرجة الأستاذ ظافر الشهري وبعض العاملين معه وتجولت في بعض الأماكن من تلك الناحية[2]. وعند عودتي إلى مقر إقامتي في أبها ارتئيت أن أدون شيئاً من تاريخ هذه المحافظة في الماضي والحاضر، واذكر شيئاً عن أرضها وسكانها، معتمداً على بعض المصادر والمراجع والوثائق الموجودة في مكتبتنا والخاصة بهذه المحافظة [3]، ثم توثيق بعض من مشاهداتنا وانطباعاتنا التي عرفناها أثناء زيارتنا لهذه البلاد السعودية الحدودية [4].

ثانيا: الأرض والسكان:

تقع محافظة ظهران الجنوب في الجهة الجنوبية الغربية من المملكة العربية السعودية، ويحدها من الشمال أجزاء من بلاد قحطان، الواقعة ضمن محافظتي سراة عبيدة وأحد رفيدة، ومن الجنوب أجزاء من منطقة جازان، ومن الجمهورية اليمنية، ومن الشرق منطقة نجران، ومن الغرب أجزاء من منطقة

---

(١) حامد وعبدالعزيز أبناء دليم بن حسن آل زاهر الوادعي، الأول من مواليد عام (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)، تخرج في كلية التربية فرع جامعة الملك سعود بأبها في قسم الرياضيات عام (١٤١٢هـ/١٩٩٢م) عمل في التدريس لبضع سنوات ثم تولى إدارة عدد من المدارس وما زال على رأس العمل حتى اليوم. أما عبدالعزيز فهو من مواليد عام (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، تخرج في قسم التاريخ من فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م) ويعمل في مهنة التعليم حتى وقتنا الحاضر.

(٢) بلاد الحرجة من البلدان التاريخية القديمة وتستحق أن يصدر عنها دراسة علمية موثقة، ونأمل أن يتولى ذلك أحد طلابنا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد.

(٣) يوجد في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية (الوثائق العامة) عشرات الوثائق الحديثة المتعلقة ببلاد ظهران الجنوب، والمسماة قديماً (ظهران اليمن)، وتعود إلى القرنين (١٤-١٥هـ/٢٠-٢١م)، وسوف نشير إلى بعضها وقد يأتي يوم نخرجها في دراسة علمية مستقلة.

(٤) ظهران الجنوب منطقة حدودية جنوبية مع الجمهورية اليمنية، وهي جديرة أن يصدر عنها دراسة كبيرة وموثقة. ونأمل من أساتذة وطلاب أقسام التاريخ في جامعات الجنوب السعودي أن يدرسوا مثل هذا الموضوع دراسة علمية تاريخية.

الأصدار وتهامة[١]. وعموم محافظة ظهران بلاد سروية، ولها بعض البوادي والسفوح الشرقية، وبعض الأصدار والأجزاء التهامية القليلة[٢]. ومن أهم جبال مدينة ظهران شثاث في الشمال، وجبال العمدة في شرق المدينة، وجبال جفجفان والحمراء، وحريزة وهي سلسلة جبلية متصلة غرب المدينة، ولها قمم مسطحة. والناظر لحاظرة ظهران يرى أن الجبال تحيط بها من كل جانب، خلافاً للأجزاء الشمالية من المحافظة الأكثر انبساطاً، لكنها لا تخلو من الجبال المتفاوتة في الكبر والارتفاع مثل: جبل جوعان غرب مركز الحرجة، وجبل شيبة في الجنوب، وجبل مشرف في الشمال. ومن الأودية الرئيسية في المحافظة: وادي العرين الذي تقع عليه مدينة ظهران، والمتجه من شمال غرب المدينة إلى الجنوب الشرقي نحو منطقة نجران. ووادي كتام على قرية كتام جنوب المدينة، وأودية القبضة، والقحيف، والأفياض، والغيل، وعمدان وجميعها ضمن حدود حاضرة ظهران أو قريبة منها، أما في الناحية الشرقية أو الشمالية من المحافظة فهناك العديد من الأودية مثل: وادي راحة سنحان، ووادي يعوض وكلاهما يصبان في وادي تثليث[٣].

ومناخ المحافظة معتدل في فصل الصيف، وبارد في فصل الشتاء، ويغطي الضباب بعض أجزائها الغربية في فصلي الشتاء والصيف، وتسقط الأمطار في فصل الصيف، وأحياناً في فصل الربيع. ويوجد في البلاد الكثير من النباتات

---

(١) المصدر: مشاهدات الباحث وجولاته في بلدان ظهران الجنوب في الفترة من (٢٩/١١-٢/١٢/١٤٣٧هـ الموافق ١-٤/٩/٢٠١٦م).

(٢) تجولت في بلدان المحافظة من الثويلة والعشة جنوباً إلى حدود محافظة سراة عبيدة الجنوبية شمالاً، وفي بعض المرتفعات الغربية، والبوادي والأراضي الشرقية. فرأيت أن معظم تضاريس المحافظة مرتفعات سروية، والجبال الأكثر ارتفاعاً حول مدينة ظهران، وكلما اتجهنا شمالاً أو شرقاً تقل المرتفعات ويزداد استواء الأرض وانبساطها. أما الأجزاء التهامية والأصدار، ففي غرب مدينة ظهران يوجد جوة آل محضي التابعة للمحافظة، وفي الأجزاء الشمالية وبخاصة في بلاد الحرجة وما حولها فهناك بعض الأجزاء التهامية القليلة والمتداخلة مع تهامة بلاد قحطان، وتعود في حيازتها إلى بعض القبائل الواقعة ضمن حدود محافظة ظهران الجنوب من الجهة الشمالية. المصدر: مشاهدات الباحث يومي السبت والأحد (١-٢/١٢/١٤٣٧هـ).

(٣) لم نذكر جميع جبال محافظة ظهران الجنوب لأنها كثيرة ومتفاوتة في الارتفاع وأهمية الموقع. وكذلك الأودية فهناك أودية عديدة كبيرة وصغيرة. ونأمل من بعض أساتذة الجغرافيا أن يدرسوا أودية وجبال هذه المحافظة المهمة في موقعها وثرواتها الطبيعية. المصدر: مشاهدات الباحث أثناء زيارة المحافظة في الفترة من (٢٩/١١-٢/١٢/١٤٣٧هـ). ونجد فلبي يفصل الحديث عن جغرافية ظهران الجنوب، وللمزيد انظر كتابه: مرتفعات الجزيرة العربية، جـ٢، ص ٦٩٥ وما بعدها.

الجبلية مثلك الطلح، والسدر، والعثرب، والأثل، والشوحط، والعرعر، وبعض الشجيرات والحشائش الأخرى [١]. وتزرع بعض النباتات المثمرة كالرمان، والعنب، والتين الشوكي (البرشومي)، والتين وبعض الحمضيات (البرتقال والليمون) وغيرها. وهناك بعض الحيوانات والطيور البرية مثل: الذئاب، والثعالب، والقرود، والأرانب، والغزلان، والحمام، والحجل [٢].

يستوطن المحافظة اليوم عدد من القبائل العربية التي تعود في نسبها الأعلى إلى كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. ويسكن مدينة ظهران الجنوب وما حولها من القرى والأرياف قبيلة وادعة [٣]. أما شمال المحافظة، والمجاورة لمحافظة سراة عبيدة فيسكنها عدد من عشائر قحطان السروية التي تعود في نسبها إلى قبيلة مذحج القحطانية المنتمية إلى كهلان [٤].

---

(١) محافظة ظهران الجنوب قليلة الأشجار والنباتات البرية إذا ما قارناها مع سروات عسير أو الباحة أو الطائف الممتدة من مدينة أبها إلى سراة الطائف. وموضوع النبات في هذه البلاد جدير بالدراسة، ويستحق أن يصدر عنه عدد من البحوث والدراسات العلمية.

(٢) مشاهدات الباحث أثناء تجواله في جبال ووهاد المحافظة غرب مدينة ظهران، وفي أجزاء من قرى وادي الغيل، والطلحة، ومركزي الفيض والحرجة. والملاحظ أن كثيراً من الطيور والحيوانات البرية مثل: الصقور، والنسور، والأسود، والضباع، والنمر العربي وغيرها انقرضت، فلا نرى أو نسمع عنها ذكراً في المنطقة، مع أن البعض يقول إنها توجد في الأصدار وأجزاء من تهامة، واعتقد أنها غير موجودة، لأن شق الطرق المعبدة، ووجود الآلات كالسيارات وغيرها جعلتها تهرب من مواقعها، وأحياناً تقتل من قبل الصيادين أو أصحاب المواشي في البوادي والأرياف.

(٣) وادعة: قبيلة عربية ماجدة عاشت في بلاد اليمن وأرض السروات منذ عصور قديمة، وهم ينتسبون إلى وادعة بن عمرو بن عامر بن ناشج بن دافع بن مالك بن جشم بن حاشد بن همدان بن زيد الذي يعود في نسبه إلى يشجب بن يعرب بن قحطان. وهناك الكثير من كتب النسب والتراث الإسلامي أشارت إلى مواطن هذه القبيلة، وتاريخها قبل الإسلام وبعده، وصوراً من أمجادها وبطولات رجالها داخل الجزيرة العربية وخارجها، ومازالت كثير من فروعها تستوطن أرض السروات الممتدة من شمال اليمن وغرب نجران إلى سروا ت قحطان المعروفة في وقتنا الحاضر.

(٤) العشائر التي تسكن اليوم في شمال محافظة ظهران الجنوب، وهي جزء من أرض السروات الممتدة من الحجاز إلى اليمن، وجزء من قبائل قحطان المعاصرة، فهم: الحباب، وشريف، وسنحان وبعضاً من عبيدة، وبني بشر. والسائح اليوم في بلاد هذه القبائل يرى أن أجزاء منها تعود إدارياً إلى محافظة ظهران الجنوب، وأخرى إلى محافظات سراة عبيدة، وأحد رفيدة، وطريب، الواقعة إلى الشمال من محافظة ظهران. وفي اعتقادي أن فصل هذه الناحية لتكون محافظة مستقلة أفضل حضارياً وتنموياً ومركز الحرجة هو أفضل المواقع لتأسيس مثل هذه الإدارة لتوسط الموقع، وعراقة الحرجة تاريخياً. وبلاد الحرجة مذكورة في التاريخ وتحتاج إلى من يدرسها دراسة علمية موثقة.

لا تخلو المحافظة من عناصر عربية أخرى جاءت إليها منذ عشرات السنين مثل: بعض الأسر والأفراد اليمنيين الذين جاءوا إلى هذه البلاد منذ عشرات السنين، واستقروا بها حتى يومنا الحاضر[١]. ويشاهد السائح الكثير من الأجناس البشرية التي جاءت إلى المحافظة خلال الأربعين سنة الماضية من أجل العمل المؤقت في مهن وأعمال عديدة، ومنهم بعض السعوديين الذين جاءوا من مناطق أخرى في المملكة للعمل الوظيفي، أو العرب الذين قدموا من بلدان عربية مثل: مصر، والسودان، والأردن، وبلدان شمال إفريقيا، وسوريا، وفلسطين وغيرها [٢]. ومنهم أعاجم من بلدان إسلامية وغير إسلامية، كالهند، والفلبين، والباكستان، والنيبال، وأندونيسيا، وبنجلادش، وبورما، وتركيا، وبعض الغربيين [٣].

ثالثا: ظهران الجنوب في بعض المصادر والوثائق في القرن (١٤هـ/ ٢٠م):

١- ظهران في بعض المصادر والمراجع:

قبائل وادعة وقحطان التي تسكن اليوم في محافظة ظهران الجنوب لها تاريخ قديم يعود إلى ما قبل الإسلام وعبر عصور التاريخ الإسلامي. فالهمداني، المعروف بـ (لسان اليمن) أو (ابن الحائك) من أهل القرنين الثالث والرابع الهجريين يشير إلى أجزاء من بلاد وادعة فيقول: "بلد وادعة النجدية بقعة، وعوذان، والثويلة، وغيل علي، ووادي عراد، وأعالي وادي نجران، فإلي جبل شوك، فقاضي دين، فالزبران،

(١) التقيت ببعض الأفراد المسنين اليمنيين في حاضرة ظهران، وأخبروني أنهم يعيشون مع أسرهم في هذه البلاد من خمسين عاماً، وهناك من ذكر أن آباءهم وأجدادهم جاءوا إلى ظهران منذ أكثر من مئة عام، وبعضهم أصبحوا مواطنين سعوديين، وآخرين لم يحصلوا على الجنسية. وهناك بعض العناصر القليلة غير العربية الذين جاء آباؤهم أو أجدادهم من افريقيا وغيرها منذ سنوات بعيدة، وصاروا اليوم من أبناء المجتمع السعودي.

(٢) جاء الأتراك وبعض الألبان إلى جنوب الجزيرة العربية في القرن (١٣هـ/١٩م)، وعندما رحلوا في القرن (١٤هـ/٢٠م) تخلف بعضهم وصاروا من أهل البلاد. أيضاً الأجناس العربية من مصر، والسودان، والأردن، وفلسطين تواجدوا بنسبة كبيرة في مناطق الجنوب السعودي منذ ستينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى بدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) للعمل في التعليم وبعض المؤسسات الأخرى. وحقبة تواجدهم في هذه البلاد لم تدرس وتستحق أن يفرد لها بحوث مطولة تذكر جهودهم ومشاركاتهم المختلفة.

(٣) إن الدارس لأحوال البلدان الجنوبية السعودية في نهاية القرن الهجري الماضي وبدايات هذا القرن يلحظ أن الأوربيين والكوريين تواجدوا بكثرة، ومن ربع قرن تقريباً حل محلهم الهنود والبنجال وأحياناً الفلبين. المصدر: هذا ما عرفه الباحث وشاهده خلال الأربعين سنة الماضية في المنطقة الممتدة من جنوبي الطائف ومكة إلى جازان ونجران.

فــالي مهجرة، فالمنضج، فأقاويت، فارينب، فجلاجـل...." [١]. وهذه المواضع التي ذكرهــا الهمداني مازالــت تعرف بهذه الأسماء في محافظــة ظهران الجنوب حتى الآن. ووادي العريــن هــو الاسم القديم لــوادي ظهران الذي يجتــاز مدينة ظهران الحديثة، وقد سميت المدينة باسم الوادي[٢].

وقبيلة وادعة تستوطن جزءاً كبيراً من محافظة ظهران، وهي من سلالة وادعة بــن عمــرو بن عامر بن ناشــج بن حاشد بن همــدان الذي يعود نسبــه إلى زيد بن كهــلان[٣]. والهمداني يذكر في شرحه على أرجوزة الرداعي بعض الأماكن في بلاد ظهران التابعــة لقبيلة وادعة، مثل: الركبة، ووادي عمدان وهو يرفد وادي الحماد، والركبــة صخرة ململومة لها ارتفاع ملحــوظ، وحضن ويحيطها من الجهات الأربع، ولــه امتــداد إلى وادي الحاثــر قرب مغارة الثويلــة. والثويلة تمتــد إلى طريق سعد الكامــل الذي يطلق عليه اســم (درب الفيل)، وأشار هذا الرحالــة إلى أن مسجداً لخالد بن الوليد تحت الثويلة[٤]. وقد شاهدت بناء مستقبل القبلة على طريق ليست بعيدة عن أجزاء من الثويلة في الجهة الجنوبية عند ماء في أسفل وادي الحاثر مما يلي جبل هضاض، وربما كان هذا البناء هو المسجد الذي ذكره الهمداني[٥].

والجغرافيــون المسلمــون الأوائل ذكروا أسمــاء بعض المواقــع في أرض وادعة، أو ظهــران الجنوب اليوم، مثل: المنضج، وطلحة الملــك، والمهجرة باعتبارها الحد الفاصل بين جغرافية اليمن وجغرافية الحجاز، ومنهم ابن خرداذبة من أهل القرن الثالث الهجري في كتابه: المسالك والممالك[٦]، وأبو إسحاق الحربي من مواليد عام

---

(١) انظــر الحســن بن أحمد الهمداني. صفة جزيرة العرب. تحقيق محمد علي الأكوع (الرياض: منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، ص ٢٥٠.

(٢) ربما كانت مدينة ظهران تعرف باسم قرية العرين نسبة إلى الوادي، ومما لا شك فيه أن الوادي عرف أيضاً باسم (وادي ظهران)، وأطلق على بلدة ظهران هذا الاسم، وذلك من باب إطلاق الاسم الخاص على العام.

(٣) هذا ما ذكرته كتب النسب، مثل: جمهرة أنساب العرب لابن حزم، والأنساب للسمعاني، ومعجم قبائل العرب لعمر رضا كحالة وغيرها.

(٤) انظر الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٤١٦، ٤١٩ — ٤٢١.

(٥) المصــدر: زيــارة الباحــث ومشاهداته في ظهران الجنــوب في الفترة مــن (٢٩/١١- ٢/١٢/١٤٣٧هـ). وللمزيــد عــن ذهــاب الصحابي الجليل خالــد بن الوليد رضــي الله عنه إلى نجران في عصــر الرسول ﷺ ودخوله نجران، انظر، غيثان بن جريس. نجران دراسة تاريخية حضارية (ق ١- ق٤هـ/ ق٧ — ق١٠هـ) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) (الطبعة الثانية) (الجزء الأول)، ص ٦٦ وما بعدها.

(٦) يقــول ابن خرداذبة "المهجرة قرية عظيمة جبلية كثيرة العيون والأهل" انظر كتاب: المسالك والممالك. تحقيق دي.غوي (ليدن: مطبعة بريل، ١٣٠٦هـ/١٨٨٩م)، ص١٨٩.

(١٩٨هـ/٨١٣م) في كتابه: المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة[١]. ونجد أن ابن المجاور والعُمري يذكران سروات وادعة وقحطان وما جاورها ويؤكدان على وفرة خيراتها الزراعية والحيوانية، وكثرة قراها وبواديها وسكانها[٢].

ولا نجد ذكراً واضحاً لبلاد ظهران الجنوب (وادعة وما جاورها) في القرون الإسلامية الوسيطة وأوائل الحديثة[٣]، ومنذ القرن (١٣هـ/١٩م) نجد أرض السروات من نجران حتى الطائف تذكر بنسبة أفضل في المصادر عما كانت عليه قبل هذا التاريخ[٤]. وفي الصفحات التالية نشير إلى بعض المصادر والمراجع التي ذكرت شيئاً من تاريخ ظهران الجنوب خلال القرن (١٤هـ/٢٠م).

فالمستشرق كيناهان كورنواليس يشير إلى قبائل ظهران الجنوب وما جاورهم من قبائل قحطان[٥]، مثل: عبيدة، وبني بشر، وشريف، والحباب، وسنحان، ووادعة[٦]. فيذكر مواطنهم، وتعداد سكانهم وشيئاً من تاريخهم السياسي والحضاري.

---

(١) انظر الإمام أبو إسحاق الحربي. كتاب المناسك. تحقيق حمد الجاسر (الرياض منشورات دار اليمامة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م) (الطبعة الثانية)، ص٦٤٣.

(٢) للمزيد انظر جمال الدين يوسف بن يعقوب بن المجاور. تاريخ المستبصر تحقيق أوسكر لوفغرين (ليدن: مطبعة بريل، ١٩٥١م)، جـ١، ص٣٨، شهاب الدين أحمد بن فضل الله العُمري. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. تحقيق أيمن فؤاد سيد (القاهرة: المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، د. ت)، ص١٦٧.

(٣) قلة المصادر والمعلومات عن بلاد تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة هو الواقع الملموس، وإن ذكرت فذلك بشكل يسير، فلا نستطيع تكوين صورة واضحة عن تاريخ وحضارة هذه البلدان خلال تلك العصور الإسلامية الأولى، وما قبل الإسلام فهو أكثر غموضاً لندرة المصادر.

(٤) تاريخ العصر الحديث من نهاية القرن (١٢هـ/١٨م) حتى وقتنا الحاضر يكاد يكون سهل العثور عليه في بعض المصادر والمراجع المطبوعة، أما الوثائق والمخطوطات غير المطبوعة والمنشورة والموجودة في أماكن عديدة داخل البلاد العربية وخارجها فهي الأساس والمصدر الرئيسي لتاريخ الجزيرة العربية عموماً. والأمل كبير في جامعاتنا المحلية وأقسامها الأكاديمية، والدارسين، والأساتذة والباحثين في هذه المؤسسات العلمية فيبذلوا قصارى جهودهم لدراسة تاريخ وحضارة بلدان الجزيرة العربية الصغيرة والكبيرة. وهذا في اعتقادي من أهم مسئوليات وواجبات هذه الجامعات وكلياتها وأقسامها وأعضاء هيئة تدريسها.

(٥) كورنواليس أحد رجالات المخابرات البريطانية أرسلته حكومته إلى الشرق الأوسط في بداية القرن (١٣هـ/١٩م)، وجاء إلى منطقة عسير لدراستها من جميع الجوانب، فتجول في أرضها وكتب تقريره الذي نشر في هيئة كتيب باسم: عسير قبل الحرب العالمية الأولى، ويقع في (١٥٥) صفحة من القطع الصغير باللغة الإنجليزية، ونشر في مدينة كمبردج ببريطانيا عام (١٩٧٦م). وهذه النسخة الإنجليزية هي المعتمدة في هذا البحث، مع أنه اعتدى على هذا الكتاب بطريقة غير علمية أو رسمية وترجم إلى العربية، وهذه النسخة المترجمة مليئة بالأخطاء العلمية واللغوية والمنهجية، ويستحق هذا الكتاب أن يترجم ويدرس دراسة علمية تخضع للشروط الأكاديمية.

(٦) هذه القبائل العربية الجنوبية السعودية تستحق أن يفرد لكل واحدة منها دراسة تاريخية حضارية

وكـون وادعة هي القبيلة الرئيسية في محافظـة ظهران، فيقول عنهم "هي قبيلة تجارية صغـيرة، ويحدها مـن الشمال والشرق قبائل يام، ومن الغـرب سنحان والحباب، وهي آخـر قبيلة سنية تعيش في الداخل، ومن حدودها الجنوبية تبدأ قبائل الزيدية اليمنية. وبلادهم كثيرة الإنتاج في طبيعتها، ويملكون الكثير من آبار الماء، ويزرعون العنب الذي يحولونـه إلى زبيـب، ويبيعونـه في أبها ورجال ألمـع. ويستوردون القهـوة من جبل رازح ومن خولان اليمن، وليسوا محبين للنـزاع والقتال... وقريتهم الرئيسية ظهران، عاصمة وادعة، وتبعد حوالي (١٠٧) ميلاً من أبها، وفيها يعقد سوق القبيلة الرئيسي"[١].

وفي منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) نجد بعض المؤرخين والرحالة يزورون بلدان ظهـران الجنوب ويكتبون شيئاً من تاريخها، مثل: فؤاد حمزة[٢]، والحاج فلبي[٣]، فـالأول كتب عدداً من الدراسـات والكتب التي ذكر فيها وادعـة وظهران وبخاصة كتابه: في بلاد عسير، الذي أفرد فيه فصلاً مستقلاً سماه (بلاد وادعة وقحطان) وكان يعتقـد أن وادعة جزء من قحطان، لكن عند وصوله إلى خميس مشيط اتضح له أن قحطان يختلفون عن وادعة في النسب والمكان، وفي حوالي (١٢) صفحة ذكر فيها بعض المعلومات عن جغرافية هذه الأوطان، وعدد بعض قراها وأوديتها، وذكر بعض أعلامها وشيئاً من تاريخها[٤].

توضـح تاريخها من قبل الإسلام حتى وقتنـا الحاضر. ونأمل أن نرى باحثين جادين من أبناء هذه البلاد فيدرسون أوطانهم دراسة علمية موثقه.

(١) انظر Sir Kinahan Cornwallis. Asir Before World War.I (Cambridge,1976)pp.77-78.

(٢) فـؤاد حمزة مـن رجال الملك عبدالعزيز بـن عبدالرحمن الفيصل، وهو من أصـل لبناني، قام بالعديد مـن المهمـات الداخلية والخارجية، ومنها رئاسـة الوفد السعودي الذي التقى بالوفـد اليمني في أبها عام (١٣٥٢هـ/١٩٣٣م)، وذلك من أجل حل مشكلة الحدود بين الدولتين، وعند مجيئه إلى أبها دوّن رحلته في بـلاد عسـير، ونشرها في كتاب عام (١٣٧٠هـ/١٩٥٠م). واستقر في نهاية حياته في لبنان ومات فيها عام (١٣٧١هــ/١٩٥١م). للمزيد انظر، خير الدين الزركلي. الأعلام (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤م)، جـ٥، صـ١٥٩، غيثان بن جريـس. القول المكتوب في تاريـخ الجنوب (الرياض: مطابـع الحميضي. ٣٢-١٤٣٣هـ/٢٠١٠-٢٠١١م)، جـ٣، ص٣٥٢.

(٣) هـاري سانت جون فلبي انجليـزي الأصل، جاء إلى جزيرة العرب عام (١٣٣٦هـ/١٩١٧م)، ومكث فيها (٤٠) سنـة، وحظي بالقرب من الملك عبدالعزيز، وكلفه بالعديد مـن المهمات الداخلية والخارجية، ألف أكـثر مـن أربعين كتابـاً معظمها عن تاريخ وحضـارة الجزيرة العربية، وعدد من كتبـه ترجمت إلى اللغة العربيـة. للمزيـد عن هذا المستشرق انظر، اليزابيث مونرو. فيلبـي العرب (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، ص٣٠٧ ومـا بعدها، غيثـان بن جريس. دراسـات في تاريخ وحضارة جنوبـي البلاد السعوديـة (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) (الجزءان الأول والثاني)، ص٣٨٣ وما بعدها.

(٤) انظر فؤاد حمزة. في بلاد عسير (الرياض: مكتبة النصر الحديثة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) (الطبعة الثانية)، ص١٣٨-١٥٠.

والحاج فلبي دون كتابه: مرتفعات الجزيرة العربية في (٧٧١) صفحة باللغة الإنجليزية، وطبع عام (١٩٧٦م)، ثم تُرجم ونُشر في مكتبة العبيكان بالرياض عام (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، وهذه النسخة العربية تقع في مجلدين في (١٤٤٩) صفحة، وهي النسخة التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة[١]. وهذا الكتاب خصص لجنوبي البلاد السعودية، وشمل أجزاء كثيرة من بلاد تهامة والسراة، ويقع في ستة أبواب و(٣٣) فصلاً[٢]، منها أربعة فصول فصلت الحديث في (١٢١) صفحة عن بلدان محافظة ظهران الجنوب. وهذه الفصول على النحو التالي: (١) الفصل رقم (٢٠)[٣]، وعنوانه: تثليث الأعلى. (٢) الفصل رقم (٢١): المنابع العليا لحبونا. (٣) الفصل رقم (٢٢): حدود الهضبة. (٤) الفصل رقم (٢٣)، وعنوانه: عودة إلى شراقب[٤].

ونجد فلبي يتحدث في حوالي (٣٢) صفحة عن أجزاء من منابع وادي تثليث، وهذه المنابع تقع في شمال محافظة ظهران الجنوب مثل: بلاد الحرجة، وراحة سنحان، والفيض وغيرها. والجميل أن هذا المستشرق زار هذه البلاد وتجول في أرجائها ودون شيء من تاريخها الجغرافي والحضاري[٥]. وفي الفصل رقم (٢١): المنابع العليا لحبونا، وحبونا وادي وأرض شاسعة في منطقة نجران، لكن مصبات هذا الوادي تأتي من بلاد ظهران الممتدة من الطلحة وما جاورها شمالاً إلى بلدة ظهران الجنوب جنوباً، وقد سماها فلبي (المنابع العليا لحبونا)، وهي فعلاً من مسايل وادي حبونا الغربية، وهذه الأوطان الظهرانية تصب مياهها في وادي حبونا وأجزاء من منطقة نجران[٦].

---

(١) هذا الكتاب قمنا على مراجعته وتدقيق معلوماته بعد ترجمته ثم كتبنا تقديماً له في سبع صفحات. انظر هاري سانت جون فيلبي. مرتفعات الجزيرة العربية. ترجمة حسن مصطفى حسن. تقديم ومراجعة وتعليق غيثان بن علي بن جريس (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) (مجلدان).

(٢) درس هذا الكتاب جميع مناطق الجنوب السعودي ماعدا قمم السروات الممتدة من شمال أبها إلى مدينة الطائف.

(٣) المقصود بـ (الفصل رقم (٢٠))، أي رقم الفصل في كتاب فلبي المترجم والمطبوع (مرتفعات الجزيرة العربية)، والفصول رقم (٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣) هي المادة التاريخية المنشورة في الكتاب والخاصة ببلاد ظهران الجنوب.

(٤) للمزيد عن هذه الفصول انظر فلبي، مرتفعات الجزيرة العربية، جـ٢، ص٦٩٥ وما بعدها.

(٥) المصدر نفسه، جـ٢، ص ٦٩٥-٧٢٧.

(٦) المصدر نفسه، جـ٢، ص ٧٢٩-٧٥٤.

والفصلان (٢٢، ٢٣) الآنف ذكرهما ترصد جولات فلبي وما شاهده في أجزاء من بلاد ظهران الجنوبية، فذكر عدد من النقاط الحدودية مع اليمن، وأشار إلى قرى وأودية وجبال شاهدها وتجول في أرجائها، كما أنه تطرق للحديث عن بلدة ظهران نفسها وذكر صوراً من تاريخها الاقتصادي والاجتماعي والجغرافي والسكاني، وتطرق للحديث عن بعض المرتفعات الغربية في أرض ظهران من بلدة ظهران نفسها حتى بلاد الحرجة وأرض سنحان وشريف والحباب في شمال المحافظة، ومن هناك سلك عقبة شراقب التي تصل أجزاء من سروات ظهران وقحطان بوادي بيش وأجزاء من منطقة جازان[١].

والملاحظة على معلومات فلبي أنها جديدة في تفصيلاتها ونوعها فلم يهتم بجانب دون الآخر، وإنما أشار إلى جزئيات عديدة من تضاريس ومناخ ونبات وحيوانات[٢]، وذكر أيضاً بعض الصور التاريخية الاجتماعية لأهل ظهران مثلك بعض الأعراف والعادات، والألبسة، والأطعمة، وأنواع المنازل والقصور والقرى، وبعض اللهجات والمفردات اللغوية[٣]، وإشار إلى الوضع الإداري في ظهران، وكيف حالة شيوخ القبائل وثقلهم في مجتمعاتهم، وعدد أسماء بعض المسئولين وموظفي الحكومة السعودية هناك، مثل مدير المال، والقائم على الشرطة، والقضاء، والإمارة وغيرها[٤]. وأسهب في الحديث إلى حد ما عن الحياة الزراعية، وبعض الحرف والصناعات التقليدية، وصوراً من التاريخ التجاري[٥]، كالعملات المستخدمة، والسلع المعروضة في الأسواق الشعبية، وحياة الناس في أسواقهم الأسبوعية الكبير، مثل: سوق الحرجة، وسوق الأربعاء في الطلحة، وسوق ظهران[٦]. وعندما وصل فلبي إلى بلدة ظهران تجول في أرجائها، ووصف واديها الرئيسي (وادي العرين)، وأشار إلى شيء من تاريخها الحضاري، وذكر بعض موظفي الدولة الذين كانوا يتولون بعض المسئوليات على أرضها، مثل محمد بن بريكان مدير الجمارك

---

(١) المصدر نفسه، جـ٢، ص ٧٥٥-٨١٦. الباحث تجول في كثير من البلدان التي زارها فلبي في منتصف القرن الهجري الماضي، وأقول إن ما دونه هذا الرحالة مادة علمية قيمة ودقيقة وجديدة.

(٢) فلبي، مرتفعات الجزيرة العربية، جـ٢ ص ٧٠٣ وما بعدها.

(٣) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧١٢، ٧١٣، ٧٢٤، ٧٤١، ٧٤٢، ٤٧٥ وما بعدها.

(٤) المصدر نفسه، جـ٢، ص ٧٠٨، ٧١١-٧١٢، ٧٤٠، ٧٤١.

(٥) يحتوي كتاب فلبي على تفصيلات جيدة عن التاريخ الاقتصادي في منطقة ظهران الجنوب، وأقول إن دراسة تاريخ الاقتصاد في هذه الناحية. من الموضوعات الجيدة التي تستحق أن يفرد لها رسالة علمية أو كتاب.

(٦) انظر فلبي، مرتفعات الجزيرة العربية، جـ٢، ص ٧٠٩، ٧١٥، ٧٢٠، ٧٣٠، ٧٣٧-٧٣٨، ٧٤٣، ٧٤٥، ٧٥٠، ٧٩٣.

والمالية، ومحمد القدسي مدير الشرطة، ومما قال عن هذين المسئولين وعن بلدة ظهران، قوله: ((ولد محمد القدسي في أبها، وهو ابن مواطن من القدس، كان قد شغل منصباً رسمياً في تلك المنطقة خلال النظام التركي القديم... لقد قابلته في أجنحته المريحة في منزله في بلدة ظهران، ووجدت أن غرفة الاستقبال لديه كانت نظيفة أكثر من العادة، وكانت الأجزاء العليا من الجدران مطلية بالجير الأبيض، بينما طلي الجزء الأسفل بالأخضر الناعم، مع شريط تزييني ملون يمتد في خط عريض حول جدران المجلس على أسلوب أبها[١]، .... تناولنا طعام الإفطار، إلاّ أن محمد القدسي أصر على تقديم الأطعمة المنعشة إلى جانب القهوة العادية والشاي، وكان يمطرنا بالتمر الممتاز الذي جلبه من بيشة، وبالزبيب، والرمان الطازج المحلي،... كما احتفى بنا محمد بن بريكان، الذي دعانا عنده للإفطار، وقدم لنا مأكولات مشهية منعشة، ...وكان الإفطار مكوناً من القهوة مع تمور بيشة وعنب الخريف الأسود الذي جلب من صعدة، وبعض اللقيمات الصغيرة اللذيذة، وهي ضرب من الكعك المحلي المقلي بالدهن، وكان العشاء أساساً من الرز الوافر مع لحم الضأن، مع قرع مقلي ومشرح في أطباق من صلصة مرق اللحم، وكانت وظيفة مضيفنا تنحصر في ضبط وإقرار الضرائب على تجارة البن من اليمن[٢].

وكانت ظهران نقطة حدودية ذات أهمية، على الرغم أن محمد[٣] لم ير أنه من الضرورة إقامة حامية عسكرية هنا، وكانت وظيفة الشرطة الأساسية هي ضبط التهريب عبر الحدود[٤]، وكان رجال الشرطة حتى هذه اللحظة يعيشون في مساكن سيئة محطمة على أطراف البلدة، لكن محمد بن بريكان قام ببناء نقطة شرطة جديدة على الموقع المسيطر من فوق هضبة تطل على البلدة، وتبدو هذه النقطة

---

(١) نقش داخل البيوت في منطقة عسير، وبعض الفنون العمرانية والتشكيلية ميدان كبير في مجال البحوث والدراسات، نأمل أن نرى أحد طلابنا يدرس هذا العنوان في أبها أو عموم منطقة عسير خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م)، وإذا لم يدرس فقد يضيع ويندثر ولا نجد مصادر علمية موثقة تذكر هذا الباب المهم الجدير بالبحث والتدوين.

(٢) هناك تجارات عديدة تصدر من اليمن إلى بلدان عسير وجازان والحجاز خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، ويوجد عنها الكثير من الوثائق غير المنشورة، نأمل أن نرى باحثاً جاداً فيدرس هذا الموضوع العلمي الجديد في بابه ومادته.

(٣) المقصود بـ (محمد)، أي محمد بن بريكان، مدير الجمارك والمالية في ظهران في خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٤) دراسة المؤسسات الإدارية في ظهران خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) من الموضوعات الجديدة ويستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية.

مهيبة، ومبنية كلها من مواد حجرية ومن أخشاب العلب للأعمدة والرافدات[١]، وتقديري تكلفة الأشجار التي تم قطعها للحصول على هذا الخشب (٤٥٠٠) ريال ماريا تريزا، أو حوالي (٢٢٥) جنيه استرليني ذهبي[٢]).

وهناك ثلاثة مراجع حديثة أشارت إلى ديار وسكان ظهران الجنوب من ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى بداية القرن (١٥هـ/٢٠م)، وهم: (١) يحيى بن إبراهيم الألمعي[٣]. (٢) محمود شاكر[٤]. (٣) عاتق بن غيث البلادي[٥]. وأفضلهم الأستاذ الألمعي الذي زار ظهران الجنوب مرتين الأولى عام (١٣٧٩هـ/١٩٥٩م)، والثانية (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م). وفي الزيارة الأولى كتب أربع حلقات عن ظهران سماها (كنت في ظهران) ونشرت في صحيفة اليمامة السعودية، وذكر في تلك الحلقات أهمية ظهران التاريخية والجغرافية، وحدودها، وانتقد تسميتها باسم (ظهران اليمن)، وأشار إلى شيء من عادات وأعراف أهلها، وذكر بعض قراها وجبالها وأوديتها، ولم يغفل عن الإشارة إلى بعض الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية التي مارسها أهل ظهران، ونوه إلى تواضع الحياة، وصعوبة أرضها وطرقاتها[٦]. وفي زيارته الثانية عام (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) أي بعد ثلاث عشرة سنة من زيارته الأولى، ذكر بعض آثار ظهران من نقوش ورسومات وغيرها، وأشار إلى مسجد البلدة والبئر الموجودة بداخله، ويعود تاريخها إلى مئات السنين، وتعرض لصور

---

(١) تاريخ البناء والعمارة في بلاد ظهران خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) موضوع جديد ويستحق أن يكون عنواناً لبحث أو رسالة علمية.

(٢) انظر، فلبي، مرتفعات الجزيرة العربية، جـ٢، ص ٧٤١ وما بعدها. وأقول إن المادة التي جمعها ودونها فلبي عن ظهران تعد من أفضل المصادر التاريخية عن هذه الناحية خلال العصر الحديث. وبلاد ظهران ذات تاريخ سياسي وحضاري خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م)، ونتطلع إلى أحد طلابنا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد فيدرس هذا العنوان في هيئة بحث أو رسالة علمية موثقة.

(٣) الأستاذ يحيى الألمعي، أحد أبناء رجال ألمع في منطقة عسير، عمل في بعض المؤسسات الإدارية في نجران وظهران الجنوب وغيرها، وله بحوث ومقالات عديدة خلال الثمانينات والتسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، جمع بعضها في كتابه: رحلات في عسير (نصوص، وانطباعات، ووصف، ومشاهدات)، ونشره في جدة عام (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م)، وفي هذا الكتاب بعض المعلومات عن ظهران، وهي التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة.

(٤) محمود شاكر أستاذ مصري الجنسية وله مؤلفات ودراسات عديدة، وكتابه (عسير) هو الذي استفدنا منه في هذا المبحث. وطبع لأول مرة في المكتب الإسلامي في بيروت عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م).

(٥) الأستاذ عاتق البلادي من أهل الحجاز وله مؤلفات ودراسات منشورة، ومنها كتابه الموسوم: بين مكة وحضرموت (رحلات ومشاهدات) مطبوعات دار مكة للنشر والتوزيع (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).

(٦) إبراهيم الألمعي، رحلات في عسير، ص ١٣٢-١٤٠.

مـن التنمية الحضارية التي وصلت بلاد ظهران، مثل: إنشاء العديد من المؤسسات الإدارية كالمدارس، والمستشفيات وغيرها[١].

أمـا محمود شاكر والبـلادي فلم يدونا شيئـاً كثيراً عن ظهـران. فالأول كتب شيئـاً من تاريخ منطقة عسير السياسي والحضـاري وأشار إلى ديار ظهران بشكل عابر، وذكر قبيلة وادعة التي تسكن ظهران، وبعض شيوخها مثل: ابن كعبان، وابن عريعـر، وتحدث بشـكل يسير عن قبائل قحطـان التي تستوطن أجـزاء من شمال محافظة ظهران الجنوب مثل: سنحان وشريف[٢].

وعاتـق البـلادي زار ظهران عـام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، وذكـر وجودها ضمن بلاد السروات، وأشار إلى بعض أوديتها التي تتجه شرقاً وتصب في وادي حبونا أو تثليث[٣]. ولم يدون عنها الشيء الكثير، وإنما ذكرها في عنون جانبي سماه (ظهران اليمن)[٤]، وقال عنها ((مدينة صغيرة في وادي تحيط بها، التلال، يتجه ماؤه إلى وادي حبونـا. فيهـا تقدم عمراني ملموس، وتخطيط حسـن، ولها إمارة، ومحكمة، ومرور، ونحو ذلك. وهي من ديار وادعة القحطانية اليوم (الهمدانية نسباً)، وتبدأ ديارهـم من واد راحة إلى ما وراء ظهران اليمن جنوباً، وتحادها يام من الجنوب، ويقول الناس اليوم (ظهـران الجنوب)، وبهذا الاسم تأتي المعاملات، ومعروف أن كل ما هو جهة اليمن يسمى جنوباً، وإمارتها تابعة لأبها))[٥].

٢- ظهران في بعض الوثائق:

لعبـت بلاد ظهران الجنوب أدوار تاريخية وحضارية خلال العصر الحديث، وبخاصـة في مـا يتعلـق بالجمهورية العربيـة اليمنية، وذلك لموقعهـا الاستراتيجي الـذي يربط بين بعض بلدان تهامة والسراة في مناطق جـازان، وعسير، ونجران،

---

(١) المرجـع نفسـه، ص ١٤١-١٤٥. المادة التي دونها عن ظهـران في زيارته الثانية سماهـا (ماذا تعرف عن ظهران الجنوب؟)

(٢) انظـر، محمـود شاكر، عسير، ص ١٠٥ وما بعدهـا. يبدو أن محمود شاكر لم يـزر بلاد ظهران الجنوب، وإنما دون معلوماته مما سمع واطلع عليه في بعض المراجع وربما الوثائق.

(٣) انظر، عاتق البلادي، بين مكة وحضرموت، ص ٤١، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢.

(٤) لم يكـن اسمهـا أثناء زيارته (ظهران اليمن)، وإنما تسمى ظهـران الجنوب، وهذا ما ذكره في آخر نصه المدون أعلاه.

(٥) عاتـق البـلادي، بين مكـة وحضرموت، ص ٥٥. وبلاد ظهران اليـوم أصبحت مدينة وقـرى حديثة تنعم بالكثير من النمو والتطور في شتى المجالات الحضارية.

وبعض مدن وقرى في الأجزاء الشمالية من دولة اليمن[١]. وهناك كتب أشارت إلى صفحات من التاريخ الحديث لهذه البلاد، وقد أشرنا إلى بعض هذه المراجع في صفحات سابقة من هذا القسم، والأهم من ذلك وجود مئات الوثائق غير المنشورة التي فصلت الحديث عن حضارة وتاريخ ظهران الجنوب خلال القرنين الماضيين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م)[٢]. وفي جولاتي الداخلية والخارجية خلال الثلاثين عاماً الماضية استطعت جمع الكثير من الوثائق غير المنشورة، وفهرست كثيراً منها في مكتبتنا العلمية[٣]، وأثناء كتابة هذا القسم رجعت إلى أجزاء من هذه الوثائق، فوجدت فيها العشرات الخاصة بأرض وسكان ظهران الجنوب خلال القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي)، وجميعها جديدة، فلم يسبق نشرها[٤]. ولمحدودية صفحات هذا القسم فإننا نقتصر على دراسة ونشر عشر وثائق[٥]، وهي على النحو التالي: (*) **الوثيقة الأولى:** في شهر شوال عام (١٣٤٩هـ)، وهي مرسلة من شيخ قحطان محمد بن دليم أبو لعثه إلى رئيس ماليات الجنوب

---

(١) حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس علاقة ظهران الجنوب السياسية والحضارية مع دولة اليمن ومناطق الجنوب السعودي خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م). ومن يدرس هذا الموضوع فسوف يطلعنا على مادة علمية جديدة وجديرة بالدراسة والاطلاع.

(٢) كثير من هذه الوثائق محفوظة في أماكن عديدة مثل: دور الأرشيف في جمهورية اليمن، وبعض المراكز والمكتبات ودور المحفوظات في المملكة العربية السعودية، وفي عدد من دور الوثائق في بعض الدول العربية، وتركيا، وبريطانيا وغيرها. كما يوجد كثير من الوثائق المحلية التي تمتلكها بعض الأسر والأفراد في مناطق عسير، ونجران وغيرها، وهذه الوثائق لا تخلو من مواد علمية جيدة تصب في خدمة تاريخ وحضارة منطقة ظهران الجنوب وما حولها.

(٣) يوجد في مكتبتنا أكثر من (٤٥) ألف وثيقة غير منشورة، ومعظمها تدور في فلك التايخ الحديث والمعاصر. وللمزيد من التفصيلات عن مكتبة (غيثان بن جريس) انظر، محمد بن أحمد معبِّر. مؤرخ تهامة والسراة (غيثان بن علي بن جريس) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) (الطبعة الأولى) (٦٢٠ صفحة). للمؤلف نفسه، مواكب الأقلام (قراءات وتعليقات في التاريخ الإسلامي بمكتبة الدكتور غيثان بن جريس العلمية (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) (٥١٩صفحة). للمؤلف نفسه، دليل البحوث الجامعية في مكتبة الدكتور/ غيثان بن جريس العلمية (بيليوجرافيا مشروحة) (١٤٠١-١٤٣٥هـ/١٩٨١-٢٠١٤م) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م) (٥٥٠صفحة).

(٤) آمل أن يأتي اليوم الذي أجمع فيه هذه الوثائق وأدرسها دراسة علمية، وإن وجدنا باحثاً جاداً يدرسها، فليس لدينا أي مانع أن نتعاون معه لبحثها ودراستها ثم نشرها.

(٥) قلت إنه يوجد بحوزتنا عشرات الوثائق السياسية والحضارية الحديثة الخاصة بمنطقة ظهران الجنوب، وهذه الوثائق كافية لإصدار كتاب أو رسالة علمية في مئات الصفحات، ونرجو من الله - عز وجل -، أن يوفقنا لدراستها وإصدارها في عمل علمي مستقل، كما أرجو أن نرى باحثة أو باحثاً من طلابنا في قسم التاريخ، فرع الدراسات العليا، بجامعة الملك خالد فيدرس بلاد ظهران من خلال الوثائق، ونحن على استعداد للتعاون مع من يقوم بهذا المشروع العلمي.

عبدالوهاب أبوملحة يخبره فيها باستقرار الأحوال في بلاد قحطان وظهران الجنوب[١]، ويوضح له أيضاً سير الأمور في سوق الحرجة، حيث الهدوء سائد، ورسوم السوق تسير حسب توجيهات حكومة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل، وتبعاً لأنظمة ولوائح إدارة الماليات في أبها[٢].

(*) **الوثيقة الثانية :** بعنوان: ميزانية الحرجة وظهران عام (١٣٥٠هـ)، وتحتوي على أسماء الإدارات والمواطنين في ظهران الجنوب ورواتبهم الشهرية بالقروش، فذكرت أمير الحرجة وظهران، عبدالله بن عثمان، وراتبه (٣٣٠٠) قرش، وكاتبه (٢٢٠)قرشاً، وعدد الأخويا في الإمارة عشرين فرداً براتب (١٠٠) ريال عربي نقداً، وخمسون ريال عربي تصرف لكل واحد من الأخويا سنوياً مقابل الإعاشة، ومدير مالية الرسوم محمد بن بريكان (١١٠٠) قرشاً، وأمين الصندوق أحمد بن حيدر (٨٨٠) قرشاً، وإبراهيم بن رشيد معاون مأمور تحصيل (٢٢٠) قرشاً، ورئيس الدورية صالح بن حيان (٢٢٠) قرشاً، وستة حراس رسوم الأسواق براتب(١١٠) قرشاً لكل واحد، ومتفرقة وقرطاسية ظهران (١١٠) قرشاً. وقاضي المحكمة ناصر بن جعوان (١١٠٠) قرشاً، وخادم المحكمة (١١٠)قرشاً، ومتفرقة وقرطاسية المحكمة (٥٥) قرشاً. ورواتب بعض الأفراد من أسرة آل دليم، شيوخ قحطان ووادعة، مثل: دليم بن محمد أبولعثه (١١٠٠) قرشاً، وسعيد بن دليم (١١٠) قرشاً، وفردان بن دليم (١٦٥) قرشاً، وعبدالله بن دليم (١١٠) قرشاً، ومطوع إمام مسجد ظهران عبدالله بن درهم (٥٥) قرشاً، ومطوع إمام مسجد الحرجة عبدالرحمن النعمي (٢٦٥) قرشاً، وعبدالله بن علي بن مناع (سري)[٣] (٢٢٠٠) قرشاً[٤].

---

(١) يوجد في بلاد قحطان وظهران الجنوب أعلام وشيوخ وأعيان ومن بينهم بعض الأفراد والرموز في أسرة آل دليم في أرض الحرجة، وهم جميعاً يستحقون إلى أن يفرد لهم دراسات علمية موثقة، ونأمل أن نرى بعض الباحثين الجادين فيدرسوا تاريخ هؤلاء الأعلام في منطقة عسير خلال القرون الثلاثة الماضية، ومازال هناك الكثير من الوثائق والرواة الذين يفيدون في خدمة ودراسة مثل هذه الموضوعات.

(٢) الوثيقة طويلة، وفي بدايتها ديباجة مطولة تحتوى على التحية والسلام، والدعاء للبلاد والعباد. المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق ١٤هـ/٢٠م)، جـ٣٦، ص٤٧.

(٣) كلمة (سري) موجودة في الوثيقة، لأن عبدالله بن مناع من أهل اليمن ويتردد على ظهران الجنوب والحرجة، وله جهود سياسية وإدارية بين اليمن والسعودية، ويستحق أن يفرد له دراسة مستقله.

(٤) المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق ١٤هـ/٢٠م)، جـ٣٦، ص٥٤. ودراسة التاريخ الإداري والمالي في ظهران الجنوب خلال القرن الرابع عشر الهجري من الموضوعات الجديدة والجديرة بالبحث والدراسه.

(*) **الوثيقة الثالثة :** بتاريخ (٤/شعبان/١٣٥٢هـ) من أمين مالية الحرجة خليل بن محمد إلى الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة، بدأها بالسلام وشيء من الدعاء، ثم قال: ((تذكر تكون على ثبات، لا تكون معنا الخفة، وسبب أخباري في العجل لأجل اثنتين. أولاً: ما ودي[١] يحدث أمر من العدو فتقول غفلت منا. والثانية: كل يوم فيهم الزود، والزحف جهتنا[٢]... من خصوص صالح بن حيان[٣] توافق مع رجالكم، ثم رجع إلينا، وحسب طلبكم فيه صدر إليكم، تذكر نحقق لكم عن الطرقات والمياه[٤]، وقبل هذا قد عرفناكم من كل طريق، من خصوص القعم[٥] تحققوا من صالح، ومن خصوص الشرق واصلكم ناصر بن راسي[٦] وعلمها عنده، والغلامين[٧] ما بعدهما أحد...))[٨].

(*) **الوثيقة الرابعة :** في (١٣/محرم/١٣٥٣هـ) من الشيخ دليم بن محمد أبو لعثه إلى خليل بن محمد، أمين مالية الحرجة[٩]، قال فيها بعد البسملة: ((..أخبارنا تسركم من كافة الوجوه، لابد الشيخ[١٠] قد عرفكم بكل الأمور، عسى الله يديم وجود سيدي الملك عبدالعزيز، ويجعل النصر قرينه، والتوفيق حليفه، ويعز الإسلام والمسلمين. كذلك من طرف زهاب قحطان[١١]، واصلكم محمد بن داهش، قدكم تفيضون عليه[١٢]، حسب أمر جلالة ولي العهد، والأمير فيصل، والشيخ عبدالوهاب إن شاء الله أنه قد عرفكم من طرف عددهم، فهو عندكم،

---

(١) ما ودي : أي لا أرغب.

(٢) وكتابة هذه الوثيقة أثناء الحرب بين اليمن والسعودية عام (١٣٥٢هـ) .

(٣) صالح بن حيان: رئيس دوريات ظهران والحرجة.

(٤) نحقق لكم: أي نتابع ونتأكد من أمن الطرقات في الحرجة وظهران ونبقى على اتصال معكم.

(٥) القعم : أحد الأمكنة الحدودية في ظهران الجنوب، ويوجد ضمن مركز علب.

(٦) ناصر بن راسي: أحد أعيان سنحان، وأسرة آل راسي من شيوخ قبائل سنحان.

(٧) الغلامان : أي الرجلين (صالح بن حيان، وناصر بن راسي).

(٨) المصدر : مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، جـ٣٣، ص ٦٥، ٦٦.

(٩) عرفت منطقة عسير خلال العقود الوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م) أعلاماً كثيرين بذلوا جهوداً كبيرة في بناء الدولة السعودية الحديثة، حبذا أن نرى باحثاً جاداً فيدرس سير أولئك الرجال، وما بذلوه من أعمال سياسية وإدارية ومالية وتعليمية واجتماعية واقتصادية. وهذا الموضوع يستحق أن يصدر في دراسات وبحوث علمية عديدة.

(١٠) يقصد بـ (الشيخ) هنا: أي عبدالوهاب أبو ملحة رئيس ماليات عسير.

(١١) الزهاب: العدة والعتاد.

(١٢) قدكم تفيضون عليه: أي أنكم سوف تعطونه وتزودونه بالمطلوب.

وقبائلنا تامين[١] حسب ما في جدولنا وجدولكم (٥٤) فقط، وأنت يا أخي لا تحير زهابهم[٢]، حيث والله أن الأكثر منهم أصرف عليه، والمشقة عليهم حاصله، حسب الأمل فيك تجهزه، هذا وسلم لنا على نفسك، ومن لديك عزيز، ومنا يسلمون، والسلام[٣])).

(*) **الوثيقة الخامسة:** في (١٣٥٩/١١/٥هـ) من عبدالله الفضل[٤]. إلى أمير منطقة عسير تركي السديري، بشأن التعليمات المطلوبة لدورية ظهران ونجران، قال فيها: ((نخبركم أن موضوع تأسيس الدورية هو أمر مفروغ منه، صدر في شأنهم من جلالة الملك، وتبلغتم عنه، أما موضوع الارتباط، فإن الدورية يجب أن يكون ارتباطها في الأمور الإدارية بالإمارة وفي الشئون المالية بالمالية، كما هو نص الأمر الملكي، أما النظام فإنه سبق أن تبلغتم بشأنه من خفر السواحل، وهو الذي يجب السير بموجبه...))[٥].

(*) **الوثيقة السادسة:** في (١٣٦٠/٦/٧هـ) من مأمور المستودعات السابق في المالية عبدالله بدوي إلى الشيخ عبدالوهاب أبوملحة رئيس ماليات أبها وتوابعها، قال فيها: ((بعد التحية ومزيد الاحترام، جواباً على أمركم رقم (٢٩٢٧ في ١٣٦٠/٥/٣٠هـ)، والمشتمل على تبليغي بالتعيين لوظيفة مأمور جمرك مركز علب مع إيعازكم لنا بالالتحاق بالوظيفة ومراجعتكم لتأمين الترحيل[٦]، وعليه أعرض لحضرتكم كمال تشرفي لتلبية إنفاذ الأوامر الكريمة، ولكن العوارض التي ألاحظ تأمينها لأمر القيام بالمصلحة، أخطرتني إلى شرحها لمقامكم...، وإليكم بيانها: القيام بكل عمل يعود إلى تأمين لوازمات، فالمصلحة تطلب وجود الموظفين اللائقين للعمل، وتأمين محلات لسكنهم بالمركز في صحراء علب، ونحتاج إلى ميزان،

---

(١) تامين: أي عددهم صحيح وكامل.

(٢) لا تحير زهابهم: أي لا تأخر مؤنتهم وعتادهم.

(٣) وفي وثيقة أخرى بتاريخ (١٣٥٢/١٢/٢٣هـ) من خليل بن محمد إلى أبولعثه يذكر له أنه أرسل له بعض الأطعمة والأسلحة، وأنه لن يتأخر في إرسال المؤن والعتاد إذا توفرت. المصدر مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، جـ٣٤، ص٥٢، ٥٣. جـ٣٦، ص٩٨.

(٤) عبدالفضل: هو أحد رجال الدولة السعودية الثالثة، وهو مهندس العلاقات السعودية المصرية، عرف بالسياسة والحكمة والحنكة، وينحدر نسبه من عائلة (آل فضل) في مدينة عنيزة.

(٥) مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق ١٤هـ/٢٠م)، جـ١١، ص٤٢.

(٦) مركز علب: نقطة حدودية بين اليمن والسعودية، ويقع في محافظة ظهران الجنوب، ويبعد عن بلدة ظهران حوالي (١٥) كيلومتراً.

ولوازمات من الخشب الجيد، مع تأمين لوازم المركز من المتفرقات الضرورية مثل الإنارة والماء...، وإذا تأمنت هذه اللوازمات تمكن الموظفين القيام بأعمالهم، فأسترحم حلول الأنظار الكريمة إلى تأمين ما ذكر بصفة تامه... حتى يتسنى لي التوجيه والقيام بالعمل، والله يوفقكم ...[1]".

وبعد خمسة أيام من الخطاب السابق، أي في (١٢/٦/١٣٦٠هـ)، نجد الأستاذ عبدالله بدوي يرسل خطاب اعتذار من الوظيفة، قال فيه: ((سعادة رئيس ماليات أبها وتوابعها، بعد التحية والاحترام. لا يخفى على سعادتكم انكم أسندتم إلي وظيفة مأمور جمرك علب، وحيث أني رجل كبير السن، ولا طاقةً لي على القيام بواجب الوظيفة المذكورة، لذا رفعت لسعادتكم عريضتي هذه راجياً شمول عطفكم في قبول إقالتي، والله يحفظكم...))[2].

(*) **الوثيقة السابعة:** شكوى بتاريخ (٨/٧/١٣٦٠هـ) من جنود شرطة ظهران الجنوب إلى مدير شرطة أبها، يطلبون فيها حقوقهم المالية، فقالوا ((لحضرة صاحب السعادة مدير شرطة أبها، الموقر، نعرض لسعادتكم أننا في حالة سيئة، وعدم وجود شئ بأيدينا، ولا نجد من يفك علينا[3]، وحيث أننا في ذمة الله ثم في ذمتك[4]، نسترحم التوسط لنا عند المالية بصرف رواتبنا أسوة بموظفي ظهران، حيث أنه يوم تاريخه وصل أمر مالية ظهران بصرف راتبين (ربيع الثاني، وجمادى الأولى) لموظفي المالية، والإمارة، وجنود الدورية، والقاضي، ولم يبق سوى نحن يا أبناؤك جنود الشرطة، فنحن داخلين على الله ثم عليك لفت نظرك نحو ذلك[5]، لأننا في أشد التعب من قلة ما في أيدينا))[6].

وفي خطاب بتاريخ (١١/٧/١٣٦٠هـ) من الشيخ أبوملحة إلى مدير مال رسوم ظهران يعمده بصرف الرواتب في وقتها، ويوصيه بصرب رواتب الشرطة أولاً[7].

(١) المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، جـ١٢، ص٢٣٢.

(٢) المصدر نفسه، جـ١٢، ص٢٣٥. ومركز علب ذو تاريخ سياسي وحضاري خلال العصر الحديث ونأمل أن نرى باحثاً جاداً فيدرسه في كتاب أو رسالة علمية خلال القرون الثلاثة الماضية (ق١١-١٤هـ/ ق١٧-٢٠م).

(٣) من يفك علينا: أي يساعدنا ويزودنا بما نحتاج.

(٤) في ذمة الله ثم ذمتك: مصطلح يستخدمه أهل المنطقة في مجالسهم العامة والخاصة.

(٥) داخلين على الله ثم عليك: أيضاً مصطلح عامي يستخدمه أهل المنطقة.

(٦) المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، جـ١٢، ص٨٧.

(٧) المصدر نفسه، جـ١٢، ص ٨٨.

وفي خطابين آخرين من مدير شرطة أبها إلى رئيس المالية في (١٣٦٠/٨/١هـ)، ومن رئيس المالية إلى مدير مال رسوم ظهران الجنوب ينصان على صرف بدل إعاشة لشرطة ظهران أسوة بغيرهم من جنود الشرطة في نجران وعسير[١].

(*) **الوثيقة الثامنة:** في (١٣٦٠/٩/٥هـ) من رئيس دوريات نجران وظهران إلى رئيس مالية أبها وتوابعها يخبره أنه تعين في إدارة الدوريات بطرفهم كاتب، ويطلب إثبات قيده في سجلات المالية من (١٣٦٠/٨/٢٨هـ)، وإشعار مالية ظهران بصرف رواتبه بدء من التاريخ الآنف ذكره[٢].

(*) **الوثيقة التاسعة:** خطاب بتاريخ (١٣٦٠/١٠/٢٢هـ) من رئيس الدوريات في نجران وظهران إلى رئيس ماليات الجنوب الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة، يقول فيه بعد البسملة ((...سيدي قد راجعناكم بشأن القرطاسية والدفاتر اللازمة لجميع معاملات الدورية، ولم يصلنا منكم جواب بشأنها، والآن لنا سنة وشهرين ونحن نصرف عليها من راتبنا الخاص، التمس مساعدتكم بتحصيل ما قد صرفته في المدة السابقة، وتأمين المستقبل بجميع ما يلزم لأعمال الدورية، وإذا لم يحصل ذلك فأخبر سعادتكم أني أصبحت غير مأمور بأي مسئولية خاصة بالقيودات والمعاملات الراجعة للدوريات...))[٣].

(*) **الوثيقة العاشرة:** بيان تشكيلات موظفي مالية ظهران في عام (١٣٦٥هـ)، وذكرت الوثيقة أسماء عدد من الموظفين والوظائف في هذه الإدارة، ورواتبهم بالقرش، فكانت على النحو التالي: عبدالقادر إسماعيل، مدير مال ظهران براتب (٢٦٩٥)قرشاً، وعبدالله السليمان، مأمور أوراق براتب (١٢٦٥) قرشاً، وإبراهيم رضا، كاتب محاسبة براتب (١٢٦٥) قرشاً، وعبدالله بدوي، أمين

---

(١) المصدر نفسه، جـ١٢، ص ١٦٣، ١٦٤. ونقول أن بلاد ظهران الجنوب ذات تاريخ سياسي واقتصادي وإداري نشط منذ الأربعينيات إلى ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس هذا الموضوع في كتاب أو رسالة علمية.

(٢) المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، جـ١٢، ص٢٣. وفي وثيقة أخرى من رئيس الدوريات إلى رئيس المالية بتاريخ (١٣٦٠/٩/١٨هـ) يذكره بتكليف مالية ظهران أو نجران بدفع قيمة البيوت الخاصة بمركزي الحماد وراحة، والتي سبق الموافقة عليها من قبل وزارة المالية. المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، جـ١٢، ص٢٤.

(٣) المصدر نفسه، جـ١٢، ٣١. يوجد في مكتبتنا عشرات الوثائق التي تصور تاريخ الإدارة والمال وبعض الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية في بلاد ظهران خلال العقود الوسطى في القرن (١٤هـ/٢٠م).

صندوق ومستودع، براتب (١٤٣٠) قرشاً، ومأمورين تحصيل ظهران وسراة عبيدة وراتب كل واحد منهما (٨٢٥) قرشاً، ومأمور مركز علب براتب (١٥٩٥) قرشاً، وسبعة حراس، أربعة منهم لجمرك ظهران وعلب، وثلاثة لتحصيل رسوم ظهران وسراة عبيدة، وراتب كل واحد من السبعة (٤٤٠) قرشاً شهرياً[١].

ونقول أن ظهران والحرجة وما جاورها ذات تاريخ سياسي وحضاري، وقد لعبت هذه البلاد دوراً في توطيد الحكم السعودي في بلدان ظهران وقحطان ونجران. وما تم الإشارة إليه من وثائق سياسية وإدارية ومالية في الصفحات السابقة ليس إلاّ انموذجاً محدوداً عما دون عن هذه البلاد أثناء بناء الدولة السعودية الحديثة. ووزارة المالية، ودار المحفوظات السعودية، وبعض الأفراد والبيوتات في منطقة ظهران وقحطان يوجد لديها مئات الوثائق المالية والإدارية والتاريخية التي تصور لنا حياة الناس الحضارية في هذه الأوطان. ونأمل أن نرى أحد المؤرخين، أو الأساتذة الأكاديميين، أو الباحثين الجادين في ديار قحطان وظهران فيجمع الوثائق الخاصة بهذه الناحية ويدرسها دراسة علمية موثقة، ومن يفعل ذلك فسوف يسدي لنا معاشر الباحثين معروفاً كبيراً.

رابعا: بعض المؤسسات الإدارية الحديثة (النشأة والتطور):

أرسلت خطاباً بتاريخ (١٤٢٤/٧/١٧هـ) إلى محافظ ظهران الجنوب[٢]، وطلبت منه معلومات عن كل إدارة حكومية في المحافظة منذ نشأتها حتى عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، وتجاوب معنا مشكوراً فأرسل لي مجموعة من الخطابات والتقارير التاريخية عن عدد من المؤسسات الإدارية[٣]، وعندما وصلت إلينا تم حفظها ضمن محتويات مكتبتنا، على أمل أن أصدر كتاباً مستقلاً عن هذه المحافظة الحدودية، لكن كثرة المشاغل والعمل في بحوث أخرى جعلتني أنسى هذه الأوراق، وفي نهاية عام (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م) رأيت أن اكتب بعض الشيء عن محافظة ظهران

---

(١) المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، جـ٢٢، ص٥٦. إن دراسة تاريخ الإدارة والمال في بلاد ظهران وقحطان خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) من الموضوعات الجديدة الجديرة بالبحث والدراسة.

(٢) محافظ ظهران الجنوب آنذاك هو الأستاذ سعيد بن علي بن مبارك القحطاني، صورة من الخطاب توجد ضمن مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية.

(٣) جميع هذه الخطابات والتقارير توجد ضمن محتويات: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية (الوثائق العامة) (ق١٥هـ/٢٠-٢١م)، جـ٧، ص١-٤٥.

الجنوب، وأثناء البحث في أوراق مكتبتي عثرت على هذه الجزئية التي وصلتني من المحافظ وهي نبذ مختصرة عن نشأة وتطور بعض الإدارات الحكومية حتى عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) [١]، وهذا ما سوف ندرجه في الصفحات التالية.

١- محافظة (إمارة) ظهران الجنوب:

كان تأسيس أول إمارة حديثة في ظهران عام (١٣٥٢هـ/١٩٣٣م)، وهي من أقدم إمارات منطقة عسير، ومقرها بلدة ظهران، ولها أهمية تاريخية لوقوعها قرب الحدود الدولية السعودية اليمنية [٢]. وفي مذكرة وصلتني من المحافظ سرد فيها (١٩) أميراً، أو محافظاً تولوا إدارة هذه الناحية من عام (١٣٥٢-١٤٢٤هـ/١٩٣٣-٢٠٠٣م)، وهم:

(١) عبدالله بن عبدالرحمن الدويش (١٣٥٢-١٣٥٧هـ/١٩٣٣-١٩٣٨م). (٢) عبدالله بن محمد التويجري من (١٣٥٨/١/١٠هـ/١٩٣٩م) [٣]. (٣) محمد الحسين العواد [٤]. (٤) أحمد المدبل. (٥) سليمان الحمد الرواف من (١٣٦٩/٥/١١-١٣٦٩/٨/٢٢هـ) [٥]. (٦) أحمد الحمدان من (١٣٦٩/٨/٢٢هـ) [٦]. (٧) سلطان بن عبدالله العنقري من (١٣٧٢/١١/١٧هـ) [٧]. (٨) عثمان الغارب. (٩) محمد بن عبدالعزيز بن سلطان. (١٠) عبدالله بن علي مشعان. (١١) علي بن سليمان. (١٢) فيحان بن فيحان بن صامل. (١٣) محمد بن عبدالله بن زياد. (١٤) سعود بن مخيمر. (١٥) على بن مناع بن مانع. (١٦)

---

(١) لم يصلني مادة علمية عن بعض المؤسسات الإدارية مثل: المحكمة الشرعية، والشرطة، وبعض القطاعات الإدارية والعسكرية وغيرها. ونقول إن تاريخ الأمن والإدارة في محافظة ظهران الجنوب من الموضوعات الجديدة وتستحق أن يصدر عنها دراسات علمية موثقة.

(٢) انظر كتيب اصدرته إمارة عسير عام (١٤١١هـ/١٩٩٠م) بعنوان: المسح الميداني للمواقع والخدمات. المنطقة الإدارية التاسعة: ظهران الجنوب، ص ٢١. ويذكر أن تأسيس هذه الإمارة كان في عام (١٣٥٤هـ/١٩٣٥م)، ويبدو أن التاريخ المذكور في المتن هو الصحيح.

(٣) لا نجد في هذه الوثيقة تواريخ دقيقة وواضحة لفترات عمل هؤلاء الأمراء أو المحافظين. وأقول إن التاريخ الإداري والمالي والأمني في ظهران خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) من الموضوعات المهمة ويستحق أن يفرد له دراسة علمية.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) هذا ما تم تدوينه في المذكرة التي وصلتني من المحافظ.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) المصدر نفسه.

أحمد بـن منيف المنيفي. (١٧) سعيد بن فاهدة. (١٨) مغدي بن مسفر الوادعي. (١٩) سعيد بن على بن مبارك القحطاني[١].

٢- الاتصالات:

لدينـا خطاب بتاريخ (٢٨/١٠/١٤٢٤هـ) مـن مدير الاتصالات في محافظة ظهران الأستاذ حسن صالح أبو سبل، أجاب فيه على بعض الأسئلة التي طلبتها[٢]، فقـال: ((بـدأت الخدمة البرقية عـام (١٣٦٥هـ)[٣]، وربط الموقـع بجهاز من نوع (المورس)، ثم استبدل بالأنظمة الجديـدة (التلكس) الذي يعمل إلى تاريخه. وفي عام (١٣٩٧هـ) ثم إدخـال خدمة هاتفية (نظام المقنيتو) بسعة (١٥خط) لخدمةٍ المؤسسات الإدارية والمواقع المرتبطة بها بتكلفة إجمالية تقدر بـ (٢٢٥,٠٠٠)ريالاً. وفي عام (١٤٠٣هـ) تم تركيب مقسم هاتفي بالمحافظة سعته (٢٠٤٨) خط، وتكلفته (٨,١٩٢,٠٠٠) ريـالا، وأنشئت الشبكـة الهاتفية للمحافظـة، وكان عدد الكبائنِ آنذاك عشر بسعة (٣٣٥٠) خـط، وتكلفة إجمالية قدرها (١١,٥٥٠,٠٠٠) ريالا. وفي عـام (١٤٢٢) تم استبـدالٍ المقسم القـديم بمقسم آخر سعـة (٣٨٥٦) خط، وتكلفته (١٥,٤٢٤,٠٠٠) ريالا، وفي العام نفسه جرى إيصال الخدمة الهاتفية عن طريق الشبكة اللاسلكية المحلية لقرى آل كعبان، ووادي الغيل، وآل ثابت، وشعب آل فروان بسعة (٢٨٠) خط وتكلفة قدرها (١,٤٠٠,٠٠٠) ريالاً))[٤].

((وخـدم مركز الحرجـة عن طريـق إسقاط ميكـرو في سعتـه (٢٠٠) خط، وتكلفـة (١٠٠٠,٠٠٠) ريـالاً. كمـا خدم مركـز الربوعة عن طريـق إسقاط نظام راديـو المشتركين بسعـة (٦٤) خط، وتكلفـة (٥٧٦,٠٠٠) ريـالا. واستبدال نظام راديـو المشتركين في مركـز علب، الـذي كان سعته (١٠٠) خـط، إلى نظام جديد

---

(١) هـذه المذكرة وصلتني في عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ولم نذكر المحافظين الذين تولوا المحافظة بعد هذا التاريـخ، ونأمـل أن نرى من طلابنا مـن يدرس تاريخ محافظة ظهران الجنـوب الإداري منذ خمسينيات القـرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنـا الحاضر. المصدر: مكتبـة د.غيثان بن جريس العلميـة، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠-٢١م)، جـ٧، ص٢/٢.

(٢) وضحـت عدد من الأسئلة والنقاط التي أرغبهـا، وذلك في الخطاب الذي أرسلته إلى محافظ المحافظة في (١٧/٧/١٤٢٤هـ)، وصـورة منـه توجد ضمـن مكتبة د.غيثـان بن جريـس العلمية، الوثائـق العامة (ق١٥هـ/٢٠-٢١م)، جـ٧، ص ١-٢.

(٣) المصدر نفسه، جـ٧، ص٢٤.

(٤) المصدر : مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠-٢١م)، جـ٧، ص٢٤.

سعتـه (٢٥٦) خط عن طريق شبكة أرضية بمبلغ وقـدره (١,٧٦١،٥٣٦) ريالاً[١]. وأنشئ بـرج الهاتف الجـوال لتغطيـة مدينة ظهـران الجنوب وضواحيهـا بتكلفة مقدارهـا (١,١٠٠,٠٠٠)، وهذا البرج يخـدم أكثر من (٥٨٠٠) مشتركاً، كما تم تركيب خدمة الهاتف الجوال على أحد أبراج الشبكة تلاسلكية المحلية، التي تخدم قـرى شرق وشمال المحافظـة[٢]. وهناك مشاريـع أخرى مثـل: (أ) مشروع ترميم وتوسعة مبنى الاتصـالات بالمحافظة بمبلغ قدره (٧٥٦,٧٨٩) ريالاً. (ب) مشروع تسويـر وتسوية أرض المقسم بتكلفـة إجمالية قدرهـا (٢٥٢,٣٤٠) ريالاً، وتشغيل نظـام النـداء الآلي (فلكسـ)، وتحويـل الخدمـات في منفذ علـب. (ج) استبدال الخدمـة بمركز الحرجـة بخدمات أكـبر سعتهـا (١٠٢٤) خط، وتكلفـة إجمالية قدرهـا (٧,٠٤٦,١٤٤) ريـالاً، وخدمـة الطلحة والفيض بوحـدة مقسمة سعة كل ناحيـة منها (٥١٢) خط، وتكلفة إجماليـة مقدارها (٧,٠٤٦,١٤٤) ريالاً، وأيضاً خدمة قرى وادي كتام بوحدة ومقسمية سعتها (٢٥٦) خط، وتكلفه إجماليه قدرها (١,٧٦١،٥٣٦) ريالاً))[٣].

٣- الخدمات الصحية:

يوجد في مذكرة بتاريخ (١٤٢٤/٨/٩هـ) مرسلة من الدكتور/ عبدالله محمد الوادعي، مدير مستشفى ظهران الجنوب، إلى محافظ المحافظة بعض التفصيلات عن تاريخ الصحة[٤]، قال فيها: ((تأسست الخدمات الصحية في ظهران الجنوب عام (١٣٦٦هـ)، وكانت في البداية مركزاً صحياً يعمل فيه ستة أفراد، ويشرف عليهم مأمور صحي يدعى حسـن القدسي، خلفه محمد منصور، ثم عبدالهادي إبراهيم عابـد[٥]. ويقع ذلك المركز في بيت شعبي في حـارة الحوزة وسط بلدة ظهران. وفي

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) تم تدويـن هـذه المعلومـات من قبل مدير الاتصـالات في المحافظة عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، وجاء بعد ذلك مشاريع كثيرة لخدمة الاتصالات في المنطقة. ونأمل أن نرى أحد طلابنا في برنامج الدراسات العليا في قسـم التاريـخ بجامعة الملك خالد فيدرس تاريخ البريد والاتصـالات في منطقة عسير منذ خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر.

(٣) مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق ١٥هـ/٢٠-٢١م)، جـ٧، ص٢٤.

(٤) تبـدأ هـذه المذكرة بالخطـاب الآنف ذكره، وتاريخـه (١٤٢٤/٨/٩هـ)، ورقمه في أرشيـف المستشفى (٥٠/١٥/٣٥٠١)، وصورته ضمن مكتبة د/غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠-٢١م) جـ٧،ص٩.

(٥) المصدر نفسه، جـ٧، ص ١٠.

عام (١٣٧٥هـ) تحول المركز إلى مستوصف تولى الإشراف عليه الدكتور/ سامي الصيداوي، ثم الدكتور/ عبدالمحسن الفيومي، وجاء بعده الدكتور/ محمد عطا الله صديقي[١]. وفي (١٨/٣/١٣٩٣هـ) افتتح مبنى مستشفى ظهران بسعة (٥٠) سريراً، وستة أقسام طبية، ومرافق إدارية ومالية وخدمية. وفي عام (١٤٠٢هـ) تم إخلاء مبنى المستشفى لتوسعته، وتم استئجار عمارتين في بلدة ظهران لعمل المستشفى، وفي عام (١٤٢٢هـ) انتقل المستشفى إلى مكانه الحكومي الجديد بسعة (١٠٠) سرير على مساحة قدرها (٢٣٥٠٠) متر مربع، وتكلفة(٢٤,٤١٩,٢٥٦) ريالاً، وتأثيثه بمبلغ (١٩,٥٥٣,٨٠٥,٣٣) ريالاً، ويتكون من: العيادات الخارجية، والطوارئ، والعناية المركزة، والعمليات، والتعقيم، والولادة، والحضانة، وأقسام التنويم، والمختبر، والأشعة، والعلاج الطبيعي، والصيدلية، والسجلات الطبية، والإدارة، ووحدة الكلية الصناعية، والعزل المصغر، والمغسلة، وثلاجة حفظ الموتى، ويتبع المستشفى عشرة مراكز صحية في أنحاء المحافظة[٢]. ويبلغ عدد العاملين في المستشفى هذا العام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) (١٥٠) موظفاً في مختلف التخصصات الطبية والفنية والإدارية، ورواتبهم الشهرية حوالي (١٣٠٠٠٠٠) ريالاً، وتقدم التغذية العلاجية للمرضى والإعاشة بتكلفة شهرية تقدر بـ (٧٠٠٠٠) ريالاً، ويقوم على النظافة والصيانة الطبية وغير الطبية مؤسستين بمبلغ (١٩٦٠٠٠) ريالاً شهرياً، ويخدم المستشفى أكثر من (٥٣٠٠٠) مريضاً سنوياً بالعيادات الخارجية، و(٣٨٠٠٠) مريضاً لقسم الطوارئ والأسعاف، وعدد المنومين في المستشفى خلال عام (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م) (٦٧١٠) مريضاً[٣]. وتعاقب على إدارة المستشفى عدد من المسئولين، ففي نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) وبداية هذا القرن (١٥/٢٠م) تولى إدارته عدد من الأطباء غير السعوديين، كان آخرهم الدكتور/ محمد خان (باكستاني الجنسية)، ثم إدارة عدد من السعوديين مثل: (أ) مرزوق حسن شري من عام (١٤٠٦-١٤١٨هـ). (ب) د.عبدالله محمد الوادعي من (١٤١٨-

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) هذا التقرير في عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، وحدث بعد ذلك تطورات عديدة في الخدمات الصحية، وفي العام الذي زرت فيه محافظة ظهران عام (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م) يبنى مستشفى كبير في جنوب مدينة ظهران ومازال العمل فيه جارياً ويذكر أن سعته (٢٠٠) سرير. المصدر: مشاهدات الباحث في محافظة ظهران في الفترة من (٢٩/١١-٢/١٢/١٤٣٧هـ).

(٣) مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠-٢١م) جـ٧، ص١٠-١١.

١٤١٩هـ). (ج) غزي مسفر عروي من (-/٦-١٤١٩-١٤٢٤/١/١٥هـ). (د) د.عبدالله محمد الوادعي عام (١٤٢٤هـ)))[١].

٤- الأحوال المدنية:

في خطاب بتاريخ (١٤٢٤/٨/٩هـ) من مدير الأحوال المدنية الأستاذ محمد بن مهاوش الوادعي إلى المحافظ يذكر فيه نبذة عن تاريخ الأحوال والجوازات، قال فيها: ((...أنشئت إدارة الأحوال في ظهران عام (١٣٨١هـ) تحت مسمى (إدارة الجوازات والجنسية)، وشمل عملها خدمة المواطنين والمقيمين، وبدأت هذه الإدارة بخمسة موظفين ومدير. وفي عام (١٣٩٧هـ) انفصلت الجوازات عن الجنسية، وسميت (الجنسية) باسم (إدارة الأحوال)، واقتصر عملها على خدمة المواطنين السعوديين. وفي عام (١٤٠٧هـ) أدخل نظام الحاسب الآلي، وهذا مما ساهم في تطوير هذه الإدارة، وفي عام (١٤١٥هـ) نقلت أعمال المواليد والوفيات من مركز الرعاية الصحية التابعة لمستشفى ظهران إلى إدارة الأحوال. وتعاقب على إدارة هذه المؤسسة عدد من المديرين[٢]، هم: (١) علي سعيد شطوان (١٣٨١-١٣٨٩هـ). (٢) يحيى إبراهيم الألمعي (١٣٨٩-١٣٩١هـ). (٣) علي موسى الشهراني (١٣٩٢-١٣٩٣هـ). (٤) غازي علي أبو مسمار (١٣٩٤-١٣٩٦هـ). (٥) عوض مرعي الوادعي (١٣٩٧هـ). (٦) محمد مهاوش مسفر الوادعي (١٣٩٨- حتى الآن)))[٣].

٥- حرس الحدود[٤]:

ارسل لنا قائد حرس الحدود بمنطقة عسير اللواء/محمد بن منزل قاضب البيالي خطاباً ومذكرة بتاريخ (١٤٢٤/٩/٢هـ)، أورد فيها موجزاً عن تاريخ حرس الحدود في منطقة عسير بشكل عام وفي محافظة ظهران الجنوب بشكل خاص[٥]،

(١) هذا التقرير مدون في (١٤٢٤/٨/٩هـ)، وجاء بعد الوادعي بعض المدراء. ونقول إن تاريخ الحياة الصحية في منطقة عسير من الموضوعات التي لم تدرس وتستحق أن يفرد لها عدد من البحوث العلمية.

(٢) مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠-٢١م)، جـ٧، ص١٧.

(٣) المصدر نفسه، ويقصد بكلمة (الآن) أي عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

(٤) بدأت الإدارة الرئيسية لحرس الحدود في جنوب السعودية في بلدة ظهران الجنوب، ثم استقرت مؤخراً في حاضرة أبها.

(٥) هذا الخطاب والمذكرة تتكون من سبع صفحات احتوت على صور فوتوغرافية لبعض رجال سلاح الحدود والأبنية التي استخدموها للعمل، وتفصيلات عن تطور هذه الإدارة. انظر، مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠-٢١م)، جـ٧، ص٣٩-٤٤.

فقــال: ((... تأسســت قيادة حرس الحدود قبل عــام (١٣٨٢هـ)، وكان في ظهران الجنــوب دوريات يطلق عليها (الهجانة)، مرتبطة بالإمارة، ولها نقاط تنطلق منها دوريــات راجلة وراكبة علــى الهجن والدواب[١]. وفي عــام (١٣٨٢هـ) شكلت قيادة سلاح الحدود ومقرها ظهــران، وبدأت تزاول أعمالها على هيئة دوريات في أماكن قريبــة من البلدة، وكان قوام هذه القيادة عنــد تأسيسها سبعين فرداً وضابطاً، تم نقلهم من جدة تحت قيادة النقيب محمد بن غضيان العنزي. وفي عام (١٣٨٣هـ) جــرى ضم دوريات الهجانة مع دوريات سلاح الحدود، وفي عام (١٣٨٦هـ) أنشئت أربعــة مراكز في: علب، وعاكفــة، وحصن الحماد، وأسعــر، ووضعت مراكز أخرى علــى بعض رؤوس الجبال المطلة على تهامة في أعالي عقبة ظهران الجنوب، وعقبة شراقب، وعقبة آل خلف في قحطان، وعقبة المسقي في شهران، وأنشئت أيضاً نقاط تفتيــش في (الحاجر، والثويلة، والقرارة، وعين قحطــان)[٢]. وفي عام (١٣٩١هـ) دمجت قيادة سلاح الحدود في ظهران مع قيادة سلاح الحدود في نجران، وأصبحت الإدارة الرئيسية في نجران[٣]. وفي عام (١٤٠٧هـ) تم فصل قطاع ظهران الجنوب عن منطقة نجران، وأصبح اسمه (قيادة قطاع سلاح الحدود في ظهران الجنوب) وأصبــح يراجــع المديرية العامــة بالرياض. وفي عــام (١٤١٠هـ) تغــير الاسم إلى (قيــادة سلاح الحدود بظهــران الجنوب)، وفي عام (١٤١٣هــ) تغير هذا المسمى إلى (قيادة حرس الحدود بمنطقة عسير)، وصار اسم هذه الإدارة في جميع أنحاء المملكــة (حرس الحــدود)، وأصبحت الإدارة الرئيسيــة في منطقة عسير في مدينة أبهــا، وظهران الجنوب إدارة فرعية تراجع قيــادة المنطقة في أبها[٤]. وتولى قيادة هــذه الإدارة عدد من الضباط العسكريين، هــم: (١) النقيب/ محمد بن غضيان العنــزي (١٣٨٢-١٣٩١هــ). (٢) المــلازم أول/ فياض طاهــر الحربي (١٣٩١-١٣٩٢هــ). (٣) الرائد/سمير مبارك العتيبــي (١٣٩٢-١٣٩٤هـ). (٤) النقيب/ سعــد مسفر سليم (١٣٩٤-١٤٠٧هــ). (٥) المقدم/ علي محمد عسيري (١٤٠٧-١٤١٤هـ). (٦) العميد/ عبدالرحمن علي عبشان (١٤١٤-١٤١٥هـ). (٧) العميد

(١) كان للهجانة تاريخ طويل في جنوبي البلاد السعودية منذ أربعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، وهناك عشرات الوثائق التي ذكرت شيئاً من نشاطاتهم العسكرية والأمنية. وهذا الموضوع جدير بالدراسة، حبذا أن نرى أحد طلابنا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد فيتخذه موضوعاً لرسالة الماجستير أو الدكتوراة.

(٢) المصدر نفسه، جـ٧، ص٤٢.

(٣) المصدر نفسه، جـ٧، ص٤٣.

(٤) المصدر نفسه، جـ٧، ص ٤٣.

/ محمد سعيد الخاطر (١٤١٥-١٤١٦هـ). (٨) العميد/ عبدالله شلاع الزهراني (١٤١٦-١٤٢٠هـ). (٩) اللواء/ عبدالله عيسى الرنيني (١٤٢٠-١٤٢٠هـ). (١٠) العميد/ أحمد عبدالعزيز العكاسي (١٤٢٠-١٤٢٢هـ). (١١) العميد / محمد منزل البيالي (١٤٢٢هـ - حتى الآن)))[١].

٦- مندوبية تعليم البنات:

وصلنا تقرير عن مندوبية وزارة التربية والتعليم في ظهران الجنوب بتاريخ (١١/٨/١٤٢٤هـ)[٢]، يذكر تاريخ بداية هذه الإدارة في عام (١٣٨٦هـ)، وأول مدير لها من رابغ[٣]، تلاه الأستاذ ذاكر محمد الماجدي، ثم عوض الفهيد، ومنصور محمد المنيع، ثم صالح بن محمد أبو حديد من عام (١٤٠٤-١٤٢٤هـ/١٩٨٤-٢٠٠٣م)[٤]. وعدد المدارس عام (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) (١٨) مدرسة، ومنذ بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) إلى عام (١٤١٨هـ/١٩٩٧م) أنشئت أربعة معاهد إعداد معلمات في مدينة ظهران، والحرجة، والفيض، ووادي الغيل، وهذا مما جعل معلمات المرحلة الابتدائية سعوديات بنسبة (١٠٠٪)، وتخرج طالبات الثانوية في ظهران والتحقن في كلية التربية بأبها وتخرجن، ثم رجعن إلى بلادهن للتعليم في مرحلتي المتوسطة والثانوية، كما افتتحت كلية للبنات في ظهران عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، وفيها أربعة تخصصات رئيسية هي: اللغة العربية، والدراسات الإسلامية، والفيزياء، واللغة الإنجليزية. وفي عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) أصبح مجموع مدارس التعليم العام في محافظة ظهران الجنوب (٨٣) مدرسة، يدرس فيها (٨٠٠٠) طالبة[٥]. وعدد المدارس ومرافقها (٤٧) بناية، منها (١٣) عمارة حكومية، و(٣٤) مستأجرة، ووسائل نقل الطالبات حوالي (١٢٨) وسيلة، منها (١٣) حافلة كبيرة، والباقي

---

(١) يقصد بكلمة (الآن)، أي عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م). وتاريخ سلاح الحدود والأمن في منطقة عسير، أو محافظة ظهران الجنوب من الموضوعات الجديدة ويستحق أن يدرس في رسالة علمية أو كتاب علمي موثق.

(٢) يتكون هذا التقرير من ثلاث صفحات تحت توقيع الأستاذ صالح بن هباش أبو حديد. المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠-٢١م) جـ٧، ص٣٦-٣٧.

(٣) لم يذكر التقرير اسم هذا المدير.

(٤) مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠-٢١م)، جـ٧، ص٣٦ وما بعدها.

(٥) لم يرد في التقرير عدد المعلمات والإداريات في المدارس. المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠-٢١م)، جـ٧، ص٣٧.

سيارات مستأجرة، متفاوتة في أحجامها وأنواعها، ومنذ نهاية العقد الثاني في هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) بدأ استخدام الحاسب الآلي في المدارس[١].

٧- البلدية:

في خطاب بتاريخ (١٤٢٤/٨/٢٤هـ) من رئيس بلدية محافظة ظهران الجنوب إلى محافظ ظهران الجنوب، قال فيه ((... بخصوص طلبكم إفادة الباحث أ.د. غيثان بن جريس... بمعلومات عن البلدية، نرفق لسعادتكم طيه بيان بالاستفسارات المطلوبه))[٢]، ثم دونها على النحو التالي، فقال: ((تأسست هذه البلدية عام (١٣٩٣هـ)، وكان مقرها أحد البيوت القديمة على الشارع العام، والرئيس الأول لها هو: عبدالرحمن المحيميد، وعدد العاملين آنذاك (٤٢) موظف وعامل. وتطورت هذه الإدارة حتى شملت كافة الأقسام الخدمية من صحة البيئة، والأراضي، والشئون الفنية، والشئون المالية والإدارية. وميزانيتها عام (٩٤-١٣٩٥هـ) (٩٣٧٠٥٠) ريالاً، وفي عام (٢٣-١٤٢٤هـ) (٢٢٨٤٠٠٠٠) ريالاً[٣]. وأسماء المديرين لهذه الإدارة، هم: (أ) عبدالرحمن صالح المحيميد (١٣٩٣-١٣٩٤هـ). (ب) حسن العموش (١٣٩٤-١٣٩٦هـ). (ج) صالح منصور القاضي (١٣٩٦-١٤١١هـ). (د) حسين بن حسن جواح (١٤١١-١٤١٢هـ). (هـ) محمد بن سعيد سبره (١٤١٢-١٤١٣هـ). (و) حمدان فارس العصيمي (١٤١٣-١٤٢٠هـ). (ر) أحمد بن مهدي الخريص (١٤٢٠- حتى الآن)))[٤].

٨- البريد:

في خطاب وتقرير بتاريخ (١٤٢٤/٨/٥هـ) من مدير بريد محافظة ظهران الجنوب الأستاذ/عوض بن زوقم أحمد، ذكر فيه مقدمة عن تاريخ البريد في

---

(١) ينتهي تاريخ هذا التقرير في عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، وحصل بعد هذا العام تطور كبير في وسائل التعليم، وأصبحت الحواسيب، ونظام (النت) يستعمل بشكل كبير في جميع مدارس المحافظة. ونأمل أن نرى من طالباتنا أو طلابنا من يدرس تاريخ العلم والفكر في بلاد ظهران الجنوب منذ عام (١٣٥٠-١٤٣٨هـ/١٩٣١-٢٠١٧م).

(٢) المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠-٢١)، جـ٧، ص ٦-٧.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) يقصد بـ (حتى الآن)، أي عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م). للمزيد انظر مكتبة غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠-٢١م)، جـ٧، ص ٦-٧.

المملكة العربية السعودية[١]، وذكر أن نشأة البريد والبرق في ظهران تزامنت مع نشأة الإمارة الحديثة في هذه الناحية في بداية الخمسينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وفي عام (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) أنشئت إدارة البرق والبريد في المنطقة الجنوبية ومقرها في مدينة أبها[٢]، ثم فصلت إدارة البريد عن البرق، وأسست إدارة البريد في ظهران بأربعة موظفين ومستخدمين، وكانت في بناية شعبية مستأجرة، وأجرى أول مسح في عام (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، وبدأ إيصال البريد الطواف إلى كثير من قرى وهجر ظهران، وفي عام (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) حدث مسح ثان شمل مناطق الحرجة والفيض وكان للبريد الطواف آنذاك خطوط عديدة[٣]، هي: (أ) خط قرى ظهران الجنوب، وظهران/ علب ويخدم حوالي (٣٦) قرية وهجرة. (ب) خط ظهران الجنوب /الصحن، وظهران/ الناحية الجنوبية الشرقية ويخدم (٢٢) قرية وهجرة. (ج) خطوط ظهران الجنوب/ كتام، وحصن الحماد، والناحية الشمالية الغربية وتخدم حوالي (٥٠) قرية وهجرة[٤]. وفي عام (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) تم فصل بريد مركزي الحرجة والفيض، وأنشئ في كل منهما نقاط انطلاق للبريد الطواف، وهي على النحو التالي: (أ) من الحرجة إلى الناحيتين الشمالية والجنوبية الغربيتين، وإلى بلاد الغول، ثلاث رحلات أسبوعية لكل جهة، وتخدم حوالي (٧٥) قرية وهجرة. (ب) من الفيض إلى جناب، وإلى الناحية الشمالية الشرقية بواقع ثلاث رحلات اسبوعية، وتخدم (٥٠) قرية[٥]. وفي عام (١٤١٢هـ/١٩٩٢م) جرى تصحيح وتطوير النظام البريدي في محافظة ظهران، واقتصرت خدمة البريد على القرى والهجر التي يتواجد بها مؤسسات إدارية، أو إحصائيات بريدية[٦]. ومن حيث نشأت المراكز البريدية والقائمين عليها، فقد أنشئ عدد منها في نواح عديدة من المحافظة، هي:

---

(١) هناك دراسات عديدة مطبوعة ومنشورة عن تاريخ وتطور البريد في المملكة، لكن المناطق الصغيرة مازالت بحاجة إلى دراسات أعمق وأطول.

(٢) للمزيد عن تاريخ البرق والبريد في جنوبي البلاد السعودية انظر، غيثان بن جريس. أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية) (الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ص ٤٦٣-٤٦٥.

(٣) المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠-٢١م)، جـ٧، ص ٢٠ وما بعدها.

(٤) المصدر نفسه، جـ٧، ص٢١. وجميع هذه الخطوط المذكورة أعلاه يسير فيها البريد الطواف بواقع ثلاث رحلات اسبوعياً.

(٥) المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠-٢١م)، جـ٧، ص ٢٠-٢٣.

(٦) المصدر نفسه، جـ٧، ص٢٢. ونقول إن تاريخ المؤسسات الإدارية في محافظة ظهران الجنوب من الموضوعات الجديدة ويستحق أن يصدر بهذا العنوان دراسة علمية.

(أ) بريد وادي يعوض (نقعة) (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م). (ب) بريد سروم والسلاطين (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م). (ج) بريد الحرجة (١٣٩٧/١٩٧٧م). (د) بريد الرفقة والملاحة (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م). (هـ) بريد راحة سنحان (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م). (و) بريد وادي ملاح (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م). (ز) بريد علب (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م). (ح) بريد الكولة (١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م). (ط) بريد الفيض (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م). (ي) بريد الطلحة (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م). (ك) بريد وادي جناب (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م). (ل) بريد وادي الغيل (١٤٠١هـ/١٩٨١م)[١].

وإدارة البريد في ظهران في مبنى حكومي تم تشييده عام (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ويتكون من دورين في مدينة ظهران، وعدد الموظفين والعاملين في بريد ظهران المركزي عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) حوالي (١٢) موظفاً[٢]، وتتكون إدارة البريد في مدينة ظهران من أقسام عديدة، مثل: الشئون البريدية والإدارية، والشئون المالية، وقسم الرسميات الواردة والترحيل وسجلات الصادر والوارد، والتوزيع الميداني، واستقبال البريد العادي، وبيع الطوابع، وآلات التخليص، وخدمة صناديق المشتركين[٣]. وتولى إدارة البريد عدد من المديرين، هم: (أ) محمد المنيع الخليوي (١٣٥١-١٣٩٥هـ/١٩٣٢-١٩٧٥م)[٤]. (ب) محمد مسفر قهمان (١٣٩٥- ١٤١٢هـ/١٩٧٥-١٩٩٢م). (ج) عوض بن زوقم أحمد (١٤١٢- ١٤٢٤هـ/١٩٩٢-٢٠٠٣م)[٥].

٩- السجن:

أطلعنا على خطاب من رئيس سجن ظهران الجنوب في (٢٧/١٠/١٤٢٤هـ)، أرسله إلى محافظ المحافظة كي يرسله إلينا، افتتحه بالسلام، وديباجة الخطابات

---

(١) المصدر السابق.

(٢) وذلك حسب التقرير الذي وصلنا من مدير البريد آنذاك، ونقول إن إدارة البريد والبرق في منطقة عسير من الموضوعات الجديرة بالدراسة من منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر، ونأمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس هذا الموضوع.

(٣) المصدر السابق.

(٤) ربما كان هذا التاريخ غير دقيق لطول الفترة المذكورة أعلاه، ثم إن البريد الرسمي لم يُنشَأ في ظهران إلا في نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م)، نعم كان هناك برقيات وبريد في منطقة عسير منذ خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، ونقول إن دراسة تاريخ البريد في جنوبي البلاد السعودية منذ بداية القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى عصرنا الحاضر من الموضوعات الجديدة الجديرة بالدراسة العلمية الموثقة.

(٥) المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠-٢١م)، جـ٧، ص ٢٠-٢٣.

المعروفة[١]، ثم قال عن تاريخ السجن ((...نفيدكم بأن سجن ظهران الجنوب تأسس عام (١٣٩٣هـ)، ورئيسه آنذاك الرقيب رافع ناصر القحطاني، ومعه أثناء الافتتاح الرقيب يحيى محمد الحقطاني. وكانت جميع الأوامر والتعليمات تصدر مباشرة من إدارة السجن في منطقة عسير[٢]. والمدراء الذين تولوا إدارة السجن منذ نشأته حتى تاريخه[٣]، هم: (أ) الملازم أول علي محمد القاضي. (ب) الملازم أول حسين عوضه الشهراني. (ج) الملازم أول سعيد سعيد عسيري. (د) الملازم أول عبدالرحمن مغرم القحطاني. (هـ) النقيب محمد خلوفه عسيري. (و) عبدالرحمن عواض[٤]. (ز) النقيب عبدالله محمد الورد. (ح) الملازم أول مبشر محمد الأسمري. (ط) النقيب فيصل محمد القحطاني. (ي) الرائد سعود سلطان العتيبي)).

والتطورات التي جرت على مبنى السجن في ظهران، وبخاصة في إدارة الرائد سعود العتيبي، كانت على النحو التالي: ((...تم تطوير العنابر من حيث التوسعة والتهوية، وعزل سجن النساء عن عنابر السجناء، وافتتاح البيت العائلي، وإنشاء مسجد جامع للسجناء، وإخراج مطبخ السجناء إلى الحوش الخارجي، ونقلت الإدارة إلى مبنى آخر، وفتحت بوابة من الجهة المقابلة لشرطة ظهران، وافتتحت مكتبة للسجناء... وفتح ثلاث مخارج للطواري، ومستوصف، ومدرسة ليلية للسجناء...))[٥].

١٠- فرع الزراعة والمياه:

تلقينا خطاباً في صفحتين بتاريخ (١٤٢٤/١١/٨هـ) من الأستاذ سعيد محمد أبو سبل، مدير فرع الزراعة بمحافظة ظهران الجنوب، ذكر فيه تاريخ تأسيس الفرع في عام (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، ومديره عند النشأة الأستاذ/ أحمد حمادي، ثم جاء بعده مسفر سعيد الوادعي، ثم محمد مبارك جواح، ثم كاتب

---

(١) هذا الخطاب يوجد في مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق ١٥هـ/٢٠-٢١م)، جـ٧، ص٢٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) أي في (١٤٢٤/١٠/٢٧هـ)، كتابة هذا الخطاب والتقرير.

(٤) المصدر السابق. تاريخ تدوين هذا الخطاب والتقرير في (١٤٢٤/١٠/٢٧هـ).لم يذكر التقرير اسم رتبته.

(٥) المصدر نفسه، ونقول إن تاريخ السجون في منطقة عسير وفي مناطق الجنوب السعودي (الباحة، القنفذة، نجران، جازان) من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس خلال العصر الحديث والمعاصر، ونأمل أن تدرس هذه العناوين في بحوث ودراسات علمية.

هـذا التقرير سعيد محمد أبو سبـل. وإدارة الفرع عند التأسيس عرفت بـ (الوحدة الزراعيـة)، ثم تحول الاسم إلى (فرع الزراعة والميـاه)، وعدد موظفي هذا الفرع عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) ثلاثة عشر موظفاً[١].

١١- إدارة الدفاع المدني:

وصلنـا مـن إدارة الدفـاع المـدني في ظهـران الجنـوب مذكـرة مكونـة من صفحتـين بدون تاريخ، وعنوانها: نبذة مختصرة عـن إدارة الدفاع المدني بظهران الجنوب[٢]، وفيها إشـارة إلى أن تأسيس هذه الإدارة في عام (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، وكانـت على هيئـة مركز تابـع لإدارة الدفاع المـدني في أبها، تم تحـول المركز عام (١٤١٠هـ/١٩٩٠م) إلى إدارة، ويتبـع لهـا مراكز الدفاع المـدني في سراة عبيدة، وعلـب، ووحدة وسـط مدينة ظهران، ثم فصل مركز سـراة عبيدة عن ظهران[٣]، واستحـدث مركز للدفاع المدني في بلدة الحرجة عام (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، وارتبط إدارياً بإدارة الدفاع المدني في ظهران.

وتـولى إدارة الدفـاع المدني في ظهران عـدد من المسئولين، هـم: (أ) الرقيب أول/ مسفـر عباس عسـيري (١٣٩٨-١٤٠١هـ/١٩٧٨-١٩٨١م). (ب) الملازم/ سعيـد محمـد الوادعـي (١٤٠١-١٤٠٨هـ/١٩٨١-١٩٨٨م). (ج) المـلازم/ علي مريـع القحطـاني (١٤٠٨-١٤١٠هـ/١٩٨٨-١٩٩٠م). (د) المقـدم/ محمـد بـداح الشهـراني (١٤١٠-١٤١١هـ/١٩٩٠-١٩٩١م). (هـ) المـلازم أول/سعيد

---

(١) المصـدر: مكتبـة د. غيثان بن جريـس العلمية، الوثائق العامـة (ق ١٥هـ/٢٠-٢١م)، جـ٧، ص ٢٩-٣٠. وتاريـخ الزراعـة في محافظة ظهران الجنوب مـن الموضوعات المهمة والأساسية عنـد سكان البلاد، كما يوجـد الكثير من الاتفاقيات والوثائق التي تصب في خدمة تاريـخ هذا الموضوع، وهناك الكثير من الرواة الذين عرفوا ومارسوا الزراعة، ونأمل أن نرى باحثاً جاداً، يدرس التاريخ الزراعي في هذه الناحية خلال القرنـين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م)، وهذا العنـوان موضوع يستحق أن يكون رسالة علميـة أو كتاباً أكاديمياً موثقاً.

(٢) المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق ١٥هـ/٢٠-٢١م)، جـ٧، ص ١٣-١٤.

(٣) مـن خلال زيارتـي لظهران الجنوب ولقائي مع بعض الأعيان والمثقفين في ظهـران وسراة عبيدة وجدت عـدم الرضـا والقبول عند أهل ظهران تجـاه أهل السراة، والعكس صحيح، وبخاصـة في ميدان الإدارات الحكوميـة، وكل مـن الطرفين يرى أنهـم الأولى والأكـثر استحقاقاً من غيرهم في الخدمـات وفتح فروع للمؤسسـات الإداريـة. وأقـول إن هذه الادعـاءات ضرب من الترف وعـدم الواقعية، بـل إنها من صنوف العنصريـات القبليـة غير المقبولة، لأنني شاهـدت معظم المؤسسات الإدارية موجـودة في الناحيتين، ولم تقصر الدولة إطلاقاً في خدمة أرض وإنسان هذه البلاد.

علي عسيري (١٤١١-١٤١٢هـ/١٩٩١-١٩٩٢م). (و) النقيب/يحيى عبدالله حاضر (١٤١٢-١٤١٣هـ/١٩٩٢-١٩٩٣م). (ز) الملازم أول/سعيد علي القحطاني (١٤١٣-١٤١٥هـ/١٩٩٣-١٩٩٥م). (ح) النقيب/أحمد علي شايع (١٤١٥-١٤١٧هـ/١٩٩٥-١٩٩٧م). (ط) الملازم أول/عبدالرحمن محمد شعشان (١٤١٧-١٤٢١هـ/١٩٩٧-٢٠٠١م). (ي) الرائد/علي مريع القحطاني (١٤٢١-١٤٢٣هـ/٢٠٠١-٢٠٠٣م). (ك) المقدم/ سعد علي الحميدي (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م – حتى الآن)[١].

وتحصل إدارة الدفاع المدني في ظهران على سلفة مالية كل شهر من إدارة الدفاع المدني الرئيسية في أبها من أجل صرفها للمحروقات، ومياه الشرب، ومياه الإطفاء، وعمل الصيانة الدورية للمعدات والآليات الخاصة بعمل الدفاع المدني في المحافظة. ولم يذكر التقرير أي شيء عن بناية الدفاع المدني هل هي حكومية أو مستأجرة؟ أو عن أي أعمال أو تدريبات يقوم بها رجال الدفاع المدني هناك[٢].

١٢- فرع وزارة العدل:

في خطاب بتاريخ (١٤٢٤/٨/٣هـ) من كاتب عدل ظهران الجنوب الشيخ محمد بن أحمد الغامدي إلى سعادة المحافظ، قال فيه ((إشارة إلى خطابكم رقم (٤٨٩٧ في ١٤٢٤/٧/٢٤هـ) المتضمن طلب أ.د.غيثان بن جريس ... الذي يرغب كتابة كتاب عن تاريخ محافظة ظهران الجنوب في الماضي والحاضر...الخ، يجد سعادتكم برفقه إفادة عن تاريخ هذه الإدارة...))[٣]. وهذه الإفادة على النحو التالي: ((...الحمد لله وحده وبعد، تأسست كتابة عدل ظهران الجنوب عام (١٤٠٢هـ)، ومقرها عند النشأة حي الصوغ الغربي، وأول رئيس لها الشيخ/ سعد بن محمد بن سلطان، ويعمل معه آنذاك فقط أربعة موظفين، واستمر هذا الرئيس إلى عام (١٤٢١هـ)، ثم خلفه الشيخ ربيعان محمد الربيعان (١٤٢٢- ١٤٢٣هـ)، ثم الشيخ/ محمد بن أحمد بن مسفر الغامدي، ومدير إدارتها عبدالله بن علي

---

(١) يقصد بكلمة (حتى الآن)، أي عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) تاريخ طلب هذه المعلومات من محافظ المحافظة، للمزيد انظر، مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق ١٥هـ/٢٠-٢١م)، جـ٧، ص ١-٢، ١٣-١٤.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) هذا الخطاب وبرفقه تقرير عن تاريخ الإدارة في صفحة واحدة، وهذه الوثائق توجد ضمن مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٥هـ-٢٠-٢١م)، جـ٧، ص٢٥-٢٦.

بن جابر آل مـداوي الوادعي من (١٤٢١-١٤٢٤هـ) وعدد موظفيها (١٢) موظفاً، منهـم خمسـة غير رسميين، وبـدأت هـذه الإدارة في استخـدام الحاسب الآلي في إنجاز معاملاتها وكل ما يتعلق بالشئون الإدارية والمالية في هذه الإدارة...))[١].

١٣- وحدة الكهرباء:

خطاب من المهندس سالم حمد اليامي، رئيس وحدة كهرباء ظهران الجنوب، في (١٤٢٤/٨/٢٤هـ)، ذكـر فيه افتتـاح وحدة ظهران في عـام (١٤٠٣هـ)، وعدد موظفي هذه الإدارة آنذاك (٧٥) موظفاً، والمديرون الذين تولوا إدارتها هم: محمد حاضر القحطاني، ومسعود علي اليامي، وعبدالله معيض، وسعيد محمد الزهيري، وأحمـد سعيد آل قوت، ثـم المهندس سالم حمد اليامـي[٢]. وكانت هذه الإدارة في البداية وحدة توليد، ثم تطورت وربطت بالتوليد المركزي في منطقة عسير[٣].

١٤- مركز الإشراف التربوي:

بدأت إدارة التعليم في منطقة عسير بمدينة أبها خلال الخمسينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)[٤]، ثـم تطور التعليم في عموم المنطقة للذكـور والإناث حتى صارت جميـع مراحل التعليم العام في كل مدينة وناحية، وكذلك التعليم التقني والجامعي في جميـع محافظـات المنطقـة[٥]. وكانـت بلاد ظهران الجنـوب تتبـع تعليمياً إلى أبها[٦]، وعندما أنشئت إدارة تعليم السراة أصبحت ظهران تابعة لها، وأنشئ مركز

(١) المصدر نفسه. ونقول إن دراسة تاريخ كتابة العدل، والمحكمة الشرعية وغيرها من الإدارات الشرعية في منطقة عسـير جديـرة بالبحث والدراسة. ونأمـل أن يقوم أحد طلابنـا في برنامج الدراسات العليـا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد بدراسة هذا الموضوع منذ خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر.

(٢) لم يذكـر "التواريخ لهؤلاء المديرين، ولم يورد هذا التقرير تفصيلات أكثر عن هذه الإدارة. انظر مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق ١٥هـ/٢٠/٢١م)، جـ٧، ص٥.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) للمزيـد عن بدايات التعليـم الحديث في منطقة عسير انظر، غيثان بن جريـس. تاريخ التعليم في منطقة عسير (١٣٥٤-١٣٨٦هـ/١٩٣٤-١٩٦٦م) (جدة: دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م) (الجزء الأول) (٣٤٢صفحة).

(٥) تاريـخ التعليـم التقني والجامعي في منطقة عسير من الموضوعات الجديـدة التي لم تدرس، نأمل أن نرى باحثين جادين يدرسون هذا الميدان الحضاري المهم.

(٦) للمزيد عن التعليم الحديث في منطقة عسيبر انظر، غيثان بن جريس، تاريخ التعليم في منطقة عسير، جـ١، ص٥١ وما بعدها، للمؤلف نفسه تاريخ التعليم العالي في منطقة عسير خلال عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز (١٤٠٢-١٤٢٢هـ) (الرياض: مطبوعـات جامعة الملك سعود، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ص٢٥ وما بعدها. للمؤلف نفسه. من رواد التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية (محمد أحمد أنور) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م) (الطبعة الثانية)، ص ٢١ وما بعدها.

للإشراف التربوي في ظهران يقوم على متابعة سير التعليم في هذه الناحية. وفي خطاب بتاريخ (١٤٢٤/٨/٨هـ) من مدير المركز سعيد بن هباش أبو حديد يذكر أن تأسيس هذا المركز كان في عام (١٤٠٥هـ)، واستمر لمدة أربع سنوات ملحقاً بمدرسة سعد بن أبي وقاص ويتولى إدارته الأستاذ عبدالحميد الشرباصي، ومعه ثلاثة مشرفين آخرين، ثم أقفل لمدة من الزمن، ثم أعيد فتحه عام (١٤١٧هـ)، وتولى إدارته الأستاذ/ حسن بن دليم آل زاهر وعمل معه خمسة مشرفين، وفي عام (١٤٢٠هـ) أصبح رئيس المركز الأستاذ مسفر سعيد آل عازب الوادعي حتى عام (١٤٢٢هـ)، ثم جاء بعده سعيد بن هباش أبو حديد[1].

خامسا: مشاهدات وإيضاحات :

١- صور من تاريخ ظهران الاجتماعي:

(*) **العمران :** القرى القديمة واضحة للعيان في أنحاء محافظة ظهران. فالبلدة القديمة، في الناحية الغربية من وادي العرين، مازالت كثير من منازلها الطينية قائمة، ومنها التي اندثرت بعض أجزائها، وأخرى يسكنها بعض العمال والأسر الفقيرة أو الوافدة إلى البلاد كاليمنيين والسودانيين وغيرهم[2]. ويوجد في هذه القرية مسجد وآبار قديمة، وتستخدم حتى وقتنا الحاضر[3]. وأثناء تجوالي في المحافظة وقفت على قرى عديدة قديمة مثل: ظهران القديم، وقرى القبضة، وكتام، ودار العرق، وحيدان، وقاعة، والمجزعة، والشحاك، والشط، والرهوة، والزاوية وجميعها تقع جنوب وجنوب شرق وسط مدينة ظهران الحديثة[4]. وفي

(١) انظر مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق ١٥هـ/ ٢٠-٢١م)، جـ٧، ص ١٨-١٩. ونأمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخ التعليم الحديث في محافظات ظهران الجنوب، وسراة عبيدة، وأحد رفيدة وما جاورها.

(٢) جميع البيوت في القرى القديمة تركها أهلها وأصبحت مهجورة، وأحياناً ترى بعض البيوت مسكونة من قبل العمال أو الأسر الفقيرة، أو بعض الوافدين من دول عربية أو إسلامية أخرى. المصدر: مشاهدات الباحث في ٢٩/١١-٢/١٢/١٤٣٧هـ).

(٣) مازال المسجد القديم في بلدة ظهران القديمة يرتاده الناس للصلاة، ويوجد بداخله بئر قديمة مليئة بالماء، ومساحة المسجد تقريباً (١٢×١٠م)، وادخل عليه بعض التحسينات مثل: طلاء جدرانه الطينية، وتزويده بالكهرباء، وإضافة دورات مياه في إحدى جوانبه. المصدر: مشاهدات الباحث يوم الجمعة (٣٠/١١/١٤٣٧هـ).

(٤) مشاهدات الباحث في (٢٩/١١/-٢/١٢/١٤٣٧هـ). وللمزيد عن تاريخ وسط ظهران القديم، منازلها، أزقتها، مسجدها، آبارها خلال خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، انظر، فلبي، مرتفعات الجزيرة العربية، جـ٢، ٧٩٨وما بعدها.

الناحيـة الغربية قرى آل السيـار، آل رشيد، آل السحامـي، آل المحضي، الحضن، الجربة وعرق بيضان(١). وفي الشمال والشمال الشرقي قرى وادي الغيل، والطلحة، وشعب آل فروان، والأرنب وآل ثابت، والحرجة القديمة، والحمرة(٢).ومعظم القرى التي رأيناها مازالت بحالة جيدة مقارنة بالقرى القديمة التي في أجزاء عديدة من منطقـة عسير(٣). والواجب على سكان هذه القرى، وإمارة عسـير، والهيئة العليا للسياحـة أن تسعـى إلى ترميم وصيانة هـذه القرى التي تعكس جـزءاً من التاريخ الاجتماعي الحضاري لهذه البلاد(٤).

ويظهـر على منـازل القريـة القديمة تلاصقهـا، وضيق الطرقـات التي تصل بعضها ببعضـ(٥)، وجميعها مشيدة من الطين(٦)، وهنـاك بعض الحصون القليلة المبنيـة من الحجارة(٧)، وأغلب القـرى تشيد على الأودية وقريباً من المزارع، وقرى أخرى في أعلى الجبال والهضاب(٨). ولا تخلو معظم القرى أو الجبال من حصون أو قـلاع تستخدم إما لحراسة المزارع وتخزين محاصيلها، أو للدفاع عن القرية أثناء الحروب قديماً(٩).

---

(١) المصدر: جولات الباحث في هذه القرى يوم الجمعة (١٤٣٧/١١/٣٠هـ).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) قمت بجولات في عدد من محافظات مناطق عسير والباحة وجازان خلال العشر سنوات الأخيرة، ورأيت كثـيراً من القـرى القديمة اندثـرت، ومعظمها تلاشت، أما ظهـران الجنوب فمازال هنـاك قرى عديدة قائمة، وبدأت عوامل الخراب تنالها، وإذا لم يحافظ عليها وترمم فإنها سوف تتهدم وتختفي.

(٤) العمـارة القديمـة في ظهـران تختلف عن العمـارة في أجزاء من عسـير السراة، فلا يوجد عليهـا ما يعرف بـ (الرقف) الذي يمنع سقوط المطر على جدر المنزل من الخارج كما هو في خميس مشيط وأبها وغيرها، وذلك لجودة تربة ظهران وقوة تماسكها. ومن مواد البنـاء القديمة: الخلب، والتبن، والأحجار، والخشب الذي يؤخذ مـن شجر الطلح، والحمض، والعلب (السدر)، والأثل، والقرض، والجراع. وتتم عملية البناء قديماً بواسطة: البناء، والنجار، والمحضر، والمناول، والحداء، والمخلب: ويطلق اسم المخلب على الوسيلة المستخدمة في إصلاح الخلب وتجهيزه للبناء، وعلى العامل المسئول عن إعداد مادة الخلب حتى تكون صالحة للبناء.

(٥) التقـارب والتلاحـم بين منازل القريـة القديمة سائد في أنحاء جنوب الجزيـرة العربية، بسبب الخوف الذي عاشه الناس قديماً، وعدم وجود الأمن الذي يحفظ دماء وأموال وأعراض الناس.

(٦) الطـين: هو المـادة الرئيسية في البناء والعمارة في نجران وظهران وأجـزاء من مناطق عسير الشرقية. مشاهدات الباحث خلال العشرين سنة الماضية.

(٧) شاهـدت بعض الحصون الحجرية، وهي قليلة، قريباً من بلدة ظهـران وفي قرى الحرجة ووادي الغيل. مشاهدات الباحث في (٢٩/١١-٢/١٢/١٤٣٧هـ).

(٨) مشاهدات الباحث في يومي الخميس والجمعة (٢٩-١٤٣٧/١١/٣٠هـ).

(٩) بنـاء القلاع والحصون في مناطـق الجنوب السعودي من الظواهر الرئيسيـة قديماً لأهميتها في الدفاع والحراسة وأحياناً للسكن.

ويوجد عشرات المقابر الأرضية القريبة من القرى، ومعظمها تم تسويرها من قبل البلديات، ولم نشاهد أي مقابر سطحية قديمة، خلافاً لما رأيناه في نواحي من بلاد غامد وزهران، وبلاد الحجر، وبعض الأجزاء في تهامة والسراة[١]. ولا تخلو أي قرية من مسجد قديم[٢]، أما الآبار الجوفية فهي كثيرة وبعضها مستخدمة في ري المزارع والسقيا[٣].

وتنتشر العمارة الحديثة في أنحاء المحافظة، فالذاهب في أرجائها لا يرى إلا بيوتاً حديثة مسلحة بالأسمنت والبلك والحديد، والبناء في المنطقة يتراوح من طابق واحد إلى أربعة طوابق، ونادراً ما ترى بناء يصل ارتفاعه إلى خمسة أو ستة أدوار. وكل عمارة تتفاوت في المساحة، وعدد الغرف والمرافق التابعة لكل بناية[٤].

ومن أنواع العمارة الحديثة المنازل الخاصة، والاستراحات الصغيرة والكبيرة، والأبنية الحكومية الرسمية، والدكاكين والأسواق والمحلات التجارية، والشقق المفروشة وبعض الفنادق، والمقابر، والطرقات وغيرها. هذا الذي شاهدته في أجزاء عديدة من المدينة الرئيسية والقرى المحيطة بها، أو القرى الواقعة على الطريق الرئيسي من نجران إلى أبها وخميس مشيط ابتداء من الثويلة في الجنوب إلى بلاد الحرجة وما يقع شمالها[٥]. وحاضرة ظهران الجنوب، كنموذج للعمارة في المحافظة. فالمدينة يجتازها من الشمال إلى الجنوب الطريق الدولي (عسير، نجران، اليمن)،

---

(١) المصدر: مشاهدات الباحث لأجزاء عديدة في جنوبي البلاد السعودية خلال الثلاثين سنة الماضية.

(٢) شاهدت عدد من المساجد القديمة المندثرة في بعض القرى المحيطة ببلدة ظهران الحديثة، وفي قرى وادي الغيل، وبلدة الحرجة القديمة. مشاهدات الباحث في يومي الجمعة والسبت (٣٠/١١-١/١٢/١٤٣٧هـ.

(٣) شاهدت الآبار الجوفية القديمة في قرى عديدة من ظهران الجنوب، والآبار من المصادر الرئيسية للزراعة والسقيا. وبعض العيون الجارية في قرى القبضة، والحاجر، والمجازة، والمسيل والمسيال وغيرها. مشاهدات الباحث في (٢٩/١١-٢/١٢/١٤٣٧هـ.

(٤) شاهدت في المنطقة تنمية عمرانية جيدة، فالقرى الجديدة في كل مكان، وبعضها قريب من القرى التراثية القديمة المشيدة بمادة الطين. وتحولت حياة الناس القديمة البدائية في مجال العمران، ومواد البناء، والتخطيط إلى أبنية جديدة عصرية مزودة بالكهرباء، ودورات المياه، وخزانات المياه العذبة، وأدوات التبريد، وجودة الطلاء والتزويق، ونوعية الأثاث وغيرها من مستلزمات السكن. المصدر: مشاهدات الباحث في (٢٩/١١-٢/١٢/١٤٣٧هـ.

(٥) المصدر نفسه. تاريخ العمارة القديمة والحديثة في محافظة ظهران الجنوب من الموضوعات التي لم تدرس، ويستحق أن يدرس دراسة علمية أكاديمية وبخاصة في القرنين (١٤-١٥هـ/٢٠-٢١م). ودراسة مثل هذا العنوان لن يكون صعباً لتوفر المادة على الواقع، ووجود رواة ووثائق تدعم الدراسة.

وهـذا الطريق هـو الشريان الرئيسـي للمدينة، يوجـد عليها ثلاثـة دوارات مرورية، وإشـارة واحدة، يأتـي على جانبيه عشـرات الأسواق والمحـلات التجارية المتنوعة في معروضاتهـا، وأحجامها، ومساحاتهـا[(١)]، كما يقع عليه عدد مـن المؤسسات الإدارية الرسمية مثل: المحافظة، والبلدية، والشرطة، والمستشفى، وفرع قيادة حرس الحدود، والدفاع المدني وغيرها[(٢)]. ومؤسسات أهلية أخرى عديدة، كالبنوك التجارية، وبعض المستوصفات الأهلية، أو مراكزاً تدريبية تعليمية وغيرها[(٣)].

وتتكون بلدة ظهران الجنوب من أحياء حديثة قامت البلدية على تخطيطها، مع مراعـاة المواصفات الهندسية المعاصرة، ومـن أكبر وأقدم الأحياء في المدينة (حي الرحيـب) وينقسم إلى غربي، أي غربي الشـارع الرئيسي الذي يعبر وسط المدينة نحو نجران، وشرقي. والجزءان مكتظان بالأبنية الخاصة والعامة، وأنشطها ما يقع على جانبي الطريق الدولي، وهناك مخططات أخرى عديدة في الحاضرة مثل: حي الإسـكان، وحي النسيم، وحي الحمراء (آل مونسـ)، وحي الملك عبدالعزيز، وحي الحصـن واحد واثنان[(٤)]. وهـذه الأحياء وغيرها مخدومة بالطـرق المسفلته ذات المسـار الواحد، وأحياناً المزدوجة، وبعضـ الدكاكين الصغيرة والكبيرة المتنوعة في معروضاتهـا وخدماتها، وبعض المدارس، ومراكز الرعاية الأولية وغيرها[(٥)]. وهذه

---

(١) منطقـة ظهـران الجنوب لا يوجد فيهـا مراكز تجارية كبرى (مولات) مثل نجـران، أو خميس مشيط، أو حتـى سـراة عبيدة، وأغلب أسواقها صغيـرة ومتوسطة الحجم من بقـالات، و(سوبر ماركت)، وبعض الأسواق الخاصـة بالألبسة، أو المفروشات والأثاث، أو الأدوات المنـزلية وغيرها من المعروضات التجارية. مشاهدات الباحث في (٢٩/١١-٢/١٢/١٤٣٧هـ).

(٢) لاحظنا في مناطق عديدة في جنوبي البلاد السعودية أن حاضرة ظهران الجنوب تعد من أفضل الحواضر التي يوجد بها أبنية حكومية تمتلكها الدولة، مثل المحافظة وغيرها من الإدارات، وهذه منقبة جيدة تتميز بها هذه البلاد وبخاصة في مركز المدينة وما حولها، أما القرى والأرياف والمراكز فمازال كثير من العمائر الحكومية مستأجرة. المصدر: مشاهدات الباحث في (٢٩/١١-٢/١٢/١٤٣٧هـ).

(٣) هـذا مـا شاهدته في حاضـرة ظهران الجنوب، أما القـرى والأرياف فهي بحاجة أكـبر إلى توفير أبنية حكومية لجميع فروع المؤسسات الإدارية.

(٤) مشاهـدات الباحـث في (٢٩/١١- ٢/١٢/١٤٣٧هـ). ونقول أن حاضرة ظهران الجنوب مازالت مميزة بأبنيتها القديمة والحديثة، وتستحق أن يفرد لها دراسة علمية موسعة.

(٥) تاريـخ التعليم والمدارس والخدمات الصحية في ظهران الجنـوب من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس بطريقـة علمية منـذ بداية القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى يومنا الحاضـر، وتستحق أن يخصص لها دراسات علمية موثقة.

الأحيـاء ومـا جاورها تحتوي على بعض الأسواق الشعبيـة[١]، والمساجد والجوامع الرئيسيـة[٢]، ومن أكبر الجوامع في ظهران، جامـع ظهران الكبير في حي الرحيب الغربي، الذي أنشئ عام (١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ويتسع لـ(٥٠٠٠) الآف مصلٍ[٣].

وموقـع ظهران الجنوبي الهـام يتصل بالعديد من الطـرق القديمة والحديثة. ففي السابق كانت طريق التجارة والحج اليمني، تجتاز أجزاء من أرض ظهران[٤]، وهنـاك طرق أخرى تربط ظهـران ببلاد قحطان، أو نجـران، أو تهامة، أو أجزاء من أرض اليمـنٍ، أو بلاد الشرق مثل: تثليث، والدواسر، ونجد[٥]. أما الطرق التي أنشئـت حديثـاً فهي كثيرة، فلا تخلـو قرية من قرى المحافظـة، أو جزء من أجزاء المنطقـة إلاّ نراها مربوطة بشبكة طرق مسفلته يرتادها جميع الناس. ومن الطرق الرئيسيـة التـي تصل المحافظة بغيرهـا، الطريق الرئيسي الـذي يأتي من نجران أو مـن منفـذ علب على حدود اليمن إلى ظهران ثم يسـير شمالاً إلى مناطق عسيرٍ والباحـة والحجـاز، ويخـرج منه فـروع نحو الشـرق إلى بيشـة أو تثليـث، أو غرباً إلى محائـل والقنفذة أو منطقة جـازان[٦]. وطريق أخرى يخـرج من بلاد ظهران

---

(١) كان سوق الخميس الشعبي وسط بلدة ظهران القديمة، في حي الرحيب الغربي، واليوم يعاد بناؤه وتوسعته، وقد نقل مؤقتاً على الطريق الذي يتفرع من المدينة إلى منفذ علب، ويباع فيه اليوم كثير من السلع اليمنية كالـبن، والقشر، والزبيب وغيرها من السلع القديمة والحديثة. المصدر: مشاهدات الباحث يوم الجمعة (١٤٣٧/١١/٣٠هـ). يقول فلبي عن هذا السـوق في خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) "رأيت واحداً من أفضـل الأسواق وأكثرها حيوية مقارنة بـكل الأسواق المحلية". انظر، فلبـي، مرتفعات الجزيرة العربية، جـ٢، ص ٧٣٧.

(٢) لا تخلو قرية من قرى محافظة ظهران الجنوب من مسجد وأحياناً جامع كبير، وقد زرت بعض جوامع المحافظة مثل: جامع النور في حي الرحيب الغربي، وجامع العطف في حي العطف، وجامع حي الحمراء، ومسجد عثمان بن عفان في حي الجنادرية، وجامع الغيل في قرى وادي الغيل، وجامع ابن عثيمين في قرى الأرنب وآل ثابت.

(٣) تاريخ المساجد والجوامع قديماً وحديثاً في محافظة ظهران الجنوب خلال القرون الماضية المتأخرة حتى عصرنا الحالي، موضوع لم يدرس اطلاقاً ويستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة ماجستير أو دكتوراة، ونأمل من أساتذة وطلاب جامعتي نجران أو الملك خالد أن يلتفتوا لهذا الموضوع المهم والجديد.

(٤) مـن يدرس كتب الرحالـة والجغرافيين الأوائـل وبعض كتب التاريـخ والتراث الإسلامـي يجدها تذكر محطـات طريق التجارة اليمنـي الجبلي، وتشير إلى بعض محطات تلك الطريـق الواقعة ضمن محافظة ظهران الجنوب اليوم، وبعض هذه المحطات مازالت معروفة بأسمائها القديمة حتى وقتنا الحاضر.

(٥) يوجـد طرق عديـدة تخرج من ظهران إلى تلك النواحي إما مشياً علـى الأقدام، أو على الدواب. وطرق المسافريـن أو التجارة التي تتصل بسروات ظهران الجنوب وبلاد قحطان قديماً من الموضوعات الجديدة في بابها وتستحق أن تدرس في كتاب أو رسالة علمية.

(٦) دراسـة الطرق في جنوبي البلاد السعوديـة من الموضوعات المهمة والجديرة أن يفرد لها عدد من البحوث العلمية.

الشرقية والشمالية الشرقية إلى وادي الدواسر والرياض وغيرها[١]. وطرق أو عقبات تربط سروات محافظة ظهران مع مناطق الأصدار وأجزاء من تهامة، ومن تلك العقبات المسفلته: (١) عقبة ظهران، وتسمى عقبة خشبة، تخرج من مدينة ظهران نحو الغرب إلى قرية الجربة، وتنزل في منطقة الأصدار وتهامة إلى قرى قاعة، والغيل، والمسنى حتى تصل بلاد الريث. (٢) عقبة شراقب، التي أشار إليها فلبي، في القرن الهجري الماضي، وتبدأ من قمم الجبال المطلة على تهامة غرب مركز الحرجة، وتصل إلى قرية العطف ومبرته في سهول تهامة آل حيان[٢]. (٣) عقبات أخرى، مثل: فرواع، والمسوح، وجيسان، والشرفة وجميعها تبدأ من سروات المحافظة في الأجزاء الشمالية إلى نواح عديدة في تهامة قحطان وأجزاء من شمال منطقة جازان[٣]. ولا تخلو المحافظة من سدود مائية حديثة، مثل سد عراعر أعلى وادي العرين شمال غرب مدينة ظهران، وسدود آل فروان، والأفياض، والقحيف شمال المدينة، وسدا القبضة وكتام في الناحية الجنوبية، وسدود أخرى عديدة في بلاد الفيض، والحرجة، والرققه، والنعضاء شمال وشرق المحافظة[٤].

(*) **اللباس والطعام:** دراسة الألبسة والأطعمة قديماً تحتاج إلى عدد من البحوث العلمية، ومعظم لباس وطعام أهل ظهران محلي من مزارعهم وأسواقهم الأسبوعية. وكون بلاد ظهران قريبة من اليمن ومن أسواق أخرى في سروات قحطان وعسير، كان يصدر إليها بعض المواد الغذائية، والأقمشة، وأدوات الزينة[٥].

---

(١) مشاهدات الباحث في الفترة الممتدة من (٢٩/١١-٢/١٢/١٤٣٧هـ).

(٢) مشاهدات الباحث يوم السبت (١/١٢/١٤٣٧هـ). ونجد فلبي يفرد عنواناً مستقلاً سماه (عودة إلى شراقب) ذكر فيه تفصيلات جغرافية وتاريخية عن أجزاء من بلدان ظهران الجنوب الشمالية، وبعضاً من تهامة ومنطقة الأصدار. انظر، فلبي، مرتفعات الجزيرة العربية، جـ٢، ص ٧٩٣ وما بعدها.

(٣) يستخدم جميع هذه العقبات بعض سكان قحطان وظهران وغيرهم، وهي متفاوتة في وعورة أرضها، ومعظم السيارات الصغيرة تسلكها، وأصعبها عقبة شراقب، وأسهلها المسوح، وتحتاج جميعها إلى صيانة وتوسعة. المصدر: مقابلات الباحث وجولاته في محافظة ظهران الجنوب في الفترة الممتدة من (٢٩/١١-٢/١٢/١٤٣٧هـ).

(٤) يوجد في محافظة ظهران الجنوب العديد من السدود الحديثة المتفاوتة في مواقعها ومساحتها وأهميتها، وتستحق دراسات علمية موثقة.

(٥) الناظر في بعض المصادر والمراجع مثل كتب التاريخ والرحلات، وبعض الوثائق المحلية يجد أسماء بعض الألبسة والأطعمة التي تباع في أسواق ظهران الشعبية. وبعض الرواة من كبار السن في بلدة ظهران ذكروا بساطة ألبستهم قديماً، أما الأطعمة والأشربة فالغالب أنها من المحاصيل الزراعية ومن منتوجات حيواناتهم ومواشيهم ولا نجد اختلافاً كبيراً في ألبسة وأطعمة أهل ظهران الجنوب عن ما رأيناه في بلاد

ألبسة وزينة أهل البلاد اليوم، اللباس السعودي، للرجال: الثوب، والغترة، والعقال، والأحذية المختلفة، وهناك من يلبس المشالح كالأعيان والوجهاء في بعض المناسبات الاجتماعية، وفي أيامٍ البرد تلبس العباءات والأكوات والمشالح الثقيلة، ويوجد من يترك الرأس حاسراً، وجلهم من الشباب وصغار السن، وبعض الشباب والعمال الوافدين من بلدان خارجية يلبسون البنطال والقميص، وقليل منهم يلبس ربطة العنق (الكرفته)[١]. والنساء والفتيات يلبسن أقمصة وتنانير وبناطيل وأردية طويلة وقصيرة داخل البيوت، وإذا خرجن يغطين أجسادهن بالعباءات النسائية[٢]. ومن يذهب إلى أسواق الألبسة والزينة يرى عشرات الأنواع والألوان والأحجام من ألبسة النساء والرجال، والشباب (ذكوراً وإناثاً) والأطفال، ولا يقتصر نساء المحافظة على ما يوجد في أسواقهن من ألبسة وأدوات زينة ولكنهن يسافرن إلى الأسواق الكبيرة في حواضر منطقة عسير أو بعض المدن الكبرى الأخرى[٣]. وألبسة النساء والرجال الموجودة في أي ناحية من نواحي البلاد السعودية هي الألبسة نفسها التي يلبسها أهل ظهران، كل حسب منزلته الاجتماعية وأحواله المادية، لكن

عسير وغيرها من بلدان الجنوب السعودي خلال القرون الماضية المتأخرة. وللمزيد عن بعض المصادر والمراجع التي تحدثت عن الأطعمة والألبسة في بلاد تهامة والسراة خلال القرون الماضية المتأخرة، انظر معلومات متناثرة في كتاب الرحالة فلبي، مرتفعات الجزيرة العربية، الجزء الثاني، وانظر أيضاً غيثان بن جريس، سلسلة كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عشرة مجلدات)، وللمؤلف نفسه، عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص ٥٨-٧٤، المؤلف نفسه، بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣-١٤هـ)، (الطبعة الثالثة/ ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م)، ص١٢٥-١٣٢.

(١) لبسة ربطة العنق (الكرفته) مقصورة على غير السعوديين وبخاصة العاملين في البنوك، أو بعض الشركات كالمدراء، أو من يعمل في أماكن استقبالات الجمهور، أو من يأتي إلى المنطقة من الاستشاريين وغيرهم.

(٢) النساء في محافظة ظهران الجنوب يحافظن بشكل كبير على لبس الحجاب وبخاصة العباءات الواسعة التي توضع على الرأس وسائر الجسد، كما أنهن لا يخرجن إلى الأسواق مثل نساء المدن الكبيرة، ويعتبرن ذلك غير محبب عند أهل البلاد. والرجل هو الذي يقوم بالتسوق وشراء ما يحتاج أفراد الأسرة. ورجال المنطقة لا يفضلون أن يتسوق نساؤهم في أسواق المحافظة، ولا يمانعون أن يذهبوا بنسائهم وبناتهم إلى الأسواق الكبيرة في المملكة مثل: سوق خميس مشيط، وجدة، والرياض وغيرها.

(٣) يعيش سكان محافظة ظهران الجنوب في نعمة ورخاء، لكنهم مازالوا محافظين في كثير من أعرافهم وتقاليدهم، والنساء غالباً يعملن في المنزل أو بعض الوظائف الحكومية، والرجل هو صاحب القول الفصل في شئون حياته وما يتعلق بأسرته.

أدوات الزينة وألبسة اليوم اختلفت كثيراً عن الماضي[١] من حيث الكثرة والنوعية والجودة، والمبالغات والتبذير[٢].

والأطعمة في الماضي محدودة في الكمية والنوعية، وجل أشربة وأطعمة أهل ظهران الجنوب محلية من المحاصيل الزراعية ومن ألبان ولحوم المواشي[٣]. واليوم زادت الأطعمة والأشربة بشكل كبير، فالذاهب إلى أسواق المواد الغذائية في المحافظة يشاهد عشرات الأصناف من الأغذية والأشربة المستوردة من أماكن كثيرة داخل المملكة العربية السعودية وخارجها، ومن يبحث عن المطاعم والبوفيهات التجارية فهي أيضاً موجودة بكثرة في حاضرة ظهران الجنوب، وبعض

---

(١) من الألبسة وأدوات الزينة قديماً. يلبس الرجال ثلاث عطف بز (قماش) مبرم وتفصل إما مزند، أو مفرج، ودسمال (عمامة) أبو حلقة، وزبدالرخال، والشيرخان، واللبيدية، والجوخة. ومن ألبسة النساء ثوب يسمى المبقل، ومزر، والمزر واللبيدية تصنع من جلود الضان، ويسمى أيضا (القباء). ومن حلي النساء: الخرز، واللبة، والفتخة، والمرتعشه، والخاتم، والقلادة، والخروص، والبرقع، وجميع هذه الأدوات تصنع من الفضة. والرجال يستخدمون بعض الأحزمة المصنوعة من الجلد، والخناجر والجنابي (السبيكي) وغيرها من الأدوات، وبعض الأسلحة مثل: السيوف، والبنادق، والقديمي، وعندما بدأ بعض الرجال يلبسون الساعة في القرن الهجري الماضي وبخاصة في الحواضر الكبيرة انتُقدوا لأنهم يرون لبس الساعة من ألبسة النساء مثلها مثل المسكة وغيرها وفي ذلك يقول الشاعر الشعبي:
من تمدن حط في يسراه ساعة مثل حجل حطته بنت الحلالي.
المصدر: هذا ما سمعه الباحث من بعض كبار السن في مدينة ظهران الجنوب وفي مركز الحرجة في الفترة من (٢٩/١١- ٢/١٢/١٤٣٧هـ).

(٢) رخاء الناس اليوم، وتوفر المال في أيديهم جعلهم في نعمة عظيمة، فتراهم يبالغون في شراء الأغراض الزايدة عن حاجياتهم من ألبسة ومفروشات وأثاث وأدوات الزينة وغيرها. المصدر: مشاهدات الباحث في بلدان عديدة من جنوبي البلاد السعودية خلال السنوات العشر الماضية.

(٣) أهم المحاصيل الزراعية في محافظة ظهران: الذرة، والشعير، والحنطة، وبعض الثمار والفواكه المزروعة محلياً، ومن المواشي الأبقار، والإبل، والضان والماعز، ومازالت هذه الثروات الزراعية والحيوانية موجودة في بلدان المحافظة الظهرانية لكنها بنسبة أقل مما كانت عليه في السابق. ومن أطعمة سكان محافظة ظهران سابقاً: البر (الحنطة)، والشعير، والذرة، والهند، والحمري. وتؤكل بعد إعدادها على هيئة أقراص أو عصيد، وقد تؤكل بدون أي شرب، وأحياناً تؤكل مع السمن والمرق والحليب واللبن. واللحوم الموجودة عند الأوائل: لحم الإبل، والغنم، والبقر، والصيد كالأرانب، والولع، والحمام، والوبران، والحباري، والغزلان، والسفع، والعرافا. والصفات المذمومة عندهم في عادات الطعام: حضور الولائم التي تخص (الموتى)، مع أنها كانت موجودة ومحببة عند شرائح كثيرة من مجتمع الجنوب السعودي خلال القرون الماضية وذلك بسبب الجوع والفاقة التي عاشها معظم الناس، وفي بلاد ظهران من لا يحبذ حضور وجبات العمال كالبنائين والمزارعين وغيرهم، وبخاصة من أرباب العمل، وذلك من باب إكرام هؤلاء العمال الذين يقدمون له خدمات بدون مقابل. المصدر: هذا ما سمعه الباحث من بعض الرواة في محافظة ظهران الجنوب في الفترة من (٢٩/١١-٢/١٢/١٤٣٧هـ).

القرى والمراكز الكبيرة في المحافظة مثل: الحرجة، وقرى وادي الغيل، وبلاد الفيض[١]. والأطعمة المعروضة في هذه المطاعم من المشتقات النباتية والحيوانية مثل (الطماط، والكوسة، والبطاطس، والباذنجان، والخيار، والفاصوليا، والبامية، والملوخية، وغيرها)، ولحوم الضأن والجمال، والأبقار، والدجاج، والأسماك، والأرانب، والحمام. ومن هذه الأغذية المحلي والمستورد. والدارس لأشربة وأطعمة الأسر والأفراد في منازلهم يجد أنها لا تختلف كثيراً عن أطعمة وأشربة المطاعم التجارية، إلاّ أن الأيدي العاملة في المطاعم غير سعودية مثل: اليمنيين، والمغاربة، وأهل الشام، والهنود، والأفغان، والبنجال وغيرهم[٢]. أما أطعمة البيوت فالطاهون لها من النساء وربات البيوت، وقد يشاركهن بعض العاملات المنزلية اللاتي تم استقدامهن من بلدان عربية وغير عربية، وأحياناً تشترى الأسر وأفرادها أطعمة جاهزة من المطابخ والمطاعم التجارية[٣]. وفي الأعوام الماضية المتأخرة زرت بلداناً عديدة في جنوب البلاد السعودية مثل: مناطق الباحة، وجازان، ونجران، وأجزاء من منطقة تهامة وسراة عسير فرأيت بعض الاختلافات في هيئة المطاعم،

---

(١) مركز الفيض، أو بلاد الفيض من مراكز محافظة ظهران الجنوب، ويشتمل على عشرات القرى والهجر، ويعبر بلاد الفيض الطريق الدولية من نجران إلى خميس مشيط، والطريق الذي يربط نجران بالسليل ووادي الدواسر، ويحده من الشرق بدر الجنوب، ومن الشمال مركزي الخنقه والأمواه، ومن الجنوب مركز الحمرة ومحافظة بدر، ومن الغرب مركز الحرجة، ويسكن الفيض عدد من القبائل القحطانية مثل: عبيدة، وبني بشر، والحباب، وسنحان. ويوجد فيه عدد من المدارس الحكومية، وبعض المؤسسات الإدارية، وطرق مسفلته ومخططات وأحياء حديثة، وسدود، ومساجد وجوامع وبعض الآبار الجوفية التاريخية. المصدر: تجولت في أجزاء بلاد الفيض الغربية يوم الأحد (١٤٣٧/١٢/٢هـ)، والتقيت ببعض الأعيان والوجهاء والمعلمين الساكنين في بعض قرى الفيض أثناء زيارتي لمحافظة ظهران الجنوب في الفترة من (١١/٢٩ – ١٤٣٧/١٢/٢هـ).

(٢) شاهدت كثيراً من الأطعمة والأشربة وأماكن صنع الطعام في مناطق ومحافظة ومراكز جنوبي البلاد السعودية، فإذا بالأيدي العاملة في هذه المواقع أجنبية (غير سعودية)، ولم أشاهد فرداً سعودياً يقوم بمهنة الطهي، وإن وجد أحد فهو يقوم بعمل الإشراف والإدارة وأحياناً المحاسبة ومراجعة سير العمل وبخاصة في المطاعم والمطابخ الكبيرة. المصدر: مشاهدات الباحث وجولاته في بلدان تهامة والسراة منذ ثلاثين عاماً.

(٣) يوجد في كل بلدة أو حاضرة كبيرة مطاعم ومطابخ كبيرة وأحياناً صغيرة لإعداد الولائم مثل: الزواجات، وإكرام الضيوف، والأسر في السابق كانوا يعدون ولائمهم في منازلهم، وعندما وجدت مثل هذه المطابخ التجارية أصبح الجميع يجهزون ولائمهم في هذه المطاعم مقابل أجور مادية يدفعونها لأصحاب هذه المحلات التجارية. وللأسف أننا نشاهد التبذير في إعداد الولائم، وأحياناً يرمى ما تبقى من أطعمة وأشربة في أماكن القمامة، وظهر مؤخراً من شاهد هذا التبذير، فأسسوا جمعيات خيرية تقوم بجمع الأطعمة والأشربة المتبقية وتوزيعها على الفقراء والمحتاجين، وهذه ظاهرة جيدة تدخل في باب التعاون على البر والتقوى. المصدر: مشاهدات الباحث خلال السنوات الماضية المتأخرة.

وأنواعها، وفي تقديم الوجبات والولائم في المناسبات الصغيرة والكبيرة، وتبين لي أن أهل ظهران وبخاصة قبائل وادعة أقل إسرافا وتبذيرا من غيرهم في إعداد الأشربة والأطعمة على المستويين الخاص الأسري، أو العام في إعداد المناسبات والولائم الكبيرة[١]، وعندما نتجه شمالاً في المحافظة وبخاصة عند بعض العشائر القحطانية نلحظ التبذير والمبالغات ترتفع في المناسبات العامة مثل: حفلات الزواج، واستقبال الضيوف وغيرها من المناسبات الاجتماعية الأخرى[٢].

* عادات وأعراف وتقاليد أخرى :

بلاد وادعة وقحطان مليئة بالأعراف والعادات الاجتماعية القديمة والحديثة، والفاحص لبعض الوثائق والقواعد القبلية يجد أن معظم عشائر قحطان ووادعة مازالت تمتلك الكثير من هذه الوثائق[٣]. كما أن الرواة من كبار السن، وبعض المصادر والمراجع المطبوعة ذكرت شيئاً من تقاليد وأعراف هذه البلاد[٤]. ومما سمعنا واطلعنا عليه في بعض تلك المصادر، ما يلي:

---

(١) هذا ما توصلت إليه من خلال المشاهدات، ومقابلة شرائح عديدة من أفراد حاضرة ظهران، وأقول إن سكان مدينة ظهران وما حولها مازالوا محافظين على كثير من الأعراف والعادات القديمة، ثم إن تأثير المدنية السلبي مازال عندهم أقل من غيرهم في الحواضر الكبرى في منطقة عسير وغيرها. المصدر: مشاهدات الباحث في الفترة من (٢٩/١١-١٢/٢/١٤٣٧هـ).

(٢) للأسف أن بعض قبائل الجنوب السعودي ومنهم قحطان وغيرهم يمارسون الكثير من العادات والأعراف الاجتماعية التي تتصف بالمباهاة والمفاخرة وأحياناً العنصرية، ولو اخضعناها لمبادئ الشرع الصحيح فإنها لا تتوافق معه بشكل كلي. ويقول ابن جريس "إن تاريخ الألبسة والأطعمة اليوم في جنوبي البلاد السعودية يختلف تماماً عما عاشه الآباء والأجداد، وهذا أمر بديهي، لأن المال زاد في أيدي الناس، ودخل البلاد الكثير من الثقافات والأعراف الخارجية الدخيلة، وقدم إلى البلاد أيضا أجناس بشرية مختلفة، وضعفت معرفة وتطبيق التوجيهات الدينية الصحيحة في قلوب وسلوكيات الناس، ومن ثم نتج عن ذلك الإسراف والمبالغات في أطعمة الناس وألبستهم". وإيجاد دراسة مقارنة تحليلية عن أطعمة الناس وألبستهم قديماً وحديثاً في أي منطقة من مناطق المملكة العربية السعودية الجنوبية، من الموضوعات المهمة التي لم تدرس، وتستحق البحث والدراسة العلمية.

(٣) يوجد في مكتبتي، وعند بعض الأفراد والأسر في قحطان ووادعة وثائق وقواعد يعود تاريخ بعضها إلى قرن وقرنين، وفيها الكثير من البنود التي تنظم حياة سكان القرى وبعض العشائر، فتضبط طرق تعايشهم مع بعضهم البعض. وجميع هذه الوثائق غير منشورة وتحتاج إلى من يدرسها ويحللها، ومازال هناك الكثير من هذه الوثائق في أيدي أهل البلاد، وفي بعض الأراشيف العامة والخاصة داخل المملكة العربية السعودية وخارجها.

(٤) هناك بعض المصادر والمراجع التي طبعت ونشرت خلال الثمانين سنة الماضية، بعضها مدونات لبعض الجغرافيين والرحالة، ومصادر ومراجع أخرى ناقشت تاريخ القبائل في الجزيرة العربية، أو أشارت إلى تواريخ بعض الحكومات والإمارات التي ظهرت في اليمن، أو الحجاز، أو نجد خلال القرون الماضية المتأخرة، وفيها بعض الشذرات عن تاريخ بلاد تهامة والسراة، وكان لبلاد وادعة وقحطان ذكر في هذه المصادر. ونقول إن التاريخ الاجتماعي في سروات وتهامة وادعة وقحطان موضوع لم يدرس، ونأمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس هذا العنوان خلال القرون الثلاثة الماضية، فهو جديد ويستحق البحث والدراسة.

١. عادات الزواج، ومناسبات الأعياد، والمآتم يسودها التآزر والتعاون ين أفراد القرية أو العشيرة أو القبيلة، وهناك الكثير من القواعد التي يجب اتباعها من أفراد كل قرية أو عشيرة، مثل: مقدار المهور وعدم المبالغة فيها، وعدد الذاهبين مع الزوج يوم زواجه، ونوعية الهدايا والكسوة التي يدفعها الزوج لزوجته، وبنود أخرى تتعلق بعادات الأعياد، والمآتم[١].

٢. أهل هذه البلاد كرماء، شجعان، ومنهم الفرسان، ولديهم أعراف كثيرة ورثوها عن أبائهم وأجدادهم مثل: حب الترحيب بالضيف وإكرامه، وإعانة المحتاج، وحماية الجار، وإغاثة الملهوف، ونصرة المظلوم، وبر الوالدين، والإصلاح بين المتخاصمين، وإعطاء الحقوق، وأعراف أخرى عند أهل البادية أثناء التنقل والترحال، وعند أهل الحضر في قراهم ومزارعهم وتجاراتهم وكسب أرزاقهم[٢].

وفي زيارتي الأخيرة إلى هذه البلدان، خرجت ببعض الروى والانطباعات عن تاريخها الاجتماعي المعاصر، ونذكر خلاصة ذلك في البنود التالية:

١. أثر الأمن، والرخاء، والتعليم والثقافة على حياة الناس الاجتماعية فشيخ القبيلة، أو نائبها وأعيانها لم يبق لهم السطوة والهيمنة التي كانت لشيوخ القبائل قديماً، وأصبحت الدولة ومؤسساتها الإدارية هي

---

(١) اطلعت على شيء من هذه القواعد والوثائق التي تنظم سير الحياة عند بعض العشائر في أرض قحطان ووادعة. وبعض الرواة ذكروا لي أن مثل هذه الاتفاقيات القبلية قد يتم تجاهلها من بعض أفراد القبيلة أو العشيرة، فيبالغون في مصاريف الزواج، أو تقديم الولائم في بعض المناسبات الاجتماعية. المصدر: هذا ما عرفته وسمعته ورأيته أثناء تجوالي في أجزاء من بلاد وادعة وقحطان في الفترة من (١١/٢٩ – ١٤٣٧/١٢/٢هـ).

(٢) التاريخ الاجتماعي في أوطان وادعة وقحطان موضوع كبير يستحق أن يصدر عنه دراسات عديدة. والنقاط المذكورة أعلاه جزء من حياة الناس هناك في الماضي والحاضر، وكل نقطة جديرة أن يفرد لها دراسة مستقلة. وكوني أعرف وأزور أجزاء من بلاد تهامة والسراة منذ أربعين عاماً، فأقول إن بلاد قحطان ووادعة مازالت بكراً في كثير من جوانبها التاريخية والحضارية، مع أنها من أكبر مناطق الجنوب السعودي ومن أكثرها عدداً، ونأمل أن نرى من أبنائها ومن أعضاء هيئة التدريس وطلاب الدراسات في جامعة الملك خالد من يدرس أرض وسكان وتاريخ هذه الأوطان القديمة العريقة في تاريخها وأمجادها.

صاحبة الحل والعقد في البلاد مثلها مثل غيرها من بلدان المملكة العربية السعودية[١].

٢. توفر المال في أيدي الناس جعل ولاء الأفراد والأسر القبلي، أقل مما كان في الماضي، ومن ثم ضعفت رابطة التكافل والتعاون بين أفراد القرية أو العشيرة الواحدة، وتحسنت وتوسعت الحياة على أفراد المجتمع فتفرقوا في أنحاء عديدة من البلاد سعياً وراء كسب الرزق، وتطورت حياتهم في السكن، واللباس، والتعليم، والسفر والترحال وغيرها، وهذا مما خلق سلبيات عديدة لم تعرفها الأجيال السابقة[٢].

٣. تجولت في حاضرة ظهران (وادعة) وشمال المحافظة (بلاد بعض العشائر القحطانية)، فوجدت الناحية الأولى أكثر بساطة في تعاملهم اليومي مع بعضهم البعض ومع الوافد إلى بلادهم من داخل وخارج البلاد[٣]. أما الناحية الثانية في مركزي الحرجة والفيض وما جاورهما من شمال المحافظة، فمازالوا أكثر حفاظاً وقوة وقسوة في تعاملاتهم الحياتية اليومية[٤].

---

(١) بعد إنشاء المؤسسات الإدارية، صارت جميع شرائح المجتمع تعيش تحت مظلة دولة عصرية تسير شئون الناس حسب قوانين الشريعة الإسلامية التي دستورها القرآن والسنة، وتناقصت الأعراف القبلية التي كانت تسود البلاد وتحكمها. موضوع دراسة القبيلة وشيوخها والهيمنة على جميع مفاصل الحياة في الماضي من العناوين الجديرة بالبحث والدراسة، ثم مقارنتها مع أعمال المؤسسات الإدارية اليوم في خدمة الفرد والمجتمع، ونأمل أن تدرس الأقسام الأكاديمية هذا الموضوع وما شابهه.

(٢) تعيش جميع المجتمعات في البلاد السعودية حياة مختلفة تماماً عما كان عليه الآباء والأجداد. ودراسة هذه التحولات الاجتماعية والحضارية، من الموضوعات المهمة التي يجب بحثها وتوثيقها ثم مقارنتها مع حياة الناس في السابق مع توضيح السلبيات والإيجابيات لكل عصر.

(٣) هذا ما لمسته أثناء أقامتي في مدينة ظهران الجنوب لمدة أربعة ايام، ولم أكن أعرف ذلك، وكنت أعتقد أن أهل وادعة من سكان ظهران مثلهم مثل جيرانهم من الشمال في القوة والشدة وصلابة الرأي والحجة.

(٤) تظهر هذه المعاملات في كثرة الصراعات على حطام الدنيا، وفي الإصرار على التمسك بالعادات القديمة مثل: أخذ وإعطاء الحقوق القبلية والمادية والمعنوية، وفي بعض أعراف الزواج، والميراث، وإعطاء الوجه، وفي كثير من الصلات والثار والنشاطات الاجتماعية الإيجابية والسلبية. والواقع أنني تجولت في أجزاء عديدة من بلاد تهامة والسراة، أي من نجران وجازان إلى الطائف ومكة فوجدت أهل جنوب وشرق قحطان أي من بلاد الحباب وسنحان وشريف إلى ديار الأمواه والعرين وطريب وجاش وتثليث وغيرها من أكثر المناطق التي مازالت محافظة ومتمسكة بالكثير من الأعراف الاجتماعية القديمة، وبعضها جيدة في أدائها وأهدافها ومعانيها، والبعض الآخر غير جيدة في ممارستها ونتائجها وبخاصة بعد انتشار الثقافة والوعي والتعليم، واجتهاد الدولة في توطيد دعائم التنمية والتحضر في جميع أجزء البلاد. المصدر: هذا ما عرفته خلال جولات عديدة في جنوبي البلاد السعودية، وجولات قصيرة في هذه الأوطان الشرقية والجنوبية القحطانية، وأيضاً معاشرة كثير من الإخوان والأصدقاء من هذه الديار، وأثناء زيارتي

٤. لا يوجد أسواق كبيرة في محافظة ظهران، ومازال أهل هذه البلاد أقل انفتاحاً[(١)]، وهذا مما جعلهم محافظين على كثير من عاداتهم، فالنساء مثلاً لا يخرجن إلى الأسواق المحلية، ويُلبس الحجاب بشكلٍ جيد عند معظم النساء، وأطعمة وأشربة الناس تطهى في المنازل ونادرا أن يذهب أفراد الأسرة أو الأسر للشراء من المطاعم والمطابخ التجارية، وفنونهم الشعبية (للرجال والنساء) تمارس بشكل جيد في حفلاتهم ومناسباتهم الاجتماعية، واحترام الصغير للكبير، وعطف الكبير على الصغير ملحوظ وممارس بشكل كبير، وكبير الأسرة مازال هو المرجع الرئيسي لجميع أفراد الأسرة أو الأسر التي تنتسب في جد واحد[(٢)].

(*) **اللهجة :** أهل ظهران، هم وادعة وغيرهم من بلادٍ قحطان، أصحاب فصاحة منذ القدم، ذكرهم بعض الشعراء قديماً وذكروا شيئاً من أمجادهم وعلو مكانتهم في النسب والعراقة، كما أشار الهمداني في القرن الرابع الهجري (العاشر

الأخيرة إلى بعض بلادهم من (٢٩/١١- ٢/١٢/١٤٣٧هـ)، ومقابلة بعض المسئولين والمتعلمين والأعيان في محافظات ظهران الجنوب، وسراة عبيدة، وأحد رفيدة، وطريب، واطلاعي على بعض الوثائق والأوراق الحديثة المعاصرة التي تعكس كثيراً من القضايا الاجتماعية والاقتصادية الخاصة بهذه البلاد. وقد تحدثت مع بعض شيوخ ووجهاء هذه البلاد واتفقوا معي في ما ذهبت إليه، وقالوا: "إن كثير من أجهزة الدولة مازالت تعاني من هذه القسوة والحدة التي يتصف بها كثير من أهل هذه البلاد، ونأمل أن تتقلص، ويعيش جميع الناس في ظل هذه الدولة الراشدة متجاوزين النعرات والصراعات العنصرية التي لا تخدم الفرد والمجتمع على حد سواء". ومثل هذا الموضوع في هذه الديار وما شابهها جدير بالبحث والدراسة في عدد من البحوث العلمية الموثقة.

(١) عندما نقول: اقل انفتاحاً، أي مازال أهل هذه البلاد محافظون على كثير من عادات آبائهم وأجدادهم الجيدة مثل: المروة، والنخوة، والغيرة، وغيرها. مع أنه يوجد فيهم أفراداً كثيرون (نساءً ورجالاً) متعلمين تعليماً عالياً، ومنهم الذين سافروا وخالطوا مجتمعات كثيرة داخلية وخارجية، لكن ما رأيته من انفتاح في بعض محافظات ومدن أخرى في جنوبي البلاد السعودية، لم اشهده في بلدات وقرى محافظة ظهران الجنوب، وهذا في اعتقادي جانب إيجابي، لأن المدنية الحديثة جلبت لنا الكثير من السلبيات في كثير من ميادين الحياة العامة والخاصة.

(٢) أشرت في المتن أعلاه إلى كثير من المحاور الاجتماعية، التي يستحق كل عنصر منها دراسة مستقلة، ومحافظة ظهران مازالت أحسن من غيرها في كثير من التحولات التي نشاهدها في مدننا وقرانا الجنوبية السعودية، بل في جميع مدن وحواضر المملكة العربية السعودية. والمعروف تاريخياً أن المدنية كلما تزايدت وتيرتها، فإنه يصاحبها كثير من السلبيات التي تستهدف السلوك وحياة الأفراد والمجتمعات العامة والخاصة. وإذا كنا أشرنا سابقاً إلى أن بعض سكان محافظة ظهران مازالوا يعانون من بعض المشاكل مثل العنصرية والنعرات القبلية، فهذه مشكلة عند جميع سكان الجزيرة العربية، لكن الحفاظ على كثير من الإيجابيات القديمة مازالت موجودة عند سكان هذه المحافظة الظهرانية.

الميلادي) إلى استقامة ألسنتهم وفصاحتهم، فقال: ((ثم الفصاحة من العرض في وادعة، فجنب[١]، فيام، فزبيد، فبني الحارث، فما اتصل ببلد شاكر من نجران إلى أرض يام، فأرض سنحان، فأرض نهد، وبني أسامة فعنز، فخثعم، فهلال، فعامر بن ربيعة، فسراة الحجر، فدوس، فغامد، فشكر، ففهم، فثقيف، فبجيلة، فبني علي))[٢]. والذاهب اليوم في هذه الأوطان التي أشار إليها الهمداني من ظهران ونجران إلى الطائف، والمعروفة باسم (السراة) أو (السروات)، يجد لغة أهلها مازالت حتى يومنا الحاضر من أنقى اللهجات، فكلامهم عربي فصيح[٣]، حتى وإن دخل عليهم الكثير من المفردات والعبارات العامية أو الأجنبية. والفاحص للغة ولهجات سكان البلاد السعودية اليوم، يجد أن لغة أهل الحجاز خالطها الكثير من اللكنات غير العربية، بعكس أهل نجد فمازالوا أكثر فصاحة، أما أهل الجنوب السعودي، وبخاصة أهل البلاد الأصليين من الطائف حتى نجران فلغتهم واضحة صافية، وإذا دققنا في جزئيات هذه البلاد لوجدنا أهلها يلفظون الكلام من مخارجه الصحيحة، وهم أقرب إلى الفصحى من سواها، وبعض الريفيين والبدو في هذه البلاد يتكلمون مفردات وجملاً عربية كأنهم تعلموها في مدارسٍ اللغة العربية، بينما الحقيقة أنهم يتكلمون على سجيتهم فيخرج كلامهم عربياً واضحاً فصيحاً[٤].

---

(١) يطلق قديماً على سراة عبيدة، سراة جنب، أو بلاد جنب، أو مخلاف جنب، أو ديار جنب، وجنب في الأساس حلف وليسوا اسماً لشخص أو عشيرة بعينها، والمعروف عن هذا الحلف في وقتنا الحاضر أنه يتكون من ثلاث قبائل قحطانية هي: شريف، وعبيدة، وبني بشر في تهامة والسراة. لمزيد من التفصيلات انظر كتب النسب، وبعض مصادر التراث الإسلامي الأخرى.

(٢) انظر، الحسن بن أحمد الهمداني، صفة جزيرة العرب (طبعة/١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، ص٢٧٩.

(٣) المتأمل في كلام هؤلاء الأقوام يجده فصيحاً في مفرداته ومخارج حروفه، ويلحظ إدغام بعض الحروف في بعض، أو إبدال حروف بحروف أخرى، لكنها في مجملها عربية فصيحة. ولا ننظر إلى لهجات ولغات الأجناس الوافدة إلى هذه البلاد لأن الكثير منها غير عربية، وللأسف أن بعض أبناء البلاد الأصليين يتعاملون ويتحدثون مع هذه العناصر الدخيلة، وغالباً يلجأوون إلى تكسير الكلام، والخروج من محيط اللغة العربية إلى لهجات هذه العناصر المتنوعة في أدائها وحروفها وعباراتها. دراسة اللهجات العامية في أرض السروات وأصولها العربية وغير العربية من الموضوعات المهمة التي يجب بحثها ودراستها.

(٤) هذا ما عرفته أثناء تجوالي في بلدان تهامة والسراة منذ أربعين عاماً. وفي هذه البلاد يوجد عدد من الجامعات المحلية، ولا تخلو أي جامعة من قسم للغة العربية، والمسئولية كبيرة على أعضاء هيئة التدريس في هذه الأقسام الأكاديمية فالواجب عليهم دراسة لغات ولهجات هذه البلاد، وعليهم أيضاً توجيه طلابهم في برامج الدراسات العليا إلى دراسة هذا الميدان العلمي الهام.

ونجد في لهجة سكانٍ محافظة ظهران الجنوب بعض الكلمات التي يختلف نطقها من ناحيةٍ لأخرى فمثلاً يقولون للرجال (الريال) أي يقلب الجيم ياء، أو إبدال اللام ميماً مثل الرجال (امرجال)، والباب (امباب)، وقد يستبدل حرف الكاف بحرفي (التاء والسين) مثل: يبكي تنطق (يبسي)، وكلب (تسلب)، وهناك من يقلب الكاف شيناً للأنثى، فكلمة عندك تلفظ (عندش) كيف حالك (كيف حالش)[1].

وهناك مفرداتٍ في كثير من المهن وحياة الناس اليومية في محافظة ظهران، وهي أساسا من اصول عربية فصيحة، نذكر منها[2]:

(١) المداح: المكان المتصل بالبئر بالبئر، الذي يسير فيه الحيوان ويعود أثناء رفع الماء وقت ري المزرعة. (٢) الشرع: المحراث. (٣) أقديت: أي تصرفك جيد وصائب. (٤) خلك، أو أغد رجال: أي كن رجلاً في علومك وتصرفاتك. (٥) أيش آلهاك، أو إيش قومك: أي ماهو سبب تأخرك؟ أو ماذا بك؟. (٦) بدا: بمعنى (لا). (٧) بصرك، أو بكيفك: أي تصرف حسبما ترى. (٨) المحاح: الذي يعمل في مهنة البيع والشراء. (٩) الطيار: المسبت أو الحزام الذي يلبس في الوسط للرجال وعلى الصدر، وهو مصنوع من الجلد، وبه فتحات مخصصة لحفظ الرصاص. (١٠) السبيكي: السيف الصغير، أو نوع من أنواع الخناجر. (١١) الختمان: أي بعد انتهاء خطبة الرجل للمرأة ويلي ذلك وليمة بهذه المناسبة. (١٢) ما يغره شيء: كناية عن الذكاء والفطنة لمن يتصف بهذه الصفة. (١٣) تلهمت: أي تذكرت. (١٤) اندفر وراك: أي ابتعد، أو انقلع عن وجهي. (١٥) قطب: أي أمسك. (١٦) تيك: أي تلك للإشارة. (١٧) خبارةٍ: أي جحر الفئران وبعض الزواحف. (١٨) الدحل: أي مغارة أو تجويف في الأرض، وغالباً يكون قليل العمق. (١٩) كترة: نافذة صغيرة في جدار المنزل أو سطحه. (٢٠) المحجر، أو المحير: الأرض المحمية من قبل القرية أو العشيرة[3].

---

(١) ليس كل أهل محافظة ظهران يقولون هذا الكلام، ولكن هناك من يلفظها من أهل البلاد الأصليين، سمعت من يقولها وسط مدينة ظهران وفي بعض أطراف المحافظة. المصدر: مشاهدات الباحث في الفترة من (٢٩/١١-٢/١٢/١٤٣٧هـ).

(٢) ما سوف نذكره نماذج، وننادي أهل الاختصاص ونحثهم على دراسة اللغة واللهجات في محافظة ظهران الجنوب وغيرها من محافظات وبلدان تهامة والسراة الغنية بموروثها الأدبي واللغوي.

(٣) دراسة لهجات محافظة ظهران الجنوب من الموضوعات الجديدة وتستحق أن يفرد لها رسالة علمية أو كتاب علمي موثق. ونأمل أن يتولى أحد أساتذة أو طلاب قسم اللغة العربية وأدابها في جامعة الملك خالد هذا العنوان بالبحث والتأصيل.

٢- شذرات من تاريخ ظهران الاقتصادي، والتعليمي والثقافي:

أ - صور من تاريخ الاقتصاد:

تنوع تضاريس محافظة ظهران الجنوب، جعل أهلها يمارسون مهنا اقتصادية عديدة. فالبوادي رعاة يرعون مواشيهم في الجبال والأودية، ومعظم حيواناتهم الأليفة: الضان، والماعز، والإبل، والبقر[١]. شاهدت في نواحي عديدة من المحافظة رعاة وافدين من بلدان عديدة من أجل رعي بعض المواشي، وهناك ملاك صغار وكبار من أهل البلاد، فالصغار يقتنون العشرات من الأغنام وبعض الجمال والبقر، أما الكبار فلديهم قطعان كثيرة تصل إلى المئات[٢].

والزراعة هي المهنة الرئيسية الثانية التي مارسها سكان البلاد، والسائح في ظهران يرى التربة الصالحة للزراعة، والمزارع المتنوعة في محاصيلها، مثل: القمح[٣]، والذرة[٤]، والشعير، والرمان، والعنب، والخوخ، والتين، والبن، والخضروات بأنواعها. ومعظم قرى محافظة ظهران تنتشر على ضفاف الأودية مثل وادي العرين، ووادي الغيل، وأودية كتام، والحاجر، والقبضة، ويعوض، وراحة وغيرها. كما أن الزراعة تعتمد على مياه الأمطار، والآبار الجوفية[٥]، وقد أقامت

---

(١) وجد في محافظة ظهران الجنوب سابقاً الكثير من أهل البادية الذين يمارسون مهن الرعي والصيد والجمع والالتقاط، وفي العقود الثلاثة الماضية تحول كثير منهم إلى حياة المدن والحضارة، وانخرطوا في الوظائف الحكومية والتجارة وغيرها، وتركوا مهن آبائهم وأجدادهم كالرعي وغيرها.

(٢) هذا الذي رأيته أثناء سيري في مناكب حاضرة ظهران، وفي بعض المرتفعات الغربية، وقرى الطلحة، ووادي الغيل، ومركزي الفيض والحرجة. واستطيع القول إن مهنة الرعي خفت عند أهل ظهران عما كانت عليه في القرن (١٤هـ/٢٠م) وبدايات هذا القرن الهجري (١٥هـ/٢٠م)، وأهل البلاد سابقاً هم الذين يمارسون أعمال الرعي، واليوم جُلب الكثير من العمال من خارج البلاد حتى يقوموا بالأعمال الرعوية.

(٣) هناك أنواع من حبوب القمح التي تزرع في محافظة ظهران الجنوب مثل: السمراء، وحبها طويل أحمر وسميك. والهلباء، وحبها طويل ورفيع. والميساني، وحبها مربع وسميك. والبوني، وحبها أبيض سريع النمو. المصدر: هذا ما سمعه الباحث من بعض الرواة المسنين في بلاد وادعة أثناء زيارته بلاد ظهران في الفترة من (١١/٢٩ -١٤٣٧/١٢/٢هـ).

(٤) حبوب الذرة أنواع، مثل: الصيب الكبير: وهو المطو الكبير (ثمرة الخريف)، وحبته كبيرة، ويحتوي على كمية كبيرة من الحبوب. والصيب الصغير، المطو المتوسط، ويحتوي أيضاً على كمية جيدة من الحبوب، وجذع النبات قصير وسميك. والحمري، نوع من أنواع الذرة وثمرته متوسطة. هذا ما سمعه الباحث وشاهده في بلاد وادعة في الفترة من (١١/٢٩ — ١٤٣٧/١٢/٢هـ).

(٥) مازال أهالي محافظة ظهران الجنوب يمارسون الزراعة بشكل لا بأس به، مقارنة بالمناطق الأخرى في منطقة عسير مثل: أبها، وخميس مشيط، ومحائل عسير، والمجاردة، والنماص، وبلاد بلقرن، وتنومة، وغيرها. فالزراعة تدهورت فيها، وتحولت كثير من الأراضي الزراعية في هذه البلدان إلى مخططات سكنية، أو هُجرت، ولم تخدم من قبل أهلها. ونقول إن الزراعة في عموم الجنوب السعودي تراجعت عما كانت عليه في القرن (١٤هـ/٢٠م). وفي حوزة الباحث بعض الوثائق غير المنشورة الخاصة بالحياة الاقتصادية في بلاد وادعة وقحطان، وهناك عدد من هذه الوثائق خاصة بالزراعة في هذه البلاد.

الدولة عدداً من السدود في أنحاء المحافظة، وأنشأت بعض الإدارات الحكومية لخدمة الحياة الزراعية مثل: فرع الزراعة والمياه، وفرع البنك الزراعي[١].

مارس سكان ظهران الكثير من المهن والصناعات التقليدية، مثل: صانعي العود[٢]، والسير[٣]، والحداد (الحواشي)، والحايك[٤]، والصايغ، والدباغ، وصانع الحجارة والفخار[٥]. وهذه الحرف وغيرها كانت موجودة في كل مجتمع حضري، ويمارس بعضها في البوادي[٦]. وقد حاولت أن أشاهد بعض الصناعات القديمة عند السكان أو في بعض المتاحف الشعبية، في المحافظة، لكني لم استطع، ولم أجد من يتعاون معي في هذا الجانب، اللهم إلاّ بعض الرواة الذين ذكروا لي شذرات يسيرة في هذا الباب[٧].

اليوم تحولت حياة الناس من الصناعات والحرف التقليدية إلى صناعات وتقنيات حديثة، وتواجد الكثير من الحدادين، والصائغين، والخياطين، والنساجين، والحلاقين، والغسالين، والخبازين، والبنائين، والدهانين، والمهندسين، والمكانيكيين، والكهربائيين، والسمكريين، والتقنيين المحترفين في إصلاح الأجهزة

---

(١) تسعى الدولة منذ ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى اليوم إلى تشجيع السكان في شتى المجالات، والزراعة حظيت برعاية كبيرة، فأخذ المزارعون القروض الميسرة، واستبدلت وسائل الزراعة التقليدية بالوسائل الحديثة مثل: الحراثات والالآت المختلفة التي تصب في خدمة الأنشطة الزراعية. وأقول أن تاريخ الزراعة في منطقة عسير أو أي منطقة من مناطق الجنوب السعودي خلال القرنين (١٤-١٥هـ/٢٠-٢١م) من الموضوعات التي لم تدرس بطريقة علمية تحليلية، ويستحق هذا العنوان أن يدرس في رسائل وبحوث عديدة.

(٢) صانع العود: هو النجار الذي يقوم بصناعة الأعمال الخشبية.

(٣) صانع السير: هو الخراز الذي يتعامل مع صناعة الجلود.

(٤) الحايك: هو الخياط، الذي يقوم بجز أصواف البهايم وصناعة اللحف والبسط وغيرها.

(٥) كانت أغلب الأسر قديماً تقوم على خدمة أفرادها، فالنساء والرجال يعملون في خياطة ملابسهم وصياغتها، ودباغة جلود أغنامهم وخرازتها. وهناك بعض المهنيين المعروفين الذين يعملون بأجور بسيطة في بعض الحرف ثم: الحداد (الحواشي)، والصايغ، والنجار وغيرهم.

(٦) توجد معظم الصناعات اليدوية عند أهل المدن والحواضر، والبدو يمارسون ما يخدمهم في شئون حياتهم، مثل: الرعي، وصناعة الصوف وخياطة الألبسة، وربما قاموا بدباغة جلود أغنامهم كما يفعل أهل الحضر.

(٧) لم تعد الصناعات القديمة موجودة بشكل كبير، كما لا يوجد على أرض المحافظة متحف شعبي يحفظ موروث الأباء والأجداد من تلك الصناعات والحرف التقليدية، ونأمل أن ينشأ هناك مثل هذا المشروع الذي يربط الأجيال الحاضرة بالسابقة حتى يعرف الأبناء كيف عاش الأباء والأجداد، وما عانوه من صراع وكفاح لأجل العيش والبقاء.

الدقيقة، والحواسيب، والآلات المعقدة، وغيرها. وليس هناك وجه مقارنة بين تاريخ الصناعة والحرف قديماً وحديثاً، ففي الماضي معظم الحرفيين من أهل البلاد[١]، واليوم أصبح جميع الصناع والمهنيين في أنحاء المحافظة من العمال الوافدين من بلدان عديدة في العالم[٢]. وفي المدينة الصناعية الواقعة في شمال المحافظة، وبعض القرى والمراكز الكبرى مثل: الحرجة، والفيض وغيرها عشرات الدكاكين والمؤسسات التجارية التي تمارس عشرات المهن والحرف الحديثة[٣].

موقع محافظة ظهران متوسط بين عدد من بلدان جنوبي البلاد السعودية، ويتصل عبر طرق برية بنواحي عديدة في مناطق عسير، وجازان، ونجران، والدواسر[٤]. وكان في القرون الماضية المتأخرة حلقة وصل تجارية هامة بين أجزاء اليمن الشمالية وبلدان عديدة في الأراضي السعودية[٥]. ويوجد في أرض ظهران عدد من الأسواق الأسبوعية المشهورة مثل: (١) سوق ظهران، ويعقد يوم الخميس، ويعد من أشهر الأسواق في جنوبي البلاد السعودية لكثرة مرتاديه، وتنوع السلع التي تباع فيه[٦]. وهذا السوق وسط مدينة ظهران، وتقوم البلدية الآن بعمارته

---

(١) الحرفيون قديماً من أهل البلاد، وسكان المنطقة أنفسهم لا يحبذون العمل في الصناعات والحرف التقليدية، ومن يعمل فيها ينظر إليه بدونية، فلا يزوج أو يتزوج إلا من أسر حرفية تمارس نفس مهنته. وهذه النظرة موجودة عند العرب من قبل الإسلام، واستمرت عبر عصور التاريخ الإسلامي حتى وقتنا الحاضر. للمزيد انظر، غيثان بن جريس، عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص١٦٠-١٦٢.

(٢) زرت مدينة ظهران الصناعية، وتجولت في بعض الدكاكين التجارية الواقعة على جانبي الطريق الدولي الذي يمر من وسط مدينة ظهران فرأيت عشرات الصناع والمهنيين الذين جاءوا من اليمن، وبلدان شرق وجنوب شرق آسيا، وبعض البلدان العربية الأخرى للعمل في عشرات الحرف والصناعات المختلفة، ونادراً أن ترى فرداً سعودياً يعمل في هذه المهن، ومؤخراً بدأ بعض الشباب السعودي يعمل في إصلاح وصيانة بعض الأجهزة والآلات الدقيقة مثل: الحواسيب والجوالات وغيرها.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) يسير في هذه الطرق الكثير من التجار والمسافرين، وتنقل من خلالها الكثير من السلع والتجارات المحلية أو المستوردة من بلاد اليمن أو بعض الموانئ على ساحل البحر الأحمر مثل عدن وجازان وغيرها. المصدر: هذا ما سمعته من بعض التجار في منطقة عسير، وجازان ونجران، الذين كانوا يمارسون بعض التجارات على الحمير والجمال خلال خمسينيات وستينيات القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٥) أشارت الكثير من الوثائق غير المنشورة وبعض المصادر العربية إلى الحركة التجارية بين اليمن وبلاد تهامة والسراة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، وكيف كانت بلاد ظهران مركزاً تجارياً هاماً، فتصدر إلى أسواقها الكثير من السلع، ويرتادها الكثير من التجار الذين جاءوا إليها من أنحاء عديدة في الجزيرة العربية.

(٦) للمزيد من التفصيلات عن هذا السوق انظر ما قال فلبي عنه أثناء زيارته لظهران الجنوب في خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، كما يوجد مئات الوثائق التي ذكرت شيئاً عن هذا السوق، وعن السلع التي كانت تصدر منه أو إليه خلال القرن الهجري الماضي. وأقول إن تاريخ هذا السوق خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) من الموضوعات التي تستحق أن تكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية موثقة.

ليكون السوق الشعبي الدائم في المدينة[١]. (٢) سوق الحرجة القديم، يوم الاثنين، لكنه اندثر، وانتقل مكانه إلى وسط بلدة الحرجة أمام الجامع الكبير، وتغير موعد انعقاده إلى يوم الجمعة، وهو من الأسواق القائمة حالياً[٢]. (٣) سوق الطلحة يوم الأربعاء، وسوق الأحد في قرية السلاطين ببلاد سنحان القحطانية، وهذان السوقان اندثرا، ولم يبق لهما أي نشاط[٣]. ولا تخلو المحافظة من أسواق أسبوعية قديمة لكنها اندثرت، وحل محلها الأسواق التجارية اليومية الموجودة في كل ناحية من حاضرة ظهران، وفي المراكز والقرى الأخرى في عموم المنطقة. والذاهب في الشارع العام في مدينة ظهران من مركز القرارة شمالاً إلى موقع المستشفى الجديد جنوباً يشاهد مئات الأسواق الدائمة المتنوعة في مساحتها وأنواعها، وموديلاتها، ومعروضاتها، ثم إن العاملين في جميع الأعمال التجارية في عموم المحافظة من العمالة الوافدة من دول عربية وغير عربية. وأرض ظهران مازالت تعاني من عدم وجود الأسواق الكبيرة (المولات) وغيرها ولهذا يضطر أهلها إلى السفر لمدن كبيرة مثل أبها وخميس مشيط والرياض وجدة لشراء ما يحتاجونه في حياتهم العامة والخاصة، مع أن السلع الضرورية تتواجد في أسواقهم المحلية[٤].

وأسعار البن والقشر والزبيب وسلع أخرى تصدر من اليمن رخيصة في محافظة ظهران مقارنة بأسعارها في خميس مشيط أو بيشة أو أبها أو مناطق أخرى من منطقة عسير، والسبب لقربها من اليمن عبر منفذ علب[٥]. والأسعار عموماً في

---

(١) عند زيارة ظهران في (٢٩/١١-٢/١٢/١٤٣٧هـ)، شاهدت عمارة السوق الحديثة في طور البناء والتشييد، وأخبرني المقاول لعمارة السوق أنه سوف يكون جاهزاً للعمل في نهاية النصف الأول من عام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م).

(٢) ونقول إن بلاد الحرجة ذات تاريخ علمي واقتصادي وحضاري جيد، وتحتاج من يدرسها دراسة علمية موثقة خلال القرون الإسلامية الوسيطة والحديثة. ونأمل أن نرى أحد طلابنا الجادين فيتخذ من هذه البلدة موضوعاً لأطروحته العلمية. المصدر: مشاهدات الباحث يوم الأحد (٢/١٢/١٤٣٧هـ).

(٣) تاريخ الاقتصاد أو التجارة في بلاد ظهران الجنوب من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس، ونأمل أن يدرس هذا الموضوع خلال القرنين الهجريين الماضيين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م).

(٤) فعلاً بلاد ظهران مازالت تحتاج إلى أسواق كبيرة مثل الأسواق الكبرى التي نراها في مدينتي أبها وخميس مشيط وبعض محافظة عسير الأخرى. وفي اعتقادي أن محافظة ظهران تجارياً تأتي في مستوى ضعيف لو قارناها ببعض المحافظات الأخرى في المنطقة الجنوبية. المصدر: مشاهدات الباحث في نواحي عديدة من منطقة عسير وما جاورها خلال السبع سنوات.

(٥) هذا ما وجدته في أسواق ظهران، فالكيلو، من القشر، أو الزبيب، أو البن يتراوح سعره من عشرة ريالات إلى أربعين ريالاً في محافظة ظهران، مع أنه يزيد من خمسة ريالات إلى خمسة عشر ريالاً للكيلو الواحد في أبها وخميس مشيط وبلاد الباحة وغيرها. المصدر: مشاهدات الباحث وجولاته في مناطق سعودية جنوبية عديدة خلال الخمس سنوات الأخيرة.

ظهران مناسبة مثل: شراء العقارات أو إيجارها، وشراء المواشي (الضان، والماعز، والإبل، والبقر)، والمواد الغذائية المحلية كحبوب الحنطة والذرة والشعير، أما المواد الغذائية المستوردة، أو الأطعمة في المطاعم أو الألبسة وأدوات الزينة والأقمشة ومواد البناء وغيرها من السلع في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية فأسعارها تكاد تكون قريبة من الأسعار في محافظات خميس مشيط، وبلاد بلقرن، ومحايل عسير وغيرها من البلدان السعودية الجنوبية[١].

ب- لمحة عن التعليم والثقافة:

إذا درسنا جغرافية ظهران الجنوب وجدناها قريبة من بلاد نجران التي يتواجد فيها المذهب الإسماعيلي، ومن صعدة التي يستوطنها المذهب الزيدي، ومن بلدان أخرى عديدة في منطقة عسير التي عرفت المذهب السني الشافعي ثم الحنبلي[٢]، وأثناء زيارتي لمحافظة ظهران بحثت وسألت عن تأثير هذه المعتقدات على أهل ظهران الجنوب، فذكر لي بعض الرواة المسنين قائلين ((إن هناك تعاملاً اقتصادياً وسياسياً وأحياناً عسكرياً مع هذه البلدان منذ القرون الإسلامية المبكرة، لكن لا يوجد تأثير علمي أو فكري أو ثقافي ملحوظ على أهلنا وبلادنا، وربما كان في أزمنة غابرة محاولات لنشر المذهب الزيدي أو الإسماعيلي في بلدان السراة مثل: ظهران، وقحطان، وشهران، وغيرها، لكن هذه المحاولات لم تنجح ولم تحقق أي تقدم، وهذا نحن اليوم نعيش ونمارس عقائدنا وثقافتنا على مذهب أهل السنة والجماعة))[٣]. وعندما سمعت أقوال هؤلاء الرواة، تأكد لي صحة أقوالهم لأسباب أذكرها في النقاط التالية:

---

(١) ذكرنا في هذا المجلد ومجلدات عديدة أخرى من سلسلة كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب، نماذج من الأسعار الحديثة في بلدان ومدن عديدة من مناطق عسير، والباحة، ونجران، وجازان، وجميعها متقاربة، وغالبا تكون أغلى في الأسواق الصغيرة من المتاجر الكبيرة التي تبيع بالجملة. ونقول إن تاريخ الأسعار في القرن (١٥هـ/٢٠-٢١م) ومقارنتها بالأسعار في القرن (١٤هـ/٢٠م) في أي منطقة من مناطق الجنوب السعودي من ا لموضوعات الجديدة التي لم تدرس إطلاقا، ونأمل أن نرى من الباحثين الجادين من يدرسها دراسة علمية موثقة.

(٢) إن المذهب الزيدي جاء إلى صعدة منذ القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، والمذهب الإسماعيلي تسلل من اليمن إلى قبائل يام في نجران منذ القرن العاشر والحادي عشر الهجريين، ثم انتشر بشكل كبير منذ القرن الثاني عشر الهجري، أما عموم بلاد تهامة والسراة من ظهران وقحطان إلى زهران فأهلها على المذهب السني منذ ظهور الإسلام حتى يومنا الحاضر. ونقول أن تاريخ عقائد أهل السراة وتهامة، وأهل نجران، وأهل صعدة منذ القرن (٣-١٥هـ/٩-٢١م) من الموضوعات المهمة والجديرة بالبحث في دراسات وبحوث عديدة.

(٣) هذه الأقوال من حوالي ثمانية رواة بعضهم في الثمانين من أعمارهم من حاضرة ظهران الجنوب، ومن بعض قراها الجنوبية، الذين التقيت بهم في الأيام التي قضيتها في محافظة ظهران الجنوب من (١١/٢٩ – ١٤٣٧/١٢/٢هـ).

١. قضيت أكثر من أربعين عاماً أدرس التاريخ وبخاصة جنوب شبه الجزيرة العربية، ودونت بحوثاً وكتباً عديدة عن تاريخ تهامة والسراة، وعن نجران، وصلات اليمن ببلاد السراة والحجاز منذ عصور ما قبل الإسلام إلى وقتنا الحاضر، واتضح لي أنه ظهر حكومات ومعتقدات عديدة في اليمن، وبعضها بذلت جهود قصوى لنشر أفكارها وهيمنتها السياسة والثقافية على بعض البلدان التهامية والسروية، ومنهم من حاول مد نفوذه على أرض الحجاز، لكنهم، وإن نجح بعضهم مؤقتاً، لم يستطيعوا تحقيق أهدافهم ورجعوا إلى أوطانهم الأصلية مهزومين مدحورين(١).

٢. يجد الذاهب اليوم في أرجاء محافظة ظهران الجنوب، بأن أهلها سنيون على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ونرى ذلك ملحوظاً في مدارسهم، ومعاهدهم، وكلياتهم الجامعية، وفي مساجدهم وجوامعهم، وفي جميع مؤسساتهم الإدارية والدعوية الرسمية والأهلية. وهم جميعاً (ذكوراً وإناثاً) (رجالاً ونساءاً) يمارسون حياتهم الدينية والثقافية والفكرية والتعليمية في إطار الشريعة الإسلامية التي هي دستور المملكة العربية السعودية(٢).

٣. في الأيام التي قضيتها في محافظة ظهران سألت عن مراكز التعليم والثقافة وعلمت أنه يوجد في هذه المنطقة حوالي (٢٠٠) مدرسة للتعليم العام (بنات وأولاد)، وكليتان (علوم وآداب) (أولاد وبنات)، وكل كلية

---

(١) حكمت الدولة الزيدية اليمن قروناً طويلة، وظهرت الدولة الصليحية في القرون الوسطى، وانتشرت العقيدة الإسماعيلية في اليمن منذ القرون الإسلامية المبكرة، ومدت نفوذها إلى نجران في العصر الحديث، وجميعهم سعوا إلى نشر معتقداتهم ونفوذهم السياسي على أرض السروات ابتداءً من ظهران وقحطان جنوباً، لكنهم لم يحققوا نجاحات فعلية، حتى وإن استخدموا القوة أحياناً، وإنما فشلت مخططاتهم وعادوا إلى مواطنهم الرئيسية في اليمن. وللمزيد هناك عشرات الكتب والبحوث المطبوعة والمنشورة التي تحدثت عن تاريخ هذه العقائد والقوى السياسية، وما بذلت من جهود لنشر نفوذها على السروات وبلاد جازان والحجاز وغيرها من بلدان تهامة عسير.

(٢) بلاد ظهران الجنوبية الحدودية مثلها مثل أي محافظة أخرى في منطقة عسير، أو أي منطقة من مناطق الجنوب السعودي من حيث مناهج التعليم والفكر والثقافة، وأهلها يتمتعون بحياة هادئة مستقرة في عقائدهم وأحوالهم العامة والخاصة. بل إن كثير من المؤسسات الإدارية الحكومية الموجودة في ظهران تخدم محافظة سراة عبيدة ومناطق أخرى عديدة في بلاد قحطان الواقعة إلى الشمال من بلاد ظهران.

يوجد فيها حوالي خمسة تخصصات علمية ونظرية، وكلية تقنية، ومعهد ثانوي صناعي، ومكتبة عامة، ومركز للدعوة وتوعية الجاليات، ولجنة ثقافية تابعة لنادي أبها الأدبي، ولجنة للتنمية الاجتماعية، ومن أهل المنطقة بعض الأساتذة الجامعيين في علوم طبية وعلمية ونظرية وإنسانية. كما زرت بعض الجوامع ووجدت فيها مكتبات مصغره تشتمل على بعض المصادر والمراجع في القرآن وعلومه، وفي السنة النبوية، وفي العقيدة، والفقه الإسلامي. ولا تخلو المحافظة من مكتبات تجارية يباع بعض الكتب والمراجع الدينية والثقافية والعلمية، وبعض الجرائد والمجلات السعودية والعربية والأجنبية(١).

٣- كيف رأيت ظهران في شهري ذي القعدة وذي الحجة (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م)؟

رأيت ظهران آمنة مطمئنة، يعيش أهلها في رغد من العيش، مع أن الحرب بين السعودية والحوثيين قائمة من منتصف عام (١٤٣٦هـ/٢٠١٥م)، وأثناء تجوالي في المحافظة ومقابلتي شرائح عديدة في المجتمع اتضح لي عدد من الأمور، نذكر أهمها في النقاط التالية:

أ - **تذمر الناس اقتصادياً وتجارياً**، فالعاملون في الأسواق وبعض الحرف والمهن التجارية والاقتصادية يقولون أن الحرب القائمة على الحدود اليمنية السعودية أثرت في النشاطات الاقتصادية، بل أن كثير من المحلات أقفلت، أو تحولت إلى شمال المحافظة أو مناطق أخرى في جنوبي البلاد السعودية. وكثير من السكان الوافدين إلى المحافظة للعمل أو التجارة وغيرها فضلوا السكن خارج حاضرة ظهران، وبعض الظهرانيين أنفسهم نزحوا إلى خميس مشيط وسراة عبيدة وأبها وبيشة وغيرها، وهذا مما أثر على حركة البيع والشراء في المحافظة، وعلى مناشط اقتصادية أخرى عديدة(٢).

---

(١) تحظى منطقة ظهران الجنوب برعاية جيدة من الدولة ثقافياً وتعليماً وإدارياً وعسكرياً واقتصادياً، لكنها مازالت بحاجة إلى بعض الخدمات الضرورية مثل: قطاعات عسكرية كبيرة، ومؤسسات تعليمية عالية مثل الكليات العلمية، والطبية، والهندسية، والتقنية. وتحتاج أيضاً إلى مراكز ثقافية فاعلة، ومتاحف أثرية وتاريخية وجغرافية.

(٢) المصدر: هذا ما سمعته وشاهدته أثناء تجوالي في أسواق وأرياف وقرى حاضرة ظهران في الفترة من (٢٩/١١-٢/١٢/١٤٣٧هـ).

ب - بسبب الحرب القائمة، والخوف على أرواح الناس، أُتخذت بعض القرارات بشأن مدينة ظهران وما حولها، حيث أقفلت جميع مدارس التعليم العام في الحاضرة، ونقلوا طلابها إلى شمال المحافظة، وأنشئ ما يسمى بـ (التؤامة) أي أصبحت الدراسة محصورة فقط في يومين أو ثلاثة. وأصبحت صلاة الجمعة لا تقام إطلاقاً في جوامع المدينة، وتقام في القرى والمساجد الأخرى المتفرقة خارج حاضرة ظهران. وتحولت جميع عيادات مستشفى ظهران الجنوب إلى الجهة الشمالية من المحافظة، وأصبح المستشفى نفسه لا يستقبل إلاّ الجرحى والحالات الخطيرة نتيجة الحرب أو القصف الذي يأتي من داخل الحدود اليمنية إلى الأسواق والمنازل في حاضرة ظهران وما حولها[١].

ج - لا تبعد مدينة ظهران الجنوب عن الحدود اليمنية إلا كيلوات محدودة، وهذا مما جعل نسبة الخوف ترتفع عند كثير من السكان، حتى أن بعضهم يقولون نحن لا نرى أي قوات أمن وطواري في المحافظة، وظهران بلاد حدودية يجبٍ أن تكون محصنة بالعساكر والقوى الأمنية، وهذه الأقوال كانت مقنعة لي شخصيا، وعندما قابلت بعض المسئولين في المحافظة، وأبديت لهم ما لاحظت وسمعت، كان ردهم، نحن لا نسعى إلى نشر الرعب والخوف بين الناس، ونحن محتاطون لكل شيء، ثم إن الحدود اليمنية السعودية في محافظة ظهران مزروعة بالقوات العسكرية، وإجاباتهم فعلاً مقبولة، وهذا مما جعل الزائر أو السائح في المحافظة لا يشعر بأي مشكلة على الإطلاق، مع أن الحرب قائمة على الحدود وهي قريبة جداً من وسط مدينة ظهران[٢].

٤- السياحة والآثار:

الأربعة أيام التي قضيتها في محافظة ظهران الجنوب جعلتني أخرج بالعديد من الروئ والانطباعات في ميداني السياحة والآثار، ونذكر أهمها في النقاط التالية:

---

(١) أثناء تجوالي في مدينة ظهران وبعض القرى المحيطة بالحاضرة شاهدت آثار القذائف المرسلة من اليمن واضحة للعيان في جدر الجوامع والمساجد وبعض الشقق المفروشة والعمائر الكبيرة، وأحياناً في بعض المناطق الخالية من السكان، وهذا مما سبب الخوف والهلع عند كثير من السكان وبخاصة الذين نزحوا من الأجزاء الجنوبية للمحافظة، أو من الوافدين الذين كانوا يقطنون مدينة ظهران، ثم تركوها واستوطنوا في سراة عبيدة أو خميس مشيط أو أبها وغيرها.

(٢) دراسة وضع ظهران الإداري والأمني منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر، من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس دراسة علمية موثقه، ونأمل أن نرى أحداً من طلابنا في برنامج الدراسات العليا في جامعة الملك خالد فيدرس هذا العنوان دراسة علمية تحليلية.

أ- بلاد ظهران ذات تاريخ عريق وقديم، ويتضح ذلك في عشرات القرى التراثية المتناثرة على الأودية، وفي جبال وأرياف المحافظة، والقصور والحصون الموجودة داخل القرى، وقريباً من المزارع، وفي رؤوس الهضاب والجبال[١]. وجبالها ووهادها وكثير من أرضها مليئة بالنقوش والرسومات الصخرية، والطرق التجارية القديمة ومن أهمها الطريق التاريخي القديم الذي سلكه أسعد أبوكرب تبع ملك اليمن، وسلكه أيضاً أبرهة الحبشي الذي خرج قبل الإسلام في حشد عسكري من اليمن إلى الحجاز بهدف هدم الكعبة[٢].

ب – الأماكن السياحية الطبيعية في ظهران الجنوب كثيرة، وأجملها الأودية الخضراء التي يوجد على ضفافها الكثير من القرى والمستوطنات التاريخية القديمة، وجبالها المتفاوتة في الصغر والكبر، ومن أهمها: جبل شثاث ذا اللون الغامق، وهو أطول جبال ظهران في بلاد وادعه، وإلى جنوبه مدينة ظهران، ومن على قمته ترى مناطق شاسعة في محافظة ظهران الجنوب ومناطق أخرى عديدة من حولها[٣].

ج - لا تخلو محافظة ظهران من حدائق داخل المدن والقرى الكبيرة، والبلدية هي من قامت على إصلاحها والعناية بها[٤]، وهناك بعض المتنزهات

---

(١) تاريخ القرى والقصور والحصون القديمة في محافظة ظهران الجنوب من الموضوعات التي لم تدرس إطلاقاً، والجميل أن كثير من هذه الحصون والقرى مازال ماثلاً للعيان، مع أنه بدأ الخراب والدمار يصيب الكثير منها، ونأمل أن ترعى هذه الآثار المعمارية وترمم ويحافظ عليها وهذه مسئولية أهل البلاد، والإدارات ذات الاختصاص في الدولة. ونرجوا أن تدرس وتوثق قبل أن تضيع، كما ضاع غيرها من القرى والآثار في مناطق عديدة من جنوبي البلاد السعودية. ومما شاهدت أيضاً بعض المنازل القديمة في مدينة ظهران وبخاصة غرف ومجالس البيت من الداخل، فتراها مثل المنازل والبيوت العسيرية القديمة، حيث ترى فيها النقوش والفنون المحلية الجميلة، والنساء الأوائل من يقمن بهذه الأشكال والخطوط والرسومات، وجميع موادها محلية من الطبيعة. ومن خلال أسفاري وجولاتي في بلدان تهامة والسراة خلال الأربعين سنة الماضية. وجدت كثيراً من الفنون المعمارية القديمة اندثرت، ولا نجد أي بحوث أو دراسات علمية حفظت هذه الجوانب العلمية والثقافية والمعرفية، وبالتالي ضاعت وسوف يضيع ما بقي من هذا الموروث الحضاري الأصيل.

(٢) دراسة آثار ظهران، ونقوشها، ورسوماتها الصخرية، وطرقها وأسواقها القديمة من الموضوعات المهمة والجديدة في أبوابها، ونأمل أن نرى باحثين جادين يدرسون هذه العناوين القيمة والجديرة بالدراسة والبحث والتوثيق.

(٣) حاولت مع بعض الأصدقاء أن نصعد إلى قمة جبل شثاث، لكن ذلك لم يحصل لظروف أمنية، نتيجة للحرب القائمة على الحدود السعودية اليمنية وبخاصة في منطقة علب الحدودية.

(٤) من تلك الحدائق ما يوجد في الرحيبين الغربي والشرقي، وحدائق: السليل، والبلدية، والهضبة، وجربوع وغيرها في حاضرة ظهران. وهناك حدائق أخرى عديدة في مراكز الحرجة، والفيض وغيرهما. المصدر: هذا ما شاهدته وسمعته أثناء زيارتي لمحافظة ظهران في الفترة من (٢٩/١١-٢/١٢/١٤٣٧هـ).

الجميلة مثل: منتزه وادي الحاجر جنوب غرب مدينة ظهرانٍ، ومنتزه العشة، ويبعد حوالي (٢٠كم) من مدينة ظهران تجاه الجنوب، وأيضاً منتزه بردان في الناحية الجنوبية، ويبعد من وسط المدينة حوالي (٤٠كم)، ومتنزهات القو، ووادي القحيف، وأم الذبان، والأفياض وجوعان، وشعب آل عاطف، وبراق، وجميعها في شمال المحافظة، وأيضاً العاقة، والحاجب الأحمر، والثويله جنوب المحافظة، ومتنزهٍ قاويه في الشرق، ويبعد عن المدينة حوالي (١٠كم)[١].

سادسا: نتائج وتوصيات:

بلاد ظهران الجنوب مهمة لجودة موقعها الجغرافي في بلاد السروات، ثم استيطانها منذ القدم، واتصالها ببلدان عريقة مثل: نجران، وأجزاء من أرض اليمن، وبعض السروات الشمالية[٢]. وأيضاً ثراء مواردها الطبيعية من المياه، والمعادن، وتنوع التضاريس، والنباتات، والحيوانات وغيرها، كل هذا جعلها أرضاً ذات تاريخ قديم، وإسلامي (مبكر، ووسيط، وحديث، ومعاصر)[٣].

وفي هذا القسم قصرنا حديثنا على صفحات من تاريخ هذه المحافظة خلال القرنين (١٤-١٥هـ/ ٢٠-٢١م)، وسعينا إلى استخدام الوثيقة، والمصدر، والخطاب

---

(١) نعم لا تخلو محافظة ظهران الجنوب من متنزهات أشرفت عليها البلدية والجهات الحكومية، لكن المعالم السياحية الطبيعية هي الأكثر انتشاراً في عموم المحافظة، ومازالت الهيئة العليا للسياحة، والمحافظة، والبلدية مقصرة في استصلاح كثير من المواقع الجميلة في المنطقة، ونأمل أن نرى في المستقبل القريب اهتماماً أكبر بهذه المحافظة مع مراعاة خصوصيتها في تراثها العمراني، ومدرجاتها الجبلية، وأوديتها الخضراء الجميلة، وأسواقها وطرقها التجارية التاريخية، وتراثها وموروثها الاجتماعي والاقتصادي الأصيل. وأقول إنما ذكرت من إشارات عن السياحة والآثار في محافظة ظهران الجنوب ليس إلاّ نماذج قليلة، مع أن المنطقة مليئة بالقرى، والمساجد، والنقوش والآثار التي تحتاج إلى أن تدرس في مجلدات، ونأمل أن نرى من أساتذة السياحة والآثار في المملكة العربية من يدرس هذه المحافظة ويطلعنا على صور من تاريخها القديم والحديث والمعاصر، ويوضح لنا أهمية أرضها سياحياً وأثرياً.

(٢) من يبحث عن هذه البلاد (أرضاً وسكاناً) في كثير من مصادر التراث الإسلامي فإنه يجد لها ذكراً مثل: موقعها، وسكانها قبل الإسلام وبعده، وشيئاً من أحداثها التاريخية والحضارية، وبعض أعلامها في عصور ما قبل الإسلام، وعبر عصور التاريخ الإسلامي. ونأمل أن نرى من أبنائها، أو من الباحثين الجادين في الجزيرة العربية من يدرس أرض وسكان هذه الأوطان دراسة علمية تاريخية حضارية موثقة.

(٣) هذه الحقيقة ملموسة في طبيعة الأرض وتنوعها، وفي آثارها ونقوشها، وقراها، وحصونها، وطرقها، وأسواقها التراثية القديمة، وفي أنواع نباتاتها، ولهجات أهلها وأهازيجهم، وأحاجيهم، وأشعارهم، وحكمهم، وموروثهم اللغوي. المصدر: هذا ما استخلصته من زيارتي لهذه المنطقة وتنقلي في بعض قراها القديمة، وجبالها، وأوديتها، وسماعي لأقوال ولهجات أهلها.

الرسمي، والمشاهدات لإتمام هذا الباب، ولا ندعي أننا فصلنا الحديث في تاريخ وحضارة هذه البلاد خلال الفترة المحددة أعلاه، لكنا أشرنا إلى شيء من ذلك، ونأمل أن يساهم هذا البحث في الإجابة على بعض النقاط المجهولة، وأن يستحث الهمم عند الباحثين والمؤرخين المجتهدين فيصححوا ما أخطأنا فيه، ويفسروا ويشرحوا مالم نستطع عمله، ويدرسوا تاريخ وحضارة هذه الأوطان العربية العريقة منذ عصور ما قبل الإسلام حتى وقتنا الحاضر، وهناك موضوعات وعناوين كثيرة جديدة تستحق البحث والدراسة في كتب وبحوث ورسائل علمية مختلفة، ومن تلك العناوين، ما يلي:

١. دراسة أنساب وتاريخ الأقوام الذين عاشوا في هذه المحافظة في عصور ما قبل الإسلام. والبحث في طبيعة الأرض والإنسان وكيف كانت حياتهم السياسية والحضارية قبيل ظهور الإسلام.

٢. قبائل وادعة من همدان، وقبائل سنحان، والحباب، وشريف التي تستوطن اليوم شمال المحافظة سكنوا هذه البلاد من قبل الإسلام، وتستحق كل قبيلة من هذه القبائل دراسة تاريخية تحليلية تبين أنسابها ومتى استوطنوا هذه الأوطان؟ وكيف كانت الصلات فيما بينهم وغيرهم من سكان نجران والسروات وبلاد اليمن؟.

٣. وضع أرض وسكان المحافظة أثناء ظهور الإسلام في الحجاز، كيف سمعوا بالإسلام؟، وكيف دخلوا فيه؟، وما هي جهودهم في نصرة الإسلام داخل الجزيرة العربية وخارجها؟.

٤. تاريخ هذه السروات (ظهران الجنوب) وغيرها من البلدان الممتدة من نجران إلى الطائف شبه غامض منذ القرن الثاني للهجرة إلى القرن العاشر (ق ٢-١٠هـ/ق ٨-١٦م)، وهذه الحقبة الطويلة تستحق البحث والدراسة، والدراسات الأثرية من المصادر المهمة لكشف بعض الحقائق عن حياة الناس في هذه الأوطان، والمصادر الإسلامية التقليدية لا تخلو من بعض الشذرات عن تاريخ وحضارة المنطقة، وهي ميدان جيد لمن يستطيع أخراج أي دراسة عنها في تلك القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة.

٥. جرى على أرض ظهران خلال القرون الحديثة والمعاصرة (ق١٠-١٥هـ/ ق١٦- ٢١م) الكثير من الأحداث السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية والفكرية والتعليمية، والحضارية، والتنموية، وكل عنصر من هذه الجوانب يحتاج إلى عشرات البحوث والدراسات، ومصادر ومراجع هذه الحقبة أفضل من العصور التي سبقتها فهي توجد في أماكن مختلفة، ومتنوعة في مادتها وطرق الحصول عليها مثل: المخطوطات والوثائق والمصادر المنشورة وغير المنشورة، والصور الفوتوغرافية، والروايات الشفهية، والمعالم والآثار المادية وغيرها. ودراسة مثل هذه الأبواب من اختصاص الباحثين والمؤرخين وأساتذة الجامعات الجيدين، ونأمل من جامعة الملك خالد أن تنشئ مراكز بحوث متخصصة تدرس مثل هذه الموضوعات والنواحي الجديرة بالبحث والتوثيق.

٦. الدارس لوضع ظهران الجنوب السياسي والإداري والاقتصادي والحضاري منذ خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى اليوم يدرك أهمية هذه البلاد الحدودية، وما وقع على أرضها من أحداث تاريخية متنوعة، وتستحق أن يفرد لها دراسات أكاديمية في هذه الفترة وفي محاور علمية تاريخية عديدة.

٧. أن محافظة ظهران من المحافظات الرئيسية في منطقة عسير، وقد حازت على الكثير من الخدمات والاهتمام الإيجابي الذي يخدم الأرض والإنسان، لكنها أيضاً مازالت بحاجة إلى بعض المؤسسات الإدارية الأهلية والرسمية، وبعض المشاريع الخدمية الثقافية التعليمية، والصحية، والسياحية، والاجتماعية، والاقتصادية، والأمنية.

٨. هناك موضوعات تاريخية حضارية تستحق الاهتمام بها قبل ضياع أخبارها مثل: الأسواق الشعبية القديمة، والقرى والمنازل والحصون والآبار التراثية، والأشعار، والفنون الشعبية الاجتماعية، والأحاجي والأهازيج والأغاني والحكم التي عرفها ومارسها الأوائل. وكذلك الألعاب الرياضية، والأعمال الزراعية القديمة، وحرف الرعي والصيد والمهن والصناعات التقليدية السابقة، ودور المرأة كيف كان في السابق، وكيف أصبح اليوم؟

وكثير من الأعراف والعادات والتقاليد القديمة، وكيف أصبحت تقاليد وأعراف وعادات الناس اليوم؟ وماذا جرى عليها من تحولات وتغيرات تاريخية وحضارية؟ .

٩. إن أغنياء وعقلاء ووجهاء وشيوخ وأساتذة ومثقفي محافظة ظهران الجنوب يتحملون مسئوليات كبيرة تجاه أرضهم وأهلهم، والواجب عليهم أن يقوموا بهذه المسئولية بصدق وأمانة ووطنية، والسعي إلى كل عمل رفيع يصب في مصلحة الدين والوطن.

٧- من بارق عسير إلى قلوة زهران مشاهدات ، وقراءات في بعض الكتب ، والوثائق والبحوث(*)

(*) نُشر في كتاب :
القول المكتوب في تاريخ الجنوب
ط١ : ١٤٣٩هـ ، الرياض ، مطابع الحميضي ، ج١٢ ،
ص ص ٢٥٠ - ٣١١

من بارق عسير إلى قلوة زهران (مشاهدات ، وقراءات في بعض الكتب والوثائق، والبحوث)

أولاً: مدخل :

يشتمل هذا القسم على صور من تاريخ بلدان تهامة الممتدة من شمال محايل عسير إلى قلوة زهران، ويتكون من محورين رئيسيين هما : (١) ذكر شيء من تاريخ هذه البلاد من خلال مشاهداتي وانطباعاتي أثناء رحلتي في مناكبها . (٢) تدوين صفحات من تاريخها في العصور الإسلامية المختلفة المدونة في بعض المصادر والمراجع المنشورة وغير المنشورة .

ثانيا: رحلتي من بارق عسير إلى قلوة زهران (مشاهدات، وانطباعات) .

خرجت من مدينة أبها، في رحلة علمية، لمدة خمسة أيام، من صباح يوم الخميس إلى مساء الإثنين (١١ـ٧/٤/١٤٣٨هـ الموافق ٥ـ٩/١/٢٠١٧م)، وكانت وجهتي إلى محافظة محايل عسير[1]، ومنها اتجهت إلى محافظة بارق[2]، وقضيت هذه الأيام الخمسة في مدن وقرى وجبال وأودية الأراضي الممتدة من مدينة بارق في تهامة منطقة عسير إلى مدينة قلوة في تهامة منطقة الباحة .

١ـ بارق والمجاردة :

وصلت إلى مدينة محايل عسير الساعة السابعة صباحاً، وتناولت وجبة الإفطار في أحد مطاعمها التجارية المتوسط في جودته وخدمته، ثم خرجت على الطريق الرئيسي المتجه إلى بلاد بارق، وشاهدت محايل مدينة كبيرة فيها بعض

---

(١) محافظة محايل عسير، من المحافظات الرئيسية في منطقة عسير، ولها تاريخ قديم وحديث ومعاصر، وحتى هذه الساعة لا نجد أي عمل علمي يصدر عنها، وسوف أكتب عنها كتابة موسعة في أحد أعمالي المستقبلية، ونأمل أن نرى أحد من أبنائها يصدر عنها كتاباً أو دراسة علمية موثقة . للمزيد انظر : غيثان بن جريس "محايل عسير في العصر الحديث (دراسة تاريخية حضارية مختصرة" . بحث منشور في الجزء السادس من سلسلة كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب . (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م)، ج٦، ص ٢٠٧ـ ٢٣٧ .

(٢) ورد اسم بارق في كثير من كتب التراث الإسلامي المبكرة، والبارقيون انتشروا في مواطن عديدة داخل الجزيرة العربية وخارجها، وبارق المعنية في هذه الدراسة تستوطن موقعها في تهامة منذ زمن قديم، وأشارت المصادر والوثائق إلى شيء من تاريخها في العصر الحديث، وكانت إحدى المراكز الرئيسية لمحافظة المجاردة، وفي عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) فُصلت من محافظة المجاردة، وأصبحت محافظة مستقلة من فئات (ب) . وأقول إن بلاد بارق أحسن حظاً من غيرها في تهامة الباحة وعسير، فقد صدر عنها بعض الدراسات والبحوث المنشورة في هيئة كتب أو رسائل علمية أو بحوث في مجلات ثقافية أو أكاديمية، ومازالت أيضاً بحاجة إلى دراسات وبحوث نوعية في كثير من الجوانب التاريخية والأثرية والحضارية واللغوية والاجتماعية والثقافية .

الشـوارع المزدوجة، ومعظمهـا ذات السير الواحد، وفيها أسـواقٍ ومحلات تجارية عديدة، وعمائرهـا تتراوح من الطابق الواحد إلى الأربعة وأحياناً الخمسة طوابق، ويوجـد فيها معظـم المؤسسات الحكومية وكثـير مـن الإدارات والمؤسسات الأهلية والخاصة[١]، وبعد حوالي نصف ساعة سيراً في الطريق العام دخلت حدود محافظة بـارق، ومكثت فيها وفي محافظة المجاردة يومـين أتنقل في أرجائها وأدون شيئاً من تاريخها الحديث والمعاصر[٢] .

أ ـ بارق :

اسـم بـارق المعروف اليـوم قديم جداً، وهـو اسم رجل ينتسـب في الأزد ثم في قحطـان، أشـارت إلى اسمه ونسبـه وأصلة كثير مـن المصادر والمراجـع المتقدمة والمتأخـرة، وربمـا لفظة (بارق) تطلـق على اسم علم جغـرافي في جنوب الجزيرة العربيـة، وهـذا المكان قـد يكون له صلة ببـارق الإنسان، الذي هو جـد قبائل بارق الأزديـة[٣] . وبـلاد بـارق الحاليـة تبعـد عن مدينـة أبهـا في تهامة عسـير حوالي (١٣٠ـ١٤٥كم)، وهي أرض حارة في الصيف ومعتدلة في الشتاء، وتتنوع تضاريسها مـن السهول إلى الجبال المتفاوتة الارتفاع . والظاهر على عموم المحافظة أن عجلة التنميـة الحديثـة وصلتها، فجميـع الأبنية الأهليـة والحكومية، الخاصـة والعامة

---

(١) كما أشرت سابقاً، محافظة محايل تستحق دراسات عديدة، واعلم أن كثيرين من أبنائها يحملون درجات عليـا في التاريخ والأدب واللغة وعلوم أخرى عديدة، نأمل أن نرى بعضهم يردون الجميل لأهلهم وبلادهم ويدرسـون تاريخها وتراثها وحضارتها عبر عصور التاريـخ، وهذا في اعتقادي شيء ضروري وواجب على من لديه القدرة والاستطاعة .

(٢) لم أدخـل المنطقة الشمالية الشرقيـة لمحافظة محايل، وكذلك النواحي الشرقية لمحافظة بارق، وأقصد بذلـك مناطـق الأصدار ومـا يقع عند سفوح جبال سـروات بللحمر وبللسمر الغربيـة، مثل بلاد فرشاط، وخميـس مطير، وجبلـي هادي، وضرم وما جاورهما، وهذه بلاد فعلاً تستحـق الدراسة، وآمل من أبنائنا الطلاب وبخاصة الدارسين في برامج الدراسات العليا والذين ينتمون إلى هذه البلاد أن يدرسوا تاريخها وتراثها وحضارتها، وهي جديرة بالبحث والدراسة .

(٣) تذكـر بعض المصـادر المبكرة إلى أن بـارق هو : سعد بن عدي بـن حارثة بن ثعلبة بـن عمرو بن عامر بـن امـرئ القيس بن ثعلبة ابن مازن بـن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيـد بن كهلان بن سبأ بن يشجـب بـن يعرب بن قحطان. وبـارق القديم وقبائله خرجـوا من بلاد اليمن وتناثـروا في أجزاء عديدة داخـل الجزيـرة العربية وخارجهـا، ومنهم بعض عشائر محافظـة بارق اليـوم . وإذا حاولنا معرفة تتبع سـير البارقيـين في بلاد السروات وتهامة منذ خروجهم من اليمن إلى أن استقر بعضهم في تهامة عسير، فإننـا نجد صعوبة كبـيرة لأننا لا نملك المصـادر الموثوقة التي ترصد سير رحلتهـم وحروبهم وتنقلاتهم حتـى العصر الحديث والمعاصر . وهذه مشكلـة معظم قبائل الجزيرة العربية، نعم هناك الكثير من كتب الأنساب والمصادر التي تذكر شيئاً من تاريخ هذه العشائر والقبائل، لكن هنـاك حلقات كبيرة مفقودة، ولا نجد معلومات واضحة وصريحة لهذه العقبات حتى الآن .

مسلحة، وقليل من الناس مازالوا يعيشون في القرى أو المنازل القديمة[١] . كما يوجد في هذه الناحيــة معظم المؤسسات الحكومية مثل: المحافظـة، والمحاكم الشرعية، وإدارات البلدية، والدفـاع المدني، والشرطة، وفروع للأوقاف، والهلال الأحمر، ووزارة المياه، وإدارات أخرى عديدة . وتوجد المدارس بجميع مراحلها في جميع أنحاء المحافظة، وكذلك أبنية فرع جامعة الملـك خالد في تهامة تقـع في الناحية الجنوبية من محافظة بارق، وهــي تقريباً في الوسط بــين محافظتي محايل وبارق[٢] . وذكر لي بعض البارقيين بعض الجبال والأودية المشهورة في المحافظـة، مثـل: (١) جبل ريدان في شرق المحافظة . (٢) جبـل أثرب، وهو في الوسط بــين قبائل بارق وبني شهر، وهــو إلى الشرق من المحافظة . (٣) وجبال الشعراء، وهتمان، والصلبة . ومن الأودية : وادي بقرة، والحمظ، وثعيب وغيرها [٣] .

ومــن قبائل وعشائر بــارق في العصر الحديث والمعروفة حتى اليــوم (١) عشائر آل علي . (٢) آل جبلي.(٣) آل موسى .(٤) صعبان . (٥) المجامرة . وهذه العشائر يندرج تحتها عشرات القرى والأسر والأفخاذ . والنـاظر في محافظة بارق في وقتنا الحاضر يجد أنهـا مليئـة بعناصر عربيــة وغير عربية، والعناصــر العربية من قبائـل أخرى في المملكة العربية السعودية أو بعض البلاد العربية الأخرى، أما غير العربية فهناك موظفون وعمال كثــيرون يعملون في قطاعات عديدة وهم من بلدان إسلاميــة وغير إسلامية مثل: الهند، والصين، والفلبين، والباكستان، وبنجلاديش وغيرها من بلدان العالم [٤] .

---

(١) مكثــت يومــاً كامــلاً أتجــول في محافظة بــارق وكان برفقتي أحد طلابــي، وهو الأستــاذ محمد بن علي الحجينــي، وشاهــدت قــرى قديمة في محافظة بــارق مثل : (١) قريــة ساحل، وهي بلدة بــارق القديمة، ومعظــم سكانها من عشــيرة آل سباعي، وفيها الكثير من الأبنية القديمة مثـل المنازل والقصور الخاصة وبعض المرافق العمرانية الأخرى .(٢) قرية الشعراء في بلاد صعبان (٣) قرية القهبة . (٤) قرية اللوح في صعبان (٥) قرية المنزل التابعة لعشيرة آل سباعي . وهناك قرى وأبنية كثيرة قديمة ومندثرة في نواح عديدة من أرض المحافظة . المصدر: جولة الباحث في بارق يوم الخميس (١٤٣٨/٤/٧هـ) .

(٢) المصدر نفسه . زار الباحث بعض مديري المؤسسات الإدارية في بارق يوم (١٤٣٨/٤/٧هـ)، مثل : إدارة مكتب التربية والتعليم، ومكتب الدعوة والإرشاد، وكتابة عدل بارق .

(٣) أثنــاء ســيري في أجزاء المحافظة كنت أشاهد قرى حديثة وقديمة كثيرة، وكذلك هنـاك عشرات الأودية والجبــال التــي مررنا بها وتوقفنا عند بعضهــا، وأقول إن بلاد بارق تستحق مــن يدرسها دراسات مطولة وبخاصة في ميادين القرى القديمة والحديثة والأودية والجبال، ونأمل أن نرى بعض الباحثين الجادين في جامعة الملك خالد يتولوا هذه الموضوعات بالدراسة والتحليل .

(٤) أقــول إن أساتــذة التاريــخ وعلــم الاجتماع عليهم مسؤوليــة دراسة مثل هذه المجتمعــات التي تتنوع فيها طبقــات المجتمع، وبارق مجرد نموذج بسيط من التركيبة الاجتماعية التي يعيشها المجتمع السعودي منذ ثمانينيــات القــرن (١٤هـ/٢٠م)، وما تم ذكره أعلاه من عشائر أو فئــات مجتمعية أخرى تستحق البحث والدراســة والتحليــل، ونأمل مــن جامعة الملك خالد أن تفتــح بعض المراكز البحثية التــي تدرس مثل هذه الموضوعات الجديدة والجديرة بالدراسة .

وتاريخ أهل بارق الاجتماعي والاقتصادي المعاصر اختلف عن الماضي، فالعادات والأعراف القديمة في اللباس، والطعام والشراب، والحياة اليومية تغيرت، ومنها الذي ضاع واندثر، وبعضها جرى عليها الكثير من الحذف والاضافة، وظهر عادات وتقاليد حديثة مواكبة لحركة التطور والتمدن الذي يعيشه الناس، بل أصبح هناك فجوات كبرى وأحياناً تباعد أو تعارض مع القديم والحديث . والشيء الملموس في محافظة بارق أو غيرها من مدن ومحافظات المملكة العربية السعودية أن الموروث الحضاري القديم وبخاصة في الحياة الاجتماعية يتلاشى، وصار الكثير من هذا التراث مجهولاً عند جيل اليوم من الشباب وصغار السن[١] .

أما الاقتصاد فجرى عليه الكثير من التغير والنمو، نعم كان الآباء والأجداد قديماً يمارسون حياتهم الاقتصادية بطرق أولية وبدائية من حيث ممارسة الصيد، وجمع الحطب وغيره، أو الرعي، أو الزراعة، أو التجارة، أو الحرف والصناعات التقليدية، والسبب في ذلك قلة المال في أيدي الناس، وتواضع الحياة الاقتصادية، أما اليوم فأصبح المال كثيراً عند الناس، وتطوروا في مهنهم وتعليمهم، وترك أغلبهم حياة الرعي والصيد والزراعة وانتقلوا إلى وظائف حكومية وأعمال تجارية وإدارية تدر عليهم عوائد أفضل من السابق، ومن ثم فلا ترى من أهل بارق من يمارس الصيد أو الرعي وحتى الزراعة إلا قليلا، وهذه صفة سائدة عند عموم المجتمع السعودي[٢] .

لا يمارس الصيد والجمع والالتقاط إلا عدد قليل جداً، فهناك من يقوم بصيد الطيور والحمام للتسلية، والبعض يجمعون الحطب والفحم وبعض الثمار لتباع في الأسواق الشعبية أو اليومية. أما الرعي فيمارس على نطاق ضيق، وأحياناً يقوم بمهنة الرعي بعض العمال المستأجرين، والزراعة يقوم عليها بعض العمال الوافدين، ومازالت تزرع الذرة الرفيعة (الحمراء، والصفراء، والبيضاء)،

---

(١) أعتقد أن هذه معضلة كبيرة ويجب على المدارس، والجامعات، والأسر، ومؤسسات الدولة المعنية، والإعلام، والصحافة، والوجهاء والأعيان والمربين، والخطباء أن ينتبهوا لهذه الكارثة التي حلت بأبنائنا ومجتمعاتنا، لأنه إذا تم الفصل بين القديم والحديث وبخاصة في القيم والمبادئ والأسس والأعراف والتقاليد الجميلة فإن المشكلة سوف تكبر، وسيأتي جيل فاقد للهوية والانتماء إلى الأهل والأوطان .

(٢) دراسة هذا التحول الاقتصادي خلال الستين عاماً الماضية جدير بالدراسة،ونأمل من أساتذة أقسام التاريخ والاجتماع في جامعة الملك خالد أن يدرسوا مثل هذه التغيرات وأسبابها، و أحداثها، ونتائجها. وهذا الموضوع يستحق الدراسة في عشرات البحوث العلمية .

والدخن، والخضروات وبعض الفواكه، مثل: الخس، والجرجير، والبامية، والفجل، والطماطم، والبطاطس، والعنب، والموز، والبرتقال[١] .

ونلحظ التجارات والمهن الإدارية والاقتصادية والصناعية أنشط من غيرها، فالذاهب على الشارع العام في محافظة بارق يراه يعج بالدكاكين والمحلات التجارية الحديثة والمتنوعة في مساحاتها ومعروضاتها، ولا تخلو المحافظة من ورش فنية وصناعية تقوم على إصلاح السيارات وكثير من الأدوات والأجهزة والمعدات الأخرى . ومن الأسواق الكبيرة والحديثة التي شاهدتها في مدينة بارق سوق الراية، وسوق الزهيري، ومجمعات ابن مفرح، والغامدي، وهناك معارض للسيارات، ومحطات للمحروقات، وشقق ووحدات سكنية مفروشة، ومطاعم و(بوفيهات) ، وبعض المكتبات التجارية [٢] . ولا تخلو أرض بارق من سوق شعبي حديث شمال المحافظ، يباع فيه الكثير من السلع المحلية، مثل: المواشي، والشعير، والأعلاف، وأدوات الزراعة، وبعض البضائع المحلية والتراثية[٣] .

هناك عدد من الطرق الحديثة في محافظة بارق، فلا تخلو ناحية أو قرية في المحافظة من طرق مسفلتة، ويتراوح عرض هذه الطرق الصغيرة بين الأحياء

---

(١) يعمل بعض أهل بارق في هذه المهنة التي ذكرناها أعلاه، لكن ليست بالقوة والنشاط الذي كان عند الآباء والأجداد، وليست أيضاً من المهن التي تدر أموالاً كبيرة، فهي تأتي بعد الأعمال الرئيسية اليوم مثل الوظائف الحكومية أو الأهلية، وممارسة التجارة وبعض الحرف والصناعات الأخرى . نأمل أن نرى من أبناء محافظة بارق من يدرس تاريخ الحياة الاقتصادية في العصر الحديث والمعاصر، مع إجراء مقارنة بين الأوائل والمتأخرين في هذه الأعمال .

(٢) معظم العاملين في هذه الأسواق من العمالة الوافدة من بلدان عربية وغير عربية، والسعوديون نسبة قليلة في هذه المهن والأعمال الاقتصادية الجيدة في عوائدها المادية. نأمل أن نرى أحد بناتنا أو أبنائنا الطلاب في برنامج الدراسات العليا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد يتولى موضوع التاريخ الاقتصادي في بارق خلال الثمانين سنة الماضية بالدراسة، وهذا الموضوع جدير بالبحث .

(٣) عرفت بلاد بارق (المحافظة) عدد من الأسواق الأسبوعية القديمة، ومعظمها اندثرت، وبعضها مازال يعمل على نطاق ضيق، ومن تلك الأسواق. (١) سوق خميس مطير، ويعمل بشكل بسيط، وبلدة خميس مطير تعد المركز الإداري الرئيسي لتهامة بللحمر وبللسمر. (٢) سوق الثلاثاء (ثلوث المنظر) ، ويعمل على نطاق ضيق . (٣) سوق جمعة أثرب . (٤) سوق الأربعاء في بارق، ويبدأ من يوم الثلاثاء إلى نهاية الأربعاء، ويقع في قرية ربوع العجمة . وأقول إن الأسواق الأسبوعية في محافظة بارق كثيرة وجديرة بالدراسة، بل إن كل سوق يحتاج إلى أن يفرد له دراسة مطولة ومستقلة، ونأمل من أبناء بارق ومن المؤرخين الجادين في منطقة عسير أن يدرسوا هذه الأسواق التاريخية الحضارية، وهي فعلاً تعكس صوراً من تاريخ هذه البلاد، وتستحق الحفاظ عليها ودراستها. المصدر: مشاهدات الباحث وجولته في أرض بارق يوم الخميس (١٤٣٨/٤/٧هـ) .

والقـرى من (٦-١٠) أمتار، أما الطرق التي تربط بارق مع غيرها، فهي على النحو التـالي: (١) الطريـق الرئيسـي الـذي يخرج من محائـل حتى يصـل مكة، وهذا الطريق يأتي من وسط مدينة بارق، وهو الشريان الرئيسي والأهم لهذه المحافظة، وفيـه أجـزاء مزدوجة، وأخـرى فردية، والعمـل قائماً في هذا الطريـق كي يصبح مزدوجـاً من أبها إلى محائل إلى بارق إلى المجاردة . (٢) طريق يخرج من محايل إلى الريش، ثم خميس مطير، إلى ثلوث المنظر، ثم يعود إلى الشارع العام في بارق، ويتفـرع من هـذا الطريق فرعان: أحدهمـا إلى بلدة تنومة في السـراة من عقبتي برمـة أو ساقـين، والثاني مـن محبة بني شهـر إلى المجاردة، ثم يعـود إلى الشارع العـام في محافظة بارق. (٣) طريق الطحاحين الذي يتفرع غرباً من الشارع العام عنـد جسر وادي بقرة إلى حميـد العلاية ثم إلى وادي حلي. (٤) الطريق من غرب حاضرة بارق إلى الملصة ثم إلى جمعة ربيعة، ويخرج منه فرع آخر عبر سهول إلى جمعـة ربيعـة أيضاً . (٥) طريق من شمال محافظة بـارق إلى ثربان ثم إلى جمعة ربيعـة حتى يصـل إلى القوز والقنفذة على ساحل البحر الأحمر. وعقبات (طرق) أخـرى تنزل من السروات إلى محافظة بارق ومـا جاورها، مثل: عقبة الجعدة من سـروات بللحمـر إلى بلدة فرشـاط، وعقبة أخرى من سـروات بللسمر إلى خميس مطير، وعقبتي ساقين وبرمة من سروات تنومة إلى وادي بقرة ثم الشارع العام من محايل إلى المجاردة عبر بلدة بارق[١] .

قلت حظيت بارق والبارقيون بذكر حسن في كتب التراث، ومنهم من شارك في مجالات عديدة داخل الجزيرة العربية وخارجها، ونأمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس أعلام بارق منذ العصر القـديم وعبر أطوار التاريخ الإسلامي[٢]، وعندما ندرس أحوالهـم في العصر الحديث نجد المصادر والوثائق لا تسهب الحديث عن رجالات بـارق، وبخاصة من كان له بـاع في الإدارة، والرأي، والحكمـة، والتعليم، والثقافة،

(١) هذه الطرق والعقبات الآنف ذكرها أعلاه، وغيرها من الطرق الموجودة في محافظة بارق اليوم لها تاريخ قديم، حيث كان يسلكها الحجاج والمسافرون، وأصبحت اليوم طرقاً واسعة ومسفلتة . وهي قديماً وحديثاً تربـط بـين بلدان ونواحي مهمة في تهامة والسراة وذات تاريخ وحضارة قديمة . ونأمل من مؤرخي منطقة عسـير الجادين وطلاب الدراسات العليا في أقسـام التاريخ في جامعات الملك خالد، وجازان، وأم القرى، والباحة أن يدرسوا هذه السكك المهمة، وبخاصة التي ورد ذكر بعضها عند مؤرخين متقدمين ومتأخرين، وهي فعلاً تستحق أن يصدر عنها أكثر من بحث ودراسة .

(٢) من يدرس هذا الموضوع دراسة علمية موثقة، فسوف يسدي لنا معروفاً ويطلعنا على تفصيلات قيمة عن هذه البلاد وأهلها.

والأدب[١] . وهنـاك شـذرات موجزة تشـير إلى بعض الأسر والأعـلام الذين كان لهم جهـود طيبة خـلال القرنين الماضيين، ومنهـم أسرة آل ريان، والشيـخ عبد الخالق بن مانع في بلدة نعص فيذكر أنهم كانوا أصحاب دروس شرعية في بلادهم، وكانوا يقدمون خدمـات تعليميـة ودعوية وإصلاحية بـين أهلهم وفي أوطانهم[٢] . وعنـد ظهور التعليم النظامـي في أبها، وجازان، والقنفذة امتدت آثار هـذا المجال حتى شملت تهامة عسير مـن درب بني شعبة ورجال ألمع إلى بارق والمجـاردة، وتطور التعليم في هذه البلاد حتى عـم جميـع المراحل بمحافظة بارق، وتخرج الكثير من أبنائهـا وبناتها، وارتقوا في سلم الثقافـة والتعليم العالي حتى أصبح منهم أعداد كثيرة يحملون شهادات ودرجات عليا، بـل إن بعض رجالات بـارق برزوا في قطاعات علميةٍ وإداريـة وعسكرية ومدنية، واليوم أصبـح مجمع فرع جامعة الملك خالد في تهامة قائماً على أرض المحافظة البارقية، وقد نشاهد في السنوات القادمة تطور أفضل وأسرع على الأرض وبين السكان البارقيين[٣] .

وأخبرني بعض الأساتذة في بارق بأن هناك العديد من الأنشطة العلمية والثقافية، مثل: المدارس في التعليم العام فلها العديد من النشاطات على مستوى المدرسة والمحافظة، كمـا أن نادي أبها الأدبي افتتح في عام (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م) لجنة بارق الثقافية، وهذه اللجنة تقدم العديد من الأعمـال الثقافية كالمحاضرات المتنوعة، والأمسيات الشعرية، وقـراءات في بعض القصص والروايات المطبوعة والمنشورة . وذكر لي أن هناك أنشطة أهليـة كالمقهى الثقافي، وملتقى أصدقاء الحرف التي تمارس أنشطتها في المحافظة من عام (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م)، وجميع اهتمام هذه المنتديات يصب في خدمة العلم والثقافة التي تعود بالنفع والفائدة على أهل وشباب هذه الناحية[٤] .

---

(١) هـذه المشكلة شملت عموم بلدان تهامة والسراة خلال القرون الماضية المتأخرة، وذلك لصعوبة الأرض، وضعف الحياتين الاقتصادية والتعليمية .

(٢) حبـذا أن نـرى باحثـاً جـاداً يدرس الحياة العلميـة والتعليميـة في تهامـة عسير خـلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م)، وهذا الموضوع يستحق أن يكون عنواناً لرسالة دكتوراه .

(٣) إن تاريخ التعليم النظامي في تهامة عسير، أو في بارق من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس، ويستحق أن يصـدر عنـه عدد من البحوث والرسائل العلمية . وأنادي أبناء بارق وبخاصة الأساتذة الجادين وأقول لهـم اعكفوا على دراسة تاريخ أرض وسكان بلادكم، ومـا تمر به من تنمية وحضارة منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر، وهذا العنوان أيضاً جدير بالدراسة والتوثيق العلمي .

(٤) مـن خـلال اليوم الـذي قضيته في محافظة بارق، وجـدت أن الحياة الثقافية مازالـت متواضعة، نعم هناك بعض الشعراء، والباحثين، وطلاب العلم المجتهدين، لكنهم يحتاجون إلى الدعم والتشجيع، وإن حصلوا على شيـئ مـن ذلك فإن هذا الجانـب المعرفي سوف يزداد ويتطـور . ولا تخلو المحافظة أيضـاً من بعض الصحف الإليكترونيـة، وهنـاك العديد من المحاضـرات الدينية والثقافية التي يشرف عليها مكتـب الدعوة والإرشاد، ونأمل أن نرى محافظة بارق تسير في درب النمو والتقدم الحضاري في شتى المجالات الثقافية والتعليمية .

شاهدت في بارق صوراً من العمارة وبعضاً من ميادين التنمية في الترفيه والسياحة . ففي باب العمارة، هناك عشرات الأبنية الحكومية المكونة من الطابق إلى عدة طوابق مثل: المدارس الحكومية، وأبنية فرع جامعة الملك خالد في جنوب المحافظة، وبعض أبنية المؤسسات الإدارية الأخرى، ومنازل مشيدة على الطراز الحديث، وتتكون من أدوار ومرافق عديدة، ناهيك عن تزويقها وديكوراتها من الداخل فهي على مستوى جيد من الجمال والإتقان [(١)] . ويتواجد في محافظة بارق عشرات المساجد الكبيرة والصغيرة، وجميعها مزودة بالكهرباء، والماء، والأثاث، ودورات المياه، والمكيفات . وشاهدت جوامع عديدة رئيسية في المحافظة مثل: (١) جامع سارة العجمي على الشارع العام .(٢) جامع عروة البارقي.(٣) جامع عمر ابن الخطاب في شمال المحافظة . (٤) جامع الشيخ عبد العزيز بن باز في قرية الخوش في بارق، وهو أكبر جوامع بارق وأوسعها . وقد زرت معظم هذه الجوامع فوجدتها على مستوى عال من الجودة في البناء والتنظيم، وجميعها يتولى الإشراف عليها مكتب الدعوة والإرشاد في بارق[(٢)] .

أما أماكن الترفيه والسياحة في محافظة بارق فهي كثيرة ومنها الأمكنة السياحية الطبيعية مثل: وادي بقرة، ووادي البرداني والفاتح في بلاد صعبان، وأجزاء من وادي يبة، وأودية: جبال، والواديين، والقصبة، وثعيب، ووادي شري، وأجزاء من وادي خاط، ومطلات جبلي أثرب وقتروي[(٣)] . أما الحدائق والمتنزهات في المحافظة قليلة، وأهمها: (١) حديقة جبال، وتعرف أيضاً باسم (متنزه بارق الوطني) ، وتقع في جنوب المحافظة، ومساحتها واسعة، ومزودة بالعديد من الخدمات مثل: أرصفة للرياضة والمشاة، وجلسات عائلية، ودورات للمياه، ومسطحات خضراء، وبعض الأمكنة المزود ة بألعاب للأطفال . وترى هذه الحديقة

(١) لم نتحدث عن جميع أنواع العمارة في محافظة بارق مثل القرى، والمدن، والطرقات، والأسواق، والمقابر، والمدرجات الزراعية، والآبار، وأبنية المؤسسات الحكومية والأهلية والتجارية . وهذا موضوع كبير يستحق أن يدرس في بحوث ودراسات عديدة .

(٢) أقول إن تاريخ المساجد في بارق من الموضوعات التي تستحق أن يفرد لها رسالة علمية، أو بحث أكاديمي مطول، ونأمل أن نرى أحد طلابنا في قسم التاريخ في برنامج الدراسات العليا، يدرس هذا الموضوع في رسالة ماجستير أو دكتوراه .

(٣) جميع هذه الأمكنة طبيعية، وترى بعض البارقيين وغيرهم من زوار المحافظة يرتادون هذه المواقع لقضاء أوقات للراحة والاستجمام، وهي تحتاج إلى العناية والتطور من هيئة السياحة ومن المؤسسات الإدارية المعنية في محافظة بارق أو في منطقة عسير. وهذه نماذج من نواح عديدة لم نستطع مشاهدتها .

مكتظة بالسواح والمتنزهين من بعد صلاة العصر حتى الساعات الأولى من الليل، ويزداد زوار هذا المتنزه في فصل الشتاء عندما يرتاده الكثير من سروات منطقة عسير. (٢) حديقة خبت الحجري، وتقع شمال محافظة بارق، ويذكر أن هذا المتنزه أكبر حديقة عامة في منطقة عسير، ويوجد بها خدمات أكثر مما هو في حديقة جبال، وزوارها من الأفراد والأسر أكثر[١] .

ب ـ المجاردة :

ذهبت في الصباح الباكر يوم الجمعة (١٤٣٨/٤/٨هـ) من بلدة بارق إلى مدينة المجاردة، وقضيت يوماً كاملاً في عموم المحافظة، وقابلت بعض الأساتذة والأعيان الذين أفادوني في جمع بعض المعلومات عن هذه الناحية التهامية[٢] .

ويذكر أن اسم المحافظة جاء من اسم مدينة المجاردة، ولا ندري ما هو سبب التسمية، لكن المجاردة تعرف أيضاً باسم (الأجاردة)، ويبدو أن هذا المصطلح جاء من شدة هطول الأمطار التي تجرد ما يقابلها من الأشجار والأتربة والأحجار، فأطلق على المكان اسم (المجاردة) أو (الأجاردة)، وهناك رأي آخر يقول إن اسم المحافظة نسبة إلى رجل يدعى لجرد من بني التيم من أهل السراة، وهذه الأقوال تحتمل الصواب والخطأ، ونأمل أن يظهر لنا في المستقبل مصادر موثوقة تؤكد لنا سبب تسمية هذه الناحية باسم الأجاردة أو المجاردة[٣] .

ومحافظة المجاردة، قبل انفصال بلاد بارق عنها، تشمل بلداناً عديدة تمتد من محافظة القنفذة وبلاد العرضيات شمالاً إلى محافظة محايل جنوباً، ومن سفوح سروات تنومة والنماص الغربية إلى بعض الأجزاء الشرقية من محافظة

---

(١) منطقة عسير، أو بلاد تهامة والسراة من أجمل بلدان المملكة العربية السعودية، وتحتوي على مئات المواضع السياحية البرية والحدائق المخدومة من قبل البلديات والأمانات في مناطق جنوب البلاد السعودية، ومازال هناك قصور كبير في خدمة هذه البلاد سياحياً، ونأمل أن نرى الإدارات والمؤسسات المعنية تضاعف الجهود في الارتقاء بالسياحة في بلادنا حتى تصبح واجهة للسواح من جميع بلاد العالم .

(٢) محافظة المجاردة من البلدان التهامية التي لم تخدم في ميدان البحوث التاريخية بشكل جيد، ونأمل أن نرى بعض أبنائها من الدارسين والباحثين الجادين يدرسوا أحوالها الحضارية خلال القرون الإسلامية المبكر ة والوسيطة والحديثة.

(٣) مدينة المجاردة التي عرفت عموم المحافظة باسمها تستحق المزيد من البحث والدراسة، ونأمل من فرع جامعة الملك خالد في تهامة، أن تنشئ مركزاً للبحوث يهتم بدراسة تاريخ وموروث هذه البلاد التهامية العريقة .

القنفـذة وبلاد البرك غرباً[١] . وأثناء تجوالي في جنبات هذه المحافظة، اتضح لي أمور عديدة أذكر أهمها في النقاط الآتية:

١. تنوع تضاريس هذه المحافظة بين الجبال العالية والمتوسطة والصغيرة [٢]، ولا تخلو من بعض السهول، وعدد من الأودية الكبيرة والصغيرة، وأعظمها وادي خاط الذي يأتي من سفوح السروات الغربية ويسير غرباً حتى يصب في وادي حضـوة، وقياض، والسليل في ناحية خاط[٣]، ووادي جربة وعبس وغيرهما . ومناخ المجاردة حار في فصل الصيف، ومعتدل في فصل الشتاء، ويوجد فيها الكثير من النباتات والأشجار المتنوعة[٤] .

٢. عنـد سيري في أجـزاء من المحافظة اتضح لي بعضـ الشيء عن تركيبتها السكانية، ومنها بلاد خاط في الناحية الشرقية من المحافظة، وهي مجمع سـكاني لبعض العشائـر الشهرية والعمريـة، ومن تلـك العشائر: عشيرة المشاييـخ، وتستوطـن جنوب وادي خاط، ومنهم مـن ينتسب في بني عمرو وآخـرون يعودون في صلاتهم القبلية إلى بني شهـر، وأصول هذه العشيرة تعـود إلى بعض قبائل الساحل، وقـد نزحوا إلى موطنهم الحالي منذ زمن بعيد . وعشيرة آل فلعة في جنوب خاط، وعشيرة آل شغيب تستوطن شمال خاط عند أسفل جبل تهوي. وعشيرة آل محمد بكسر الحاء والميم، من بني عمـرو ويقطنون شمال خاط . وعشيرة آل صَميـد التي كانت تسكن قديماً في أعـالي الجبال، واليـوم تستوطن وسط خاط . وعشائـر آل ماشي، وآل

---

(١) مـن بعد عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) استقلت عدد من المحافظات القريبة مـن محافظة المجاردة، وبعض هذه المحافظات المستقلة كانت جزءاً من محافظة المجاردة أو مجاورة لها، مثل: محافظة بارق، ومحافظة العرضيـات، ومحافظة البرك . وكل هذه المحافظات الجديدة مأهولة بالقرى والسكان، وتستحق أن يفرد لكل واحدة منها دراسة علمية موثقة .

(٢) شاهـدت في محافظـة المجاردة عـدداً من الجبال الكبيرة والمتوسطة مثل: جبـل تهوي ويطل على مدينة المجاردة من ناحية الشرق، وجبال ريمان، وعصالا، والمرحب، وشيبان وكرفوس، وجبل ثربان غرب مدينة المجاردة .

(٣) خـاط : من البلدان التاريخية القديمة في محافظـة المجاردة، ومذكورة في بعض كتب التراث المبكرة، تقع عند السفوح الغربية لسروات النماص .

(٤) هـذا مـا سمعه الباحث من بعض الأسـاتـذة في بلاد خاط والمجاردة، وأيضاً مـا شاهده أثناء تجواله في المحافظة في (١٤٣٨/٤/٨هـ) .

يثيبة، وآل خشيل، وبني قيس، وآل الدهيس العمرية، وعشيرتي الأفاقمة، وآل شعثاء الشهرية[١] .

٣. حاضرة المجاردة : التي عرفت المحافظة باسمها تأتي في المركز الثاني بعد مدينة محايل في تهامة منطقة عسير، يوجد فيها مقر المحافظة ومعظم المؤسسات الحكومية والأهلية. ومن العشائر التي تقطن مدينة المجاردة : آل يحيى، وآل سعيد بن علي، وآل شغيب الضمو، وآل كميت، وآل صميد الملحاء، وبني حسين، ومملح، وبني زهير، وقضريمة، والظهرة . ومن الأحياء القديمة في مدينة المجاردة: الخطوة، والمرصد، والسودة، والحدبة، والشرف، والحواجر، والجبهة، وقرن الميفاء . كما أنشأت بلدية المجاردة أحياء وشوارع جديدة مثل: أحياء الفيصلية، والنهضة، والأندلس، والتقدم، والصناعية، والروضة . ومن الشوارع الحديثة: تبوك، والقادسية، واليمامة، والطائف . وهناك طريق رئيسي يتصل بالطريق العام الذي يسير من محايل إلى مكة، ويسير شرقاً إلى خاط، وشمالاً إلى بني زهير وختبة وعبس، ويحيط بالمدينة حزام دائري[٢] .

٤. بلاد عبس، من الأجزاء الرئيسية في المحافظة، وتبعد من مدينة المجاردة حوالي (٤٠) كم نحو الشمال، وهي معتدلة في مناخها خلال أيام السنة، ومن عشائرها : آل عبيد ،وآل عمار، وحيد عبس، وآل قيس . ويحد منطقة عبس من الشمال والغرب محافظة العرضيات، ومن الجنوب ختبة، ومن الشرق سفوح سروات أجزاء من بلاد بني شهر وبني عمر وبلقرن، ويوجد في هذه الناحية عدد من المدارس الحكومية وبعضاً من المؤسسات الإدارية

(١) بلاد خاط تأتي في المرتبة الثانية بعد مدينة المجاردة من حيث كثافة السكان، والتمدن والتنمية، فيوجد فيها العديد من المؤسسات الإدارية والمدارس، والأسواق والدكاكين التجارية. كما أنها تشتمل على العديد من القرى الحديثة والقرى التراثية القديمة .ولو درسنا كل عشيرة من العشائر الآنف ذكرها أعلاه تاريخياً وسكانياً وحضارياً فإننا سوف نجد مادة علمية كثيرة تعكس التاريخ والحضارة التي مرت به هذه البلاد منذ العصور الإسلامية الوسيطة حتى وقتنا الحاضر.

(٢) وأقول إن مدينة المجاردة من المدن الحضارية الكبيرة في منطقة عسير، وتستحق أن يفرد لها دراسة مستقلة ومفصلة توضح تاريخها والتطور الحضاري الذي تعيشه منذ ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) . ونأمل أن نري أحد طلابنا في برنامج الدراسات العليا بقسم التاريخ في جامعة الملك خالد يجعل هذه المدينة موضوعاً لرسالته في الماجستير أو الدكتوراه .

وترتبط مع بلاد السراة بطريقين هما: عقبة تلاع التي تصعد إلى قرى آل جميرة، والخضراء، وخشرم في محافظة النماص، وعقبة بني عمرو التي تصل إلى مركز بني عمرو في السراة[١].

٥. ناحية ثربان:[٢]، إحدى المراكز الرئيسية التابعة لمحافظة المجاردة، يحدها من الشرق بارق والمجاردة، ومن الغرب بعض عشائر حرب التابعة لمحافظة القنفذة، ومن الشمال قبيلة عمارة بلقرن، ومن الجنوب ربيعة المقاطرة. وفي الماضي كان أغلب سكان تلك الناحية يقطنون أعالي جبل ثربان، وكثير منهم اليوم يسكنون شرق الجبل وغربه، بالإضافة إلى بلاد الطلاليع التي يوجد فيها كثير من المؤسسات الإدارية مثل: مركز ثربان، والشرطة، ومركز للرعاية الصحية، وهيئة الأمر بالمعروف وغيرها. والطلاليع في ثربان ينقسمون إلى قسمين، هما: (١) آل عليين، وآل قراد وآل معيد. (٢) آل مجامد غرب جبل ثربان، ومن قراهم: الحفرة، والضرس، وبوعشرة، وسلمة، والسطة، والكرى، والفرعة، وخريب. ومن عشائر ثربان أيضاً: آل غيلان، والزوكة، وآل حزمة، وآل قحيم، والعواجرة، وآل سلمان، وآل راشد. وهناك عشرات القرى التابعة لهذه العشائر، مثل: البلقعة، والشق، والقرن، والزهيرة، ومغلوث، وفرواع، وصفا، والمنداة، والمبيرك، والمروة، والعريش، وذو الحدق، والهبطة، والعطف، والحلة[٣]، وأهل ثربان قديماً بدو رعاة، واليوم وصلت عجلة التمدن والحضارة إلى وطنهم، فنزلوا من قمة الجبل إلى السهول، والتحقوا بالمدارس والوظائف الحكومية، وهاجر بعضهم إلى المدن الكبيرة في أنحاء المملكة من أجل الوظيفة وتحسين موارد الدخل. ومن معالم ثربان العين الحارة التي توجد عند أسفل الجبل، وهي مياه كبريتية يرتادها الكثير من الناس للعلاج والتداوي[٤].

---

(١) منطقة عبس التابعة لمحافظة المجاردة تستحق أن تدرس جغرافياً وتاريخياً وحضارياً، ونأمل أن نرى أحد الباحثين الذي يدرسها دراسة علمية موثقة. مشاهدات الباحث وجولته في بلاد عبس يوم الجمعة (١٤٣٨/٤/٨هـ).

(٢) هذا ما سمعه الباحث من بعض الأساتذة في بلاد خاط والمجاردة، وأيضاً ما شاهده أثناء تجواله في المحافظة في (١٤٣٨/٤/٨هـ).

(٣) جبل ثربان، أو بلاد ثربان تستحق أن تكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية، نأمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخها وسكانها وأرضها منذ بداية عصر الإسلام حتى اليوم.

(٤) زرت هذه العين يوم الجمعة (١٤٣٨/٤/٨هـ)، فوجدتها مهيئة بدورات المياه، وأماكن خاصة للرجال والنساء، وعندها لفيف من الناس يلتمسون الشفاء من الله ثم من مياهها الكبريتية.

٦. يوجد في ختبة مركز إداري يتبع محافظة المجاردة، وكان تأسيسه في عام (١٤٣٠هـ/٢٠١٠م)، وبلاد ختبة تبعد من مدينة المجاردة (٢٠) كيلومترا نحو الشمال، ويحدها من الجنوب والغرب حاضرة المجاردة، ومن الشمال بلاد عبس، ومن الشرق سفوح سروات محافظة النماص الغربية . ومن عشائرها : بلجدع، وبني حسين، وبني زهير، ويوجد فيها بعض المؤسسات الإدارية مثل: المدارس، ومركز صحي، وخدمات للكهرباء، والاتصالات وغيرها[١] .

٧. تعد محافظة المجاردة من الأجزاء المتحضرة في منطقة عسير، ومدينة المجاردة من المدن الكبيرة والرئيسية في هذه الناحية، وذلك بما تشتمل عليه من تنمية عمرانية، وتطور اقتصادي وتعليمي وسياحي، ناهيك عن حياة السكان في محافظة المجاردة فهم متمدنون متحضرون في ألبستهم، وطعامهم وشرابهم، ووسائل حياتهم. وقد زرت محافظة المجاردة قبل خمس وعشرين سنة، أي في يوم الجمعة (١٤١٣/٩/١٢هـ)، وكتبت شيئا من تاريخها الحضاري المعاصر[٢]. وفي عام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) زرتها مرة أخرى، وشاهدت عجلة التنمية تسير فيها بشكل نشط وجيد، وبخاصة في أسواقها، وشبكة الطرق التي تصل إليها أو تخرج منها، أو تربط أجزائها ببعض، وكذلك أبنيتها العامة والخاصة، وتزايد مؤسساتها الإدارية وتوسعها، وتطور التعليم وعدد المتعلمين فيها، وتزايد الحراك والنشاطات الثقافية بين سكانها. وإذا فحصنا التاريخ الاجتماعي في هذه المحافظة وبخاصة في ميدان الأعراف والتقاليد واللهجات والفنون الشعبية وغيرها فإننا نجد كثيرا من القيم والتقاليد القديمة قد تراجعت وبعضها تلاشى وضاع، وحل محلها أعراف وتقاليد حديثة وكثير منها مستورد من داخل وخارج المملكة العربية السعودية[٣].

---

(١) مشاهدات الباحث يوم الجمعة (١٤٣٨/٤/٨هـ) .

(٢) انظر تفصيلات أكثر عن تلك الرحلة القديمة عام (١٤١٣هـ)، غيثان بن علي بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير والقنفذة) (الرياض : مطابع الحميضي، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م) (الجزء الثاني) ص ٤٤٥ - ٤٥٦، وعنوان تلك الرحلة هو (رحلة أبها - المجاردة - خاط) (الجمعة ١٤١٣/٩/١٢هـ)

(٣) من العادات الدخيلة والجديدة على أهل محافظة المجاردة : المبالغات في الحفلات والمناسبات، والإسراف في الأطعمة والأشربة، وبعض التبدلات في الألبسة عند الشباب ومجتمع النساء، والانبهار بالثقافات والفنون التي تشاهد في القنوات ووسائل التواصل المختلفة، وتراجع ممارسة الفنون الشعبية القديمة، وحل محلها أهازيج وفنون حديثة وكثير منها جاء من أمكنة عديدة داخل المملكة العربية السعودية وخارجها. وإذا درسنا الأعراف الأسرية والصلات بين أفراد مجتمع المجاردة فهي الأخرى تأثرت سلبا، وصار الناس يمارسون أعراف وتقاليد مستوردة تختلف عما عرفه الآباء والأجداد . وأقول إن دراسة التاريخ الاجتماعي في محافظة المجاردة والمقارنة بين القديم والحديث والمعاصر من العناوين الجديدة ويستحق أن يدرس في موضوعات عديدة، ونأمل أن نرى من الأساتذة الأكاديميين في جامعة الملك خالد من يدرس مثل هذا الميدان المهم والجدير بالبحث .

٨. تحتاج محافظة المجاردة إلى دراسات متنوعة تفصل الحديث عن أرضها وسكانها وصلاتها بمن حولها، وأشكر بعض أبنائها الذين أصدروا بعض البحوث عنها[١] . ولكننا مازلنا نتطلع إلى من يدرس هذه الناحية دراسة علمية تحليلية موثقة، ومن يفعل ذلك فسوف يطلعنا على كنوز معرفية عن هذه الديار التهامية العريقة والقديمة في تاريخها وموروثها الحضاري[٢] .

٢- العرضيات :

في يوم السبت وصباح الأحد (٩-١٠/٤/١٤٣٨هـ) تجولت في أجزاء عديدة من بلاد العرضيات . والعرضيات البلاد الممتدة من محافظة المجاردة جنوباً إلى محافظة المخواة شمالاً، ومن سفوح سروات محافظة بلقرن الغربية إلى الأجزاء الشرقية من محافظة القنفذة[٣] . ولا ندري ما هو سبب تسمية هذه البلاد

(١) من الذين كتبوا عن محافظة المجاردة بلقاسم بن محمد الربيع، الذي أصدر كتابه الموسوم بـ المعالم التاريخية والسياحية في محافظة المجاردة (أبها : مطابع الجنوب، ١٤٣٤هـ) . هذا الكتاب صدر في (٢١٩) صفحة من القطع الكبير، وخرج في مجلد فاخر في أوراقه وصوره وخدمته الفنية والطباعية. وهذه الدراسة تاريخية، ثقافية، إعلامية عن أرض وإنسان محافظة المجاردة، ويشكر الباحث على ما جمع ودون وحفظ من موروث حضاري، ونأمل أن نرى من أبناء محافظة المجاردة من يدرس كثيراً من المحاور التي أشار إليها الأستاذ بلقاسم الربيع وبخاصة في ميادين التاريخ الاجتماعي، أو الجغرافي، أو الاقتصادي، أو الثقافي والتعليمي . وأقول إن في هذا المجلد عناصر كثيرة جديدة تستحق أن تكون عناوين مستقلة لبحوث أو كتب أو رسائل علمية. وهناك باحث آخر، هو حسن بن فيصل بن محمد الشهري، أصدر دراسة أكاديمية بعنوان : (بعض أسواق محافظة المجاردة في تهامة بني شهر خلال العصر الحديث"، منشورة في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (أجزاء من عسير) . (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) (الجزء الحادي عشر) ، ص ٧٨-١١٣. وفي هذه الدراسة فصل الباحث الحديث عن الأسواق الأسبوعية القديمة والحديثة والمعاصرة . وثلاث دراسات أخرى ركزت على محافظة المجاردة، وهي للأساتذة : (١) محمد بن علي آل الجحيني الشهري . (٢) مفرح بن علي بن عبد الله حبسان العمري . (٣) علي بن عبد الرحمن بن سرده الشهري. وجميع هذه البحوث تدور حول تاريخ محافظة المجاردة في العصر الحديث والمعاصر، وتحتوي على تفصيلات جديدة في أبوابها وفقراتها . وجميع هذه الدراسات منشورة في كتاب : بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م)، في القسم السابع بعنوان : تصويبات وإضافات) على الكتاب الآنف ذكره (الطبعتان الثانية، والثالثة /١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م/ ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م) ص ٣١٩ - ٣٩٤ .

(٢) من خلال زيارتي بلاد المجاردة وما جاورها من تهامة بني شهر وبني عمرو اتضح لي أن هذه البلاد مازالت بحاجة إلى دراسات علمية تدور حول أعلامها، وآثارها، وتاريخها السياسي والحضاري في العصر الجاهلي وخلال عصور الإسلام المبكرة والوسيطة والحديثة والمعاصرة، ونأمل من فرع جامعة الملك خالد في تهامة أن يؤسس بعض المراكز البحثية التي تعتني بهذه الجوانب العلمية.

(٣) والمقصود هو: حدود محافظة القنفذة في عام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م)، لأن بلاد العرضيات أصبحت محافظة مستقلة ترجع إلى منطقة مكة المكرمة، وكانت إلى وقت قريب مركزاً من مراكز محافظة القنفذة . للمزيد انظر: غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٢، ص ٣٣١وما بعدها، انظر أيضاً ص ٤٥٣-٤٧١ .

بـ (العرضيات) ، أو العرضية الجنوبية والعرضية الشمالية[١] .ويبدو أنها سميت بهذا الاسم لاعتراض جبالها وأوديتها وأرضها بين السروات ومناطق الساحل، وكل البلاد المشابهة لها في الجغرافيا والواقعة إلى الغرب من جبال السروات والممتدة من الطائف ومكة المكرمة إلى قعر اليمن تعرف باسم العروض. وهذا ما وجدناه في بعض كتب التراث الإسلامي [٢] . وكذلك في بعض المعاجم اللغوية[٣] .

وتمتد أرض العرضيات من الشمال إلى الجنوب حوالي (١٠٠-١١٠) كيلومتر، ومن الغرب إلى الشرق (٤٠-٥٠) كيلومتر، وتتشابه في جغرافيتها مع بلاد بارق والمجاردة [٤] . ويوجد فيها جبال عالية ومتوسطة وقليلة الارتفاع [٥]، كما أن أرضها لا تخلو من السهول، وفيها عدد من الأودية الكبيرة، وأعظمها واديا قنونا ويبة اللذان تأتي منابعهما من أعالي السروات، وترفدهما عدد من الأودية الصغيرة والمتوسطة

---

(١) كانت العرضية الجنوبية ومركزها ثريبان المقر الرئيسي لعموم بلاد العرضيات ثم فتح مركز آخر في العرضية الشمالية . وهاتان العرضيتان ذكرتا في بعض وثائق القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) بـ (العرضية اليمانية) و(العرضية الشامية) . وعندما تحولت إدارتها من مراكز إلى محافظة أطلق عليها اسم (محافظة العرضيات) . وكانت حتى بدايات هذا العقد لا تعرف إلا بـ (العرضية الجنوبية) و (العرضية الشمالية) ، والمتجول في أرجائها اليوم يجد هذه المصطلحات مازالت المعروفة والسائدة، ولكن في الخطابات الرسمية تكتب باسم (العرضيات) . للمزيد انظر: غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٢، ص ٣٩٨-٤٠١ . انظر أيضاً : بلاد القنفذة خلال خمسة قرون، ص ٤٣٧، ٤٣٩ .

(٢) بعض كتب الرحالة والجغرافيين المسلمين الأوائل ناقشوا تضاريس البلدان، ومن هذه المعالم ما عرف بالعروض من جبال وأودية ونواحي داخل الجزيرة العربية وخارجها . للمزيد انظر : الهمداني، وياقوت الحموي، والإدريسي، والمقدسي، وابن خرداذبة، وابن رسته، واليعقوبي، والمسعودي، والقزويني، والحربي، وأبو علي الهجري وغيرهم .

(٣) هذا ما ذكره ابن منظور في معجمه (اللسان) ، حيث يقول " الأعراض قرى بين الحجاز واليمن، وقولهم استعمل فلان على العروض، وهي مكة والمدينة واليمن وما حولها، قال لبيد : نقاتل ما بين العروض وخثعما . أي ما بين مكة واليمن . انظر: معجم لسان العرب لابن منظور (عرض) . والذاهب في أرجاء بلاد تهامة والسراة يشاهد الكثير من النواحي والجبال والأودية المعترضة في مواقعها، ويطلق على بعض الأمكنة في مناطق جازان، وعسير، والباحة : العارضة، والعرضية، والعارض، والمعترضة، والعروض. وأقول إن بلاد العرضيات المعنية في هذه الصفحات أخذت اسمها من طبيعتها الجغرافية واعتراضها في مواقعها بين نواحي ومناطق تحيط بها من كل جانب . للمزيد انظر، غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٢، ص ٤٠٣-٤٠٤ .

(٤) البلاد التهامية، الواقعة إلى الغرب من جبال السروات، والممتدة من مرتفعات منطقة جازان إلى جنوب مكة المكرمة متشابه في أرضها، ومناخها وتضاريسها، ونباتاتها وحيواناتها، وفي طبيعة سكانها وأصولهم وتاريخهم السياسي والحضاري. حبذا أن ندرس هذه النواحي في عدد من الكتب والبحوث والرسائل العلمية .

(٥) من جبال العرضيات : ثميدة، وربا، وطنب، وحضوضي، وظلمان، وصفا، والطويلة .

في بلاد العرضيات حتى يصبا في البحر الأحمر[١] . وفي ديار العرضيات الكثير من النباتات والأشجار البرية والمزروعة، وهناك حيوانات وطيور برية وأليفة[٢] .

وسكان العرضيات قبائل عربية ماجدة، وهم يلتقون في النسب مع القبائل العربية التي تستوطن محافظة بلقرن . والعشائر الرئيسية في بلاد العرضيات هم : فروع بلقرن في تهامة مثل: بنورزق، وآل سليمان، وعمارة، وبلحارث . وفروع شمرانية عديدة مثل: آل مطاع، وآل الروحاء وغيرهم . وفروع خثعم، مثل: آل كثير، وآل الزارب، وبلعريان، والعوامر، وبنو المنتشر وغيرهم [٣]. وفي رحلة سابقة قمت بها في محافظة بلقرن السروية في (١٥-١٧/١١/١٤٣٧هـ الموافق ١٨-٢٠/أغسطس/٢٠١٦م)، شاهدت التركيبة السكانية في هذه البلاد، وجميع العشائر القاطنة في هذه الناحية هم : بلقرن، وشمران، وعليان، وخثعم، وأثناء السير في مناكب هذه البلاد، والالتقاء بالأعيان والوجهاء، اتضح لي أنهم على صلات نسبية قوية بإخوانهم من عشائر وأسر العرضيات [٤] . وأثناء تجوالي في العرضيات وجدت الشعور نفسه عند أهلها تجاه إخوانهم وقبائلهم من أهل السراة [٥]. ويسكن

---

(١) قنونا ويبه من الأودية الفحول التي تجتاز بلاد العرضيات . وهذان الواديان مذكوران في بعض كتب التراث الإسلامي، وكل واد يستحق أن يفرد له كتاب أو رسالة علمية تفصل طبيعته الجغرافية وتاريخه السياسي، والحضاري . ومن الأودية الصغار التي ترفد واديي يبة وقنونا : وادي الأغرين (الغرين) ، وأودية نخال، وجفن، والجوف، وطلعة، وذرحة، والحفيان، وبيان، والخيطان، ورحمن، والنظر وغيرها .

(٢) الثروات الحيوانية والنباتية في بلاد العرضيات من الموضوعات القيمة والجديدة التي لم تدرس، وإذا كانت هذه الثروات قد أصابها اليوم الكثير من التدهور والانقراض، إلا إنها إلى عهد قريب كانت الموارد الاقتصادية الرئيسية عند أهل البلاد . ونأمل أن نرى باحثين جادين يدرسون ويبحثون هذه الموضوعات في الماضي والحاضر ويوضحون بالمقارنة والبحث والتحليل ما جرى على هذه الميادين من تطور أو تدهور مع ذكر العوامل المؤثرة في ذلك، وما هي الآثار السلبية التي حلت على الأرض والسكان نتيجة تدهور هذه الثروات .

(٣) لم نفصل الحديث عن فخوذ وأسر وفروع هذه العشائر العربية القاطنة منذ قديم الزمان في العرضيات . وتاريخ هذه العشائر جدير بالبحث والدراسة، ونأمل أن نرى من يدرس أصولهم، ومواطنهم القديمة والحديثة، وتاريخهم السياسي والحربي والحضاري عبر أطوار التاريخ الإسلامي المبكر، والوسيط، والحديث، والمعاصر. ونأمل من مؤسسات التعليم العالي والأقسام الأكاديمية في جامعة الباحة وفروع جامعة الملك عبد العزيز في القنفذة أن تفتح مراكز بحوث علمية تهتم بدراسة مثل هذه الموضوعات الجديدة والجديرة بالدراسة

(٤) وأقول إن تاريخ وأنساب والصلات الحضارية بين هذه العشائر في تهامة والسراة من الموضوعات التي لم تدرس إطلاقاً وتستحق أن يفرد لها بحوث ودراسات علمية موثقة .ونأمل من أبنائها الباحثين التهاميين والسرويين أن يعكفوا على دراسة أوضاعها التاريخية والصلات فيما بينهم عبر أطوار التاريخ الإسلامي.

(٥) إن الدارس للأنساب وتاريخ هذه العشائر في السراة وتهامة يجد أنهم من أصل ونسب واحد، حتى وإن تفرعوا وانقسموا إلى فخوذ وقرى عديدة . ووجدت للأسف، من أهل تهامة وبعض أهل السراة من يقول : نحن لا ننتسب لبعض وليس بيننا أي صلات في الدم والنسب، وهذا كلام غير صحيح، لأن من يتتبع نسب كل عشيرة منذ أن نزلت السراة، وخرج بعض أفرادها إلى البوادي وتهامة، ثم يدرس السمات الخَلقية

العرضيات اليوم عناصر عربية أخرى من داخل الجزيرة العربية، أو خارجها، وبعضهم من أهل السراة [١]، جاءوا للعمل أو الوظيفة، وبعضهم يستوطن هذه البلاد منذ سنوات، وعند الانتهاء من وظائفهم، فإنهم يعودون إلى مواطنهم الرئيسية[٢]. وهناك عناصر غير عربية، ومنهم المسلم وغير المسلم، مثل: الهنود، والباكستانيين، والبنجاليين، والفلبينيين، والإندونيسيين، وبعض الأفارقة، وربما قلة قليلة من بعض الدول الغربية، أو كوريا، أو الصين وغيرها، جاءوا للعمل المؤقت في عدد من الوظائف والمهن الأهلية والحرفية والاقتصادية، وهذه العناصر قليلة إذ قارناها ببعض الحواضر والمدن الكبيرة في تهامة مثل: المجاردة، والقنفذة، وصبيا، وجازان وغيرها [٣].

،والصفات والعادات اللهجات، والتاريخ. فسوف يجد أن أصل الجميع في تهامة والسراة واحد، والواجب على الجميع شيوخاً وأفراداً، والعامة والخاصة، أن لا ينظروا من هذا المنظور الضيق، وربما كان لبعض من ينكر ويتبرأ من هذا النسب والصلات أهداف ضيقة . والمشكلة نفسها نجدها عند بعض العشائر الممتدة من درب بني شعبة إلى جنوب مكة، فهناك من يقول بهذا النفي ويدعم إنكاره، والحقيقة البينة أن قبائل السروات من ظهران وقحطان في الجنوب حتى فهم وعدوان في الطائف، هم وإخوانهم من العشائر القاطنة عند سفوح السروات من الغرب من أصل واحد، وجميعهم قبائل جنوبية يمانية قحطانية .

(١) نقصد بأهل السراة : أي من بعض العشائر القرنية أو الشمرانية، أو الخثعمية الذين جاءوا من سروات محافظة بلقرن فامتلكوا أراض ومزارع وعقارات، ومنهم كثيرون يعملون في التجارات وبعض الأعمال الاقتصادية في أوطان العرضيات . هذا ما عرفه الباحث وشاهده في بلدتي ثربيان ونمرة ونواح عديدة قريبة من الطريق العام الذي يخرج من المجاردة عبر العرضيات حتى بلدة المخواة .

(٢) هذه الأجناس عرب من داخل المملكة العربية السعودية يعملون في كثير من الوظائف والمؤسسات الحكومية مثل: الشرطة، والمحافظة، والمحكمة، والدفاع المدني، ومهنة التدريس وغيرها . ومنهم آخرون جاءوا من بلدان عربية مثل: اليمن، ومصر، ولبنان، وشمال إفريقيا، والسودان، والأردن، وجميعهم يعملون في أعمال ومهن حكومية وأهلية، وفي عدد من المهن الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية . وإقامتهم مؤقتة، ويتبعون نظاماً وإدارياً إلى الأفراد والمؤسسات التي جلبتهم للعمل عندها، وأغلبهم من فئة الذكور ومنهم عناصر نسائية قليلة . كما يوجد عناصر أخرى سعودية من أهل العرضيات، وهم في الأساس جاءوا من إفريقيا أو بلدان أخرى عديدة، وأصولهم غير عربية، وبعضهم كانوا رقيقاً، ثم أعتقوا وأصبحوا من أهل البلاد وينتسبون إلى عشائر سادتهم الأوائل، وصاروا جزءاً من النسيج الاجتماعي السعودي في جميع الحقوق والواجبات .

(٣) هذا ما شاهده الباحث في نمرة وثربيان وغيرها من المحلات التجارية على قارعة الطريق الرئيسي الممتدة من المجاردة إلى المخواة، وربما ضعف التطور والتنمية في هذه الناحية كان السبب في قلة العمالة . ما عدا فرع شركة أسمنت المنطقة الجنوبية في تهامة الذي يقع في ثلوث عمارة القرنية بالعرضية الجنوبية، ويبعد من الشارع العام الذي يربط المجاردة بالمخواة حوالي عشرة كيلومترات، ويبعد من مدينة المجاردة حوالي (٥٠-٦٠) كيلومتراً. وهذا المصنع تم افتتاحه في شهر رجب عام (١٤٢٨هـ الموافق شهر يوليو (٢٠٠٧م)، وينتج حوالي (٤,٥٠٠,٠٠٠) طن كلنكر سنوياً، ويعمل فيه أثناء زيارته يوم السبت (١٤٣٨/٤/٩هـ) حوالي (٦٠٠) موظف معظمهم من دول عربية وإسلامية وغير إسلامية . المصدر: مشاهدات الباحث وزيارته للمصنع وتجواله في أجزاء من بلاد عمارة القرنية في (١٤٣٨/١٠/٩هـ).

لم تكن رحلتي الأولى في العرضيات، وإنما اجتزتها مرات عديدة خلال الثلاثين سنة الماضية، وذلك عند ذهابي وإيابي من عسير إلى الحجاز، ومروري من أرضها سريعاً، فلم أدون شيئاً من تاريخها وحضارتها، وأثناء جمع مادة كتابيّ: القول المكتوب في تاريخ الجنوب، الجزء الثاني . وبلاد القنفذة خلال خمسة قرون، ذهبت إلى نواح من العرضيات والتقيت ببعض رجالها، وتجولت في أرجائها ثم دونت شيئاً من تاريخها في رحلتي التي بدأتها من أبها إلى القنفذة يوم الأحد (١٤٣١/١٢/١٥هـ) ، وحصلت على معلومات عن أرضها وسكانها من بعض الرواة أو المدونات التي سجلها بعض أبنائها عنها(١) . وفي هذه المرة سرت في ربوعها لمدة يوم وبضع ساعات، فشاهدت بعض معالمها، وقابلت بعض رجالها، وخرجت في هذه الرحلة ببعض الرؤى والمعلومات التي لم أذكرها في البحوث السابقة، ومما تم جمعه ورصده ما يأتي :

١. تجولت في الجزء الجنوبي من العرضية الجنوبية وبخاصة في بلاد عشيرة عمارة القرنية التي يوجد مصنع الأسمنت في أرضها، ورأيت عدداً من قراها : مثل قرية الويد، وفيها يقع مركز الويد، ويعقد فيها سوق ثلوث (ثلثلاء) عمارة الأسبوعي(٢)، وقرية قرن هذيل شمال قرية الويد، وقرية قرن قريش(٣)، وقرى الأبطاح، وحلفن، والبدلة، والعينة . كل سكان هذه القرى وما حولها من النواحي تراهم يسكنون منازل مسلحة بالأسمنت والحديد، وحولهم بعض الأبنية الحجرية القديمة، وهذه الصفة السائدة في عموم أرض العرضيات. فالقرى القديمة أصبحت مهجورة، وشيد قريباً منها قرى جديدة تتكون منازلها من طابق وطابقين، وبعض المنازل أو العمارات التجارية والأهلية قد تصل إلى أربعة أدوار وأحياناً خمسة . وهذه القرى وماحولها من النواحي أبناؤها يسكنون

(١) للمزيد انظر المادة المدونة عن تلك الرحلة في كتاب : بلاد القنفذة، ص٣٠٣-٣٥٠، وانظر أيضاً تفصيلات في بعض الوثائق، وما دونه الأستاذ عبد الله الرزقي القرني عن طبيعة أرضها وتاريخ سكانها في العصر الحديث . غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب، الجزء الثاني، ص ٣٩٨-٤٣٤ .

(٢) يذكر أن سوق ثلوث عمارة كان يعقد في قرية الثلوث (الثلاثاء) غرب وادي بية شمال قرية السبطة، ثم انتقل أخيراً إلى قرية الويد لوقوعها على الطريق الرئيسي الذي يربط المجاردة بالمخواة .

(٣) لاندري ما سبب تسمية هاتين القريتين باسم هذيل وقريش، والدارج عند أهل هذه البلاد أن تجارة أهل الحجاز كانوا يمرون بهذه الناحية، منذ العهد الجاهلي وعبر عصور الإسلام المختلفة، ومنهم هذيل وقريش الذين كانوا يستريحون في هذه الأمكنة فسميت بأسمائهم . وربما كان بعض الهذليين والقرشيين قد نزحوا من الحجاز واستوطنوا هذه المواضع فعرفت بأسمائهم.

منــازل مسلحة بالأسمنــت والحديد، وحولهم بعض الأبنيــة الحجرية القديمة، وهــذه الصفة السائدة في عموم أرض العرضيات . وهذه القر ى المذكورة أعلاه تــكاد تكون نموذجاً لباقي قرى العرضيات من حيث مواد البناء، ومرافق الأبنية والمنازل في كل قرية، وتتفاوت بعض المنازل في أنحاء العرضيات حسب إمكانات أصحابها وظروفهم الاقتصادية.

٢. واصلــت السير شمالاً حتــى وصلت بلدة ثريبــان، وتجولت في أرجائهــا، والتقيت ببعض رجالها مثل الأستاذ/ عبد الله الرزقي القرني، ثم ذهبت حتى وصلت بلدة نمرة في العرضية الشمالية، وخرجت ببعض الصور التاريخية والحضارية مثل:

أ- يعد الطريق الرئيسي الممتد من مركز الويد إلى نمرة هو الشريان الأساسي لبــلاد العرضيات، ومنــه طرق أخرى مسفلتة تخــرج إلى نواح عديدة شرق وغرب هذا الشريان الحيوي، كما أن هناك أيضاً طرقاً تتفرع منه إلى مدن القنفــذة، والقــوز وسبت الجــارة غربــاً، أو إلى أجزاء من أرضــ السروات مثــل: عقبة شمران، وعقبة سبت العلاية وغيرها . ويوجد على هذا الطريق الرئيسي معظم المحلات التجارية والأهلية والحكومية مثل: بعض المؤسسات الإدارية، والبنوك ومؤسسات أهلية، والأسواق، والدكاكين، والورش الصغيرة والكبيرة [١].

ب- بلدتــا ثريبان ونمــرة[٢]، هما أكــثر المواضع تمدناً، مــع أن المدنية فيهما مازالت متواضعة . وثريبان القرية القديمة التي نشأت حول قلعة البرحة، ومازالت قائمة حتى اليوم . وفي العقود الماضية المتأخرة استحدث مخطط ثريبــان السكني، ويقع إلى الجنوب من البلدة القديمة، ويتكون تقريباً من

(١) إذا قارنا العرضيات مع غيرها من حواضر ومدن تهامة مثل: المخواة، أو المجاردة، أو محائل عسير، فإن هــذه الناحية مازالت متأخــرة كثيراً في التنمية، فلا يوجد فيها أسواق تجاريــة كبيرة ، أو إدارات خدمية كبــيرة، ووجــدت أهل البلاد يتذمرون ويأملــون أن تتطور بلادهم في مجالات عديــدة حتى تصبح مواكبة لغيرها من البلدات والمدن والحواضر المتطور حضارياً وتنموياً في بلاد تهامة والسراة .

(٢) مصطلــح ثريبــان ربما جاء مــن اسم رجل يدعى ثريبان، وقــد يكون هناك سببٌ آخــر لهذا الاسم، ولا نملــك دليــلاً واضحاً يؤكد لنا ذلك . أما نمرة في العرضيــة الشمالية فيوجد قريباً منها مكان يعرف بهذا الاســم فسميت القرية به، ويقال أن هذا الموضــع كان موطناً للنمارة التي مفردها (نمر) . المصدر: هذا ما سمعه الباحث من أهل ثريبان ونمرة . وأقول إن هاتين البلدتين تستحقان دراسات علمية موثقة، ونأمل من الباحثين والمؤرخين فيهما أن يخدموا أرضها وأهلها ببعض البحوث العلمية الرصينة .

(٣٨٠) قطعة بمساحة (٤٠٠م٢) للأرض الواحدة، وقد شيدت معظم هذه الأراضي بعمارات عامة وخاصة حديثة، وتتراوح أدواره من الواحد إلى الأربعة والخمسة أدوار. وهناك طريق مزدوج يخرج من وسط مخطط ثريبان إلى الشارع العام، ويربط المخطط نفسه عدد من الشوارع المسفلتة، وقد سميت بعضها بأسماء أعلام من التاريخ الإسلامي، ويوجد فيه عدد من المؤسسات الحكومية، وعلى مقربة من ثريبان عدد من القرى[١] . ومن ثريبان تسير عقبة مسفلتة إلى شعف سبت العلايا في بلقرن السراة . أما قرية ثريبان القديمة فتتكون من عدة أحياء بالإضافة إلى سوقها الشعبي، وأحياء القرية القديمة هي : حارة السوق، وودن الخبزة، وحي الزحليطه، وحي الخشن، وحي الدرعية، وحي الزهوة، وحي صدر الشامخ، وحي فقاسة، وحي الملح . أما قرية نمرة فهي المقر الرئيسي الحالي للعرضية الشمالية، وكان المركز الإداري في قرية المبنى ببلعريان، ثم انتقل إلى نمرة في تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) . ويوجد في نمرة كثير من المؤسسات الإدارية والأهلية، وهي حديثة مقارنة ببلدة ثريبان[٢] .

ج- يوجد في هذه البلاد العديد من أنواع العمارات مثل: الطرق الداخلية بين القرى، والأحياء الحديثة، وبعض الأبنية الحكومية والأهلية في ثريبان ونمرة وفي المراكز والأمكنة القريبة من الطريق الرئيسي بين المخواة والمجاردة . ومما شاهدت عمارات الجوامع والمساجد، والأسواق، وبعض المواضع السياحية . وقد حصرت حوالي (١٦) جامعاً ومسجداً مثل: جامع أويس القرني بمركز الويد في عمارة، وجامع الجوف بآل سليمان، وجامع عمر بن الخطاب بالنبيعة ببني رزق، وجامع آل حجي بمركز شمران، وجامع الحجرة بنخال آل سليمان، وجامع الأمير أحمد

---

(١) مثل قرى مشرف، وآل طارق، والملحة، والحقو، والمخلفة، ونقمة العبادلة، والبشامة، وبادي، وجميعها تتبع مركز ثريبان الإداري . المصدر : مقابلة مع عبد الله بن حسن الرزقي القرني في ثريبان يوم السبت (١٤٣٨/٤/٩هـ) .

(٢) بلدة ثريبان مذكورة في عدد من المصادر والوثائق والمراجع الحديثة خلال القرون الثلاثة الماضية، أما نمرة فهي حديثة النشأة والبلدتان (ثريبان ونمرة) تعدان الحاضرتان الرئيسيتان في العرضيات، ونشأ قريباً منهما بعض المخططات السكنية والمنشآت العمرانية، لكن المنطقة عموماً مازالت بحاجة إلى تطوير في جميع المجالات التنموية .

بـن عبد العزيز بثريبـان القديمة، وهو قيد الإنشاء علـى نفقة الأمير أحمد، وجامـع الملـك عبد العزيـز، وجامـع المخطـط وكلاهما في مخطـط ثريبان السكنـي، وجامـع نمـرة في سوق نمرة القـديم، وجامعي المخطـط وعبد الله بـن الزبـير في مخطط نمـرة الحديـث وكلاهمـا على نفقـة الملـك فهد بن عبـد العزيـز، وجامعي عبد الله بـن عباس وحذيفـة بن اليمـان في الناحية الجنوبيـة من نمرة، وجامـع الفائج في قرية الفائجة ببنـي بحير، وجامع أبو بكر الصديق في أبيان، وجامع المروة بالعوامر. وجميع هذه الجوامع والمساجد كبـير ة وحديثة ومـزودة بجميـع الخدمات مـن سجاد، ومكـبرات للصوت، وكهربـاء، وماء، ومكيفـات وغيرها[1]. ويقوم على خدمة هـذه المساجد عدد مـن أبناء المنطقة أئمة ومؤذنين وخدمـا، ورأيت في بعض المساجد أفراداً من جنسيات هندية وبنجالية وباكستانيـة وبورمية يقومون على تنظيفها وفتحها وإغلاقهـا، والقيـام أحيانا بـالأذان وإمامة الناس في الصـلاة وبخاصة من عنده علم بالقرآن وعلومه [2].

والأسواق أنـواع: أسواق أسبوعية وهي كثيرة، ومنها الذي اندثر، وأخرى مازالـت قائمة على نطـاق ضيقٍ. ومن الأسواق الشعبيـة القديمة : سوق الأحـد لبني رزق، ولا يعمل حاليا . وسـوق السبت بمركز شمران، تم نقله مـن قريـة الروحاء إلى مكانـه الحالي ومـازال قائماً حتـى الآن . وسوق الجمعة بثريبان، وهم الآن في طور إعادة عمارته، وأسواق الثلاثاء بعمارة، والأربعـاء في بنخـال آل سليمان، وخميس الجوف بـآل سليمان، وخميس بني المنتشر في قرية المعقص، والثلاثاء ببلعريان، والأربعاء في بني بحير،

---

(١) هـذا ما عرفه الباحث وشاهـده وسمعه من بعض رجالات العرضيات، وهذه المساجد جوامع كبيرة، كما شاهـدت أثنـاء سيري في ربوع المنطقة عشرات المساجد والمصليـات الصغيرة في جميع قرى العرضيات، ووقفـت أيضـاً عنـد بعض المساجـد القديمة في بلاد عمـارة وبني رزق القرنيـة، وبني المنتشـر والعوامر الخثعميـة، وبعضهـا مازال عامراً يرتـاده المصلون، وأقـول إن دراسة تاريخ المساجـد والجوامع القديمة والحديثـة في العرضيـات مـن الموضوعـات التي لم تدرس، ونأمل أن نرى مؤرخـاً أو باحثاً جـاداً يوثقها ويدرسها خلال القرنين الماضيين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) .

(٢) للأسـف هذه الظاهرة مشاهدة في عموم أنحاء المملكة العربيـة السعودية والخلل يحدث غالباً من الأئمة والمؤذنـين الرسميين، الذين هـم سعوديون فتراهم لا يواظبون على خدمة مساجدهم التي يأخذون أجوراً عليها، وإنما يكلفون بعض الأشخاص الوافدين مثل الباكستانيين وغيرهم للقيام بأعمالهم ويعطونهم على ذلك مبلغاً زهيداً من المال .

والثلاثاء في بني سهيم، والأحد في العوامر . وجميع هذه الأسواق اندثر بعضها وقل نشاط البعض الآخر، ولها تاريخ عريق خلال القرون الماضية، وقد حصلت على بعض الوثائق لعدد من هذه الأسواق، ووجدت تاريخ تلك الوثائق خلال القرنين (١٣ـ١٤هـ/١٩ـ٢٠م)، ويوجد فيها العديد من البنود التي توضح أسماء العشائر أو الأسر التي تشرف على سير تلك الأسواق، وبعض الأنظمة والقوانين التي تضبط الأمن وتحافظ على سمعة السوق [١]. أما الأسواق اليومية فتوجد في جميع أنحاء المنطقة، ومعظمها بقالات وأسواق صغيرة يوجد فيها الكثير من السلع الضرورية، ولا تخلو بلدة أو قرية من هذه الأسواق، ومعظمها على جانبي الطريق العام وبخاصة في بلدتي نمرة وثريبان وما حولهما . كما يوجد بعض الأسواق الكبيرة نوعاً ما، ومثل: سوق (مول) الحازمي، ومجمع الأسر المنتجة في العرضية الشمالية، ومجمعات العثمان وديم في العرضية الجنوبية .كما أنشأت البلديات مركزين للفواكه والخضروات وسلع وأغذية أخرى في نمرة وثريبان، ومعظم العاملين فيها من السعوديين[٢].

نجد بلاد العرضيات ذات مناظر حسنة، ولم أشاهد أمكنة سياحية مخدومة من قبل البلديات، ومن أماكن السياحة الطبيعية وادي قنونا ويبة وفروعهما، فهناك مواقع عديد ة في هذه الأمكنة تمتاز بجودة غطائها النباتي، وتضاريسها المتنوعة، ومما شاهت وادي نعمة أحد فروع وادي يبة، ووادي النظر شرق ثريبان على طريق عقبة بلقرن، والعضد في شعب بلحارث، ونضدن بجبل ثربان، ووادي الحفياء ببلاد بني المنتشر في شعب

---

(١) عدد من هذه الوثائق توجد في مكتبنا، ونسعى إلى إصدار دراسة وافية عن الأسواق الأسبوعية في تهامة والسراة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، وسوف يصدر بعض من وثائق أسواق العرضيات في هذه الدراسة . كما نأمل أن نرى باحثاً جاداً من أهل العرضيات يكتب عن تاريخ أسواقهم الأسبوعية خلال القرنين الهجريين الماضيين، ونحن على استعداد أن نتعاون معه ونزوده ببعض المصادر والوثائق التي تصب في خدمة هذا الموضوع .

(٢) الأعمال التجارية والحرف والصناعات من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس وتستحق أن تكون عناوين رسالة أو كتاب، مع دراسة الأيدي العاملة في هذه الأعمال . ويوجد في بلاد العرضيات كثير من هذه الأعمال، لكنها أقل مما رأيناه في المجاردة أو المخواة أو القنفذة . والعرضيات مازالت تعاني من قصور في الأسواق الكبيرة، وفي اعتقادي لو فتحت طرق واسعة تربط القنفذة والمجاردة وغيرها بهذه البلاد، فإن التجار الكبار والمستثمرين سوف يأتون إلى هذه البلاد للتجارة والاستثمار .

أم سالم، والبعيرين في بلاد بني سهيم، وأودية قنونا، والعشر، والنظر[١].

د - وإذا بحثنا عن مهن الرعي والصيد والزراعة لا نجد لها نشاطاً ملحوظاً، وذلك لأسباب عديدة، مثل: هجرة الناس وبخاصة الشباب من بلادهم إلى المدن الكبيرة بحثاً عن الوظيفة، ومصادر أفضل مما يجنونه من مهنتي الزراعة والرعي، كما أن معظم أفراد المجتمع تخلوا عن ممارسة أعمال الرعي والزراعة، وإن كان هناك من يمارسها، فهم قليلون، وغالباً يستعينون ببعض العمال الوافدين. كما أن حياة المدنية جعلت جميع طبقات المجتمع يركنون إلى الراحة والاسترخاء والبعد عن هذه الحرف التي تحتاج إلى جهود ومواظبة كبيرة ومستمرة[٢].

هـ - نجد بلاد العرضيات حظيت بشيء من التعليم والثقافة[٣]،ففي العهد القريب، أي خلال العقود الستة الأولى من القرن (١٤هـ/٢٠م) ويذكر أنه تتواجد فيها عدد من المعلمين والمتعلمين والكتاب والمساجد التي تقوم

---

(١) هذه بعض الأمكنة السياحية الطبيعية التي شاهدتها أو سمعت عنها، ويوجد بين ثريبان ونمرة بعض الأمكنة السياحية التي أقامت فيها البلديات مظلات، لكنها خالية من أي خدمة، وإنما هي أشكال عارية لافائدة منها، وأقول إن بلديات مهملة ومقصرة بشكل كبير، فلم تستغل لبعض الأمكنة الطبيعية الجميلة وتخدمها سياحياً، كما أن الحدائق والمتنزهات التي هي من واجب البلديات غير موجودة، وإن كان هناك بعض الحدائق الصغيرة، لكنها لا تفي بالغرض. المصدر: مشاهدات البحث يوم السبت وصباح الأحد (٩-١٠/٤/١٤٣٨هـ).

(٢) تاريخ الصيد والرعي والزراعة في العرضيات من العناوين الجديدة التي لم تدرس، وتستحق أن تكون موضوعات لرسالة ماجستير أو دكتوراه، أو كتب علمية. وكذلك المهن والحرف والصناعات التقليدية تستحق أيضاً البحث والدراسة، ونأمل أن نرى باحثين جادين من بلاد العرضيات فيدرسون هذا الموروث التاريخي والحضاري، وهذا من الواجب على كل صاحب فكر وقلم قادر على أن يخدم أهله وبلاده.

(٣) إذا حاولنا معرفة التاريخ الثقافي والتعليمي في العرضيات خلال عصور الإسلام المبكرة والوسيطة والحديثة فإننا نجد صعوبة كبيرة، لأننا لا نملك المصادر الموثوقة التي تبين لنا ذلك. ولكن ما من شك أن هذه البلاد، مثلها مثل غيرها من بلدان تهامة والسراة، فأهلها مسلمون على مذهب أهل السنة والجماعة، وإن كانت أرضهم وعرة ومعزولة، لكنهم كانوا على صلات جيدة بأرض الحرمين في تجاراتهم وحجهم، ثم إن رحلة القرشيين التجارية إلى اليمن كانت تمر قريباً من بلادهم في الجاهلية وصدر الإسلام، ودعوة الإسلام وصلت إليهم مبكراً، وعاشوا حياة إسلامية في تعاملاتهم العامة والخاصة، ولابد أن يكون بينهم من يفقههم في أمور دينهم ويقضي حوائجهم في مواريثهم، وأنكحتهم، وصلواتهم وصومهم وكل ما يتعلق بأوضاعهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية. وهذا ما عرفه التهاميون والسرويون منذ فجر الإسلام إلى عصرنا الحديث، وللأسف إن عموم أرض السراة وتهامة سادها الجهل والعزلة في القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة، وهذا مما أثر على ضياع تاريخها وحضارتها، مع أنها بلاد مأهولة بالسكان والنشاط الحضاري منذ عصر التاريخ القديم.

على تدريس الناس وتفقيههم في أمور دينهم [١]. وقد بدأ التعليم النظامي في العرضيات في نهاية الستينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، حيث افتتحت مدرسة ثريبان (العرضية سابقاً) في عام (١٣٦٧هـ /١٩٤٧م)، ثم مدرسة الفائجة سنة (١٣٦٩هـ/١٩٤٩م)، وتزايدت مدارس البنين والبنات حتى أصبح عددها اليوم (١٨٦) مدرسة لجميع مراحل التعليم العام، و(١٢) روضة، ويدرس في هذه المدارس والرياض حوالي(١٣٣٠٠) طالباً وطالبة، ويشرف عليها مكتبان للتعليم في بلدتي نمرة وثريبان، ويتبع هذين المكتبين والمدارس التابعة لها إدارة التعليم في القنفذة[٢]. وتفتقد هذه الناحية إلى مؤسسات التعليم العالي فلا يوجد فيها كليات أو أقسام علمية جامعية، وليس فيها أي تعليم فني أو تدريب مهني، كما أنها خالية من

---

(١) وجدت في بعض وثائق الدولة العثمانية، وعصر الإدريسي، وبدايات الدولة السعودية الحديثة، وسمعت من بعض الرواة وأبناء العرضيات ذكر أسماء عدد من المساجد القديمة في العرضيات التي كانت تقدم فيها بعض الدروس العلمية والدينية، الموجودة في عدد من القرى مثل مساجد : الجعافر، والفائجة، والمبنى، والمعقص، والمروة، وآل حذيفة، والسر، وآل يعلى وغيرها . وذكر عدد من الكتاب والمعلمين الذين كانوا يمارسون مهنة التعليم في العرضيات حتى سبعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، ومن تلك الكتاتيب، كتاب: أحمد بن عبد الله بن وهاس في بني رزق، وكتاب محمد بن أحمد الشيبان في بادية بني عمارة، وكتاب علي محسن اليماني في بني سهيم، وكتاب عبد الإله بن أحمد اليماني في قرية الفائجة ببني بحير، وكتاب علي عبادل الحذيفي في قرية القرن ببني سهيم، وكتاب محمد بن إبراهيم الحذيفي في قرية واسعة ببني سهيم . ومن المعلمين والمتعلمين في العقود الأولى من القرن (١٤هـ/٢٠م) : عبد الخالق بن حنش الرزقي، وسعد وأحمد أبناء عون السيد، وحسن ومحمد أبناء أحمد الضحوي، وعلي بن حنش بن عبد الله الرزقي . كما اطلعت على بعض الصكوك الشرعية والوثائق المحلية الخاصة ببلاد العرضيات فوجدت فيها أسماء وتوقيعات شيوخ وقضاة، ورأيت بعض الوثائق الخاصة ببعض المؤسسات الإدارية في القنفذة وبيشة وأبها وفيها مر فيها ذكر لبعض الأمكنة والبلدات في العرضيات، وبعض هذه الوثائق عليها أسماء قضاة أو رجال حكمة وعلم صادقوا عليها. والأستاذ محسن بن علي بن سالم آل محسن السهيمي، من مواليد العرضية الشمالية، ومن الشعراء والأدباء الحاليين في العرضيات زودني بمذكرة عن الحركة العلمية في العرضيات، ومعظم مادة تلك الصفحات منقولة من بعض المقالات المنشورة في بعض الصحف المحلية . ويوجد نسخة من هذه المذكرة ضمن أوراق مكتبتنا . وأقول إن التاريخ العلمي والتعليمي والثقافي والفكري في العرضيات من الموضوعات التي لم تدرس، ونأمل أن نرى أحد المؤرخين والباحثين الجادين من أرض العرضيات، أو من بلاد تهامة والسراة، أو من جنوبي البلاد السعودية يدرسه دراسة علمية توثيقية في هيئة كتاب أو رسالة علمية أكاديمية . وحسب علمي أن في بلاد العرضيات بعض الأكاديميين الذين يعملون في جامعاتنا المحلية، وعليهم واجب كبير تجاه أهلهم وبلادهم في دراسة موروثها الحضاري، وهذا من باب رد الجميل والوفاء للأهل والأوطان .

(٢) بلاد القنفذة وعموم منطقة تهامة الممتدة من جنوب مكة المكرمة حتى البرك ومحائل عسير، والمجاردة، وبارق، والعرضيات، والمخواة وقلوة فقيرة في ميادين البحوث العلمية التاريخية والأثرية والحضارية . والتعليم والفكر والثقافة من المجالات المهمة والجديرة بالدراسة، ونأمل من أبناء هذه المناطق أن يخدموا بلادهم علمياً وبحثياً وثقافياً، مع الحرص على أن تكون أعمالهم ودراساتهم حيادية ومنصفة، وأن لا يتعصبوا لمكان دون آخر، وأن يكون الهدف السامي هو البحث عن الصدق والحقيقة في كل ما يدرس ويدون .

أي مدارس ورياض أهلية، والقصور في هذه الجوانب واضح، مع أن المنطقة مأهولة بالقرى والسكان، وبعض الخدمات السابق ذكرها في ميدان التعليم نجدها متوفرة في بارق والمجاردة، وفي القنفذة، وفي المخواة وقلوة[١].

ويورد الأستاذ محسن السهيمي[٢]. نبذة مختصرة عن الحياة الثقافية في العرضيات، ويذكر أنها مرت بأربع مراحل : الأولى من صدر الإسلام، وركز على دور سوق حباشة الذي يقال إنه في بلاد العرضية الجنوبية. والثانية : ماذكره بعض الرحالة المسلمين وغير المسلمين عن أجزاء من العرضيات في القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) .والثالثة : بداية التعليم النظامي في هذه البلاد في النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) واستدل بروايتي جمال ناجي (الطريق إلى بلحارث)، وإبراهيم نصر الله (براري الحُمَّى) . والمرحلة الرابعة والأخيرة : منذ بداية القرن (١٥هـ/٢٠م) وأشار إلى وصول بعض الصحف ووسائل الإعلام إلى العرضيات، وهجرة بعض أبنائها للوظيفة والتدرج في سلم العلم والمعرفة، ثم إنشاء اللجنة الثقافية في القنفذة، واللجنة الثقافية في العرضيات، وما نتج عن هاتين اللجنتين من حراك ثقافي ومعرفي، وأخيراً سرد أسماء عدد من الأساتذة والأدباء والمعلمين والمثقفين الذين برزوا في الساحة الثقافية والأدبية والعلمية، وجميعهم من سكان العرضيات [٣].

وأقول إن ما ذكره السهيمي وبخاصة في المرحلتين الأولى والثانية لا يعكس أي صورة من صور التعليم والثقافة . لأن موقع سوق حباشة مازال مختلفاً عليه،

---

(١) من خلال جولاتي في بلدان تهامة والسراة خلال الثلاثين عاماً الماضية، ومعاصرة التطور والتنمية التي تمر بها المملكة العربية السعودية، فإنني وجدت بعض النواحي في مناطق عسير، وجازان، والباحة، والقنفذة وجنوبي الطائف ومكة المكرمة، ورنية وتربة والخرمة وغيرها لم تنل حقه من الرعاية والتطوير في الميادين الخدماتية . وبلاد العرضيات من البلدان المنسية، إن صح التعبير، في خدماتها السياحية، والتعليمية، والصحية، والثقافية، ونأمل أن نراها في وضع تنموي أفضل خلال السنوات القليلة القادمة.

(٢) هو محسن بن علي بن سالم السهيمي، من مواليد قرية شاظي ببني سهيم في العرضية الشمالية، يحمل درجة الماجستير في مناهج وطرق تدريس اللغة العربية من كلية التربية بجامعة أم القرى، ويعمل في مهنة التعليم لمادة اللغة العربية والموهوبين من عام (١٤١٠هـ/١٩٩٠م) حتى الآن، عضو في عدد من اللجان المحلية، وحاليا هو رئيس اللجنة الثقافية بالعرضيات والتابعة لنادي جدة الأدبي،وهوشاعر وله ديوان مطبوع بعنوان (وجه الصباح) ،صدر عن نادي الطائف الأدبي (١٤٣١هـ/٢٠١٠م) ،وله كتاب آخر بعنوان: في أزمات الوعي... إشكالات فكرية وثقافية واجتماعية. (بيروت: دار الانتشار العربي، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م) .

(٣) مذكرة في سبع صفحات من تدوين محسن علي السهيمي، رئيس اللجنة الثقافية في العرضيات، بتاريخ (١٤٣٨/٤/٥هـ). وصورة منها توجد ضمن أوراق مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية .

فهناك من يقول إنه في وادي قنونا، وآخرون يدعون أنه في بارق، وفريق ثالث يذكر أنه في حلي، ولا نجد أي معلومات دقيقة عن موقع هذا السوق الصحيح، وعن النشاطات الثقافية والتجارية والاجتماعية التي كانت تقام فيه في الجاهلية وصدر الإسلام. ومنذ تدميره في نهاية القرن (٢هـ/٨م) حتى القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي)، لا نجد أي شيء عن تاريخ وحضارة وفكر وثقافة هذه البلاد. وفي المرحلة الثانية إذا كان ورد بعض الشذرات التاريخية عن العرضيات عند بعض الرحالة فذلك أيضاً لا يفيد، ولا نجد فيه أي حراك علمي وثقافي. أما المرحلة الثالثة فلا تعكس هاتان الروايتان المشار إليهما أعلاه أي نشاط ثقافي وعلمي وفكري متقدم لأهل البلاد حتى وإن فتحت المدارس النظامية، مع أن هذه المرحلة مهمة جداً لأهل المنطقة فقد وصل إليها بعض الأساتذة المتعاقدين الجيدين مثل جمال ناجي، وإبراهيم نصر الله وغيرهما كثيرون، وهؤلاء بدون شك كانوا يحملون فكراً وعلماً وثقافة، وإن كانت المنطقة وأهلها آنذاك يعانون من الجهل والفقر والتخلف العلمي والثقافي، إلا أن هؤلاء المعلمين كان لهم فكر وثقافة فتأثروا وأثروا في إيجاد حراك ونشاطات ثقافية وفكرية وتعليمية، وهذه الحقبة الممتدة من نهاية الستينيات في القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى نهاية العقد الأول من القرن (١٥هـ/٢٠م)، وتلك مؤشرات إيجابية تعود على بلاد وسكان العرضيات بالنفع العام في ميدان التنمية والحضارة[١].

وخلاصة القول : فإن بلاد العرضيات واسعة الأرجاء، متعددة القرى، وهي ذات كثافة سكانية جيدة، ومن خلال جولتي في أرجائها خرجت ببعض النتائج والتوصيات التي أسردها في النقاط الآتية:

١. تقع هذه البلاد على واديين فحلين (قنونا ويبة) . وهذان الواديان لهما تاريخ عريق، وتوجد على ضفافهما الأراضي الزراعية الغنية بتربتها ونباتاتها، إلا أننا نراها اليوم هجرت، بل جرى الاعتداء على الغطاء النباتي في هذين الواديين بالتجريف، وقطع أشجارها، والمتاجرة في رمالهما، والواجب على المؤسسات الحكومية المعنية، وعلى أعيان ووجهاء وحكماء القبائل أن يتعاونوا في الحفاظ

---

(١) وأقول إن تاريخ التطور والتنمية في العرضيات خلال الأربعين سنة الماضية من الموضوعات الجيدة التي تستحق البحث والدراسة، مع ذكر العقبات، وما عانته هذه البلاد وما زالت تعانيه من نقص حضاري في الجانبين المادي والمعنوي.

علـى بيئة هذين الواديين النباتية والحيوانية والمائية، وإن فعلوا ذلك فإن نتائج ذلك سوف تكون نافعة وإيجابية على جميع أرض العرضيات وسكانها .

٢. كما أشرنا سابقاً، الواجب على صناع القرار في هذه البلاد، والجهات الرسمية الحكوميـة والأهلية، والتجار المستثمريـن أن يقوموا على خدمة هذه الناحية سياحيـا وتعليميا وصحيا. فهناك الكثير مـن الأمكنة الطبيعية الجميلة التي تستحـق أن تخدم من قبل الهيئة العليا للسياحة ووزارتي الزراعة والبلديات، وكون هذه المحافظة تتبع إداريا لإمارة مكة المكرمة، فإن الإمارة نفسها عليها مسؤولية عظيمة في الالتفات لهذه البلاد وتنميتها سياحيا، وتعليميا، وللأسف إنني لم أجد فيها أي قسم أو كلية جامعية، ولا يوجد فيها أي مدرسة أو معهد فنـي أو أهلي، وربما يكون القصور في أهلها فهـم لم يطالبوا بهذه الخدمات المهمـة والضرورية، وإن كان هناك من يطالب فلابد أن تتضافر الجهود بين أهـل البلاد ليوصلوا أصواتهم إلى الجهات العليـا في الدولة، وإن فعلوا ذلك فلن يعودوا مخذولـين، وسوف يحصلون على ما يسعون إلى تحقيقه. وكذلك الخدمـات الصحية فهي الأخرى ضعيفـة، وإن وجد مستشفيان حكوميان في العرضيتـين، فـإن خدماتهما فقط لاتزيـد عن (٥٠) سريـرا والواجب على وزارة الصحة أن تضاعف طاقة هذين المستشفيين.

٣. شبكـة الطـرق البرية مازالت محـدودة، نعم هناك طـرق ضيقة وصغيرة وقديمـة تربـط بين القـرى، أو بين العرضيـات وما جاورها مـن البلدان، والـذي يجـب علـى وزارة المواصـلات أن تضاعف الجهد فتوسـع الطريق الرئيسـي الذي يسير من المجاردة إلى المخواة عبر العرضيات حتى يصبح مزدوجا، وهذه ضرورة ملحة، فهذا الطريق لا يخدم أهل العرضيات فقط، وإنما يخدم جميع المسافرين الذين يسيرون بين مناطق عسير والباحة ومكة المكرمـة . والواجب على إمارة مكة المكرمـة أن تبذل جهودا كبيرة مع وزارة المواصـلات حتى يتم إصلاح وتوسيع هـذه الشريان الرئيسي الهام . وإن تم ذلك فإن كثيرا من الخدمات الأخرى سوف يسهل تنفيذها .

٤. إن أعيـان البلاد ووجهاءها ورموزها ومثقفيها، والمقيمين في العرضيات أو خارجهـا عليهـم جميعاً بذل الجهـود في الارتقاء بفئات الشبـاب (ذكورا وإناثا) تعليميا وثقافيا، وأن لا يركنوا إلى الراحة، أو التجاهل، أو التغاضي، أو اللامبالاة، فعليهم مسؤولية كبيرة تجاه بلادهم وأهليهم، لأنهم يملكون

مـن النفوذ والقـوة واتسـاع العلاقات والسمعـة ما يجعلهـم قادرين على إيصـال أصواتهم إلى صنـاع القرار في الدولة، ومن يستطيع أن يساهم في ميادين التطور والتنمية في ديار العرضيات[١].

٥. لا تخلـو بلاد العرضيات مـن العنصريـات والتعصبات القبليـة العقيمة، وللأسف إن البعض تراه يتعصب لقريته أو ناحيته، ويغمط حقوق الآخرين، وهذه المشكلة وجدتها عند كثير من سكان تهامة والسراة، وهذه وأيم الله لا تساعد على التقـدم والتطور الحضاري الحيادي والمنصف، ونحن معاشر المثقفين ورجـالات البلاد وأعيانها علينا مسؤوليات كبيرة في خدمة بلادنا علـى منهج كتاب ربنا وسنة نبينا، محمـد رسول الله (ﷺ)، وأن نحرص ونبـذل الجهود على أن نكـون إخوة متحابين فنخدم ديننـا وأرضنا وأهلنا دون أن نتعصب لإنسان دون آخر أو ناحية دون أخرى.

٦. تفتقـر بـلاد العرضيـات إلى المكتبـات العامـة، وإلى المتاحـف التاريخية والتراثيـة، وإلى الديوانيـات والمجالـس والمنتديـات العلميـة والثقافيـة والحضاريـة . ولو قلنـا إنه لا يوجد فيها مثقفون وأدباء وأرباب قلم، فذلك كلام غـير صحيـح، وإنما فيها من أبنائها من يحمـل درجات علمية عالية في شتـى العلوم، وفيها وجهاء، وأثرياء، وعقلاء، وحكماء، لكنني لم أر لهم أي مشاركة أو إسهامات عامة تعود على الأرض والأهل بالفائدة والنماء .

٣ـ المخواة وقلوة :

خرجـت مـن العرضيـة الشمالية حـوالي السـاعـة العاشرة صبـاح الأحد (١٠/٤/١٤٣٨هـ)، وقضيت بقيـة ذلك اليوم ويوم الإثنـين (١١/٤/١٤٣٨هـ) في محافظتـي المخـواة وقلوة التابعتين لإمـارة منطقة الباحة[٢]. وكانـت المسافة بين طرف

(١) مـن خـلال تجربتـي الطويلـة وسيرى في بلـدان تهامـة والسـراة منـذ بدايـة تسعينيـات القـرن (١٥هـ/٢٠م)، ومقابلتـي بعض الوجهـاء أو عليـه المجتمـع في المـدن والحواضـر الكبـيرة في المملكـة . وعنـد سـؤال بعضهـم عـن أوطانهـم ومساقـط رؤوسهـم تراهم غـير مكترثين، بـل بعضهم يقولـون إنهـم لا يعرفـون عنهـا شيئـاً وقـد خرجـوا منها قبـل أربعـين أو خمسـين سنـة، ولا يهمهم ولا كيف تكون حياة الناس فيها . وليس عندهم أي استعداد أن يساهموا بأي شيء في تطويرها وتنميتها .

(٢) في الماضـي قمت برحلة ميدانية في منطقـة الباحة لمدة عشرة أيـام في (٢٩/١١ـ٩/١٢/١٤٣٣هـ الموافق ١٥ـ٢٥/١٠/٢٠١٢م)، وزرت مناطـق عديـدة في تهامـة وسروات هـذه البلاد، ومن النواحـي التي زرتها حاضرتـي المخـواة وقلوة وبعض الأجزاء التابعـة لها تبين المحافظتين، وللمزيد انظر، غيثان بن جريس . القـول المكتوب في تاريخ الجنـوب (الباحة وعسير) (الرياض: مطابـع الحميضي، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م)

العرضيات الشمالي ومدينة المخواة حوالي (٢٠ـ٢٥) كيلومتر، وأثناء سيري في تلك الطريق، ذات السير الواحد، ما عدا كيلوات محدودة في الجزء القريب من حاضرة المخواة، وهناك بعض القرى الصغيرة والقريبة من هذه الطريق، كما لا تخلو تلك الطريق من محطات للوقود ومحلات تجارية صغيرة، وبناشر وإصلاح عجلات للسيارات وبعض الخدمات الأخرى المحدودة. وعند وصول مثلث المخواة القنفذة تظهر لوحة إرشادية عليها سهم نحو اليمين ويذكر تحته أسماء (المخواة، وقلوة، وقرية ذات عين، ثم الباحة). وسهم آخر نحو اليسار ويذكر تحته (المظيلف والقنفذة) الواقعة على الطريق الدولي الذي يخرج من اليمين إلى مكة وجدة. ويقابل مثلث المخواة من الشمال جبل أجرد متوسط الارتفاع، اتجهت نحو اليمين ذاهباً إلى حاضرتي المخواة وقلوة [١].

أ ـ المخواة:

المخواة اسم لمحافظة واسعة الأرجاء في تهامة منطقة الباحة، وتعد من المحافظات الرئيسية بعد محافظتي بلجرشي والمندق في السراة [٢]. ويذكر أن المخواة سميت بهذا الاسم، وسميت أيضاً بـ (رزقة) و (الصيادة) [٣]، والمخواة هو الاسم الذي اشتهرت به منذ مئات السنين [٤].

(الجزء الخامس)، ص١٥٩ـ ٢٦٤. ومحافظتا المخواة وقلوة لم تخدما بحثياً، ويوجد في منطقة الباحة عشرات الباحثين والدراسين وبعض المؤرخين إلا أنهم لم يخدموا بلادهم في ميدان الدراسة والبحوث التاريخية والحضارية والعلمية، وبلاد قلوة والمخواة من أكثر النواحي المنسية في ميدان الدراسات، ونأمل من جامعة الباحة أن تدعم وتشجع من يدرس أرض وسكان هذه الأوطان وغيرها من بلدان منطقة الباحة، وهذا أمر ضروري وواجب على الجامعة.

(١) المصدر: مشاهدات الباحث. في الساعات الأولى من يوم الأحد (١٠/٤/١٤٣٧هـ).

(٢) للمزيد انظر تفصيلات عن منطقة الباحة في كتابنا: القول المكتوب في تاريخ الجنوب. الأجزاء (الخامس، والسابع، والثامن، والعاشر، والثاني عشر).

(٣) يذكر أنها سميت المخواة لأن أهل وادي ضيان وراش في بلدة المخواة تصاحبوا و(تخاووا) فسميت بهذا الاسم. أما رزقة: فهي ذات موقع استراتيجي لأنها تتوسط عدداً من النواحي، والرزق والخير فيها كثيراً، ومن يقصدها فإنه يسترزق من تجاراتها وخيراتها. واسم (صيادة)، إذا كان إنسان له غريم أو ثأر عند أحد أقاربه فإنه يذهب إلى المخواة كي يصيد غريمه، ويأخذ من ثأره. وتعرف أيضاً باسم (السر)، لأنها مثل السر وسط الإنسان وذلك لتوسطها بين القرى والأودية. المصدر: هذا ما سمعه الباحث من بعض أعيان المخواة في ليلة الأحد (١٠/٤/١٤٣٨هـ).

(٤) سوف يكون لنا حديث عن تاريخها وذكرها في بعض المصادر والوثائق في نهاية هذا القسم. ونأمل من إحدى بناتنا أو أحد أبنائنا في أقسام التاريخ بالجامعات السعودية، والدارسين في برامج الدراسات العليا، أن يدرس تاريخ حاضرة المخواة السياسي والحضاري خلال القرون الثلاثة الماضية، وهو موضوع جديد ويستحق البحث والدراسة.

وعند ذهابي من المثلث تجاه مدينة المخواة سرت في طريق مزدوج، وشاهدت عليه العديد من المؤسسات الحكومية مثل : المستشفى العام، وإدارة الضمان الاجتماعي، والإدارة النسائية التابعة لإدارة تعليم المخواة، وبعد عدة كيلومترات وجدت سوق الثلاثاء الشعبي بالمخواة، وفيه عدد من السيارات الكبيرة والصغيرة التي تبيع بعض الحبوب والأعلاف، وذكر لي بعض التجار الذين قابلتهم في السوق أنه ينشط من عصر يوم الإثنين ويشتد نشاطه إلى مغرب يوم الثلاثاء. ويوجد في أطراف السوق بعض (الهناجر) الحديدية التي يستخدمها الباعة أثناء عرض بضائعهم، كما يوجد على محيطه بعض الدكاكين المسلحة التي تعرض فيها تجارات عديدة خلال أيام الأسبوع . وواصلت سيري إلى وسط مدينة المخواة الحديثة فوجدتها تعج بالدكاكين التجارية المتنوعة في معروضاتها، والعاملون في هذه المحلات من العمال الوافدين وأغلبهم من اليمن وبلاد الشرق مثل: الهند، والباكستان، وبنجلاديش، وهناك عدد من المطاعم (والبوفيهات)، وفيها عدد من السعوديين والعمال الوافدين الذين يتناولون بعض الأطعمة والأشربة . والملاحظ أن بعض السعوديين يجلسون مع بعض العمال، وجلست قريباً من بعضهم لتناول بعض المشروبات، فوجدتهم يتفاوضون ويتناقشون في بعض الأعمال التجارية والحرف المهنية[1] . وقضيت ساعات عديدة أتجول في أرجاء المدينة، والتقيت ببعض الإخوان الذين قاموا بالسير معي إلى ربوع هذه الحاضرة، ثم ذهب معي بعضهم إلى حاضرة قلوة التي تبعد عن المخواة (٣٥) كيلومتراً نحو الشمال، ثم العودة في مساء الأحد إلى المخواة[2] . ومما سمعته وشاهدته في المخواة ما يأتي :

١. تقع مدينة المخواة على ضفاف وادي ضيان وراش، ومناخها حار في الصيف معتدل في الشتاء، وتتنوع تضاريسها بين الجبال والهضاب والأودية. ومن أهم جبالها شدا الأعلى وشدا الأسفل[3]، وجبل شُعران في الناحية الشرقية، وجبل

---

(١) يكثر العمال الوافدون في كل مكان من البلدان التي مررت عليها في هذه الرحلة من بارق والمجاردة إلى المخواة، إلا أنني شاهدتهم بكثرة في كل من المخواة والمجاردة، وتراهم يتولون جميع الأنشطة التجارية والحرفية في أسواق هذه المدينة. وهذه ظاهرة تراها في جميع مدن وحواضر المملكة العربية السعودية . وأقول إنهم يربحون ويجنون أموالا كثيرة من هذه الأعمال، والأولى أن يعمل الشباب الوطني في هذه المهن الجيدة، وللأسف نسمع عن البطالة العالية بينهم، وهناك فرص عمل مربحة لكنهم لا يرغبون العمل فيها .

(٢) هناك عدد من الإخوان الكرام الذين استقبلوني في المخواة وساروا معي في أرجائها، ثم ذهبوا معي إلى مدينة قلوة، وهم: الدكتور عبد الرحمن الشعشاع، والأساتذة موسى بن داود العُمري، وعبد العزيز محمد العُمري، وعبد الرحمن حمياني، وعلي محمد عبد الهادي . وقابلنا في قلوة الأستاذ علي بن أحمد الهيمطي . فلهم مني جزيل الشكر والتقدير وأسأل الله أن لا يحرمهم أجر ما فعلوا وقدموا .

(٣) انظر تفصيلات عن هذين الجبلين في صفحات تالية من هذا القسم .

الجـرف الذي تقع عليه بلدة المخواة القديمــة، وجبل القيد في الشمال الشرقي من المدينة، وجبل نبايع في الجنوب الشرقي[١] . ومن الأودية : وادي راش الذي يمتـد من أعالي عقبة الباحة نحو الجنــوب، ووادي ضيان يمتد من الشرق إلى الغــرب، وتأتــي منابعه من بلاد حزنــة في سروات غامــد، ووادي بطاط ويمتد مــن الجنوب الشرقي نحــو الشمال، ووادي سقامة بين المخــواة وقلوة، وهو إلى المخــواة أقرب، وأودية : ممنا، ومنجــل، وهوران، ومليل، والملح . وبعض الأودية السابقــة مثل: راش، وضيان وغيرهما تلتقي جنوب المخواة عند قرية المشايعة، ومن هناك يبدأ وادي الأحسبة الذي يصب في البحر شمال القنفذة[٢] .

٢. يستوطن حاضرة المخواة عشائر بني عُمر بفرعيها الرئيسين العلي والأشاعيب[٣]، وهم سكانها منذ عصور قديمة[٤]، وفي العقود الماضية المتأخرة تغيرت التركيبة السكانيــة في هذه الناحية فاستوطنتهــا عناصر عربية أخرى من غامد وزهران وبعضــ العشائر في بلاد تهامة والسراة، وهناك أفــراد وأسر جاءت للعمل فيها مــن بعض بلــدان المملكة العربية السعودية، أو من دول عربية أخرى . كما يعيش في هذه الحاضرة اليوم أعداد غير قليلة من بلدان إسلامية وغير إسلامية مثل: الأتراك، والهنود، والباكستانيون، والبنجاليون وغيرهم [٥] .

٣. تتمتع مدينة المخواة اليوم بالكثير من الخدمات الحديثة، فجميع أبنيتها العامة والخاصــة السكنية والتجارية مسلحة بالحديد والبلــك، وتتراوح عمائرها من

---

(١) يوجـد في حاضـرة المخواة عدد من الجبال التـي تستحق أن يفرد لها دراسة مستقلـة تفصل تضاريسها، ومواقعها وما يوجد فيها من النباتات والطيور والزواحف وغيرها .

(٢) لم تدرس هذه البلاد جغرافياً وتاريخياً واجتماعياً واقتصادياً وآثارياً، ونأمل من جامعة الباحة أن تؤسس مراكز بحثية تهتم بهذه الأوطان في شتى الميادين، وهي فعلاً تستحق أن يصدر عنها عدد من البحوث العلمية الموثقة .

(٣) يقـول بعضـ الرواة إن سـكان بلدة المخواة قديماً من بنـي عُمر آل علي، وفرع الأشاعيـب هم الأكثرية في بنـي عمر ويستوطنون أماكن عديدة خارج قريـة المخواة القديمة . هذا ما سمعه الباحث من بعض أعيان ووجهاء حاضرة المخواة في (١٠/٤/١٤٣٨هـ) .

(٤) لمزيـد مـن التفصيلات عن قبائـل منطقة الباحة في تهامـة والسراة (زهران، وغامد، وبنـي عمر) انظر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية بلاد غامد وزهران، للأستاذ علي بن صالح السلوك (الطبعة الثانية) (الرياض : منشـورات دار اليمامة،١٤٠١هـ/١٩٨١م) (٣١٢صفحة)، انظر أيضاً، "فـروع قبائل وقرى غامد وزهران وبني عمر" مجلة العرب، السنة الخامسة، ربيع الأول (١٣٩١هـ/١٩٧١م)، الجزء التاسع، ص ٨٧٤، ٨٧٩ .

(٥) غالبيــة هـؤلاء السكان من الذكـور، وهناك عناصـر نسائية محدودة مـن بلدان عربيــة وإسلامية وغير إسلامية يعملن في الخدمات المنزلية، والقطاعات الصحية وبعض المهن التجارية والحرفية مثل: المشاغل النسائية، والمدارس الأهلية وغيرها .

طابق واحد إلى خمسة وأحياناً إلى ستة وسبعة طوابق، والشارع العام الذي يخرج من مثلث المخواة المظيلف إلى قرية ذات عين في عقبة الباحة [١]، أو قلوة، وهو الطريق الأكثر نشاطاً في الحركة الاقتصادية [٢]. وهناك قرى قديمة في هذه الحاضرة، بعضها مازالت آثارها باقية، والبعض الآخر تم إزالتها وحل بدلاً منها أحياء جديدة. ومن هذه القرى القديمة. قرية الجرف، وهي بلدة المخواة القديمة[٣]. وقرى الحواجر، والقزة، والطناطنة جنوب وجنوب غرب المدينة. وقرى المدق، والمشايعة، والحوى في الجنوب الغربي، وقرى الأشاعيب في الشمال الشرقي[٤]. ومن أحياء مدينة المخواة الحديثة: حي الفيصلية غرب الطريق الرئيسي في المدينة، ويوجد فيه عمائر كبيرة، ويحتوي على عدد لابأس به من المدارس وبعض الإدارات الحكومية. وحي الحدب غرب الطريق الذاهب من المثلث إلى عقبة الباحة، وفيه بعض المؤسسات الإدارية مثل: المحافظة، والبلدية، والشرطة، والمحكمة. وأحياء الخالدية، والقفيل، وسيال، والأخير يوجد به بعض أبنية فروع جامعة الباحة في المخواة[٥].

٤. شاهدت بعض المساجد القديمة المندثرة في بلدة المخواة القديمة، وأصبحت غير صالحة للاستخدام، وهناك عدد من الجوامع الكبيرة المجهزة بجميع الأدوات والخدمات، ومنها: مسجد الردحة وسط المدينة، وهو من أقدم المساجد، وحل محله جامع السوق، ومسجد الحدبة في وسط المدينة، غرب المستشفى القديم، ويعرف اليوم بجامع عمر بن الخطاب، وهو من أكبر الجوامع ويُصلى فيه على الجنائز، ومسجد الزربة في السوق القديم وحل محله جامع خالد بن الوليد،

(١) قرية ذات عين من الأمكنة الأثرية الهامة في المملكة العربية السعودية، وهي غير مخدومة، ومسؤولياتها على إمارة الباحة، والهيئة العليا للسياحة، فالواجب على هاتين الجهتين أن تبذلا قصارى جهودهما تجاه هذا المعلم التاريخي والأثري، وهو جدير بذلك. للمزيد انظر: غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٥، ١٨٥.

(٢) العمارة والطرق في محافظة المخواة جديرة بالدراسة، وتستحق أن تكون عناوين لبعض البحوث والرسائل العلمية.

(٣) سوف نذكر عنها بعض التفصيلات في نهاية هذا القسم.

(٤) قرى بني عمر الأشاعبة في المخواة، وجميع القرى التاريخية القديمة تستحق أن يصدر عنها عدد من البحوث العلمية الموثقة.

(٥) التاريخ الإداري والمالي لمحافظة المخواة من الموضوعات التي لم تُدرس إطلاقاً، ونأمل أن نرى باحثاً جاداً من أهلها، أو من أعضاء هيئة التدريس في جامعة الباحة يدرس هذا العنوان دراسة علمية.

ومسجد القزة وحل محله جامع القزة، وهو من أقدم الجوامع في المخواة، وجامع البخاري في حي الحواجر وهو أكبر وأحدث جوامع المخواة، وجامع حي الفيصلية، وجامع إمام الدعوة، وجامع أبو بكر الصديق [(١)] .

٥. ترتبط حاضرة المخواة بطرق عديدة قديمة تتصل بأجزاء عديدة في تهامة والسراة مثل: قلوة، وسروات الباحة في غامد وزهران، والحجرة، وناوان، والقنفذة، والمظيلف [(٢)] . واليوم هناك طرق حديثة تربط أجزاء المحافظة بعضها ببعض، وطرق داخلية مسفلتة تصل بين جميع الأحياء في المدينة.

أما الطرق الرئيسية التي تربط المخواة مع غيرها من البلدان، فهي (١) طريق جازان عسير ثم العرضيات إلى المخواة . (٢) طريق بلجرشي المخواة عبر وادي حزنة، وهناك عقبتان من المخواة إلى بلجرشي في السراة، الأولى عقبة حزنة عبر وادي ضيان، والثانية : من بلجرشي إلى بني دحيم ثم وادي ضيان . (٣) طريق من المخواة إلى قلوة والحجرة والشعراء . (٤) طريق من المخواة إلى ناوان ثم المظيلف، ويتفرع جنوباً إلى القنفذة، وشمالاً إلى مكة وجدة . (٥) طريق (عقبة) من المخواة مرورا بوادي راش إلى الباحة.

عرفت المخواة بعض الأسواق الأسبوعية، وأهمها سوقها الشعبي القديم يوم الخميس [(٣)]، وكان من أنشط الأسواق، ويعرف اليوم بسوق الثلاثاء، ومازال

---

(١) هذا ما سمعه الباحث من بعض الخطباء والدعاة، وما تم حصره، ومن المؤكد أن هناك مساجد وجوامع أخرى في مدينة المخواة وفي القرى التابعة للمحافظة . وأقول إن تاريخ الدعوة وتاريخ المساجد في عموم المدن والمحافظات التي مررت بها في هذه الرحلة من بارق إلى قلوة تستحق أن يصدر عنها عشرات البحوث والدراسات . ونأمل من أقسام التاريخ والشريعة وأصول الدين في جامعتي الملك خالد والباحة أن تفتح عدداً من مراكز البحوث التي تهتم بمثل هذه الموضوعات، وهذا من واجبات هذه المؤسسات العلمية والتعليمية .

(٢) تعد المخواة من البلدان الغنية بالزراعة، والأسواق التجارية، فكانت حلقة وصل بين الأجزاء السروية والتهامية الساحلية، وبعض البلدان المجاورة في تهامة زهران والعرضيات وعسير وغيرها . ودراسة التاريخ الاقتصادي للمخواة من الموضوعات الجديدة ويستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية أكاديمية. وتاريخ الطرق القديمة والحديثة في محافظتي المخواة وقلوة من الموضوعات الجديدة في أبوابها، ونأمل أن نرى باحثاً جاداً يدرسها خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) .

(٣) هذا ما سمعه الباحث من بعض رجالات المخواة، ويوجد ذكر لهذا السوق في بعض الوثائق والمصادر التي يعود تاريخها إلى القرنين الماضيين . ومن أهم السلع التي كانت تصدر من القنفذة إلى سوق الخميس بالمخواة : الملح، والتمور، والأقمشة، وسلع أخرى عديدة تصدر من الحجاز واليمن إلى القنفذة . كما يصدر إلى هذا السوق بعض سلع السروات مثل: اللوز، والعسل، والسمن، وبعض الحبوب والمحاصيل السروية . ودراسة تاريخ الأسواق الأسبوعية في محافظتي المخواة وقلوة من العناوين الجديدة التي لم تدرس وتستحق أن تكون عناوين لرسائل ماجستير أو دكتوراه .

قائمـا حتـى الآن . وتكتظ المخواة اليـوم بالعديد من السلـع والأسواق الكبيرة والصغـيرة الحديثـة، ومن يذهب علـى طول الطريق الرئيسـي في هذه المدينة فإنه سوف يجد جميع البضائع المستوردة من بلدان عديدة داخل المملكة العربية السعوديـة وخارجهـا، ومن أكبر هـذه الأسـواق الحديثة . سـوق الراية، وسوق الحازمي، ومركز الحياة التجاري، وأسواق بن زرعة، والأسواق الحرة [١] .

٦. لا تخلـو حاضرة المخواة وما حولها من المناطـق السياحية الطبيعية مثل: وادي سقامـة شمال مدينـة المخواة، وضفاف وادي ضيان وراشـ، وقرية ذات عين، وجبلي شـدا الأسفل والأعلى المطلان على المخواة وقلـوة من الناحية الغربية . ولا يوجـد داخل المخواة متنزهات أو حدائق من أعمـال البلديات، وإنما هناك متنزهان كبيران بين قلوة والمخواة، وهما يقعان على مساحة كبيرة، ومخدومان بالعديـد من الخدمات مثـل: دورات الميـاه، وبعض الألعاب، وممـرات للمشي والرياضة، والأشجار ومسطحات خضراء [٢] .

٧. عرفـت المخواة بعض الكتاتيـب المحدودة خلال القرن (١٣هـ/١٩م) والعقود الأولى مـن القرن (١٤هـ/٢٠م)، وهذا ما سمعناه من بعضـ الرواة في مدينة المخـواة ومـا حولهـا، وكذلك العثـور على بعضـ الوثائق التي تشـير إلى بعض الأعـلام اليمنيـين الذين كانوا يجتازون هذه البلاد أثنـاء خروجهم من اليمن لأداء مناسك الحج، ومنهم من يتوقف في بعض المحطات لتعليم الناس القراءة والكتابة، وشيء من القرآن الكريم [٣] . بدأ التعليم النظامي في المخواة في بداية

---

(١) ذهبـت إلى بعضـ هـذه الأسـواق فوجدتها تشتمل علـى أنواع وأشـكال عديدة من الألبسـة، والأطعمة، والأثـاث، وأدوات أخرى متنوعة . كما وجدت العاملين فيها من الوافدين وبعض السعوديين والسعوديات . ومدينة المخواة تعد من المدن الكبيرة والرئيسية في تهامة الباحة وما جاروها .

(٢) مازالت مدينة المخواة غير منظمة في أحيائها وشوارعها، فهناك عقبات في مداخل ووسط المدينة، وهي بحاجـة إلى شبكـة طرق أوسع وأفضـل . كما تحتاج إلى فتح طرق كبيرة تدخـل وتخرج وتحيط بالمدينة . وقـد ذكـرت ذلك لبعض رجالات المخواة من معلمين ومثقفين، وكذلـك أوصلت هذا الاقتراح إلى محافظ المحافظة وبعض وجهاء البلد .

(٣) بعض المعلمين اليمنيين كانوا يتوقفون في بلدات وقرى من تهامة والسراة أثناء ذهابهم للحج، ويقومون على تعليم بعض العلوم اللغوية والشرعية، ويحصلون على أجور قليلة مثل الحبوب وبعض الألبسة أو النقود . وأيضا قرب المخواة من القنفذة وبعض حواضر السراة مثل بلجرشي وغيرها فجعل بعض الدعاة أو المعلمين يفدون إلى المخواة لتدريس أبنائهم وبناتهـم وإمامتهم في الصلاة وقضـاء حوائجهم الدينية مثل: تقسيم المواريث، وعقد الأنكحة، وخطب الجمعة وغيرها .

السبعينيات، وأول مدرسة فتحت في عام (١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م) . ثم تزايدت عدد المدارس حتى أصبح عددها اليوم (٣٥٤) مدرسة ابتدائية / ومتوسطة/ وثانوية للجنسين (بنين وبنات) ، وعدد من رياض الأطفال، وإجمالي عدد الفصول (١٧٨٥) فصلاً ، يدرس فيها حوالي (٢٧٥٧٧) طالباً وطالبة، موزعون على أربعة قطاعات : المخواة، وقلوة، وغامد الزناد، والحجرة، ويشرف عليها إدارة تعليم المخواة [١] . وافتتحت جامعة الباحة كلية العلوم وآداب في المخواة، وفيها بعض التخصصات العلمية والأدبية . وقد زرت تلك الكلية فوجدتها متواضعة في إمكاناتها وموقعها وخدماتها الإدارية والتعليمية [٢] .

أما النشاطات الثقافية والفكرية والدعوية فتمارس في المدارس ضمن برامج الأنشطة الطلابية، وفي المساجد وبعض المراكز الدعوية المؤقتة التي تقام أثناء فصل الشتاء، ويأتي من داخل منطقة الباحة وخارجها من يقدم المواعظ والدروس الدينية والثقافية في هذه التجمعات أو في جوامع المحافظة، ومكتب الدعوة والإرشاد في المخواة يقوم بالدعوة والتنظيم لمثل هذه الأنشطة الثقافية والفكرية والدعوية . وذكر لي أثناء وجودي في المخواة أن نادي الباحة الأدبي اعتمد إنشاء لجنة ثقافية في مدينة المخواة، ومن مهام هذه اللجنة عقد الأمسيات الشعرية، وإلقاء بعض المحاضرات الثقافية، وقراءة بعض الروايات والقصص الأدبية [٣] .

---

(١) لم نجد تعليم أهلي واسع ما عدا روضتين ومدرستين ابتدائيتين للبنات . وأقول إن تاريخ التعليم العام الحديث في محافظات المخواة، وقلوة، والحجرة من الموضوعات الجديرة التي لم تدرس، ويستحق أن يكون عنواناً لرسالة ماجستير أو دكتوراه . ونأمل أن نرى أحد أبناء هذه المحافظات يتخذ من هذا الموضوع عنواناً لكتاب أو رسالة علمية . المصدر: أوراق وإحصائيات عديدة وصلتني من الأستاذ عبد الله عبد الهادي العُمري، رئيس التخطيط المدرسي في إدارة تعليم المخواة، وهذه الأوراق توجد ضمن وثائق مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية .

(٢) تجولت في أمكنة عديدة من تهامة والسراة خلال الخمس سنوات الماضية، وشاهدت بعض النواحي تعاني من عدم وجود أقسام أو كليات جامعية، وأحياناً توجد فيها كلية أو كليتان فيها بعض الأقسام الأكاديمية المحدود ة، والجودة فيها ضعيفة لنقص الإمكانات الضرورية، وتدني مستوى المكتبات والمختبرات التي يحتاجها الطلاب والأساتذة في إنجاز أعمالهم . وأستطيع القول بأن هذا النوع من التعليم العالي لا يختلف كثيراً في المستوى عن التعليم العام .

(٣) نأمل من أحد أبناء محافظة المخواة أن يدرس النشاطات الثقافية والفكرية في هذه الناحية منذ نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر، ويحرص على جمع وتدوين النشاطات التي قدمها المعلمون الوافدون من بلدان عربية أثناء عملهم في مهنة التدريس في أنحاء المحافظة . والمؤكد أن هناك أساتذة وأعلام كان لهم إسهامات علمية وثقافية وأدبية وفكرية، وجمع مادة هذا المحور من الرواة والطلاب والرجال الذين عاصروا تلك الحقبة الممتدة من سبعينيات القرن الهجري الماضي إلى عشرينيات هذا القرن.

ب ـ قلوة :

اسم قلوة جاء من القلي، وهو شوي الشيء، فيقال : قليت الحب أو اللحم أي أنضجته، وربما سميت بهذا الاسم لشدة حرها أثناء فصل الصيف . ويقال أيضاً أن القلا : أي البغض والكراهية، فارتفاع حرارة الجو في الصيف جعل الناس يكرهون الإقامة فيها . وربما نسبتها إلى مكان اسمه قلوة، أو إلى شخص يدعى قلوي أو القلوي، أو القالي[(١)] . وتبعد مدينة قلوة عن المخواة شمالاً نحو (٣٠ـ٤٠) كيلومتر، وتقع بين ثلاثة جبال رئيسية : شد الأعلى في الجنوب، وجبل نيس في الشمال، وجبل ربا في الناحية الشمالية الغربية، ومساحتها تقريباً (٣×٥) كيلومترات، ويعبرها شارع مزدوج من الشمال إلى الجنوب، ويقدر عرضه بـ (٤٠) متراً، ويطلق عليه شارع الملك فهد، وشوارع أخرى صغيرة تتفرع من هذا الشارع الكبيرة، وبعضها مزدوجة وأخرى ذات اتجاه واحد [(٢)] . ومعظم سكانها الرئيسيين من قبائل زهران، ومن العشائر التي تستوطنها، عشيرة قلوة، وعشيرة الأحلاف، وفي أجزاء من محافظة قلوة عشائر تتبع بعض القبائل الزهرانية في السراة [(٣)] . كما يوجد في مدينة قلوة العديد من الأجناس العربية وغير العربية الذين يعملون في مهن وحرف اجتماعية واقتصادية وسياحية عديدة [(٤)] . ويعيش فيها أفراد وأسر عربية سعودية جاءوا من أمكنة عديدة في جنوب البلاد السعودية وغيرها للعمل والإقامة، وأكثر من يستوطنها من هذه الشريحة قبائل غامد وزهران وبني عمر، وذلك لقربهم من هذه البلدة، ولصلاتهم النسبية والعرقية مع سكانها الأصليين [(٥)] .

---

(١) هذه اجتهادات من الباحث، وقد سألت في محافظة قلوة عن سبب التسمية فلم يفدني أحد بالسبب الصحيح لهذه التسمية، وقد يكون عند بعض رجالها تعريف دقيق وصحيح، وآمل أن نرى باحثين جادين من أهل قلوة يقومون على دراسة تاريخها وأنساب سكانها وحضارتها . ولمزيد من التفصيلات عن كلمة القلى أو القلوي انظر فعل (قلا) في معجم لسان العرب لابن منظور.

(٢) مشاهدات الباحث مساء الأحد (١٠/٤/١٤٣٨هـ) .

(٣) محافظة قلوة كبيرة المساحة، وزيارتنا اقتصرت على مدينة قلوة التي هي مركز المحافظة، وقد زرت هذه المحافظة وكتبت عن شيء من جغرافيتها وتاريخها في (٢٩/١١ـ٩/١٢/١٤٣٣هـ) ، انظر كتابنا : القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء الخامس)، ص ١٦٠ وما بعدها .

(٤) العناصر العربية وغير العربية الوافدة إلى المملكة العربية السعودية يوجدون في جميع مدن وقرى البلاد، وهم مقيمون مؤقتون في وظائفهم وأعمالهم، وعند الانتهاء يعودون إلى أوطانهم .

(٥) قبائل زهران، وغامد، وبني عمر في تهامة والسراة متداخلون في البلاد، وفي الأنساب وفي الصلات الثقافية والاجتماعية والجغرافية . وهذه القبائل الثلاث تستحق أن يصدر عنها عشرات البحوث والكتب والدراسات التاريخية والحضارية والاجتماعية واللغوية والثقافية وجامعة الباحة عليها مسؤولية كبيرة لدعم وتشجيع مثل هذه الموضوعات والبحوث العلمية.

ويبدو أن مدينة قلوة أفضل من مدينة المخواة في تنظيمها وتخطيطها، فيوجد فيها وعلى مقربة منها بعض الحدائق والمتنزهات الجميلة، ومنازلها وشوارعها ومرافقها في وضع أحسن مما رأيت في مدينة المخواة، والواضح أن بلدية قلوة لديها رؤيا وحسن تدبير في تخطيط المدينة ونظافتها وتنظيمها. والمنازل العامة والخاصة في المدينة تتراوح من دور واحد إلى أربعة أو خمسة أدوار، ومدينة قلوة أصغر مساحة من مدينة المخواة، وذكر لي أنها أقدم الإدارات الحكومية في تهامة غامد وزهران في العصر الحديث، ويوجد فيها اليوم معظم المؤسسات الحكومية وبعض الإدارات الأهلية مثل: البنوك التجارية، وبعض المستوصفات الخاصة[١]. ورأيت فيها عدداً من المساجد والجوامع الكبيرة مثل: جامع الملك خالد، وجامع ابن عثيمين، وجامع المنح، وجامع الخليف، وتقع جميعها شمال المدينة، وجامعي الملك فهد، والسوق الشعبي وسط المدينة، وجامعي بن باز، وضبيعة في جنوب المدينة [٢].

ويذكر لنا علي أحمد الهيمطي[٣] أن أول سيارة دخلت إلى قلوة كانت في بداية السبعينيات [٤]، ثم تسير إلى بلدتي المخواة والحجرة. والطرق الرئيسية التي تربط قلوة مع غيرها من البلدان المجاورة .(١) طريق قلوة المخواة . (٢) طريق قلوة حفار، وحفار مركز إداري على الساحل بين القنفذة والليث. (٣) طريق قلوة الحجرة ثم يسير إلى الشعراء وإلى الشاقة الجنوبية التابعة لمحافظة الليث . (٤) طريق من قلوة إلى الباحة في السراة عبر عقبة الملك خالد[٥] .

ومن الأسواق الأسبوعية في مدينة قلوة وما جاورها من المراكز والنواحي . (١) سوق الثلاثاء في بلدة قلوة، ويعمل يوم الإثنين ويعرف بالثلاثاء ،والسبب أن سوق

---

(١) مقابلة شخصية مع الأستاذ علي أحمد الهيمطي في منزله بمدينة قلوة مساء الأحد (١٠/٤/١٤٣٨هـ) .

(٢) مشاهدات الباحث عصر الأحد (١٠/٤/١٤٣٨هـ) .

(٣) أحد أعيان ووجهاء مدينة قلوة ومن المعلمين الأوائل في هذه المحافظة، وله سيرة ذاتية من تدوينه نشرها في كتاب : بعنوان : هذه سيرتي، ولا يوجد عليه معلومات للنشر، ويقع في (١٤٥) صفحة من القطع الصغير، ونسخة من هذا الكتاب في مكتبة الباحث .

(٤) المصدر نفسه، كما أجريت مع الهيمطي مقابلة بمنزله في مدينة قلوة يوم الأحد (١٠/٤/١٤٣٨هـ) .

(٥) اسم هذا الطريق سابقاً، عقبة مساعد، نسبة إلى مساعد بن رقوش، أحد شيوخ زهران في القرن (١٤هـ/٢٠م)، وتسير من ديار عشائر بيضان في السراة حتى تصل إلى أعالي وداي دوقة، ومنه إلى مدينة قلوة، وهي غير مستخدمة في الوقت الحاضر . انظر : غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء الخامس)، ص ٢١٥. وأقول إن الطرق والعقبات في بلاد غامد وزهران وبني عمر تهامة وسراة تستحق أن يصدر عنها عدد من البحوث والدراسات العلمية الموثقة، ونأمل من بعض أساتذة جامعة الباحة أن يدرسوا مثل هذه الموضوعات الجيدة والجديدة في بابها .

المخـواة يعمل الثلاثاء، وكان يقام يـوم الخميس، لهذا رأى أهل قلوة أن يعقد سوقهم يـوم الإثنـين حتى لا يتضارب زمنيـا مع سوقٍ الثلاثاء في المخـواة. (٢) سوق خميس الشعـراء في مدينـة الشعـراء، ومازال قائماً حتـى الآن. (٣) سـوق الأحد في مدينة الحجـرة، ويعمل حتى اليوم [١]، (٤) سوق السبـت في الرميضة ويتبع لمحافظة قلوة، وهو حديث النشأة . أما الأسواق الحديثة في مدينة قلوة فهي منتشرة في أنحاء المدينة وتتفـاوت في الأحجام والسلع، ومـن أكبرها: مركز العائلة ومعظم سلعه مواد غذائية وسلـع أخرى ضرورية، وسـوق (مول) الـرواد، ومجمعات ابن مستـور، والهيمطي، وسيتي مول، ومعظم المعروضات في هذه الأسواق ألبسة وأدوات للزينة [٢] .

يتحـدث بعض الـرواة عن التعليم في قلوة، ويذكـرون أسماء بعض المعلمين القدمـاء الذين مارسوا القراءة والكتابة قبل السبعينيـات، وكانوا على قدر بسيط مـن المعرفة، وأحيانـاً يخلطون بين ممارسة الشعوذة والتعليـم [٣]، ثم افتتحت أول مدرسة في بلدة قلوة عام (١٣٦٩هـ/١٩٤٩م)، وفي تلك المدرسة معلم واحدٍ، يدعى حسـين بن محمد بن خماشـ العمري، يقوم على تدريس الطـلاب صباحاً ومساءً، واستمـرت هذه المدرسة إلى عام (١٣٧٦هـ/١٩٥٦م)، وتخرج فيها خمسة طلاب ، وعُـيّن منهم ثلاثة معلمين، اثنان في المدرسة نفسها، وهما: عبد الخالق بن مستور، ومستـور بن أحمـد. والثالث يحيى بلقـرون الذي صار معلمـاً في دوقة الأحلاف[٤] . وفي السبعينيـات أيضـاً وصلـت إلى المنطقة جهـود الشيخ القرعـاوي الذي نشر الكثـير مـن كتاتيبـه ومدارسه في بلـدان عديدة من تهامـة والسـراة[٥] . وفي عام (١٣٧٦هـ/١٩٥٦م) توقفت مدرسة قلوة حتى عام (١٣٨١هـ/١٩٦١م)، ثم افتتحت المدرسة مرة أخرى، وتلاها فتح مدارس عديدة للبنين والبنات، حتى أصبح التعليم

---

(١) زرت هذا السوق وكتبت عنه أثناء زيارتي لمنطقة الباحة في (٢٩.١١/٩/١٢/١٤٣٣هـ)، وهو من الأسواق التاريخية القديمة، للمزيد انظر، غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء الخامس)، ص١٨٢.

(٢) تاريخ التجارة والأسواق في محافظة قلوة من الموضوعات الجديدة وتستحق أن يصدر عنها دراسة علمية موثقة .

(٣) ممارسـة الكهانـة والشعوذة منتشرة في بعضـ بلدان وقرى تهامة والسراة، سمعت ذلـك وقرأت عنه أثناء تجوالي في أوطـان هذه البلاد منذ بداية القرن (١٥هـ/٢٠م). وهذا الميدان يستحق البحث والدراسة، ونأمل من الباحثين والمؤرخين الجادين في البلاد السروية والتهامية أن يدرسوا مثل هذا الموضوع الشائك والمهم للبحث .

(٤) تاريـخ التعليـم خلال القـرنٍ (١٤هـ/٢٠م)، وبداية هـذا القرن (١٥هـ/٢٠م) مـن الموضوعات التي لم تدرس ويستحق أن يكون عنواناً لرسالة أو بحث علمي.

(٥) للمزيـد عـن جهـود الشيخ عبـد الله القرعـاوي في جنوبي البـلاد السعودية خلال النصـف الثاني من القـرن الهجري الماضي (١٤هـ/٢٠م)، انظـر: غيثان بن جريس . تاريخ التعليم في منطقة عسير (١٣٥٤-١٣٨٦هـ/١٩٣٤-١٩٦٦م) (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م) .

العــام منتشراً في جميع قــرى محافظة قلوة . وافتتحت أيضاً بعض الأقسام العلمية الجامعية في كلية العلوم والآداب في قلوة، ويوجد موقع جديد لكلية التقنية، ومدرسة واحدة محدودة للتعليم الأهلي[١] .

٤ـ الشدوان الأسفل والأعلى:

جبــلا شدا الأسفل والأعلى من أطول جبال المملكــة العربية السعودية، ويقعان في محيــط محافظتــي المخواة وقلــوة [٢]، وهمــا إلى الأولى أقرب. وفي يــوم الإثنين (١١/٤/١٤٣٨هــ الموافــق ٩/ينايــر/٢٠١٧م) رافقنــي الصديــق الدكتــور/ عبد الرحمــن الشعشاع [٣]، وبعض الإخوان من مدينة المخواة في رحلة إل جبلي شدا [٤]، وقضينا ذلك اليوم نتأمل التركيبة الجغرافية السكانية لهذين الجبلين . فالجبلان ذوا حــزون وصخور ومسالك صعبــة، وهما مأهولان بالسكان منذ القدم[٥]، وسكان شدا الأسفل يعودون في نسبهم وولائهم إلى عشيرة بني عبد الله الغامدية السروية، وكذلك الجزء الجنوبي من شدا الأعلى، أما الجزء الشمالي من شدا الأعلى فأهله مــن زهران . ومناخهما بارد في الشتاء، معتدل صيفــاً، وفيهما عشرات الأنواع من النباتــات، وأنــواع عديدة مــن الطيور والحيوانــات [٦] . ويشرفان علــى قرى ومدن مــن الأراضي التهامية، فمن الشرق يطــلان على وادي سقامة وأجزاء من حاضرة المخــواة، ومن الغرب على بلدان نيرا وناوان، ومن الجنــوب على بعض أودية ونواح

(١) قلــوة مدينــة تهامية قديمة حديثة، ولها تاريخ إداري وحضــاري واجتماعي واقتصادي وتستحق أن يفرد لهــا عدد مــن الدراسات التاريخية والآثارية والحضارية . ونأمل مــن أبنائها، وبخاصة الباحثين وأساتذة الجامعات، أن يدرسوا بلادهم ويخدموا أهلهم، وهذا من الواجب عليهم تجاه أوطانهم وذويهم .

(٢) ارتفــاع جبــل شد الأسفــل (١٧٠٠م)، وجبل شدا الأعلــى (٢٢٠٠م) فوق سطح البحــر. هذا ما سمعه الباحث من بعض الدارسين والباحثين في محافظة المخواة .

(٣) ابــن الشعشــاع من أهل بيشــة، أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها في كليــة العلوم والآداب في محافظة المخــواة، عرفته منذ أكــثر من عشر سنوات عندمــا كان يدرس لدرجة الدكتــوراه في الجامعة الإسلامية بالمدينة . وهو شخص لطيف المعشر، على قدر كبير من الأخلاق والأدب .

(٤) مــن أولئــك الأصحاب، الأساتذة علي محمد عبد الهادي الغامدي، وناصر الشدوي، كما التقينا في أعلى شــدا الأسفــل بإخوان آخريــن وكان معهم العم حسين بــن حسن بن ضيف الله الشــدوي الغامدي، الذي استضافنا لوجبة الغداء، وأفادنا بمعلومات كثيرة، وعمره يتجاوز (٧٥) عاماً .

(٥) الشدوان مذكوران في بعض المصادر التاريخية والحضارية المبكرة، قال فيها بعض الأدباء قديماً وحديثاً شعراً ونثراً . وتتبع تاريخ وحضارة هذين الجبلين من العهد القديم إلى اليوم من الموضوعات التي تستحق أن تكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية، ونأمل أن نرى أحد المؤرخين الجادين يكتب عن تاريخهما وذكرهما في النقوش والآثار والمصادر التقليدية .

(٦) يذكر أن في هذين الجبلين الكثير من النباتات والحيوانات النادرة، وبعضها انقرض في العقود الماضية .

من المخواة، ومن الشمال على وادي يحر وأجزاء أخرى من محافظة قلوة [١] . وأثناء جولتي القصيرة في هذين الجبلين[٢]، خرجت بعض الصور التاريخية الحضارية التي شاهدتها وسمعتها، واذكر أهمها في النقاط الآتية :

١. مررت من حول هذين العلمين مرات عديدة خلال الأربعين عاماً الماضية، ولم أتمكن من صعودهما، وسمعت أنهما يحتويان على الكثير من الرسومات الصخرية، وعندما ذهبت إليهما شاهدت نقوشاً عديدة على بعض الصخور، ورسومات آدمية وحيوانية يعود تاريخها إلى آلاف السنين قبل الإسلام، وسألت بعض من رافقني عن هذه الآثار، هل اكتشفت ودرست؟ فقالوا لقد زارها عدد من الباحثين العرب والأجانب، وخرج عنها بعض الدراسات المحدودة . وأقول إن طبيعة هذين المكانين وما يحتويان عليه من مصادر تاريخية منقوشة على صخورها تستحق أن يسخر لها المال والعلماء الجادون والمنصفون حتى يدرسوا ما تشتمل عليه من موروث حضاري.

٢. سرنا في طريق مسفلت في أجزاء من الجبلين، وأخبرني أحد الرفاق أن المسافة من المخواة إلى أعلى قرية في شدا الأعلى حوالي(٢٤) كيلومترا، وصعدنا بعد انتهاء الأسفلت في طريق صعبة، ولا يسير فيها إلا سيارات قوية ذات دفع رباعي. وصعود شدا الأسفل أسهل من شدا الأعلى الذي يتكون من قمتين، إحداهما في الناحية الشرقية وهي وعرة ويصعب تسلقها، والقمة الأخرى غرباً، وهي أكثر ارتفاعاً لكن الصعود إليها أسهل. ويطلق على القمة الشرقية (القارة)، والقمة الثانية (مصلى إبراهيم) [٣].

وقال أحد الرواة إن تمهيد الطريق من أسفل هذين الجبلين، حتى أصبحت صالحة للاستخدام بالدواب، بدأ عام (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م) [٤]، وفي حوزتنا

---

(١) هذا ما شاهدناه من أعالي الجبلين في (١١/٤/١٤٣٨هـ) .

(٢) استغرقت رحلتنا في هذين الجبلين حوالي عشر ساعات وهي غير كافية لدراسة تراثهما وجمع موروثهما العلمي والحضاري.

(٣) مساحة هذا المصلى حوالي (٢×٣م٢)، ويتداول الناس رواية أن المقصود بـ(إبراهيم)، هو إبراهيم بن الأدهم، وهو قول غير دقيق، ومن المحتمل أن نسبة هذا المصلى إلى رجل صالح يدعى إبراهيم، وربما يكون من أهل البلاد، أو من الحجاج الذين كانوا يأتون من جنوب شبه الجزيرة العربية عابرين بلاد تهامة إلى مكة والمدينة المنورة .

(٤) هذا ما سمعه الباحث من بعض رفاقه وأكد ذلك علي بن عبد الله الشدوي الغامدي من أهل شدا الأعلى في (١١/٤/١٤٣٨هـ) .

بعض الوثائق التي تؤكد هذه الرواية، وتشير إلى أسماء بعض العمال الذين شاركوا في فتح تلك الطريق في عامي (١٣٨٦هـ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٦، ١٩٦٨م)[١] . وواصل المواطنون الشدويون فتح طرق ترابية على حسابهم الخاص من ثلاث جهات للجبلين، وفي عام (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) استلمت وزارة المواصلات هذه الطرق للإشراف عليها وصيانتها، ومنذ بداية العشرينيات من القرن (١٥هـ/٢٠م) تم سفلتة الجزء الشمالي من شدا الأعلى، وسفلتة حوالي عشرة كيلومترات من شدا الأسفل، وبقي الجزء الجنوبي من شدا الأسفل غير مسفلت، ومازالت المطالبات في سفلتته جارية حتى الآن[٢] .

٣. هذان الجبلان مأهولان بالسكان[٣]، وفيهما أنماط معمارية عديدة . ففي شدا الأعلى عدد من القرى مثل: قرية الكبسة وفيها مواقع سياحية جميلة يرتادها السياح للتنزه والتسلق، وقرية السلاطين وتتكون من ثلاثة أقسام : فرعة السلاطين، والغُمار، وبجاد . وفي الغمار فتحت أول مدرسة ابتدائية عام (١٣٨٢هـ/١٩٦٢م)، ومدرسة بنات عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) . وقرية الملاليح وتشتمل على ثلاث قرى صغيرة هي : فرعة الملاليح، واللحن، وقرن . وهذه القرى ملاصقة لمصلى إبراهيم، وجبل القارة، وتشتهر بزراعة البن والموز. وقرية المساعدة، وكان يوجد فيها الطبيب الشعبي لعموم جبل شدا الأعلى ويدعي (أحمد الفقيه)[٤] . وقرية لهن، وهي من أفضل قرى

---

(١) بعض هذه الوثائق في مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة، وثائق القرن (١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص ١١٠-١١١. وقد حصل على عددٍ من الوثائق غير المنشورة من مدينتي المخواة وقلوة وبعض رجالات جبلي شدا، وسوف ندرسها مستقبلاً ونخرجها في دراسة مستقلة .

(٢) المصادر نفسها . طرق شدا المسفلتة محدودة على الأجزاء السفلى من هذين الجبلين، ومازالت الأجزاء العلوية غير مسفلتة، والواجب على وزارة المواصلات، والهيئة العليا للسياحة، أن تضاعف الجهود لتسهيل طرق هذين الجبلين وسفلتتها، حتى تكون من المعالم السياحية المشهورة والمرتادة من سياح الداخل والخارج .

(٣) كانت هذه الجبال مأهولة بسكانها قديماً، واليوم هجرها أكثرهم ونزلوا إلى المخواة وإلى مدن ونواحي عديدة في المملكة العربية السعودية . ومازال بعضهم يسكنها حتى الآن، ومنهم من يستوطن المخواة أو قلوة إلا أنهم يترددون عليها في الإجازات وبعض أيام الأسبوع . كما يوجد فيها الآن بعض العمال الوافدين من اليمن أو الهند والبنجلاديش الذين يعملون في خدمة بعض سكانها مقابل أجور شهرية .

(٤) عاش أحمد الفقيه في هذه الناحية، ومارس بعض النشاطات الدعوية مثل : إمامة الناس في الصلاة، ومعالجتهم بالقرآن، وتوفي في العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م) .مقابلة مع علي بن عبد الله الشدوي الغامدي في إدارة تعليم المخواة في (١١/٤/١٤٣٨هـ) . وعلي الغامدي من مواليد قرية السلاطين في جبل شدا الأعلى عام (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) . درس مراحل التعليم الأولى بالمخواة وحصل على درجة البكالوريوس في الفيزياء من جامعة الملك عبد العزيز، ويعمل حاليا رئيسا لقسم النشاط الطلابي بتعليم المخواة، وأيضا أمينا عاما للجنة الخطة الاستراتيجية لتطوير محافظة المخواة .

الجبـل انبساطاً، ويوجد فيها بعض المزروعات، وقرى أخرى في أسفل الجبل مثـل: مليل، والأحد بالقفرة . وتـتراوح أسر هذه القرى قديماً من (٣٠ـ٤٠) أسـرة، وحالياً من (٥ـ١٥) أسرة، وسبب هذا التناقص هجرة معظم الأسر مـن الجبل إلى مدينتي قلـوة والمخواة وإلى حواضر أخـرى في المملكة، لقلة مظاهـر التطور والتنمية في هـذا الجبل، ولتحسين أوضاعهـم الاقتصادية والاجتماعية. ومن قرى شدا الأسفل الطرف، وآل ساحة، والنَمرة، والروس، والفـرع وهــي أكبرها ويوجد فيهـا بعض المؤسسـات الإداريـة، وبها حوالي (٤٠ـ٥٠) أسرة، وقرية الحلوق وهي أصغرها فلا يوجد بها إلا حوالي خمسة منـازل[١] . ومنـازل أهل شـدا القديمة مشيدة بالحجـارة والطين، وتتراوح مساحاتهـا من غرفة إلى أربع أو خمس غرف، حسب إمكانات أهلها، واليوم قام بعضـ السكان بإنشاء منـازل مسلحة تتكون من طابـق أوطابقين، وكل طابـق يتكـون من عدة غرف. وتوجـد الكهوف في جبلي شـدا وبخاصة شدا الأسفـل، وصـار بعضهم يشيد الكهـوف ويوسعها ويزوقهـا، ويخدمها بالماء والكهربـاء حتى أصبحت مجالس صخرية جميلة، وقد استقبلنا العم حسين بـن حسن بـن ضيف الله الشدوي في كهف بشدا الأسفـل تزيد مساحته عن (١٠٠م٢)، وأخـبرني أن هنـاك مـن يمتلـك كهوفـاً أصغر وأكـبر من هذه المساحـة، وهذه من المعالم السياحية التـي يتميز بها جبلا شدا . ويتبع قرى شـدا قديماً وحديثاً بعض المرافـق المعمارية المهمة مثل: الآبار، والمقابر، وفي بعض القرى مساجد كبيرة لصلاة الجمعة، وأسواق أسبوعية[٢] .

٤. يذكـر أن أهالي شدا كانـوا يمارسون عبادتهم في منازلهـم ومساجدهم، ويأتيهـم أحياناً من يعلمهم أمور دينهم في المخـواة أو في قراهم الرئيسية

---

(١) مقابلـة مـع حسين بن حسن بـن ضيف الله الشدوي الغامـدي في (١١/٤/١٤٣٨هـ) . وهـو من أهل شدا الأسفل، ومازال يقضي معظم أوقاته في قريته ومسقط رأسه في شدا .

(٢) جبـلا شـدا ذوا تاريـخ وحضـارة إنسانية، ففي الماضـي البعيد والقريـب يتضح لنا الكثـير من البراهين والشواهـد التـي تؤكد صحة الحياة البشرية النشطة فيهمـا . أما في عصر التطور والتنمية الحضارية التـي تعيشها البلاد السعودية اليوم فالحيـاة في هذين الجبلين شاقة جداً حتى وإن كان مازال فيها أناس يستوطنونهما، وعندهم بعض الخدمات الإدارية والتعليم والصحية . وأكبر مشكلة تعاني منها هذه الجبال وأهلهـا هو وعـورة تضاريسها التي لا تساعد على العيش فيها بسهولة ويسـر . وتحويل هذين الجبلين إلى مناطق سياحية اقتصادية قد يكون مجدياً إلى حد ما لو وجدت خدمات صادقة توفر الراحة والاستجمام للزوار والسياح.

في الجبل. ومن أولئك المعلمين والدعاة في القرن (١٤هـ/٢٠م) الشيخان علي بن مغرم الغامدي، وإبراهيم بن مسلم من سكان حزنة غرب سروات بلجرشي، وأحمد وسعيد أبناء فرحة من أهل شدا، اللذان تعلما على يد هذين الشيخين السابقين، ثم قاما بنشر المعرفة والعلم الشرعي بين أهلهم من سكان شدا الأسفل. وفي الثمانينيات من القرن الهجري الماضي افتتحت مدارس نظامية في الشدوين، وكان كثير من طلاب تلك المدارس متفوقين على مستوى منطقة القنفذة، بل إن بعضهم كانوا من الأوائل على مستوى المملكة العربية السعودية[١].

ومن الأشخاص الذين عملوا في مهنة التعليم قبل وبعد نشأة المدارس النظامية الأساتذة: أحمد بن عيفان الغامدي ووالده من قبله، وعبد الله بن أحمد الغامدي[٢]، وأحمد بن معيض الغامدي، ومحمد أحمد الغامدي، وعلي الغامدي من فرعة غامد، وسعيد بن محمد صمان من المخواة، وبعض المعلمين من نيرا مثل: سعيد بن محمد بن صالح، وسعيد أحمد غرابان، ومحمد حسن ربيع[٣]. ويذكر أن بعض سكان الشدوين ترقوا في التعليم حتى صار منهم اليوم أساتذة في تخصصات عديدة، ومن بناتهم وأبنائهم من يحمل درجات عالية كالبكالوريوس، والماجستير، والدكتوراه، ومنهم من تدرج في سلم الوظائف الإدارية والمالية والعسكرية والمدنية[٤].

---

(١) هذا ما سمعه الباحث من بعض الرواة في المخواة يوم الإثنين (١٤٣٨/٤/١١هـ). بالإضافة إلى مذكرة وصلتنا من الأستاذ ناصر الشدوي أثناء رحلتنا في بلاد قلوة والمخواة، وصورتها موجودة ضمن أوراق مكتبتنا.

(٢) عبد الله الغامدي من مواليد شدا الأعلى عام (١٣٥٠هـ/١٩٣١م)، تعلم في شبابه مبادئ القراءة والكتابة، وعمل في مهنة التجارة في بعض حواضر الحجاز الكبرى مثل: مكة وجدة والطائف، ثم عاد إلى مسقط رأسه، وبذل جهوداً عديدة في خدمة أهالي شدا، فطالب بفتح مدارس نظامية للبنين والبنات، وفتح طريقاً تسلكه السيارة ويصل إلى أجزاء من جبلي شدا، كما ساهم في عمارة بعض المساجد المحلية في الشدوين، وغيرها من الخدمات الإنسانية والخيرية المدونة في بعض الوثائق التي وصلتني من ابنه علي بن عبد الله. المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٣، ص ١١٠-١٢٥.

(٣) المصادر نفسها. نأمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخ التعليم والثقافة في الشدوين والمخواة وقلوة خلال المئة سنة الماضية. وذكر الأستاذ علي عبد الله الغامدي في إدارة تعليم المخواة أن والده عبد الله بن أحمد الغامدي كان يسعى إلى نشر الفكر والتعليم والثقافة في المخواة وشدا الأعلى، فأنشأ عام (١٣٨١هـ/١٩٦١م) أول مكتبة تجارية في بلدة المخواة، وجلب الراديو والكهرباء إلى سكان شدا الأعلى في ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٤) أهالي جبل شدا أذكياء في أقوالهم وأفعالهم، ومنهم من عُرف بالرزانة والحكمة والشعر النبطي قديماً، وفيهم اليوم الكثير من المثقفين والمتعلمين، وآمل أن يخرج من تلك الفئات من يدرس لغة وتاريخ وحضارة واقتصاد وتعليم وثقافة أهل شدا الأسفل والأعلى، ومن يفعل ذلك من أبنائها أو بناتها فإنه سوف يسدي إلى أرضه وأهله معروفاً كبيراً، كما أنه سيرد شيء من المعروف والفضل الذي قدمته هذه البلاد العربية الأصيلة.

٥ـ مشاهدات عامة :

في ختام هذه الرحلة، لا أدعي أني سجلت كل ما يستحق الدراسة والتدوين في هذه البلاد الواسعة من بارق إلى قلوة، ولكني أخال إنني أشرت إلى نقاط علمية رئيسية تستحق البحث والدراسة المستفيضة من بناتها وأبنائها المتعلمين الحريصين على حفظ تراث وتاريخ وموروث هذه الأوطان التهامية. ومازال لدينا فقرات نرغب الإشارة إليها، وهي على النحو التالي :

أ ـ عدم وعي الناس بأهمية البيئة، فترى الكثير منهم يسعون إلى إتلاف الغطاء النباتي، والقضاء على الطيور وبعض الكائنات الحية، وتلويث الأرض برمي القمائم والمخلفات الآدمية وغيرها في الأودية والجبال أو في الطرقات والقرى والمدن، وكل هذه السلوكيات تؤثر سلباً على حياة الأرض والسكان [1] .

ب ـ هذه البلاد تنعم بالأمن والاستقرار، ويمارس أهلها عباداتهم بكل سهولة ويسر، وهذا ما شاهدته في الطرقات، والأسواق، والمدارس، والمساجد والجوامع والتجمعات العامة والخاصة الصغير ة والكبيرة . ومن يدرس تاريخ هذه الأوطان خلال العقود الأولى والوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م) وما قبلها فإنه سوف يتضح له الخوف والجهل والفقر الذي كان سائداً في أنحاء هذه الأوطان، وغيرها من بلدان المملكة العربية السعودية، واليوم تغير الحال من سيء إلى حسن، ومن رعب وفوضى إلى أمن واستقرار[2] .

جـ ـ لا يخلو المجتمع من مشاكل وسلبيات مثل: نبرة العنصرية والتعصب فهي موجودة عند بعض الأفراد، والأسر، أو القرى، أو العشائر، وهذا مرض اجتماعي عرفه العرب من قبل الإسلام، ومازال يُمارس في بلادنا وبين أهلنا وإخواننا . كما يجب أن هذه البلاد المعنية في هذا القسم يتواجد في أرضها الكثير من النقوش والرسومات الصخرية والآثار، ولا أحد يدرك أهميتها، بل إن أكثرها

---

(١) هذه الجوانب جديرة بالبحث، فتدرس الأسباب والأخطار التي تنتج عن تدمير البيئة وإتلاف مكوناتها الطبيعية، ونرجو أن نرى الجامعات المحلية تهتم بهذا الجانب في خططها وبحوثها واهتماماتها .

(٢) قرأت آلاف الوثائق والكتب والمراجع والمقالات التي أرخت للأرض والسكان في الجزيرة العربية منذ العصر القديم إلى وقتنا الحاضر، ووجدت أن الرخاء والأمن والراحة التي يعيشها سكان المملكة العربية السعودية اليوم لم يسبقه عهد مشرق مثلما يعيشون في عصرنا الحاضر، وهذا فضل من الله عز وجل، ونسأل الله أن يديم أمنه ونعمته علينا وعلى جميع المسلمين..

ناله دمار وخراب الإنسان . وكذلك الأمكنة التراثية والتاريخية مثل: القرى القديمة، والأسواق، والطرقات، والآبار، والمقابرِ، وبعض المهن والحرف الاقتصادية القديمة: كالصيد، والرعي، والزراعة، وكثيراً من الصناعات التقليدية، أصبحت من الماضي ولا نرى رعاية فردية أو جماعيةٍ، أهلية أو حكومية تفعل شيئاً لحفظ هذا التاريخ الذي عرفه الأوائل، وعانوا كثيراً في بنائه وصيانته .

د ـ البلاد مليئة بالتاريخ الفكري، والثقافي، والأدبي، والعلمي. فهناك لغة ولهجات، وفنون شعرية وأدبية وثقافية، وأهازيج، وطرفةٍ وفكاهة، وأقوال وأغاني، وحكم، وقصص، وروايات، وأمثال محلية. وهناك أيضاً أعلام نسائية ورجالية، وعبر ودروس وحروب أسرية أو عشائرية أو قبلية، وصلات داخلية وخارجية، ونشاطات دينية، واجتماعية، واقتصادية، ومعرفية. كل هذه الصور التاريخية والحضارية عرفها ومارسها إنسان هذه البلاد التهامية، وتستحق من ينقب عنها ويجمعها ويدرسها ثم ينشرها لأبنائنا في هذه العصور الحديثة والمعاصرة . والفاحص للعلم والتعليم في هذه المنطقة يجد المدارس النظامية منتشرة في أرجائها، لكن مستوى التعليم ونوعيته هزيلة وركيكة، والكم يغلب على الكيف، وهذه مشكلة عامة تعاني منها جميع مراحل التعليم في أرجاء البلاد السعودية[١] .

هـ ـ شاهدت وعرفت وسمعت عن كثير من أهل هذه البلاد، ففيهم خطباء في الجوامع، أو معلمون وموجهون ومربون في المدارس، أو موظفون كبار، أو أساتذة في الجامعات، أو أعيان، أو وجهاء، أو شيوخ قبائل، أو أصحاب مال أوصناع قرار في أوطانهم، أو حكماء وعقلاء. وكل هذه الفئات من النساء والرجال عليهم مسؤوليات كبيرة تجاه أنفسهم، وأهلهم، وأوطانهم، فهم الذين فيهم الأمل، وعليهم يُعتمد في عمارة الأرض، وبناء أوطان صالحة تؤمن بربها، وتعمل لخير دينها وأوطانهم . وإذا لم يتحمل هؤلاء المسؤوليات المنوطة بهم، ويقومون بها على خير وجه للصالح العام والخاص، وإلا فإن المجتمعات سوف تغرق، وينالها الوهن والضعف والتفكك والانهيار[٢] .

---

(١) من يقارن التعليم الحديث مع التعليم القديم فإنه يجد جودة التعليم في الماضي أفضل من عصرنا الحالي، نعم هناكٍ إمكانات كبيرة اليوم، وأموال كثيرة تصرف، لكن مستوى الطالبة والطالب أضعف من السابق تفكيراً، واجتهاداً، وكتابة، ورغبة في التعليم . قد يقول قائل هذا كلام غير صحيح، فها نحن نشاهد أصحاب الشهادات العليا، وبعض المبدعين والجادين، وأقول كلام صحيح، فهناك نماذج جيدة ومتفوقة، لكن النمط العام الغالب على مستوى التعليم اليوم وأثره المعرفي، والأخلاقي، والاجتماعي الإيجابي أضعف بكثير من السابق .

(٢) خلق الإنسان لعمارة الأرض، والواجب على الفرد المسلم المؤمن أن يعمل لتحقيق هذا الهدف، ومن يفعل ذلك فإنه سوف ينال رضا ربه (عز وجل)، وخدمة الدين والنفس والأهل والوطن .

ثالثاً: صور من تاريخ بعض بلدان تهامة (من بارق إلى قلوة) :

١ـ من تاريخها في بعض المصادر المبكرة:

هـذه البـلاد المذكورة من أقل بلـدان تهامة والسراة ذكـراً في كتب التراث الإسلامـي المبكـرة والوسيطة، لكننا نجد أحياناً إشـارات قليلة عن بعض أجزائها وسكانهـا. ففـي كتب التاريخ الحوليـة مثل الطبري، وابن الأثـير، وابن كثير، وابن خلدون معلومات عن بـارق وبعض التهاميين الذين دخلوا الإسلام في عهد الرسول (ﷺ)، والذيـن ارتـدوا في عهـد الخليفة الراشـد أبي بكر الصديـق (رضي الله عنه)، ولا تخلو كتب السير والمغازي من روايات أيضاً. وفي هذه المصادر العامة ورد أسماء بعض الأعلام الذين شاركوا في الصراعات السياسية والعسكرية في القرون الإسلامية الأولى داخل الجزيرة العربية وخارجها(١).

وكتـب التاريـخ الموضوعية التـي تؤرخ لزمـان ومكان محدوديـن مثل كتب الأزرقـي، والفاكهي، والفاسي، وبعضـ أسرة آل فهد المكيـة، وتاريخ اليمن لعمارة الحكمـي اليمنـي وغيرها، يوجـد فيها صفحات مـن تاريخ الحجـاز وبخاصة مكة المكرمـة، وأجزاء من اليمـن، لا تخلو من معلومات تتعلق بالبـلاد الممتدة من بارق إلى قلـوة، فهناك إشارات لبعض الأمكنة، وشذرات أخرى قليلة عن بعض الأحداث التاريخية في هذه البلاد(٢).

وفي كتـب الطبقات والتراجـم والأعلام معلومات عن تهامـة بشكل عام، وعن الأوطـان التـي ندرسهـا بشـكل خاصـ. ومن تلـك المصـادر كتب الطبقـات لابن سعـد، وأسد الغابة في معرفـة الصحابة لابن الأثير، وتهذيـب التهذيب لابن حجر العسقلاني. وهذه المصادر ذكرت روايات عن بعض الأعلام البشرية أو الجغرافية في تهامـة مثل سوق حباشة وبعض من ارتـاده في الجاهلية وصدر الإسلام من أهل الحجـاز أو غيرهم، وأشـارت أيضاً إلى أسماء تهامية عاصـرت ظهور الإسلام في

---

(١) ركـزت كتب التاريخ العامة مثل: الطبري وغيره على التاريخ السياسي والعسكري، لكنها لا تخلو من بعض الشذرات. ومن يفحص هذه الكتب الحوالية فإنه يجد صوراً تاريخية عديدة ومحدودة عن تاريخ وحضارة تهامة والسراة الواقعة بين اليمن والحجاز.

(٢) ركـزت هـذه المؤلفات علـى تواريخ الحجاز واليمـن، ولقرب بلاد تهامـة من هذه النواحـي، ثم للصلات التاريخيـة والحضاريـة للتهاميين مع الحرمين جعلـت مؤلفي هذه المصادر يلتقون بأهـل السراة وتهامة، ويسمعون بعض الأخبار عنهم وعن بلادهم وما يدور فيها من أحداث سياسية سلبية وإيجابية.

الحجاز، وبعضها خرجت مع جيوش المسلمين للجهاد في سبيله في الشام وفارس ومصر وشمال إفريقيا وبلاد الهند والسند[١] .

كما اشتملت كتب اللغة والأدب على معلومات تاريخية عن بلدان تهامة، مثل: وادي قنونا ويبة، وبلاد بارق وغيرها فقد ورد لها ذكر في بعض المصادر المبكرة كمعاجم اللغة العربية الرئيسية مثل: اللسان لابن منظور، وتاج العروس للزبيدي، وكتب أخرى ككتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، وخزانة الأدب للبغدادي، وعمدة القاري للعيني، وبعض الدواوين الشعرية، كديوان ابن هتيمل وغيره من شعراء اليمن أو الحجاز أو نجد، أو شعراء كبار في الجاهلية والإسلام[٢] .

أما كتب الجغرافيا والرحلات فهي الأفضل في حفظ الكثير من المعلومات الجغرافية والتاريخية والحضارية عن تهامة من قلوة إلى بارق، ومن أعم وأشمل هذه المصادر كتاب (صفة جزيرة العرب) للهمداني، ففي هذا السفر تفصيلات كثيرة عن مواضع وسكان عاشوا في هذه البلاد، ولا تخلو معلومات هذا العالم اليمني من بعض الأخطاء غير المقصودة، ومازال كتابه من المصادر الرئيسية عن بلاد تهامة والسراة خلال القرون الأولى من عصر الإسلام [٣] . ومصادر أخرى مثل: المسالك والممالك، ومعجم ما استعجم للبكري، ومعجم البلدان لياقوت

---

(١) من يفحص هذه المصادر فإنه يجد أسماء تهامية هاجرت إلى المدينة المنورة، وأخرى خرجت أثناء الفتوحات الإسلامية إلى بلدان عديدة خارج الجزيرة العربية .

(٢) من أولئك الشعراء الشنفرى، وأبو الحياش الحجري وغيرهما اللذان ورد في أشعارهم أسماء وقائع ومواضع في البلدان الممتدة من جازان جنوباً إلى مكة المكرمة شمالاً، ومن الأمكنة التي ذكرت بارق، وقنونا، والسرين، وعشم وغيرها. حبذا أن نرى باحثاً جاداً يجمع الأشعار التي ذكرت أحداثاً ومواقع في بلاد تهامة والسراة، وهي متناثرة في كتب التراث الإسلامي مثل الدواوين الشعرية القديمة، وكتب الأدب واللغة، وكتب التاريخ والتراث الأخرى . ومن يفعل ذلك فإنه سوف يسدي لنا معروفاً كبيراً، وسوف يطلعنا على مادة علمية غزيرة وقيمة.

(٣) الهمداني : هو الحسن بن أحمد بن يعقوب، يكنى بأبي يعقوب، ويعرف بالنسابة، أو ابن الحائك، ويسمي نفسه بـ (لسان اليمن)، ويكني نفسه أيضاً بأبي محمد، وهو من بلاد همدان في اليمن، ومن علماء المسلمين الكبار، وله كتب عديدة في الأنساب، واللغة، والجغرافيا، والمعادن وغيرها . وكتبه من أفضل المصادر التي وصلتنا عن الجزيرة العربية خلال عصور الإسلام الأولى، وتستحق أن يصدر عنها عشرات الكتب والبحوث والرسائل العلمية . للمزيد انظر: ، غيثان بن جريس "بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني" . بحث منشور في مجلة الدارة، عدد (٣) النسة (١٩) (ربيع الآخر، والجماديان /١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ص ٧٦-١١١. والبحث نفسه أعيد نشره في كتابنا: دراسات في تاريخ تهامة والسراة (ق ١-ق١٠هـ/ق٧-ق١٦م)، ج١ (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) ص ١٢٧-١٦٤.

الحمـوي، وهذه الكتب تأتي في المرتبة الثانية بعد كتب الهمداني [١]، وفيها معلومات كثـيرة عن تهامة، والبلاد الممتدة من بارق إلى قلوة ورد لها ذكر لا بأس به، فهناك مواضـع عديدة تم الإشارة إلى شيءٍ من جغرافيتهـا وتاريخها . ومصادر أخرى لا تخلو من اشارات طفيفة وأحياناً مبهمة عن بعض الأوطان التهامية الممتدة من مكة المكرمة إلى جازان، ومن تلك الكتب : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي، وسفرنامـة لناصر خسرو، ورحلة ابن جبير، وتاريخ المستبصر لابن المجاور، ونزهة المشتـاق في اختراق الآفـاق للإدريسي، ورحلة السلطـان المجاهد الرسولي من تعز إلى مكة المكرمة، ورحلة ابن بطوطة وغيرها [٢] .

وكتـب الأنساب والموسوعات من المصـادر الأولية التي فيها لمحات تاريخية عن تهامـة . فابـن الكلبي في كتابه: النسب الكبير، وجمهـرة أنساب العرب لابن حزم، وفي كتب الأنساب للسمعاني والقلقشندي تفصيلات عن أصول القبائل الأزدية التي استوطنـت السراة وتهامة، ومعظـم العشائر القاطنة في تهامة مـن بارق إلى قلوة تنتسـب في قبائل اليمن وبخاصة قبيلـة الأزد، ومازالت هذه العشائر تعيش في هذه الأوطـان حتى وقتنا الحاضـر [٣]، والمصادر الموسوعية مثل: نهايـة الأرب للنويري، ومسالـك الأبصار لابـن فضل الله العُمري، وصبح الأعشـى للقلقشندي، والمقصد الرفيع المنشأ للخالدي، هذه الكتب موسوعية في معلوماتها، وتحتوي على تفصيلات تاريخيـة وحضارية (اجتماعية، واقتصادية، وجغرافية، وسكانية) عن بلاد تهامة والسراة، ولا تخلو من إشارات عن البلدان المعنية في مبحثنا [٤] .

---

(١) تستحـق كتـب البكري وياقوت الحموي دراسة وتحليلاً، وبخاصـة ما جاء فيها عن بلاد تهامة والسراة، ونأمـل أن نرى أحد طلابنا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد، برنامج الدراسات العليا، فيتخذ من هذا الموضوع عنواناً لرسالته في درجة الماجستير أو الدكتوراه.

(٢) كتـب الجغرافيـا والرحـلات المبكرة والمتأخـرة تشتمل على تفصيـلات كثيرة وجيدة عـن بلدان تهامة والسـراة، ونأمـل أن تدرس في موضوعـات علمية موثقة . للمزيد انظر، غيثان بـن علي بن جريس " بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة الجغرافيون المسلمون الأوائل (ق٣ـ ق٨هـ) " مجلة المؤرخ العربي، عدد (٢)، المجلد الأول (مارس/ ١٩٩٤م)، ص٧٣ـ١٠٠ . وأعيد نشر هذه الدراسة في كتاب : دراسات في تاريخ تهامـة والسراة (ق١ـ ق١٠هـ/ق٧ـ ق١٦م)، ج١، صـ ١٦٥ـ١٩٦ . انظر مجلدات عديدة من موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٣، ص ٣٢١ـ ٣٩٤ . ج٤، ص ٢١ـ٨٦ . ج٥،ص٢١ـ٩١ . ج٩، ص١٣١ـ ١٩٤ . للمؤلف نفسه، بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق١٠ق١٥م)، ص١٥٩ـ٢٣٠ .

(٣) تاريـخ أنساب بلاد تهامـة من بارق إلى قلوة جديرة بالدراسة، ونأمل أن نرى باحثاً جاداً يدرسها في هيئة كتاب أو رسالة علمية .

(٤) هـذه الموسوعات تجمع لفيفاً من المعارف المتنوعة في أبوابهـا، والسروات وتهامة ورد لها ذكر في صفحات وفصول عديدة من هذه المصادر .

ومصـادر أخرى متنوعة في أطروحاتها، وتحتـوي على فقرات من تاريخ تهامة الممتـدة من قلـوة والمخواة إلى بـارق والمجاردة ومـا جاورها . ومـن أهمها : كتاب النبـات لأبي حنيفة الدينوري من أهل القـرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، ويقـع في عشرة مجلدات، لكن لم يصلنا منها إلا ثلاثة فقط . وهذا المصدر يشتمل علـى معلومات كثيرة عن نباتات تهامة والسـراة وكثير من الأشجار والنباتات التي درسهـا تتواجد في منطقتنـا المدروسة في هـذا القسم، وفي أنحـاء تهامة والسراة الممتـدة مـن مكة والطائف إلى نجران وجـازان[١] . وهذا كتاب الأنـواء لابن قتيبة مـن أهل القـرن الثالث الهجري أيضـاً، وهذا المصدر فصّـل الحديث عن مواسم العـرب، ومعرفتهـم الكبـيرة بفصول السنـة، ومـا يتخللها من تغـيرات، ومواسم الزراعة والحصاد، وكل ما يتعلق بالجو وتأثيراته على حياة الناس في جميع مهنهم الاقتصادية والاجتماعية[٢] .

ونقول إن المادة المتوفرة عن تهامة في العصر الجاهلي والقرون الإسلامية المبكرة والوسيطة قليلة جداً، وإن أشرنا إلى بعض المصادر الأولية التي ذكرت شذرات من تاريخهـا، لكنهـا لا تعطينا صورة واضحة عـن حياة الناس في هـذه البلاد. وأكثر القرون غموضاً الفترة الممتدة من القرن الثاني إلى الثاني عشر الهجريين (الثامن إلى الثامن عشر الميلاديين)، فهذه الحقب لا نجد عنها الشيء الكثير، وإن ذكرت مواضيـع محدودة، أو أحـداث، أو أعلام، فمازال النقص الكبـير واضحاً[٣] . وفي المصادر المكية الوسيطة وأوائـل العصر الحديث إشارات تستحق الجمع والدراسة عن البلـدان الواقعة إلى جنوب مكة المكرمة والممتـدة إلى الليث والقنفذة والمخواة

---

(١) السائـر في بلاد تهامة وبخاصة المناطق الواقعة عنـد سفوح السروات الغربية من جازان إلى مكة المكرمة سوف يشاهد آلاف الأنواع من النباتات والأشجار التي ذكرها الدينوري في كتابه، ومن يسأل أهل الخبرة بهـذه النباتات ثـم يقرأ ما كتبه هذا العالم المسلـم فإنه يجد معظم مادته العلميـة صحيحة متطابقة مع أقوال أهل الدراية والخبرة من أهل البلاد .

(٢) إن القـارئ لكتـاب الأنواء، ثم السير في بلاد تهامة والسـراة ويسمع لأقوال وروايات الأوائل عن الأنواء، وكيـف كانـوا يراقبونها ويتعاملون مـع تغيراتها في زراعاتهـم ورعيهم وحصادهم وتجارتهـم، فإنه فعلاً سيجد هذا العالم قد أبدع في تدوينه لكثير من الصور التاريخية

(٣) هذا ما اتضح لي من خلال الاطلاع على مصادر حجازية ويمنية عديدة، وأحياناً مصادر عامة . والبلاد التهاميـة والسروية الواقعة بين اليمـن والحجاز مأهولة بالسكان، وغنية بمواردهـا الاقتصادية، ولأهلها صـلات حضارية مع حواضر اليمن والحجاز، لكن للأسف لا نجـد تاريخاً واضحاً أو حتى صوراً تاريخية محدودة لبعض هذه البلدان وسكانها، ما عدا المخلاف السليماني (منطقة جازان)، ونجران، والطائف فهناك بعض الكتابات والروايات عنها وهي متناثرة في مصادر ومؤلفات يمنية وحجازية .

وبـارق والبرك ودرب بني شعبة وصبيا وجازان[(١)] . وهناك مصادر ومراجع حديثة تصـب في خدمة هـذه البلاد، ومنها: كتـاب : منائح الكرام في أخبـار مكة والبيت وولاة الحـرم . لتاج الدين بن تقي الدين السنجاري المكي من أهل القرنين الحادي عشـر والثاني عشـر الهجريين (السابع عشر والثامن عشـر الميلاديين) ، فقد ذكر معلومـات قيمة عـن أجزاء من تهامة وخصـص بلدة المخواة ببعضـ التفصيلات[(٢)]، وسوف نذكر شيئاً من هذه المعلومات في نهاية هذا القسم [(٣)] .

وأصبحـت القنفذة منذ القـرن (١٢هـ/١٨م) ، مـن المدن والموانـئ الرئيسية التـي تؤثر وتتأثر بمـا يحدث في عموم بـلاد تهامة والسراة، وصـارت بوابة البحر الأحمـر الرئيسية على البلاد الممتدة من الطائف والليث إلى أبها ورجال ألمع ودرب بني شعبـة [(٤)]، كما أن وصول القوات العثمانية في العصر الحديث إلى مكة المكرمة والطائـف والباحة وعسير وجازان جعل المؤرخين ورجال الحرب والسياسة يذكرون بلاد السراة وتهامـة في مراسلاتهم ووثائقهم وتقاريرهم، ومن ثم صار هناك من يـدون ويكتب شيئاً من تاريـخ البلاد الممتدة من محايل وبارق إلى المخواة وقلوة وما جاورها. وظهر في القرون (١٢-١٤هـ/١٨-٢٠م) دراسات فصلت الحديث عن بعض الصـور التاريخية التـي عاصرها وشارك فيهـا السرويون والتهاميـون . ومن تلك

---

(١) أسـير في أرجاء هذا الأوطان منذ أربعـين عاماً، والتقى ببعض أعيانها ووجهائها، وجمعت شيئاً من وثائق وتـراث أهلهـا. وهي بلدان ذات تاريـخ وحضارة، والواجب علـى الجامعات الموجودة في هـذه الأجزاء أن تضاعـف الجهود، وتفتح مراكز علمية بحثية متخصصة، وتجلب لها أساتذة مميزين حتى يدرسوا تاريخ ومـوروث وآثـار وحضارة هـذه الديار، وهي فعلاً تستحـق الرعاية والدعم . ومنذ ثلاث عقـود وأنا أنادي أصحـاب القرار، والباحثين الغيوريـن، والمؤسسات العلمية والثقافية في هـذه البلاد ليعملوا ويجتهدوا في جمـع تاريـخ وموروث هـذه الأوطان العريقة، لكن حتـى الآن لا نرى أي حراك أو اهتمـام يصب في خدمة البلاد .

(٢) هذا الكتاب يقع في عدة مجلدات، وفيه معلومات جيدة عن أهل تهامة والسراة، ونأمل أن نرى باحثاً جاداً يجمع ما دون وغيره من معاصريه عن هذه الأوطان التهامية والسروية، ومن يفعل ذلك فإنه سيطلعنا على تفصيلات قيمة وجديدة في بابها .

(٣) الأستاذ عبد الرحمن حمياني العُمري من أهل المخواة أصدر مقالة عن المخواة القديمة، وأشار إلى أهمية هذا المصدر، للمزيد انظر: هذه المقالة منشورة في نهاية هذا المحور .

(٤) إن الصـلات التاريخية خلال العصر الحديث والمعاصر بـين القنفذة والأجزاء التهامية الداخلية، وأيضاً السـروات من الموضوعات المهمـة للبحث والدراسة . وهنـاك مئات الوثائق غـير المنشورة وعشرات الكتب والبحوث والرسائل التي تشتمل على تفصيلات عن هذه الفترة، ونأمل أن نرى باحثين جادين، من طلاب درجـات الماجستـير والدكتوراه، يدرسونها في عدد من البحوث العلميـة، وهي تستحق أن تدرس في بحوث وكتب عديدة .

البحوث رحلات بعض الرحالة المسلمين وغير المسلمين، مثل: نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس، للعباس بن علي الموسوي، الذي زار أجزاء من تهامة زهران والقنفذة في عام (١١٤١هـ/١٧٢٨م)، وكتاب: بلغة المرام في الرحلة إلى بيت الله الحرام، ليحيى بن المطهر، ورحلة محسن بن عبد الكريم بن إسحاق، وكتاب: نيل الوطر في ذكر أحوال السفر إلى الحرم الأزهر والنبي الأنور (ﷺ)، لإسماعيل جغمان. وهؤلاء الرحالة الثلاثة الآخرين يمنيون، ومن أهل القرنين (١٢-١٣هـ/١٨-١٩م)، اجتازوا تهامة عند ذهابهم إلى أرض الحرمين، وذكروا شيئاً من تاريخها[١]. والرحالة السويسري جون لويس بركهارت (ت١٢٣٣هـ/١٨١٧م) في كتابه: رحلات إلى شبه الجزيرة العربية، دون بعض التفصيلات عن البلاد الممتدة من الطائف ومكة إلى سروات وتهامة غامد وزهران، وهناك رحالة أجانب زاروا تهامة وكتبوا عنها في القرن (١٤هـ/٢٠م) مثل: السير كيناهان كورنواليس، وسانت جون فلبي، وتوتيشل، وولفرد شيجر، وجميعهم ذكروا حاضرة القنفذة وأجزاء من تهامة الباحة وعسير، وفصل بعضهم الحديث عن الحياة السياسية والحضارية في بارق، والعرضيات، وقلوة والمخواة[٢]. ومن الرحالة العرب الذين أشاروا إلى هذه البلاد في القرن (١٤هـ/٢٠م)، وبعضهم في القرن(١٥هـ/٢٠م) الشريف البركاتي، والشريف عبد الله بن الحسين، وعاتق بن غيث البلادي [٣]. وهناك عشرات الكتب والبحوث والرسائل العلمية التي فصلت الحديث عن تاريخ مناطق جازان، وعسير، والحجاز، وموانئ البحر الأحمر، وبعضها باللغة العربية، وأخرى بلغات أجنبية وبخاصة اللغة الإنجليزية أو الإيطالية، أو العثمانية، أو التركية الحديثة[٤]. ومعظمها تعرضت لتاريخ أرض وسكان تهامة الممتدة من درب بني شعبة ورجال المع إلى المخواة وقلوة.

---

(١) للمزيد عن هؤلاء الرحالة، انظر: غيثان بن جريس. بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق١٠-ق١٥هـ)، ص ١٦٩-١٨٠.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٨١-١٩٢-٢١٢.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٨٦-١٩١، ٢١٤.

(٤) هذا ما عرفه الباحث خلال العشرين سنة الماضية أثناء زيارته بعض المكتبات المركزية في المملكة العربية السعودية، ومصر، وتركيا، وبريطانيا، وهولندا، وفرنسا، وإيطاليا. وكذلك حضوره بعض المؤتمرات والندوات أو مناقشة بعض الرسائل العلمية في جامعات عربية وغير عربية، وأيضاً اطلاعه على بحوث علمية محكمة ومنشورة عربية وغير عربية.

٢ـ من تاريخها في بعض الوثائق :

من بارق إلى قلوة جزء من تهامة الممتدة من الحجاز إلى اليمن، وأثناء دراستي في الولايات المتحدة الأمريكية، ثم بريطانيا، ثم زياراتي إلى مصر، وتركيا، وسياحتي في مناكب السراة وتهامة، ومقابلة الكثير من أعيانها وشيوخها ورموزها، وتدريسي آلاف الطالبات والطلاب خلال الأربعين عاماً الماضية، وإشرافي على بحوثهم ورسائلهم العلمية، تكون عندي خلفية لا بأس بها عن أوطان تهامة والسراة، ووجدت مصادرها التاريخية متنوعة مثل: المخطوطات، والمصادر المبكرة أو النادرة، والآثار والنقوش والرسومات الصخرية، والمقابلات، والروايات الشفهية، والمتاحف، والصور الفوتوغرافية، والوثائق المحلية والإقليمية والعالمية، وقد توقفت مع هذا المصدر الأخير (الوثائق) فوجدت أماكنها متعددة، ومعلوماتها متنوعة، وخرجت ببعض الرؤى عن هذا المصدر المهم، وأذكرها في النقاط الآتية :

أـ أهل هذه البلاد لهم عادات وأعراف وتقاليد، وعندهم أملاك عقارية، ولهم أحداث وصراعات حربية وسياسية داخلية وخارجية، وهذه الأنشطة تُروى وبعضها تدون في أوراق ووثائق محلية، وفي المنطقة أيضاً إدارات ومؤسسات إدارية تشرف وتضبط سير الحياة العامة والخاصة . كل هذا وجدته في كثير من الوثائق التي استطعت جمعها خلال العقود الأربعة الماضية، ومعظم هذه المصادر حصلت عليها من الأفراد والجماعات وأحياناً من بعض البيوتات العلمية في الأوطان التهامية والسروية، أو من بعض الإدارات الحكومية في القنفذة أو جازان أو أبها أو غيرها من البلدان الجنوبية السعودية[1] . وهذه الوثائق توجد في ملكيتنا، وقد نشرت العشرات منها في كتب وبحوث مختلفة[2]، ومادتها متنوعة مثل: الوثائق الاقتصادية كالبيع والشراء، أو أسعار السلع، أو حركة الأسواق الأسبوعية، أو امتلاك بعض العقارات كالمنازل والمزارع، أو التبادلات التجارية، أو أسماء بعض

(١) كثير من الوثائق التي استطعت جمعها من الأوطان المحلية مثل: محائل، وبارق، والعرضيات، وقلوة، والمخواة، وباقي بلدان تهامة والسراة، ومعظمها في التاريخ الحديث من القرن العاشر إلى الخامس عشر الهجريين، وهناك وثائق قليلة قبل هذا التاريخ، ومازالت في حوزتنا، وهي غير منشورة وتقدر بعشرات الآلاف، وتستحق أن تدرس في عدد من المجلدات.

(٢) انظر بعض كتبنا المطبوعة والمنشورة وهي تحتوي على عشرات الوثائق الجديدة والمتنوعة في مادتها العلمية، وجميعها مازالت وثائق خام تحتاج إلى دراسة وتحليل ونأمل أن يأتي من طلابنا في الدراسات العليا، أو من باحثين مجتهدين يصنفونها ويدرسونها .

التجارات أو التجار في القرى أو الأسواق، أو المدن، أو الموانئ، أو ذكر بعض الصناعات والحرف التقليدية، وممارسة شراء موادها الأولية، وبيع مصنوعاتها الجلدية، أو الخشبية، أو المعدنية، أو الحديدية، أو النباتية، أو الحجرية والفخارية . أو وسائل التعاملات مثل: البيع بالمقايضة، أو النقود، أو الدفع بالأجل، وما يقابل هذه المعاملات من صعوبات[١] . وهناك وثائق أخرى اجتماعية أو تعليمية وثقافية، أو سياسية أو عسكرية، أو صلات إخوانية، أو علاقات دبلوماسية[٢] .

ب ـ من الوثائق الموجودة في مكتبنا ما تم الحصول عليه من دور الأراشيف الوثائقية في مصر، وتركيا، وبريطانيا وبعض الدول الغربية الأخرى . ومنها أيضاً ما وجدناه في دارة الملك عبد العزيز العامة، او مكتبة الملك فهد الوطنية، أو مكتبة الملك عبد العزيز العامة [٣] . وعدد هذا الصنف من الوثائق عندنا محدوداً، فلا تتجاوز الآلاف، وقد رأيت أعداداً كثيرة من هذه الوثائق في الأرشيف العثماني في اسطنبول وتاريخها من القرن (١٢ـ ١٤هـ/ق١٨ـ ٢٠م)، وبعضها يناقش تواريخ عديدة في تهامة عسير والباحة، ومن المواضع المذكورة: بارق، والمجاردة، والمخواة، وقلوة، والأجزاء الشرقية من منطقة القنفذة مثل: القوز، وسبت الجارة، وثريبان، ونمرة[٤] .

ج ـ صدر عدد من الكتب العربية والأجنبية، وبحوث محكمة ورسائل علمية في بعض المجلات والجامعات السعودية والعربية والغربية . وكثير من هذه الأعمال تحتوي على وثائق تاريخية تخص الديار التهامية الممتدة من مكة المكرمة إلى صبيا

---

(١) عثرنا على آلاف الوثائق الاقتصادية المحلية، وهي جديدة وغير منشورة، وتوضح كثير من الجوانب التاريخية الحديثة في مدن وموانئ وقرى وأسواق الأراضي التهامية الممتدة من مكة المكرمة إلى جازان. وما في حوزتنا من هذا النوع من الوثائق كافٍ لخروج عشرات المجلدات . ونأمل أن نرى من الباحثين الجادين من يتعاون معنا حتى نصدرها في بحوثٍ علمية سهلة التداول .

(٢) يوجد في مكتبة د غيثان بن جريس العلمية أكثر من (١٥٠) مجلداً من الوثائق العامة، وكثير منها جمعت من أهل تهامة والسراة، ومعظمها تعكس تاريخ المناطق الجنوبية السعودية خلال الثلاثة قرون الماضية، وهي متنوعة وتشمل معظم جوانب التاريخ السياسي والحضاري في الجزيرة العربية وبخاصة جنوبها .

(٣) مازال في هذه المكتبات وثائق كثيرة تتعلق بتاريخ بلدان السراة وتهامة، ونأمل من طالبات وطلاب درجات الماجستير والدكتوراه في التاريخ الحديث بجامعاتنا السعودية أن يطلعوا عليها ويستفيدوا منها في أطروحاتهم العلمية.

(٤) جميع هذه المواضع تستحق أن يصدر عنها بحوث ودراسات علمية خلال القرنين (١٣ـ١٤هـ/١٩ـ٢٠م)، والحصول على مواد علمية تؤرخ لهذه الفترة توجد في الأراشيف والمكتبات السابق ذكرها أعلاه .

وجازان[١]. ويغلب على أكثرها أنها مصادر جديدة، ومدروسة بطرق علمية[٢].

٣ـ من تاريخها في بعض البحوث والمقالات المنشورة، وغير المنشورة:

البلاد الممتدة من شمال محائل إلى المخواة وقلوة فقيرة في ميدان الدراسات العلمية، وغير متساوية فيما صدر عنها من بحوث ومقالات علمية منشورة وغير منشورة، وفي الصفحات التالية نذكر بعض أسماء هذه البحوث الحديثة والموجودة في مكتبتنا، وهي على النحو التالي:

أـ صدر عن بارق عدد من الدراسات المطبوعة والمنشورة، مثل: بلاد بارق، لعمر بن غرامة العمروي، والشارق في تاريخ وجغرافية .بلاد بارق، لمحمود بن محمد البارقي. وبعض الكتب الأخرى لأحمد بن مريف، ومحافظة بارق، الجزء الثامن (١٤٣٦هـ)، بالاشتراك مع محمد بن علي آل عبد المتعالي، والآثار والتراث في محافظة بارق[٣].

ومن البحوث التي صدرت عن محافظة المجاردة، المعالم التاريخية والسياحية في محافظة المجاردة، لبلقاسم بن محمد الربيع، وهو في اعتقادي أفضل الموجود من حيث التنوع في المادة العلمية، وهو كتاب ثقافي إعلامي، ودراسات أخرى محدودة للأستاذ محمد بن علي آل الجحيني الشهري، ومفرح بن علي بن فيصل بن محمد الشهري، وهي منشورة في بعض مؤلفاتنا التي صدرت خلال السنوات الماضية المتأخرة[٤].

---

(١) لم نفصل الحديث عن الوثائق وموضوعاتها وما تحتوي عليه من مواد علمية، فهذا ميدان واسع يحتاج إلى آلاف الصفحات، وإنما اقتصرنا على الحديث على الأوعية والأماكن الرئيسية التي يوجد فيها وثائق علمية تخدم تاريخ تهامة وبخاصة البلاد الممتدة من الحجاز إلى جازان، وتقع مناطق بارق والمجاردة والعرضيات والمخواة. والشدوان ضمنها. وهذا العرض المختصر قد يفتح الباب لطلاب الدراسات العليا، والمؤرخين، والباحثين الذين يجمعون ويدرسون تاريخ هذه البلدان العربية السعودية.

(٢) رأيت خلال الأربعين عاماً الماضية كثيراً من هذه الدراسات المنشورة وغير المنشورة وفيها وثائق قيمة عن بلدانالقنفذة، والبرك، وبارق، والمخواة، ومحايل عسير، ورجال ألمع، والقحمة، ودرب بني شعبة، والشقيق، وجازان وغيرها. وأرجو من أبنائنا الطلاب في أقسام التاريخ في برامج الدراسات العليا وكذلك الباحثين والمؤرخين من أهل تهامة أن يلتفتوا إلى هذه النواحي، فيجمعوا وثائقها ومصادرها الأولية ويعكفوا على دراستها وتحليها.

(٣) هناك صفحات متفرقة في بعض الكتب عن بارق، مثل رحلة البلادي، وعسير لمحمود شاكر، وتاريخ عسير لهاشم النعمي، وعسير لفؤاد حمزة. وتأتي بحوث أحمد بن مريف في المقدمة من حيث التنوع والشمولية، ومازالت محافظة بارق بحاجة إلى دراسات علمية موثقة، ونأمل من أساتذة جامعة الملك خالد، فرع تهامة أن يضاعفوا الجهود ويدرسوا هذه البلاد في شتى الميادين.

(٤) ذكرنا هذه الدراسات في صفحات سابقة، وهي منشورة في كتابي: بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٤.١٣هـ/١٩ـ٢٠م)، ص ٣١٩ـ٣٩٤، والقول المكتوب في تاريخ الجنوب، (الجزء الحادي عشر)، ص ٧٨ـ١١٣.

وهنـاك عدد من البحوث غير المنشورة التـي أنجزها بعض طلابنا في المرحلة الجامعيـة خلال الأربعة قرون الماضية، وقـد أوردها الأستاذ محمد بن أحمد معبِّر القحطـاني في كتابـه الموسوم: بـ: دليل البحوث الجامعيـة في مكتبة الدكتور غيثان بن جريس العلمية (ببليوجرافيا مشروحة) (١٤٠١-١٤٣٥هـ / ١٩٨١-٢٠١٤م) [١]. وهي تشتمل على تفصيلات تاريخية وحضارية متنوعة، وجميعها لا يخلو من الصور الفوتوغرافية والوثائق التاريخية التي لم يسبق نشرها [٢]. ومن هذه الدراسات عن بارق والمجاردة مايلي: (١) بارق دراسة تاريخية مختصرة للبناء واللباس والطعام خـلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، للباحثين محمد بن علي بن عبـد الرحمن الشهري، ومريـف بن محمد بن زاهـر البارقي، ومحمد بن يعن الله بـن عويضة القرني، في (١٨١) صفحة [٣]. (٢) بارق من ظهور الإسلام إلى أواخر العصر الأموي (دراسة تاريخيـة)، للباحث محمود بن محمد عسـيري، (٢٨١) صفحة[٤]. (٣) بلاد بارق والمجـاردة: دراسـة تاريخيـة حضاريـة مختصرة خـلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، للباحثـين أحمـد بن موسى بن علي البارقي، وعامر بـن إبراهيم بن علي الشهري، (١٦٤) صفحة [٥]. (٤) تهامة بللسمر في القرن (١٤هـ/٢٠م) (الحياة الاجتماعية والاقتصاديـة واللهجـات)، للباحث يحيى بـن حسن بن محمد المعربـي الشهري، (١٣٢) صفحة[٦]. (٥) تهامة عسير: دراسة تاريخية مختصرة للحياة الاجتماعية خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، للباحثين حسن بن محمد بن حسن أسلمي، وحسن بن ناصـر بن محمد القـرني، وحسن بن محمد بن عبد الهـادي الشهري، ومحمد بن علي بن محمد آل عايضة، (١٨١) صفحة [٧]. (٦) بلاد المجاردة: دراسة تاريخية

---

(١) هذا الكتاب يقع في (٥٥٠) صفحة، صدر من مطابع الحميضي بالرياض (١٤٣٦هـ/٢٠١٥م).

(٢) أورد ابن معبِّر في هذا الكتاب عدد (٤٠٥) بحثاً غير منشور، وتوجد في مكتبة غيثان بن جريس، وجميعها تـدور حول مـوروث وتاريخ بلـدان تهامة والسـراة الواقعة بـين حواضـر اليمن والحجاز الكـبرى، وهذه الدراسات في بحوث علمية موثقة.

(٣) انظر ابن معبِّر، دليل البحوث الجامعية، ص٩٣.

(٤) المرجـع نفسـه، ص٩٤. من خـلال تجوالي في محافظة بارق، وجدت البعض مـن أهلها ينكتبون في آخر أسمائهـم (العسـيري)، وآخـرون (الشهري)، وفريـق ثالث (البارقي). ومنهم صاحـب هذه الدراسة (محمود) فهو من طلابي في برنامج الدراسات العليا، واعلم أنه بارقي، لكنه وغيره كثيرون من أهل بارق يكتبون (عسيري) أو (العسيري)، وهذا التباين يحتاج إلى دراسة وتحليل.

(٥) المرجع نفسه، ص ٩٨.

(٦) المرجع نفسه، ص ٢٠٠.

(٧) المرجع نفسه، ص ٢٠٣.

مختصرة للحياة الاقتصادية خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، للباحثين محمد بن علي بن محمد آل يحيى الشهري، ومشعمل بن سحاب بن أحمد آل مجامد الشهري، وعامر بن حسن بن عبد الله الشهري، وسعيد بن حسن بن حسين المالكي(١٠٨) صفحة [١]. (٧) دراسة جغرافية مقارنة للأسواق الريفية الأسبوعية الدورية في منطقتي سراة وتهامة بني شهر، للباحث صالح بن علي بن محمد الشهري [٢]. (٨) مخططات التنمية وتطور المدن الصغرى في المنطقة الجنوبية الغربية(مثال: مدينة المجاردة في تهامة بني شهر)، للباحث مفرح بن سعد بن عبدالله الشهري، (١٢٠) صفحة [٣].(٩) معجم جغرافي تاريخي لبلاد بني عمرو (بادية، وسراة، وتهامة)، للباحث سعيد بن عبد الرحمن جاري العمري، وعبد العزيز بن سعيد آل حبيب العمري، وعبدالرحمن بن علي بن ديدح العمري، (١٦٧)صفحة [٤].

ب ــ تعاني العرضيات من نقص كبير في مجال البحوث العلمية[٥]، مع أن هناك بعض الصفحات المحدودة التي أنجزها عبدالله الرزقي القرني، وقد نشرناها في الجزء الثاني من سلسلة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب)[٦].

وكتيب أيضاً للرزقي نفسه عن سوق حباشة، وجزئيات محدودة في كتاب: بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق١٠ـ ق١٥هـ)[٧]. وأثناء رحلتي الأخيرة في العرضيات اطلعت على دراسات محدودة، وغير منشورة، من إعداد بعض أبناء هذه البلاد، مثل: إبدال لام (أل) ميماً في لهجة أهل تهامة، للباحث مكين بن حوفان بن مكين القرني[٨]، وقد اتصلت به هاتفياً وهو أستاذ مساعد في كلية قلوة بجامعة الباحة، وحرصت على مقابلته لكن لم يتم ذلك، وذكر لي أن رسالته للدكتوراه عن لهجات وأسماء منطقة مكة المكرمة ، وتدخل في هذه الدراسة بلاد العرضيات وما حولها،

---

(١) المرجع نفسه، ص ١٣٢ .
(٢) المرجع نفسه، ص ٢٨١ .
(٣) المرجع نفسه، ص ٣٩٧.
(٤) المرجع نفسه، ص ٤٢٨ .
(٥) مازالت العرضيات تعاني من نقص كبير في جوانب اجتماعية، واقتصادية، وثقافية وتعليمية عديدة. ونأمل أن نراها في وضع تنموي أفضل في قادم الأيام .
(٦) انظر الكتاب، ص ٢٨٣ـ ٤٣٤ .
(٧) انظر صفحات متفرقة من الكتاب .
(٨) صورة من هذه الدراسة توجد ضمن مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٥هـ/ ٢٠ـ٢١م)، الجزء السابع، ص٢٢ـ ٣٥ .

ولم أطلع على هذه الرسالة حتى الآن[١] .ودراسة أخرى بعنوان : (الحركة العلمية في العرضيات) للباحث محسن بن علي السهيمي[٢] . ومن البحوث غير المنشورة، والمذكورة في كتاب محمد بن معبِّر (دليل البحوث الجامعية) ، والمحفوظة في مكتبتنا ما يأتي : (١) تراجم لبعض شخصيات بلاد بلقرن التهامية التابعة لمنطقة مكة المكرمة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) ، للباحث عبد الله بن أحمد بن محزي القرني، (١٣٩) صفحة[٣] . (٢) تهامة بلقرن وشمران، للباحث عبد المجيد بن حسن بن أحمد بن وهاس، (٥٣) صفحة[٤] . (٣) دراسة تاريخية حضارية بلاد عمارة بمنطقة بلقرن (١٣٠٠-١٤٠٠هـ) ، للباحث فائز بن محمد بن هاشل العماري، (١٤٨) صفحة[٥] . (٤) الطعام واللباس في تهامة بلقرن (دراسة تاريخية مختصرة خلال القرن ١٤هـ/٢٠م) . للباحثين محسن بن سالم بن عبد الله الأحادبة القرني، ومرشد بن علي بن أحمد القرني، وعبد العزيز بن عوض بن أحمد الثابتي الشهري، وعلي بن عزيز بن فاضل العمري (١٤٢)صفحة.[٦] (٥) اللهجات المحلية في تهامة بلقرن، للباحث مضحي بن محمد بن هشلول القرني، (١٠٦) صفحة[٧] .

ج ـ المخواة، وقلوة، والشدوان :

تعيش هذه النواحي نفس مشكلة أهل العرضيات من حيث قلة وأحياناً ندرة الدراسات والبحوث العلمية، مع أن محافظة المخواة وما حولها أكثر تطوراً وتنمية من العرضيات[٨] ، ويوجد فيها بعض الكليات وأقساماً للتعليم الجامعي[٩] . ومما اطلعت

---

(١) موضوع اللهجات من العناوين العلمية الجيدة، وهناك لهجات عديدة في بلدان تهامة والسراة، ويجب على أقسام اللغة والأدب العربي في جامعات الجنوب السعودية أن تدرس هذا الميدان، وتشجع أعضاءها وطلابها على دراسته فهو جدير بالبحث والتوثيق .

(٢) صورة من هذا البحث في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٥هـ / ٢٠-٢١م) ، ج٧، ص ٦١-٦٧.

(٣) انظر محمد بن معبِّر، دليل البحوث الجامعية، ص ١٥٧ .

(٤) المرجع نفسه، ص ١٩٩ .

(٥) المرجع نفسه، ص ٢٦٠ .

(٦) المرجع نفسه، ص ٣٣٤ .

(٧) المرجع نفسه، ص ٣٧٥ .

(٨) هذا ما شاهدناه أثناء سيرنا وتجوالنا في هذه البلدان، خلال رحلتنا المدونة في هذا القسم.

(٩) زرت بعض هذه الأقسام والكليات في المخواة وقلوة فوجدتها متواضعة في إمكاناتها، ولا أحد من أعضاء هيئة تدريسها عنده الهمة أو الرغبة في بحث أو دراسة أي مجال من مجالات الحياة في هذه الأوطان، وربما تكون المشكلة نفسها في الجامعة الأم في الباحة، التي يجب أن تدعم وتشجع إنشاء مراكز للبحوث العلمية التي تخدم البلاد وأهلها .

عليه بحثان منشوران محدودان سطحيان . الأول: مذكرات معلم في السعودية، في قرية حدب بني عاصم في المخواة، لأستاذ فلسطيني، عمل في التعليم في تلك الناحية في عام (١٣٨٥هـ)، ودون شيئاً من مشاهداته وانطباعاته، ونشرت هذه المذكرة في مجلة المعرفة التي تصدرها وزارة التعليم، بتاريخ (١٤٣٢/٢/٦هـ)[١]. والدراسة الثانية بعنوان : (شدا الأعلى هل هو جبل (ق)، وهي منشورة في مجلة العرب، الجزء (١١، ١٢) سنة (٤٩)، الجماديان (١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م)[٢]، للأستاذ ناصر الشدوي[٣] . كما اطلعت على كتيب بعنوان : هذه سيرتي، للأستاذ علي بن أحمد اليهمطي، أحد رواد التعليم في محافظة قلوة، وإن كانت معظم مادة الكتاب عن سيرته الذاتية، فإنه لا يخلو من معلومات حضارية تصب في خدمة تاريخ وتراث قلوة الحديث . ومن أفضل ما وصلني مذكر ة بعنوان: المخواة القديمة، التاريخ يطل من قمة جبل الجرف[٤]، للأستاذ عبد الرحمن بن علي حمياني العُمري[٥] . ولجودة هذه المذكرة العلمية فضلت نشرها كما وصلتني، فيقول: (على قمة جبل "الجرف" تقع

(١) صورة من هذه الدراسة في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠م)، ج٧، ص ١٢ـ١٧.

(٢) انظر المجلة، ص ٨٥٩ـ ٨٧٥ . وما طرحه الباحث في هذه الدراسة مجرد وجهة نظر، لكنها بعيدة عن الحقيقة والواقع .

(٣) ناصر الشدوي من أبناء جبل شدا الأسفل، وعنده اهتمامات بالنقوش والرسومات الصخرية في هذين الجبلين، كما أنه يجتهد في التعريف بهما على مستوى المملكة العربية السعودية وخارجها . وقد زودني بمذكرة غير منشورة في (٩) صفحات عنوانها : النصوص والرسومات الآثارية في جبلي شدا الأسفل والأعلى . وهذه الورقات محفوظة في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠م)، ج٧، ص ٣٦ـ ٤٤ .

(٤) صورة من هذه المذكرة في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠م)، ج٧، ص٧ـ١١.

(٥) عبد الرحمن حمياني من مواليد عام (١٣٨٤هـ/١٩٦٤م) بوادي ضيان في محافظة المخواة . درس مراحل تعليمه الأولى في مدينة المخواة ،وحصل على درجة البكالوريوس في اللغة العربية وآدابها من جامعة الباحة عام (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، والماجستير في تخصص القيادة التربوية من جامعة الباحة أيضاً عام (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) . بدأ عمله في التعليم في مدينة جدة عام (١٤١١هـ/١٩٩١م)، ثم انتقل إلى المخواة، وعمل في المكتبة العامة، ثم الإشراف التربوي، ويعمل الآن مديراً لقسم التجهيزات المدرسية في إدارة تعليم المخواة. شارك في عدد من اللقاءات، والاجتماعات، والندوات، والمؤتمرات، المحلية. وهو عضو في بعض اللجان والمجالس التعليمية والتربوية والثقافية، والإدارية، والاجتماعية، والدعوية. وله مشاركات في عدد من الصحف والمجلات العربية المحلية والإقليمية . ويمتاز الأستاذ عبد الرحمن بحسن الخلق، ولطف المعشر، وسهولة التعامل .

قرية المخواة القديمة غربي المخواة الحاضرة الآن [١]، مشرفة على واديين عظيمين من الناحية الشرقية والشمالية الشرقية، وهما: وادي ضيان، ووادي راش، في القطاع التهامي لمنطقة الباحة، بعيدة عن مساقط السيل على خلاف المخواة الموجودة حالياً التي تتربع الآن على نقطة التقاء الواديين الكبيرين مما يجعلها مهددة باستمرار للسيول الجارفة[٢]. وبخاصة أحياء "الردحة" و"السوق". وتمثل قرية المخواة القديمة تاريخياً لأجيال مضت ولم يبق إلا الآثار الشاهدة على حياة عامرة بالنشاط والحيوية والحكمة والعناء، فعندما تدخل تلك القرية فإن منازلها تشعرك بقوة أولئك الرجال، وإحكام سيطرتهم على القرية من حيث توزيع البيوت ووضع الممرات وتجميل الشرفات، بالرغم من تلاصقها التام في أغلب الأماكن، مما يؤدي إلى الاختلافات والخصام بين سكان القرية، وحدوث المشاكل بكافة أنواعها، ولكنني وجدت جواباً أزاح حيرتي حول تمكن السكان في هذه القرية العيش بسلام وسيطرتهم على كل مشكل يعكر صفوهم، فأخبرني أحد المهتمين بالتراث أن القرية كان يسيطر عليها عشرة من الرجال، من أعيان القبيلة، وكان لكل واحد دور يؤديه بكل إخلاص وأمانة، بل لا يسطو أحد منهم على صلاحيات الآخر، فكانوا معنيين بنظام القرية، والبت في القضايا الحادثة سواءً فيما يتعلق بالنظام داخل القرية، أو بالأحداث الخارجية فلابد فيها من رأي جماعي لأهل القرية[٣]. أما من ناحية بناء المنازل فقد وجدت أن بعض البيوت مكونة من عدة طوابق، وتستخدم الدرج الحجري الداخلي للانتقال من طابق إلى آخر، ولها غرف واسعة ومتعددة يفصل بينها جدران حجرية، وهذا لا يعني تساوي كل المنازل من حيث الفخامة والجودة والاتساع، فطول بعض المنازل يصل إلى (١٥) متراً وله غرف واسعة، وفي المقابل هناك بعض الغرف تقدر مساحتها في حدود (٢×٣متر) [٤]. أما القرية بشكل عام

---

(١) هذه البلدة مازالت ماثلة للعيان، وهي مندثرة، والواجب صيانتها وترميمها، (ابن جريس).

(٢) للمزيد انظر: غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٥، ص١٨٣-١٨٥ (ابن جريس).

(٣) تاريخ القرى القديمة في بلدان تهامة والسراة، وكيفية إدارتها والتعايش فيها وما يوجد عنها من اتفاقيات ووثائق جديرة بالبحث والدراسة في عشرات البحوث العلمية (ابن جريس).

(٤) للمزيد عن تاريخ العمارة في بلاد تهامة والسراة، انظر: غيثان بن جريس. عسير: دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (١١٠٠-١٤٠٠هـ/١٦٨٨-١٩٨٠م). (جدة: دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، ص ٣٧-٥٨. للمؤلف نفسه "العمران في إقليم عسير خلال القرون المتأخرة الماضية (دراسة تاريخية حضارية)". مجلة المنهل، عدد (٥٧١). المجلد (٦١). العام (٦٦) شوال ذي القعدة (١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، ص ٢٦-٤٩. (ابن جريس).

فتتخـذ اتجاهاً طولياً علـى رأس الجبل من الشمال إلى الجنـوب، ويقع في الشمال الشرقـي للقريـة مساحة كبيرة ليس فيها أي بناء وتعتبر هـذه المساحة مقر السوق كما أخبرني بعض كبار السن، وهذا السوق مجاور للمسجد الكبير في القرية، الذي تقـدر مساحته بـ (١٠×١٨م)، وهنـاك مسجد آخـر صغير يقع في الجهة الجنوبية الشرقيـة للقرية، لكنه ليس عنده نهاية المنازل، وتقدر مساحته بـ (٥×١٠م)، وهو مطـل على الوادي من الجهة الشرقية، أما الممرات فهناك ممر رئيسي طولي يمتد مـن الجنـوب إلى الشمـال، وهو يقسم القريـة إلى قسمين شرقـي وغربي، لكنه لا يقسم القرية بامتداد مستقيم إلى آخر القرية بسبب تهدم القرية في الوسط حيث يضطـر الشخـص إلى أن يسلـك ممراً آخر مـن اليمين أو الشمـال حتى يعبر إلى شمال القرية باتجاه مقر السوق، وهذا الممر عندما يبدأ من الجهة الجنوبية ينتهي عنـد ساحة تقدر مساحتها بـ(١٥×٨م)، ويتضح أن هذه المساحة كانت تؤدي دوراً اجتماعياً في القرية، مثل اجتماع أهل القرية فيها لحل مشكلة، أو الاحتفال بمناسبة سعيدة . أما الحجارة المستخدمة في البناء فيظهر أنها من الجبل نفسه، وبعض هذه الحجارة يصل طولها إلى متر ونصف وأخرى صغيرة جداً، ووجدت في القرية بعض المنـازل كبيرة ومازال بنيانها متماسكاً وحجارتها كبيرة وشرفاتها مطعمة بحجارة (المروة) البيضاء رغبة في التزيين [(١)]، وهذه المنازل في الجهة الغربية للقرية . كما وجـدت منازل في الجهة الشماليـة بعد موقع السوق تشكل خطاً مستقيماً ومنفصلة عـن القرية بمسافة بسيطـة خاصة في الجهة الشمالية الغربيـة، وبضعة منازل في الجهـة الشمالية الشرقيـة . والقرية تحتل موقعاً على رأسـ الجبال بطول (٢٥٠) مـتراً تقريبـاً، وأكبر عرض للقرية (٧٠) متراً، وأقـل عرض في حدود (٣٠) متراً، أما جبل (الجرف) الذي يمتد بمحاذاة الوادي الذي تتربع القرية على رأسه فيبلغ طوله من مدخل قرية "الخربان" شمالاً إلى مدخل" المخاوي" جنوباً (١كم) تقريباً. أمـا مقابر القرية فتقـع في الجهة الجنوبية للقريـة في منخفض يعتبر سهل الحفر مقارنة برأس الجبل، وبعض آثار هذه المقابر مازال موجوداً، وهنـاك بنايات صغيرة تبتعد عن المقبرة باتجـاه الشمال وقريبة من المنازل الجنوبية ومرتفعة عن الأرض مستطيلة الشـكل، وترتفع عن الأرض بمقدار متر واحد ومساحتها تقدر (٢×٣م)

---

(١) حبـذا أن نـرى باحثاً جـاداً فيدرس تاريخ قرى تهامة وسراة منطقة الباحـة، بل إن بعض القرى في هذه الناحية تستحق أن يصدر عنها أكثر من دراسة . هذا ما عرفه الباحث في هذه الرحلة، ورحلة أخرى عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) (ابن جريس).

وهـي في حدود تسعة . وخـلال زيارتي للقرية وجدت بعض الكتابات والتواريخ على جـدران بعض المنازل منها تاريـخ منقوش كالتالي: (١٨صفر سنة ١١٧٣هـ) ولكني لا أستطيـع الجـزم أنهـا كتبت في يوم بناء القريـة أو بعده، أو أنهـا كتبت فيما بعد عـن طريـق بعض الزائرين للقريـة بعدما تهدمت، حيـث أن الكتابة على الحجارة باستخدام الحجارة وعن طريق النقر عليها أمر سهل، ولكن أحد الزملاء أخبرني أنه يملك وثيقة تاريخية أقدم من هذا التاريخ، ومما يرجح صحة هذا التاريخ أنها مكتوبـة على حجر في مكان مرتفع جداً في أحد الجـدران الخارجية . والشيخ عون يحيـى شاكر العُمري أحد كبار السن الحاليين ذكر لي أن أهل القرية كانوا يجلبون المـاء مـن بئر عند أسفل الجبـل من الجهة الشرقيـة ومحاذ للـوادي اسمها (بئر عمـر)، وبئر أخرى تقـع في الجهة الغربية للجبل، أما المـؤن والبضائع فكانت تأتي بها القوافل من بلدة القنفذة التي تقع على شاطئ البحر الأحمر، حيث أن البلدتين (المخـواة والقنفذة) تحتـلان مكانة تاريخية واقتصادية كبـيرة، وهاتان البلدتان مقصد لكثير من التجار ومورد للبضائع لجميع المناطق المحيطة بهما، وأيضاً كانت المخـواة همزة وصل بين السراة والساحل، فكان أهـل السراة يبيعون منتجاتهم في المخواة، ويأخذون منها المؤن الأخرى التي تُجلب من القنفذة والمناطق الأخرى[1] .

لاشـك أن اهتمام المصادر التاريخية بوصف مكان ما يمثل كنزاً لا يستهان به، ويعطي دلالة عظيمة للمكانة التاريخية والاقتصادية والاجتماعية لذلك المكان، وقد عثرت على مصدرين ورد فيهما ذكر المخواة في إشارات تاريخية مختلفة، وبخاصة علاقتها بمكة المكرمة من الناحية الاقتصادية، وأيضاً تعتبر محطة لعبور الحجاج، فأحد المصادر لمؤرخ مكي، والثاني لرحالة أوربي. والكتاب الأول: منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم، الجزء الخامس لعلي بن تاج الدين بن تقي الدين السنجاري (١٠٥٧ـ ١١٢٥هـ) دراسـة وتحقيـق الدكتورة ملـك محمد خيـاط، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ/١٩٩٨م) من منشورات جامعة أم القرى، والمؤلف يذكر أحداث كل سنة علـى حدة، ففي الجزء الخامس بدأ من أحداث سنـة (١٠٩٧هـ) إلى أحداث سنة (١١٢٤هـ)، فلما جـاء إلى ذكر أحداث سنة (١١١٦هـ) ففـي صفحة (٣٣٧) قال

---

(١) أشكرك يا أستاذ عبدالرحمن على هذا السرد التاريخي، ونأمل أن نرى أحد الباحثين الجادين من أبناء المخواة فيدرس هذه المدينة أو المحافظة دراسة علمية في هيئة كتاب أو رسالة علمية. كما أن المدن الواقعة عنـد سفوح السروات من الغرب والممتدة من جبال جازان إلى قلوة والمخواة ذات تاريخ عريق وتستحق أن تدرس في عشـرات الكتب والبحوث العلمية، ونأمل من جامعات الجنـوب السعودي أن تهتم بهذه البلدات والحواضر، فتدرسها في أعمال علمية موثقة . (ابن جريس) .

في السطـر الرابـع : " فدخل محمد بن عبد الكريم المخواة، ونادى في بني علي وبني عمـرو، وبنـي زهران، وغامد، والأحلاف" ثم استمر في ذكـر الأحداث إلى صفحة (٤٠٦)، ثـم ذكر قصيـدة للشيخ أحمد بـن علان الصديقي قـال: " وممن مدحه أيضاً صاحبنا الشيخ أحمد بن علان الصديقي وهنأه بقصيدة، وهي هذه :

أبـا شـاكرٍ دُم قِبلةً للمحامد   موقي على رغم العدا والحواسد

" ثم ذكر في البيت العاشر:"

فإن نسأل المخواة عن حال أهلها   وعما دهاهم في الديار الأباعد

"والقصيدة مكونة من (٤٩) بيتاً، ونجد اسم المخواة في ذلك المصدر قبل (٣١٥) سنة"(١) .

أمـا الكتاب الثاني فهو" رحلات إلى شبه الجزيرة العربية" لمؤلفه جون لويس بوركهـارت ترجمـة هتاف عبـد الله، دار النشر : الانتشار العربـي، بيروت ـ لبنان، الطبعـة الأولى (٢٠٠٥م)، والكتـاب مكون مـن (٣٩٩) صفحـة، وذكر في صفحة (٣٧٩) مـا يلـي: " في زمـن السلم، يكـثر ارتيـاد الطريق الأخرى مـن مكة إلى اليمـن بمحاذاة السفح الغربي للجبـال الكبيرة، فتصل القوافـل أسبوعيا، خاصة مـن المخواة التـي تبعد خمس عشـرة ساعة عن دوقـة، ويوما واحـدا عن مقاطعة زهـران، في الجبـال . والمخـواة هي مدينة كبـيرة تبعد عن مكة مسافـة تسعة أيام حـين تسير القوافـل ببطء، وفيها أبنيـة حجرية، وهي السوق التـي يبيع فيها تجار زهـران والمناطق المجاورة إنتـاج عملهم إلى تجار مخواة الذيـن يرسلونه إلى مكة وجـدة . والبلاد حـول مخواة خصبة جدا وتسكنها قبائل بنـي سليم وبني سعيدان وبنـي علي الثلاثة، وهناك أيضاً في مخواة العديد من قبيلة بني غامد، إن التفاعل بـين هـذه المدينة ومكة كبير جـدا في زمن السلم، وربما تتزود مكـة من هذا المكان بثلث مؤنها من الحبوب من مختلف الأنواع . وتقع الطريق بين هـاتين المدينتين عبر الأوديـة بشكل أساسي، وتقطع القليل فقط من التلال . كما تقع عليها بعض القرى التـي يسكـن في أكواخها البـدو والمزارعـون"(٢) . ويجدر بي هنا أن أكـرر التشديد

---

(١) للمخـواة تاريـخ قديم ونأمل أن نرى أحد طلابنا في قسم التاريخ، برنامج الدراسات العليا، بجامعة الملك خالـد يدرس التاريخ السياسي والحضاري لهـذه البلدة خلال القرون الثلاثة الماضية، وهو موضوع جديد ويستحق الدراسة . (ابن جريس) .

(٢) مـن يطلع علـى كتب بعض الرحالـة المسلمين وغير المسلمـين، والمصادر الحجازيـة والوثائق الموجودة في بعض دور الأرشيـف في مصر وتركيا فإنـه سوف يجد مادة علمية جيدة عن بـلاد المخواة خلال الثلاثة قرون الماضية، ونأمل أن يدرس هذا الموضوع في هيئة رسالة ماجستير أو دكتوراه في أحد أقسام جامعاتنا السعودية .(ابن جريس) .

علــى عدم الخلط بين "مخــواة ومخا" ، والمؤلف يذكر المخــواة هنا بقوله (مخواة) وأيضاً زهران يذكرها بضم الزاى، وهذا قد يرجع لطبيعته غير العربية بالرغم أنه كان يجيــد العربية ودقيق في الوصف، وحتى بعضــ الأماكن يذكرها هكذا (الليث يذكرهــا ليث) ، أما القنفذة ذكرت صحيحة، فقد يرجع هذا للمترجم أو أن المؤلف ذكرهــا بهذا الشكل، قال المؤلف: " والبلاد حول مخواة خصبة جداً وتسكنها قبائل بنــي سليــم وبنــي سعيدان وبني علي الثلاثــة" ولعله يقصد بـ (بنــي سعيدان) بني زيــدان، وهم القبائل المعروفــة الحالية والتابعة للشيخ ابن موالا والتي تسكن شمال شــرق المخواة . ولما وصــف الكاتب المخواة قــال: أبنية حجرية وهــذا ينطبق تماماً علــى المخواة القديمــة . أيضاً أشار إلى خصوبة الأرض حول المخواة، وهذا مشاهد وبخاصة وادي الأحسبة وغيره من الأودية، والأمر المهم هو : مكانة المخواة التجارية سواءً للمناطق حولها أو بالنسبة لمكة المكرمة، حيث كانت تزودها بالحبوب، والمخواة مجمع التجارات سواءً من السراة أو من القنفذة"[١] .

ولي تعليــق بسيــط على هذيــن المرجعين وهو : أنني لا أوافــق المؤلفين في كل ما كتبــاه، وبخاصة الرحالة جــون لويس بوركهارت الذي له تجــاوزات لا أوافق عليها، وقــد عمــد إلى التشويه في كثير مــن المواقع في كتابــه [٢] . أما كتــاب منائح الكرم فقــد سجــل أحداثاً في تلك الحقبــة بحلوها ومرها وما يهمنا هــو أخذ الفائدة منه ومن الكتاب الآخر بعيداً عن الملابسات الواردة في هذه المصادر، وربما يكون هناك مصادر أقدم مما أشرنا إليه، ولكن هذا ما حصلت عليه[٣] . والباب مفتوح للجميع للبحث والتقصي، وهذه النقول هدفها بيان مدى المكانة المرموقة التي كانت تحتلها المخواة عبر التاريخ بعيداً عن أي تفسيرات أو تأويلات أخرى، أو إثبات أمر أو نفيه. وهذا ما تيسر جمعه عن المخواة القديمة [٤]، وقد أعرضت عن ذكر أسماء الأشخاص

(١) المخــواة، وقلــوة، والمجاردة، ومحائل، ورجال ألمع، والــدرب، والشقيق بلدان داخلية في تهامة ولها تاريخ، لكنهــا لم تخــدم من الباحثين في السابق واللاحق، ونأمل من أبناء هــذه البلاد وبخاصة الباحثين وأرباب القلم أن يجتهدوا في دراسة وتدوين تاريخها السياسي والحضاري. (ابن جريس) .

(٢) يقصــد الحمياني عمــوم كتاب هذا الرحالة الأجنبــي، ليس ما كتب عن المخواة، ومــن يدرس كتب الرحالة الغربيين فإنه سوف يجد فيها بعض الأخطاء والمغالطات، لكنها مازالت من المصادر المهمة التي تشتمل على معلومات تاريخية وحضارية لا توجد في أي مصدر آخر، وهي مهمة للقراءة والاطلاع . (ابن جريس) .

(٣) وأقــول نعــم أن هناك مصــادر حجازية أخرى أشارت إلى المخواة، كما أن هنــاك وثائق غير منشورة في داخــل البلاد وخارجهــا وفيها لمحات من تاريخ المخواة وما حولها، ونأمــل أن نرى في المستقبل من يدرس هذه المدينة دراسة علمية موثقة. (ابن جريس) .

(٤) نشكرك يا عبد الرحمن على هذه النبذة، وقد يأت في المستقبل من يتخذ مما كتبته دليلاً لدراسة أشمل وأوسع عن محافظة المخواة . (ابن جريس) .

الذين كانوا يعيشون في القرية القديمة، وكذلك الفخوذ والعوائل التي كانت تسكن هناك، لحاجة هذا الموضوع لجهد أكبر . وقد لا يكون هذا المقام مناسبا لذكرها . وفي الختام أرجو أن تتحول تلك القرية الأثرية إلى مقصد للزائرين، وفتح طريق معبد للوصول إليها في يسر وسهولة، أو تحويلها إلى متحف بكل ما تعنيه هذه الكلمة" [(١)] .

وفي مكتبتنا بعض البحوث غير المنشور ة عن المخواة وما حولها، وهي من الدراسات المنشورة في كتاب : دليل البحوث الجامعية، ومنها : (١) تهامة بلاد زهران : تاريخ وحضارة (١٢٥٥ـ ١٣٥٥هـ/١٨٣٩ـ١٩٣٤م)، للباحث محمد بن سعيد بن عيسى المضحوي الزهراني، (٨٧) صفحة[(٢)] . (٢) محافظة المخواة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، للباحثين محمد بن درويش الغشام الغامدي، وحمدي بن عامر بن موسى العماري، وعلي بن محمد بن علي الغامدي، (١٧٠) صفحة[(٣)] . (٣) محافظة المخواة : دراسة تاريخية حضارية مختصر ة للصناعات التقليدية والحرف اليدوية خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، للباحثين حسين بن أحمد بن عبد الله العُمري، وخالد بن حسين بن مطر العمري (٩٠) صفحة [(٤)] . (٤) المخواة: دراسة تاريخية مختصرة عن الألعاب الرياضية ووسائل التسلية خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، للباحثين هاشم بن محمد بن حسن الناشري، وعبدالرحيم بن علي بن أحمد حمياني العُمري، وخالد بن حسن بن عبد الرحمن الشريف، وأحمد بن علي بن أحمد المرحبي[(٥)] . (٥) منطقة الباحة (بلاد بني عُمر وغامد وزهران) تاريخ وحضارة خلال القرنين (١٣ـ١٤هـ/١٩ـ٢٠م)، للباحث عبدالله بن علي بن سالم، (٢٨٥) صفحة[(٦)] .

(١) المثل الشعبي يقول "لايبني الأرض إلا حجارتها"، وأقول أن ما فعلت يا عبد الرحمن من جميل الصنع لأهلك وبلادك، ونأمل أن تتوسع في إنجاز دراسات تصب في خدمة محافظة المخواة، كما آمل أن نرى أمثالك يجمعون تاريخ وموروث بلادهم ومساقط رؤوسهم، ولو فعلنا جميعاً ذلك فإننا بدون شك سوف نساهم في حفظ بعض الشيء من تراث آبائنا وأجدادنا. (ابن جريس) .

(٢) انظر محمد بن معبِّر ، دليل البحوث الجامعية، ص ١٩٨ .

(٣) المرجع نفسه، ص ٣٨٩ .

(٤) المرجع نفسه، ص ٣٩٠ .

(٥) المرجع نفسه، ص٤٠٠ .

(٦) المرجع نفسه، ص ٤٣٩ .

رابعاً: نتائج وخلاصات:

اتضح لي عن هذه البلاد التهامية عدة أمور، أذكرها في النقاط الآتية:

١. سكانها الأصليون عرب يمنيون يعودون في أصولهم إلى قبائل الأزد اليشجبية اليعربية القحطانية . كما أنهم وإخوانهم رجال الحجر وغامد وزهران من جد واحد، ومازالت روابطهم النسبية سارية حتى وقتنا الحاضر.

٢. تشابه الحياة الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والفكرية بين سكان هذه الأوطان التهامية، مع أن نسبة التطور تتفاوت من ناحية إلى أخرى، والعرضيات هي أدناها في ميدان الخدمات التنموية .

٣. عموم هذه البلاد فقيرة في مجالات البحوث والدراسات العلمية، والتاريخ والآثار والحضارة من الموضوعات التي لم تُخدم، مع أنها مليئة بالموروث الحضاري الذي يستحق جمعه وبحثه وتحليله .

٤. على أرباب القلم في هذه الأجزاء، وعلى الجامعات والكليات والأقسام العلمية في جامعات الملك عبد العزيز، وأم القرى، والملك خالد، والباحة، وجازان مسؤوليات كبيرة تجاه جميع المناطق التهامية الممتدة من مكة المكرمة إلى مدن جازان، وأبو عريش، وأحد المسارحة، وسامطة، فالواجب دراسة تاريخها وتراثها الحضاري . كما أن على صناع القرار في هذه البلاد، وعلى أصحاب رؤوس الأموال أن يبذلوا قصارى جهودهم لخدمة أرضهم وسكانها، وهذه من المسؤوليات الواجبة على هذه الفئات التي تستطيع المساهمة في بناء هذه الديار وتقدمها .

٥. من خلال جولاتي في هذه الرحلة، وأيضاً رحلات سابقة في منطقة القنفذة، وجازان، وأجزاء من تهامة عسير تأكد لي أن هذه البلاد تحتوي على الكثير من القصص والروايات الشفاهية، وبعض المخطوطات والوثائق والمدونات التي تمتلكها بعض الأسر والبيوتات العلمية، كما يوجد على أرضها الكثير من المصادر المادية متمثلة في النقوش، والآثار، والرسومات الصخرية، وكذلك القرى والحصون والأسواق والطرق القديمة . وكل هذه الموارد العلمية جديرة بالجمع والحفظ ثم الدراسة والتحليل، ولإنجاز هذه المهمة لابد من تضافر جهود الجميع، أهل البلاد أنفسهم، وجميع الإدارات الرسمية والأهلية في هذه النواحي، أو في أي ناحية أخرى في المناطق الجنوبية، أو حواضر المملكة العربية السعودية الرئيسية .

٨- الطائـــف
كما سمعت عنها ورأيتها(*)

(*) نُشر في كتاب :
القول المكتوب في تاريخ الجنوب
ط١ : ١٤٣٩هـ ، الرياض ، مطابع الحميضي ، ج١٣ ،
ص ص ٨٧ - ١٨٦

الطائف كما سمعت عنها ورأيتها

أولاً: مقدمة:

دأبت منذ زمن على أن أقوم برحلات في جنوبي البلاد السعودية (تهامة والسراة)، وأكتب عن بعض بلدانها من خلال السماع والمشاهدة[1]، وفي هذه الجزئية يممت نحو محافظة الطائف، الواقعة في الجزء الغربي من المملكة العربية السعودية، وفي نهاية بلاد السروات من الشمال[2]، والتابعة إدارياً لمنطقة مكة المكرمة. ومساحتها اليوم تقدر بأكثر من (٤٨٠٠) كيل مربع. وقد ذهبت إلى هذه المحافظة الحجازية السروية، وتجولت في أرجائها خمسة أيام ابتداء من يوم الخميس إلى الإثنين (٤-١١/١٤٣٨/١١هـ/٢٧-٢٠١٧/٧/٣١م)، وكان سفري إليها بالطائرة في صباح الخميس (١٤٣٨/١١/٤هـ)، ووجدت في استقبالي بمطارها الإقليمي أحد أبنائي وطلابي في مرحلة الماجستير الأستاذ/ عبدالله بن سعيد العمري، الذي قام على استضافتي في داره العامرة بحي المسرة بمدينة الطائف مدة إقامتي، وسار معي في أجزاء عديدة من هذه المحافظة، وكان خير الدليل والمرشد، فجزاه الله كل خير[3].

والطائف ذات تاريخ قديم، وجرى على أرضها الكثير من الأحداث السياسية والعسكرية والحضارية، وخرج فيها رجال كثيرون أسهموا في بناء الحضارة الإسلامية داخل الجزيرة العربية وخارجها. وقد أشرنا في القسم الثاني من هذا الجزء إلى صور عديدة من تاريخها عبر أطوار التاريخ الإسلامي، وفي هذا المحور سوف نذكر صفحات من تاريخها الحديث والمعاصر، وجل مصادرنا هي المشاهدات والمقابلات والسماع من

---

(١) انظر بعض مؤلفاتنا المطبوعة، مثل: سلسلة كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب، (١٢) مجلداً من عام (١٤٢٦هـ-١٤٣٩هـ / ٢٠٠٥-٢٠١٧م)، وبلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق١٠-ق١٥هـ/ق١٦-ق٢١م)، وبلاد بني شهر وبني عمرو (الطبعتان الثانية، والثالثة)، وفيها عدد من رحلاتنا ومشاهداتنا الميدانية في بعض مناطق تهامة والسراة.

(٢) هناك عشرات الدراسات الجغرافية عن أرض السروات، وحدودها، والذي نعنيه في بحثنا هذا باسم (السروات) إلى الأرض الممتدة من نجران جنوباً إلى الطائف شمالاً.

(٣) هذا الطالب العزيز، هو: عبدالله بن سعيد بن فاضل العمري من مواليد قرية الحصباء في بني رافع من بلاد بني عمرو (منطقة عسير) في عام ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م). نال تعليمه في الابتدائية والمتوسطة والثانوية ما بين منطقتي النماص والطائف، وحصل على درجة البكالوريوس بجامعة الملك عبدالعزيز في علم الاجتماع عام (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، كما حصل على درجة بكالوريوس أخرى من جامعة طيبة في علم التاريخ عام (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م)، وحصل على درجة الماجستير في التاريخ من كلية العلوم الإنسانية بجامعة الملك خالد عام (١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م). كان الابن عبدالله موظفا في القطاع العسكري، وله خدمات عسكرية تزيد عن العشرين عاماً، وعاش فترة طويلة من دراسته وعمله العسكري في منطقة الطائف. والأستاذ عبدالله على قدر كبير من الأدب والخلق الحسن، وأرجو أن يطور قدراته العلمية ويكتب في بعض المواضيع التاريخية التي لها علاقة بمحافظة الطائف، أو أجزاء من بلاد السراة التي ينتمي إلى أحد قبائلها.

بعض أعيانها ورجالاتها، ولا ندعي في ما سوف نسرده في هذا القسم الكمال، وذكر كل شاردة وواردة عما تعيشه محافظة الطائف اليوم، لكننا نأمل أن نشير إلى صور تاريخية وحضارية عامة، وقد يأتي من أبنائنا أو من الباحثات والباحثين الجادين فيستكملون ما لم نأت عليه ونذكره، أو يصححون ما أخطأنا فيه[١].

وأشكر في هذه المقدمة كل من تعاون معي من أهل مدينة الطائف ومراكزها الحضارية، وأخص بالشكر كما أسلفت، الأستاذ عبدالله العمري، وكذلك بعض الأفراد السعوديين وغير السعوديين الذين تقابلت معهم وذكروا بعض المعلومات الحديثة والمعاصرة في الجوانب الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية والفكرية والتعليمية. كما لا أنسى شكر ثلاثة رموز من مدينة الطائف، ومن لهم خبرة طويلة وجهود علمية وثقافية في محافظة الطائف، وهم: (١) الأستاذ علي خضران القرني، الذي قابلني ومنحني جزءاً من وقته، وقد التقيت به في مبنى النادي الأدبي الثقافي بالطائف يوم الخميس (١٤٣٨/١١/٤هـ) الموافق ١٤٣٨/٧/٢٧ه)[٢]. (٢) الأستاذ مناحي ضاوي حمود القثامي[٣]، وقد استقبلنا مشكوراً في منزله بحي الريان وأهداني بعض مؤلفات وذكر لي تفصيلات كثيرة عن بلاد الطائف خلال الخمسين عاماً الماضية. (٣) الأستاذ عيسى بن علوي بن عبدالإله القصيّر آل عيسى

---

(١) نعترف دائماً بالقصور والتقصير، والكمال لله عز وجل، لكن الواجب علينا معاشر المؤرخين والباحثين أن ندرس بلادنا أرضاً وسكاناً، وهذا من باب الوفاء وحب الوطن، وأيضاً حق بناتنا وأبنائنا وحفدتنا علينا فنعمل على حفظ موروثه وتراث أمتنا، وقد يأتي منهم (بإذن الله تعالى) من يقود المسيرة العلمية حتى تسلم لمن يأتي بعدهم.

(٢) الأستاذ علي بن خضران القرني من مواليد تهامة بلقرن، العرضية الجنوبية، ويتراوح عمره الآن (٧٤-٧٦) عاماً. أسهم بالكتابة في معظم الصحف والمجلات المحلية والخارجية من سن مبكرة من عمره وما زال حتى اليوم. كان آخر عمل حكومي له مساعد مدير تعليم البنات بالطائف، وهو عضو مؤسس، وعضو مجلس إدارة النادي الأدبي بالطائف، ونائب رئيس النادي سنوات عديدة. له عدد من المؤلفات المطبوعة والمنشورة مثل: (١) صور من المجتمع والحياة (مجموعة مقالات) (١٣٩٧هـ). (٢) أبها في مرآة الشعر المعاصر (مختارات شعرية) (١٤١٠هـ)، (٣) قراءة عابرة (دراسات أدبية) (١٤٢٤هـ). (٤) من أدباء الطائف المعاصرين (سير وتراجم) (الطبعة الثانية) (١٤٣٢هـ/٢٠١١م).

(٣) الأستاذ مناحي من مواليد الطائف عام (١٣٦١هـ/١٩٤١م)، تخرج في المعهد العلمي بالطائف عام (١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)، وحصل على بكالوريوس تاريخ من جامعة الملك عبدالعزيز، عمل في التعليم لسنوات عديدة. له مشاركات صحفية في عدد من الجرائد والمجلات، انضم إلى نادي الطائف الأدبي، وكان عضواً في مجلس إدارته، عضواً في عدد من الجمعيات والاتحادات العلمية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها، ونال عدداً من الجوائز المحلية والإقليمية، له عدد من المؤلفات، ومنها: (١) دراسات في الأدب الشعبي (٢) انجازات الحضارة العربية الإسلامية. (٣) دراسات ومطالعات أدبية (٤) منافذ الأشرار (٥) سوق عكاظ التاريخ والرمز (٦) تاريخ الطائف قديماً وحديثاً صدر منه ثلاث طبعات (الطبعة الثالثة ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م).

الذي زرناه في داره بحي المسرة[١]، وقد أفادنا بمعلومات كثيرة عن حاضرة الطائف، وعن المنطقة المركزية، وسط المدينة. وهناك إخوة آخرون عديدون قدموا لنا خدمات متفاوتة أثناء جمع مادة هذا القسم، فلهم مني جزيل الشكر والتقدير[٢].

ثانيا: الطائف جغرافيا وسكانيا:

١-الجغرافيا:

يطلق اليوم اسم الطائف على بلاد واسعة تعرف باسم (محافظة الطائف)[٣]، وتقع في الناحية الغربية من المملكة العربية السعودية، وهي أكبر محافظة في مساحتها الجغرافية، وتتبع إمارة منطقة مكة المكرمة[٤]، وتقدر مساحتها بحوالي (٤٨٠٩٦) كيلاً مربعاً. وتقع على بعد (٨٧) كيلاً جنوب شرق مكة المكرمة، ويقدر ارتفاعها عن سطح البحر من (١٧٠٠-٢٥٠٠م). وتمتد محافظة الطائف من الشرق إلى الغرب

---

(١) السيد عيسى من مواليد مدينة الطائف عام (١٣٦٦هـ/١٩٤٦م)، درس مراحل تعليمه الأولى في الطائف، عمل في شركة كهرباء الطائف عام ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م)، ثم عمل في بلدية الطائف من عام (١٣٩٤هـ - ١٤٣٦هـ / ١٩٧٤-٢٠٠٥م). حصل على عدد من الدورات في مجال عمله، وهو عضو في عدد من اللجان والجمعيات والمؤسسات السياحية والإدارية والاجتماعية. قدم دراسات عديدة تصب في خدمة الاتصالات، والإدارة، والتخطيط، والسياحة التابعة لإدارة البلديات في الطائف، أو في المنطقة الغربية، له مشاركات في بعض الصحف المحلية. وله عدد من الكتب المطبوعة، ومنها (١) أحلى اللطائف في منتجع الطائف (منشورات جامعة الطائف /١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م) (٢) الطائف القديم داخل السور في القرن (١٤هـ/٢٠م) (وهج حضارة، ونبض حياة). (الطائف: مكتبة المصيف، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) (٣) الطائف في أوائل التاريخ، صدر بمناسبة إعلان الطائف عاصمة المصايف العربية، ١٤٣٦هـ/٢٠١٤م).

(٢) قد نذكر بعضهم في حواشي الدراسة، وهم كثيرون، ويعملون في مهن عديدة صناعية، وتجارية، وزراعية، وثقافية وتعليمية وغيرها.

(٣) الطائف قديماً يطلق على بلدة الطائف القديمة، وهي وسط مدينة الطائف في وقتنا الحاضر، أو ما يطلق عليه اليوم باسم (المنطقة المركزية)، وسوف يكون لنا حديث عنها في صفحات قادمة. للمزيد عن تاريخ وحضارة الطائف منذ العصر الجاهلي وعبر أطوار التاريخ الإسلامي، انظر محمد سعيد آل كمال. الطائف (جغرافيته، تاريخه، أنساب قبائله). (الطائف: مكتبة المعارف للنشر، ١٤١٧هـ) (٢٠٩ صفحة). عبدالجبار منسي العبيدي. الطائف ودور قبيلة ثقيف العربية (الرياض: دار الرفاعي، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) (الطبعة الثانية) (٢٦٤ صفحة). مناحي ضاوي القثامي. تاريخ الطائف قديماً وحديثاً (الطائف: النادي الأدبي الثقافي، ١٤٣٦هـ) (الطبعة الثالثة) (٢٥٦ صفحة).

(٤) محافظات منطقة مكة المكرمة، هي: جدة، وتربة، ورنية، والخرمة، والقنفذة، والليث، ورابغ، والجموم، وخليص، والكامل. والطائف تبلغ نسبة مساحتها من إجمالي مساحة إمارة مكة المكرمة حوالي (٦٧٪)، ونحو (٢٪) من مساحة المملكة العربية السعودية. هذا ما سمعته من بعض أساتذة جامعة الطائف أثناء تجوالي في أجزاء من محافظة الطائف في الفترة الممتدة من (٤-١٤٣٨/١١/٨هـ الموافق ٢٧-٢٠١٧/٧/٣١م).

حوالي (٢٧٥) كيلاً، ومن الشمال إلى الجنوب حوالي (٤٠٥) كيلاً[١]. وتضم أجزاء من جبال السروات في الناحية الجنوبية، وهضبة نجد تجاه الشمال والشرق، ويطل الجزء الغربي من هذه البلاد على منطقة الاصدار وسهل تهامة الساحلي، ويحد محافظة الطائف من الشرق أجزاء من إمارة منطقة الرياض، ومحافظتا تربة والخرمة، ومن الغرب كل من محافظتي الكامل والجموم ومراكز إدارية أخرى تابعة لإمارة منطقة مكة المكرمة، ومن الشمال أجزاء من إمارة منطقة المدينة المنورة، ومن الجنوب أجزاء من إمارة مكة المكرمة[٢]. وتمتد الحدود الشمالية في اتجاه الشمال الشرقي عبر أراض صحراوية، وتمر في الجزء الأوسط منها عبر حرة كشب، ثم تلتقي في الزاوية الشمالية الشرقية من المحافظة مع الحد الفاصل بين كلٍ من إمارة منطقة الرياض وإمارة مكة المكرمة، ثم يتجه الحد بين المنطقتين جنوباً متقاطعاً مع طريق الطائف عفيف، ثم طريق الطائف الرياض بعد انحنائه شرقاً. ويتجه الحد الشرقي لمحافظة الطائف نحو الجنوب الغربي بشكل موازٍ لطريق الطائف الرياض حيث يمر مساره بأرض صحراوية تشغل جزء منها محمية محازة الصيد[٣]، التي تقع بين محافظة الطائف ومحافظتي الخرمة وتربة، ثم تنحني حدود المحافظة جنوباً عند الأطراف الغربية لحرة حضن وحتى بلوغها وادي تربة الذي يشكل الجزء الشرقي من الحد الجنوبي للمحافظة، ويفصل بينها وبين محافظة الباحة[٤]، ثم يبدأ بعد ذلك الحد الغربي لمحافظة الطائف فيسير نحو الشمال الغربي بموازاة الجرف الجبلي لجبال السروات، ويمثل حداً فاصلاً بين محافظة الطائف ومحافظتي الليث والقنفذة التابعتين لإمارة منطقة مكة

---

(١) أتردد على مدينة الطائف منذ نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) وكنت غالباً أسافر إلى هذه المدينة السروية عبر جبال السروات الممتدة من الباحة إلى الطائف، أو عبر الطريق التي تصل بين الرياض والطائف، ومن ثم مررت على أجزاء عديدة من هذه المحافظة الحجازية. المصدر: مشاهدات الباحث وجولاته منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر.

(٢) مشاهدات الباحث في الثلث الأول من شهر ذي القعدة عام (١٤٣٨هـ)، وفي رحلات أخرى سابقة خلال العقود الماضية المتأخرة.

(٣) محمية محازة الصيد: واحدة من أكبر المحميات في العالم، وتبعد عن مدينة الطائف حوالي (١٧٠) كيلاً على طريق الطائف الرياض شرقاً، ومساحتها حوالي (٢,٢٤٤) كيلاً مربعاً، وترتفع عن سطح البحر حوالي (١٤٠٠م). يوجد بها الكثير من الأشجار النادرة، وأنواع عديدة من الحيوانات والطيور، ومناظرها خلابة وجميلة. المصدر: زيارة الباحث لهذه المحمية في نهاية عام (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م).

(٤) هذا الذي شاهدته أثناء تجوالي في بلاد السروات في نهاية عام (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م). وأقول إن المنطقة الممتدة من بلاد الباحة إلى الطائف عبر بلاد السروات جديرة بالبحث والدراسة.

المكرمة[١]. ويتقاطع ذلك الحد مع طريقي السيل والهدا مكة المكرمة، ثم يتجه بعد ذلك نحو الشمال عبر الحواف الشرقية لحرة رهط، ليفصل بين محافظة الطائف ومحافظتي الجموم والكامل[٢].

وبلدة الطائف عرفت في كتب التراث باسم (وج) نسبة إلى وادي وج الذي يخترقها من الغرب إلى الشمال الشرقي[٣]، وهناك مصادر أخرى نسبت الطائف إلى جبل غزوان[٤]، وهذا الجبل أحد معالمها الجغرافية، وتتنوع تضاريس المحافظة من الأودية، والجبال، والهضاب، والغابات، كما أن مناخ الطائف معتدل في الصيف، وبارد في الشتاء، ويبلغ معدل الرطوبة على مستوى المحافظة (٤١٪)، ومعدل سقوط الأمطار (١٦٠) ملم سنوياً[٥].

ومدينة الطائف اليوم تشتمل على أحياء ومخططات ومعالم جغرافية عديدة، وهذا ما سوف نذكره في صفحات قادمة، لكن هذه المدينة تتوسط المحافظة التي تتكون من نواحي ومراكز عديدة، ومنها:

(أ) **مركز الهدا:** يقع في الجزء الغربي لمدينة الطائف، وتتميز أرضه باعتدال الحرارة وجمال الطبيعة، وترتفع منطقة الهدا عن البحر حوالي (٢٠٠٠م)، وتبعد من وسط الطائف حوالي (٢٠كم)، ويربطها خط مزدوج يسير إلى مكة

---

(١) محافظتا الليث والقنفذة، والمنطقة التهامية الممتدة من مكة المكرمة إلى العرضيات، والمخواة وقلوة والقنفذة جديرة بالبحث والدراسة العلمية الجادة. للمزيد انظر، غيثان بن جريس. بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق١٠-١٥هـ/ق١٦-٢١م) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م) (٥٢٧ صفحة)، للمؤلف نفسه. القول المكتوب في تاريخ الجنوب (أجزاء من تهامة والسراة). (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م) (الجزء الثاني عشر) (القسم الثالث).

(٢) مشاهدات الباحث خلال العشر سنوات الماضية، وتدوين بعض الملاحظات المحفوظة في مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية.

(٣) أصبح وادي وج اليوم جزءاً من أحياء الطائف الحديثة، وقد ضاعت معالمه التي درسناها في كثير من كتب الجغرافيا والرحالة القديمة، وطغت عليه المنشآت العمرانية من البيوت والأسواق وغيرها. وأصبح اليوم شارعاً رئيسياً يسمى (وج) يبدأ من غرب مدينة الطائف ثم وسطها حتى بلاد الحوية وطريق الرياض شمال شرق الطائف. المصدر: مشاهدات الباحث يوم الخميس (١٤٣٨/١١/٤هـ/٢٠١٧م).

(٤) المعالم الجغرافية والتاريخية القديمة جديرة بالبحث والدراسات العلمية، وهذه مسئولية جامعة الطائف فالواجب أن تقوم بهذه المهمة: للمزيد عن وادي وج وجبل غزوان انظر مصادر التاريخ والجغرافيا المبكرة.

(٥) هذا ما سمعته من بعض رجالات الطائف يومي الخميس والجمعة (٤-١٤٣٨/١١/٥هـ) مثل: مناحي ضاوي القثامي، والسيد عيسى بن علوي القصيرّ، وعلي بن حضران القرني.

المكرمة عبر جبل كرا، ويعرف اليوم باسم (طريق الهدا) [١]. وتبلغ مساحة مركز الهدا حوالي (٢٠٧كم٢)، ويحدها من الشرق أجزاء من مدينة الطائف، ومن الغرب الجرف الغربي لجبال السروات والكر، ومن الشمال منطقة السيل الكبير وأجزاء من حاضرة مكة المكرمة، ومن الجنوب منطقة الشفا. ويعتبر وادي محرم (الميقات) في الشرق حداً فاصلاً بين الهدا ومدينة الطائف[٢]. ومن خلال تجوالي في بلاد الهدا اتضح لي جمال طبيعتها، وكثرة مزارعها ومنتجعاتها السياحية، وتعدد مرافقها مثل الفنادق، والشاليهات، والحدائق، والجلسات العائلية، والألعاب الرياضية والكهربائية. كما يوجد بها شوارع ومتنزهات صناعية وطبيعية، وعدد من المؤسسات الإدارية، مثل: المدارس، والمستوصفات وخدمات أخرى عديدة[٣].

(ب) **مركز الشفا:** وهو المنتجع السياحي الثاني بحاضرة الطائف بعد الهدا وتقع منطقة الشفا في الجنوب الغربي لمدينة الطائف، وتقدر مساحتها الإدارية بحوالي (٥٩١كم٢)، ويحدها من الشمال الهدا، ومن الشرق لية وبني سعد[٤]، ومن الجنوب والغرب الجرف الغربي لجبال السروات، وتطل المنطقة على منخفضات وسهول تهامة غرباً، ويذكر أنه يتبع لهذا المركز حوالي (٧٥) قرية، وتبعد عن وسط مدينة الطائف حوالي (٢٥)كم، ويربطها خط سريع مع المدينة ذو أربعة مسارات مزدوجة، كما ربطت بخطوط سريعة دائرية مع منطقتي الهدا والسيل،

---

(١) هذا الطريق ذكره عدد من المؤرخين والجغرافيين والرحالة الأوائل، وكان أحد الطرق الرئيسية التي تربط بين مكة والطائف. انظر تفصيلات أكثر القسم الأول من هذا المجلد.

(٢) وادي محرم أو (المحرم)، واد صغير، وفي هذا الوادي يحرم القادمون إلى مكة من أهل الشرق واليمن وحضرموت وعمان، ويعرف باسم (قرن المنازل) أو (وادي القرن). ويوجد فيه اليوم جامع كبير وخدمات ومرافق عديدة تخدم الحجاج والمعتمرين الذين يحرمون منه.
المصدر: مشاهدات الباحث يومي الخميس والجمعة (٤-٥/١١/١٤٣٨هـ).

(٣) المصدر نفسه. وأقول أن منطقة الهدا بحاجة إلى دراسات جغرافية وتاريخية وحضارية، ونأمل من الباحثين في جامعة الطائف أن يهتموا بدراسة هذه المنطقة الحضارية الجميلة. وذكر لي بعض الرواة أنه يتبع مركز الهدا حوالي (٤٥) قرية ومستوطنة بشرية.

(٤) بلاد بني سعد كانت إحدى مراكز محافظة الطائف، ثم تحولت إلى محافظة مستقلة، وتقع في الجزء الجنوبي من الاقليم الجبلي لبلاد الطائف، وتبعد عن مدينة الطائف حوالي (٦٧) كيلاً، وتبلغ مساحتها حوالي (٩٥٠كم٢)، وتضم عدداً كبيراً من القرى، ويوجد فيها غابات ومنتزهات كثيرة، وفيها عدد من القرى والحصون التاريخية، ولا تخلو بلادها من النقوش والرسومات الصخرية، ويوجد فيها مؤسسات إدارية عديدة.
المصدر: ما شاهده الباحث أثناء زيارتها يوم الجمعة (٥/١١/١٤٣٨هـ). وأقول أن بلاد بني سعد تستحق أن يصدر عنها عدد من البحوث والدراسات التاريخية والأثرية.

وتكسو بلاد الشفا الغابات الكثيفة وبخاصة أشجار العرعر، كما تشتهر بزراعة الفاكهة، والورود، وفيها مناحل العسل، ويوجد بها عدد من المتنزهات مثل: وادي عرضة، ومتنزه الحدبان، وجبل دكا، ومتنزه الخط الدائري، وعدد من الاستراحات الخاصة بالشباب والعوائل[١].

(ج) مركز لية: هذا الاسم نسبة إلى وادي لية، جنوب شرق مدينة الطائف، وتبعد عن وسط المدينة حوالي (٢٠-٢٥كم) على طريق (الطائف، الباحة، أبها) وترتفع عن سطح البحر أكثر من (١٥٠٠م)، وتتكون منطقة لية من سلسلة جبال مرتفعة في الناحية الغربية، ثم تتدرج في الاتجاه الشمالي الشرقي إلى سلسلة متعرجة من التلال ثم إلى سهل منبسط في الشمال الشرقي من محافظة الطائف[٢]. ووادي لية مذكور في كثير من مصادر التراث الإسلامي[٣]، وكان وما زال من أجمل أودية بلاد الطائف، ويبلغ طوله تقريباً (١٥كم) في اتجاه الشمال، ويظهر فيه آثار بعض السدود القديمة، وتوجد الأراضي الزراعية والتجمعات السكانية على جانبي الوادي، وفي مواقع أعلى من مجرى السيول، ويربطها مع مدينة الطائف خط سريع مزدوج، وخطوط داخلية عديدة إلى بني سعد[٤]، إلى ميسان بالحارث[٥]، ونواحي أخرى عديدة. وتشتهر منطقة لية بكثرة المزارع والبساتين على ضفاف الوادي، ومن أهم مزروعاتها العنب والرمان، وفواكه، وخضروات أخرى، ورأيت فيها عدداً

---

(١) مناخ منطقة الشفا بارد في الصيف، وشديد البرودة في الشتاء، ويرتادها الكثير من الزوار والسياح خلال الصيف، ويوجد بها العديد من الأسواق والمؤسسات الإدارية التي تقوم على خدمة الوافدين إليها، أو المقيمين فيها.
المصدر: مشاهدات الباحث أثناء السير في هذه المنطقة في يومي (٥-٦/١١/١٤٣٨هـ).

(٢) مشاهدات الباحث للوادي في (٦/١١/١٤٣٨هـ).

(٣) حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس وادي لية في الماضي والحاضر، وهو موضوع يستحق أن يصدر في رسالة علمية.

(٤) مشاهدات الباحث يوم الجمعة والسبت (٥-٦/١١/١٤٣٨هـ).

(٥) ميسان بالحارث: كانت هذه الناحية إلى عهد قريب من مراكز محافظة الطائف الإدارية ثم تحولت إلى محافظة تتبع إمارة منطقة مكة المكرمة. وتقع في الناحية الجنوبية الشرقية من محافظة الطائف، على امتداد جبال السروات، وتبعد عن مدينة الطائف (٨٧كم). ويحدها شرقاً بالحارث وأبو راكة، ومن الغرب الجرف الجبلي لقمم السروات، ومن الجنوب حداد بني مالك وثقيف، وشمالاً بني سعد، وفيها عشرات القرى والمستوطنات البشرية، ومن أهم قراها: قرية الشعاعيب، وصور، والعطاء، والشباشية، ومسيكه، ويمارس أهلها الزراعة وتربية الماشية، والتجارة، وفيها غابات طبيعية عديدة، ومن أشجارها: الطلح، والعتم، والسدر، والعرعر، وفيها مرافق ومؤسسات إدارية عديدة، وكذلك اسواق تجارية ومطاعم، وفلل وعمائر واستراحات حديثة. ومن أشهر متنزهاتها: متنزه الغوفة، ومتنزه حثواء، ومتنزه الحدب، ومتنزه شهدان. المصدر: مشاهدات الباحث في (٥-٦/١١/١٤٣٨ه).

من المتنزهات مثل: وادي مظهر، ومتنزه البحيرة، ومتنزه سمنان، وسمينين، وتكثر في هذه الناحية أشجار العرعر والطلح والسدر، وفيها بعض الحدائق، ويزرع في أرضها بعض أنواع الورود والنعناع. كما يوجد في مركز لية العديد من المؤسسات الإدارية وأبنية وعمائر حديثة عامة وخاصة[(١)].

(د) مركز ثقيف: يقع في الناحية الجنوبية من محافظة الطائف، ويحده من الجنوب ميسان بالحارث، ومن الغرب والجنوب قمم السروات المطلة على مناطق الأصدار وتهامة، وتبعد بلاد ثقيف عن مدينة الطائف حوالي (١٤٠كم)، وتبلغ مساحتها (١٢٩كم٢)، ويوجد فيها عشرات القرى والتجمعات السكانية. ومن أهم قراها: ثقيف، والمجاردة، وقها، والبردة، والعمار، والخلص. ومناخها معتدل في الصيف، بارد في الشتاء. وفيها عدد من المؤسسات الإدارية الرسمية والأهلية، وبها عدد من الأودية الصغيرة مثل: وادي بوا، ووادي قها، ووادي المجاردة، ووادي بويهب، وهي منطقة سياحية وفيها متنزهات عديدة مثل: متنزه شفا ثقيف، ومتنزه صيادة، ومتنزه ترعة ثقيف، وفيها جبال عالية، مثل جبلي بيضان، وعند، ولا تخلو أرضها من نقوش وآثار ورسومات صخرية[(٢)].

(هـ) مركز حداد بني مالك: يقع هذا المركز في جنوب محافظة الطائف، ويحدها من الجنوب مركز القريع بني مالك، ومن الشرق أبو راكة، ومن الغرب ثقيف، وشمالاً ميسان بالحارث، وتبعد عن مدينة الطائف حوالي (١٤٠كم)، وتبلغ

---

(١) المصدر: مشاهدات الباحث لوادي لية وما حوله من المناطق في يومي الجمعة والسبت (٥-٦/١١/١٤٣٨هـ). وأقول: إنني أعرف الطائف وأتردد عليها منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) لكنني كنت أزورها أو أجتازها مسافراً أو سائحاً دون أن ألقي بالاً إلى طبيعتها الجغرافية أو تراثها الحضاري. وفي هذه الزيارة الأخيرة (٤-٨/١١/١٤٣٨هـ)، اتضح لي أن محافظة الطائف ذات تاريخ وعراقة حضارية ثم إنها لم تخدم في ميدان البحث والدراسة، وهي تستحق أن يسلط الضوء على تاريخها وآثارها وسكانها وبلادها وحضارتها، ويجب على جامعة الطائف أن تقوم بهذه المهمة بإنشاء مراكز بحثية متخصصة تدرس تاريخ وتراث وموروث بلاد الطائف.

(٢) المصدر: مشاهدات الباحث وجولاته في بعض مناطق محافظة الطائف مثل: ليه، وبني سعد، وميسان بالحارث، وثقيف، وغيرها في (٥-٦/١١/١٤٣٨هـ). وثقيف قبيلة عربية ماجدة منذ عصور ما قبل الإسلام، ولها دور تاريخي كبير عبر أطوار التاريخ الإسلامي. ونأمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخ هذه القبيلة (ثقيف) منذ استيطانها الطائف وعبر عصور التاريخ، ومن يفعل ذلك فسوف يطلعنا على معلومات قيمة عن جهود هذه القبيلة داخل وخارج شبه الجزيرة العربية. للمزيد انظر عبدالجبار منسي العبيدي. الطائف ودور قبيلة ثقيف العربية (٢٦٤ صفحة).

مساحتها (٤٢٠كم٢)، ويوجد فيها أكثر من (٢٠٠) قرية وتجمع سكاني، وهي جزء من بلاد السروات[١]. ويوجد في هذا المركز العديد من المؤسسات الإدارية والأسواق التجارية الصغيرة، وتشتهر بزراعة الخضروات والفواكه والحبوب واللوز البجلي والعسل، وبها بعض الغابات التي من أشجارها العرعر، والطلح، والعتم والسدر وغيرها[٢].

(و) **مركز القريع ببني مالك:** يقع هذا المركز جنوب مدينة الطائف، ويبعد عنها حوالي (١٦٠كم)، ويحده من الجنوب مركز حداد بني مالك، ومن الشرق والجنوب الشرقي وادي تربه[٣]، ومن الغرب قمم السروات المطلة على تهامة. ويوجد في بلاد القريع عدد من القرى التراثية والحصون الأثرية، وتضم عشرات القرى القديمة والحديثة، وتبلغ مساحتها حوالي (٣٣٩كم٢)، وفيها عدد من الأودية مثل: وادي عردة، ووادي حديد، ووادي السايلة، ووادي كيد، وتشتهر ببعض الفواكه والخضروات والحبوب، وفيها بعض المؤسسات الحكومية التي تقوم على خدمة الناس إدارياً وأمنياً واجتماعياً واقتصادياً، وبها العديد من المحلات التجارية والمطاعم المحدودة، ومن متنزهاتها الجميلة التي يرتادها السياح وأهل البلاد: متنزه غدير الجمل، ومتنزه المواريد، ومتنزه جبل إبراهيم، ومتنزه المرازيق، ومتنزه القان، ومتنزه السايلة[٤].

---

(١) محافظة الطائف بشكل عام، هي جزء من السروات الممتدة من بلاد اليمن إلى مدينة الطائف، ولهذا السبب أدرجناها ضمن موسوعاتنا (القول المكتوب في تاريخ الجنوب)، وربما يظهر من يعارض هذا الكلام، ويقول إنها مدينة حجازية، ونحن نؤكد أنها من مدن الحجاز الرئيسية، لكنها جزء أساسي من بلاد السروات الممتدة من قعر اليمن إلى بلدة الطائف، وهي متشابهة مع أرض السروات في طبيعتها الجغرافية وتركيبتها السكانية.

(٢) جولات الباحث في بعض المناطق والمراكز الواقعة جنوب محافظة الطائف مثل مركز بني حداد وغيره في يومي (٥-١١/٦/١٤٣٨هـ). كما أنني مررت بهذا البلاد الممتدة من الباحة إلى مدينة الطائف مرات عديدة خلال الأربعين عاماً الماضية. وأقول أن هذه الأوطان تستحق أن يفرد لها دراسات عديدة، وآمل القيام برحلة علمية في البلاد الممتدة من القنفذة والباحة جنوباً إلى الطائف ومكة المكرمة شمالاً، وهذا ما أتطلع إليه في قادم الأيام (بإذن الله تعالى).

(٣) كنت قد أدرجت في الجزء التاسع من موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) دراسة عن تربة ورنية والخرمة. وأقول إن هذه النواحي مع البلاد الواقعة بين مكة والقنفذة والطائف والباحة تستحق أن يصدر عنها دراسات عديدة. ونأمل من جامعات الباحة، والطائف، وأم القرى، والملك عبدالعزيز أن تشجع طلابها وأساتذتها على دراسة مثل هذه المناطق النائية التي لم تحظ بنصيب وافر من البحث والدراسات العلمية.

(٤) جولات ومشاهدات الباحث لبلاد القريع وما جاورها من بلدان جنوب محافظة الطائف في (٥/٦/١١/١٤٣٨هـ). والسائح في البلاد الممتدة من أبها إلى الطائف سوف يجد كثرة الغابات والمتنزهات في هذه البلاد، كما أنها متشابهة في طبيعتها وتركيبتها السكانية. وللمزيد انظر خارطة توضيحية في كتابه (الطائف) لمناحي القثامي (الطبعة الثالثة)، ص ٦.

أما طبيعة مدينة الطائف الرئيسية فهي تقع على بعض الأودية[١]، وأهم أوديتها وادي وج الذي تنبع مسايله من جبال الطائف الغربية حتى يصل حي المثناة وسط الطائف ثم يسير حتى يصب في الصحراء شمال شرق المدينة. وحتى نعرف طبيعة مدينة الطائف في السابق وكيف أصبحت اليوم التقيت ببعض العارفين بأحوال الطائف الجغرافية والسكانية خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، ثم تجولت في أرجائها وعرفت شيئاً من تخطيطها العمراني والتنموي الحديث[٢]. ويذكر أحد الباحثين بأن مدينة الطائف أثناء حصار الرسول (صلى الله عليه وسلم) لها في السنة الثامنة للهجرة، والتي بنت ثقيف حولها سوراً[٣]، ليست بالمدينة القائمة الآن، وليس هذا بمكانها، بل هي ما بين حي المثناة غرباً، وحي السلامة شمالاً، وشهار جنوباً، وحي حوايا شرقاً[٤]. وقد حدد بعض المؤرخين المتأخرين موقع سور ثقيف الذي يقع حالياً ما بين أراضي المزغدية، إلى بداية جسر السداد المطل على حي حوايا شرقاً وأجزاء من حي المثناة غرباً. وعندما دخلت الطائف تحت مظلة الدولة الإسلامية في السنة التاسعة للهجرة ترك أهل الطائف وبخاصة المسلمين منهم الأجزاء السابق ذكرها وسكنوا في منطقة مجاورة لمقابر الصحابة ومسجد عبدالله بن عباس (رضي الله عنهما) وعندئذ أصبحت هذه المنطقة النواة الأولى لمدينة الطائف الحالية، وتدريجياً بدأ السكان يبتعدون عن هذه النواة ويسكنون في أحياء مجاورة مثل: المثناة، والسلامة، وقروى وغيرها[٥].

---

(١) تقع مدينة الطائف اليوم على أودية عديدة مثل: وادي وج، ووادي نخب أو (وادي النمل) ووادي العرج، ووادي القيم، ووادي الجفيجف وغيرها. وللمزيد عن جغرافية حاضرة الطائف، انظر، عبدالجبار منسي العبيدي، الطائف، ص١٩ وما بعدها محمد سعيد آل كمال، الطائف (جغرافيته، تاريخه، أنساب قبائله)، ص ٤٣ وما بعدها. انظر أيضاً تفصيلات كثيرة عن الطائف في القسم الأول من هذا المجلد.

(٢) جولات في مدينة الطائف، وفي أجزاء من محافظتها في الفترة الممتدة من (٤-١٤٣٨/١١/٨هـ الموافق ٢٧-٢٠١٧/٧/٣١م).

(٣) للمزيد عن الطائف وثقيف انظر، عبدالجبار العبيدي، الطائف، ص٢٩، وما بعدها، السيد عيسى بن علوي القصيِّر. أحلى اللطائف في منتجع الطائف (الطائف: مطبوعات جامعة الطائف، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، ص ٥٧ وما بعدها.

(٤) للمزيد عن موقع هذه الأحياء اليوم انظر خارطة مدينة الطائف الحديثة، وانظر أيضاً، السيد عيسى بن علوي القصيِّر، الطائف القديم، (الطائف: مكتبة المصيف، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م)، ص ٦٣، وما بعدها. وللمزيد انظر عبدالله بن خميس. المجاز بين اليمامة والحجاز (الرياض: دار اليمامة للطباعة والنشر، د.ت)، ص ٢٦٣، ٢٦٤.

(٥) انظر عبدالمجيد داغستاني. الطائف مدينة في مرحلة انتقال وتحول، (١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ص ٣٠-٣١. مقابلة مع الأستاذين مناحي ابن ضاوي القثامي، والسيد عيسى بن علوي القصيِّر في يومي الجمعة والأحد، ٥، ١٤٣٨/١١/٧هـ. وفي صفحات قادمة سوف نذكر بعض التفصيلات عن أهم أحياء مدينة الطائف أثناء زيارتها في عام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م).

وهـذه الناحية التي تقع في محيط مسجد عبدالله بن عباس اليوم تعرف باسم (المركزية) وهي وسط مدينـة الطائف خلال القرون الماضية المتأخرة، وكانت إلى تاريـخ (١٣٦٨/٨/٥هـ) محاطة بسـور له ثلاثة أبـواب رئيسية، وهـي: (١) باب الحزم، وهو الباب الشمالي ويتصل بحي شبرا. (٢) باب الريع، وهو الباب الغربي الـذي يخرج إلى حي السلامـة والمثناه. (٣) باب عبدالله بن عباس، وهو إلى جوار مسجـد ابن العباسـ (رضي الله عنهمـا)، ويقع في الجهة الجنوبيـة الشرقية من المنطقـة المركزيـة[١]. وهـذا المركز الرئيسي لمدينـة الطائف يطلـق عليه إلى عهد قريـب اسم (حارة)، وعرف باسم (حارة فوق) وتقـع وراء باب الريع للداخل إلى البلدة[٢]. وحارة أسفل، وتقع خلف باب الحزم. وحارة السليمانية، وهي على مقربة مـن باب عبدالله بن عباس، ويراها الداخل من هذا الباب عن يمينه. وكانت أوسع هذه الحارات وأكثرها سكاناً، حارة أسفل، ثم حارة فوق، ثم حارة السليمانية. وقد نشـأ خارج السور عدد من (الحارات) أو الأحياء، مثل: قروى، والسلامة، والمثناة، ومعشي، والعزيزية، وغيرها[٣].

ونجد هـذه المنطقة المركزية (حارات: أسفل، وفـوق، والسليمانية)، التي كان مضروباً عليهـا سور حتى عام (١٣٦٨هـ/١٩٤٨م)، ثم هـدم، اتصلت بغيرها من الأحيـاء المجاورة، وبقيت هذه المنطقة سوق الطائـف الرئيسي، وقلبها النابض[٤]، وعندمـا توسعت المدينة، وعمت التنمية العمرانيـة والاقتصادية والحضارية جميع مـدن وحواضر المملكـة، نال مدينة الطائـف ومحافظتها نصيب جيـد من التنمية والتطـور، وقامـت بلديـة الطائف بإجـراء تعديـلات وتنظيمات حديثـة على هذه

---

(١) مقابلة مع السيد عيسى بن علوي القصيرٌ يوم السبت (١٤٣٨/١١/٦هـ).

(٢) المصدر نفسه، وللمزيد انظر السيد عيسى القصيرٌ: الطائف القديم، ص ٦٦-٦٧.

(٣) مقابلة مع الأساتذة علي بن خضران القرني، والسيد عيسى بن علوي القصيِّر، ومناحي بن ضاوي القثامي أثناء زياراتي لمدينة الطائف من الخميس إلى الإثنين (٤-١٤٣٨/١١/٨هـ) الموافق ٢٧-٢٠١٧/٧/٣١م).

(٤) زرت الطائـف منـذ عـام (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، حتى عام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) مرات عديـدة، وفي عام (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، عملت في مدينـة الطائف حـوالي شهرين، وكنت أعمـل حينهـا في تاكسي أجرة، فأقوم بنقل الركاب بين أحياء مدينة الطائف، وكانت هذه المدينة وقتها مكونة من حارات وأحياء عديدة، وأهـم أسواقهـا آنذاك هي الدكاكين والأسواق الموجودة في المنطقة المركزيـة، المذكورة في السطور أعلاه، والظاهـر علـى تلك الأسواق عـدم تنسيقها، وعدم ترتيـب بضائعها، والطرقات فيما بينهـا كانت ضيقة وغـير نظيفـة، كما أن أبواب معظم الدكاكين مـن الخشب أو الحديد. وعندمـا زرت هذه المنطقة في عام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) أعجبـت كثيراً بما جرى عليهـا من إصلاحات وترتيب وتنظيـم حتى صارت مواكبة لعصر النهضة والتنمية الذي تعيشه المملكة العربية السعودية في وقتنا الحاضر.

المنطقة المركزية، فوسعت مداخلها، ورصفت أرضها بالرخام الحجري، وطرقاتها وشوارعها بالأسفلت، وإعادة أبوابها الثلاثة (الحزم، والريع، وعبدالله بن عباس) في هيئة ديكورات جمالية، ثم وحدت ألوان جميع الأبنية والعمارات الحديثة الموجودة في هذه المنطقة، فأصبح لونها بنيا ترابيا، وأدخلت الكثير من التزويقات والاصلاحات الجمالية على مداخل ومخارج هذه الناحية، واعتنت ببعض المرافق الموجودة فيها مثل: المساجد، ودورات المياه، وغيرها، وصارت جميع الطوابق الأرضية أسواقاً تجارية يعرض فيها جميع البضائع، وتم استغلال الطوابق العلوية للإيجار والاستثمار السكني والتجاري[١].

وفي العقود الماضية المتأخرة توسعت مدينة الطائف وتطورت أحيائها وطرقاتها وجميع خدماتها، وبقيت المنطقة المركزية نشطة، ومكتظة بأسواقها، وتجمعاتها السكانية[٢]. ومن حولها في كل اتجاه تمددت المدينة، ومن أهم أحيائها في وقتنا الحاضر، والمتفاوتة في تاريخ نشأتها[٣]، ما يلي: (١) من الناحية الغربية، والغربية الشمالية والجنوبية للمنطقة المركزية: المثناة، والسلامة، وقروى، ومعشي، والعزيزية، والربوة، والخالدية، ومسرة، وعودة[٤]. (٢) الجهة الشرقية، والشرقية الشمالية والجنوبية: الشرقية[٥]، الشهداء الشمالية والجنوبية، وحوايا الشمالية

---

(١) مشاهدات الباحث لهذه المنطقة في الفترة الممتدة من (٤-١٤٣٨/١١/٨هـ/ الموافق ٢٧-٢٠١٧/٧/٣١م). وللمزيد عن طبيعة وسط مدينة الطائف قديماً من حيث أسماء شوارعها وحاراتها وسكانها، انظر السيد عيسى القصير، الطائف القديم، ص ٦٣-٩٦.

(٢) مساحة المنطقة المركزية اليوم تقدر تقريباً (١,٥٠×١,٥٠كم٢)، وهذه المنطقة تستحق أن يصدر عنها كتاب أو رسالة علمية تدرس مراحلها التاريخية والجغرافية منذ نشأتها في صدر الإسلام حتى وقتنا الحاضر.

(٣) إذا توقفنا مع تاريخ كل حي من أحياء مدينة الطائف فإننا سوف نجد قدم بعضها وذكرها في كثير من المصادر المبكرة والوثائق، وهناك أحياء جديدة لم تظهر إلاّ في الثلاثين عاماً الماضية عندما توسع نطاق العمران والتنمية في عموم المملكة العربية السعودية. ونأمل أن نرى باحثين جادين يدرسون تاريخ وحضارة الأحياء القديمة في مدينة الطائف.

(٤) المثناة وقروى، ومعشى من الأحياء القديمة والجديرة بالبحث والدراسة. وكذلك الأحياء الأخرى قامت في العقود الماضية، وهي أيضاً تستحق البحث والدراسة. المصدر: مشاهدات الباحث وجولاته في مدينة الطائف في الفترة الممتدة من (٤-١٤٣٨/١١/٨هـ الموافق ٢٧-٢٠١٧/٧/٣١م).

(٥) يذكر أنها سميت الشرقية، ربما لوقوعها إلى شرق المنطقة المركزية، وأيضاً سكنها بعض النجديين من المنطقة الوسطى وما حولها، فسميت حارة الشرقية، أو حارة الشروق. وكان هناك حارة أخرى تدعى اليمانية جنوب المنطقة المركزية، ومعظم سكانها من المناطق الواقعة جنوب الطائف من بلاد السروات وأرض اليمن، فسميت أيضاً (اليمانية).

والجنوبية، والقطبية، والقمرية، والجال، والربيع، والوشحاء، والمعارض، ونخب (وادي النمل)، وجبرة، وقملا، والجفيحف[١]. (٣) الجهة الشمالية: شبرا[٢]، والعقيق، والريان، والفيصلية، والقيم، والمليساء، وأم خبز، والحوية[٣]. (٤) الناحية الجنوبية: جزء من حوايا الشمالية والجنوبية، وأم العراد، وشهار، والنزهة[٤]. وأقول: هذه الأحياء التي استطعت السير في جنباتها، وهي حارات (أحياء) كبيرة يوجد فيها جميع الخدمات، ومكتظة بالسكان، وما زال هناك أحياء، وحارات في أنحاء مدينة الطائف، ولها مسميات ومخططات معتمدة في بلدية الطائف، ومعظمها جديدة، نشأت خلال العشرين سنة الماضية[٥]. وجميع الأحياء السابق ذكرها أعلاه مرتبطة بعشرات الطرق المسفلتة.

ومن هذه الطرق ما هو واسع ومزدوج وطويل مثل: شارع وج الذي يسير من غرب الطائف، ومن الوهط والوهيط وحي المثناة إلى شمال مدينة الطائف في الحوية وما جاورها. وشارع حسان بن ثابت الذي يدخل الطائف من الجهة الجنوبية الشرقية، وهو امتداد للطريق الدولي الذي يربط الطائف مع الباحة، وأبها، ونجران، واليمن، وهو مزدوج ويواصل سيره داخل المدينة حتى مسجد عبدالله بن عباس والمنطقة المركزية وسط المدينة. والطريق الدائري الذي يحيط بالطائف، وكذلك طرق الطائف الهدا، والطائف السيل، والطائف الشفا، والطائف الحوية الذي يواصل السير إلى الرياض، وشوارع عديدة مزدوجة داخل المدينة،

---

(١) بعض مسميات هذه الأحياء قديمة مثل الشهداء التي يقال إنها نسبة إلى شهداء الصحابة في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم). وأقول أن كل حي من هذه الأحياء يستحق أن يفرد له دراسة تاريخية وجغرافية موثقة، والأمل معقود على مؤرخي محافظة الطائف وعلى جامعة الطائف. المصدر: مشاهدات الباحث في الفترة الممتدة من (٤-٨/١١/١٤٣٨هـ).

(٢) حي شبرا: نسبة إلى قصر شبرا الذي تم عمارته في القرن (١٣هـ/١٩م)، واسم (شبرا) نسبة إلى حي شبرا في مصر. ولحي وقصر شبرا تاريخ سياسي وحضاري خلال القرنين الماضيين، واصبح قصر شبرا اليوم متحف الطائف الرسمي. حبذا أن يفرد كتاب أو رسالة علمية عن حي شبرا وقصرها منذ تأسيسه حتى اليوم، وهذا الموضوع جدير بالبحث والدراسة.

(٣) مشاهدات الباحث في الفترة من (٤-٨/١١/١٤٣٨هـ).

(٤) المصدر نفسه.

(٥) لم أذكر جميع حارات أو أحياء أو مخططات حاضرة الطائف، وهذا موضوع كبير يستحق أن يدرس في مئات الصفحات، بل إن التطور الذي تمر به مدينة الطائف من بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) جدير بالعديد من الدراسات.

مثل: شارع شبرا (أبو بكر الصديق)، وشارع الجيش، وشوارع أخرى كثيرة جداً ومعظمها ذات اتجاه واحد، وبعضها ذات اتجاهين[١].

٢-السكان:

الطائف مدينة قديمة استوطنها أجناس بشرية عديدة قبل الإسلام، ومعظم سكانها آنذاك من القبائل العربية العدنانية والقحطانية، كما سكنها عناصر قليلة غير عربية من الفرس والروم والأفارقة[٢]. ولن أخوض في أنساب سكان الطائف منذ القدم، وإنما أشير إلى لمحات من التركيبة السكانية لمحافظة الطائف اليوم، وهي على النحو التالي:

أ) العرب ممثلون في بعض العشائر العربية الساكنة في عموم بلاد الطائف منذ القدم، ومنهم الثقفيون، فهم سكان مدينة الطائف من قبل الإسلام[٣]، وما زالوا إلى اليوم يسكن بعضهم المدينة ومعظمهم في نواحي عديدة من المحافظة، مثل: بنو سفيان، وينقسمون إلى قسمين: بنو عمر، وآل شريف، وهذان القسمان يتكونان من قرى وعشائر عديدة، وجمعيهم يستوطنون ضواحي الطائف مثل: منطقة الشفا وغيرها[٤]. وطويرق: وهذه العشيرة حضر وبادية، ويتفرعون إلى فروع وفخوذ عديدة، ويقطنون بعض أرياف مدينة الطائف[٥]. النمور: ويتفرعون حسب مواطنهم اليوم إلى

---

(١) موضوع الطرق والمواصلات في مدينة الطائف أو المحافظة بشكل عام يستحق أن يفرد له كتاب أو رسالة علمية منذ بداية القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر. ونأمل من بعض أساتذة جامعة الطائف والمؤرخين في الحجاز أن يدرسوا تاريخ وتنمية وحضارة حافظة الطائف في العصر الحديث والمعاصر.

(٢) يذكر أن بعض العرب البائدة سكنوا بلاد الطائف مثل: عبدضخم، والعماليق، وثمود، ومن العرب الباقية بعض الكهلانيين المذحجيين مثل: بنو الحارث جنوب شرق محافظة الطائف في ميسان وأبو راكة، وبعض الكهلاتين الأزديين مثل اليقوم في حضن شرق الطائف وبعض السرويين من قبائل الطائف والممتدة أوطانهم إلى سروات غامد وزهران الأزدية. ونجد تفصيلات كثيرة في كتب الأنساب وبعض كتب التراث الأخرى التي تفصل الحديث عن أنساب قبائل مدن الحجاز وتهامة والسروات الممتدة من مكة المكرمة والطائف شمالاً إلى نجران وجازان وبلاد اليمن جنوباً وأقول أن التركيبة السكانية من الطائف إلى أبها وخميس مشيط جديرة بالدراسة عبر أطوار التاريخ الإسلامي، ونأمل من المؤرخين في جامعات الطائف، والباحة، والملك خالد، أن يدرسوا هذا الموضوع في عدد من الدراسة الموثقة.

(٣) للمزيد عن تاريخ قبيلة ثقيف منذ سكنت بلدة الطائف انظر عبدالجبار منسي العبيدي، الطائف ودور قبيلة ثقيف العربية، ص ٢٩ وما بعدها.

(٤) مشاهدات ومقابلات الباحث مع عدد من أعيان قبيلة ثقيف في مدينة الطائف، وفي مركز الشفا في الفترة الممتدة من (٤-١١/٨/١٤٣٨هـ).

(٥) المصدر نفسه.

قسمين. سكان الهدا[١]، وسكان وادي المحرم[٢]. وثمالة، وسميت البلاد باسم القبيلة، وهي من الأزد، ويدو أنها خالطت قبيلة ثقيف، أو أن بطناً من ثقيف اختلط بها حتى أصبحت لا تعرف إلا أنها ثقفية، وفي رأي آخر أنهم من البقوم ودخلوا حلفاً مع قبيلة ثمالة[٣]. وبنو سالم، وعوف، والحمدة ويسكن بعضهم في وادي لية، أو في وادي القيم شمال مدينة الطائف[٤]. وثقيف اليمن[٥]، وهي ثقيف اليوم، وتبعد عن الطائف نحو الجنوب حوالي (١٤٠كم) ويجاورهم بنو مالك بجيلة وبنو الحارث وهم جميعاً من سكان محافظة الطائف[٦]، وهم من سكان السروات وقليلاً منهم يستوطنون مناطق الأصدار وتهامة[٧].

ومن سكان الطائف قريش، والصلة بين ثقيف وقريش تعود إلى العهد الجاهلي، واستمرت صلاتهم الاقتصادية والاجتماعية ومصاهرتهم عبر أطوار التاريخ الإسلامي، ومما قوى الصلة بينهم الجوار والنسب، وهذا مما دفع الطرفين إلى الدخول في حلف[٨]. واستمرت آثار الحلف والاختلاط إلى وقتنا الحاضر، وما زالت فخوذ من قبيلة قريش تسكن في مدينة الطائف، وفي بعض ضواحيها. وهناك من وقع في وهم فظن أن قريش الطائف فرع من قبيلة ثقيف، وهذا خطأ[٩]، ونجد بعض المصادر تشير إلى أن ناحية الوهط في غرب مدينة الطائف اليوم كانت ملكاً

---

(١) كتبنا الهدا بهذه الطريقة، وهناك من يكتبها (الهدة) أو (الهدى)، وكانت قديماً منازل لقبيلة هذيل، وأصبحت اليوم موطن لبعض عشائر ثقيف وقريش. المصدر: مشاهدات الباحث وتنقله في بلاد الهدا في (٥-٦/١١/١٤٣٨هـ).

(٢) هذا ما عرفه الباحث أثناء جولته في وادي محرم والهدا في (٥-٦/١١/١٤٣٨هـ).

(٣) مشاهدات الباحث وجولاته في البلاد الواقعة جنوب الطائف في الفترة من (٥-٦/١١/١٤٣٨هـ).

(٤) مقابلات ومشاهدات الباحث في مدينة الطائف وما حولها في الفترة من (٤-٨/١١/١٤٣٨هـ).

(٥) المقصود باليمن هنا: أي الجهة وليس النسب، فمن سكن الطائف من جهة الجنوب يسمى يمناً، ومن جهة الشمال يسمى شاماً.

(٦) بنو مالك بجيلة وبنو الحارث (بلحارث) عشائر عربية يسكنون في الناحية الجنوبية من محافظة الطائف.

(٧) المصدر: هذا ما سمعه وعرفه الباحث اثناء جولته في محافظة الطائف من (٤-٨/١١/١٤٣٨هـ).

(٨) يذكر ابن حبيب أن قريش رغبت في مشاركة ثقيف في وادي وج، ولكن الثقفيين رفضوا ذلك، وكادت أن تقوم حرب بين الطرفين، ثم حالفت ثقيف قريش، وعندما ظهر الإسلام صارت الطائف مصيفاً لأهل مكة وازدادت العلاقات والصلات الجيدة بين القرشيين والثقفيين، وأصبح كثير من القرشيين في الطائف معدودين قي قبيلة ثقيف. انظر ابن حبيب البغدادي: المنمق في أخبار قريش (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص ٢٣٢، ٢٣٣، ٣٢١.

(٩) هذا الخطأ وقع فيه فؤاد حمزة والزركلي، انظر كتاب: قلب جزيرة العرب (الرياض: مكتبة النصر الحديثة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) (الطبعة الثانية)، ص ١٣٥، ١٩٠، وكتاب: ما رأيت وما سمعت للزركلي (الطائف: مكتبة المعارف، د.ت)، ص١٤٧.

لذرية عمرو بن العاص، وذكر الهمداني أن معدن البرام يسكنه قريش وثقيف، ومن قبيلة الطائف واد يقال له: مشريق لبني أمية من قريش، وفي قبلة الطائف حائط أم الخليفة المقتدر ويدعى سلامة[١].

والشيابين (شيبان) اختلطت مع ثقيف، بسبب الجوار، وقبيلة الشيابين في الطائف محالفون لعتيبة، وهم سكان عشيرة وركبة وما جاورهما، وقد سمعت بعض الشيابين في الطائف يقولون أن اصلهم من ثقيف، ولكن لانقطاع الصلة وتباعد مواطنهم اليوم ضعفت الروابط والصلات فيما بينهم[٢].

ومن عرب محافظة الطائف بعض الفخوذ أو عشائر من عتيبة، مثل الثبتة، والروقة، والنفعة، والقثمة، والعصمة، والدعاجين، والسوطة، والجعدة، والمقطة، والطلوح، والشهبة، والشيابين، والوذانين، والذبانية نسبة إلى الذبياني وغيرهم، ومنهم من يسكن اليوم مدينة الطائف، وكثير منهم يسكنون في بعض الأجزاء الجنوبية، والشرقية والشمالية[٣]. ونجد أن قبيلة عتيبة من أكبر قبائل الجزيرة العربية، وهي وثقيف يعودون في نسبهم إلى قبيلة هوازن العدنانية. وتذكر بعض المصادر المبكرة إلى أن هوازن استوطنت ما بين غور تهامة وأجزاء من السروات، ما بين الطائف وبيشة وامتدت إلى ذي المجاز، وحنين وما جاورها[٤]، وتتكون هذه القبيلة من ثلاثة فروع رئيسية هي: (١) بنو سعد بن بكر (٢) بنو معاوية بن بكر (٣) بنو منبه بن بكر بن هوازن، وهم ثقيف[٥]. وإذا كانت قبيلة عتيبة قد تحالفت مع

---

(١) الحسن الهمداني: صفة جزيرة العرب. تحقيق محمد علي الأكوع (بيروت: دار الآداب، د.ت)، ص ٢٣٣. وهناك قريش الأعاضيد التي تسكن شمال شرقي الطائف عند ناحية المبعوث والمعدن الذي ذكره الهمداني ويسكنه الآن الثبتة من عتيبة.

(٢) جولات الباحث ومقابلاته مع بعض رجالات الطائف في الفترة من (٤-١٤٣٨/١١/٨هـ) الموافق ٢٧-٢٠١٧/٧/٣١م). وأقول أن دراسة أحلاف قبائل محافظة الطائف منذ صدر الإسلام وعبر أطوار التاريخ الإسلامي من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس ونأمل أن نرى باحثاً جاداً فيدرس هذا الموضوع في هيئة كتاب أو رسالة علمية.

(٣) هذا ما سمعه الباحث أثناء زيارته الطائف في الفترة من (٤-١٤٣٨/١١/٨هـ)، ومقابلته مع بعض رجالات عتيبة مثل مناحي القثامي وغيره من عشائر السوطة، والقثمة، والثبتة. وأقول أن التركيبة السكانية في محافظة الطائف اليوم تستحق أن يصدر عنها عدد من البحوث العلمية.

(٤) انظر أبو عبدالله البكري. معجم ما استعجم. تحقيق مصطفى السقا (نسخة مصورة عن طبعة القاهرة، د.ت)، جـ١، ص٨٧.

(٥) انظر، عبدالرحمن بن خلدون. تاريخ ابن خلدون (بيروت: دار الفكر، جـ٢، ص ٣٦٩، ٣٧٠، انظر أيضاً، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ٢٦٥، ٢٦٩ن ٢٧١.

قبائـل أخرى تختلف عنها في النسب[١]، إلاّ أن أكـثر بطونها منحدرة من قبيلة هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن معد بن عدنان[٢].

ومن سـكان محافظة الطائف خـلال العصر الحديث أفـراد وأسر عديدة من جميـع قبائل الجزيرة العربية، ويأتي في مقدمتهـا قبائل تهامة والسراة الممتدة من مكة والطائف إلى نجران وجازان، وإن كانوا ينتسبون إلى قبائل عدنانية وقحطانية، ومعظمهـم من قحطـان، إلا أنهم قدمـوا إلى الطائف بحثاً عن العمـل وكسب لقمة العيش، ولم يكن قدومهم إلى حاضرة الطائف في التاريخ الحديث والمعاصر، وإنما كانـوا يأتـون إليه أفـراداً ومجموعات منـذ العصـر الجاهلي وعبر أطـوار التاريخ الإسلامـي، لكنهم تزايدوا بشكل كبـير من بداية الدولة السعوديـة الحديثة، ومنذ خمسينيـات القرن الهجري الماضي (١٤هـ/٢٠م). وكثير منهم انخرطوا في السلك العسكري وفي عدد مـن الوظائف الحكومية، والأعمال والمهن الحرفية الأخرى، ولم ينتـه القـرن (١٤هـ/ ٢٠م)، إلاّ وكثير من سكان مدينة الطائـف من أهل الجنوب (تهامة وسراة)، حيث استوطنوا فيه، وامتلكوا المنازل والعقارات المختلفة، وتصاهر بعضهم مع أهل الطائف الأصليين، وصار هنـاك أحياء كاملة مثل: الشهداء الشمالية والجنوبية وغيرها ومعظم ساكنيها من التهاميين والسرويين[٣].

---

(١) قبيلة عتيبة من أكثر القبائل انتشاراً في الجزيرة، وقد جرى تشبيهها بشجرة عروقها في الحجاز وفروعها في نجـد. وهـي في الواقع عشائـر متعددة مختلفة ما بـين النسب العدناني والقحطـاني، وإن كان أكثرها عدنانيـاً من هـوازن، إلاّ أن اجتماعها وتألفهـا بواسطة التحالف مع غيرها من العشائـر أسبغ عليها من السلطة والقوة ما جعلها كتلة واحدة وصارت في الصدارة بين القبائل العربية.

(٢) حبـذا أن نرى باحثاً جـاداً يدرس تاريخ وأحداث قبيلة عتيبة في الحجاز ونجـد منذ ظهورها وعلو شأنها منـذ أوائل القـرن (١٠/١٦م) حتى وقتنا الحاضر. ومـن يفعل ذلك فسوف يسدى لنـا معاشر الباحثين فضـلاً كبيراً، ويطلعنا علـى أحداث وتاريخ هذه القبيلة العربية الماجدة. كمـا أن فخوذ وعشائر عتيبة في محافظة الطائف تستحق هي الأخرى أن يصدر عنها دارسات وبحوث علمية موثقة.

(٣) هـذا ما سمعتـه وشاهدته وأنا أتردد على مدينـة الطائف من بداية هذا القـرن (١٥هـ/٢٠م) إلى وقت زيارتـي الأخيرة عام (١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م). كما سمعت ذلك من عدد من أهل السروات (غامد، وزهران، ورجـال الحجر، وشهـران، وقحطان) وغيرهم، وهـم يعيشون وما زالوا في الطائف منـذ سبعين وثمانين عامـاً. وأقـول: أن الصلات الاجتماعية والتاريخية بـين مدينة الطائف وأهل الجنـوب (تهامة والسراة) قديمـة جداً، وازدادت وتوسعـت خلال المئة عام الماضيـة. ودراسة هذه الروابـط السكانية والاقتصادية والاجتماعية والإدارية والعسكرية والعلمية والمعرفية جديرة بالدراسة خلال العشرة عقود الماضية. ونأمل أن نرى أحد طلابنا في برنامج الدراسات العليا بقسم التاريخ في جامعة الملك خالد فيسجل هذا الموضوع لعنوان رسالة ماجستير أو دكتوراه، وهو عنوان جدير ولم يسبق بحثه أو دراسته.

ويعيش في الطائف اليوم أفراد وأسر كثيرة من بلاد اليمن، أو من قبائلٍ عربية في نجد أو الشمال أو دول الخليج العربي، وبعضهم يسكن هذه البلاد مؤقتاً، فهم موظفون في الدولة، أو يمارسون بعض الوظائف الأعمال الإدارية، أو العسكرية، أو الاقتصادية، أو التعليمية، أو الصحية، أو الرياضية وغيرها.

ومنهم من جاء إلى هذه الحاضرة منذ سنوات، ثم استقر بها مع أسرته، وما زال يعيش فيها إلى اليوم. وهناك أفراد من مناطق عديدة في المملكة العربية السعودية أو من اليمن أو بعض الدول العربية الأخرى، مثل: الشام، ومصر وغيرها جاءوا إلى الطائف وتزوجوا (رجالاً أو نساءً) من أهل الطائف وأصبحوا من سكانها ولا يذهبون إلى مواطنهم الأصلية إلاّ للزيارة فقط[١]. ومن سكان محافظة الطائف بعض الأفراد أو الأسر الذين جاءوا من بعض الدول العربية وغير العربية للعمل المؤقت في بعض الحرف والمهن أو القطاعات الحكومية والأهلية. وقد شاهدت أعداد من هذه العناصر في مدينة الطائف ومراكز المحافظة المختلفة مثل: الهدا، والشفا، ولية، ومحافظتي بني سعد وميسان بالحارث، ومراكز ثقيف، وحداد، والقريع في بني مالك بجيلة. وقابلت بعض اليمنيين، والأردنيين، والسوريين، والمصريين، والمغاربة والباكستانيين، والهنود، والبنجاليين، والنيباليين، والفلبين وعناصر محدودة أوروبية وغربية الذين يعملون في مهن تجارية، وزراعية، وحرف وصناعات، أو من يعمل في بعض القطاعاتٍ الصحية أو التقنية أو التعليمية وبعضهم يعيش في ربوع المحافظة منذ أربعين عاماً، وآخرون لهم سنوات قليلة لا تتجاوز الخمسة أو الستة أعوام[٢].

---

(١) هذا ما شاهده الباحث وسمعه من أفراد وأسر عديدة في الطائف أثناء زيارتها في الفترة من (٤-١٤٣٨/١١/٨هـ).

(٢) مقابلة الباحث لعدد من هذه العناصر داخل المدينة، وخارجها، وسمعت منهم أنهم يفضلون العيش في محافظة الطائف على غيرها، وذلك لطيبة أهلها الأصليين، وجودة هواءها، وجمال طبيعتها. ومن يدرس أو يسأل عن تاريخ الحياة الاجتماعية في الطائف خلال القرون الماضية المتأخرة يجد أنه وفد إلى الطائف عناصر عربية وغير عربية للعمل في قطاعات عديدة، وبعضهم جاء إلى العمرة والحج ثم سافروا إلى الطائف وعملوا فيها وعاشوا على أرضها لبعض الوقت، ومنهم معلمون وموظفون عرب وغير عرب عملوا في حاضرة الطائف وما حولها خلال العقود العشرة الماضية، ومعظمهم عادوا إلى بلادهم، وكان لهم تأثير وتأثر مع الطائفيين. وقد سمعت من بعض كبار السن والمعلمين الأوائل في الطائف قصص وأخبار عديدة عن نشاطات ومشاركات المدرسين والخبراء والمهندسين الوافدين إلى الطائف من السبعينيات في القرن (١٤هـ/٢٠م)، إلى بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، ولا نجد شيء مكتوب عن تاريخهم في الطائف، ونأمل أن نرى أحد المؤرخين الجادين من محافظة الطائف فيدرس التركيبة السكانية بشكل مطول في هذه البلاد خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م)، ومن يفعل ذلك فسوف يطلعنا على معارف ومعلومات جديدة عن هذه البلاد السروية.

ومن سكان الطائف الرئيسيين اليوم بعض العناصر البشرية التي جاءت إلى الطائف لطلب العلم في مسجد عبدالله بن عباس (رضي الله عنهم)، ومنهم من هو من أصل عربي وآخرون مسلمون غير عرب[١]. كما وفد إلى الطائف عناصر بخارية وأفغانية وتركستانية وصينية وغيرهم من شرق آسيا، وذلك هروباً بدينهم من حكوماتهم التي اضطهدتهم وضايقتهم في معتقدهم، وقد تزايدوا في الطائف حتى أصبح هناك حي (حارة) كاملة تعرف بمسمى (البخارية) الذين معظم سكانها من بلاد بخارى وما حولها. وهؤلاء الأجناس عاشوا وما زالوا يعيشون مع بقية سكان الطائف، فاندمجوا معهم في الجوار والمصاهرة، وحصل معظمهم على الجنسية السعودية، ومن لم يحصل على الجنسية فهو يعيش مثل غيره من أهل الطائف في الحقوق والواجبات[٢].

ويوجد في حاضرة الطائف عناصر أفريقية جاءوا إليها خلال القرون الماضية، في هيئة رقيق ثم اعتقوا وبقوا في بلاد سادتهم والقبائل التي كانوا تابعين لها[٣].

---

(١) من يدرس الحياة العلمية والثقافية في الطائف ودور مسجد عبدالله بن عباس (رضي الله عنه) في الحياة العلمية والفكرية، وكذلك مساجد أخرى في الطائف فإنه سوف يجد مادة علمية كبيرة تعكس نشاط هذه المساجد، وكيف كان يرتادها طلاب كثيرون يفدون إليها من داخل الجزيرة العربية وخارجها. وهذا الموضوع من الموضوعات الجديدة ويستحق أن يدرس في هيئة كتاب أو رسالة علمية أكاديمية.

(٢) ما زالت حارة البخارية قائمة في الطائف إلى اليوم، وكان قدومهم إلى الطائف في بداية القرن (١٤هـ/٢٠م)، مع أن الطائف قبل ذلك التاريخ لا تخلو من عناصر غير عربية من الأتراك، والبخاريين، والصينيين وغيرهم، لكن أعدادهم كانت قليلة، ثم تزايدوا في القرن (١٤هـ/٢٠م)، ولهم أعراف وعادات وتقاليد في أطعمتهم، وألبستهم، وبعض مناسباتهم الاجتماعية التي جلبوها معهم من أوطانهم الأصلية في شرق آسيا، وهم أناس مسالمون وطيبون في أخلاقهم ومعاملاتهم العامة والخاصة، وكثير من أبنائهم وبناتهم اليوم سعوديون يعملون في قطاعات حكومية وأهلية كثيرة، وكان للدولة السعودية الثالثة فضل كبير في احتضانهم وانقاذهم من اضطهادات حكوماتهم الشيوعية التي حاربتهم ونكلت بالكثير منهم. وقد فضلوا العيش في مدينة الطائف لجودة طبيعتها وجمال هوائها، فهي مشابهة لطبيعة ومناخ بلادهم الأصلية وأقول أن دراسة تاريخ وحضارة هذه الفئة منذ قدومهم إلى الطائف إلى وقتنا الحاضر، من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس ونأمل أن نرى باحثاً جاداً فيدرس هذا المحور في هيئة كتاب أو رسالة علمية. المصدر: مشاهدات الباحث وجولاته في حي البخارية في الطائف وفي أسواقها وكانت المقابلة مع بعض رجالات هذه الفئة في أسواق الطائف المركزية في الفترة من (٤-١١/٨/١٤٣٨هـ).

(٣) ظاهرة الرقيق موجودة في الجزيرة العربية منذ ظهور الإسلام، وهناك صفحات وفصول عديدة في كتب الفقه الإسلامي تتحدث عن نظام العبودية (الرق) في الإسلام. ومن يتجول اليوم في أنحاء المملكة العربية السعودية، فإنه سوف يلاحظ أجناساً سوداء من أصول أفريقية وبعضهم كانوا في الأساس عبيداً ثم اعتقوا وأصبحوا سعوديين مثلهم مثل غيرهم من سكان المملكة في جميع الحقوق والواجبات. وأقول أن هذا الموضوع لم يدرس دراسة علمية أكاديمية في عموم الجزيرة العربية، وهو من العناوين الجديدة والجديرة بالبحث والدراسة.

وهناك فئات منهم جاءوا أو جلبوا إلى هذه البلاد للعمل في بعض المهن الاجتماعية والاقتصادية ومن يتجول في وادي نخب (وادي النمل) اليوم فإنه يشاهد كثيراً من هذه العناصر (نساءً ورجالا) يتجولون ويعيشون وبعضهم يعمل في أمكنة عديدة من هذه الوادي، ويطلق عليهم عند أهل الطائف اسم (التكارنة)[١].

ومن سكان الطائف النساء اللاتي معظمهن من القبائل العربية التي تعيش في الطائف منذ القدم، أو من بنات القبائل الأخرى داخل الجزيرة العربية، وقد وفدن إلى الطائف كزوجات للطائفين أو مع أزواجهن الذين جاءوا إلى الطائف للعمل في القطاعات الحكومية والأهلية. وهناك من جاء من خارج المملكة من العرب وغير العرب ومعهم زوجاتهم وبناتهم اللاتي جلبوهن لمرافقتهم والعيش معهم .كما يوجد في الطائف كثير من النساء العزباوات اللاتي قدمن من مناطق عديدة في المملكة العربية السعودية للدراسة أو العمل في قطاعات التعليم والصحة والشئون الاجتماعية وغيرها، وهناك نساء أخريات جاءوا من خارج المملكة من بلاد عربية وغربية وشرقية للعمل في بعض الأعمال الصحية والاجتماعية مثل: الممرضات والطبيبات، والخادمات، والمربيات في المنازل، وأيضا مدرسات في بعض المدارس الأهلية أو الكليات الجامعية[٢].

---

(١) لقد زرت مدينة الطائف مرات عديدة منذ نهاية التسعينيات في القرن (١٤هـ/٢٠م)، وزرت وادي نخب (وادي النحل) وهو حي من أحياء مدينة الطائف الجنوبية، وشاهدت هؤلاء الأفارقة في نهاية القرن الماضي وبداية هذا القرن بأعداد كثيرة، وكانوا آنذاك يعيشون في بيوت من الخشب أو العشش أو الصنادق الحديدية (الزنك)، ويغلب عليهم الفقر وعدم التعليم. وفي عام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) زرت هذا الحي وتجولت في أرجائه ورأيته معموراً بأبنية حديثة ومسلحة تتكون من طوابق عديدة تتراوح من الطابق الواحد إلى الأربعة والخمسة طوابق ومعظم ملاكها من العرب السعوديين ورأيت بعض العناصر الأفريقية ما زالوا يعيشون في هذا الحي ويسكنون بعض البيوت الشعبية وأحياناً في بعض الغرف أو الشقق المسلحة الحديثة، ومنهم من يعمل في بعض القطاعات الاقتصادية، وآخرون وبخاصة بعض النساء يتجولن في الشوارع ويشحذن. وأقول أن هذا الحي وهذه الفئة الأفريقية يجب أن تدرس من شتى الجوانب وتوضع حلول لأحوالهم الاجتماعية والاقتصادية. ويبدو أن معظمهم وربما جميعهم لا يملكون الجنسية الوطنية أو إقامة نظامية. المصدر: مشاهدات الباحث وجولاته في حي نخب في (١٦/١١/١٤٣٨هـ).

(٢) هذا ما عرفه الباحث أثناء تجواله في محافظة الطائف في الفترة من (٤-٨/١١/١٤٣٨هـ). وعنصر المرأة من المحاور الرئيسية التي لا يلتفت لها كثير من الباحثين، مع أنها تمثل الشريحة الكبرى من السكان في أي مكان. وهذا الموضوع من الموضوعات الجديدة التي يجب دراستها في الطائف وغيره. ونأمل من الباحثات والمؤرخات في جامعة الطائف أن يدرسن هذا الجانب، فهن أفضل من يعرف تفاصيله لقربهن من المجتمع النسائي وقدرتهن للوصول والاطلاع على ما لا يستطيع الرجل معرفته. واقول أن عضوات وأعضاء قسمي التاريخ في جامعتي الطائف وأم القرى عليهم مسئولية تجاه هذا الجانب ويجب أن يكون ضمن اهتماماتهم وخططهم البحثية. المصدر: مقابلات ومشاهدات الباحث في محافظة الطائف في الفترة من (٤-٨/١١/١٤٣٨هـ).

ثالثاً: لمحات من التاريخ الإداري والسياسي والعسكري:

تذكر مصادر التاريخ القديمة والحديثة بأن الطائف وما جاورها من النواحي تتبع مكة المكرمة إدارياً، ونجد أسماء عشرات الولاة الذين كانوا يتولون إمارة الطائف وأحياناً بلاد السراة ويستمدون قراراتهم وأوامرهم من أمير مكة، أو مكة والمدينة، الذي يطلق عليه اسم (أمير الحجاز) [١]. وبعد دخول الحجاز تحت سيطرة الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود عام (١٣٤٣هـ/١٩٢٤م) صار يعين على مدينة الطائف أمراء عرفوا بالاجتهاد والأمانة وحسن الإدارة، وكان أول أمير عين عليها في عهد الملك عبدالعزيز هو: الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم [٢]، ثم تعاقب على هذه الناحية أمراء ومحافظون عديدون، وكان آخرهم المحافظ عبدالعزيز بن معمر، الذي أحيل على التقاعد في عام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م)، وحل محله المحافظ الأستاذ/ سعد مقبول الميموني في منتصف عام (١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م)، وما زال يدير شئون المحافظة حتى الآن [٣].

ونجد الطائف تتطور إدارياً وأمنياً من خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر والسائر في أرجاء المحافظة اليوم يجدها مليئة بالإدارات الحكومية مثل: المحاكم الشرعية، والمراكز الإدارية التابعة للمحافظة، وإدارات الدفاع المدني، وهناك مؤسسات إدارية رئيسية ولها فروع عديدة في أرجاء المدينة، وفي جميع أنحاء المحافظة، ومن تلك الإدارات: الشئون الصحية وفروعها، والزراعة والمياه، والجوازات، والأحوال المدنية، وإدارة التعليم وما يتبعها من مدارس ومراكز علمية رجالية ونسائية، والجامعة وفروعها، ومديرية الاتصالات، ومديرية الأوقاف

---

(١) من يطالع كتب بعض المؤرخين المكيين مثل: الفاكهي، والفاسي، وبعض الكتب التاريخية العامة، كالطبري، واليعقوبي وغيرهما فإنه سوف يجد أسماء بعض الأمراء الذين تولوا أمرة الحجاز، أو مكة، والطائف منذ فجر الإسلام حتى نهاية العصر الإسلامي الوسيط. وهناك الكثير من الوثائق المتعلقة بالعصر الحديث، وهي تذكر أسماء من تولى إمارة مدينة الطائف منذ القرن العاشر إلى منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م). وأقول أن التاريخ الإداري لحاضرة الطائف من الموضوعات الجديدة والجديرة أن يفرد لها دراسة أو رسالة علمية مستقلة.

(٢) للمزيد انظر عبدالله بن سعيد أبوراس. رجال حول الملك عبدالعزيز (عبدالعزيز بن إبراهيم آل إبراهيم. (الرياض: مطابع العصر، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م). (٥٠٧ صفحة).

(٣) لمزيد من التفصيلات عن الأمراء الذين تولوا إمارة ثم محافظة الطائف منذ عام (١٣٤٣-١٤٢١هـ/ ١٩٢٤-٢٠٠١م)، انظر حامد بن حماد السالمي. الطائف في مئة عام (١٣١٩-١٤١٩هـ) (الطائف: لجنة المطبوعات في التنشيط السياحي بمحافظة الطائف، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص ٢٩-٣٦. مقابلة مع الدكتور عائض الزهراني في مدينة الطائف يوم الأحد (١٤٣٨/١١/٧هـ).

والمساجد. كما يوجد هناك عشرات الإدارات والمؤسسات الأهلية أو التجارية أو الثقافية، كالبنوك التجارية، والجمعيات الخيرية، والشركات الصناعية والاقتصادية، ومؤسسات اعلامية وصحفية وثقافية وغيرها[١].

وإذا تأملنا في وضع الطائف السياسي، وجدناها تحظى بموقع استراتيجي يربط حواضر الحجاز مع المناطق الجنوبية والشرقية. ومن يدرس تاريخها السياسي في العصر الجاهلي وعبر أطوار التاريخ الإسلامي يجد أنها لعبته أدواراً مهمة ورئيسية. وأقرب مثال على ذلك عندما أراد الملك عبدالعزيز ضم الحجاز إلى دولته في القرن الهجري الماضي، فإنه بدأ زحفه من مدينة الطائف، وعندما سيطر عليها عام (١٣٤٣هـ/١٩٢٤م) دخلت باقي الحجاز في حكمه مباشرة[٢]. كما أن الملك عبدالعزيز اتخذها عاصمته الصيفية ومقراً للدولة في فصل الصيف، وعين ابنه الأمير فيصل نائباً له على الحجاز. ويذكر لي بعض الرواة من أهل الطائف بأنه جرى في عام (١٣٥١هـ/١٩٣٢م) اجتماعٍ في الطائف من أعيان ووجهاء الحجاز، واتفقوا على أن يرفعوا إلى الملك التماساً يوضحون فيه رغبتهم تحويل مسمى (المملكة العربية النجدية وملحقاتها) إلى اسم (المملكة العربية السعودية)، وقد تمت الموافقة على هذا الطلب وصدر أمر ملكي بذلك في (١٣٥١/٥/٢١هـ)[٣]. وتذكر عدد من المصادر بأن الطائف اتخذت مقراً لتوقيع أول معاهدة أخوة (معاهدة الطائف) بين المملكة العربية السعودية والمملكة اليمنية من قبل الملك عبدالعزيز الفيصل والإمام يحيى بن حميد الدين تم فيها تحديد الحدود بين الدولتين، وذلك في (١٣٥٣/٢/٦هـ)[٤].

---

(١) لقد شاهدت عشرات المؤسسات الإدارية في مدينة الطائف وبعض مراكز المحافظة مثل: مركز ثقيف، ومركز لية، ومركزي حداد والقريع في بني مالك بحيلة، وبعض هذه الإدارات في أبنية حكومية وأخرى مستأجرة. وأقول أن التاريخ الإداري والمالي في محافظة الطائف خلال المئة سنة الماضية من الموضوعات الجديدة التي تستحق أن يفرد لها عدد من البحوث والدراسات العلمية). كما أن تاريخ التنمية التي تمر بها محافظة الطائف منذ نهاية القرن الهجري الماضي (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر جديرة إلى أن يصدر عنه عشرات البحوث، ونرجو من جامعة الطائف أن تنشئ مراكز علمية بحثية تهتم بهذا الجانب، وتخدم أرض وسكان هذه المحافظة الحجازية السروية.

(٢) هناك عشرات الدراسات والوثائق التي فصلت الحديث عن دخول الملك عبدالعزيز إلى الحجاز والسيطرة عليها في النصف الأول من القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٣) مقابلة مع السيد عيسى القصيِّر وآخرون في الفترة من (٥-١٤٣٨/١١/٧هـ).

(٤) ذكرت هذه الاتفاقية في عدد من المصادر المطبوعة والمنشورة، وما زالت بحاجة إلى دراسات علمية تحليلية.

وفي عام (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) عقد في الطائف مؤتمر السلام الأول بين وفد الاتحاد السوفيتي والمجاهدين الأفغان برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز. وفي اجتماع الطائف عام (١٤١٠هـ / ١٩٩٠م) تمت المصالحة الوطنية بين اللبنانيين[١]. وأقول أن الطائف تتميز بالعديد من المميزات الجغرافية والطبيعية، وهذا مما جعلها تختار على غيرها فتكون مقراً لعدد من الاجتماعات والمؤتمرات والاتفاقات السياسية والدبلوماسية. وكنت أذهب إلى الطائف منذ تسعينيات القرن الهجري الماضي وأشاهد مدينة الطائف مثل خلية النحل في فصل الصيف، عندما كانت تنتقل إدارات الدولة إليها في الصيف، ويجري على أرضها الكثير من الاجتماعات الرسمية السياسية المحلية، والاقليمية والدولية. ومنذ بداية العقد الثاني في القرن (١٥هـ /٢٠م) تخلت الحكومة عن الانتقال إليها في الصيف وأصبحت مكة المكرمة وجدة أحياناً هي البديل للطائف، وهذا مما أضعف موقع الطائف في شتى المجالات السياسية، والإدارية، والاقتصادية والاجتماعية. وهذا ما شاهدته وعرفته وسمعته من عام (١٤١١هـ/ ١٩٩١م) حتى وقتنا الحاضر[٢].

وللطائف حضور جيد مع الحياة العسكرية[٣]، وفي بداية الحكم السعودي الحديث دخلت جيوش الملك عبدالعزيز من ناحية الطائف وسارت غرباً وشمالاً حتى سيطرت على جميع بلاد الحجاز. وفي عام (١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م) صدر في الطائف قرار تعيين الأمير منصور بن عبدالعزيز آل سعود وزيراً لوزارة الدفاع والطيران[٤]. ومنذ سبعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) بدأ تشكيل مدارس وأفواج

(١) هناك عشرات الدراسات المطبوعة والمنشورة عن اجتماع الطائف الخاص بالأزمة اللبنانية، وما زال هذا الموضوع يستحق مزيداً من الدراسات العلمية الدقيقة.

(٢) أقول أن دراسة موقع الطائف وتأثرها وتأثيرها سياسياً وحضارياً خلال الأربعين عاماً الماضية (١٤٠٠-١٤٣٩هـ / ١٩٨١-٢٠١٨م) من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس، ونأمل أن نرى باحثاً جاداً فيدرس هذا العنوان دراسة علمية موثقة. وفي زياتي الأخيرة لمحافظة الطائف تجولت في بعض أجزاء المدينة مثل أحياء الخالدية، وقورى، والسلام، والمثناه، والشهداء الجنوبية والشمالية، وسمعت بعض أعيان هذه (الحارات)، أو من يقطنها منذ (٣٠-٤٠) سنة يؤكدون تراجع مدينة الطائف اقتصادياً وتنموياً والسبب في ذلك هو عدم الاهتمام بها سياحياً، ولم تعد مصيفاً للدولة كما كانت في عهود الملك السعوديين الأوائل (عبدالعزيز، وفيصل، وخالد). وأقول أن الطائف في عصر أولئك الملوك يجب أن تدرس في بحوث تاريخية موثقة.

(٣) إن تاريخ الحياة العسكرية في الطائف منذ فجر الإسلام إلى عصرنا الحديث والعاصر من الموضوعات التي لم تدرس في بحوث علمية، ونأمل من أقسام التاريخ، برامج الدراسات العليا، في جامعاتنا المحلية أن توصي أساتذتها وطلابها بدراسة هذا الميدان في عدد من البحوث المحكمة أو الرسائل العلمية.

(٤) موضوع بداية التاريخ العسكري في الطائف في عهد الملك عبدالعزيز من الموضوعات الجديدة والجديرة بأن تدرس في كتاب أو رسالة علمية.

عسكرية مختلفة في مدينة الطائف، وكان مقرها في الثكنة العسكرية وسط المدينة، وفي عام (١٣٧٩هـ/١٩٥٩م) تم إلغاء اسم الثكنة العسكرية واستبدلت باسم (قيادة منطقة الطائف العسكرية) [١]. وذكر لي الأستاذ عيسى القصيِّر إلى أن قيادة المنطقة العسكرية السعودية بالطائف بدأت بمقر (القشلة) قريباً من باب الريع في المنطقة المركزية في منتصف ثمانينات القرن (١٤هـ/٢٠م)، ثم تنقلت بعد ذلك إلى أمكنة أخرى عديدة داخل المدينة، وأشار إلى إنشاء عدد من المدارس العسكرية منذ عام (١٣٨٠هـ/١٩٦٠م)، مثل: مدارس المشاة، والمدفعية، والصيانة، والإشارة، والموسيقى، وغيرها[٢]. كما أشار الأستاذ حماد السالمي إلى بعض المسئولين الذين تولوا قيادة منطقة الطائف منذ سبعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى بداية العشرينيات من القرن الحالي[٣]. وسمعت من بعض المسئولين العسكريين الذين عملوا في مدينة الطائف منذ ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى أن الطائف كانت من أهم المدن العسكرية التي تقوم على تدريب العساكر وصقل مواهبهم في عدد من القطاعات الفنية والصناعية والتدريبية والتعليمية[٤]. وقد جلست في مجالس عديدة خلال الأربعين عاماً الماضية وسمعت

(١) يوجد في بعض المراجع المطبوعة والمنشورة معلومات محدودة عن نشأة الثكنة أو (القشلة) العسكرية منذ نفوذ الدولة العثمانية على الحجاز، واستمرت هذه المسميات إلى أواخر السبعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، ثم استبدلت هذه المصطلحات بأسماء أخرى، وجرى بعض التطوير على القطاعات العسكرية السعودية في الطائف. المصدر: مقابلة مع السيد عيسى بن علوي القصيّر في منزله بحي المسرة أثناء زيارتي الأخيرة للطائف (٤-٨/١١/١٤٣٨هـ).

(٢) المصدر نفسه. وكان وما زال عندي أقارب وأصدقاء عديدون يعملون في هذه المدارس، وقد زرت بعضهم في أعمالهم في مدينة الطائف منذ بداية هذا القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى زمن زيارتي الأخيرة عام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) وشاهدت تطورات ملموسة في الأبنية والمعدات العسكرية، ورأيت أبنائنا السعوديين وهم يتدربون على العديد من الأجهزة والآليات المتنوعة، وفي العقد الأول من هذا القرن (١٤هـ/٢٠م) رأيت مدربين وفنيين غير سعوديين يعملون في بعض الأمكنة العسكرية، وفي عام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م) وجدت أن أبناء الوطن هم الذين يتولون جميع الأعمال الميدانية والفنية والعسكرية.

(٣) انظر حماد بن حامد السالمي، الطائف في مئة عام (١٣١٩-١٤١٩هـ)، ص ١١٩-١٢٠.

(٤) سمعت هذه الأقوال من بعض المسئولين العسكريين السرويين من زهران أو غامد، أو بلاد بني شهر وبني عمرو، أو عسير، أو قحطان أو شهران، ومعظمهم ما زالوا على وقيد الحياة ومتقاعدون من أعمالهم ويعيشون في الطائف وبعضهم في مكة أو جدة وآخرون في أوطانهم الرئيسية. وأقول أن نسبة العسكريين التهاميين والسرويين الذين عملوا وما زالوا يعملون في القطاعات العسكرية كثيرون جداً، بل إنهم أعلى نسبة بين المناطق السعودية في وزارتي الدفاع والطيران والداخلية، ومشاركاتهم وأمانتهم وإبداعهم ومسئولياتهم لم تدرس، ونأمل من المؤرخين والباحثين الجادين أن يدرسوا مثل هذا الموضوع الجديد والجدير بالبحث والدراسة.

من بعض القادة العسكريين السرويين يروون قصص واجهتهم في أعمالهم عندما كانوا يعملون في قيادة أو قاعدة منطقة الطائف أو غيرها من مناطق المملكة العربية السعودية[١]. وأحاديثهم غالباً تكون عابرة في حديث المجالس الاجتماعية، لكنها لا تخلو من معلومات تاريخية وحضارية جيدة تفيد الباحث والمؤرخ فيدرسها ويحللها ثم ينلها إلى الأبناء والحفدة في المستقبل[٢].

أما الإدارات العسكرية الداخلية والأمنية فقد حظيت الطائف منذ بداية العهد السعودي الحديث بخدمة المؤسسات الأمنية مثل: العسس، والشرطة، والمباحث، والدفاع المدني، والمرور وغيرها[٣]. ويعود الفضل لله عز وجل ثم لمؤسس البلاد الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل، الذي قاد بلاده إلى عصر التطور والتنوير، ومحاربة الجهل والخوف والفوضى الذي كانت تعيشه البلاد[٤].

ويذكر بعض الرواة إلى أن العسس والشرطة كانتا من أول الإدارات التي باشرت عملها في الطائف اثناء دخول الملك عبدالعزيز إلى الحجاز[٥]، وتشير بعض المصادر الحديثة إلى أن الشرطة كانت موجودة في مدن الحجاز أثناء حكم

---

(١) بعض القصص اجتماعية، أو مشكلات فنية أو أمنية أو عسكرية، أولها علاقة بالأعمال اليومية مثل: التدريب، وبعض الأحداث التكتيكية، ودونت في مخطوطاتي بعضاً من تلك القصص التي تحتوي على دروس علمية وثقافية وتربوية وغيرها.

(٢) وأقول أن تاريخ القطاع العسكري البري والبحري والجوي في المملكة العربية السعودية لم يدرس دراسات تاريخية علمية موثقة، وهذه مسئوليات الكليات العسكرية وبخاصة الأساتذة والمؤرخين الجادين فالواجب أن يدرسوا هذا الميدان دراسات علمية.

(٣) تواريخ هذه الإدارات في محافظة الطائف جديرة بالاهتمام، وكل مؤسسة تستحق أن يفرد لها كتب أو بحوث علمية نوضح بداياتها وتطورها حتى وقتنا الحاضر، ونأمل من الكليات الأمنية في البلاد، وأقسام التاريخ في الجامعات المحلية أن تدرس مثل هذه الموضوعات التي تستحق الدراسة والتوثيق.

(٤) أحوال الجزيرة العربية قبل ظهور الدولة السعودية الثالثة كانت ضعيفة ومضطربة في أمنها وجميع أمورها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية، وهناك عشرات الدراسات التي صدرت في هذه الأبواب، وما زال هناك آلاف الوثائق غير المنشورة التي تؤكد على صدق ما ذهبنا إليه ونأمل من المؤرخين الصادقين المنصفين أن يطلعوا على هذه المصادر المهمة ثم يدرسونها دراسات علمية حيادية منصفة. ودائماً أنادي طلابي في برامج الدراسات العليا منذ عشرين عاماً وأقول لهم أن بلادنا في حاجتنا، والواجب على كل طالب أن يقدم لوطنه ما يستطيع من الأبحاث والتجارب والخبرات التي تصب في خدمة أرض وسكان هذا الوطن الغالي الذي قدم لنا الشيء الكثير، والواجب علينا جميعاً رد الجميل له ولأهله.

(٥) مقابلة مع الأستاذين مناحي القثامي، والسيد عيسى القصيّر أثناء زياتي الطائف من (٤-١٤٣٨/١١/٨هـ).

الأشـراف وعصر النفـوذ العثماني[١]. وتوالـت الإدارات الأمنية الحديثة في عموم مدينة الطائف والمراكز التابعة للمحافظة، وأثناء تجوالي في المدينة وزيارتي مراكز الهدى، والشفا، وثقيف، وبنى حداد، والقريع شاهدت مقرات العديد من المؤسسات الأمنية والخدماتيـة، مثل الشرطة، والمرور، والدفاع المدني والمباحث وغيرها، وكل إدارة أو فرع من هذه الإدارات مزود بجميع الأجهزة اللازمة، والأفراد، والسيارات وغيرهـا. وقد توقفـت عند بعض أبنية هـذه المؤسسات فوجدتها تتكـون من عدة طوابـق ومرافق عديدة مـن الأحواش، والمستودعات، ومواقـف السيارات، والغرف والصالات، وبعض هذه الأمكنة من أملاك الدولة، وأخرى مستأجرة من المواطنين، وبخاصةٍ الإدارات الفرعية في نواحي المدينة، أو في المراكز التابعة للمحافظة[٢].

رابعا: صور من تاريخ الطائف الاجتماعي:

١-المجتمع:

عندمـا نقول المجتمـع فالمقصـود بذلك عمـوم الناس في محافظـة الطائف، والحديث عن هذا المحور من خلالٍ خمسة ايام قضيتها راحلاً ومتجولاً في ربوع هذه المحافظة الحجازية غير كافياً لإعطاء صورة تفصيلية عن طبيعة سكان هذه البلاد، لكننـا سوف نورد بعض اللمحـات التي قد تتخذ مفاتيح لبعض البحوث والدراسات العلمية الرصينة. فأغلب سكان محافظة الطائف عشائر عربية عدنانية وقحطانية استوطنوا هذه البلاد منذ أمد بعيد، ومع مرور السنين تداخلوا وتحالفوا وتصاهروا حتـى أصبحنـا اليوم لا نفـرق بين العدنـاني والقحطاني. ومن يدرس أحوال هذه

---

(١) انظـر حامـد السالمي، الطائف في مئـة عام، ص ٦١. والشرطـة وجدت في الحجاز منذ صـدر الإسلام، واستمـرت عبر أطوار التاريـخ. وأقول أن تاريخ الشرطة في مدن الحجـاز لم يدرس في القرون الإسلامية المبكـرة والوسيطـة والحديثة والمعاصرة، وهـو موضوع تاريخي مهم ويستحق أن يفـرد في عدد من الكتب والدراسات العلمية الموثقة.

(٢) توقفـت عند عدد من هذه الإدارات، وقابلت بعض المسئولين فيهـا، وسألتهم بعض الأسئلة الاجتماعيـة أو الإداريـة أو الاقتصاديـة أو الأمنية الخاصة بمؤسستهم، فكان البعض مشكـوراً يتجاوب معي مع التحفظ الشديـد، وآخرون يرفضـون ويقولون لا نستطيـع إلاّ بموافقة عليا. وأقول أنهم أصحـاب حق فالقطاعات الأمنيـة والعسكريـة في أي زمـان ومـكان حساسة والحديث عنها وعـن وضعها غير مألـوف. وغالباً غير مسمـوح به، وهذا ما عرفتـه وسمعته وشاهدته خلال مسيرتي البحثيـة في الثلاثين عاماً الماضية. ويجب علـى الباحث أن يكـون نزيهاً وحصيناً وأميناً اثنـاء جمع مادته العلمية، وأثنـاء طباعتها ونشرها. وأكرر قولي بأن التاريخ الإداري في عهد الدولة السعودية الحديثة يجب أن يدرس ويحفظ ويوثق، ومن يفعل ذلك فإنه سوف يشاهد تطور هذا الميدان في شتى الجوانب.

القبائل قبل توحيد المملكة العربية السعودية يجد وطأة القبلية والعنصرية كانت قوية، بل كانت كل عشيرة هي صاحبة الحل والعقد في أوطانها[١]، وبعد توحيد البلاد، وإنشاء المؤسسات الإدارية الحكومية مثل: الإمارات، والمحاكم الشرعية، والشرطة، ودوائر أخرى كثيرة أمنية، وقضائية، واجتماعية، واقتصادية، وثقافية وتعليمية، وصارت الدولة هي المسئولة عن إدارة دفة الحكم في البلاد، ومن ثم جرى الاندماج والانصهار بين أفراد محافظة الطائف، وصاروا جميعا متحابين متآلفين متقاربين في السكن والجوار في الأحياء والقرى والبلدات الطائفية، وفي سلك التعليم العام والجامعي، أو العمل في الوظائف الحكومية، والأهلية، والزواج والمصاهرات، والتبادل التجاري، والمشاركة في النشاطات الاجتماعية والدينية والثقافية وغيرها[٢]. ومن خلال سيري في أجزاء عديدة من محافظة الطائف، فقد أعجبني وأبهرني الامتزاج الذي تعيشه هذه المحافظة. ففي المدينة نفسها زرت مساجد صغيرة وجوامع كبيرة، وترددت على بعض الدكاكين والبقالات المحدودة وتجولت في أسواق كبيرة مثل المنطقة المركزية، أو سوق الخضار، أو سوق السحيلي وغيره. كما ذهبت إلى مناطق الهدا، والشفا، وبعض المراكز المحافظة الجنوبية، والتقيت بمجموعات صغيرة وكبيرة، ودخلت مجالس اجتماعية في بعض القرى في المدينة، وزرت بعض المؤسسات الحكومية الرسمية في الحاضرة وبعض المراكز التابعة للمحافظة، وحضرت بعض الأنشطة الدعوية والمهرجانات الصيفية، والألعاب والفنون الشعبية، وزرت وسمعت من بعض الأفراد والأسر التي التقيت

---

(١) تاريخ جميع قبائل وعشائر الجزيرة العربية قبل توحيد المملكة وأثناء التأسيس من الموضوعات الكبيرة والغنية بأحداثها وتواريخها، وهذا الجانب لم يدرس دراسات علمية موثقة، مع أن هناك أخباراً قليلة مدونة في بعض المصادر والمراجع المطبوعة، وجل مادة هذا الميدان ما زالت محفوظة في كثير من الوثائق التاريخية والحضارية غير المنشورة، وهناك أحداث كثيرة عن هذه القبائل قبل القرن العاشر الهجري قد ضاعت ولا نجد لها أي مصدر أو رواية منقولة أو مكتوبة. ونأمل من المؤرخين والباحثين الجادين أن يبحثوا عن تاريخ هذه القبائل خلال القرون الأربعة الهجرية الماضية المتأخرة، وذلك قبل أن يضيع هذا التاريخ المهم.

(٢) إن ما جرى من تطور وتمدن في محافظة الطائف وغيرها من مدن المملكة العربية السعودية خلال السبعين عاماً الماضية يعد من الجوانب الحضارية المهمة التي لم تدرس وتأخذ حقه من البحث والتحليل، وبخاصة فيما يتعلق بانصهار جميع شرائح المجتمع تحت مظلة واحدة، هي مظلة الدولة العصرية التي تحكم بشرع الله. وكون هذه البلاد ما زالت متمسكة بكتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) وجميع أفراده يعلمون أهمية هذا التمسك، فالوطن سوف يكون بخير، مع ما يُحاك له من الداخل والخارج من المؤامرات والدسائس.

بها في المنازل الخاصة، أو المؤسسات الرسمية والأهلية، أو في بعض الأماكن العامة، وخرجت من هذه الجولة القصيرة بالعديد من النتائج التي تدرج أهمها في النقاط الآتية:

(أ) الأخوة الاسلامية هي الشعار الذي يسود هذا المجتمع فتراهم متعاونين متشاركين في جميع أمورهم الحياتية، وكل فرد (ذكر أو أنثى) يعمل في مجاله، دون تمييز[١]. ففي أداء العبادات تراهم جميعاً يذهبون إلى الجوامع والمساجد لأداء فرائضهم، وفي التجارة أو ممارسة الكثير من المهن والحرف الاجتماعية والاقتصادية، فالكل يعمل لكسب الرزق، وأيضاً في التسوق أو التنزه وقضاء أوقات للراحة والاستمتاع بأجواء الطائف، فالجميع تراهم أحراراً في فعل ما يريدون حسب الأعراف والأنظمة التي تفرضها الدولة على الجميع، وكل يحصل على حقه ويمارس ما يرغب ويعود عليه وعلى المجتمع بالنفع والفائدة[٢].

(ب) ما من شك أنه يوجد في المجتمع شرائح عديدة، فالسعوديون (نساءً ورجالاً) مفضلون على غيرهم في الحصول على الوظائف الحكومية الصغيرة والكبيرة، وهم ايضاً المستفيدون من الكثير من الخدمات والمنافع التي تشرف عليها الدولة، كالتعليم العام والجامعي، والخدمات الصحية، والاجتماعية، والفكرية والثقافية. ومن غير السعوديين وبخاصة أصحاب الشهادات العليا مثل: الأطباء، وأساتذة الجامعات، والمهندسين وغيرهم فلهم خدمات صحية وثقافية جيدة، وأحياناً يشتركون مع السعوديين في بعض المنافع والخدمات[٣].

---

(١) يجب أن نكون دقيقين منصفين، فالتمييز في بعض الجوانب نادراً مثل أداء العبادات. وهذا ما نص عليه الإسلام فليس هناك فرق بين أسود أو أبيض إلا بالتقوى. أما بقية الأمور الأخرى، فليسوا أهل الطائف أو غيرهم ملائكة، وإنما هناك فروق وتمييز في النسب، أو الوظيفة، أو المركز الاجتماعي، وبين الغني والفقير، أو الصغير والكبير، أو المرأة والرجل. وهذه سنن كونية موجودة في كل مكان وزمان على مر العصور التاريخية.

(٢) حياة سكان محافظة الطائف وغيرهم من سكان المملكة العربية السعودية، مواطنين أو وافدين يعيشون في رغد من الأمن والعيش، مع أن هناك مشاكل قائمة بين الأفراد أو الأقوام، أو أهل الحي، أو القرية أو الناحية أو الأسرة، أو الذكور أو الإناث، ومن يزور المحاكم الشرعية ودوائر الشرطة فإنه سوف يجد كثيراً من هذه المشاكل والاختلافات، لكن الحياة السكانية في مجملها جيدة في مجال التآلف والتعايش.

(٣) من يزور المدارس، والجامعات، والمستشفيات والمستوصفات وخدمات الطرق، والنزهة والاستجمام بمناظر الطائف الخلابة وغيرها فإنه سوف يشاهد أجناساً عديدة، سعودية وغير سعودية، صغاراً وكباراً، ذكوراً وإناثاً، مسلمين وغير مسلمين وجميعهم يستفيدون من هذه المرافق مع التفاوت في مراكزهم الاجتماعية، وقدرتهم على التواصل والاندماج، ومستوى دخلهم المالي، وأوضاعهم العلمية والثقافية.

(ج) لا أحد ينكر أن هناك بعض التمييز العنصري، والتعصب القبلي بين أبناء القبائل العربية في عموم المحافظة، وهي في القرى والأرياف أقوى. فكل قبيلة أو عشيرة او فخذ يتعصبون لبعضهم البعض، والربط القبلي بينهم بين أقوى من الروابط التي بين القبائل والعشائر المتعددة[١]، وهذا التعصب ينعكس أحياناً في العلاقات الاقتصادية والاجتماعية وقد يمتد إلى الحياة السياسية والإدارية والعسكرية، وهذا الوضع ليس محصوراً على قبائل بلاد الطائف وإنما هو سائد عند جميع قبائل وعشائر الجزيرة العربية، وقد أصبح اليوم أضعف بكثير مما كان عليه في القرون الماضية. كما أن ظاهرة التعصب تمتد إلى العناصر غير العربية في المحافظة مثل البخاريين، والأفغان، والتركستانيين، والصين، والأفارقة وغيرهم. ومن يتجول في عموم مدن الحجاز فإنه يلمس العنصرية والتعصب بين أبناء القبائل، الذين يطلق عليهم في اللهجة المحلية (البدو)، وبين سكان الحجاز غير العرب، والمعروفين محلياً بـ (الحضر). وهذه وأيم الله ظاهرة غير حميدة، والدولة تحاربها وتسعى للقضاء عليها، لكنها موجودة وملموسة في التعامل اليومي، ولا يتورع البعض من الفريقين من الحديث فيها والتصريح بوجود هذه الظاهرة النتنة[٢].

(د) يوجد في محافظة الطائف آلاف العناصر البشرية الوافدة للعمل وكسب الرزق، وقد جاءوا من بلدان عربية وإسلامية وغير إسلامية، ومعظمهم ذكوراً وفيهم عناصر انثوية محدودة. وهم العمود الفقري الذي تقوم عليه الحياة الاقتصادية، ولهم مشاركات في بعض الجوانب الحضارية الأخرى. ويختلفون عن أهل البلاد، فقد جلبوا حسب أنظمة الدولة للعمل في قطاعات محددة، والجالبون لهم الدولة للعمل في مؤسساتها الإدارية الحضارية، أو قطاعات أهلية تجلب

---

(١) العنصرية القبلية موجودة في الجزيرة العربية منذ عصر ما قبل الإسلام، وعند مجيء الإسلام حاربها، لكنها بقيت سائدة متغلغلة في المجتمعات العربية والإسلامية، ولها تأثير قوي في جميع المجالات السياسية والحضارية. وكتب التراث الإسلامي مليئة بالأحداث والأخبار والتفصيلات التي تدور في فلك العنصر والعصبية القبلية. وما زالت موجودة بين قبائل الجزيرة العربية حتى اليوم، وقد بذلت الحكومة السعودية الحديثة جهوداً كبيرة في محاربتها والتقليل من حدتها.

(٢) العنصرية والتعصب بين البدو والحضر موجود منذ القدم وقد فصل ابن خلدون الحديث فيه، وما يوجد في مدن الحجاز اليوم ليس وليد الساعة وإنما هو موجود في الحجاز وغيرها منذ القدم. ومن يتجول في حاضرة الطائف اليوم فإنه سوف يجد الاندماج والمصاهرة بين أبناء القبائل العربية وغير العربية قد ازداد، وهناك العديد من الأسر المترابطة المتصاهرة في الطائف ومكة وجدة والمدينة المنورة.

بعضهم للغرض نفسه، والأفراد السعوديون لهم الحق أن يستقدموا بعض العمالة للعمل في بعض المهن المحددة مثل: الزراعة، ورعي المواشي، أو الخدمة المنزلية وغيرها. وجميع هذه الفئة يخضعون لنظام الكفيل، سواء كان حكومياً أو أهلياً أو فردياً، فهم تابعون حسب النظام لمن استقدمهم من بلادهم، وهو المسئول عنهم في توفير معيشتهم ودخلهم مقابل ما يقدمون من خدمات تم الاتفاق عليها بينهم وبين من استقدمهم[١].

وإن درسنا وضعهم الاجتماعي والاقتصادي، وعلاقاتهم مع أهل البلاد الرئيسيين، فإننا سنجد تواضع أماكن إقاماتهم، فهم يسكنون في المنازل الشعبية، أو البيوت القديمة، أو بعض الغرف الصغيرة والمتواضعة[٢]. كما أن بعضهم يعاني من قسوة وظلم كفلائهم وبخاصة الذين يعملون في القطاعات الأهلية، أو عند الأفراد والأسر في محافظة الطائف، فهناك من يعاملهم بعنف في اللفظ والتجريح، أو يؤخر رواتبهم وأجورهم لشهور عديدة، ويتعرض بعضهم للطرد وإخراجه من البلاد دون أن يحصل على أجرته[٣]. كما أن بعض هذه الشريحة يعانون من التمييز من أهل البلاد فلا يعاملون باحترام وتقدير، وإنما البعض من السعوديين والسعوديات (هداهم الله) سواء كانوا من الكفلاء أو من عامة الناس ينظرون إلى هؤلاء البشر نظرة دونية، ويظهر ذلك في التحدث معهم، أو التعامل معهم

(١) تجولت في أسواق مدينة الطائف وبعض مراكز المحافظة مثل بلاد ثقيف، ولية، وبني حداد والقريع في بني مالك بجيلة، وفي منطقتي الهدا والشفا. كما زرت سوق الخضار الرئيسي في الطائف، وجامعة الطائف، وبعض المستشفيات والمستوصفات الحكومية والأهلية وشاهدات العمالة الوافدة منتشرة في كل مكان، بل هم الأيدي العاملة الرئيسية في أيدي البلاد. والفرد السعودي نادراً ما تراه في هذه القطاعات الاقتصادية المهمة.

(٢) زرت أمكنة عديدة يسكنها أفراد من هذه العمالة فلا تجد مساكنهم مريحة، وضيقة جداً، وأحياناً يسكن في الغرفة الواحدة أعداد كبيرة تصل إلى الثمانية والعشرة أفراد. وشاهدت مثل هذه الحالات في مناطق أخرى زرتها في مدى وقرى عديدة من المملكة العربية السعودية. ومن يزور المحاكم الشرعية، ومؤسسات الشرطة، والحقوق المدنية والإمارات والمحافظات والمراكز فإنه سوف يجد معاملات كثيرة تدور حول المشاكل القائمة بين العمال وكفلائهم.

(٣) هذه المشاكل تعاني منها الدولة كثيراً، وقد تتزايد حتى تصل إلى أعلى المستويات بين الحكومة السعودية، وحكومات هؤلاء العمالة الوافدة. ونقول للأفراد والأسر السعودية أن يتقوا الله في حقوق هؤلاء البشر، فلا يظلمونهم ويعطونهم حقوقهم، ويجب أن نكون قدوة، فنحن أهل الحرمين، وفي بلادنا الكعبة المشرفة وقبر الرسول (صلى الله عليه وسلم)، فيجب أن نتحلى بالأمانة والصدق والعفو ومساعدة المحتاج وعدم ظلم الناس.

اجتماعياً أو اقتصادياً[١]. وفي الحديث عنهم في مجالسهم يذكرونهم بجنسياتهم: كالهندي، أوالمصري، أو البنجالي ولا تخلو أقوالهم من الاحتقار أو عدم الاحترام لآدمية الواحد منهم[٢].

(هـ) وفي عصرنا الحاضر نرى التباين الكبير في شرائح مجتمع الطائف فالكبار والكبيرات ما زال عندهم بعض القيم التي يحافظون عليها في احترام بعضهم بعض، وفي نظام حياتهم في بيوتهم ومع جيرانهم وفي قراهم وأحيائهم. وفي القرى والأرياف ما زالوا متمسكين بالكثير من الأعراف والقيم الجميلة التي ورثها من أسلافهم. أما جيل الشباب (ذكوراً وإناثاً) فهم اقل التزاماً بأعراف الآباء والأجداد فهم حريصون على متابعة الموضات وتقليد ما يرونه في وسائل الإعلام أو التواصل أو ما يشاهدونه عند أصحابهم وفي أسفارهم وينعكس ذلك على كثير من سلوكياتهم في أطعمتهم، والبستهم، وتعاملاتهم مع بعضهم البعض أو مع شرائح المجتمع الأخرى. وهذه صفات تكاد تكون عند جميع شرائح المجتمع الطائفي وعند كل الفئات والأجناس والطبقات التي سبق الإشارة إليها[٣].

٢-شي من البناء والعمارة:

كانت العمارة في محافظة الطائف من الحجر الطيني، وهناك أبنية من الطين فقط، وفي البوادي وبعض الأرياف يوجد مباني من القش والأخشاب، أو من الشعر وبخاصة في الأجزاء الشمالية والشرقية من المحافظة، وبعض الناس حتى نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) وبداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) كانوا يمتلكون منازل ومرافق عمرانية من الزنك[٤]. وأثناء تجوالي في مدينة الطائف، وفي أرياف ومراكز

(١) شاهدت مثل هذه المعاملات في مناطق عسير، وجازان، ونجران والباحث والمنطقة الوسطى. ولا نقول كل السعوديين سيئون مع عمالهم أو من يكفلون لكن هناك نسبة منهم غير قليلة (نساء ورجال) يتصفون بالقسوة وسوء المعاملة لمن يعمل معهم ويخدمهم من هذه العمالة الوافدة.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) أن التغيرات التي طرأت على الناس في العقود الثلاثة الأخيرة كبيرة ومتنوعة ومختلفة عن ما عرفه أهل البلاد في القرون الماضية المتأخرة. وتكاد هذه التحولات أن تكون موجودة في كل بيت وعن كل أسرة وفي كل حي أو قرية، ومنها الايجابي وهو قليل، أما الجوانب السلبية فهي كثيرة وكبيرة. والواجب على المؤسسات التعليمية والثقافية والاعلامية في البلاد السعودية أن تتضافر جهودهم لدراسة ومحاربة كل ما يهدم قيم ومبادئ المجتمع العربي.

(٤) مقابلات مع الأساتذة مناحي القثامي، وعلي خضران القرني، والسيد عيسى القصيِّر أثناء زيارتي الأخيرة للطائف في الفترة من (٤-١١/٨/١٤٣٨هـ).

المحافظـة شاهدت شيئاً من تلك الأبنيةٍ السابـق ذكرها، وهي مندثرة، وبعضها أو بعض أجزائها مـا زال قائماً ومهجوراً. وكانت معظم مـواد هذه العمارات محلية، والأيـدي العاملة التي شيدتها من أهل البلاد، أو من اليمن ومدن الحجاز الأخرى، وربمـا كان فيهم بناءون ومهرة جلبوا من الشام أو مصر أو تركيا وغيرها وبخاصة في بعض العمارات الكبيرة والرسمية في المدينة، أو بعض الحصون والقلاع الموجودة في مراكز لية، وثقيف، وبني حداد والقريع في بلاد بني مالك بجيلة[١].

ومـن أنـواع العمـارات القديمـة والحديثـة في محافظـة الطائـف، مـا يلـي:
(أ) القرى، والأحياء: كانت عموم محافظة الطائف متواضعة في قراها وأحيائها. فالمدينـة – مثلاً تركـزت حول مسجد عبدالله بن عباس (رضي الله عنهما)، في حارات فوق وأسفل والسليمانية وما حولها[٢]، ثم توسعت بعد هدم السور الذي كان حولهـا عام (١٣٦٨هـ/١٩٤٨م)، ونشأت قـرى وأحياء جديدة مثل معشى، وقروي، والسلامة، والعزيزية، والشهداء الجنوبية والشمالية وغيرها[٣]. وتتالت التوسعات في حاضرة الطائف حتى أصبحت مدينة حديثة تحتوي على آلاف العمارات المتفاوتة في المساحـات والارتفاعات وأنواع التخطيط والمرافق وغيرها[٤]. وجرى في الأرياف والمراكـز مثلمـا حدث داخـل المدينة، إلا أن وتـيرة العمارة في المدينـة كانت أسرع وأفضل مما حدث خارج المدينة[٥].

(ب) المنـازل والقصـور الخاصـة ومرافقهـا: تنقلـت مع الأستـاذ عبدالله العمـري في أحياء عديدة من مدينة الطائف، فرأيت منازل قديمة تتكون من طابق وطابقين وثلاثة، وبعضها ما زال مسكوناً ببعض الأسر الفقيرة، أو الأسر والعمالات

(١) شاهدت قرى عديدة قديمة وعمارات تراثية في مدينة الطائف وأجزاء أخرى من المحافظة، وسوف أذكر بعضـاً منها في صفحـات قادمة منه هذا المحور. وأمـل أن نرى باحثين جادين يدرسـون أنواع العمارة في محافظة الطائف خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م)، وهو موضوع جديد وجدير بالبحث والدراسة.

(٢) انظر السيد عيسى القصيِّر، الطائف القديم، ص٦٨-٩٥.

(٣) سبـق أن أشرنـا إلى كثير من أحيـاء الطائف الحديثة والتي ما زالت حتى اليـوم قائمة ومخدومة بجميع الخدمات. وأقول أن عمارة مدينة الطائف قديماً وحديثاً من الموضوعات التي تستحق أن يفرد لها دراسة علمية مستقلة.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) من يشاهد مراكز الهدا والشفا ولية وثقيف وغيرها من الأجزاء الطائفية فإنه سوف يجد عمارة حديثة، وجميلـة في جودتها، وأحجامها، وتخطيطهـا، واستخداماتها من عمارات المدينة. بل ربما يرى أبنية تفوق بعض الأبنية التي داخل المدينة.

الوافدة، ولا تخلو بعض تلك المنازل من مرافق عديدة محيطة بها، وأبواب بعضها من الخشب وأخرى من الحديد، أما مواد بنائها فهو الحجر والطين، وأغلبها مطلية بالجص أو الاسمنت. كما شاهدت منازل قديمة كان يسكنها بعض الأمراء، أو الوجهاء والأغنياء، وكانت مستخدمة إلى عهد قريب، وأصبح أغلبها اليوم مهجوراً، أو يعيش فيها بعض الحراس الذين يقومون على رِأي أشجارها وتنظيف أحواشها ومرافقها[١].

ومن البيوت أو القصور التي شاهدناها وتوقفنا عندها، وهي مميزة بطابعها المعماري التراثي ما يأتي: (١) قصر شبرا على شارع شبرا، وهو المتحف التاريخي الرسمي اليوم في محافظة الطائف[٢]. (٢) قصر بيت الكعكي في حي السلامة، وعلى شارع السلامة عند باب الريح. (٣) قصر بيت الكاتب في حي السلامة. (٤) بيت البوقري في حي قروى (٥) بيوت الدهلوي، والصيرفي (٦) وقصيري جبرة وابن سليمان بحي جبره على امتداد وادي وج. (٧) وهناك مئات القصور والبيوت الأثرية أو القديمة في معظم أحياء مدينة الطائف، وفي مراكز المحافظة المختلفة[٣].

وإذا ما تحدثنا عن المنازل والقصور والأبنية الخاصة الحديثة في محافظة الطائف، فذلك ميدان واسع يحتاج إلى مئات الصفحات. لكن جميع العمارات الخاصة الحديثة مسلحة بالإسمنت والحديد، وتتراوح طوابقها من الطابق الواحد إلى الستة والسبعة طوبق. كما أنها تتفاوت في جمالها، وهندستها، وتزويقها، ومرافقها وخدماتها من منزل أو قصر لآخرين فأصحاب المال والثراء من الأغنياء، والأمراء، والوجهاء، يمتلكون قصوراً ومنازل كبيرة وفخمة في مواد بنائها، وأدوات السباكة والكهرباء والأثاث. وتتدرج مستويات المنازل والقصور الخاصة من علية القوم إلى عامة الناس ومتوسطي الحال الذين تتراوح ارتفاع منازلهم بين الطائف

(١) شاهد كثير من هذه الأبنية في أحياء معشي، والمثناة، والخالدية، والسلامة وقروى وغيرها.

(٢) قصر شبرا له تاريخ عمراني وسياسي وإداري طويل، وكان ينزل فيه الملك عبدالعزيز إذا قدم الطائف، واتخذه الملك فيصل مقراً للحكومة في فصل الصيف. وهو اليوم متحف تاريخي، وقد حاولنا دخوله لكن القائمين على حراسته قالوا إنه مغلق منذ فترة، وتتولى الهيئة العليا للسياحة الإشراف عليه.

(٣) شاهدت الكثير من البيوت والقصور القديمة في الأحياء والمراكز والأرياف التي زرتها في محافظة الطائف خلال جولاتي الأخيرة في الطائف في الفترة من (٤-٨/١١/١٤٣٨هـ)، وهذه المعالم جديرة بالبحث والدراسة والتوثيق.

والثلاثة طوابق. كما أن المخططات ومواقع المنازل والقصور تتفاوت في الجودة والغلاء والرخص حسب الأمكنة، فهناك أحياء أو مخططات غالية في أراضيها، ومميزة في عمائرها، أمكنة أخرى متوسطة، أو أقل من المتوسط. والوضع نفسه عند سكان الأرياف والمراكز التابعة للمحافظة(١).

(ج) **العمائر الحكومية والأهلية:** فهي الأخرى تشغل مساحة غير قليلة. ففي المدينة قصور وأبنية حكومية قديمة مثل قصر شبرا الذي تحول اليوم إلى متحف تاريخي، وقصور أخرى عديدة مهجورة، وبعضها تم ترميمها واستخدمت للسكن أو الاستفادة منها في منافع خاصة أو عامة عديدة(٢). وهناك بعض المنازل القديمة الخاصة التي تم استئجارها لبعض الإدارات أو المدارس الحكمية، واليوم أصبحت مهجورة أو مسكونة ببعض الأفراد والأسر(٣). كما شهدت في مناطق الشفا، والهدا، ولية، وبني سعد، وميسان بالحارث، وثقيف، والحوية بعض المدارس القديمة، أو بعض المنازل الخاصة التي كانت قصراً لبعض المؤسسات الإدارية مثل: الإمارات، والمحاكم الشرعية، والشرطة، والمستوصفات الصحية وغيرها(٤).

أما الأبنية الحكومية الجديدة فهي كثيرة في عموم المحافظة، ومن العمارات التي شاهدتها داخل المدينة عمارة المحافظة في حي الخالدية، وهي مجموعة قصور في أحواش مترابطة، وذكر لي أن هذه الأبنية كانت ملكاً لبعض الأمراء، ثم أهديت إلى محافظ الطائف. وفي بنائها وتخطيطها وتزويقها، وأدوات سباكتها جمالاً

---

(١) دراسة عمائر المنازل والقصور الخاصة الحديثة في محافظة الطائف من الموضوعات التي لم تدرس، وتستحق أن يفرد لها كتاب أو رسالة علمية موثقة.

(٢) مشاهدات الباحث أثناء تجواله في مدينة الطائف ومقابلة بعض الأعيان أو المثقفين من أهل الطائف في الفترة من (٤-٨/١١/١٤٣٨هـ).

(٣) وقفت عند عدد من البيوت الخاصة في مدينة الطائف التي ذُكر لي أنها كانت مستأجرة لبعض المدارس الحكومية، أو الإدارات الأمنية أو الاجتماعية أو الصحية في الطائف خلال العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م). ومعظمها اليوم مهجور ومسكون ببعض الأسر أو الأفراد من طبقات المجتمع محدودي الدخل.

(٤) شاهدت عدداً من هذه الأبنية في أرياف الطائف وهي في وضع أسوأ من العمارات التي شاهدتها داخل الطائف. وهذه الأبنية القديمة داخل مدينة الطائف وخارجها جديرة بالبحث والدراسة، ونأمل أن ترمم وبخاصة ذات الطراز المعماري الجيد، وقد رأيت بعضاً من العمارات المبنية بالأحجار والمطلية بالجص، وبيوتاً مسلحة بالإسمنت والحديد، ولها فنون معمارية جميلة.

وروعة، ناهيك عن سعة غرفها، وسلالمها، وأحواشها، وحدائقها، ومستودعاتها فهي أيضاً في مستوى جيد من العمارة والاتقان[١]. وزرت أيضاً جامعة الطائف الحالية في الحوية، وكانت في الأساس قصوراً عديدة للملك سعود بن عبدالعزيز ثم انتقلت ملكيتها إلى وزارة التعليم، جامعة الطائف، وهي الأخرى جيدة وجميلة في تصاميمها، ومرافقها، وطوابقها، وحدائقها، وأضافت الجامعة إلى هذه القصور عدداً من الأبنية الحديثة المكونة من طوابق ومرافق عديدة[٢].

ورأيت أبنية حكومية أخرى في مدينة الطائف وفي مناطق بني سعد، وميسان بالحارث، والشفا، والهدا. ومن تلك العمارات: مدارس ومعاهد ومستشفيات ومستوصفات، وإدارة للشرطة، والمرور، والدفاع المدني، ومؤسسات للشئون الصحية، والاجتماعية، والتعليم، كما مررت بالعديد من الأبنية والقيادات العسكرية داخل مدينة الطائف، وشاهدت بعض الأندية الرياضية، والأدبية، وجمعية الثقافة والفنون وغيرها[٣].

وجميع هذه العمارات مسلحة، ومتفاوتة في الأحجام، والمساحة، وجودة البناء، والارتفاع. وقد دخلت بعضها وشاهدت تفاوتاً في مرافقها، وأثاثها، وأحواشها، ومستودعاتها، وحدائقها. ورأيت أيضاً أبنية خاصة حديثة ومستأجرة لبعض المؤسسات الحكومية، وهذا النوع من العمارات متواجد بنسبة أكبر في مناطق ومراكز الطائف الريفية[٤].

---

(١) مشاهدات الباحث وزيارته لأبنية محافظة الطائف يوم الأحد (١٤٣٨/١١/٧هـ).

(٢) زيارة الباحث للجامعة يوم الاثنين (١٤٣٨/١١/٨هـ). وتاريخ إنشاء وتطور جامعة الطائف موضوع جديد يستحق أن يصدر في كتاب علمي، وآمل أن نرى أحد أعضاء هيئة التدريس في هذه الجامعة فيدون تاريخ هذه المؤسسة ويوثقه وينشره.

(٣) مشاهدات الباحث وجولاته في محافظة الطائف في الفترة من (١٤٣٨/١١/٨/٤هـ). وقد توقفت عند بعض هذه المرافق الحكومية وسألت عن تواريخ تأسيسها، ومعلومات عن مساحاتها، لكنني لم أستطع الحصول على إجابات دقيقة. وأعتقد أن الفترة التي قضيتها في مدينة الطائف، وهي خمسة أيام فقط، ليست كافية لجمع معلومات تفصيلية ودقيقة. وآمل أن نرى أحد من أبنائنا من طلاب الدراسات العليا، في أقسام التاريخ بجامعات الطائف، أو أم القرى، أو الملك عبدالعزيز فيدرس تاريخ العمارات الحكومية في الطائف منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر، وهو موضوع جديد وجدير بالبحث والدراسة. كما أن العمارة العسكرية في مدينة الطائف موضوع جديد ويستحق أن يفرد له دراسة مستقلة.

(٤) العمارات الحكومية المستأجرة توجد في أرياف الطائف أكثر من داخل المدينة، ولا تخلو المدينة أيضاً من أبنية حكومية مستأجرة حتى الآن.

وفي حاضرة الطائف العديد من الأبنية الأهلية مثل: المدارس والمعاهد الخاصة، والمستشفيات والمستوصفات التجارية، والنوادي الرياضية، وصالات الأفراح والفنادق، وكذلك بعض الأبنية الخاصة بالسياحية مثل: الشقق والوحدات المفروشة، والمدن والملاهي السياحية، وجمعيات التنمية، والبر، والأيتام، والمكتبات العامة والخاصة وغيرها من العمارات التي تخص بلاد الطائف بها، ولا تخلو الأرياف والمراكز أيضاً من هذه المؤسسات والأبنية الأهلية[١].

(د) الأبنية الدينية تعد من أهم أنواع العمارة في الطائف.

ومن الأبنية القديمة والحديثة المعهد العلمي التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ويتولى تدريس العلوم الشرعية والعربية وغيرها[٢]، والأهم والأقدم من ذلك الكتاتيب والمساجد والجوامع التي عرفتها بلاد الطائف منذ صدر الإسلام حتى وقتنا الحاضر[٣]. وجميع مساجد وجوامع محافظة الطائف تتبع إدارياً إدارة الأوقاف والدعوة والإرشاد التابعة لوزارة الشؤون الإسلامية، ولها مبنى واسع وكبير في وسط المدينة[٤].

وقد شاهدت عشرات المساجد في مدينة الطائف وفي المراكز والأرياف التابعة للمحافظة. والحديث عن مساجد هذه المحافظة يحتاج بسطه في مئات الصفحات، ونأمل أن نرى باحثين ومؤرخين جادين يدرسون هذا العنوان خلال القرون الماضية

---

(١) شاهدت أثناء سيري في مناكب المحافظة أبنية عديدة خاصة أو أهلية، ولا تختلف في مواد بنائها عن أبنية المنازل والقصور والقطاع الحكومي، ومعظمها مستأجرة، وتتفاوت في مساحاتها وأحجامها وجودة مواقعها وفي طوابقها ومرافقها. ومثل هذا النوع من العمارة يستحق بحثاً ودراسة جادة، وآمل أن نرى بعض الباحثين الجادين في محافظة الطائف فيدرسون مثل هذا العنوان الجديد في بابه.

(٢) مررت قريباً من عمارة المعهد العلمي في الطائف، ولم أستطع دخوله، ويظهر على عمارته القدم، لكن أخبرني بعض الرواة أنه يحتوي على أعداد كثيرة من الغرف والمرافق، ويوجد به مكتبة لا بأس بها. وقد مررت أيضاً بمبنى دار التوحيد القديم وهو من العمارات الكبيرة والواسعة، وقد خرج آلاف الطلاب الذين كان لهم دور ريادي في نهضة البلاد. آمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس التاريخ الديني في الطائف خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) ويفصل الحديث عن دار التوحيد والمعهد العلمي وما جرى في هذه المؤسسات من خدمة للعلم والدين.

(٣) تاريخ المساجد والكتاتيب في حاضرة الطائف منذ فجر الإسلام إلى العصر الحديث من الموضوعات الجديرة بالبحث والدراسة، وأرجو من أحد طلابنا في برامج الدراسات العليا، بقسم التاريخ في جامعتي أم القرى أو الملك عبدالعزيز أن يتخذ هذا الموضوع عنواناً لرسالة ماجستير أو دكتوراه.

(٤) المصدر: مشاهدات الباحث يومي السبت والأحد (٦-٧/١١/١٤٣٨هـ).

المتأخرة. وقد زرت مع الأستاذ عبدالله بن سعيد العمري عدة مساجد وجوامع داخل المدينة[١]، وسوف نذكر شيئاً من تاريخها، وندون بعض التفصيلات عن وضعها العمراني الحالي، ومن هذه المساجد ما يأتي:

١-مساجد الكوع، وعداس، والقنطرة: هذه المساجد الثلاثة تاريخية وأثرية، وتقع في حي المثناة على وادي وج، وما زالت آثارها في هيئة غرف متواضعة. ويعود تاريخ مسجدي الكوع وعداس إلى بداية عصر الدعوة، ويذكر أن الرسول ﷺ جلس في مواقعهما. ولا تقام فيها الصلوات الآن، وإنما تعد من آثار الطائف. وقد شاهدت بعض الزوار الذين يزورونها، ومعظمهم من بلاد الهند وباكستان وبنجلادش، وبعضهم يهوى زيارتها والاعتقاد في بركتها[٢].

٢-مسجد عبدالله بن العباس (رضي الله عنهما): هذا المسجد ينسب إلى الصحابي الجليل عبدالله بن العباس (رضي الله عنهما) الذي ولد بمكة وتوفي بالطائف عام (٦٨هـ/٦٨٧م) [٣]. وقد أنشئ هذا المسجد في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) [٤]. وهو اليوم من أكبر مساجد محافظة الطائف، ويوجد في المنطقة المركزية وسط الطائف[٥]. وفي عهد الدولة السعودية الحديثة،

---

(١) لا تخلو قرية أو ناحية أو حي في محافظة الطائف من مساجد وجوامع تتفاوت في الكبر والصغر، وفي الاتقان، وجودة البناء. ومن يسير في طرقات وشوارع محافظة الطائف فإنه يشاهد المساجد موجودة في كل مكان، ومعظمها مزودة بالمرافق اللازمة مثل دورات المياه، وأجهزة مكبرات الصوت، والمصاحف، ومفروشة بالسجاد الجيد ويتولى رعايتها وصيانتها ونظافتها والقيام عليها موظفون من قبل الدولة، ومعهم أحياناً بعض العمالة الخاصة بالحراسة والنظافة.

(٢) التقيت ببعض الهنود والباكستانيين الذين يتجولون في هذه المساجد، وبعضهم يصطحبون نسائهم وأطفالهم، ولاحظت السعادة تغمرهم وهم يزورون مسجدي الكوع وعداس، ويقولون في هذين المسجدين جلس الرسول (ﷺ) . وهم سعداء بذلك ويعتقدون الأجر والبركة في ذلك. وقد تزال هذه المساجد من قبل الدولة. وبخاصة إذا استمر بعض الوافدين يتبركون بها ويعتقدون فيها أموراً تخرجهم من دائرة التوحيد.

(٣) للمزيد عن عبدالله بن عباس انظر، الشيخ محمد جار الله بن عبدالعزيز بن فهد. تحفة اللطائف في فضائل الحبر ابن عباس ووج والطائف. (الطائف: النادي الأديب، د.ت) (١٦٧صفحة).

(٤) للمزيد عن تاريخ هذا المسجد منذ تأسيسه إلى عصرنا الحديث، انظر: السيد عيسى القصيِّر، الطائف القديم، ص ٩٢، المؤلف نفسه، أحلى اللطائف في منتجع الطائف، ص ٢٩٨. سليمان بن صالح آل كمال. مساجد الطائف داخل السور، تاريخ عمارتها ودورها العلمي. (الطائف: دار الحارثي، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م) (٩٦ صفحة).

(٥) يغلب اسم مسجد عبدالله بن العباس على عموم المنطقة المركزية، فيقال سوق ابن عباس، أو برحة العباس، وذلك لقدم هذا المسجد وشهرته التاريخ، وشهرة حبر الأمة (عبدالله بن العباس) الذي نسب المسجد إليه.

بذل ملوك آل سعود من عهد الملك عبدالعزيز إلى وقتنا الحاضر جهود مشكورة في توسعته وتشييده بأحسن وأجود مواد البناء اللازمة[١].

وعند زيارة المسجد والصلاة فيه مع الأستاذ العمري يوم السبت (١٤٣٨/١١/٦هـ) شاهدت تزيين أرصفته ومداخله، وتبليطه بالرخام الأرضي الحديث. ويوجد في مخرة المسجد صحن خارج مكشوف مساحته (٣٠٠٠م٢)، وهذا الصحن مزود بأروقة مثلثة ذات ممرات مسقوفة على جوانبه.

أما المسجد من الداخل فأطواله حوالي (٧٥×١٠٠م)، ويتسع لأكثر من (١٣٠٠٠) مصل، والصحن الخارجي يتسع لأكثر من (٣٠٠٠) مصل. ومصلى النساء في نهاية المسجد من الناحية الجنوبية يتسع لأكثر من (١٥٠٠) مصلية. وله ثلاثة عشر باباً مصنوعاً من الخشب، ستة في الجهة الشمالية مقابل أسواق المنطقة المركزية، وستة في الجهة الجنوبية، ويفصل بين هذه الأبواب ومغسلة الأموات المقابلة امتداد شارع حسان بن ثابت - رضي الله عنه - وباب في مقدمة المسجد، إضافة إلى باب للنساء في مؤخرة الجامع من الناحية الجنوبية الشرقية. وكل باب من أبواب المسجد مسمى باسم صحابي أو تابعي، ومساحة كل باب حوالي (٢×٣م). وللمسجد من الداخل أروقة على امتداد الجامع طولاً وعرضاً. ويوجد بداخل المسجد حوالي (٥٠٠) عمود مربع وارتفاع العمود (٧) أمتار، وفي رأس كل عمود شكل هندسي ثلاثي، وجميع جدران المسجد مغطاة ببلاط الرخام الرمادي، وسقفه مطلي باللون الأبيض، وله قبة في وسطه مزخرفة ومنقوشة بالجبس المسقوف قطرها (٨) أمتار، وعمقها (٧) أمتار تتدلى منها كهرباء في هيئة شكل دائري، مزودة بمصابيح ذات ألوان ذهبية، وله محراب مزخرف ومنحوت على الطرز الإسلامي عرضه متران في عمق متر ونصف، ومنبره مصنوع من الخشب، وارتفاعه حوالي متر ونصف، ويوجد في المسجد (١٢) نافذة طولية، وجميعها على هيئة قباب مقوسة بارتفاع (٤م) وعرض متر واحد، وهي مصنوعة من الالمنيوم الأسود، والمسجد مزود بالكهرباء، وأدوات التبريد اللازمة، والسجاد، وأرفف

---

(١) تاريخ ترميم وتشيد مسجد عبدالله بن العباس (رضي الله عنه) في عصر الدولة السعودية الحالية من الموضوعات التي لم تدرس بطريقة علمية في هيئة كتاب أو رسالة علمية موثقة. ونأمل من أساتذة قسم التاريخ في جامعتي أم القرى والطائف أن يلتفتوا إلى هذا الموضوع فيدرسه أحدهم، أو يكلف إحدى طالبات أو طلاب الدراسات العليا بدراسته دراسة أكاديمية موثقة.

توضع فيها المصاحف، وللجامع منارة طولها (٣٠م) في الناحية الجنوبية الغربية. والمسجد مغطى من الخارج ومن جميع الجوانب بالحجر الأصفر المعروف باسم (حجر الرياض) [١]، وأبوابه الرئيسية مسقوفة بحجر القرميد الأحمر. وملحق بالمسجد مغسلة للموتى، وسكن الإمام والمؤذن، إضافة إلى المكتبة المشهورة (مكتبة جامع عبدالله بن العباس) التي تقع شرق الجامع ومدخلها مستقل، وتتكون من طابقين كبيرين، وتحتوي على كتب نفيسة ومخطوطات قيمة في العلوم الشرعية والأدب والتاريخ والتراجم وغيرها [٢]. وتعقد في المسجد حلقات كثيرة لتحفيظ القرآن، يتخرج فيها عشرات الطلاب كل عام، وتلقى في الجامع دروس ومحاضرات باستمرار. وفي الجهة الشمالية من المسجد دورات مياه وأماكن للوضوء تم ترميمها وتجديدها حديثاً بالبلاط الإيطالي المصقول. كما رصفت جميع المنطقة التي تحيط بالجامع من كل الجهات، وتم إنارتها بأعمدة جميلة على الطراز الحديث الذي يزمز للفن الإسلامي الأصيل [٣].

٣- مسجد الهادي: نسبة إلى هادي بن محمد البدري اليمني [٤]، ويقع في حي أسفل برحة القزاز وسط السوق بالمنطقة المركزية، ويذكر أن تأسيسه كان في عام (١٠٥٠هـ/١٦٤٠م) [٥]. وفي العهد السعودي الحالي حظي بالعناية الجيدة في توسعته، وترميمه، وتشييده [٦]. وزرت مع الابن العمري هذا الجامع

---

(١) هناك بعض التفصيلات والاشارات لتاريخ مسجد عبدالله بن العباس (رضي الله عنهما)، لكننا ما زلنا بحاجة إلى دراسة مطولة وموثقة ومستقلة عن هذا المسجد العريق، وعن الجهود العلمية التي اشتهر بها هذا المسجد منذ العصر الإسلامي الوسيط حتى وقتنا الحاضر.

(٢) حاولت الدخول إلى المكتبة، لكنها كانت مغلقة أثناء زيارتنا المسجد. ونأمل أن نرى باحثاً أو مؤرخاً جاداً يدرس تاريخها منذ نشأتها، ويفصل الحديث عن موقعها الحاضر، ومحتوياتها، وكيف يمكن تطويرها ووضع ما تشتمل عليه من مخطوطات وكتب على الشبكة العنكبوتية.

(٣) المصدر: زيارة المسجد يوم السبت (١٤٣٨/١١/٦هـ). كما يوجد في مكتبة الباحث بحث بعنوان: المساجد وسط بلدة الطائف، من إعداد عبدالله سعيد فاضل العمري في عام (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م).

(٤) هو السيد هادي بن محمد بن حسين الحسيني الرديني البدري اليمني نزيل الطائف، والمتوفى سنة (١٠٦٩هـ/١٦٥٩م). وهو الذي أسس هذا المسجد وبناه وقام عليه سنوات عديدة. انظر حسن بن يحيى العجمي. إهداء اللطائف من أخبار الطائف. (الطائف: دار ثقيف للنشر، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) (الطبعة الثالثة)، ص ٨٢.

(٥) المصدر نفسه، ص ٨٢. للمزيد عن تاريخ هذا المسجد، انظر سليمان بن صالح آل كمال. مساجد الطائف داخل السور، ص ٢٧. وفي هذا الكتاب تفصيلات عن المسجد نقلاً عن المؤرخ الحضراوي في عشرينيات القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٦) هذا المسجد يستحق أن يدرس في بحث أو رسالة علمية، وما جرى عليه من إصلاحات وتشييد في العهد السعودي الحالي، وما جرى عليه من اصلاحات وتشييد في العهد السعودي الحالي، ونأمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس هذه العناوين دراسة علمية.

في يوم السبت (١٤٣٨/١١/٦هـ)، فرأيت بنايته حديثة مسلحة، ويغطي جدرانه من الخارج رخام أبيض لامع، وشكله تقريباً مربع، فأطواله من الداخل حوالي (٤٥م) في (٥٠م) وارتفاع تقريباً (١٠) أمتار، ويصلي فيه حوالي (١٥٠٠-١٨٠٠) مصلياً وربما اتسع من عشرين إلى خمسة وعشرين صفاً، وملحق ببناء المسجد من الخارج دكاكين تجارية من ثلاث جهات، وهذه المحلات التجارية تعمل طوال النهار والساعات الأولى من الليل. والمسجد والدكاكين الملحقة به توجد في الجهة الشمالية الغربية من السوق المركزي، بل تكاد تكون وسط المنطقة المركزية. وطول المسجد الخارجي من الشرق إلى الغرب حوالي (٩٠م)، ومن الشمال إلى الجنوب حوالي (٨٥م)، وله ست قباب داخلية مثمنة، يبلغ قطر الواحدة منها حوالي (٨م) في عمق (٤) أمتار، وترتفع عن مستوى أرضية المسجد حوالي (٩) أمتار. وفي المسجد من الداخل ثمانية أعمدة مربعة ومرتبة على مساحة المسجد الداخلية، وجميع الجدران والأعمدة الداخلية مغطاة بالرخام الرمادي اللامع، وسقفه مطلي باللون الأبيض، ومعلق في كل قبة كهرباء كبيرة مزودة بمصابيح إنارة عددها (٨) مصابيح في كل واحدة، وله محراب بعمق متر وسبعين سنتمترا، وارتفاع مترين، وعلى يسار المحراب منبر خشبي للخطيب بارتفاع متر واحد، والمحراب والمنبر مغطاة بالرخام البني والأبيض، وللمسجد ثلاثة أبواب خارجية من الخشب مطلية باللون الأصفر المطفي، وبابه الرئيسي من جهة الشمال، وممتد إلى داخل الجامع بطول ثلاثة أمتار، ومثلها عرضاً، وعلى جوانبه أرفف خشبية مخصصة لأحذية المصلين، والبابان الآخران في الجهات الشرقية والجنوبية من المسجد، وباب آخر للنساء يصعد للمصلى الخاص بهن في الطابق الثاني ويتسع تقريباً من (٣٠٠-٤٠٠) مصلية، ويبلغ ارتفاع الأبواب الثلاثة الرئيسية حوالي ثلاثة أمتار، وهناك عدد من دورات المياه وأماكن للوضوء بجوار الباب الرئيسي، والجامع مزود بالمكبرات الصوتية، وأرفف للمصاحف، ومفروش بالسجاد الأخضر المزخرف، ومنارة المسجد مربعة الشكل، وتقع في الجهة الجنوبية، وارتفاعها حوالي (١٦م)[(١)].

وذكر بعض المؤرخين والرحالين أن هذا المسجد كان منارة للعلم والمعرفة، وعمل فيه علماء مشاهير علماء نذروا أنفسهم لخدمة العلم ونشره بين اهل الطائف في

(١) زيارة الباحث لهذا المسجد يوم السبت ١٤٢٣٨/١١/٦هـ كما انظر بحث عبدالله سعيد العمري، المساجد وسط بلدة الطائف، ص٢٠-٢١.

البادية والحاضرة، وما زالت تقام فيه حتى اليوم حلقات لتحفيظ القرآن الكريم، وإلقاء الدروس والمحاضرات الشرعية المتنوعة.

٤- **مسجد باعنتر:** نسبه إلى أحمد بن عبدالله بن حسن بن محمد بن عبدالله بن عنتر الحضرمي ثم الطائفي الشافعي ولد سنة (١٠١١هـ/١٦٠٣م) في بلدة الحوطة من أعمال سيؤون بوادي حضرموت، وبدأ تعليمه في بلاده، ثم رحل إلى الحجاز واستقر في الطائف عام (١٠٤٥هـ/١٦٣٦م)، وتعلم على عدد من علماء الحجاز، وأجازه بعضهم[١]. والمسجد بني في منتصف القرن الحادي عشر (السابع عشر الميلادي)، وقام الشيخ باعنتر على خدمة المسجد في الأذان وإقامة الصلوات وإعطاء الدروس الشرعية المختلفة، فعرف المسجد باسمه، وما زال حتى اليوم يعرف بـ (مسجد باعنتر)[٢]. ويقع في الجهة الجنوبية الغربية من المنطقة المركزية، ويظهر على عمارته القدم مع أن مواد بنائه مسلحة بالإسمنت والحديد، ويبعد عن مسجد عبدالله بن عباس نحو الشمال حوالي (٢٠٠م) ومساحته صغيرة، وتقدر تقريباً بـ (١٢×١٦م)، ويكتظ بالمصلين في جميع الصلوات، ولا يوجد مكان للنساء، وله أربعة أعمدة دائرية قطر الواحد منها متر تقريباً وارتفاع (٧) أمتار، وجدرانه وأعمدته مغطاه بالبلاط القيشاني بارتفاع متر ونصف وباقي الجدران مع السقف مدهونة باللون الأبيض، وارتفاع محرابه متران في عمق متر ونصف، وليس له منبر، وارتفاع مئذنته (٩) أمتار، وتقع في الجهة الشمالية، وهي مربعة الشكل، وله باب حديدي واحد، ارتفاعه ثلاثة أمتار في عرض مترين، إضافة إلى بابين صغيرين في مقدمة المسجد تفتح على شارع هدية من الغرب، ومفروش بسجاد أحمر ذي جودة متوسطة[٣].

٥- **مسجد الريع (السنوسي):** لا نعلم متى بني هذا المسجد، ويذكر أن الجمال محمد الوقاد قام بتجديد عمارته وتوسعتها في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي)[٤]. واشتهر أيضاً هذا المسجد باسم

---

(١) انظر العجمي، إهداء اللطائف، ص ٨٢، سليمان بن صالح آل كمال، مساجد الطائف، ص ٣١.

(٢) المصدران نفسهما، مشاهدات الباحث وزيارته للمسجد في (١٤٣٨/١١/٦هـ).

(٣) مشاهدة الباحث للمسجد في (١٤٣٨/١١/٦هـ)، ينظر أيضاً عبدالله العمري، المساجد وسط بلدة الطائف، ص ٢٢-٢٣.

(٤) انظر العجمي، إهداء اللطائف، ص ٨٠.

(السنوسي)، لأنه قريب من بيوت آل السنوسي، الذي ينتسبون إلى الشيخ محمد بن علي السنوسي، أحد علماء مكة المشاهير في القرن (١٣هـ/١٩م)[١]. ويصف محمد حسين هيكل عمارة هذا المسجد عندما زار الطائف عام (١٣٥٥هـ/١٩٣٦م)[٢]، وقد جدد المسجد في نهاية القرن الهجري الماضي (١٤هـ/٢٠م) من قبل أسرة الشيخ محمد بن علي السنوسي، وما زالوا يقومون على خدمته إلى الآن، ويقع على قمة جبل بن متريل المشرف على حي السلامة، ويطلق عليه إلى عهد قريب مسجد الطرابلسي، لأن الأستاذ عبدالملك الطرابلسي، أحد رواد التعليم في المملكة، وأحد مدرسي التوحيد بالطائف في ستينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، كان يقوم على إمامته[٣]. وقد رأيت هذا المسجد، وشكله مستطيل، وعمارته مسلحة حديثة[٤]، ومغطى من الخارج بالرخام، وطوله تقريباً (٢٨م) في (١٥) عرضاً، وله ستة أعمدة، وارتفاع الواحد (٧) أمتار، وله (١٨) نافذة مغطاه بزجاج الألمنيوم الأسود، وفي كل جهة من الشمال والغرب ست نوافذ، وأربع في الجهة الجنوبية، واثنتان شرقة، ومساحة كل نافذة (٢×٢م٢)، وارتفاع منبره متر ونصف، وعرض محرابه مترين وعمقه متر ونصف، وجميع جدران المسجد من الداخل مدهونة باللون الأبيض ويتسع لأكثر من (٣٠٠-٣٥٠) مصل، وله باب واحد مساحته حوالي (٣×٣م)، ومن مرافق المسجد سكن للإمام والمؤذن، ودورات مياه، وأماكن للوضوء، وهناك دور أرضي كامل تحت المسجد يوجد فيه عدد من الدكاكين التجارية، وهي وقف على المسجد، وله مئذنة مربعة الشكل، وتقوم أوقاف السيد محمد بن علي السنوسي الخيرية على المسجد، ومقرها في مكة المكرمة، وتتبع إدارياً لوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد[٥].

---

(١) سليمان آل كمال، مساجد الطائف، ص ٣٦.

(٢) للمزيد انظر محمد حسين هيكل، منزل الوحي، ص ٣١٨.

(٣) عبدالملك الطرابلسي أول من افتتح خمس مدارس نظامية في منطقة عسير، وعدداً من المدارس النظامية في الرياض واستقر به القرار في مكة ومات فيها خلال العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م). انظر غيثان بن جريس. تاريخ التعليم في منطقة عسير (١٣٥٤-١٣٨٦هـ/ ١٩٣٤-١٩٦٦م). (جدة: دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م) (ص ٢٢٧-٢٣١) للمؤلف نفسه، انظر كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير أنموذجاً، جـ١، ص ٤٦٢-٤٧٧.

(٤) زيارة الباحث للمسجد يوم السبت (١٤٣٨/١١/٦هـ). وتاريخ هذا المسجد جدير بالبحث في دراسة علمية موثقة. ونأمل من مؤرخي الطائف أن يدرسوا هذا المسجد وغيره من الجوامع والمساجد القديمة في محافظة الطائف، وهذا الموضوع يستحق أن يكون عنواناً لرسالة ماجستير أو دكتوراه.

(٥) مشاهدات الباحث للمسجد يوم السبت (١٤٣٨/١١/٦هـ). انظر أيضاً عبدالله سعيد العمري، والمساجد وسط بلدة الطائف، ص ٢٤-٢٥. وللمزيد انظر السيد عيسى القصيّر، الطائف القديم، ص ٢٣٣-٢٣٤٣.

٦- مسجد الهنود: سمي بهذا الاسم نسبة إلى الهنود الذين يتجمعون فيه، ويسمى اليوم أيضاً (مسجد السوق)، ويقع وسط السوق بمحلة فوق (علو الهضبة)، بين مسجدي الهادي وعبدالله بن العباسٍ (رضي الله عنهما)، ويذكر أحد رجالات الطائف إلى أن هذا المسجد بنى تقريباً في القرن (١١هـ/١٧م)، ثم هدم وأعيد بناؤه بالحديد والخرسانة عام (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) [١]، وهناك بعض المصادر المحدودة التي تشير إلى شذرات قليلة عن هذا المسجد في القرن (١٣هـ/١٩م) [٢]، ويذكر في القرن (١٤هـ/٢٠م) أنه كان صغيراً ومتواضعاً في مواد بنائه ومرافقه [٣]. والسوق في الوقت الحاضر يقع في مكانه القديم في الجهة الجنوبية الغربية من المنطقة المركزية، وهو مبني بالمواد المسلحة، ومساحته صغيرة تبلغ حوالي (٢٠×٢٥م)، ويتسع تقريباً من (٢٢٠-٢٧٠) مصلياً، وله باب وأحد من الجهة الشمالية عرضه ثلاثة أمتار، وارتفاعه حوالي أربعة أمتار، وله مئذنة في الجهة الشرقية ارتفاعها عشرة أمتار، وهو مغطى من الخارج بالرخام الذهبي اللامع، وعرض محرابه متران، وعمقه متر ونصف، وليس له منبرٍ، ويبعد من مسجد ابن عباس نحو الجهة الشمالية الغربية حوالي (١٥٠) متراً، وملحق به دورات مياه صغيرة وأماكن محدودة للوضوء، ولا يوجد به مصلى نساء، ويصعب توسعته لأن الدكاكين التجارية تحيط به من كل مكان [٤].

ويتضح لنا أن المساجد السابق ذكرها تم تشييدها قبل قيام الدولة السعودية الحديثة [٥]، وبعد تأسيس هذه الدولة المباركة كان من أكبر اهتماماتها رعاية وصيانة المساجد الموجودة في أنحاء البلاد، وفي محافظة الطائف عشرات المساجد

---

(١) هذه الرواية ذكرها السيد عيسى القصيرِّ أثناء مقابلته في رحلتي الأخيرة إلى الطائف (٤-١٤٣٨/١١/٨هـ).

(٢) انظر السيد عيسى القصير، الطائف القديم، ص ٢٣٤، سليمان صالح آل كمال، مساجد الطائف داخل السور، ص٣٧-٣٨.

(٣) المرجعان نفسهما.

(٤) مشاهدة الباحث للمسجد يوم السبت (١٤٣٨/١١/٦هـ). ويذكر الأستاذ عيسى القصير مسجدين آخرين وسط مدينة الطائف، وف محيط المنطقة المركزية، وقد تم إزالتهما، وهم: مسجد ابن عقيل، ومسجد الوزير، وقد سألت عن هذين المسجدين فلم أجد لهما أي أثر، ويقال أنهما دخل في السوق أثناء توسعته وتجديده. انظر السيد عيسى القصير، الطائف القديم، ص ٢٣٤.

(٥) تاريخ المساجد في الطائف قبل قيام الدولة السعودية الحديثة من الموضوعات الجديدة والجديرة بالبحث والدراسة.

التـي نالت اهتمام الدولة فأعادت بناءها ووسعـت مرافقها، وزودتها بالاحتياجات اللازمة[١].

وتذكـر بعض المراجع إنشاء المديرية العامـة للأوقاف والمساجد بالطائف عام (١٣٦٠هـ/١٩٤١م)، وهذه الإدارة مرتبطـة إدارياً بالمديريـة العامة للأوقاف في مكـة المكرمة، وكانت تحت إشراف رئاسة القضـاء حتى عام (١٣٨٠هـ/١٩٣٠م)، ثـم أنشئت وزارة الحج والأوقاف والمساجـد، وفي عام (١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، أنشئت وزارة الشئـون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، وأصبحت مسئولة عن جميع المساجـد والجوامع في المملكة العربية السعودية[٢]. وتعد إدارة الأوقاف في الطائف من الإدارات النشطة التي تتولى الإشراف على الأوقاف الخيرية في عموم المحافظة. كمـا أن هـذه الإدارة تخدم وتشرف اليـوم على أكثر من ستـة آلاف مسجد وجامع في أنحـاء المحافظـة، وهي أيضـاً مسئولة عن العاملين في هـذه المساجد من الأئمة والمؤذنين والعمـال وعددهم تقريباً يتجاوز السبعة آلاف شخص[٣]. وحتى نستكمل مـا أوردناه عن بعضـ المساجد التاريخيـة في مدينة الطائف، وهنـاك أيضاً آلاف المساجد الحديثة الصغيرة والكبيرة في أرجاء المحافظة، ولن نستطيع الكتابة عنها في صفحات محدودة، لكننا سنذكر بإيجاز معلومات تاريخية حديثة ومعاصرة عن خمسة جوامع زرناها في وسط المدينة، وبعضها قريب من المنطقة المركزية (أسواق الطائـف المركزيـة)، ومصادرنا مستقـاة من مديرية الأوقـاف والمساجد والدعوة والإرشاد بالطائف، ومما رأيناه وتأكدنا من صحته أثناء زيارة هذه الجوامع[٤].

---

(١) إن بدايات الدولة السعودية الحديثة في بناء وخدمة دور العبادة من العناوين التي لم تدرس في هيئة بحث علمي موثق ونأمل أن نرى باحثاً جاداً يتولى هذا الموضوع بالدراسة والتوثيق.

(٢) تاريـخ الإدارات المشرفـة على المساجد والجوامع في الطائف خلال المئة عام الماضية من الموضوعات التي تستحق أن تدرس في عدد من البحوث العلمية.

(٣) إن دراسـة مساجد الطائف، والقائمين عليها، والنفقات التي تصرف، والعقبات الموجودة في هذا الميدان مـن الموضوعـات التـي لم تدرس، ويجب بحثهـا في هيئة بحوث علميـة يشرف عليهـا متخصص ومراكز أكاديمية، وهذه الأمور من مسؤوليات مؤسسات التعليم وفي مقدمتهم جامعة الطائف.

(٤) مـن خـلال تجوالنا في بعض أحياء وسـط الطائف مثل: قروى، والسلامة، وشـيرى، والعقيق وما جاورها فقـد شاهدنـا مساجد وجوامع عديدة تزيد عـن الخمسين مسجداً وجامعاً. وظاهـرة انتشار المساجد في جميع مدن وقرى وحواضر وأرياف وبوادي المملكة العربية السعودية من العلامات البارزة التي تشتهر بها هذه الدولة العربية المسلمة، ويحق لها ذلك فهي قلب العالم الإسلامي، وفيها قبلة المسلمين وقبر الرسول (ﷺ)، ونسأل الله لهذه الدولة التوفيق والسداد لخدمة الإسلام والمسلمين في كل مكان.

(*) **جامع الملك فهد (الجامع الكبير):** يقع على شارع الملك فيصل الذاهب من وسط المدينة إلى الهدا إلى مكة المكرمة، وهو في حي العزيزية مقابل قصر الحكم من الجهة الشمالية، وأمام عمارة الملكة من الجهة الغربية، وتم افتتاحه في عام (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ويطلق عليه أيضاً اسم (الجامع الكبير)[١]. ويعتبر هذا الجامع أكبر مساجد محافظة الطائف، وتحيط به من جانبيه الشمالي والجنوبي حدائق تمتلئ بالمتنزهين من أهل الطائف، أو من السواح والزائرين الذين يزورون مدينة الطائف، ومساحة أخرى واسعة أمام محراب المسجد مزودة بألعاب الأطفال، وبجانبه نافورة من الجهة الجنوبية يتدفق منها الماء بشكل مستمر مع إضاءة تصدر من قاعدتها بألوان خافتة، وتمتد الحديقة على جانبي الجامع بمساحة تقدر (٢٠٠-٣٠٠م٢)[٢].

وتوجد مساحة كبيرة في الجهة الشرقية خصصت مواقف للسيارات وأماكن لبعض الباعة المتجولين. وتبلغ مساحة المسجد تقريباً (٩٠×١٠٠م)، ويحتوي على عدد (٤٠) عموداً، ومساحة كل عمود تقدر بـ (٢م٢)، والعمود الواحد على شكل قبة في أعلاه، وجميع جدران الجامع وأعمدته مغطاة برخام الجرانيت الإيطالي الأملس، واللون الرمادي اللامع، وذي عروق رخامية مموجة، وله قبة عظيمة في الوسط، قطرها حوالي (٤٠م)، وعمها (١٠) أمتار، وهي مزخرفة بالفن المعماري الإسلامي وتتدلى منها كهرباء كبيرة من ثلاثة عقود يبلغ قطرها (٢٥م)، وارتفاعها (٨) أمتار، وللجامع محراب عرضه ثلاثة أمتار، وعمقه مترين، ومنبره مستقل عن المحراب، ومصنوع من خشب الزان، ومدهون باللون العودي، وشكله طولي، ودرجاته أمامية بارتفاع ثلاثة أمتار، وللجامع (١٨) باباً من جميع الجهات، ستة أبواب في الجهة الشمالية، ومثلها في الجهة الجنوبية، وفي مقدمته بابان، وفي مؤخرته أربعة أبواب متجاورة، منها اثنان مخصصان لمصلى النساء. والأبواب منقوشة ومزخرفة بألوان مختلفة من فن العمارة الإسلامي الأصيل. ويتسع المسجد لأكثر من (١٢٠٠٠) مصل، وتقريباً (٤٠٠) مصلية، وللجامع صحن خارجي مساحته

---

(١) هذا ما سمعه الباحث من بعض المسئولين في إدارة الأوقاف والمساجد والدعوة والإرشاد في الطائف، وأيضاً مما شاهده يوم الجمعة (١٤٣٨/١١/٥هـ).

(٢) حبذا أن نرى باحثاً جاداً فيدرس تاريخ هذا الجامع في بحث علمي محكم، أو رسالة علمية أكاديمية، ونحن في حاجة كبيرة إلى أبحاث علمية تختص بجوامع ومساجد حاضرة الطائف.

قريبـاً من مساحـة الجامع الداخلية، وفي الجهتين الشماليـة والجنوبية من صحن الجامـع منارتين بارتفاع (٣٠م) وقاعدة كل منـارة (٣م٢). وتقام في هذا الجامع حلقات لحفظ القرآن الكريم للكبار والصغار، وتلقى فيه محاضرات ودروس دينية بشكل دوري للعلماء وطلبة العلم[١].

(*)**جامـع الملـك فيصل بشـارع شبرا:** يقع هـذا الجامـع في أول شارع شبرا مـن الجهـة الشمالية بحي العقيق، مقابل قصر شـبرا التاريخين، ويبعد عن جامع الشربي في الناحية الشمالية الشرقية حوالي (١٥٠م)[٢]. وكان في السابق مسجداً صغـيرا لا يتسـع لكـثرة المصلين، وذلـك لأهمية موقعـه على الشـارع الذي يربط وسـط البلد بطريق السيل والحيوة، ومـكان المسجد وما حوله تعد البوابة الرئيسية للمنطقـة المركزية من الجهة الشماليـة، وقد تولى هدمه وتوسعته الشيخ محمد بن هـزاع النفيعي[٣]، وتم افتتاحه في (١٤٣٢/٩/١٥هـ) الموافق (٢٠١١/٨/١٤م)[٤]. وجميع مواد بناء المسجد حديثة، وهو مغطى من الخارج برخام الجرانيت المطفي، ومساحته من الداخـل تقريبا (٢٥×٣٥م)، وله (٣٦) نافذة صغيرة مقوسة بطول متر وعرض متر ونصف، وقد وضعت كل نافذتين فوق بعضهما البعض، وفي مقدمة الجامع عشرون نافذة، وفي الجهة الشمالية ست نوافذ، ومثلها في الجهة الجنوبية، وأربـع نوافذ في الجهة الشرقية. وللجامع (٨) قبـاب دائرية الشكل، وقطر كل قبة أربعـة أمتار في عمق أربعة أمتـار، وهذه القباب مزينة بديكـورات جبسية منحوتة ومنقوشـة ببعض الزخـارف الاسلاميـة، أما سقـف الجامع فقد زخـرف باللون الأبيض المخلـوط بألوان زاهية متداخل على أشكال هندسية مربعة تبلغ مساحاتها (٤×٤م). ويتسع المسجد لنحو (٩٠٠-١١٠٠) مصل، وحوالي (٩٠-١٢٠) مصلية،

---

(١) صلـى الباحث الجمعة في هذا الجامع يوم (١٤٣٨/١١/٥هــ) وشاهده من الداخل والخارج. انظر أيضاً عبدالله سعيد العمري، المساجد وسط بلدة الطائف، ص ٣٤-٣٥.

(٢) سوف نذكر بعض التفصيلات عن هذا الجامع في صفحات تالية من هذا المحور.

(٣) هـذا الشيخ ينتسب إلى عشيرة النفعة العتيبية، ومعظم هذه العشيرة تسكن في مدينة الطائف وخارجها. ومـن يدرس المساجد والجوامـع (الصغيرة والكبيرة) التـي بنيت في محافظة الطائـف على نفقة بعض الأغنياء وأصحاب الجاه والمحتسبين فإنه سوف يجد أعداداً كبيرة من هذه المساجد، ونأمل أن نرى باحثاً جـاداً يدرس تاريخ هذه المساجد التـي تم تشييدها على نفقة أفراد أو أسر يريدون الأجر والثواب من الله عز وجل، وهذا الموضوع يستحق البحث والدراسة.

(٤) هـذه المعلومـات وجدها الباحـث مكتوبة على لوحة في الجدار الخارجي عند المدخـل الرئيسي للجامع في (١٤٣٨/١١/٥هـ).

ويقوم الجامع على ثمانية أعمدة بارتفاع سبعة أمتار وجدران المسجد وأعمدته الداخلية مغطاة بالرخام البني اللامع بارتفاع متر عن أرضية الجامع، وله منارتان في ركني المسجد من الجهة الشرقية بارتفاع (٢٥م)، وللجامع صحن خارجي من الناحية الجنوبية مساحته (١٢×١٥م)، ومن مرافق الجامع دورات مياه، وأماكن للوضوء، ويعقد فيه حلقات لتحفيظ القرآن الكريم وتجويده، ومحاضرات وندوات علمية مختلفة[١].

(*) **جامع الشربي بحي العقيق:** يقع هذا المسجد في الجهة الشمالية الغربية من قيادة منطقة الطائف العسكرية القديمة، المسماة (القشلة) باب الريع، وتعرف هذه الناحية اليوم باسم (حي العقيق) [٢]. والجامع قريب من عمارة المحكمة المستعجلة حالياً، وإلى الغرب من شارع شبرا، وقد افتتح في (١٤٠٥/٧/١هـ) الموافق (١٩٨٥/٤/٢١م) [٣]، ويقع ضمن المنطقة التاريخية القديمة في قلب مدينة الطائف[٤]. وجميع مواد البناء مسلحة، ومغطى من الخارج بالحجر الأصفر المعروف باسم (حجر الرياض) وهو يشرف على شارع يتجه إلى مبنى (القشلة) العسكرية[٥]. ومساحة الجامع من الداخل (٢٥×٤٥م)، ويحتوي على ست نوافذ مغطاة بزجاج الألمنيوم الفضي، ومساحة كل نافذة (٢×٢م)، وتوجد اثنتان في الجهة الشمالية، ومثلهما في الناحية الجنوبية، واثنتان في مقدمة المسجد، وله (١٦) عموداً بارتفاع خمسة أمتار من أرضية الجامع، وكل عمود على شكل دائرة

---

(١) صلى الباحث في هذا المسجد أحد فروض الصلاة وشاهد درجاته من الداخل والخارج في يوم الجمعة (١٤٣٨/١١/٥هـ).

(٢) الجامع في جزء محدود من الحي، ومساحة حي العقيق كبيرة، وهو مكتظ بالعمارات الحديثة، ومزدحم بالسكان. وكما ذكرت سابقاً فاحياء مدينة الطائف القديمة والحديثة جديرة بالبحث والدراسة، ونأمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس هذا الموضوع في هيئة كتاب علمي موثق.

(٣) هذا مع عرفه الباحث من إدارة الأوقاف والدعوة والإرشاد في الطائف أثناء زيارته الأخيرة لمحافظة الطائف من (٤-١٤٣٨/١١/٨هـ).

(٤) ولا أدري هل هذا الجامع الحالي تم تشييده على أنقاض مسجد قديم، لأنني سألت بعض الساكنين حوله، فلم يقيدونني بإجابة دقيقة، ولكن لا أستبعد أنه كان هناك مسجد قديم، ثم هدم وأعيد بناء هذا الجامع، وهو يمتاز بموقع جيد ومزدحم بالناس.

(٥) هذه القشلة من الأبنية القديمة التي شيدتها الدولة العثمانية في القرن (١٣هـ/١٩م)، ثم اتخذت مقراً للقيادة العسكرية السعودية بالطائف عام (١٣٤٣هـ/١٩٢٥م). والأبنية العسكرية القديمة والحديثة في مدينة الطائف من الموضوعات التي لم تدرس في هيئة بحوث علمية أو نأمل أن نرى مؤرخاً جاداً يدرس هذا العنوان في كتاب أو رسالة علمية موثقة.

قطرها متر واحد، ويحيط بكل عمود أرفف خشبية لحمل وحفظ المصاحف، وفي الجامع قبة منحوتة ومنقوشة ببعض الزخارف الإسلامية، وقطرها ستة أمتار، وعمقها خمسة أمتار، وفيها ثمان نوافذ صغيرة تساعد على دخول الإضاءة إلى داخل المسجد، وفي مقدمة المسجد محراب عرضه متران، وعمقه متر ونصف، والمنبر من خشب الزان المنقوش على شكل تربيعات، وارتفاعه متر ونصف، وجميع جدران الجامع مدهونة من الداخل باللون البيض اللامع، وأعمدته مصبوغة، بارتفاع متر واحد ومدهونه باللون الأصفر المعتق. ويتسع المسجد تقريباً لـ (١٥٠٠-١٧٠٠) مصل، وللنساء مصلى بالدور الثاني يتسع لنحو (١٧٠-٢٠٠) مصلية، مع دورات مياه وباب مستقل لهن من الجهة الشرقية، وللجامع ثلاثة أبواب رئيسية مصنوعة من الخشب المنحوت والمنقوش، أحدها في الجهة الشمالية، والبابان الآخران في الناحية الجنوبية، ومساحة كل باب تقريبا (٤×٤م). ومن ملاحق الجامع دورات مياه وأماكن للوضوء في الجهة الجنوبية، وسكن للإمام والمؤذن، وتقام في المسجد دورات لتحفيظ القرآن الكريم وتجويده[١].

(*) **جامع السيد عبدالعزيز العباسي:** يقع هذا المسجد على شارع الملك فيصل مقابل السوق المركزي من الناحية الشمالية، وهو في قلب المنطقة التاريخية، ويبعد عن جامع الملك فهد (١٥٠م) نحو الشرق، قام بعمارته السيد عبدالعزيز أديب العباسي على نفقته الخاصة، وافتتح في (١٤٣٤/٩/١هـ) الموافق (٢٠١٣/٧/٩م)[٢]. وهذا الجامع تحفة معمارية في مواد بنائه، وتخطيطه، وتأثيثه ومرافقه. وهو مستطيل الشكل، ومساحته تقدر بـ (٢٥×٤٥م)، وارتفاع سقفه حوالي سبعة أمتار، وله (٨) أعمدة مربعة الشكل، بمساحة (٢×٢م)، وجدرانه وأعمدته مغطاة بالرخام ذات اللون العودي اللامع، وارتفاع متر واحد عن أرضية الجامع، وحول الجزء السفلي للأعمدة أرفف من خشب الزان الفاخر مخصصة لحمل المصاحف وحفظها. أما محراب المسجد ومنبره فهو مصنوع من خشب الزان

---

(١) مشاهدات الباحث للجامع في الفترة التي زار فيها الطائف مؤخراً (٤-١٤٣٨/١١/٨هـ). انظر أيضاً عبدالله سعيد العمري، المساجد وسط بلدة الطائف. ص ٣٢-٣٣.

(٢) تجولت في أجزاء عديدة من المملكة العربية السعودية، وبخاصة مناطق الجنوب الممتدة من مكة إلى جازان، ومن الطائف إلى نجران، ورأيت مئات المساجد والجوامع التي شيدت على نفقة محتسبين يريدون الأجر والثواب من الله. ولله الحمد، فالدوله والشعب، يحرصون على خدمة دور العبادة في كل ناحية من نواحي البلاد.

الجيد والجميـل، ويبلغ ارتفاع المنبر مترين، وعرضٍ المحراب مترين في عمق متر ونصـف، وارتفاع ثلاثة أمتار، ويتسع الجامـع تقريباً (٤٥٠-٥٠٠) مصل، وحوالي (٨٠-١٢٠) مصليـة، وله قبة واحدة كبيرة في الوسط مزخرفة ومنقوشة، وقطرها حـوالي عشرة أمتار، وارتفاعهـا (٨) أمتار، وبها كهرباء دائريـة ومذهبة ومزودة بأنـوار على شكل الفوانيس التراثية، إضافـة إلى عدد (٥) نجف ذهبية موزعة في عشـرة مواضع من سقف المسجد، وللجامع (١٤) نافذة، بمساحة (٢×٢) للنافذة الواحـدة، والمسجد مفروش بالسجاد الجيد المشجر ذي اللـون الأحمر، وله أربعة أبواب من خشب الزان المَصبوغ، ومساحة كل باب تقريبا (٢×٤م)، اثنان منها في الجهة الشرقية، وواحد في الناحية الشمالية، والآخر في الجنوبية، وباب آخر خاص بالنسـاء يدخـل إلى مصلى النساء ودورات مياه في الطابـق الثانيٍ، وللجامع منارة دائريـة في الركن الغربي، قطرها (٢م)، وارتفاعهـا (٢٥) متراً، وخصص الدور الأرضي من المسجد (البدروم) مكاناً لدورات المياه وأماكن للوضوء[1].

(*) **جامع السلام:** يقع هذا المسجد في حي السلام غرب جبل المنديل القريب مـن باب الربع في المنطقة المركزيـة، ويبعد عن جامع عبدالله بـن العباس (رضي الله عنهما)، نحو الغرب حوالي (٢٥٠م)، وإلى الشمال من وادي وج، والذي شيده فاعـل خير، لم يذكر اسمه، وبـدأت الصلاة فيه في (٢٧/رمضان/١٤٣٤هـ الموافق ٥/٦/٢٠١٣م)[2]. وتبلغ مساحة هذا الجامع تقريباً (٢٠×٢٥م)، وله قبة قطرها ستـة أمتار، وعمقهـا أربعة أمتـار، وله أربعة أعمـدة مربعة الشـكل بارتفاع سبعة أمتـار، ومغطاة بالرخـام البني الأملس، وجميـع جدران المسجـد وأعمدته مطلية باللـون الأبيضـ، في أعلى كل عمود جبسيـات معلقة من الرخـام الأبيض المقوس، وهـي على هيئة قِباب منحوتة بأشـكال دائرية، ويتسع الجامع حوالي (٣٥٠-٤٠٠) مصلي، وتقريبـاً (١٠٠٩) مصلية، وله ثلاثة أبـواب بأطوال (٢×٣م)، مصنوعة من الحديد قليـل السماكة، وممهورة بزجاج وزخارف متعددة الأشكال الهندسية. والمسجد مطلي من الخارج باللون الأبيض المطفي، وله (كورنيش) من الخارج لونه بنـي، وللجامع منارة مربعة الشكل بارتفـاع (٢٠م)، ويحيط به من جهته الشرقية

---

(١) المصدر: مشاهدات الباحث أثناء تجواله في محافظة الطائف في الفترة من (٤-٨/١١/١٤٣٨هـ).

(٢) هـذا ما عرفه الباحث من إدارة الأوقـاف والمساجد في الطائف، وما شاهده أثناء زيارة الطائف الأخيرة (٤-٨/١١/١٤٣٨هـ).

والجنوبية صحن مسور يستخدم للصلاة ليوم الجمعة وفي صلاة التراويح عند ازدحام الجامع بالمصلين[١].

(هـ) **العمائر التجارية:** هذا النوع من الأبنية يأتي في المرتبة الثانية بعد بناء الأحياء والقرى والمنازل والقصور الخاصة، والمتجول في مدينة الطائف، والذاهب في شوارعها الداخلية، أو الخارجية التي تربطها مع غيرها من المراكز. مثل الهدا، والشفا، ولية وغيرها فإنه سوف يرى آلاف الأبنية المأهولة بالأعمال التجارية[٢]. وعند ذهابنا إلى سوق الطائف المركزي راينا مئات الدكاكين والأسواق المتفاوتة في الصغر والكبر، وفي أنواع السلع المعروضة فيها. وعند مقابلة السيد عيسى القصيِّر ذكر لي أسماء أسواق شعبية عديدة في المنطقة المركزية[٣]، وإن كانت هذه المنطقة قد رممت أسواقها وأدخل عليها الكثير من التحسينات والتطوير، إلا أن عدد من الأسواق الشعبية ما زالت تحمل أسمائها القديمة حتى الآن، مثل: سوق باب الحزم، وسوق الخميس وسط البلد، وأسواق برحات شمس، ومسجد الهادي، والقزاز، وباب العباس، والفتات، وابن مسمار، وجنيدة شارع هدية، ومسجد الهنود، وغيرها[٤].

وبعض هذه الأسواق ما زالت مبنية بالحجر والطين، ومعظمها أُدخل عليها تحسينات عمرانية مسلحة، وهي مكونة من طابق واحد، وهناك أبنية قليلة قديمة تتكون من طابقين، وعند دخول مواد العمارة الحديثة (الاسمنت والحديد) أصبح هناك أسواق تتراوح من طابق إلى ثلاثة وأربعة طوابق[٥]. وإذا خرجنا من المنطقة المركزية إلى أنحاء حاضرة الطائف، فإننا نشاهد المحلات التجارية والحرفية والصناعية في كل مكان وبخاصة على الشوارع الرئيسية في المدينة، كما يوجد عمائر كبيرة تتكون من طوابق عديدة مثل عمارة الملكة تسعة طوابق وسط المدينة، وبرج العبيكان في حي شبر ويتكون من (٣٣) طابقاً، وعشرات الأبنية المخصصة

---

(١) مشاهدات الباحث أثناء زيارته للطائف الأخيرة في الفترة من (٤-١١/٨/١٤٣٨هـ).

(٢) المصدر: مشاهدات الباحث في الفترة من (٤/١١/٨/١٤٣٨هـ).

(٣) مقابلة السيد عيسى القصيِّر في منزله بحي المسرة أثناء زيارة الطائف الأخيرة من (٤/١١/٨/١٤٣٨هـ).

(٤) وهناك أسواق أخرى عديدة، مثل: سوق الهجلة (وسط السوق)، وخان آل القاضي، وزقاق الحبس، وزقاق المهراس، وشارع العباس، وباب الريع، وسويقه. وهذه الأسواق كانت في أوج نشاطها حتى نهاية العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م)، وعند توسعة السوق أصبحت اليوم جزء من منطقة السوق العامة. مشاهدات الباحث أثناء تجواله في المنطقة المركزية في الفترة من ٤-١١/٨/١٤٣٨هـ.

(٥) المصدر نفسه.

غرفها وشققها للإيجار اليومي أو السنوي، وهناك الفنادق في داخل المدينة وفي حي الهدا، وعلى طريق الشفا، وفي الحوية وفي أماكن عديدة من المدينة، وتتفاوت هذه العمائر في جودتها، وأسعارها، وأماكنها، وطوابقها.

ومن يزور أحياء الطائف أو قراها ومراكزها فإنه يرى أبنية كثيرة مخصصة للأعمال الصناعية والهندسية مثل ورش السيارات والمكائن الزراعية وغيرها من الآلات، ومحطات البنزين، وإصلاح البناشر وتركيب عجلات السيارات، ويوجد في أمكنة عديدة من محافظة الطائف الاستراحات والقصور الخاصة بالأفراح والمناسبات الاجتماعية، وهي تتفاوت أيضاً في أمكنتها وأسعارها، فهناك الصغيرة والرخيصة، وهناك الكبيرة والفخمة والغالية. وميدان التجارة في عصرنا الحاضر واسع، وكل تجارة مهما كان نوعها أو حجمها تحتاج إلى أبنية تمارس فيها، كل حسب المهنة أو التجارة المعنية[1]. ومن الأبنية التجارية أيضاً طرق المواصلات البرية وما يوجد عليها من خدمات للناس مثل: المحلات التجارية، ومحطات الوقود، والاستراحات، والمساجد ومرافقها مثل دورة المياه وغيرها. وكذلك عمارة المطار في منطقة الحوية وما يوجد فيه من مرافق عمرانية، أو محطات الاتوبيسات أو سيارات الأجرة داخل المدينة وخارجها[2].

(و) أبنية أخرى: تغص محافظة الطائف بأبنية متنوعة بعضها قديم، وأخرى حديثة ومن العمارات القديمة التي مازالت ماثلة للعيان الأبنية التي كانت تستخدم للسكن البشري والحيواني، أو حفظ الأعلاف والحبوب والأدوات الزراعية وغيرها.

---

(١) الذي يهمنا في هذا العنصر هو العمارة التي تصب في خدمة العمل التجاري، مهما كان نوعه، ومن أولويات قيام أي عمل تجاري هو وجود المكان مثل: الدكان، أو الشقة، أو العمارة ذات الطوابق المتعددة، أو القصر، أو الاستراحة، أو السوق، أو المعرض، أو الفندق، أو المستوصف، أو المستشفى أو غير ذلك من الأبنية التي يصعب حصرها في هذه الدراسة المحدودة.

(٢) أشرنا في هذا المحور إلى لمحات من العمارة التجارية في مدينة الطائف وما حولها، ومن يتجول في عموم محافظة الطائف فإنه سوف يرى أبنية كثيرة مخصصة لأعمال تجارية مختلفة. وهذا الموضوع واسع وكبير ولا نستطيع دراسته في صفحات محدودة وإنما يحتاج إلى مئات الصفحات. والمملكة العربية السعودية في الأربعين عاماً الماضية تمر في تطور وتنمية كبيرة، والتجارة تأتي على رأس قائمة التمدن والتطور الذي تعيشه البلاد. وأقول أن الأبنية التجارية في بلاد الطائف تستحق أن يفرد لها دراسات علمية عديدة، وهذا العمل من مسئوليات جامعة الطائف والغرفة التجارية الصناعية في الطائف.

وقد شاهدت كثيراً من هذه المباني في هيئة بيوت شعبية أو حصون، أو قصبات أو قلاع في أرياف الطائف والقرى القديمة في بلاد الشفا، ولية، وبني ثقيف، وديار بجيلة بني مالك. ومعظم هذه الأبنية أصبحت مهجورة، والقليل منها ما زال يستخدمه بعض البدو أو الريفيون في المحافظة[١]. وهناك بعض الآبار القديمة خارج مدينة الطائف، وقد وقفت على عدد منها في الهدا، والشفا، ومراكز أخرى عديدة، وعمق بعضها يصل إلى ثلاثين وأربعين متراً، وبعضها خالية من الماء، وهناك آبار ذات مياه قليلة[٢]. وفي بلاد بني مالك، وبالحارث، وبني سعد، والشفا، والهدا مدرجات زراعية ما زالت قائمة، ومعظمها مبنية بالحجارة، وهناك مدرجات استبدلت حجارتها بالبلك والاسمنت، وبعض المدرجات الحجرية تم الحفاظ عليها وتقويتها بالإسمنت حتى لا تسقط[٣]. كما عرفت الطائف سدوداً عديدة، وقد ذكرت المصادر أسماء سدود في بلاد الطائف منذ العصر الجاهلي وعبر أطوار التاريخ الإسلامي[٤]. ومن السدود التي شاهدتها في زيارتي الأخيرة، سد وادي عكرمة الذي يقع في أعلى وادي وج، قريباً من حي الوهط والوهيط[٥]، ويوجد فيه ماء قليل جداً أثناء زيارته، وبابه مقفول، وقريب من الباب لوحتان مكتوب على إحداهما "تم إنشاؤه في عهد الملك سعود الأول، عام (١٣٧٥هـ). ومكتوب على اللوحة الثانية "طول السد (٧٠م)، وعرضه (٦م)، وارتفاعه (١٨م)، وارتفاع المفيض (١٢م)، وسعة التخزين (٥٠٠,٠٠٠) متر مكعب"[٦]. وذكر لي أن هناك سدود عديدة في أمكنة مختلفة من محافظة الطائف، لكنني لم أقف على شيء منها[٧]. واثناء سيري في أعالي وادي وج شاهدت في وسط الوادي بنايات

---

(١) المصدر: مشاهدات الباحث أثناء تجواله في مدينة الطائف وبعض مراكزها في الفترة من (٤-٨/١١/١٤٣٨هـ).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) عمارة المدرجات الزراعية معروفة عند سكان الجزيرة العربية، وبخاصة المنطقة الممتدة من الطائف ومكة حتى قعر اليمن، والذاهب في هذه البلاد يشاهد مدرجات كثيرة يعود تاريخ بعضها إلى مئات وربما آلاف السنين. موضوع المدرجات الزراعية في محافظة الطائف من الموضوعات الجديرة بالبحث والدراسة العلمية.

(٤) بلاد الوهط والوهيط في أعلى وادي وج، كانت من أملاك عمرو بن العاص (رضي الله عنه) واستمرت ملكيتها في ذريته قرون عديدة، وهي اليوم أرض واسعة، وفيها عمران حديث، وما زالت في طور التنمية والتطوير. مشاهدات الباحث في (٤/١١/١٤٣٨هـ).

(٥) المقصود بعبارة، سعود الأول الملك سعود بن عبدالعزيز الذي تولى حكم البلاد بعد وفاة والده الملك عبدالعزيز عام (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م).

(٦) مشاهدات الباحث في (٤/١١/١٤٣٨هـ).

(٧) تاريخ السدود القديمة والحديثة في محافظة الطائف من الموضوعات التي لم تدرس ونأمل أن نرى أحد طلاب الدراسات العليا، بأقسام التاريخ، ونأمل أن نرى أحد طلاب الدراسات العليا، أو الملك عبدالعزيز فيتخذ هذا بعنوان موضوعاً لأطروحة ماجستير أو دكتوراه.

خراسانية اسطوانية في هيئة خزانات وارتفاعها متفاوت من واحدة لأخرى، فهي ما بين (٢-٣م)، ومغطاه بالإسمنت، وأحياناً يكون الغطاء من الحديد. وقد سألت بعض الناس حولها، عن الهدف من بنائها، لكنني لم أجد من يعطيني إجابة شافية، وربما تم تشييدها لقياس منسوب مياه الوادي أثناء جريانه[١]. وهناك أبنية أخرى في أنحاء المحافظة مثل المقابر، فلا تخلو قرية، أو حي من أحياء المدينة، أو ناحية من أرض المحافظة لا يوجد فيها مقابر سورة مسورة تتراوح ارتفاعاتها من (٢-٢,٥م)[٢]، وبعض من هذا المقابر قديمة جداً ربما تعود إلى الوراء مئات السنين، ولم أشاهد مقابر فوق سطح الأرض مثلما شاهدت في أجزاء عديدة من بلاد تهامة والسراة[٣].

ولا تخلو محافظة الطائف من الأهمية التابعة للقبائل والعشائر، التي كانت إلى عهد قريب تحمى من أهلها، وهناك وثائق تؤكد على وجود أهمية في بعض بلدان الطائف الممتدة من الشفا إلى بلاد بني مالك بجيلة في السروات، وفي هذه المصادر تفصيلات عن طريقه حماية الحمى، ومتى تستخدم، والعشائر، أو القرى التي تتولى حمايته، وقد شاهدت آثار بعض الأحمية في ديار بني سعد، وميسان بالحارث وبلاد بني مالك بجيلة[٤]. ولا تخلو سروات محافظة الطائف من بعض العقبات (الطرق) التي تصل أعالي السراة بأرض تهامة، وقد شاهدت عقبة المحمدية التي تسير من جبل دكا في منطقة الشفا[٥]، ثم تنحدر غرباً حتى

---

(١) مشاهدات الباحث في (١٤٣٨/١١/٤هـ).

(٢) الدولة (وفقها الله) حرصت على تسوير المقابر في أنحاء المملكة وأوكلت هذه المهمة إلى إدارات البلديات في كل مكان، ولهذا لا نسير في أي مدينة أو قرية من قرى المملكة إلا ونشاهد معظم مقابره محاطة بأسوار مسلحة. وبعض المحتسبين أيضا يقومون بتسوير بعض المقابر راجين من الله الأجر والثواب.

(٣) منذ أربعين عاماً وأنا أتجول في ارجاء بلاد السراة وتهامة وقد شاهدت بعض القبور في مناطق نجران، وعسير، والباحة، والقنفذة، مرتفعة عن سطح الأرض إلى متر وأحياناً مترين ولا أدري ما هي الأسباب التي جعلت تلك المقابر بهذه الطريقة. وأقول أن تاريخ المقابر في الطائف وفي عموم بلاد تهامة والسراة من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس وتستحق أن تُدرس في عشرات الكتب والبحوث العلمية. ونأمل من الجامعات في هذه البلدان أن تشجع طلابها وأساتذتها على دراسة مثل هذه المواضيع البكر.

(٤) مشاهدات الباحث وجولاته في مدينة الطائف وبعض مراكزها، والمحافظات المحيطة بها مثل بني سعد، وميسان بالحارث في الفترة من (٤-٨-١٤٣٨/١١هـ). وموضوع الأحمية في الطائف من العناوين الجديدة في بابها ويستحق أن يدرس في هيئة كتاب أو رسالة علمية.

(٥) يقع جبل دكا في منطقة الشفا، وهو عال جداً، وقد وصلت أسفله، ولم أستطع الصعود إلى أعلاه، ويذكر أن الواقف في قمته يشاهد البحر الأحمر، ومناطق واسعة من تهامة، كما أنه يشاهد أجزاء كثيرة من محافظة الطائف، وعقبة المحمدية تسير من أحد جوانبه نحو منطقة الاصدار وتهامة.

تتصـل بالأراضـي التهامية جنوبـي مكة. وذكر لي أن هذه العقبـة ما زالت في طور الإصـلاح، مع أن هناك سيارات عديدة تسلكهـا إلى تهامة[١]. أما عقبة الهدا التي تربط الطائف بمكة المكرمة فهي قديمة وأشارت إليها عشرات المصادر منذ القرن الخامسـ الهجـري (الحادي عشر الميـلادي) حتى وقتنا الحاضـر[٢]. والأبنية في المجـال السياحـي هي الأخرى كثـيرة ومتنوعة، مثل: الحدائـق في عموم المحافظة وبخاصـة في حاضرة الطائف، ومدن الألعاب الرياضية والملاهي، والمدن السياحية والشاليهـات في الهدا، والشفا، وغيرها. وهنـاك متنزهات برية في أرياف ومراكز الطائف، وجميعها لا تخلو من بعض المرافق مثل دورات المياه، ومحلات تجارية تبيع الأطعمـة والأشربة وبعض السلع الأخرى، والجلسـات والمظلات، وأحياناً الغرف أو الاستراحات التي تؤجر على مرتادي هذه الأمكنة السياحية[٣].

٣ـ لمحات عن الطعام واللباس:

بـلاد الطائف أرض حضارة جمعت بين الحضر والبادية، وطبيعتها الجغرافية أثـرت في أنواع الأطعمة والأشربـة التي عرفها الناس قديمـاً وحديثاً، ففي القديم تجلب بعض الأطعمة والأشربة من أسواق مكة وجدة إلى بلاد الطائف. ونجد بعض المصادر والمراجع والوثائق تذكر أسماء أشربة وأطعمة كثيرة توجد في بيوت وأسواق أهـل الطائف، وهي في الأساس مجلوبة من حواضـر الحجاز الكبرى، أو من بعض المدن أو الأسواق المشهورة في الجزيرة العربية[٤].

---

(١) لم أحصـر كل العقبات التي تنزل من سروات محافظـة الطائف إلى تهامة، ومن المؤكد أن هناك عقبات أخـرى عديدة من سروات بني سعد، وميسان بالحـارث وبني مالك بجيلة، وهذا الموضوع يستحق دراسته في بحث علمي موثق.

(٢) عقبة الهدا مذكورة منذ القرن (٤هـ/١٠م) وهي من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس في بحث علمي، ونأمل أن نرى مؤرخاً جاداً يدرسها منذ النشأة حتى وقتنا الحالي.

(٣) محافظة الطائف من المناطق السياحية الجيدة ولها تاريخ قديم يعود إلى العصر الجاهلي، وفيها الكثير مـن الأمكنة الطبيعية الجميلة. وهذا الموضوع من العناويـن الجديدة ويستحق أن يدرس في هيئة كتاب أو بحوث علمية عديدة. ونأمل من الهيئة العليا للسياحة أن تدعم وتشجع الباحثين الجيدين على دراسة مثل هذا الميدان.

(٤) بـلاد الطائـف حلقة وصل مع السروات واليمن، ومدن الحجاز الكبرى، ووسط الجزيرة العربية، ومن ثم فأسواقهـا قديمـة ونشطة، ويصدر إليها الكثير مـن المواد الغذائية. كما أن منطقـة الطائف على صلات قديمـة وقوية مع مكة المكرمـة، وبالتالي فالطائفيون يرتادون دائماً أسـواق مكة، وأهل مكة يصعدون إلى الطائـف أثناء الصيف ويعيشون فيها بعض الوقت، وكل الأشربة والأطعمة التي عرفها المكيون وصلت إلى مدينة الطائف، وعرفها الطائفيون أيضاً.

وفي محافظة الطائف أشربة وأطعمة محلية عديدة تجلب من لحوم واللبان المواشي، أو من مزارع الحبوب الموجودة في سروات الطائف، والفواكه والخضروات التي عرفت بها الطائف حتى اليوم مثل: الرمان، والعنب، والتوت، والحماط (التين)، والبرشومي (التين الشوكي)، والبخاري، والخوخ، والمشمش[١].

ومن أطعمة وأشربة أهل الطائف قديماً، وما زال بعضه معروفاً حتى اليوم في الأسواق والمطاعم والمنازل والقصور، ما يأتي: (١) **السليق الطائفي:** ويتكون من اللحم والأرز ويوضع عليه السمن. وقد تناولته في بعض البيوت الطائفية، وهو طعام شهي، وتشتهر الطائف بهذا النوع من الطعام. (٢) **المعدوس:** أي الأرز بالعدس، وتوضع عليه أحياناً أجزاء من إلية الخروف، والسمن البري ومعها التمر والسلطة، وشربة العدس. (٣) **العيش باللحم:** وهي عجينة توضع في صينية أو صاج نحاس، بعد دهن الصينية بالسمن أو الزيت، ويوضع مع العجينة خلطة من اللحم والكراث والبقدونس والطحينة الممزوجة مع الخل، ثم تفرد وتوضع على النار أو داخل الفرن لمدة نصف ساعة[٢]. (٤) **المعقل:** رز ودقيق مطبوخ، وبعد نضجه يوضع عليه شيء من اللبن أو السمن البري. (٥) **الحلاوة التركية:** دقيق يحمس حتى يحمر، ثم يصب عليه قليل من الماء مع السمن، ويوضع على نار هادئة وتحرك حتى تنضج، ويضاف عليها السكر والهيل. (٦) **القهوة الحلوة:** تتكون من الحليب ودقيق الأرز، والهيل، والسكر، واللوز البجلي، والقهوة ثم تطبخ وتقدم والأفضل شربها وهي ساخنة. (٧) **السحلب:** مادة بيضاء توضع مع الحليب وتطبخ وتقدم ساخنة، وأحياناً يضاف عليها القرفة والزنجبيل المطحون. (٨) **المعصوب:** فطيرة، أو خبز محلي (بلدي) يوضع في قدح خشبي، وتقطع ثم تهرس، ويضاف عليها السكر والموز أو قليل من العسل، وأحياناً يصب عليها السمن البري[٣]. (٩) **مرقة المقادم:** يشتهر أهل الطائف بهذا النوع من الطعام والشراب، ويطلق عليها الكوارع، وهي

---

(١) هناك الكثير من المصادر والمراجع التي أشارت إلى أطعمة وأشربة أهل الطائف في أسواقهم، ومنازلهم، ومناسباتهم الاجتماعية المختلفة. وأقول أن تاريخ الطعام والشراب في محافظة الطائف من الموضوعات التي لم تدرس، ونأمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس هذا العنوان خلال القرنين الماضيين.

(٢) مقابلة مع السيد عيسى القصيرٍ، وعلي بن خضران القرني، ومناحي القثامي أثناء رحلتي الأخيرة إلى الطائف في الفترة من (٤-١١/٨/١٤٣٨هـ).

(٣) المصدر نفسه.

مـن الأكلات المصرية المعروفة والمشهورة[١]. والكـوارع (أرجل الذبيحة) توضع في قـدر كبير به ماء، وتوضع علـى النار، وبعد النضج يطفو علـى سطح القدر الدهن الـذي يسمـى (القطفة)، ثم يفت الخبز في إناء يصب عليهـا المرق مع المقادم، ثم يصـب عليها شيء من القطفة، ويضاف لهذا الطعام أحياناً سلطة مكونة من الثوم والفلفـل والليمون، ويطلق عليها (فتة مقـادم)[٢]. (١٠) **الفطيرة:** تعجن وتطهى مثل عجينة العيش، ويضاف إليها شيء من إلية الخروف، ثم تؤكل مع الشاي والملح والجبن البلدي، أو مع التمر أو عجينة الجبن، وأحياناً يؤتى بالتمر ويعجن ثم يفرم مع الجبن البلدي حتى تصبح عجينة، ثم يضاف عليها قليلاً من السمن[٣].

(١١) **الجبنيـة:** يتـم جلب نصف كيلـو، أو أكثر من الجبن البلـدي، ثم تفرم الجبنـة مـع شيء من الهيل، وتوضـع في إناء ومعها خميرة العيشـ، ثم تعجن حتى تتماسـك، ويضاف عليها قليـل من السمن أو الزيت وحبة أو حبتين بيض، ثم تقطع إلى أجزاء متوسطة وتقلى في الزيت، وإذا نشفت من الزيت يضاف عليها شيء من الشيرة[٤].

(١٢) **شربـة الحريرة:** تقدم في بعض المطاعم الطائفية، وفي المنازل، وأعتقد أن هـذه الشربة وفـدت إلى الحجاز من بلدان خارج الجزيـرة العربية، والاحتمال الأكبر أنها من مصر أو الشام والمغرب[٥]. وهذه الشربة، تحضر من خميرة الخبز التي تخمر لعدة ساعات، ثم يقطع معها البصل وتوضع في قدر على النار، ويضاف إليها كمية من الماء وتحرك جيداً، ثم يضاف إليها الفلفل الأسود، والكمون المدقوق وقليـل من الملح، ويستمـر في تحريكها حتى تنضـج، وأحياناً يوضـع معها قليل من

(١) ربما جاءت هذه الأكلة إلى الحجاز عن طريق المصريين الذين يرتادون مكة والطائف عبر أطوار التاريخ الإسلامي حتى وقتنا الحاضر.

(٢) يعمل هذا الطعام في بعض مطاعم الطائف اليوم، وهنا مطاعم مشهورة بها، وقد تناولتها في مطعم قريباً من مسجد عبدالله بن العباس في رحلتي الأخيرة، وفي رحلات سابقة.

(٣) هذا النوع من الطعام موجود في علب صغيرة مقفلة وتباع في أسواق المواد الغذائية.

(٤) وهنـاك طعام آخر، يعرف باسم (الفُلَّة) وهي قريبـة في إعدادها من طعام (الجبنية). المصدر: مقابلة مـع مناحي القثامي، وعلـي بن خضران، والسيد عيسـى القصيرٌ أثناء رحلتـي في الطائف في الفترة من (٤-٨/١١/١٤٣٨هـ).

(٥) تاريـخ الأشربة والأطعمة الوافدة إلى بلاد الحجاز أو تهامـة والسراة خلال القرون الماضية المتأخرة من الموضوعات التي لم تدرس وتستحق أن تدرس في رسالة علمية أو كتاب توثيقي.

الكزبرة الخضراء وقطع صغيرة من الطماطم، وقد يضاف إليها لبن ودقيق، ويفضل أن تقدم ساخنة للأكل[١].

هذه الأطعمة والأشربة السابق ذكرها نماذج من المأكولات التي عرفها الناس في مدينة الطائف في العقود الماضية، وما زال بعضها يقدم في المطاعم التجارية، أو في المنازل والمناسبات العامة والخاصة. ولم تكن موجودة عند أهل القرى أو الأرياف أو البوادي الطائفية، لأن جل أطعمتهم كانت من حبوب الحنطة، والذرة، أو من لحوم مواشيهم، ومن الفواكه والخضروات التي توجد في أوطانهم، ولا يستبعد أنهم كانوا يستوردون بعض الأطعمة والمواد الغذائية من أسواق مدينة الطائف أو من مكة وجدة وغيرها[٢].

وإذا حصرنا دراستنا في الأطعمة والأشربة الموجودة في محافظة الطائف اليوم، فإننا سنجد كماً هائلاً من المادة العلمية التي تفصل الحديث عن هذا الجانب[٣]. وعند تنقلي في أرجاء المدينة وبعض الأرياف والمراكز الطائفية، شاهدت آلاف الدكاكين والمتاجر الصغيرة والكبيرة المخصصة للمواد الغذائية، ومن يدخل فقط في متجر غذائي واحد فإنه يشاهد مئات الأصناف الغذائية التي

---

(١) مقابلة مع السيد عيسى القصيرّ أثناء زيارتي للطائف في الفترة من (٤-٨/١١/١٤٣٨هـ). وللمزيد عن عدد من الأشربة والأطعمة التي كانت تقدم سابقاً. وما زال بعضها حتى اليوم في المنازل والأعياد والمناسبات الصغيرة والكبيرة، انظر السيد عيسى القصيّر، الطائف القديم، ص١٩٤، وما بعدها. وللمزيد عن بعض الأطعمة الشعبية انظر، مناحي القثامي، تاريخ الطائف قديماً وحديثاً، ص ١٠٥-١٠٦.

(٢) كانت الأشربة والأطعمة إلى ثمانينيات القرن /١٤هـ/٢٠م) محدودة وقليلة عند عموم الناس أو بخاصة أهل البوادي والأرياف في محافظة الطائف وغيرها. أما في المدن فأحوال الناس الاقتصادية أفضل من البوادي، لأن عندهم المال الذي يعينهم على شراء أشربة وأطعمة مختلفة. وأقول أن تاريخ الطعام والشراب في محافظة الطائف خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) من الموضوعات الجديدة ويستحق أن يكون عنواناً لرسالة ماجستير أو دكتوراه، وهذا الأمر من مسئوليات أقسام التاريخ، برامج الدراسات العليا بالجامعات الحجازية.

(٣) لا يخلو حي، أو شارع، أو ناحية، أو سوق، أو طريق أو بلدة، أو قرية من وجود عشرات الدكاكين والمحلات التجارية المخصصة لبيع مواد غذائية، وهذه ظاهرة موجودة في عموم مدن وقرى وبلدات المملكة العربية السعودية. ومن يقارن وفرة الأغذية والأشربة اليوم مع أحوال الناس في القرون الماضية، فإنه ليس هناك أي وجه مقارنة. ففي الماضي كان الجوع يفتك بالأفراد والأسر والمجتمعات، واليوم نجد الترف الغذائي في كل ناحية من أنحاء البلاد السعودية، نعم هناك بعض الفقراء والجوعى لكنهم قلة، وهناك بعض الجمعيات والمؤسسات التي تقوم على مساعدتهم والجوع الحقيق نشاهده على شاشات التلفاز في أفريقيا، وبلاد اليمن ومدن ونواحي عديدة في العالم.

تحتـاج إلى إعداد وطهـي، وهناك أشربة وأطعمة جاهزة لـلأكل والشرب. ومعظم هـذه المواد أو الأغذية مسـتوردة من خارج المملكة العربية السعودية، وهناك أغذية قليلة ومحدودة تم جلبها من مدن أو قرى دخل الجزيرة العربية[١]. والسائح في بلاد الطائـف يرى مئـات المطاعم المتنوعة في عروضها الغذائيـة، ومنها المتخصص في الأشربة والأطعمة الشعبية، وأخرى تقدم أطعمة متنوعة في موادها وطريقة طهيها، وهنـاك مطاعم تطبخ أكلات وأشربة معينة، مثل: المطاعـم البخارية، أو الهندية، أو الصينية، أو الإيطالية، أو الإندونيسية، أو الغربية. وهناك أيضاً شركات أجنبية لها شعـارات عالمية تقدم أطعمة سريعة، ومعظم موادهـا من الدجاج، أو السمك، والبطاطـس، والطماطم، وسلطات أخرى عديدة، وجميع موادها الغذائية صناعية ومستوردة[٢].

ويشاهـد الزائر لمحافظة الطائـف انتشار المطاعم الصغـيرة و(البوفيهات)، والاستراحـات (المقاهي)[٣] و (الكافي شـوب)[٤] داخل المدينة، وفي مدن الأرياف والمراكـز الرئيسيـة، وعلـى قارعـة الطـرق العامة الكبـيرة والفرعيـة، وفي بعض المتنزهـات، والأمكنـة أو المـدن السياحيـة، وفي الأسواق، ومحطـات النقل، والمدن الصناعيـة، والمطار وغيرها. وفي هـذه المواقع تقدم خدمات كثيرة تصب في تقديم

(١) تاريـخ تجـارة الأغذية والأشربـة التي تجلب من مدن وبلـدات عديدة في الجزيرة العربيـة، أو من خارج البـلاد السعوديـة إلى كل مـن مدن الحجـاز أو غيرهـا في المملكـة العربية السعودية، أو مـن خارج البلاد السعودية إلى كل من مدن الحجاز أو غيرها في المملكة العربية السعودية من الموضوعات الجديدة، ويجب دراستها في عشرات البحوث العلمية الموثقة.

(٢) ليسـت الطائف الوحيدة التي تعرض مثل هذه الأطعمة، وفيها مطاعم متخصصة أو أجنبية، وإنما جميع هـذه المطاعـم موجودة في عموم مدن المملكة العربية السعودية. وهـذه الأطعمة لها أضرار صحية كبيرة، لمـا تحتويـه من مواد حافظة تضر أكثر مما تفيـد. ومثل هذا الجانب جدير بالدراسـة والبحث، وتوضيح إيجابيـات وسلبيات هذه الأغذية. وهذا العمل من مسئوليات الجامعات وبخاصة كليات الطب والصيدلة، وأيضاً وزارة الصحة، وإدارات البيئة والأغذية.

(٣) يقصد بـ (المقاهي): أي أمكنة يتجمع فيها الشباب والرجال لشرب الشاهي، والقهوة، ومشاهدة التلفاز، وشـرب الشيشـة، وهذا النوع مـن الأمكنة توجد في جميع أنحاء المملكة، لكنهـا موجودة بكثرة في الحجاز وبخاصة مكة وجدة والطائف.

(٤) الكافي شوب: أمكنة جديدة، ظهرت خلال السنوات العشر الماضية، يجلس فيها الرجال، وأخرى للنساء، وأحيانـاً يكون المكان مقسوماً إلى قسمين، قسم للرجال، وآخـر للنساء، ويقدم فيه القهوة والشاي والتمر والحلويات وأنواع أخرى من الكيك، والفطائر وغيرها. وهذا النوع من الأمكنة أفضل وأنظف من المقاهي، ويقـدم فيها خدمات أجود. وأقول أن تاريخ المقاهي و(الـكافي شوب) جديرة بالبحث والدراسة في بحوث علمية موثقة.

الطعام والشراب وتهيئة الجو والمكان المناسبين للاجتماع والاسترخاء لشرائح عديدة من المجتمع[١].

وفي الصفحات السابقة سردنا فقط صوراً من تاريخ الشراب والطعام الحديث والمعاصر في محافظة الطائف[٢]، ولم نوضح المشاكل والمعاناة التي واجهها الأوائل في توفير أطعمتهم، وطرق التعاون أو تبادل المنافع في تجاراتهم ومزارعهم وحرفهم التي تدور حول جلب الشراب والطعام وتوفيره على مستوى الفرد أو الجماعات. كما أننا لم نناقش كثرة الأطعمة والأشربة في وقتنا الحاضر، وما يواكبها من تبذير وإسراف، أو عدم الوعي الصحي في تناول بعض المأكولات والمشروبات الضارة بالإنسان وللبيئة بشكل عام، ولم نفصل كل نوع من أنواع الأطعمة والأشربة الموجودة اليوم التي يتناولها الأفراد، والأسر، والجماعات، ولم ندرس ونقارن الأعراف والعادات المصاحبة لتقديم الأطعمة والأشربة على المستويين العام والخاص[٣].

أما اللباس والزينة، فهو أحد المظاهر الحضارية التي عرفها الطائفون ومارسوها. ولباس وزينة الناسِ قديماً محدودة في أنواعها، وألوانها، وعددها. وحالة سكان المدينة أفضل حالاً من أهل الأرياف والبوادي والقرى، لوفرة أدوات الزينة واللباس في أسواقهم، واختلاطهم مع أهل مكة، وكثيراً من عاداتهم في اللبس والتزين[٤].

---

(١) تاريخ الترفيه والاسترخاء من الموضوعات الجديدة التي لا يلتفت لها عموم الباحثين، ومحافظة الطائف مصيف ومنطقة سياحية منذ العصر الجاهلي، ولها سجل حافل بخدمة الترفية والاصطياف وهذا الميدان جدير بالبحث والدراسة في عدد من البحوث العلمية.

(٢) من يذهب أيضاً إلى أسواق الخضروات والفواكه، وإلى أسواق التمور، وأسواق التوابل، ومستودعات بعض المأكولات والأشربة، وأسواق الطيور والحيوانات الأليفة، والأسماك، وغيرها فإنه سيرى مصادر غذائية كثيرة، وجميعها تصب في خدمة الإنسان واستمرار عيشه. ولكل صنف من هذه الأسواق والأنواع آليات ونظام في توفير أصناف كثيرة من المشروبات والمأكولات.

(٣) كل هذه النقاط جديرة بالدراسة والبحث الرصين، وهناك جوانب أخرى كثيرة لم نذكرها، وميدان الشراب والطعام واسع ويستحق أن يدرس في عشرات البحوث والكتب العلمية.

(٤) مجتمع مكة خليط من البشر والأعراف المختلفة، والمكيون كانوا يرتادون الطائف مصطافين وتجاراً وعلى علاقات اجتماعية عديدة مع أهل الطائف، كما أن الطائفيين كانوا يترددون على مكة باستمرار وبالتالي تأثروا بالمكيين في كثير من أنماط الحياة، كاللبس والزينة والطعام واللهجة والعمارة وغيرها. حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس العلاقات الاجتماعية بين أهل مكة والطائف عبر أطوار التاريخ الإسلامي.

وتتفاوت الألبسة بين الأفراد والأسر، والعامل المادي هو السبب الرئيسي في هذا التفاوت، فالأغنياء، والوجهاء، ورجال الدولة من الأمراء، والقضاة وغيرهم، تكون ألبستهم الداخلية والخارجية أكثر عدداً وأجود في النوع واللون، أما الأسر الفقيرة فألبستها محدودة، وربما يعيش الرجل أو المرأة في لباس واحد يتكون من الثوب وغطاء الرأس لسنوات عديدة[١].

ويذكر لي بعض الرواة الذين عاشوا في الطائف خلال السبعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) أن عامة الناس كانوا قليلي الألبسة والزينة، وذلك للفقر الذي يعيشه المجتمع آنذاك[٢]. يقولون أيضاً أنه كان في الطائف أسواق أسبوعية قليلة يباع فيها بعض الأقمشة، والثياب، والملاحف، والعمائم، والأقنعة، والأحزمة، وبعض أدوات الزينة مثل: الكحل، وبعض العطور، والحنا، وبعض الحلي المصنوعة من النحاس، والفضة وقليل من الذهب[٣]. وأشكر الأستاذ السيد عيسى القصيرِّ الذي ذكر أسماء بعض الألبسة وأدوات الزينة القديمة التي كان يستعملها أهل الطائف (نساءً ورجالا) في منازلهم أو بعض مناسباتهم الاجتماعية داخل مدينة الطائف[٤]. وفي المعلومات المختصرة الآنف ذكرها، لم نذكر أسواق الزينة واللباس التي عرفها

(١) هذه الظاهرة وفقر الناس وقلة ذات اليد كانت منتشرة في عموم الجزيرة العربية، وكانت بلاد الحجاز في وضع اقتصادي افضل من غيرها.

(٢) هذا ما سمعته من بعض الأقارب أو رجال قبيلتي (بني جبير بالنماص) الذين كانوا يعملون في مكة والطائف خلال السبعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وقد ذكر لي بعضهم المعاناة التي كانوا يعانونها في مدينة الطائف، فلا ألبسة كافية لديهم، وعموم الناس كانوا كذلك، وذكروا أنه كان هناك بعض الأشراف والأسر والأفراد المقتدرين مادياً إلى حد ما، فهم يمتلكون ألبسة وأطعمة أفضل من غيرهم، لكنها لم تكن فائضة أو كثيرة.

(٣) ويروي لي بعض السرويين من مناطق غامد وزهران وبلاد بلقرن وبني شهر أنهم كانوا يعملون في القطاع العسكري بالطائف، أو في مكة خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وبعضهم كانوا يشتغلون في بعض مزارع الطائف، أو سقائين، وينقلون الأمتعة والأغراض في السوق أو عند بعض الأسر، وعندما يعودون إلى بلادهم فإنهم يذهبون إلى سوق الطائف المركزي في برحتي القزاز والعباس فيشترون بعض الملاحف، والأقمشة الرخيصة للرجال والنساء، وأحياناً يأخذون غتراً (عمائم) وأحزمة، وأقنعة نسائية، وأحذية مصنوعة من الجلد أو البلاستيك، وهناك من يشتري سكاكين (خناجر) للزينة ويحملونها إلى قراهم كي تهدى لأفراد أسرهم وبعض الأقارب، وهناك من كان يحضر معه (لفات) كبيرة من الأقمشة الرجالية والنسائية ثم تقص في هيئة كسوة وتوزع على جميع أفراد القرية أو العشيرة. وقد عاصرت شيء من هذه العادة في قرية الوالد (آل رزيق) بمحافظة النماص خلال الثمانينات من القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٤) انظر كتاب السيد عيسى القصيرِّ، الطائف القديم، ص ٢١١ وما بعدها، ونجده أيضاً تحدث عن المرأة الطائفية وأدوات زينتها، وما تتحلى به من قيم وأخلاق في مجال الزينة واللباس. المصدر نفسه، ص ٢١٢-٢١٤. ونحن في أمس الحاجة إلى دراسة تاريخ الزينة واللباس في منطقة الطائف، بادية وحاضرة، خلال القرون الماضية المتأخرة ومن يبحث هذا الموضوع فسوف يطلعنا على صور حضارية جميلة عاشها الآباء والأجداد في بلاد الطائف وما حولها من بلاد تهامة والسراة.

الطائفيـون في القرن الرابع عشر الهجـري وما سبقه من قرون، ولم نشر إلى أنواع الألبسـة الداخلية عنـد النساء والرجـال والأطفال، ولم ندرسـ اللباس الخارجي للجنسين مـن الصغار والكبار، ولا لباس الرأس والأقـدام، ولا المواد الأولية للزينة واللباس، وهل هي محلية من الحجاز؟ أو مستوردة من خارج الطائف ومكة أو مان لجزيرة العربية؟ ولم نذكر الأيدي العاملة التي كانت تصنع الألبسة والزينة لجميع أفراد المجتمع، وما هو الفرق بين ألبسة المدينة الحاضرة، والبوادي والأرياف؟ ولم نبحـث المعوقات والعقبات التي كانت تواجه جميع شرائح المجتمع للحصول على ما يحتاجونه من لباس وزينة، وأسئلة أخرى كثيرة تدور في فلك تاريخ اللباس والزينة قبل تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) [١].

والمشاهـد لأوضاع اللباسـ والزينة في محافظة الطائف اليـوم سيجد التشابه والتقارب لجميع طبقات المجتمع في عموم المملكة العربية السعودية. ومن يبحث عن أفـراد أو اسر ما زالوا محافظين على ألبسـة الأوائل من الآباء والأجداد فلن يجد، وقـد يكون هناك بعضـ كبيرات أو كبار السن من هم متمسكـون بالألبسة القديمة في المنـزل أو في بعض المناسبات العامة والخاصـة [٢]. والمتجول في عموم المحافظة يـرى مئات الأسواق العامة والمتخصصة التي تحتوي على آلاف الألبسة، والأقمشة، والأغطيـة، ومثلها من أدوات الزينة مثـل: العطور، والمساحيق، والحلي وغيرها من أغراضـ التزيـين عند النساء والرجـال. ومن يذهب إلى أحـد الأسواق الكبرى في الطائـف فإنه يعجز عن حصر ما يشاهده مـن أدوات للزينة وأنواع الألبسة لجميع طبقـات المجتمع، كمـا سيشاهد ألبسة وزينـة النساء والأطفال هـي الطاغية على جميع الأسواق الصغيرة والكبيرة، وجميع هذه الألبسة والزينة مستوردة من خارج

---

(١) هذه أسئلة ونقاط عديدة لم ندرسها، ونوردها هنا للتذكير بأهميتها، والوجوب في بحثها ودراستها، وهذه مـن مسئوليات المؤرخين والباحثين الجادين في محافظة الطائـف، وفي القسام العلمية الأكاديمية المعنية بمثل هذه الأمور في جامعات أم القرى، والملك عبدالعزيز، والطائف. وإذا كان الأخ السيد عيسى القصيِّر قـد ذكر نماذج مـن ألبسة أهل الطائف، فإننا نحـث أساتذة جامعة الطائـف، وبخاصة المتخصصين في علـوم التاريخ والحضارة والاجتمـاع أن يدرسوا مثل هذه المحاور الجديـرة بالبحث والتوثيق. ومن يرغب معرفـة أنـواع كثيرة من أدوات الزينة والألبسة القديمة، فعليه أن يزور بعض كبيرات وكبار السن من أهل مدينـة الطائف والبوادي، ويزور أيضاً بعض المتاحف التاريخية العامة والخاصة التي توجد في المحافظة، وسوف يرى نماذج من تلك الألبسة القديمة متعددة الأشكال والأغراض.

(٢) شاهـدت بعض كبيرات أو كبار السن في بعض أحياء أو أسواق مدينة الطائف، وفي بعض القرى الطائفية مـا زالوا يلبسون الأثواب والأحزمة والعمامة القديمة، وهنـاك بعض البخاريين أو الأفغان المسنين ما زالوا أيضاً محافظين على ألبستهم التراثية، لكنهم جميعاً نسبة قليلة في مجتمعات محافظة الطائف.

البلاد[١]، ومن يذهب إلى بعض الأسواق الشعبية فإنه سوف يجد أثواباً، أو أقمصة قديمة كانت هي الألبسة الرئيسية عند الأوائل، وقد شاهدت بعض الدكاكين في المنطقة المركزية بالطائف تقوم على عرض وبيع مثل هذه الألبسة، وأسعار بعضها غالية تصل إلى مئات الريالات، والذي يشتريها السواح والمصطافون من باب الاقتناء والذكرى وليس للبس والتزين[٢]. وللأسف أننا نشاهد ألبسة كثيرة تعرض في الأسواق، وبخاصة للنساء، وهي بعيدة عن الستر والحشمة، وتظهر أجزاء كثيرة من الجسد، كما أن بعضها شفاف أو ضيق، ويذكر لي أن كثير من النساء يحرصن على اقتنائها ولبسها في المناسبات العامة والخاصة، والمشكلة أن كثيراً من موديلات هذه الألبسة أجنبية ومستوردة، وأصبحت النساء المسلمات لا يدركن خطورتها، والإثم الكبير من لبسها[٣]. وإن توقفنا مع اللباس الرسمي للرجال فهو الثوب والغترة والعقال، وهناك من يلبس (البشت) المشلح في بعض المناسبات الرسمية والاجتماعية. كما أن الألبسة الحديثة تختلف بين شرائح المجتمع الطائفي، فالسعوديون من الأربعين، لأن الذين يلبسون البنطال والقميص في هذه الشريحة الأخيرة كثيرون، ومنهم من يلبس البسة غير لائقة لضيقها، أو عدم سترها للعورة، ومعظم الأجناس الوافدة إلى محافظة الطائف من عرب وغيرهم يلبسون البنطال والقميص في داخل المنازل وخارجها، وجميع الأطفال (ذكوراً وإناثاً) يلبسون الأقمصة والبنطال، وقليل من هذه الشريحة من يلبس الثوب، ومعظم الأسواق الحديثة مليئة بهذه الأنواع من اللباس[٤].

---

(١) تاريخ اللباس والزينة المعاصر من الموضوعات التي يجب توثيقها ودراستها، وإذا لم تقم مراكز البحوث ومؤسسات التعليم بهذا العمل، فقد يأتي زمن يضيع هذا التاريخ ولا تعرف الأجيال القادمة عنه شيئاً.

(٢) الألبسة الشعبية والمحلية القديمة موجودة في بعض الأسواق في جميع مدن المملكة، ولم يصبح لها تلك الشهرة والسمعة التي كانت تتمتع بها خلال القرن (١٤هـ/٢٠م). ودراسة تاريخ الألبسة القديمة ومقارنتها مع الألبسة الحديثة من الموضوعات الجديدة الجديرة بالبحث والتوثيق.

(٣) ما زال أغلب النساء، والحمد لله، في المملكة العربية السعودية يلبسن الحجاب (العباءة)، وهذا فضل من الله، لكنهن جميعاً يلبسن هذه اللبسة الآنف ذكرها أعلاه في بيوتهن وحفلاتهن، كما أن البنطال والقميص انتشر بين الرجال والنساء وعند جميع الشرائح، حتى أننا نشاهد بعض الرجال والشباب يرتادون الأمكنة العامة وأحياناً الرسمية وهم يلبسون هذا الألبسة، أما النساء فأغلبهن يلبسن هذا اللباس في الداخل والخارج، ونشاهد معظم النساء يلبسنه من تحت العباءة في الأسواق والأماكن العامة.

(٤) ما جرى على عادات الناس اليوم من تحولات في اللباس والزينة موضوع كبير، ويجب دراسته في مراكز بحوث علمية، يقوم عليها أساتذة في علوم التاريخ والاجتماع والحضارة والتنمية وغيرها. كما أنه يجب الحفاظ على الزينة واللباس الذي يتوافق مع شرع الله، ومحاربة ما يخالف ذلك، ونحن نرى اليوم كثير من المخالفات والتغيرات التي لا تتوافق مع قيمنا ومبادئنا وعادات آبائنا وأجدادنا، وما شرعه الله (عز وجل) لنا في حياتنا الاجتماعية والحضارية.

وإذا تأملنا في لباس الأقدام فهي متنوعة في الشكل والنوع والجودة ومصادر الصنع، ومن يزور أسواق الأحذية الرجالية والنسائية فإنه يقف أمام كم هائل من الجزمات الرسمية والرياضية، والنعال والأحذية المختلفة، وأحذية النساء وجزماتهن ربما أكثر في التنوع، والأسعار، والجودة، والأغراض[١].

٤- **بعض الفنون والألعاب:** بلاد الطائف ثرية بألعابها وفنونها، ومن أهم الفنون التي عرفها ومارسها الطائفيون حتى اليوم. لعبة المجرور الطائفي. ويطلق على هذا الفن في الأساس (مُعيمي) أو (القُصيمي)، وينقسم إلى ثلاثة أقسام، هي: (١) فن يمارسه سكان بوادي الطائف، وهي بداية القصيمي، وتستعمل فيه فقط خربة الكفوف، وهذا الفن يشبه القلطة في الخليج العربي[٢]. (٢) نوع يمارسه سكان قرى وأرياف الطائف، وتستخدم فيه ضرب الكفوف وضرب الطيران (الطبلات)، ويكون الأداء في هذا النوع سريعاً مع إيقاعات منسجمة مع الحركات[٣]. (٣) لعب يمارسه سكان المدينة، ويتكون من صفين متقابلين وتستخدم فيه الطبلات (الطيران) وطبول عديدة أثناء ممارسته[٤]. ويعرف المجرور في بداية نشأته في القرن (١٣هـ/١٩م) بالقصيمي، أو (النص الرائق)، ثم تطور حتى أصبح لا يعرف في العقود التاريخية المتأخرة إلاّ باسم (المجرور الطائفي)[٥]. ولهذا الفن أنواع هي المخومس (الخماسي) لأن اللاعبين في كل صف خمسة أشخاص، أو المروبع (الرباعي) والسامر الذي هو مجرور النساء وله

---

(١) نمط التمدن، والاعلام، وحلقات التواصل الاجتماعي، وتقارب ثقافات العالم جعلت جميع شرائح المجتمع تسير في ركاب الحضارة الحديثة التي تحمل معها كثير من السلبيات في نظام الحياة العامة والخاصة. واللباس والزينة إحدى الميادين التي تأثرت بما يعيشه العالم اليوم، وبيوتنا وأسواقنا أصبحت مليئة بآلاف الأنواع من أغراض اللباس والزينة لجميع أجزاء الجسد، فهذا من نعم الله (عز وجل) على خلقه، لكن يجب أن ندرك أننا مسلمون، ولنا دين شرع لنا نظام حياتنا في كل الميادين وعلى جميع الطبقات والمستويات، ولهذا فالواجب علينا جميعاً ذكوراً وإناثاً، صغاراً وكباراً أن نلبس ونتزين بما يوافق ديننا، ويرضى عنه ربنا، ويرفع درجاتنا في الدنيا والآخرة. وهذا ندائي أوجهه إلى كل مسلم ومسلمة يريد الفوز بالجنة والنجاة من النار. (والله من وراء القصد).

(٢) القُصيمي: بضم القاف، هي لعبة شعبية عند أهل الطائف، وكانت تلعب في المزارع والبستاني بدون ضرب الطبلات (الطيران)، ثم أدخل عليها بعض التعديلات واستخدمت فيها الطبول والطيران، وأصبح اسمها (المجرور الطائفي). مقابلة مع مناحي القثامي في الطائف في الفترة من (٤-١٤٣٨/١١/٨هـ).

(٣) المصدر نفسه، مقابلة مع السيد عيسى القصيِّر في مدينة الطائف في (١٤٣٨/١١/٦هـ).

(٤) المصدران نفسهما.

(٥) يذكر أن فن المجرور الطائفي بدافع قبيلة الأشراف ومواليدهم والقبائل المجاورة لمدينة الطائف مثل قبيلة طويرق في أرياف الطائف، ثم أصبح خاصاً بأهل الطائف، واشتهرت به المحافظة الطائفية. مقابلة مع الأستاذ مناحي القثامي في الطائف في يومي (٦-١٤٣٨/١١/٧هـ).

إيقاع خاص. والمجرور الطائفي انتشر في عموم محافظة الطائف وفي نواحي أخرى من مناطق الحجاز[١]. وتمارس لعبة المجرور في هيئة صفين متقابلين، وفي كل صف مجموعة من الرجال متقابلين، وعلى الأطراف من يقرع الدفوف (الطبول)، وتبدأ اللعبة من قبل رئيس الفرقة الذي يلقن لحن الدور إلى أحد الصفين، ويواصل الصف الثاني رد الجواب على ما قاله الصف الأول في شكل عبارات شعرية منسجمة مع أداء اللعبة، ويقرع كل فرد من الصفين المتقابلين الطبلة (الطارة)، وتكون قرعاتهم متوافقة مع إيقاعات ضاربي الطبول الرئيسية، ثم ينزل لاعب أو لاعبان إلى وسط الملعب، وتكون حركاتهم متوافقة مع إيقاع الطبول، وهناك ثلاث حركات لأداء ما يسمى بالكسرة في هذا الفن، ويجب على جميع اللاعبين تقليد حركات اللاعب الذي في الوسط، والسير على خطاه أثناء ممارسة هذا الفن[٢].

ويتبع لعبة المجرور الطائفي ثلاثة فنون أخرى هي: المجالسي: يؤديه اللاعبون وهم جلوس، وهو كلمات تؤدى وفنون أخرى اشتهرت بها الطائف وغيرها من بلاد الحجاز، مثل: (١) المجالسي: وهو كلمات تؤدى بصيغة الموال دون إيقاعات، ويكون الممارسون لهذا الفن جالسين (٢) الحدري: هو مفردات وجمل تقال، ولحن واحد معين دونما إيقاع، وليس فيه إبداع أو صعوبة في الأداء. (٣) المزمار: من ألوان التراث الحجازي، وهو مجرد إيقاعات وقرع للطبول ويطلق عليه أحياناً (الكيجي)، وهو ضربات بالكفوف ولا يقال فيه غناء أو إنشاد. (٤) الزومال: ضرب بالكف مع الغناء (٥) الصهبة: وهو ضرب بالكفوف وغناء وإيقاعات محددة. (٦) لعبة (حيوما): كانت هذه اللعبة خاصة بسكان المناطق الجبلية الجنوبية الغربية من محافظة ا لطائف، وتؤدى على هيئة صفين من اللاعبين مع الإنشاد والضرب بالكفوف والطبلات (الطارات)، وحركات مستديرة، ولها ملابس وألحان خاصة، ولا يمارسها اليوم إلاّ كبار السن، ولها أشعار وأهازيج لم تدون[٣]. (٧) السامر: فن

---

(١) الباحث شاهد ممارسة هذا الفن في إحدى المناسبات الاجتماعية في حاضرة الطائف في الفترة من (٤-٨/١١/١٤٣٨هـ).

(٢) شاهدت فنوناً والعاباً شعبية عديدة في عموم بلاد تهامة والسراة، وكل لعبة يكون لها أفراد مميزون يودون إيقاعات الفن أو اللعبة أمام المشاركين، الذين يسيرون على خطاهم ويطبقون جميع حركاتهم وأفعالهم. وأقول أن تاريخ الفنون الشعبية في هذه البلاد من الموضوعات الكبيرة التي تعكس صوراً من حياة الشعوب، وهي جديرة أن تدرس في كتب ورسائل وبحوث علمية مفصلة.

(٣) أين مؤرخو وأساتذة جامعة الطائف؟ أين مراكز البحوث العلمية في هذه الجامعة المحلية؟ ألا يجب دراسة موروث محافظة الطائف وحفظه؟ هذا نداء أوجهه إلى هذه الجامعة وإلى كل باحث غيور على تراث الآباء والأجداد، وهذه المسئولية علينا جميعاً معاشر الباحثين والمؤرخين في عموم الجزيرة العربية.

كان يمارس في مدينة الطائف، ويختلف عن السامري المعروف في وسط الجزيرة العربية وشرقها، ويمارسه نساء الطائف داخل البيوت في مناسبات الأعياد والزواج والختان وغيرها، وكانت النساء الطائفيات يمارسنه وينشدنا بعض الأشعار التي تحث الرجال على الذهاب إلى الحج أو التجارة أو البطولة أو الشجاعة وغيرها[١]. (٨) لعبي يلي: لعبة شعبية لأهل القرى والجبال في محافظة الطائف، وتتكون من صفين متقابلين مع الإنشاد والحركات المتناسقة، وقد اندثرت هذه اللعبة فلا يعرف ممارستها إلاّ قلة قليلة من كبار السن[٢]. (٩) المراد (المعلبة): تعرف في شرق الجزيرة العربية باسم (القلطه)، وما زالت معروفة وتودى بشكل كبير عند سكان بوادي وأرياف الطائف، وهي صفان متقابلان من اللاعبين، وشاعران يجيدان الشعر النبطي، يقولون أشعار في صيغة محاورة، واللاعبون يمارسون حركاتهم ورقصاتهم على ضوء ما يسمعون من هذين الشاعرين. (١٠) الروح: فن شعبيٍ عند قبائل محافظة الطائف الجنوبية، وهو مجموعة من الرجال يذهبون ضيوفا في مناسبة اجتماعية إلى قرية أو عشيرة أو قبيلة، وعند اقترابهم يسيرون في خطوات محددة مع رفع أصواتهم ببعض الأناشيد التي يذكرون فيها فضائل ومآثر الأقوام الذين في استقبالهم[٣]. (١١) الطرب: يعتمد هذا الفن على الآلات الوترية وبعض الآلات الأخرى الموسيقية، وتمتاز الطائف بجمال طبيعتها وجودة مناخها، كما برز في مدينة الطائف عدد من الفنانين الكبار خلال العصر الحديث، مثل: طارق عبدالحكيم، وطلال مداح، ومغنون ومطربون آخرون عديدون[٤]. (١٢)

---

(١) من خلال مقابلتي بعض مؤرخي الطائف، وبعض الأساتذة في التعليم العام والعالي سمعت أخباراً وروايات عديدة عن الأهازيج والفنون والأشعار الشعبية التي عرفتها بلاد الطائف خلال القرنين الماضيين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م)، وأنادي من على صفحات هذا البحث في الباحثين والأساتذة في محافظة الطائف، وأقول الواجب عليهم جمع وتدوين وحفظ هذا الموروث الحضاري العريق.

(٢) علينا مسئولية كبيرة تجاه هذه الفنون الشعبية المنقرضة، يجب البحث عنها، وتدوين تراثها حتى يطلع عليه أبنائنا وحفدتنا.

(٣) هذا ما سمعه الباحث من بعض أعيان ووجهاء محافظة الطائف، ومن بعض الكتاب والمؤرخين في الفترة الممتدة من (٤-٨/١١/١٤٣٨هـ). وأقول أن الموروث الفني الشعبي في محافظة الطائف متعدد الأنواع والأشكال، ومنه القديم المبكر والمتأخر الحديث والمعاصر، ويحتاج إلى جمع ودراسة ومقارنة، وهذا العمل من مسئوليات جامعة الطائف والمراكز البحثية والعلمية في المحافظة.

(٤) موضوع تاريخ الفن الغنائي والطرب في محافظة الطائف من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس، والواجب على الباحثين والمؤرخين أن يدرسوا أعلام الطائف في كل فن ومجال. وهذه الأعمال من أهم الواجبات التي يجب أن تقوم بها الجامعة ومؤسسات العلم والفكر والثقافة في منطقة الحجاز.

وعند بوادي وقرى الطائف بعض الفنون الأخرى، مثل: العرضات، وبعض الأهازيج والرقصات وضرب الطبول غيرها[١].

وأثناء رحلتي في الطائف في الفترة من (٤-٨/١١/١٤٣٨هـ) زرت فرع جمعية الثقافة والفنون في المحافظة، والتقيت ببعض موظفيها ووجدت عندهم منشورات مختصرة تعكس نشاطات الجمعية في حفظ بعض الفنون الشعبية والتشكيلية والتراثية والحضارية، ومن خلال جولاتي في أجزاء عديدة من المحافظة تأكد لي أن فنون وتراث هذه البلاد لا يمكن جمعه وحفظه ودراسته من خلال جمعيه، أو ناد، أو مؤسسة محدودة في إمكاناتها، وإنما هذا المشروع كبير ويحتاج إلى تضافر الجهود بين الجامعة، والمحافظة، ومؤسسات الفكر والثقافة، وجميع الباحثين والمؤرخين في عموم المحافظة[٢].

وعن الألعاب الرياضية الحديثة في محافظة الطائف التقيت بالأستاذين مناحي القثامي، والسيد عيسى القصيِّر فذكرا لي أن حاضرة الطائف عرفت عددا من الفرق والنوادي الرياضية خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)[٣]، ومن تلك النوادي: نادي أشبال المنصور، ونادي الكواكب، ونادي وج، ونادي التضامن، وفريق برد بالطائف، وفريق ثقيف، وفريق عكاظ، وفريق وج الثاني، وفريق الجيش بالطائف، ودورة المصيف[٤]. وذكرا لي بعض الأنشطة التي كانت تمارس في بلاد الطائف منذ بدايات النصف الثاني في القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى العقدين الأولين من هذا القرن

---

(١) هذا ما سمعته من بعض المعلمين والأفراد في مدينة الطائف وبعض أريافها في الفترة من (٤-٨/١١/١٤٣٨هـ).

(٢) كما اشرنا في مقدمة هذا القسم إلى تنوع مجتمع الطائف البشري، وهذا التنوع أفرز تعدد الفنون والألعاب الشعبية التي تمارس في عموم بلاد الطائف. فمن يدرس أبناء القبائل والعشائر يجد عندهم فنوناً تختلف عن الفنون التي عند البخاريين والصينين والتركستانيين والأفارقة في المحافظة، وكذلك عند جميع العناصر الأخرى الوافدة والمقيمة في أنحاء البلاد. وأقول أن دراسة فنون وألعاب كل شريحة من شرائح المجتمع من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس وتستحق أن تصدر في عدد من البحوث والرسائل العلمية. وللمزيد عن تاريخ الفنون الشعبية في محافظة الطائف، انظر مناحي القثامي، تاريخ الطائف، ص ١٠٩-١١٨، السيد عيسى القصيِّر، الطائف القديم، ص١٤٤-١٤٧.

(٣) مقابلة مع مناحي القثامي، والسيد عيسى القصيِّر بالطائف في الفترة من (٤-٨/١١/١٤٣٨هـ).

(٤) المصدران نفسهما. هذه النوادي جديرة أن يفرد لكل ناد أو فرقة دراسة مستقلة ونأمل من الأستاذين الكريمين القثامي أو القصيِّر أن يدرسا هذه النوادي، أو يشجعا بعض المؤرخين أو الباحثين الجادين في محافظة الطائف على دراسة مثل هذا الموضوع الحضاري. وللمزيد انظر القثامي، تاريخ الطائف، ص ١٣٥-١٤٦، القصيِّر، الطائف القديم، ص ١٥٤-١٦٥.

(١٥هـ/٢٠م)، كما أشارا إلى بعض اللاعبين في هذه الأندية، والألعاب التي كانوا يمارسونها وبخاصة كرة القدم، والطائرة، واليد وغيرها[١]. ومن خلال جولاتي في أجزاء عديدة من المحافظة خرجت بعدد من الرؤى حول الفنون والألعاب في بلاد الطائف، ونذكر منها ما يلي:

أ-عرف الأوائل فنوناً وأهازيج وألعاباً فنية ورياضية داخل المدينة وفي القرى والبوادي وكثير من هذه الفنون انقرضت ولا نعرف عن كثير منها أي شيء، والواجب على أرباب القلم والباحثين تدارك الأمر وإجراء مقابلات مع كبار السن الأحياء وجمع شيء من تلك الصور الحضارية حتى تنقل إلى أجيال الحاضر والمستقبل[٢].

ب-من سلبيات الحضارة والتمدن الذي تعيشه محافظة الطائف خلال العقود الثلاثة الماضية المتأخرة أنه وفد إلى البلاد أعداد كثيرة من الفنون والألعاب المستوردة من داخل البلاد وخارجها والتي لا تتوافق مع عادات وأعراف الناس الأصيلة. ومن ثم بدأت الفنون والألعاب القديمة تتلاشى بل بعضها لم يصبح له وجود، وحل محلها موسيقى وأغان وأهازيج وفنون خالية من الفائدة الفكرية والعقلية والتربوية والجسدية، وأصبح ضررها أكثر من نفعها، وظهرت أجيال جديدة تربت وتشربت هذه الفنون الحديثة، لا تعرف أي شيء عن تلك الفنون والرياضيات القديمة المفيدة[٣].

---

(١) ما زلت أنادي في جميع المؤرخين والباحثين في محافظة الطائف على أن يدرسوا تاريخ الرياضة قديماً وحديثاً في هذه البلاد، وهذا العنوان موضوع جديد لم يدرس في هيئة كتاب أو رسالة علمية ويستحق الدراسة العلمية الموثقة.

(٢) هذه مشكلة وجدتها في معظم مناطق الجنوب من الطائف ومكة شمالاً حتى نجران وجازان جنوباً، وفي هذه البلاد عدد من الجامعات المحلية وعليها واجب كبير تجاه جمع التاريخ الحضاري الذي عاشته شعوب هذه الأوطان خلال القرون الماضية، الفنون الشعبية والرياضية جزء من تلك الحضارة.

(٣) زرت بعض الأندية الشبابية في الطائف، وتجولت في بعض الحدائق والمتنزهات التي يمارس على أرضها شيء من الألعاب، والفنون المعاصرة وجميعها تحمل الكثير من السلبيات التي تؤثر على صحة الشباب (ذكوراً وإناثاً) ولها أضرار على عقول وثقافة وفكر شرائح كثيرة في المجتمع. وإذا تناقشت مع بعض الأفراد الصغار أو متوسطي الأعمار نجدهم لا يعرفون شيئاً عن فنون ورياضيات آبائهم وأجدادهم، وهي كثيرة وجميلة في مبناها ومغزاها. ومن يشاهد الأفراد والأسر الطائفية في أسواقهم، ومنازلهم ومناسباتهم الاجتماعية المختلفة تجدهم مقلدون لفنون يشاهدونها أو يقرؤون عنها في وسائل الإعلام، أو يعرفونها من بعض الأصدقاء والصديقات، ومن ثم فالكثير من هذه الفنون والألعاب الحديثة لا طعم

٥-عادات وتقاليد وأعراف أخرى:

للطائفيـين في الحاضرة والبادية عادات وأعراف قديمة بعضها اندثر، وأخرى مـا زالت تمارس على نطاق ضيق، أو في صور اجتماعية مختلفة عما عرفه الأوائل. فالتعـاون والتكافـل والتقـارب كانت من أهم العـادات التي يعيشهـا أهل محافظة الطائف في المدينة والقرية والبادية. فكانوا متعاونين متحابين متقاربين في ممارسة جميـع أعمالهم الاجتماعية والاقتصادية والحضاريـة، ومن الصعب أن تجد فرداً أو أسـرة في محيط بـلاد الطائف غير فرعية مـن أهلها وجيرانهـا وأبناء حارتها أو قريتهـا[١]. نعم كانت حياة الناس الاقتصادية بسيطـة ومتواضعة فالغالبية من سـكان المجتمع يعيشون حياة الكفاف، وهنـاك فقراء ومعـوزون من أهل البلاد، إلاّ أنهم كانوا يجدون المساندة والرعاية من أهلهم وبني جلدتهم[٢].

وأثنـاء تجـوالي في المحافظة حصلت علـى بعض الوثائـق التاريخية التـي تعود إلى القرنـين (١٣-١٤هـ)، والتقيـت ببعض المسنـين في مدينة الطائـف، ومناطق أخرى في المحافظـة، وخرجت من هذه المصادر بالعديد مـن التقاليد والعادات التي كانت موجودة عند أسر أو أحياء أو قرى الطائف، وما زال بعضها إلى اليوم، ومن تلك الأعراف ما يأتي:

أ- كان هنـاك قواعـد وأنظمة يتفـق عليها أفـراد القرية أو العشيريـة أو الحي ويوقعون على ما ورد فيها، وجميع بنودها تنظم حياة الناس فيما بينهم، وتوفر الأمن للجميع، وتعاقب المعتدي أو من يتجاوز على غيره، وفيها عقوبات محددة لـكل جرم يُرتكب، وبالتالي فالجميع يعيشون في حياة تسودها المحبة والرحمة والتعاون[٣].

لها، ولا تعود بفائدة كبيرة على من يمارسها، أو يشاهدها، بعكس بعض الفنون والألعاب القديمة التي كان لها وقع جيد على قلوب وعقول من عرفها أو مارسها. وأقول أن أجراء دراسة مقارنة بين الفنون والألعاب القديمة والحديثة والمعاصرة من الموضوعات الجديرة بالدراسة في عدد من الكتب والبحوث.

(١) هـذا مـا سمعه الباحث من بعض كبار السن الذين التقى بهم في المنطقة المركزية في مدينة الطائف، وفي بعض القـرى والأحياء في مراكز الشفا، والهـدا، وثقيف، وبني مالك بجيلـة، وفي محافظة بني سعد وما حولها في الفترة من (٤-١١/٨/١٤٣٨هـ).

(٢) سمعـت هذه الأقوال من بعض مؤرخي الطائف مثل مناحي القثامي والسيد عيسى القصيِّر في الفترة من (٤-١١/٨/١٤٣٨هـ).

(٣) مـن خلال تجـوالي في عموم بلاد تهامة والسراة خلال الأربعين سنـة الماضية حصلت على آلاف الوثائق الاجتماعيـة التي تنظـم حياة الناس في عشائرهـم وقراهم وأوطانهم. وهذه المصـادر تحتوي على صور حضارية جميلة تعكس حياة الأوائل وهي جديرة أن تجمع وتدرس.

ب- أن عادات الجوار، والزواج، والأعياد، والمآتم، والختان، والتبادل التجاري، والترابط الاجتماعي، وممارسة الحرف الصناعات التقليدية، والتعليم والتعلم، وتقاليد استقبال الضيوف وتوديع المسافرين، وما يجري من أحداث أيام السلم والحرب، والصلات بين أفراد الأسرة الواحدة، أو الأسر المتجاورة، وعادات استقبال الحجاج من أهل الطائف أو من غيرهم، وعادات الأفراح والأتراح في أوقات الرخاء والشدة، وأساليب الزيارة والتهادي في المناسبات العامة والخاصة وغيرها من التقاليد والأعراف قد عرفت وتم ممارستها عند جميع شرائح المجتمع في بلاد الطائف، وكانت في السابق أفضل حالاً، وأضيق نطاقاً في العدد والمكان[1]، أما اليوم فهذه العادات والأعراف ما زالت موجودة عند جميع طبقات السكان، لكنها خالية من روح المحبة والمستوى الذي كانت عليه في حياة الأوائل، بل أن بعضها تدهورت وأحياناً تلاشت، فلم نعد نرى أو نسمع بممارستها، وإنما صارت جزءاً من الماضي[2]. وأسباب ضعف أو اندثار الكثير من التقاليد والعادات الجميلة كثرة المال والرفاهية عند الناس، ثم انفتاح العالم بعضه على بعض ثقافياً وإعلامياً وتعليمياً، وظهور أجيال جديدة لا تهتم بالماضي وبخاصة كل ما له علاقة بتراث وحضارة الاباء والأجداد[3].

---

(١) محدودية حياة الناس قديماً جعلت أفراد القرى أو المجتمع الواحد متقاربين متحابين متعاونين في جميع أمور حياتهم. وكما يقول المثل (الحاجة أم الاختراع)، فالناس سابقاً لم يكن لهم موارد عيش متعددة، فتراهم يقومون على بناء حياتهم ومجتمعاتهم بأنفسهم، فمنهم المزارعون، والتجار، وجميع الحرفيين الذين يمارسون صناعات وحرفاً كثيرة، بل هم الذين يقومون على بناء منازلهم، وكسب أرزاقهم، وبالتالي فهم دائماً في عمل دؤوب حتى يوفروا لأنفسهم وأسرهم حياة كريمة. وأنادي في جميع المؤرخين والباحثين في محافظة الطائف، أو أساتذة جامعات الطائف، وأم القرى، والملك عبدالعزيز على ان يدرسوا جميع المحاور المذكورة أعلاه، وكل عنصر من هذه العناصر يستحق أن يدرس في بحث أو رسالة علمية مفصلة.

(٢) كثير من العادات القديمة تلاشت، والواجب دراستها ومقارنتها مع الأعراف والتقاليد الحديثة، مع توضيح السلبيات والايجابيات بين القديم والحديث.

(٣) هذا الشيء الذي رأيته ولمسته عند أجيال اليوم، وليس هذا الأمر مقصوراً على محافظة الطائف، وإنما هي مشكلة عامة في جميع أنحاء المملكة، وقد تحدثت مع الكثير من الشباب في الجامعات والمؤسسات التعليمية الأخرى، وفي التجمعات العامة والخاصة، فوجدت أن ظاهرة التمدن والتطور الاقتصادي الذي تعيشه البلاد أثر سلبياً على حياة الناس في طعامهم وشرابهم، ولباسهم وزينتهم، وكثير من أعرافهم وتقاليدهم وعاداتهم الاجتماعية وميادين الإعلام، والتعليم، والثقافة، والمؤسسات الحكومية والأهلية الأخرى مثل: بعض الوزارات، أو الإدارات، والامارات، والمحافظات، وأئمة المساجد، والمعلمون والمعلمات، وصناع القرار من الوجهاء والأعيان، والأسرة وغيرهم، عليهم جميعاً مسئولية توعية الإنسان،، وربط حاضره بماضيه، والحفاظ على كل عرف أو تقليد اصيل يصب في خدمة الدين والبلاد، وهذا واجب على كل من يستطيع المشاركة والتأثير في كل عمل مفيد بناء.

ج - سرت في ربوع الطائف، ورأيت الناس من شتى الأجناس يمارسون حياتهم اليومية، وهم متفاوتون في أشكالهم، ومهنهم، ولهجاتهم، وجميعهم يكدون من أجل كسب أرزاقهم، وخرجت ببعض الصور الاجتماعية وبخاصة في باب العادات والتقاليد والأعراف الحديثة والمعاصرة، ونذكر منها ما يأتي:

١- الاندماج الذي يعيشه مجتمع الطائف في الحاضرة والقرية وأحياناً البادية، والأسر والأفراد ومتقاربون في المكان ومتداخلون في أعمالهم، وحياتهم اليومية، وهم في الأساس متباعدون في النسب والأصول، فمنهم عناصر من داخل محافظة الطائف أو المملكة، ومنهم الذين وفدوا من خارج البلاد السعودية، إلا أنهم يجتمعون في المساجد، والأسواق، والمؤسسات الحكومية والأهلية، وفي كثير من المناسبات الاجتماعية العامة. والذي جعلهم على هذه الكيفية، هي وحدة الدين ووحدة البلاد[(١)]. نعم هناك مشاكل تقع في أي مجتمع صغير أو كبير، لكنها تعالج في مهدها من أهل الحل والعقد والعقلاء في أي مكان، وإذا لم تحل فهناك، والحمد لله، مؤسسات حكومية شرعية وأمنية تفصل في جميع المشاكل والقضايا التي تحدث في البلاد[(٢)].

٢- زرت بعض المؤسسات الحكومية في الطائف، مثل: فروع وزارتي الشئون الاجتماعية والإسلامية بالمحافظة، وبعض المحاكم الشرعية، والشرطة، وإدارات التحقيق والادعاء. كما جلست مع بعض القضاة، ورجال الأمن، والأخصائيين الاجتماعيين، والمحامين وسمعت كثيراً من المشاكل التي ترد إلى إداراتهم، أو تعرض عليهم، وهي كثيرة، ومنها: الصراعات بين الأقارب أو الأسر أو الجيران على بعض

---

(١) دين الإسلام، هو الدين الشامل الباقي إلى يوم القيامة، وهو الدين الذي لا يفرق بين الناس مهما كانت أعراقهم، وألوانهم، ومواطنهم، ولهذا فهو يجمع ولا يفرق، ويأخذ كل حقه تحت مظلة هذا الدين السماوي. كما أن هذه البلاد وحدت على منهج الله، والملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل، هو الرجل الموفق الذي رزقه الله توحيد شمل هذا الوطن حتى أصبح الناس فيه مجتمعاً واحداً يوحدون الله، ويأتمرون بأمره ثم أوامر الدولة السعودية الحديثة.

(٢) دور المؤسسات الحديثة من محاكم شرعية وإمارات، ومحافظات، وشرطة وغيرها هو حفظ الأمن لجميع سكان المجتمع، وهناك قوانين وأنظمة تطبق على الجميع، ويحصل كل فرد أو جماعة على حقوقهم من خلال هذه الإدارات الحكومية. وبالتالي نشاهد جميع البشر في محافظة الطائف وغيرهم ينعمون بنعمة الأمن والاستقرار، فلله الحمد والشكر على ما تفضل به هذا الوطن الكريم.

المواقع السكنية والزراعية، وهي في القرى والأرياف والبوادي أكثر من المدينة[١]. وقضايا أخرى عديدة كالعنف الأسري عند بعض الأسر الفقيرة وأحياناً في بعض الأسر المتوسطة والغنية، وعقوق الأبناء والبنات للوالدين، والظلم من بعض الأفراد لأقاربهم، أو من بعض التجار، وأصحاب الحرف، أو من أرباب أو ربات البيوت للعمال الذين يشتغلون عندهم بالراتب الشهري، وقضايا أخرى عديدة أخلاقية، ودينية، واجتماعية، وثقافية وفكرية وغيرهما[٢].

٣-أن اتساع المحافظة، وازدحام سكانها، وتنوع بشرها، وتوفر الأمن والرخاء في ربوعها، جعل معظم الناس في رغد العيش، فهم يأكلون ويشربون أنواعاً كثيرة من الأطعمة والأشربة، ويلبسون ألبسة متنوعة ومتفاوتة في أسعارها وألوانها وأهدافها، كما أنهم يسكنون في منازل وقصور تتفاوت حسب قدراتهم المادية، ومكانتهم الاجتماعية. وتوفر مثل هذه الحياة أوجد مظاهر اجتماعية سلبية مثل الإسراف في الأطعمة والأشربة[٣]، والمبالغة والمباهاة في الملابس والزينة، وإقامة بعض الاحتفالات والمناسبات الاجتماعية.

وهناك أيضاً أعراف وتقاليد مستوردة من الخارج وتمارس في بعض الاحتفالات والمناسبات، ومنها ما يتعلق بالطعام، أو اللباس وغيرهما[٤].

---

(١) مشاكل الصراعات على العقارات والأراضي الزراعية والسكنية في عموم المملكة من الموضوعات الكبيرة والشائكة. وهناك قضايا ربما تستمر الدعوى فيها لدى المحاكم والمؤسسات الحكومية عشرات السنين. ومن يزور أي محكمة شرعية، أو إدارة للشرطة، أو غيرها فإنه سوف يطلع على مئات الوثائق التي تفصل الحديث في هذا الباب. ونأمل من جميع مؤسسات الدولة أن تحرص على أرشفة الوثائق في كل إدارة أو مؤسسة وحفظها ودراستها، لأنها تعكس شيئاً من التاريخ الحديث والمعاصر.

(٢) هذا ما سمعته من أفراد وشرائح عديدة أثناء تجوالي في محافظة الطائف في الفترة من (٤-١٤٣٨/١١/٨هـ). وجميع هذه المحاور موضوعات جديدة لم تدرس، ويجب على الجامعات والأقسام الأكاديمية المحلية أن تسخر طاقاتها البشرية في دراسة أحوال المجتمع من شتى الجوانب، والعناصر الآنف ذكرها جديرة بالبحث والدراسة والتوثيق.

(٣) ظاهرة الإسراف في الأطعمة والأشربة من الظواهر المنتشرة في المجتمع السعودي وعند كثير من شرائح المجتمع، مثل: طبقات الأغنياء والموسرين وبعض الأسر المتوسطة في منازلهم وحفلاتهم، ونشاهد المشكلة نفسها في المطاعم التجارية التي تقدم أطعمة لزبائنها، وعند الانتهاء من الأكل يرمى الباقي في صناديق القمامة، وهذا أمر نشاهده باستمرار في جميع أنحاء البلاد، ويجب على جميع الشرائح وبخاصة أصحاب القرار أن يتخذوا افعال عملية تمنع إتلاف الأطعمة بطريقة خاطئة قد تجلب العقوبة من الله على عموم المجتمعات.

(٤) حضرت بعض المناسبات الاجتماعية الخاصة والعامة في مدينة الطائف وبعض قراها، فكان هناك إسراف في أعداد وأنواع الأطعمة المقدمة، وعندما تقول لصاحب المناسبة هذا لا يجوز يرد عليك نحن نستحي من الضيوف، ونحن سوف نتصرف في الباقي، وأقول أن إكرام الضيف واجب لكن في حدود المعقول على أن لا يكون هناك إسراف وتبذير تدخل المضيف في أمور شرعية محظورة. كما سمعت من بعض رجالات الطائف قصصاً تدور حول ألبسة النساء في الزواجات، وتقديم بعض المأكولات والعادات الوافدة من مكة وجدة أو من بعض مدن أو دول العالم الأخرى.

٤- عند زيارة بعض الأسواق، أو السير في بعض شوارع حاضرة الطائف، أو الذهاب إلى بعض المتنزهات شاهدت شرائح ليست قليلة في المجتمع الطائفي لا تراعي نظافة المكان الذي تجلس فيه، مثل الأماكن العامة، فهي تتناول الطعام والشراب ثم ترمى المتبقي في أي مكان، أو تتركه مكانه، وكان الأولى أن يحتفظ بالطعام ويُرسل إلى المحتاجين، وأن توضع النفايات في صناديق الزبالة، وينظف المكان(٥). كما شاهدت بعض الشباب ومتوسطي الأعمار يلبسون ألبسة غير ساترة للجسد، وأحياناً تكون موضات مستوردة من خارج البلاد بهدف التقليد لبعض شباب ورجال الغرب والشرق(٦).

٥- لا تخلو محافظة الطائف من العنصرية، فهناك أبناء القبائل والعشائر يتعصبون لأقوامهم تجاه أهل الحاضرة، وأحياناً تجاه العناصر الوافدة إلى البلاد(٧).

ولا نقول أن جميع شرائح المجتمع منخرطون في هذه المشكلة الاجتماعية، إلاّ أنها موجودة وملموسة في الأماكن العامة، وفي المجالس العامة والخاصة، وعلى مستوى الأفراد والجماعات(٨).

---

(٥) شاهدت عدم تنظيف المكان بعد استخدامه في أمكنة عديدة بحاضرة الطائف، مثل: الحدائق العامة، والمتنزهات في الهدا، والشفا، والحمامات العامة الخاصة ببعض المساجد أو المتنزهات. وهذه المشكلة موجودة في مدن وحواضر أخرى من المملكة العربية السعودية، ويجب توعية أفراد المجتمع على خطورة هذه العادات.

(٦) التقليد مشكلة كبرى يعاني منها العالم العربي والإسلامي، وللأسف أن جميع شرائح مجتمعاتنا الإسلامية تقلد أعداء الدين في الشرق والغرب الذين يعملون ليلاً ونهاراً على نشر الفساد والرذيلة في بلداننا، وما نشاهده عند بعض الشباب، أو النساء والرجال في ظاهرة الزي ليس إلا جانباً يسيراً من الهجمات الثقافية والحضارية الموجهة لأهل الإسلام في كل مكان. والواجب على كل فرد وأسرة ومؤسسة تربوية وتعليمية أن يعملوا ما في وسعهم لتوعية الفرد المسلم من مخاطر هذا الغزو الحضاري والذي رأيناه في محافظة الطائف يوجد في كل مكان من مدن وحواضر المملكة العربية السعودية وغيرها من بلاد العرب والمسلمين.

(٧) هذا ما عرفته وسمعته من بعض الرموز والأفراد والجماعات، وبعضهم ينكر وجود هذه المشكلة، وآخرون يؤكدون وجودها، وهي فعلاً موجودة، وللأسف أن هذه الحالة ليست مقصورة على مجتمع الطائف بل أنها موجودة عند عموم سكان الجزيرة العربية، وقد سمعت عنها وشاهدتها عند قبائل وجماعات وأفراد عديدين في بلاد تهامة والسراة، وفي مكة المكرمة، وجدة، والمدينة، وفي المناطق الشرقية، والوسطى، والشمالية. ونعلم جميعاً أن العنصرية والتعصب لفئة أو جماعات هي عادة مقيتة ونتنة، وحذر منها الإسلام في مصادر شرعية عديدة.

(٨) يرى بعض الباحثين أن العنصرية والتعصب شيء طبيعي، وأحياناً مفيد، وأقول إذا كان التعصب لأمر فيه مصلحة للدين وللإنسان فلا بأس بذلك، وإذا كان الهدف منه الاحتقار، أو الازدراء أو الانتقاص، أو النيل من عرض، أو نسب، أو شرف، أو شكل، أو عمل الإنسان فذلك أمر مذموم، ومنهي عنه في جميع الشرائع السماوية، وبعض الدساتير والقوانين الوضعية.

٦- مفردات واصطلاحات لغوية:

سمعت الكثير من المفردات والاصطلاحات الاجتماعية اللغوية عند سكان الطائف، فالأجناس البخارية التركستانية يتكلمون العربية، وما زال بعضهم وبخاصة كبار السن يستخدمون لغتهم الأصلية في المنازل مع بعضهم البعض[١]. وبعض العناصر السعودية الذين من أصول عربية أو غير عربية يتعاملون مع المجتمع باللغة العربية، ويظهر في لهجاتهم لكنات اقتبسوها من أهلهم الأصليين في مصر أو المغرب، أو الصين، أو الأفغان وغيرهم، ومنهم من يتحدث بلهجة أهل الحضر من مكة وجدة[٢]. وإذا نظرنا في لهجات أبناء القرى والعشائر فهم مختلفون من مكان لآخر، فأهل المناطق الجنوبية الممتدة من الطائف إلى الباحة، وبعض عشائر ثقيف وعتيبة وأهل السروات القاطنين في الطائف تجدهم يتكلمون مفردات ومصطلحات عربية واضحة، ويظهر في بعض عباراتهم الكسر أو الادغام، أو قلب جرف مكان آخر مثل كلمة رجال تنطق أحياناً (ريال)، أو جمل (يمل)[٣]. وقد سمعت بعض أفراد بادية الطائف يتكلم بعضهم مع بعض، وهناك صعوبة في فهم معاني بعض مفرداتهم، كما اطلعت على بعض الوثائق المحلية في عشائر عتيبة، أو بني مالك بجيلة، او بالحارث ميسان، أو ثقيف وفيها كثير من الكلمات العامية، لكن أصولها عربية، وبعضها ممزوجة ببعض العبارات والمفردات التركية، أو اللهجة المصرية وغيرها[٤].

---

(١) هذا ما سمعته من بعض البخاريين والتركستانيين الذين يعملون في بعض الدكاكين التجارية في المنطقة المركزية، وسمعت أيضاً هذا القول من بعض الرجال السرويين الذين يعيشون في الطائف منذ عقود عديدة، وتربطهم صداقة أو مصاهرات مع البخاريين والصينيين الذين يعيشون في الطائف منذ العقود الأولى في القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٢) اللهجة الحضرية منتشرة وسائدة في بلاد الطائف وفي عموم مدن وقرى الحجاز واليوم يعيش في محافظة الطائف أجناس عديدة وفدوا من بلدانهم للعمل وكسب الرزق، ولهم لغات ولهجات يتعاملون بها في أعمالهم ومنازلهم، وفي حياتهم العامة والخاصة، وقد تأثروا وأثروا في لغة ولهجات شرائح المجتمع الأخرى. وأقول أن دراسة اللهجات في محافظة الطائف من الموضوعات الجديدة وتستحق أن تدرس في عشرات الكتب والبحوث، ونأمل من أقسام التاريخ واللغة العربية في جامعة الطائف أن تدرس مثل هذه الميادين العلمية القيمة.

(٣) لهجات قبائل الطائف جديرة بالبحث والدراسة، ومعظمها عربية فصيحة، حتى وإن خالطها بعض الكلمات والعبارات الدخيلة.

(٤) من يسعى إلى جمع الوثائق المحلية من أهل البلاد خلال القرون الثلاثة الماضية المتأخرة، أو من بعض دور الأراشيف الاقليمية أو العالمية فإنه سوف يجد صحة ما ذكرت، ومثل هذه الوثائق مليئة بالتاريخ السياسي والحضاري لبلاد الطائف، والمواد التاريخية المدونة فيها يصعب أن نجدها في أي مصدر آخر. ونأمل أن نرى أحد الباحثين الجادين فيعمل على جمع ما يستطيع جمعه من هذه الوثائق ثم تدرس دراسة علمية رصينة.

وفي السطور التالية أذكر نماذج من المفردات أو المصطلحات الاجتماعية اللغوية التي قرأت عنها أو سمعتها أثناء رحلتي في ربوع الطائف[١]، ومن تلك الاصطلاحات ما يأتي:

(١) **المردون:** اسم لباس واسع يلبسه الرجال في المناسبات الاجتماعية وبخاصة في لعبة المجرور الطائف وغيرها.

(٢) **المسدح:** اسم ثوب واسع تلبسه المرأة الطائفية في الماضي، وعادة يكون مطرزاً بأشكال جميلة، وهو قريب في شكله من ثوب المرأة العسيرية قديماً.

(٣) **المسطح:** فراش على شكل مربع أو مستطيل، تفرش به أماكن الجلوس في المنازل ومرافقها، ويصنع من سعف النخل، وهذا النوع من الأثاث المستخدم بكثرة في بلاد الباحة وعسير وجازان ونجران[٢]..

(٤) **المصدع،** ويسمى أيضاً الدسمال أو الحمودي: وهو قطعة من القماش الأحمر يربط به الرجل وسطه، ويلبسه سكان البوادي والأرياف الطائفية، وهذه الأسماء الثلاثة عرفت في محافظة الطائف، وتختلف من ناحية لأخرى، وأحياناً يلبس في بعض الألعاب الشعبية مثل لعبتي حيوما ويلي وغيرهما[٣].

(٥) **المعدال:** هذا المصطلح الاجتماعي معروفاً عند أبناء القبائل في الطائف وغيرها من بلاد السروات الممتدة إلى نجران. فعند حدوث خطأ أو تجاوز قولي أو فعلي من شخص على آخر، يقوم الإنسان المخطئ أو من ينوب عنه بدفع ضمان،

---

(١) زرت أجزاء من بلاد الطائف مرات عديدة خلال الأربعين عاماً الماضية، لكن رحلتي الأخيرة من (٤-١٤٣٨/١١/٨هـ) كانت بهدف تدوين شيء من تاريخ هذه البلاد السروية خلال العصر الحديث والمعاصر، ولا ندعي الكمال فيما تم تأليفه، لكن نأمل أن يأتي في المستقبل من سيكمل ما عملنا، او يصحح ما أخطأنا فيه. للمزيد عن المفردات والاصطلاحات اللغوية في محافظة ا لطائف، انظر اسماء أدوات كثيرة وقديمة معروضة في بعض المتاحف الموجودة في هذه المحافظة. كما انظر مناحي القثامي، تاريخ الطائف قديماً وحديثاً، ص ١٢٣-١٢٧، السيد عيسى القصيِّر، الطائف القديم، ص ١٧٢-١٧٣.

(٢) ألبسة النساء والرجال وأثاث المنازل قديماً من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس، وتستحق أن يفرد لها دراسات عديدة، ونأمل من الجامعات المحلية أن توجه طلابها وأساتذتها لدراسة مثل هذه الميادين الحضارية المهمة.

(٣) شاهدت بعض هذه الألبسة عند بعض الأسر الطائفية، وفي بعض المتاحف الخاصة في مدينة الطائف في الفترة من (٤-١٤٣٨/١١/٨هـ).

ويسمى معدال، وهو شيء من السلاح، أو المال كامتثال للحق وإرضاء المجني عليه، ويتبقى على المخطئ دفع الحق الذي فرض عليه من قبل المصلحين، أو اصحاب الحل والعقد في القرية أو العشيرة[١].

(٦) **المقينة:** هذا الاسم (القين) للرجل العبد، والقينة للجارية غير النساء الحرائر، وهناك معاني أخرى عديدة أوردها ابن منظور في معجمه[٢]. والمقينة عند أهل الطائف ومدن الحجاز الأخرى وبلدان السراة، هي المرأة التي تختص بالغناء أو تزيين العرائس في مناسبات الزواج، وهذه العادة عند عرب الحجاز منذ قديم الزمان، وقد انتشرت في عموم المملكة العربية السعودية باسم (الكوافيرا) أو (المطربة) واصبح هناك محلات تجارية نسائية مخصصة لتجهيز العرائس والنساء أثناء حفلات الزواج[٣].

(٧) **الملفاة:** هذا المصطلح ذو علاقة بالمعدال، وهو الحق العملي المفروض الذي ينفذه المخطئ على المخطى عليه، وعادةٍ يكون الطعام من الذبائح والعصيد يقدمه الجاني للمصلحين والمجنى عليهن وغالباً يقدم المخطئ اعتذاراً وعدم تكرار الخطأ مرة ثانية. وهذا المصطلح نفسه يوجد عند بعض قبائل السروات باسم (الملفا)، وهم الضيوف الذين يذهبون من مكان لآخر، ويفدون على المضيفين في مناسبات اجتماعية عديدة مثل: الزواج، أو السماوة، أو الختان، أو ضيافة عامة أو خاصة[٤].

---

(١) اطلع الباحث على وثائق اجتماعية عند بعض الأسر في مدينة الطائف وبعض الأعيان والوجهاء والمتعلمين في مراكز الشفا، وثقيف وبني مالك، وفيها الكثير من القوانين والأعراف التي كانت سائدة عند أهل هذه البلاد، ويستخدمونها أوقات الحاجة إليها من أجل استمرار حياتهم وتعايشهم فيما بينهم.

(٢) انظر ابن منظور، لسان العرب، تحقيق علي شيري (بيروت: دار إحياء التراث العرابي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، جـ١١، ص ٣٧٦-٣٧٧).

(٣) هناك أعراف وعادات ومصطلحات اجتماعية في بلاد الطائف وعمومٍ بلاد السروات والحجاز، وبعضها تلاشى، وأخرى ما زالت معروفة عند بعض شرائح المجتمع، وأحياناً تمارس في بعض المناسبات وهذه الصور الحضارية جديرة بالجمع والدراسة والتحليل والمقارنة، ونأمل أن نرى بعض الباحثين الجادين الذين يدرسون هذا الموروث الحضاري المهم.

(٤) من خلال تجوالي في نواحي عديدة من الجزيرة العربية وبخاصة جنوبها تأكد لي وجود تراث لغوي وحضاري كبير، وكثير من هذا الموروث اندثر، وضاع بعضه، وأنادي من على صفحات هذا الكتاب في أقسام الجامعات المحلية المتخصصة أن تعمل جاهدة على جمع هذا الإرث الحضاري ودراسته ونشره للأجيال القادمة من الأبناء والحفدة، وهذا من واجبهم علينا أن ننقل لهم تراث الآباء والأجداد، ونوضح لهم ما في هذا الميدان من صور حضارية رائعة.

(٨) **المندل:** هو من يدعي معرفة السارق، وغالباً يستخدم الأطفال دون السابعة، مدعياً انهم يرون السارق أو السرقة، وهذا الصنف من الرجال كان معروفاً في بلاد الطائف، وهم بخلاف قصاصي الأثر المذكورين في بعض كتب التراث، ومن يمارس هذا العمل فهو من الدجالين والمشعوذين الذين يدعون علم الغيب[١].

(٩) **السبوع:** وهو اليوم السابع من ولادة الطفل، وتعرف في كتب الفقه بـ (العقيقة)، التي يقدم فيها وليمة، ذبيحتان للمولود الذكر، وذبيحة واحدة للأنثى، ويجتمع فيها أفراد الأسرة والأقارب ويفرحون بهذه المناسبة، وأحياناً تذبح الذبائح وتوزع على الفقراء والمحتاجين، وهي سنة مذكورة في كتب الشريعة الإسلامية.

(١٠) **السحكل، أو السعن:** وهو وعاء صغير مصنوع من الجلد، يحمله الرجال على الكتف أو في الجيب، ويوضع فيه النقود أو بعض الأغراض الخاصة مثل المفاتيح، أو الدخان، أو أدوات أخرى صغيرة وضرورية للاستخدام، ويعرف هذا الوعاء عند بعض قبائل مناطق الباحة وعسير، باسم (الحسكل)، أما السعن فهو أكبر من الحسكل[٢].

(١١) **السخل:** الابن الذكر للشاة أو العنز، والسخلة للأنثى، ويقال له طفل أو طفيل، والاسم الأخير لا يطلق إلاّ على ولد الانسان، وابن الناقة يسمى (حوير).

(١٢) **السعوط:** نوع من ورق الدخان ومساحيق أو مركبات خاصة عند العطارين.

---

(١) قضية السحر، والشعوذة، والدجل، والعين، والحسد من الأمراض الاجتماعية التي عرفها مجتمع الطائف، وجميع المجتمعات في الجزيرة العربية. وهناك عشرات القصص التي تدور حول هذه الموضوعات، والسلطات الرسمية، والأسر، والأفراد، وبعض شرائح المجتمع عانوا وما زال بعضهم يعاني من هذه المشاكل. والواجب على طلاب البحث العلمي أن يدرسوا مثل هذه الآفات، ويعرفون أسبابها، وطرق علاجها، وحماية الناس من شرورها والأخذ على يد من يمارسها أو يروج لها. (والله المستعان).

(٢) هذا الوعاء شاهدته في عدد من المتاحف التاريخية في أبها، والنماص، والباحة، والطائف، وهناك أدوات أخرى كثيرة كانت تستخدم في مهن الزراعة، والتجارة، وعدد من الأعمال والحرف الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية، وبعضها معروض في بعض المتاحف المحلية في الطائف وغيرها، والواجب دراسة هذه الأدوات مع ذكر أصولها في اللغة العربية، وطرق صنعها واستخدامها، وفوائدها الصحية ثم مقارنتها بالأدوات الحديثة والمعاصرة التي حلت محلها في وقتنا الحاضر.

(١٣) **السقا:** اسم للشخص الذي يحمل الماء من الآبار والعيون إلى المنازل، وعادة يحمله في وعائين مربوطين في رأسي خشبة تحمل على الكتف، وتعرف هذه الأوعية باسم الزفة للمفرد، والزفتين للوعائين. وهذه عادة معروفة عند أهل الطائف ومكة المكرمة وغيرهما من مدن الحجاز. ويذكر لي بعض الأقارب في محافظة النماص أنهم عملوا في هذه المهنة بالطائف ومكة خلال الستينيات والسبعينيات من القرن (١٤هـ/ ٢٠م)، وكانت أجرة الزفتين آنذاك ربع قرش، وأحياناً يعمل الفرد عند بعض الأسر الطائفية أو المكية مقابل الأكل والشرب فقط[١].

(١٤) **الشال:** هو غطاء الرأس للرجل، ويصنع من الصوف، ويكون ملوناً ويشبه العمامة أو الغترة في وقتنا الحاضر[٢].

(١٥) **الشدقف:** ويسمى في بعض بلدان السروات (الشقدق)، وهو نوع من أنواع الأقتاب التي توضع على ظهور الجمال قبل أن توضع عليها الأثقال، ويصنع من الخشب، ويربط بالحبال، وهذه الأداة كانت مشهورة عند الجمالين قديماً، وما زلنا نشاهد نماذج منها في بعض المتاحف المحلية، وعند من يربي الإبل في أرياف محافظة الطائف وغيرها.

(١٦) **الشربة:** أدوية شعبية عند العطارين وفي الصيدليات مثل مادة السنا وغيرها، والغرض من هذا الدواء تطهير المعدة وطرد ما فيها من ديدان وبكتيريا وغيرها. وشرب هذا الدواء معروفاً عند الحجازيين والسرويين منذ العصر الجاهلي، ونبته السنا معروفة في حواضر الحجاز ولها ذكر في مصادر تراثية عديدة[٣].

(١٧) **الشملة:** من الألبسة العربية القديمة مصنوعة من الصوف ومصبوغة بألوان مختلفة، وتستخدم للفرش أو الزينة في المنازل، وقد اشتهرت بعض نساء

(١) تاريخ السقاء أو السقائين في مدن الحجاز الرئيسية قديم منذ العصر الجاهلي وعبر عصور التاريخ الإسلامي، وهو من الموضوعات الحضارية القيمة ويستحق أن يدرس في عدد من الكتب والبحوث العلمية.

(٢) موضوع اللباس والزينة في العصر الحديث والمعاصر بمحافظة الطائف وفي جميع مدن الحجاز والسروات من المحاور الجديدة التي تستحق أن تدرس في عشرات البحوث العلمية.

(٣) تاريخ الطب والتطبيب في بلاد الطائف، أو الحجاز، أو السروات من الميادين الحضارية الكبيرة عبر أطوار التاريخ، ونأمل أن نرى باحثين جادين يدرسون هذا الموضوع في كتب وبحوث علمية عديد.

ورجال الطائف بنسجها وصناعتها، وكانت تصدر إلى أسواق الحجاز، وأسواق أخرى في الجزيرة العربية وخارجها، واليوم أصبحت غير موجودة إلاّ في بعض المتاحف المحلية[١].

(١٨) البندر: كلمة فارسية، معروفة في بلاد الطائف، ويقصد بها السوق التجاري، ورئيس التجار أو التجارة يعرف باسم (شاه بندر). والبندر هو الميناء الساحلي، فيقال: بندر جدة، أو بندر القنفذة، أو بندر جازان، وغيرها من الموانئ داخل الجزيرة العربية وخارجها، ومن يطلع على وثائق الدولة العثمانية خلال العصر الحديث فإنه يجد هذا المصطلح مدوناً فيها بكثرة[٢].

(١٩) بيرق: هو العلم، أو الراية، وأصلها تركي، وترمز إلى الانتماء والهوية، وأحياناً يقصد بها القوة وجمع الشمل على رأي أو عمل موحد، وتصنع من القماش، وترفع على رأس عمود، ولها شعار ديني أو سياسي، أو الاثنين معاً[٣].

(٢٠) البيز: الوقاء الذي تمسك به الأشياء الحارة من النار ويستخدمه الطباخون وربات البيوت أثناء طهي الطعام، ويصنع من القماش ويضاف إليه بعض النقوش والتطريزات الجميلة، ويباع في محلات الأدوات المنزلية[٤].

(٢١) العاني: عقد بالوفاء من المخطئ أو من ينوب عنه، ويؤخذ أيضاً من المخطى عليه أو من العقلاء والمصلحين، الذين يعملون في الإصلاح بين الناس، ويأتي بعد تقديم المعدال ثم الحق للمخطى عليه، والغرض من هذا العرف هو دفع الشر أو الأخذ بالثأر، أو الشكوى والاحتجاج من جديد[٥].

---

(١) ميدان اللباس في محافظة الطائف موضوع جيد ويستحق الدراسة في كتاب أو رسالة علمية.

(٢) من يدرس اللهجات والمفردات والاصطلاحات الأجنبية في بلاد الحجاز أو السروات فإنه سيجد آلاف الكلمات التي أصولها فارسية أو عثمانية أو اوروبية، ويتحدث بها الناس اليوم، وكأنها جزء من اللغة العربية. وهذا الموضوع يحتاج إلى دراسات علمية عديدة.

(٣) من يدرس تاريخ الراية، أو العلم، أو البريق، عبر أطوار التاريخ سيعثر على معلومات كثيرة تفصل أشكالها، وأهدافها، واستخداماتها، والأدوار التي لعبتها عند جميع الأمم والحضارات القديمة والحديثة.

(٤) موضوع الطعام والشراب وأدواته في الحجاز أو الطائف خلال العصر الحديث من الموضوعات التي لم تدرس في هيئة بحوث علمية، ونأمل من مؤرخي مدن الحجاز أن يدرسوا هذا العنوان في كتاب أو رسالة علمية.

(٥) يوجد في محافظة الطائف وعموم بلاد تهامة والسراة الكثير من الأعراف والعادات والقوانين التي كانت تسنها القبائل أو أبناء القرية، أو الحي الواحد من أجل التعايش في سلام، وردع من يهدد حياة وأمن الناس. ومثل هذه الموضوعات مذكورة في بعض الوثائق المحلية، وما زال يعرفها كبار السن وهي جديرة بالجمع والدراسة.

(٢٢) **العمدة:** اسم وظيفة الشخص الذي يشرف على الحي أو الأحياء في موقع محدد من المدينة، وعرف هذا المصطلح عند أهل الطائف وغيرها من مدن الحجاز خلال النفوذ العثماني على الجزيرة العربية، ودور صاحب هذا اللقب حل مشاكل الحي، وإذا استعصى الأمر عليه في موضوع ما فإنه يرفعه للجهات الرسمية، وما زالت هذه الوظيفة موجودة في الحجاز وغيرها من مدن المملكة، والعاملون في هذا العمل يتبعون إدارياً وزارة الداخلية[١].

(٢٣) **غدفة، والمدبغة:** الغدفة، غطاء وجه المرأة مثل البرقع. والبخنق: اللباس الذي تغطي به المرأة رأسها، ويعرف أيضاً بالشيلة أو الطرحة في بعض بلدان الحجاز والسروات[٢]. أما المدبغة فهي إناء كبير من الحديد أو الفخار أو النحاس تجمع فيه أدوات الدبغ مثل، قشر الرمان، وغيرها، وتضاف إليه الجلود التي يراد دبغها لمدة من الزمن ثم تنقل إلى مكان آخر وتضرب بعصا من الخشب لأجل تنظيف الجلد مما علق به. وبلاد الطائف مشهورة بالدباغة منذ العصر الجاهلي وعبر عصور الإسلام، وفي كتب التراث الإسلامي تفصيلات كثيرة عن الأديم (الجلود) الطائفية[٣].

(٢٤) **الخرص، والهرس:** الخرص، أداة من الذهب أو الفضة تعلقه المرأة في أذنيها للزينة والتجمل. وهناك أنواع أخرى تصنع من الحديد أو الخشب وتوضع في أذن الثور أو البقرة ويربط بحبل لقيادة هذه الدابة من مكان لآخر[٤]. الهرس: صناعة يدوية عند البادية، وغالباً تكون من وبر الأغنام أو الإبل، وتستخدم كفراش للجلوس، أو تصنع منه بيوت الشعر[٥].

---

(١) تاريخ العمدة في حاضرة الحجاز من الموضوعات الإدارية الحضارية التي لم تدرس وتستحق أن تدون في بعض الكتب والبحوث العلمية.

(٢) مصطلحات الزينة واللباس في محافظة الطائف من العناوين الجديدة وتستحق أن يفرد لها دراسات علمية عديدة.

(٣) الأديم الطائفي من مصنوعات الحجاز المشهورة التي تصدر إلى جميع أسواق العالم في الجاهلية والإسلام. ودباغة الجلود اليوم أصبحت تعالج عن طريق مكائن ومصانع مخصصة لصناعة الجلد. ودراسة تاريخ الدباغة في الطائف منذ العصر الجاهلي إلى وقتنا الحاضر من العناوين التي تستحق الدراسة في بحث علمي مفصل.

(٤) الأدوات التراثية الزراعية أو التجميلية للمنازل أو للبشر في محافظة الطائف من الموضوعات الجديدة الجديرة بالدراسة. وكثير من هذه الأدوات ما زال معروضاً في بعض المتاحف والمنازل الطائفية.

(٥) كانت معظم محافظة الطائف بادية، واليوم وصلت التنمية والمدنية إلى جميع أجزائها. وإجراء دراسة مقارنة عن حياة أهل الطائف في الحضر والبادية من العناوين القيمة وتستحق أن تدرس في بحوث علمية موثقة.

(٢٥) **النقا:** عُرف معروف عند أهل الطائف وغيرهم من أرض السروات، وهو حكم يتفق عليه أبناء الحارة، أو القرية أو العشيرة، وغالباً يكون مكتوباً ويوقع عليه حضور وشهور، ويتم تطبيقه على من يتعدى على فرد أو جماعة أخرى بالألفاظ القبيحة كالقذف أو خدش العرض أو اعتداء بالقول أو الفعل على عورات أو أمن أو دماء الآخرين[١]. والجاني يضرب أمام أصحاب الحق حتى يرضوا، وهذا الضرب مؤلم وغالباً ينزل على أثره دم المخطئ.

(٢٦) **النفية:** أداة مصنوعة من سعف النخيل، وتسمى مفرش الطعام، أو المسطح وتوضع تحت الطعام أثناء الأكل.

(٢٧) **القطلة، أو العجرى، أو الهراوة:** هذه الأسماء تطلق على العصا الغليظة التي يحملها الرجل في سفره وأحياناً في تنقلاته من مكان لآخر، وتؤخذ من أشجار العتم أو السمر، وقد تصنع من الحديد، ويضاف إليها اشكال من الزينة وتحلى أحياناً ببعض القطع النحاسية[٢].

(٢٨) **الظبية، والجزة، والروشان:** الظبية، وعاء مصنوع من الجلد، ويشبه السعن أو السحكل (الحسكل) أو الزنبيل ويعرف أيضاً باسم المزودة ويحمل هذا الوعاء باليد عند الذهاب لإحضار بعض الأغراض من السوق[٣]. والجزة هي الكانون، وهو إناء مصنوع من الحديد دائري أو مربع أو مستطيل الشكل، وتوضع فيه النار أو الجمر للتدفئة، أو يطهى عليه بعض المشروبات مثل الشاي والقهوة، أو أقراص الخبز. والحجل، أي الخلخال، نوع من الحلية تلبسها المرأة في الأرجل، وهو مصنوع من الذهب أو الفضة. أما الروشان فهي نوافذ المنازل القديمة من الخشب وتطعم أحياناً بالحديد، وفيها إبداعات جميلة من صنع النجارين والحدادين، كان

---

(١) هذا ما سمعته وقرأته عند بعض مؤرخي الطائف مثل مناحي القثامي والسيد عيسى القصيّر. كما أنني اطلعت على وثائق واتفاقيات عديدة عند بعض عشائر بني سعد، وميسان بالحارث، وبعض فروع قبيلة عتيبة، وبني مالك بجيلة، وغامد وزهران ووجدت فيها الكثير من البنود التي تؤكد على ضبط الأمن، وحماية الحقوق، وانصاف المظلوم بين أفراد القرية أو العشيرة الواحدة. ومثل هذه المصادر التاريخية كثيرة عند بعض الأفراد والأسر في هذه البلدان وهي جديرة بالجمع والدراسة والتحليل.

(٢) من يزور الصيدليات اليوم أو بعض الأسواق الشعبية في الطائف وغيرها من مدن المملكة يجد أنواعاً عديدة من الهراوى المتفاوتة في الأحجام والأشكال.

(٣) الأدوات المستخدمة في التجارات وحمل البضائع والتبادل التجاري من الموضوعات التي تستحق أن تدرس في عدد من البحوث العلمية الموثقة.

هـذا الفن المعماري سائداً في منازل الطائـف ومعظم مدن الحجاز، وما زال ماثلاً في بعضـ بيوت الطائـف القديمة، ونرى بعض الأسر والأفـراد الطائفية عادوا إلى استخدامها في منازلهم الحديثة[١].

خامسا: صفحات من التاريخ الاقتصادي:

١-الجمع والالتقاط، والصيد، والرعي:

تنـوع البيئـة في بـلاد الطائـف، جعـل السـكان يمارسـون عدداً مـن الحرف الاقتصاديـة. ففـي السابق كان هنـاك أناس من أهـل الطائف يتجولـون في ربوع البـلاد وبخاصة في المناطق الزراعية كي يساعـدوا ملاكها في خدمة مزارعهم ثم يحصلـوا على بعض الأعطيات مثل الحبـوب والفواكه، وفي المدينة من يمارس هذه المهنة مـع أصحاب التجـارات والحرف والصناعـات وغيرهـا[٢]. وشرائح أخرى مـن أهـل القرى والبوادي الطائفيـة يجمعون الحطب، أو أعـواد السواك، أو بعض الثمـار الجبلية كالتين الشوكي (البرشومي)، وتين الحمـاط، أو النيق الذي يجلب مـن أشجار السـدر ويذهبون بها إلى الأسواق لبيعها، ومنهـم من كان يجمع فواكه وخضـروات جبلية أخرى ويحضرونها إلى منازلهم للاقتيات بها[٣]. وهذه العادات تلاشـت في وقتنا الحاضر، وسكان البلاد الأصليـين لا يمارسونها إلاّ نادراً، بسبب تحسـن الأوضاع الاقتصادية والمالية عند عموم شرائح المجتمع، وأن شاهدنا بعض الأفراد الذين يجمعون الحطب أو المساويك من الجبال ويبيعونها في الأسواق أو في بعض المجمعات السكانية فهم قليلون جداً، وبعضهم من أهل البادية، أو من العمالة الوافـدة من بـلاد اليمن[٤]. كما شاهـدت عمالاً وافدين من الهنـد، وبنجلاديش،

---

(١) تاريـخ العمـران قديمـاً وحديثـاً في محافظة الطائف مـن الموضوعات الجديـدة والثريـة في معلوماتها، ويستحـق هذا العنـوان الدراسة في عدد من البحـوث والدراسات، ونأمل من أقسـام التاريخ في جامعات الطائف وحواضر الحجاز أن تدرس مثل هذه الجوانب دراسة علمية موثقة.

(٢) هـذا مـا سمعته مـن بعض أعيان مدينـة الطائف وبعضـ كبار السـن في مراكز ثقيف، والشفـا، والهدا، وبنـي مالك بجيلة في الفترة من (٤-٨/١١/١٤٣٨هـ). ومثل هذه العادات شاهدتها في ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) في سروات عسير، وبلاد الحجر، وغامد وزهران.

(٣) تاريـخ الجمـع والالتقـاط في محافظة الطائف خـلال القرن (١٤هـ/٢٠م). من الموضوعـات الجديدة ويستحـق هـذا العنوان أن يدرس في بحث مطول، على هيئة كتاب أو رسالة علمية، ونأمل أن نرى من أبناء هذه المحافظة وبخاصة من الباحثين والمؤرخين من يدرس هذه العناوين دراسة علمية.

(٤) دراسـة تاريـخ الجمع والالتقـاط في الماضي والحاضر (دراسـة مقارنة) من العناويـن الجيدة الجديرة بالبحث والدراسة.

ومصر، والسودان، وأحياناً باكستان وغيرهم يجمعون التين الشوكي (البرشومي)، أو ثمار الذرة أو ما يسمى بـ (الحبش) [١] ويبيعونها في بعض الأسواق الشعبية، وعلى جوانب الشوارع والطرق الرئيسية في المحافظة[٢].

أما الصيد في محافظة الطائف فكان يمارس بشكل كبير إلى نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م)، وأهل الأرياف والبوادي الأكثرية في صيد الحمام، والطيور، والقهابا، والأرانب، والغزلان، والهدف من اصطياد هذه الأنواع هو أكلها[٣]. وهناك من يسعى إلى صيد بعض الحيوانات الوحشية، أو الزواحف، أو الطيور الضارة بهدف القضاء عليها والتخلص من شرها[٤]. أما الصيد اليوم فلا نسمع عنه إلاّ نادراً، لأن الناس أصبحوا في غنى عن ممارسة هذه المهنة، وإن ظهر شيء من الطيور، أو الحيوانات، أو الزواحف الخطيرة فهناك جهات رسمية حكومية تتولى القضاء عليها، أما صيد الصيود النافعة من غزلان وأرانب وغيرها، فأصبح نادراً، لعدم وجودها بكثرة، وعدم الحاجة إلى لحومها، ثم أن الدولة شرَّعت قوانين تحافظ على البيئة والحياة الفطرية، وربما في الأرياف أو غرب سروات محافظة الطائف من يمارس الصيد على نطاق ضيق جداً، وهذا عمل غير قانوني، وإذا عُرف من يقوم بذلك فقد يواجه غرامات وعقوبات عديدة من أجهزة الدولة المسؤولة عن البيئة[٥].

---

(١) هذا النوع من الثمر يجلب من مزارع الذرة، وشكل الثمرة الواحدة مخروطية الشكل ومليئة بالحبوب كبيرة الحجم، تجمع وتشوى على النار وتباع للأكل. وهناك عمال عديدون يمارسونها في البلاد الممتدة من مناطق جازان وعسير إلى الطائف، ويكثر تواجدها في بلاد السروات خلال فصل الصيف لوفرتها وكثرة المصطافين. وبعض الناس يسمونها (الحبش) أو (الذرة) وأسماء أخرى عديدة مختلفة من مكان لآخر.

(٢) شاهدت هذه العادة تمارس في مناطق الهدا، والشفا، وثقيف، وبني سعد، وميسان بالحارث، وبني مالك بجيلة في الفترة من (٤-٨/١١/١٤٣٨هـ).

(٣) من يدرس تاريخ حياة الناس المعيشية في بلاد تهامة والسراة من مكة والطائف شمالاً إلى جازان ونجران جنوباً يجد الكثير من رجالها في السابق يمارسون الصيد للعيش والاقتيات مما يصطادونه، ثم إن بلادهم وبخاصة السروات مليئة بأنواع الصيد المختلفة. وهناك طرق وحيل كثيرة للصيادين الذين يمارسون هذه المهنة. وأقول أن تاريخ الصيد في هذه البلاد خلال عصور الجاهلية والإسلام من الموضوعات التي لم تدرس إطلاقاً، ونأمل من مؤرخي بلدان الطائف وتهامة والسراة أن يدرسوا هذا الموضوع الجديد في بابه.

(٤) أخبرني بعض المؤرخين في مدينة الطائف بأنه كان هناك بعض الصيادين المهرة الذين يصيدون بعض الزواحف والوحوش المفترسة ويقضون عليها، وكان في محافظة الطائف صيادون معروفون يصيدون الغزلان والأرانب والوبران. وشاهدت أيضاً صيادين جيدين في محافظة النماص وبلاد أبها وخميس مشيط خلال التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) وأقول أن تاريخ الصيد في بلاد السروات من أبها إلى الطائف من الموضوعات التي يجب دراستها في بحوث علمية عديدة.

(٥) كان الصيد في الماضي معروفاً وممارساً عند أفراد كثيرين، واليوم أصبح نادراً. وايجاد دراسة مقارنة لممارسة الصيد في محافظة الطائف في الماضي والحاضر من الموضوعات الجديدة ويستحق أن تدرس في هيئة كتاب أو رسالة علمية، ونأمل أن نرى من جامعة الطائف من يقوم بإنجاز هذا العمل العلمي القيم.

كثير من أهل الطائف في الماضي يمارسون مهنة الرعي، وبخاصة أهل البادية شمال وشرق وجنوب المحافظة، فالرعي مهنتهم الرئيسية، وجل أنعامهم من الماعز والضأن والإبل، وأحياناً الحمير والبقر[١]. ومن السكان في السروات من مارس الزراعة والرعي معاً، لكن ما يقتنونه من الأنعام اقل بكثير جداً من أهل البوادي[٢]. ومهنة الرعي عند كثير من سكان محافظة الطائف معروفة وسائدة حتى بدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) والقائمون عليها هم أهل البلاد أنفسهم من الرجال والنساء، وأيضاً الأطفال الصغار يشاركون في رعي البهم (صغار الضأن، والماعز) قريباً من المنازل في القرية أو الريف أو البادية. وهناك بعض الرعاة في السروات يذهبون بأنعامهم إلى البوادي الشرقية، أو سفوح سروات الطائف الغربية، والمعروفة محلياً باسم (الأصدار) أو (العروض)، فيمكثون فيها شهوراً عديدة من العام[٣].

وقد اطلعت على بعض الوثائق عند بعض أسر الطائف وفيها معلومات قيمة عن بعض الأفراد أو الجماعات التي كانت تمتلك قطعاناً من الإبل والضأن والماعز من قبائل عتيبة، ومن بني سعد، وميسان بالحارث، وبني مالك بجيلة في جنوب محافظة الطائف[٤]. كما يظهر على هذه الوثائق أسماء شيوخ وأعيان وشهود أقروا بعض الشروط التي تُسيِّر حياة الرعي في بعض الأحمية العامة والخاصة، ووجوب التعاون بين ملاك الأنعام أثناء رعيهم مواشيهم، وعدم حدوث أي اعتداءات أو

(١) توجد الحمير والأبقار عند أهل البادية والحاضرة، أما الإبل والأغنام (الضأن والماعز) فهي العمود الفقري عند أهل البوادي.

(٢) أهل المدينة والأرياف في محافظة الطائف يمارسون الزراعة بشكل كبير، وإلى جانب هذه المهنة كانوا يمتلكون قطعان من الأغنام التي يقومون على رعايتها في جبالهم ووهادهم وأوديتهم. هذه الأقوال سمعتها من بعض كبار السن في مدينة الطائف وبعض الأرياف الغربية والجنوبية، من المحافظة. كما شاهدت ممارسة هذه المهنة عند عموم الناس في البلاد الممتدة من الباحة إلى أبها خلال التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٣) هذا ما سمعته من بعض المعلمين الأوائل أو كبار السن في مدينة الطائف وفي بلاد ثقيف، وبني سعد، وميسان بالحارث، وبني مالك بجيلة في الفترة من (٤-٨/١١/١٤٣٨هـ). كما أن هذه العادات شاهدتها عند بعض البوادي والقرى في البلاد الممتدة من غامد وزهران إلى قحطان وشهران خلال التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م). وأقول أن دراسة تاريخ الرعي في ارض السروات من الطائف حتى أبها خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) من الموضوعات الجديدة والجديرة أن تدرس في عدد من البحوث الموثقة.

(٤) صور من هذه الوثائق توجد ضمن مكتبة الباحث، وسوف نسعى إلى جمع كل ما حصلنا عليه من وثائق عن محافظة الطائف، ثم ندرسها وننشرها في مكان واحد حتى يستفيد منها الباحثون وطلاب الدراسات العليا في جامعاتنا المحلية.

أذى يصـدر من بعضهم على بعض[١]. وما زال الرعي في بلاد الطائف حتى اليوم وبخاصـة عنـد بوادي الطائف الشماليـة والشرقية، لكنه في مستـوى أقل مما كان عليـه في الماضي، وذلك لظهور كثير مـن المهن التي يجلب منها عوائد مادية أفضل ويبذل فيها جهود أقل، مثل: الوظائف الحكومية والأهلية، والتجارات، والصناعات وغيرهـا[٢]. أما الرعـي في المدينة والمراكـز الحضارية الكبـيرة في المحافظة فقد تدهـور، وأصبح قليلاً جداً، ومن يمارس هـذه المهنة فغالباً تكون المواشي في مزارع أو أمكنة خاصة تجمع فيها ويجلب لها الغذاء في أماكنها دون أن ترسل إلى الخلاء بخلاف الرعـاة في البوادي يرسلون مواشيهم إلى الجبال والأودية وغيرها[٣]. كما دخل عنصر العمالة الوافدة في مهنة الرعي في عصرنا الحديث والمعاصر، وأصبح الكثـير من القائمين على حراسـة الموشي البرية والمنزلية مـن العمال المستقدمين مـن بلاد اليمن، ومصـر، والسودان، والباكستان، والهنـد، والحبشة، والصومال، وأرتيريـا، وغيرهـا، وقليلاً ما نـرى المواطن السعـودي هو الذي يقـوم على رعاية مواشيـه، وإنما يتولى الإشراف العـام، والرعي والحراسة، والبيع والشراء تؤكل في الغالب إلى هؤلاء العمال الوافدين من خارج البلاد[٤].

٢-الزراعة:

تتشابـه بـلاد السروات الممتدة مـن الطائف إلى صنعـاء في كثير من مقومات الحيـاة الاجتماعيـة والاقتصاديـة، والزراعة إحـدى المهن الرئيسيـة لسكان هذه

---

(١) كل قريـة أو باديـة لها نظام يوضح حياتها الرعوية، ولا تخلـو الأسر والبوادي والقرى من مشاكل عارضة في هذه المهنة، لكن عقلاء القوم وكبارهم يعملون على حلها، وعدم توسيع فجوتها، بل إن أفراد كل ناحية يتوجـب عليهم التقارب والتعاون حتـى تستمر حياتهم. ودراسة تاريخ الرعـي في محافظة الطائف خلال القـرن (١٤هـ/٢٠م)، كيف كان التعاون بين الرعـاة والسكان في ممارسة هذه المهنـة؟ وما هي المشاكل والعقبـات التي كانت تواجههم؟ وكيف كانت تعالج؟ وما هو دور أعيان الناس والشيوخ والوجهاء في حماية حياة الرعي والرعاة؟ كل هذه التساؤلات جديرة بالبحث والدراسة في بحوث علمية موثقة.

(٢) دراسـة تاريـخ الرعي في الطائف خلال هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، ثـم مقارنته مع مهنة الرعي في القرن (١٤هـ/٢٠م) من الموضوعات الجديدة ويستحق أن يدرس في كتاب أو رسالة علمية.

(٣) مقارنـة الرعي البري وفي المزارع والبيوت الخاصـة في وقتنا الحاضر من الموضوعات الجديرة بالدراسة والتحليل والتوثيق.

(٤) هـذا مـا شاهدته في بوادي وقرى ومدينة وأسواق محافظة الطائف. وهذه الظاهرة ليست محصورة على أهـل الطائـف، وإنما شاهدتها في كثير من مدن وقـرى المملكة العربية السعوديـة. وإيجاد دراسة مقارنـة عـن حياة الرعـي والرعاة في الماضي والحاضر مـن الموضوعات الجديدة، ونأمل مـن أساتذة التاريخ في جامعاتنا المحلية أن تدرس مثل هذه العناوين الحضارية.

البلاد. والذاهب في أرجائها يرى المدرجات الزراعية منتشرة في كل مكان، ويشاهد العيون والآبار القديمة التي يعود تاريخ بعضها إلى آلاف السنين[١]. ومن يزور المتاحف التاريخية المحلية، أو يلتقي ببعض المسنين والمسنات في هذه الديار فإنه يسمع ويشاهد الكثير من الأدوات والأخبار التي تدور حول ممارسة أهل السروات للزراعة[٢].

ومن يطلّع على بعض الدراسات المطبوعة والمنشورة، وعلى الوثائق والمخطوطات غير المنشورة، فإنه سيجد تفصيلات كثيرة عن الملكيات الزراعية، وكيفية حيازتها، وأساليب الزراعة من حرث وبذر وري وحصاد وتخزين، والمعوقات والمشاكل التي تواجه المزارعين في أوطانهم، وسبل التكاتف والتعاون بين أهل القرية أو العشيرة الواحدة أثناء ممارسة الزراعة[٣].

وعند زيارتي الطائف في عام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م)[٤]، ولقائي مع بعض المؤرخين في هذه المحافظة التجول في بعض أرجائها اتضح لي عدة أمور، نذكر أهمها في النقاط الآتية:

(أ) **محافظة الطائف أرض زراعية جيدة**، يزرع فيها خضروات وفواكه كثيرة مثل: الحمضيات، والعنب، والرمان، والحماط، والبخارى، والبرشومي (التين الشوكي)، والتين البلدي، واللوز، والزيتون البري، والتمور في بعض أجزائها الشمالية والشرقية والحبوب بأنواعها (الحنطة، والذرة، والشعير)، وخضروات كثيرة أخرى كالخيار، والطماطم،

---

(١) هذا ما عرفته وشاهدته خلال الأربعين عاماً الماضية وأنا أتجول في أرض السروات من بلاد اليمن إلى الطائف وما حولها.

(٢) زار الباحث كثيراً من المتاحف التاريخية في أرض السروات، وسمع من بعض المزارعين أو من لديه خبرة عن الزراعة قديماً. وشاهد ممارسة الأعمال الزراعية في مناطق عسير والباحة أثناء الثمانينيات والتسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وكيف كانت أكثر الحرف التي يمارسها معظم سكان السروات، ويعتمدون عليها في كسب أرزاقهم. وأقول أن تاريخ الزراعة في السروات خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس وتستحق البحث والتدوين في عدد من البحوث العلمية.

(٣) اطلع الباحث على مئات الوثائق غير المنشورة التي تدور موادها على الأراضي الزراعية في بلاد السروات من ظهران وقحطان إلى الطائف، وعن أصحاب العقارات الزراعية، والعقبات التي تقابلهم أفراداً وجماعات، ودور شيوخ وأعيان القرية أو العشيرة، أو المحاكم الشرعية وبعض المؤسسات الإدارية في معالجة المشاكل التي تحدث بين الناس في مزارعهم وأملاكهم العقارية. مثل هذه المصادر جديرة بالجمع والدراسة والتحليل. ونأمل من الأساتذة المؤرخين في الجامعات المحلية أن يدرسوا هذه الميادين الحضارية المهمة.

(٤) كانت هذه الزيارة في الفترة الممتدة من (٤-٨/١١/١٤٣٨هـ.

والبطاطس، والبامية، والفاصوليا، والجزر، والخس، والجرجير، والبقدونس، والكزبرة، وبعض المزروعات العطرية مثل الريحان، والنعناع، والشيح وغيرها[١].

(ب) ذكر لي بعض الرواة في مدينة الطائف ومراكز المحافظة الجنوبية إلى ثراء الأوضاع الزراعية في بلادهم خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، وعددوا كثير من المزروعات التي كان يقوم عليها معظم السكان، ويقول بعضهم أن الزراعة كانت المهنة الرئيسية لأهل الطائف، ومع بدايةٍ التطوير والتنمية الحديثة منذ تسعينيات القرن الهجري الماضي، بدأ الناس تدريجياً يبتعدون عن مزاولة الزراعة وينخرطون في أعمال حضارية أخرى مثل التجارة، والعمل في الوظائف الحكومية والأهلية، كما أن عمارة المنازل والقصور الحديثة، وبناء مرافق أهلية وحكومية، وإنشاء الكثير من المخططات العمرانية جعل الأراضي الزراعية تنحسر، وحل محلها طرق ومدن وأحياء عمرانية جديدة، وتقهقرت الحياة الزراعية ومواردها المائية مثل الآبار، والعيون، وغيرها[٢].

(ج) ما زالت الزراعة تمارس حتى وقتنا الحاضر في محافظة الطائف على نطاق ضيق، فالزائر لبعض الأمكنة، داخل مدينة الطائف، وفي مراكز الهدا، والشفا، وثقيف، ولية، والحوية وغيرها يشاهد بساتين ومزروعات عديدة مثل العنب، والرمان، وفواكه وخضروات أخرى عديدة[٣]. كما أن بعض المحافظات

---

(١) هذه نماذج مزروعات الطائف، وكتب التراث الإسلامي، ومصادر تاريخ الحجاز، وكتب الجغرافيا والرحالة، وبعض الكتب المدونة عن الطائف، والوثائق المنشورة وغير المنشورة، وأقوال بعض الرواة وكبار السن تؤكد على غنى الحياة الزراعية في محافظة الطائف. وأنادي في أساتذة التاريخ بجامعة أم القرى وأحثهم على توجيه بعض طلابهم في برامج الماجستير والدكتوراه إلى دراسة تاريخ وحضارة الطائف وبخاصة في الزراعة وغيرها.

(٢) يذكر لي الأستاذان مناحي القثامي والسيد عيسى القصيِّر أن الطائف حتى بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) كانت مليئة بالعيون والآبار والبساتين المنتشرة في كل مكان، وذكروا أسماء كثيرة للبساتين داخل مدينة الطائف. ونجد بعض الرحالة والمؤرخين خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) في مدينة الطائف أثناء زيارتهم لها. وأقول أن تاريخ الزراعة خلال القرنين (١٣/١٤هـ/١٩-٢٠م) يستحق أن يفرد له رسالة أو كتاب علمي، ونأمل أن نرى من مؤرخي الطائف من يقوم بذلك. والمشكلة التي حلت بالزراعة في الطائف تكاد تكون عامة على جميع بلدان المملكة العربية السعودية، وهذا ما قرأناه وشاهدناه أثناء تجوالنا في الحجاز، وبلاد السروات وتهامة، ومناطق الرياض وما حولها.

(٣) شاهدت بعض هذه المزروعات وبعض البساتين أثناء تجوالي في محافظة الطائف في الفترة من (٤-٨/١١/١٤٣٨هـ). وأقول أن الزراعة في الطائف تراجعت كثيراً عما كانت عليه قديماً، وعامة الناس والحكومة مشتركون في هذا التدهور، والواجب على الجميع أن يعملوا بجد وإخلاص على تنمية وتطوير الزراعة في هذه البلاد الزراعية، وهي تستحق الدعم والرعاية.

والمراكز جنوب مدينة الطائف يزرعون حبوب الذرة والشعير والحنطة والدجر والعدس، وبعض الفواكه والخضروات[١]. وفي بعض الأمكنة ذات البرودة العالية في الطائف يُزرع الورد الذي يستخلص منه الدهن أو العطر الطائفي[٢].

(د) **كانت الأيدي العاملة الزراعية قديماً محلية**، وربما شارك في هذه المهنة عمال قليلون من بلاد تهامة السروات، أو من اليمن، أو من بعض الدول الأفريقية، واستمر هذا الأمر حتى النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وبعد وفرة المال وتطور الأحوال الاقتصادية، صار أهل الطائف يستقدمون عمالاً من بلدان عربية وإسلامية وغير إسلامية[٣]. وقد شاهدت عمالاً من جنسيات عديدة يعملون في بعض البساتين والمزارع بمدينة الطائف، وفي مراكز الهدا، والشفا، ولية وثقيف، وغيرها، ومعظمهم من مصر، والسودان، واليمن، وأرتيريا، والحبشة، ودول أخرى عديدة من شرق وجنوب شرق آسيا. وهؤلاء العمال لا يقتصرون على خدمة الأرض وزراعتها، وإنما البعض منهم يحملون ناتج مزروعاتهم ويبيعونها على الطرقات الرئيسية، وفي بعض الأسواق والتجمعات السكانية[٤].

(هـ) ما أشرت إليه عن حرفة الزراعة في محافظة الطائف فقط شذرات مختصرة عن هذه البلاد ذات التاريخ الزراعي الطويل، ونأمل من جامعة الطائف أن تنشئ كلية للزراعة، أو قسماً علمياً يهتم بالحياة الزراعية في هذه الناحية، كما نأمل من الجامعة أن تشجع أساتذتها على دراسة الحياة الزراعية في هذه المحافظة منذ العهد القديم إلى عصرنا الحديث والمعاصر، وهي تستحق

---

(١) ما زال بعض الناس يمارسون الزراعة بشكل يسير في الأجزاء الجنوبية من محافظة الطائف، لكنها تدهورت بشكل كبير عما كانت عليه حتى نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٢) عرف ورد الطائف منذ مئات السنين، ويطلق على الطائف في بعض المصادر والمراجع (مدينة الورد)، وما زال الورد يزرع فيها حتى اليوم، ويقام بذلك مهرجان سنوي يسمى (مهرجان الورد) يعرض فيه طرق زراعة الورد، وقطفه، واستخلاص ماء أو دهن الورد، وفي هذا المهرجان يعرف أصناف عديدة من دهن الورد الطائفي ويباع بأسعار متفاوتة، ويُصدر إلى أسواق عديدة داخل المملكة العربية السعودية وخارجها. وتاريخ الورد الطائفي موضوع لم يدرس دراسة علمية؟ ونأمل أن نرى أحد طلاب الدراسات العليا فيدرس تاريخه منذ صدر الإسلام حتى اليوم.

(٣) اقتصر عمل أصحاب المزارع والمواطنون على الإشراف العام وتحصيل المال، وأحياناً يقوم بعضهم بتأجير مزارعه مقابل عائد مادي يجنيه في نهاية كل موسم.

(٤) هذه الظاهرة تكاد تكون في جميع مدن وقرى المملكة العربية السعودية، وهذا ما عرفته وسمعت عنه وشاهدته في جازان، ونجران، والباحة، ومناطق تهامة الممتدة من مكة إلى جازان، وفي نواحي المدينة المنورة، والاحساء وغيرها خلال الثلاثين عاماً الماضية.

الرعاية والخدمة في هذا الباب[١].

(و) **عندما زرت بعض المتاحف التاريخية في مدينة الطائف وبعض مراكزها الجنوبية شاهدت أدوات عديدة للأعمال الزراعية قديماً**، مثل: المحالة التي يسحب عليها الماء من الآبار أثناء ري المزارع، واللومة أو المحراث الخشبي الذي تحرث به الأرض أثناء إصلاحها وزراعتها، والقتب، وينطق أحياناً (الكتب)، وهو جهاز خشبي يربط على ظهر الثور أو الدابة التي تستخدم في حرث وسقي الأرض من الآبار وأدوات أخرى عديدة، خشبية أو حديدية، تستخدم من المزارعين أثناء زراعة وري المزارع وقد حل محل تلك الأدوات التقليدية آلات ومكائن حديثة لممارسة الأعمال الزراعية[٢].

٣-الحرف والصناعات:

مارس أهل الطائف حرفاً وصناعات يدوية عديدة، ومن يدرس بعض كتب التراث الإسلامي، ويطلع على بعض الوثائق التجارية والاقتصادية خلال القرون الماضية المتأخرة، أو يتقابل مع بعض كبار السن والحرفيين من محافظة الطائف فإنه يتأكد له أنهم مارسوا دباغة الجلود وخرازتها، والبحث عن المعادن وصناعتها أو صياغتها، واستخلاص الدهون، أو الزيوت، أو العطور من بعض النباتات والأشجار الموجودة في نواحي عديدة من الطائف، وهناك من عمل في مهن النسيج، والخياطة، والصباغة، والبناء والعمارة، وصناعة الأخشاب ونقشها، وهندسة بعض الأعمال الحجرية، أو الفخارية، كما وجد حرفيون آخرون عديدون يعملون في الخياطة، والحلاقة، والسقاية، وحمل الأمتعة على ظهورهم أو على الدواب، والحراسة، والرعي، والزراعة، وطهي الأطعمة والأشربة، وتنظيف البيوت وتزويقها، وفي مجالات اللباس والزينة، وغيرها من الأعمال المهنية التي تمارس في البيوت الصغيرة والكبيرة، وفي القرى والمدينة، وفي الأسواق والأماكن العامة[٣].

---

(١) الجامعة عليها مسئوليات عظيمة تتمحور في خدمة أرض وسكان محافظة الطائف، واعتقد أن من أسباب تأسيسها هو العمل الإيجابي الذي يصب في خدمة المجتمع والبلاد الطائفية.

(٢) وأقول أن الأدوات الزراعية القديمة والحديثة جديرة بالدراسة، اسماؤها، وطرق صنعها واستخدامها، والعقبات التي تواجه أصحاب المزارع في الحصول عليها وتوفيرها. والواجب دراسة الحياة الزراعية قديماً وحديثاً دراسة مقارنة، مع توضيح التشابه والاختلاف في تلك الحياة الحضارية. وهذا العنوان جدير أن يدرس في هيئة كتاب أو رسالة علمية.

(٣) هذا ما قرأه الباحث وسمع عنه اثناء زيارته للطائف في الفترة (٤-١٤٣٨/١١/٨هـ). وهذه الجوانب

واثنـاء زيارة الطائف والتجوال في الحاضرة وبعض القرى والأرياف[١]، اتضح لي أن الحـرف والمهن والصناعات القديمة تدهـورت بسبب عجلة التطور والتنمية التـي عمت البـلاد، فأصبحت لا توجد إلاّ في أماكن محـدودة، لموت الأيدي العاملة الماهـرة التـي كانت تمارسهـا[٢]، ثم صعوبـة ممارستها مع وجـود المكائن والآلات الحديثة التي حلت محل الأدوات القديمة[٣].

وعنـد زيارة المنطقـة المركزية التجاريـة في مدينة الطائـف، ومشاهدة بعض المدن الصناعية في الحاضـرة وبعض المراكز، والسير في الشوارع العامة والفرعية في عموم المحافظة تبين لي أمور عديدة، نذكر منها:

(أ) **توفـر جميـع المصنوعات من المعـادن والحديد**، والأخشـاب، والجلود، والأقمشـة والنسيج، والبلاستيـك، والنحاس، وبعض الأشجـار والنباتات والتراب والأحجـار. ومعظم المـواد الصناعية، والأيدي العاملة مستـوردة من خارج البلاد، وهنـاك صناعات محلية محدودة مثـل: صناعة الورد الطائفـي، أو بعض الأطعمة والأشربة، والألبسة والزينة، أو البناء، وجوانب أخرى قليلة في الزراعة، وفي المنازل والقصور، وفي الأسواق وغيرها[٤].

الحضاريـة جديـرة أن تدرس في عدد مـن الكتب والبحوث العلميـة، ونأمل من مؤرخـي وأساتذة جامعة الطائف أن يبذلوا قصارى جهودهم لدراسة مثل هذه الميادين المهمة.

(١) كانت زيارتي لمحافظة الطائف في الفترة الممتدة من (٤-٨/١١/١٤٣٨هـ).

(٢) شاهدت بعض الحرفيين والصناع الأوائل في مدينة الطائف وبعض القرى الجنوبية من المحافظة، وتحدثت معهم حول مهنهم قديماً وحديثاً فذكروا لي أنهم لا يمارسون مهنهم اليوم، وإن مارسها أحد منهم فذلك فقط لقضاء الوقت والاستمتاع، أما عائدها المادي فهو قليل ومحدود جداً، وأصبحت المصنوعات القديمة غير مرغوبة عند عامة الناس لأنه حل محلها بدائل أرخص وأجمل وأفضل.

(٣) يجب إيجاد دراسة مقارنة بين الحرف والصناعات قديماً وحديثاً، وهذا الموضوع يستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية. وللمزيد عن بعض الحرف والحرفيين والصناعات والصناعيين في مدينة الطائف خـلال العصر الحديث، انظر السيد عيسى القصيِّر، الطائف القديم، ص١٠٦ وما بعدها. ودراسة تاريخ الحـرف والصناعات في محافظـة الطائف من عام (١٣٠٠-١٤٣٨هـ/ ١٨٨٢-٢٠١٧م) من الموضوعات الجديدة ويستحق أن يكون عنواناً لعدد من الكتب والرسائل العلمية.

(٤) عندمـا فحصت جميع المعروضات التجارية في الأسـواق الصغيرة والكبيرة وجدت معظمها مستورداً من بلـدان عديدة، وإذا ذهبت إلى المصانع والورش في المـدن الصناعية، أو في المحلات التجارية والصناعية المتناثرة على جوانب الطرق الكبيرة والصغيرة فإنك ترى جميع المواد المستخدمة، والأيدي العاملة جاءت من خارج البلاد، وإن بحثت عن المواد أو الصناعات المحلية أو الأيدي الوطنية فهي قليلة جداً، وأحياناً غير موجـودة في كثير من الأمكنة الكبيرة والنشطة. وأقول أن كل صناعة من الصناعات الحديثة في محافظة الطائف تستحق أن يفرد لها بحوث علمية عديدة، وهذا العمل من مسئوليات الجامعة، والغرف الصناعية

(ب) **إذا تأملنا في معظم أصحاب الحرف مثل:** الحلاقين، والغسالين، والبنائين، والسباكين، والكهربائيين، والدهانين، والمبلطين، ومهندسي السيارات وجميع الآلات والأدوات الصغيرة والكبيرة، والمهندسين المعماريين، والزراعيين، والصناعيين والتقنيين، والعاملين في طهي الأطعمة، وخياطة أو صياغة أو بيع الملابس والأقمشة، والقائمين في مهن الزراعة والرعي والبيع والشراء، ونقل البضائع، وجلب المواشي وبيعها وغيرها من الحرف التي يصعب حصرها فإن القائمين على ذلك أيد عاملة مستوردة من خارج البلاد السعودية، وإذا عمل أحد من المواطنين في هذه المهن فإنهم قليلون، ثم إن مشاركتهم هامشية مثل الإشراف العام من أصحاب الأموال، أو الحراسة، وأعمال محدودة لا تحتاج إلى خبرة أو جهود كبيرة[١].

(ج) **تبذل الدولة قصارى جهودها في تطوير وتنمية البلاد تعليمياً، ومالياً**، وعمرانياً، وهذا أمر محمود، لكن الأهم من ذلك هو نشر الوعي بين أفراد المجتمع تجاه أهمية العمل والجد والاجتهاد، وتجاه الجوانب الايجابية في الأعمال الحرفية والصناعية. إن المجتمع العربي منذ العصر الجاهلي يأنف من الانخراط في المهن اليدوية والحرف الصناعية، وهذه الأنفة جعلت معظم سكان الجزيرة العربية منذ عصر ما قبل الإسلام حتى اليوم ينظرون إلى الحرف الصناعية ومن يمارسها نظرة ازدراء واحتقار[٢]، ومن ثم نرى معظم العالم العربي اليوم ما زال متخلفاً في هذا الميدان. والواجب على كل فرد أو جماعة أن يغيروا نظرتهم تجاه المجالات الصناعية والحرفية، ويحثوا على الانخراط فيها، والعمل في شتى جوانبها وميادينها[٣].

والتجارية، ووزارات وشركات الصناعة، وأيضاً المؤرخين والباحثين وأساتذة الجامعات وغيرهم.

(١) تعيش المملكة العربية السعودية هذه المشكلة في جميع مدنها وقراها، وفي جميع قطاعاتها العامة والخاصة، وهذه عقبة كبيرة، ويجب العمل على بث روح العمل في قلوب السعوديين، الذين صار كثير منهم اتكاليين فهم يبحثون عن الأعمال المريحة التي لا يُبذل فيها جهود كبيرة. وهذه الكارثة الاجتماعية ملموسة في شبابنا ورجالنا ونسائنا، وتحتاج إلى أنظمة وقوانين وتدريبات تغير هذا الفكر والوضع السلبي الذي يعيشه المجتمع السعودي. وهي مسئولية صناع القرار والمخططين وأساتذة الجامعات وأصحاب الرأي والفكر السليم في البلاد.

(٢) هذا ما قرأته وسمعت عنه وشاهدته خلال رحلة حياتي منذ ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر وربما يقول قائل هذا كلام غير صحيح، وهؤلاء بعض أبنائنا يدرسون في كليات الهندسة والتقنية، ويعملون في أعمال صناعية عديدة، وأقول لهم هذا قول جيد، لكنهم ما زالوا نسبة قليلة جداً، وإن دخلوا مجال الحرف والصناعات فهم يرغبون أن يكونوا قادة ومدراء لا مهنيين وصناعيين فعليين.

(٣) الذاهب في أرجاء العالم العربي يلمس النظرة الدونية لأصحاب الحرف والصناعات ما زالت موجودة

٤- التجارة:

تمتاز محافظة الطائف بموقع استراتيجي، فهي حلقة الوصل بين بلاد الحجاز والأجزاء الوسطى والشرقية والجنوبية في الجزيرة العربية. وكتب التراث الإسلامي مليئة بالمعلومات التاريخية والتجارية عبر عصور التاريخ الجاهلي والإسلامي، فذكرت الكثير من السلع المحلية التي تصدر من الطائف إلى أسواق مكة المكرمة وجدة والمدينة المنورة، وأشارت إلى بعض أعيان وتجار ووجهاء الحجاز واليمن والسروات الذين يرتادون أسواق الحجاز، ويمتلكون البضائع والعقارات المتنوعة. وكثير من كتب الجغرافيين والرحالة الأوائل فصلوا الحديث عن الطرق التجارية التي تصل بلاد الطائف مع غيرها من البلدان داخل الجزيرة العربية وخارجها[١]. كما احتوت بعض المخطوطات، والكتب والوثائق على تفاصيل كثيرة عن التجارة والتجار في محافظة الطائف، وذكرت أهم السلع التي يصدرها الطائفيون، والبضائع التي يستوردونها من مدن الحجاز الأخرى ومن اليمامة، والسروات، واليمن، وبعض موانئ البحر الأحمر مثل جدة، وينبع، والقنفذة، وجازان، والحديدة. وأشارت إلى بعض الأسواق الأسبوعية في المدينة، وفي عدد من مدن وقرى قبائل محافظة الطائف[٢]. ومنذ النصف الثاني في القرن الرابع عشر الهجري حتى العقدين الأولين من هذا القرن يذكر لي بعض مؤرخي الطائف معلومات قيمة عن أسواق الطائف المركزية، كيف كان وضعها التجاري، وأسماء التجار وأصحاب الدكاكين في هذه المنطقة، وأنواع البضائع المعروضة في هذه الأسواق[٣].

لكنها بنسبة قليلة جداً عما يعيشه سكان دول الخليج العربي اليوم الذين يملكون أموالاً جعلتهم لا يعملون في مهن حرفية، وصناعية، مع أن الآباء والأجداد كانوا أفضل حالاً من مجتمعاتنا الحالية، حيث كان أفراد الأسرة أو القرية الواحدة يعملون في حرف ومهن عديدة يكسبون منها أقواتهم.

(١) يوجد في مصادر التراث الإسلامي تفصيلات كثيرة عن التاريخ التجاري في محافظة الطائف منذ عصر ما قبل الإسلام حتى القرن العاشر الهجري. وهذا الموضوع يجب أن يدرس في عشرات البحوث العلمية، ونأمل من مؤرخي الحجاز أن يدرسوا هذا الموضوع في بحث علمي مطول.

(٢) تاريخ التجارة في محافظة الطائف من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجريين جدير بالدراسة في عدد من الكتب والرسائل العلمية، ويوجد عن هذا الموضوع الكثير من المخطوطات والوثائق غير المنشورة وتستحق الجمع والدراسة والتحليل، ونأمل أن نرى أحد طلاب الدراسات العليا في أقسام التاريخ بجامعات الطائف، أو أم القرى، أو الملك عبدالعزيز فيدرس هذا العنوان في كتاب أو رسالة علمية موثقة.

(٣) مقابلة مع الأساتذة مناحي القثامي، والسيد عيسى القصيِّر، وعلي بن خضران القرني في الفترة من (٤-١٤٣٨/١١/٨هـ).

كمـا اطلعت على عشرات الوثائـق الاقتصادية التي يعـود تاريخها إلى العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وفيها معلومات عن أنواع السلع وأسعارها، وطرق التوريـد والتصدير من الطائـف وإليها، وأدوار بعض المؤسسـات الإدارية كالبلدية والماليـة والمحاكـم الشرعية في تسيير الحيـاة التجارية في الأسـواق الأسبوعية في مدينة الطائف وأريافها[1].

وخـلال الأيام الخمسـة التي قضيتها في محافظة الطائـف استطعت أن أجمع بعض الصور التاريخية التجارية المعاصرة، وأسرد أهمها في النقاط الآتية:

(أ) محافظـة الطائف مربوطة بشبكة طرق برية مسفلته جيدة، ومن هذه الطرق الكبيرة ما يصل مدن وقرى المحافظة ببعضها، أو يربط الطائف مع غيرها مـن الحواضر والمدن الصغـيرة والكبيرة في أنحاء المملكة العربيـة السعودية. وفي داخل حاضرة الطائف طرق رئيسيـة ومزدوجة تربط أجزاء المدينة وأريافها مثل: طريق حسان بن ثابت الذي يمتد من طريق الجنوب الرئيسي حتى وسط الطائف، وطريـق وج الذي يأتـي من غرب المدينة، ثم يسير مـن وسطها حتى يتصل بطريق الحويـة الذي يواصل السـير إلى الرياض، والطريقان اللذان يخرجان من الطائف إلى مكـة وجدة عبر الهـدا أو وادي السيل، والطريق الذي يخرج من وسط الطائف إلى منطقـة الشفـا، والطريـق الدائري الذي يحيـط بالمدينة من معظـم جهاتها، وطـرق أخرى عديدة صغيرة وكبيرة داخل المدينة. كما أن المركز والأرياف والقرى التابعـة لمحافظـة الطائف يوجد فيها طـرق مسفلته متعددة ومتنوعـة في أطوالها، وعرضها وخدماتها. وجميع طرق محافظة الطائف مزدحمة بحركة السير، ويوجد علـى جوانبها الكثير مـن الاستراحات والمحلات التجاريـة والصناعية تخدم التي المسافرين أو من يرتادها أو يسكن قريباً منها[2].

(ب) محافظـة الطائف مليئة بالأسـواق والدكاكـين التجارية اليومية، ويوجـد في مدينة الطائف بعض الأسواق الكبيرة والمشهورة، ومنها: أسواق المنطقة المركزية وسط المدينة، وهي متنوعة في بضائعها، ومواقعها، ومساحتها. وكانت هذه

---

(١) حبـذا أن نـرى باحثاً جاداً يقـوم بجمع هـذه الوثائق والمخطوطات غـير المنشـورة، واستخلاص التاريخ الاقتصادي منها وبخاصة ما يدور حول محافظة الطائف (مدنها، وقراها، وبواديها).

(٢) تاريـخ الطرق والنقل في محافظة الطائف خلال العصر الحديث والمعاصر من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس وتستحق الدراسة في عدد من البحوث العلمية.

الأسواق شعبية وغير مرتبة إلى عهد قريب، ثم أدخلت عليها بلدية الطائف الكثير من الإصلاحات المعمارية والإدارية، حتى أصبحت معلماً تاريخياً وسياحياً جميلاً، ومساحة هذا السوق تقريباً (١كم×١كم)[١]. وسوق (جوري مول) في مخطط البيعة جنوب شرق المدينة، وهو سوق تجاري كبير ومغلق، ويكاد يكون السوق الحديث في الطائف الذي يشبه بعض الأسواق الحديثة في مدن أخرى من المملكة[٢]، وأسواق أخرى عديدة وكبيرة نوعاً ما مثل سوق برج العبيكان[٣]، وسوق العنقري، وسوق الراية، وأسواق الحويه، وسوق عكاظ وغيرها[٤]. ولا تخلو المراكز والقرى الكبيرة في المحافظة من أسواق عديدة. وإذا زرت الشوارع الرئيسية والفرعية، ومحطات الوقود، والحدائق والمنتجعات السياحية، والمدن الصناعية، والأحياء الحديثة، أو الشعبية فإنك ترى مئات الأسواق المتفاوتة في معروضاتها، ومساحاتها[٥].

(ج) الأيدي العاملة في التجارات المختلفة من جنسيات عربية وغير عربية عديدة، ومعظمهم وفدوا إلى محافظة الطائف من أجل العمل وكسب الرزق. وهناك عناصر سعودية عربية وغير عربية ذكوراً وإناثاً يعملون في بعض الدكاكين والمحلات التجارية الصغيرة والكبيرة داخل مدينة الطائف وخارجها[٦].

---

(١) انظر بعض التفصيلات عن هذه الأسواق خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) وبدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م): السيد عيسى القصيرّ، الطائف القديم (٣٨٦ صفحة). وهذه الأسواق في وقتنا الحاضر تحتاج إلى دراسات علمية توثيقية.

(٢) زرت مدن وحواضر أخرى عديدة في جنوبي البلاد السعودية، وجدة، ومكة، والمدينة، وغيره وشاهدت فيها أسواقاً تجارية حديثة كبيرة، أما أسواق مدينة الطائف الحديثة فما زالت في مستوى أقل مما رأيته في أبها، وخميس مشيط ومكة والمدينة وغيرها.

(٣) يقع برج العبيكان في شمال المدينة ويتكون من (٣٣) طابقاً، والأسواق في الطوابق السفلى من هذا البرج.

(٤) سوق عكاظ من الأسواق الجاهلية المشهورة، وتوقف العمل فيه في نهاية الثلث الأول من القرن الهجري الثاني، وبقي مندثراً حتى أواخر العقد الثالث من القرن الخامس عشر الهجري، ثم أعيد العمل فيه، وكانت إمارة منطقة مكة المكرمة هي المشرفة على مهرجانه السنوي حتى عام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م)، ثم نقل الإشراف عليه خلال هذا العام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م)، إلى الهيئة العليا للسياحة في المملكة ويبعد عن مدينة الطائف نحو الشمال الشرقي حوالي (٤٠كم)، ويقام فيه مهرجان سنوي يدعى إليه الكثير من المشاركين من داخل المملكة العربية السعودية وخارجها. ويجب دراسة ما جرى على سوق عكاظ في العصر الحديث والمعاصر، وهذه مسئولية المؤرخين والباحثين والجيدين.

(٥) هذا ما شاهدته وزرت الكثير منها داخل مدينة الطائف وفي بعض المدن والقرى من المحافظة. وأقول أن تاريخ التجارة المعاصرة في محافظة الطائف يستحق أن يدرس في عدد من الكتب والبحوث العلمية.

(٦) دراسة تاريخ الأيدي العاملة في الأعمال التجارية أو الاقتصادية في محافظة الطائف من العناوين الجديدة والجديرة بالدراسة في عدد من الرسائل والبحوث العلمية.

(د) نجد الأسعار والأجور في محافظة الطائف متفاوتة من مكان لآخر

فالأراضي التجارية والسكنية داخل المدينة تتراوح أسعارها من المئة والمئتي ألف إلى عشرات الملايين من الريالات السعودية. والأراضي السكنية المتوسطة في الموقع، ومساحاتها تتراوح من (٥٠٠-١٠٠٠م٢) تقدر أسعارها من (٣٠٠-٨٠٠) ألف ريال. أما الأراضي التجارية وسط المدينة أو على الشوارع الرئيسية أو الفرعية الكبيرة في المدينة فأسعارها غالباً في مئات الألوف، وبعضها في عشرات ومئات الملايين وبخاصة التي مساحاتها غالباً في مئات وأحياناً في آلاف الأمتار المربعة[١]. وزرت مناطق وادي محرم، والهدا، والشفا، والحوية، وذهبت إلى بعض أجزاء بلاد الطائف الجنوبية مثل محافظتي بني سعد وميسان بالحارث[٢]، ومراكز ثقيف، ولية، وبني مالك بجيلة، وسمعت وشاهدت الأراضي السكنية والتجارية تتراوح بين عشرات الآلاف والملايين كل حسب موقعه ومساحته. ومناطق الهدا، والشفا، والحوية، أكثر هذه المناطق ارتفاعاً في الأسعار، بل بعض الأمكنة التجارية والسكنية فيها تفوق مثيلاتها من الأراضي داخل المدينة[٣]. والايجارات الخاصة بالأراضي (سكنية أو تجارية)، والعمارات، شققاً مفروشة وغير مفروشة، والطابق الواحد، أو الطوابق غير المفروشة، وعرف الفنادق والشقق المفروشة فمنها الذي اجارة سنويا ويكون غالباً في عشرات الآلاف وربما أكثر للشقة أو الطابق المكون من عدة غرف، وهناك عمائر كبيرة تتكون من عدة أدوار وعشرات الغرف أو الشقق يكون إيجارها السنوي في عشرات أو مئات الألوف حسب مساحتها وموقعها وجودة خدماتها. والايجار اليومي للغرف والأجنحة في الفنادق أو الشقق المفروشة يكون في مئات الريالات وأحياناً آلاف الريالات وبخاصة في فصل الصيف حيث يتزايد السواح والمصطافون في محافظة الطائف[٤].

---

(١) وقفت على بعض الأراضي التجارية والسكنية في المنطقة المركزية في الطائف وفي أحياء قروى، والسلامة، ومعشي، ومسرة، والخالدية، والشهداء الجنوبية والشمالية، والشرقية، والفيصلية وشهار ووجدت أسعار عموم الأراضي السكنية والتجارية غالية، مقارنة بأسعارها في نهاية القرن (١٤هـ-٢٠م) حيث كانت فقط في الآلاف وأحياناً في مئات الآلاف للأراضي المميزة في الموقع والمساحة.

(٢) هاتان المحافظتان كانتا مركزين تابعين لمحافظة الطائف إلى عهد قريب، ومؤخراً تم فصلهما، وأطلق على كل ناحية اسم (محافظة) فئة (ب)، وهما في الجهة الجنوبية من مدينة الطائف. المصدر: مشاهدات الباحث وجولاته في مناطق عديدة من بلاد الطائف في الفترة من (٤-٨/١١/١٤٣٨هـ).

(٣) زيارة الباحث لبعض مكاتب العقار في هذه المراكز القريبة من مدينة الطائف في الفترة من (٤-٨/١١/١٤٣٨هـ).

(٤) بلاد السروات من الطائف إلى أبها وسروات شهران وقحطان مميزة في جوها وطبيعتها، وتعد أفضل مصايف المملكة العربية السعودية في فصل الصيف، فالناس يأتون إليها أفرادا وجماعات من داخل المملكة وخارجها،

وإذا نظرنا في أسعار مواد البناء، وأثاث المنازل والقصور والفنادق، والأيدي العاملة التي تعمل في مجال العمارة منذ تشييدها حتى تأثيثها واستخدامها فهي ممارسة في عموم محافظة الطائف ومنها الذي أسعاره في خانة الريالات مثل مواد البناء الصغيرة كالمسامير، وأدوات الحفر، أو البناء، أو التأثيث، ومعظم الأسعار في هذا الميدان بالعشرات، أو المئات، والآلاف حسب مقدار أو كمية البضاعة المشتراة، وهناك بضائع غالية أو كمياتها كبيرة فأسعارها في مئات الألوف. والآلات والأيدي العاملة في هذا الميدان تتراوح أجورها بين العشرات أو المئات، أو الآلاف حسب الزمن والعمل المتفق عليه، فهناك آلات أو أيد عاملة تعمل باليوم فإيجارها غالباً في العشرات وبعض الآلاف أو المهرة والفنيين في المئات، ومن يعمل بالراتب الشهري تكون اجرته في خانة الألف أو الآلاف. وهذه طبيعة المعدات أو الأيدي العاملة في عموم محافظة الطائف وفي جميع القطاعات العامة والخاصة[١].

وأسعار الألبسة والأطعمة موضوع كبير جداً، ويستحق أن يُبسط في مئات الصفحات. والذي استطعت جمعه من أسعار الملابس الرجالية للصغار والكبار، الداخلية والخارجية، وألبسة القدم والرأس عند الذكور تتراوح من الريالات القليلة إلى العشرات، والمئات، والآلاف، وذلك حسب كمية اللباس، ونوعه، وجودته. فالثوب الواحد للرجال والأطفال يكون بين العشرات والمئة والمئتين والثلاثمائة ريال، وقد يكون هناك أثواب غالية تصل إلى الألف وأكثر، وكذلك العقال، والغترة (العمامة)، والأحذية بين عشرات الريالات إلى المئة والمئتي ريال، والوضع نفسه في الأكوات، والمشالح، والسديريات، أو الألبسة التي تلبس فوق الثياب فأسعارها

وبالتالي تنشط أسواقها وميادينها السياحية والاقتصادية، والأراضي والعمائر بجميع مرافقها ترتفع أسعارها وإيجاراتها، وتزداد الفرص الوظيفية للنساء والرجال في هذا الجزء الجنوبي من البلاد السعودية. وأقول أن دراسة أحوال هذه البلاد في فصل الصيف وما يجري على أرضها وبين سكانها من نشاط حضاري من الموضوعات الجديدة التي يجب دراستها، وتوضيح الإيجابيات والسلبيات التي تعم هذه الأوطان أيام الصيف، وهذه المسئولية من واجبات مراكز البحوث في جامعات الطائف، والباحة، والملك خالد، وبيشة، ونجران.

(١) شاهدت أثناء تجوالي في مدينة الطائف وبعض المراكز التابعة للمحافظة آلات عديدة مثل: الشيولات، والحفارات، وسيارات النقل، وبعض الأجهزة والمعدات المستخدمة في أعمال اقتصادية عديدة. كما تحدثت مع بعض العمال والفنيين، وجميعهم غير سعوديين، في ميادين العمارة، وبيع وشراء أدوات البناء وأثاث المنازل والقصور، أو من العاملين في العقارات أو تأجير المعدات، وغيرها من الأعمال الأخرى، وجمعت منهم بعض المعلومات التاريخية الحديثة والمعاصرة. وأقول أن دراسة الأسعار والرواتب والأجور لجميع شرائح المجتمع في محافظة الطائف خلال الخمسين سنة الماضية من الموضوعات الممتازة التي لم تدرس وتستحق البحث في عدد من الكتب والبحوث العلمية.

مـن المئة ريال إلى الآلاف وبخاصة بعض المشالح والأكوات الغالية فقد يصل سعر بعضها إلى العشرات آلاف ريال وأكثر. وإذا نظرنا في ألبسة عامة الناس، أو زرنا الأسواق الخاصة للرجال فإننا نشاهد عشرات الأنواع من الأقمصة، وربطات العنق، والبنطال، والملابس الداخلية، وبعض أغطية الرأس، والأحذية والجزمات المتنوعة في أحجامها وأشكالها، ومنها الرخيص الذي لا تتجاوز أسعارها الريالات أو العشرات حتى المئة ريال. ومنها الغالية التي تكون أسعارها في مئات الريالات، وربما بعضها دخل سعره في خانة الألف، أو الألوف. وقد رأيت في أسواق الطائف المركزية بعض الألبسة الرجالية الشعبية، وألبسة أخرى محلية ومستوردة وأسعارها معقولة تتراوح من العشرة والعشرين إلى الستين وربما التسعين ومئة ريال. وأدوات زينة الرجال مثل الخناجر، والأقلام، والمسابح، والعطور، والدهون، وبعض الملابس الخارجية المزينة ببعض التطريزات الجميلة فأسعارها من الريالات المعدودة إلى المئة وأضعافها حتى الأربع مائة والخمسمائة[١].

أما ألبسة النساء فذلك مجال واسع، والزائر لجميع أسواق محافظة الطائف يجدها تغص بالألبسة وأدوات الزينة النسائية، ومعظم الألبسة النسوية مستوردة من دول كثيرة في العالم، ومصنوعات الصين تتربع على عرش الصادرات إلى المملكة العربية السعودية، والألبسة والزينة في مقدمة تلك الصادرات[٢]. وأسعار ألبسة النساء الداخلية والخارجية للصغيرات والكبيرات، والأحذية تتفاوت في الغلاء والرخص. فهناك ألبسة رخيصة لا تتجاوز أسعارها عشرات الريالات، ومعظم ألبسة النساء الكبيرات وأدوات زينتهن غالية حيث تتراوح بين المئات والآلاف. وقد جلست مع بعض قريباتي في مدينة الطائف، وسألتهن عن بعض الألبسة النسائية مثل: الأقمصة، والتنورات، والبنطال، والأثواب، والنعال والجزمات، وبعض أغطية

---

(١) تجول الباحث في أسواق الطائف المركزية، وأسواق (جوري مول) والعبيكان، وفي بعض الأسواق الصغيرة في مراكز الهدا والشفا، وثقيف، ولية، كما شاهد بعض البائعين في شوارع الطائف وعندهم بعض ألبسة وزينة الرجال، ويصعب على الإنسان أن يحيط بدراسة أسعار الملابس في المحافظة في وقت قصير، وهذا الموضوع يحتاج أن يدرس في عدد من البحوث العلمية، ويجب على المؤرخين في بلاد الحجاز أو السروات أن يدرسوا مثل هذا العنوان الحضاري المهم.

(٢) صادرات الصين إلى المملكة العربية السعودية، موضوع كبير ويستحق أن يفرد له عشرات الكتب والبحوث والدراسات والألبسة من أكثر البضائع التي تستوردها المملكة من جمهورية الصين الشعبية.

الرأس، وأدوات تجميل الوجه والأيدي والشعر فذكرت لي أن لبسة واحدة للمرأة المتوسطة في حياتها اليومية تقدر بمئات الريالات، وقد يدخل السعر في خانة الآلف والآلفين والثلاثة، وهناك ألبسة خارجية كاملة قد لا تصل أسعارها إلى المئتين والثلاثمائة ريال، ثم قلن أن ألبسة وزينة النساء أغلى بكثير من لباس الرجال فهناك أقمصة نسائية تباع بالآلاف وأحياناً بالمئات، وبعض العطور والدهون غالية جداً، واضفن أن أسعار حلى النساء مثل الذهب والفضة والألماس تتراوح من مئات الريالات إلى عشرات ومئات الألوف[١]. وزرت بعض أسواق ألبسة النساء في مدينة الطائف ومراكز لية، وثقيف، والهدا، وقابلت بعض البائعين في بعض المتاجر، وسألتهم عن أسعار بعض الألبسة فأطلعوني على بعض الفساتين المصممة في دول عربية وأوروبية فإذا أسعارها بين الثلاثين وخمسين ألف ريال، وفساتين أرخص قليلاً من الخمسة إلى الخمسة عشر وعشرين ألف، وأنواع أخرى أرخص بين الألفين والثلاثة آلاف. وأسعار بعض الأقمصة والتنورات والجزمات أو النعال ذات الموديلات المختلفة بين مئات الريالات. ورأيت ألبسة وأدوات زينة شعبية في أسواق الطائف المركزية، وأسعار بعضها كالثياب والأدوية تباع بمئات الريالات، وزبائنها غالباً من السواح الذين يفدون إلى الطائف في فصل الصيف كالأوروبيين وأجناس أخرى من العرب ودول شرق آسيا. وأسعار أدوات الزينة الشعبية مثل: الكحل، والمحلب، والريحان، وعطور الورد المحلية وغيرها تتراوح من الريالين والثلاثة إلى عشرات الريالات[٢].

---

(١) هؤلاء القريبات اللاتي التقيت بهن في الطائف تتراوح أعمارهن من العشرين إلى السبعين عاماً، ويعشن في مدينة الطائف منذ عشرين عاماً. والظاهر على عموم النساء المبالغة في اللباس وأدوات الزينة، والبعض منهن موظفات يتقاضين رواتب جيدة تقدر بالعشرة والعشرين ألف ريال للشهر الواحد، ويصرفن معظم الرواتب في شراء الألبسة التي لا تستخدم إلا مدة قصيرة ثم تستبدل بغيرها. وهذا ما عرفته وشاهدته مع الكثير من الأخوات والعمات والبنات في أنحاء المملكة العربية السعودية وعددهم بالعشرات، ومعظمهن يؤكدن على هذا الكلام المذكور أعلاه.

(٢) لم نفصل الحديث عن جميع اللباس والزينة عند جميع شرائح المجتمع مثل: الأغنياء والفقراء، وأهل البادية والحاضرة، وسكان المدينة والريف والقرية، والمواطنين والمقيمين، وأصحاب الدخل العالي والقليل. لأن هذا الموضوع كبير ويستحق أن يدرس في عدد من البحوث العلمية، ونأمل من أساتذة قسم التاريخ، برنامج الدراسات العليا، في جامعتي أم القرى والطائف أن يدرسوا تاريخ الزينة واللباس من شتى الجوانب في محافظة الطائف، وهذا موضوع جديد ويستحق الدراسة والتوثيق.

وتختلف أسعار الأطعمة والمواد الغذائية حسب أنواعها، وكمياتها، وأحجامها. فالكيلو الواحد من لحم الإبل، أو الأغنام، أو الأبقار يتراوح بين (٤٠-٦٠) ريالاً. وسعر الجمل الواحد، أو الخروف، أو التبيع أو التبيعة الكبيرة أو المتوسطة من (٧٠٠-٦٠٠٠) حسب نوع البهيمة وحجمها، وكيلو السمك من (١٥-١٢٠) ريالاً، أما الدجاج والحمام وغيرها من الطيور الصالحة للأكل فسعر الواحدة بين (١٠-٣٠) ريالاً.

وفي المطاعم الكبيرة والصغيرة و(البوفيهات) في المحافظة قوائم عديدة من الأطعمة، وأسعار الصنف الواحد من الريالين والثلاثة إلى عشرات الريالات. فالصحن الصغير الواحد من الأرز أو أي صنف من الإدام بين (٣-١٠) ريالات، والوجبة الواحدة لشخص واحد من الدجاج، أو اللحم، أو السمك من (١٥-٧٠ وربما ١٠٠ و ١٢٠) ريالاً، والسلطات، وشرب المياه، أو العصائر، الطازجة أو الغازية من ريالين إلى خمسة وعشرة ريالات. واسعار الخبز أو البقوليات المطهية كالعدس، والفول، وغيرها حوالي (٣-٥) ريالات للوجبة الواحدة. والذاهب إلى دكاكين المواد الغذائية الصغيرة والكبيرة يجد مئات الأسعار المتنوعة حسب نوع السلعة، ومقدارها، وأهميتها. فالكيس (٤٠-٤٥كم) من الأرز من (٢٠٠-٣٠٠) ريال حسب النوع، وكيس السكر (٤٥كم) (١٧٠-٢٠٠) ريالاً، والمد من حبوب الحنطة، أو الذرة، أو الشعير من عشرة إلى أربعين ريالاً، وكثير من الأطعمة المعلبة مثل: الجبنة، والمربى، والزيتون، والقشطة، والتونة، والحلاوة الطحينية، والمخللات وغيرها تتراوح أسعارها من الثلاثة إلى الثلاثين ريالاً للعلبة الواحدة أو الكيلو الواحد. وأسعار الحليب، والماء، والعصائر المعلبة، والألبان بين الريال والعشرة ريالات لجزء من اللتر حتى لترين وربما ثلاثة. وطبق البيض الذي يحتوي على ثلاثين بيضة من (١٢-١٤) ريالاً، والفواكه والخضروات في مدينة الطائف ومراكزها متفاوتة الأسعار فكيلو العنب من عشرة إلى عشرين، والبرشومي (التين الشوكي) من خمسة إلى عشرة ريالات، وكرتون الرمان الذي يزن (١٥-٢٥) كيلو من (١٥٠-٣٠٠) ريالاً حسب نوعه، وكيلو التين البلدي أو البخارى، أو الخوخ، أو المشمش أو البرتقال، أو التفاح، أو الطماطم، والبطاطس، أو البامية، أو الفاصوليا، أو الجزر، أو الفلفل الحار أو البارد، أو الموز أو الكمثرى، أو التوت، أو الكرز، أو الشمام، وغيرها تتراوح أسعارها من أربعة وخمسة ريالات إلى العشرين وخمسة وعشرين ريالاً حسب نوع الصنف من هذه الفواكه والخضروات، وأرخصها الجزر

وأحياناً الطماطم، وأعلاه سعراً التوت والكرز، والبخارى، ومنها المجلوب من مزارع محلية، وأخرى مستوردة من الخارج مثل البرتقال والتفاح والموز وغيرها[١]. وكثير من الأطعمة السابق ذكرها تباع بالمفرق في الدكاكين والمحلات الصغيرة، وغالباً تكون أغلى من المتاجر الكبيرة التي تبيع بالجملة[٢]. وهناك مطاعم ومطابخ تقوم بطهي الذبائح القليلة والكثيرة ويكلف الخروف أو التيس المطهي الوسط مع الأرز من (٧٠٠-١٥٠٠) ريالاً، حسب نوع الطبخ وما يضاف عليها من مواد غذائية أخرى مثل البيض والفستق والزبيب، وأجرة الطبخ للذبيحة الواحدة من (١٠٠-٢٥٠) ريالاً. وبيع وطبخ الأبقار والإبل تكون أعلى بكثير، وأحياناً تباع أجزاء من الذبيحة الصغيرة مثل الربع والنصف للخروف أو التيس والسعر غالباً يتراوح من (١٥٠-٤٠٠) ريالاً. وتباع بعض الحلويات والمكسرات والمشروبات في بعض الأمكنة المخصصة لها وأسعارها تتراوح من عشرة وعشرين إلى الثمانين والمئة ريال للكيلو الواحد[٣].

(هـ) **وأجور النقل تختلف داخل المحافظة وخارجها**، فنقل الركاب داخل مدينة الطائف في تاكسي الأجرة وأحياناً سيارات خاصة يتراوح من (٥-٣٠و٣٥) ريالاً، وأجرة الراكب من الطائف إلى الباحة حوالي الأربعين والخمسين ريالاً، وربما نزلت قليلاً إلى الخمسة وعشرين والثلاثين ريالاً، ومن مدينة الطائف إلى مكة المكرمة وجدة تتراوح بين (٣٠-٦٠) ريالاً للشخص الواحد. وهناك سيارات صغيرة تذهب في مشوار خاص وتكلف من (٢٠٠-٣٠٠) ريالاً سواء إلى الباحة أو جده. أما نقل البضائع في السيارات المتوسطة إلى بعض مدن المملكة مثل جدة، أو المدينة، أو أبها، أو خميس مشيط، أو نجران، أو الرياض وغيرها فالقطعة الواحدة التي تزن تقريباً (٢٠-٥٠) كيلو تكلف من عشرة إلى خمسة عشر ريالاً، وذهاب هذا النوع من السيارات في مشوار خاص تكلف ما بين (٧٠٠-١٥٠٠) ريال، أما

(١) ما تم الاشارة إليه في هذا المحور فقط نماذج من أسعار السلع المعروضة في أسواق الطائف الصغيرة والكبيرة، وموضوع الأسعار كبير جداً ويستحق الدراسة والتفصيل في بحوث علمية موثقة.

(٢) زرت بعض مستودعات الأطعمة والمواد الغذائية في مدينة الطائف، فوجدتها مليئة بمئات الأنواع من الأشربة والأطعمة، ومعظمها مستورد من خارج البلاد السعودية.

(٣) إذا درسنا أسعار أو أجور الآلات والأدوات الزراعية، أو التجارية، أو التعليمية، والثقافية، أو الحرف والصناعات وغيرها فإنها تتراوح بين الريالات والعشرات والمئات وأحياناً آلاف الريالات. واقول أن دراسة تاريخ الأسعار في محافظة الطائف خلال الأربعين سنة الماضية يعد من الموضوعات الجديدة والجديرة بالدراسة والتوثيق.

أجـرة السيارات (التزيلات) الكبيرة فالحملة الكاملـة إلى مدن عديدة في المملكة تكلـف (١٥٠٠-٤٠٠٠) ريـالاً حسب المسافة بين مدينة الطائـف والمدن الأخرى في أنحـاء البلاد[١]. وفي داخل الطائف سيـارات صغيرة مثل (الهايلوكس) أو ما يعرف بـ (الدبـاب) وهي أصغر حجمـاً من ونيت الهايلوكس، أو القلابـات الصغيرة التي تنقل الاسمنت والبلـك والبطحاء بين أحيـاء المدينة فأسعارها تتراوح مـن (١٠-٦٠ وربما ٧٠) ريـالاً حسب نوع الحمولة والمسافة[٢]. وهنـاك أفـراد يحملون بعض البضائع على ظهورهم أو في عربات داخل الأسواق التجارية المختلفة وأجرة الفرد تقدر بالمدة والكمية التي ينقلها، وأجرتهم تتراوح بين خمسة ريالات وعشرين وربما ثلاثين ريالاً[٣].

(و) **والنقـود السعوديـة الورقية مـن الريال**، والخمسـة والعشرة ريالات، والخمسـين، والمئة، والخمسمائة ريال هي العملة المعمـول بها في محافظة الطائف أثنـاء زيـارة الباحث لها، وهنـاك نقـود معدنية كنصف الريال وغـيره يتم تداولها أحياناً[٤]. وقد تستخدم البطاقات البنكية مثل (الفيزا)، و (الماستر كارد) وغيرها بـدلاً من دفـع النقود عند البيـع والشـراء[٥]، وفي بعض أسواق الخضـار والفواكه وأحيانـا الحبوب تباع بعض السلع بالجملة[٦]. ويستعمل الجـرام، أو الكيلوجرام،

---

(١) تاريـخ النقـل والمواصـلات والأجـور خـلال العصـر الحديث والمعاصـر من مدينـة الطائـف وإليها من الموضوعـات الجديـدة والجديـرة بالدراسة في عدد مـن البحـوث أو الرسائل العلمية، مـع التركيز على أنـواع النقـل، والمعوقات التي تواجه حركة المواصلات، والأيدي العاملة التي تعمل في هذا القطاع، والأجور للأفراد والسيارات العامة والخاصة.

(٢) حركـة نقـل البضائـع المتنوعة داخل المدينـة، أو من المدينـة إلى المراكـز القريبة كالشفا والهـدا، ولية، والحويـة، موضـوع جيد وكبـير يستحق أن يدرس في بحـث أو رسالة علمية خلال الفـترة الممتدة من عام (١٤٠٠-١٤٣٨هـ/ ١٩٨٠-٢٠١٧م).

(٣) حمـل البضائع والماء داخل الأسواق، أو مـن السوق إلى المنزل عادة معروفة عند أهل الحجاز في الطائف ومكـة والمدينـة، وجـدة، وكان يطلـق على مـن يقوم بهـذه المهنة (الحمالـين) الذين يحملـون الأغراض والبضائع المختلفة. والسقائين الذين يحملون الماء من العيون والآبار إلى المنازل، وهذه العادة اندثرت مع عجلة التطور والتنمية التي تعيشها البلاد. وحبذَ أن نرى باحثاً جاداً يدرسها في هيئة بحث علمي موثق.

(٤) جـرى على العملة السعودية عدد من التعديلات والتطوير منذ عهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن إلى عهـد الملك سلمان بن عبدالعزيز. وهـذا الموضوع جدير بالبحث والدراسـة. وجميع مدن وحواضر وقرى وبوادي المملكة تعمل بعملة واحدة منذ تأسيس البلاد حتى وقتنا الحاضر.

(٥) أصبحـت البطاقـات البنكية مستخدمة اليـوم أكثر مما كانت عليـه، وتطور التقنيـة واستخدام الشبكة العنكبوتيـة جعـل الكثير مـن الناس والرجـال يتعاملون بهـذه البطاقـات في أعمالهم وشـراء بضائعهم داخليـا وخارجيا. وموضوع استخدام هذه الوسائل في عصرنا الحاضر من الموضوعات الجديرة بالبحث والدراسة في عدد من الدراسات العلمية.

(٦) يحـدث هـذا التعامل التجـاري في بعض أسـواق الفواكه العامة، وقـد شاهدت ذلك في أسـواق الخضروات

أو الطـن، في وزن البضائع. والكثير من الأشربة والأطعمة والمواد الغذائية والفواكه والحبـوب، والبقوليـات، والتوابـل، والبهارات يستخـدم في وزنها الجـرام والكيلو جرام وقد يستخدم المد ونصف المد وربع المد في بيع وشراء الحبوب، ومواد غذائية أخـرى، وأحياناً يستخدم الطن في الحمـولات الكبيرة لبعض السلع، مثل: الحديد، وحمولـة المياه في السيارات البكيرة، وبعض مواد البناء مثل الخرسانة، والاسمنت، والبطحـاء، والطـوب أو البلك. وفي قياس الأطوال والمسافـات يستعمل السنتمتر، والمـتر، والكيلومـتر، وأحياناً تستخدم الياردة، أو الـذراع، أو الشبر، أو الخطوة، أو القدم[١].

سادسا: وقفات مع التاريخ التعليمي، والثقافي، والفكري:

١-التعليم والتعلم:

عرفـت الطائف حلق العلم والكتاتيب منـذ زمن بعيد، والذي ساعدها في ذلك قربها من مكة المكرمة والمسجد الحرام، حيث كان بعض العلماء يذهب من مكة إلى الطائـف للاستقرار بها برهـة من الزمن، ومنهم من جاء إلى الطائف وعاش فيها حتـى مات[٢]. ووجود مسجدي عبدالله بـن العباس (رضي الله عنهما)، والهادي، ومساجـد أخرى قديمـة في مدينة الطائف جعلت بعض العلمـاء والفقهاء والقضاة يعقدون حلقات علمية في هذه المساجد يدرّسون فيها القرآن الكريم وتفسيره، وعلوم شرعيـة ولغويـة وأدبية أخرى[٣]. والقـارئ في بعض المصـادر والمراجع الحجازية،

والفواكه بالطائف، هناك من يبيع حمولة السيارة من الطماطم، أو الحبحب أو الشمام، أو العنب، أو الرمان، أو الملوخيـة، أو الباميـة وغـيره بالجملة دون الوزن أو العـد. والذي يشتري مثل هذه البضائـع يقوم بتوزيعها وبيعها بالمفرق. وفي السابق كان التعامل بالمقايضة، وهي تبادل السلع بدلاً من الشراء بالنقود.

(١) عرفـت هـذه الأوزان والمكاييـل والمقاييـس في عموم المملكـة العربية السعوديـة منذ تأسيسهـا وما زالت مستخدمـة ومعروفـة عند جميـع الناس، وهي مـن الموضوعات الجديـدة التي تستحـق الدراسة في عدد مـن الدراسـات العلمية، ونأمل من طلابنـا في برامج الدراسات العليا في جامعـة الملك خالد وغيرها من جامعات الجنوب السعودي أن يدرسوا مثل هذه الميادين القيمة.

(٢) هنـاك عشـرات الأعلام والعلمـاء الذين جاءوا إلى الطائـف خلال عصور الإسـلام المختلفة، وكان لهم جهـود تعليمية وثقافية وتوعوية استفاد منها شرائح عديـدة في مدينة الطائف، وتخرج على أيديهم طلبة علم نجباء أسهموا في مسيرة الحياة العلمية في الطائف وفي مدن وحواضر أخرى داخل الجزيرة العربية وخارجـه. وأقـول أن دراسة أعـلام الطائف منذ صدر الإسـلام إلى وقتنا الحاضر مـن الأعمال العلمية الكبيرة التي يجب دعمها ودراستها من قبل جامعة الطائف ومراكز البحث العلمي في الطائف أو مكة.

(٣) للمزيـد عن تاريخ مساجد الطائف القديمة، ومشاهير العلماء والفقهاء الذين عقدوا فيها مجالس درس وتدريـس، وكان لهم أيضاً إسهامـات في تعليم أهل الطائف ومن يرتاده أمور دينهم وعلوم ومعارف أخرى عديـدة، انظر، سليمان بن صالح آل كمال، مساجد الطائـف داخل السور تاريخ عمارتها ودورها العلمي،

وبعض الوثائق والمدونات التي يعود تاريخها إلى القرون الأربعة الأخيرة الماضية، يجد العديد من الأعلام والأسر العلمية التي كانت تعمل في ميدان الدرس والتعليم، ويجد بعض أمراء الحجاز من الأشراف، وبعض الولاة العثمانيين، وبعض الوجهاء، والأعيان في الطائف يبذلون جهوداً حسنة في بناء المساجد وتشجيع بعض الكتاتيب التي تقوم على تدريس طلاب العلم من أهل الطائف، أو من يفد إليها من اليمن أو تهامة والسروات، أو من بعض مدن الجزيرة العربية الأخرى[١].

وقبل ظهور الدولة السعودية الحديثة، وأثناء دخول الحجاز تحت نفوذ الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل في نهاية النصف الأول من القرن (١٤هـ/٢٠م) نجد أن الطائف وأهلها عرفوا بعض المدارس العثمانية، التي كانت تدرس باللغة التركية ما عدا مادتي القرآن الكريم واللغة العربية، وفي بداية العهد السعودي الحديث، استمر التعليم في تلك المدارس، وأصبحت اللغة العربية لغة التدريس الرئيسية، وإلى جانب تلك المدارس كان هناك حلق وكتاتيب علمية تدرس العلوم الشرعية واللغة العربية لغة التدريس الرئيسية[٢]. وإلى جانب تلك المدارس كان هناك حلق وكتاتيب علمي تدرس العلوم الشرعية واللغة العربية، ثم افتتحت أول مدرسة نظامية سعودية عام (١٣٤٥هـ/١٩٢٦م)، وفي عام (١٣٦٤هـ/١٩٤٤) افتتحت مدرسة دار التوحيد، والمدرسة النموذجية. وفي عام (١٣٨٠هـ/١٩٦٠م) افتتحت أول مدرسة ابتدائية للبنات[٣]. كما أنشئت معتمدية المعارف بالطائف

ص ١١، وما بعدها، حسن العجمي، اهداء اللطائف من أخبار الطائف، ص ٩ وما بعدها، جار الله بن عبدالعزيز بن فهد، تحفة اللطائف في فضائل الحبر ابن عباس ووج والطائف، ص ٢٩، وما بعدها، السيد عيسى القصيِّر، (الطائف القديم) ص ٢٦٧-٢٩٩.

(١) عرفت بلاد الطائف علماء وطلاب علم عبر أطوار التاريخ الإسلامي، ونجد في مصادر تاريخ مكة مثل كتب الفاكهي، والفاسي، وعدد من المؤرخين المكيين الذين ينتسبون إلى أسرة فهد المكية يذكرون أسماء أعلام حجازية وغير حجازية ذهبوا إلى الطائف وأسهموا في الحركة العلمية والثقافية في مدينة الطائف وما جاورها. كما أن هناك كتب ورسائل علمية عديدة، وأيضاً وثائق منشورة وأخرى غير منشورة، ومراجع ثانوية أشارت إلى صور عديدة عن الحياة العلمية والتعليم في الطائف منذ القرن (١٠-١٤هـ/ ق١٦-٢٠م). وأقول أن ميدان التعليم والتعلم في محافظة الطائف خلال العصر الحديث موضوع جيد وكبير ويستحق أن يدرس في عدد من الكتب والبحوث العلمية.

(٢) تاريخ التعليم والتعلم في الطائف خلال القرنين (١٢-١٣هـ/١٨-١٩م)، حتى الأربعينات من القرن (١٤هـ/٢٠) من الموضوعات التي لم تدرس بشكل جيد ويستحق أن تبحث في كتاب أو رسالة علمية.

(٣) تاريخ بدايات التعليم الحديث في محافظة الطائف موضوع جديد ويستحق أن يدرس في هيئة رسالة ماجستير أو دكتوراه، ونأمل من أقسام التاريخ في جامعات الحجاز أن توجه طلابها إلى دراسة مثل هذا العنوان الجديد في بابه.

عام (١٣٦٩هـ/١٩٤٩م)، ثم تحولت إلى إدارة للتعليم عام (١٣٧٦هـ/١٩٥٦)، وتوالى فتح مدارس التعليم العام (بنين وبنات)، وتعاقب على إدارة التعليم عدد من الأعلام التربويين ولم يبد العقد الثالث من القرن (١٥هـ/٢٠م) إلا ومحافظة الطائف تحتوي على أكثر من ألف مدرسة للبنات والبنين، وأكثر من (٢٠٠) ألف طالب وطالبة، وحوالي (١٥٠٠٠) معلم ومعلمة[1]. وتوالت مؤسسات التعليم في محافظة الطائف، في فتح معاهد وثانويات للتدريب المهني والتعليم الصناعي، كما أنشئت كلية للتقنية، وأنشئت في بداية هذا القرن كليات تربوية وعلمية تتبع إدارياً لجامعة أم القرى، وأخيراً أنشئت جامعة الطائف في بدايات الثلاثينيات من هذا القرن، وهي اليوم جامعة كبيرة يوجد فيها أكثر من ثلاثين كلية للبنين والبنات علمية وأدبية في عموم المحافظة، ويدرس فيها أكثر من أربعين ألف طالب وطالبة[2]. وأثناء إقامتي في الطائف أياماً معدودة، وجولاتي في المدينة وبعض المراكز[3]، خرجت ببعض الروئ عن التعليم في الطائف، وأدون أهمها في النقاط الآتية:

أ- قابلت بعض المعلمين القدامى، وسمعت من بعض المؤرخين والباحثين في الطائف بأن كثيراً من أبنية المدارس حكومية، وما زال البعض مستأجراً، وبخاصة في الأرياف وبعض المراكز، ويأملون أن تصبح جميع عمائر المدارس حكومية، كما أن جميع المدرسين والمدرسات في التعليم العام سعوديون، وذكروا أعلاماً ومعلمين كثيرون قدامى بذلوا جهوداً كبيرة في خدمة التربية والتعليم في الطائف، ويأملون من محافظة الطائف وجامعتها وإدارة التعليم أن يؤرخوا لأولئك الأعلام والمعلمين المشاهير، وذلك لحفظ تاريخهم وذكرهم، ثم إطلاع الأجيال الحاضرة والقادمة على جهود أولئك الرجال الفضلاء الذين قضوا حياتهم في خدمة بلاد

---

(١) للمزيد انظر: مناحي القثامي، تاريخ الطائف، ص ٩١-٩٤، حماد بن حامد السالمي، الطائف في مئة عام (١٣١٩-١٤١٩هـ)، ص ٩٢-١٠٢. وأقول أن تاريخ التعليم العام الحديث في محافظة الطائف يجب أن يدرس في عدد من الكتب والرسائل العلمية، ونأمل من أساتذة التاريخ والتربية في جامعتي الطائف وأم القرى أن يتولوا هذا الميدان بالبحث العلمي الرصين.

(٢) تاريخ التعليم العالي في محافظة الطائف من الموضوعات الحيوية، والجديدة التي يجب دراستها في عدد من الكتب والرسائل العلمية. ونأمل من أحد أساتذة جامعة الطائف أن يتولى هذا الموضوع بالبحث والدراسة والتحليل.

(٣) كانت زيارتي للطائف في الفترة من (٤-١١/٨/١٤٢٣٨هـ).

الطائف وأهلها تربوياً وفكرياً وثقافياً وتعليمياً.

ب- حاولت أن أعثر على سير لبعض المعلمين والمربين الأوائل خلال العصر الحديث، لكنني وجدت أراشيف المدارس وإدارة تعليم الطائف فارغة من المذكرات والسجلات والوثائق التي تصب في خدمة هذا الباب. والجميل أنه ما زال هناك مربون ومعلمون وطلاب علم ولدوا وعاصروا بدايات التعليم الحديث وما زالوا على قيد الحياة، فالواجب على مؤرخي الطائف، وأصحاب الهمم العلمية من الأساتذة، والمثقفين أن يلتقوا بهؤلاء الرجال ويدونوا منهم شيئاً من تاريخ التعليم في هذه المحافظة، ويجمعون بعض الدروس والعبر والخلاصات التي عرفوها وعاصروها ومن يفعل ذلك فسوف يسدى لأهل الطائف وتاريخهم معروفاً كبيراً.

ج- ذهبت إلى جامعة الطائف، والتقيت ببعض أساتذتها، وزرت مكتبتها المركزية، وحاولت معرفة جهود الجامعة العلمية والبحثية في خدمة محافظة الطائف وأهلها، فوجدت كل الأعمال المنجزة متواضعة، وأرجو من القائمين على هذه الجامعة الناشئة أن يضاعفوا الجهود بإنشاء مراكز بحثية وعلمية تقوم على دراسة تاريخ وحضارة وثقافة وتعليم بلاد الطائف حاضرتها وقراها وبواديها، كما أرجو أن تشجع أعضاءها وتدعمهم في خدمة العمل البحثي الذي يصب في خدمة المحافظة، ونأمل أيضاً من الأقسام العلمية المتخصصة مثل: التاريخ، واللغة العربية، والتربية، وعلم الاجتماع، وعلم النفس وغيرها أن توجه مشاريعها العلمية، والبحثية لخدمة أرض وسكان محافظة الطائف.

كما أرجو من الوجهاء، والتجار، وأصحاب القرار في محافظة الطائف أن يوجهوا بعض أموالهم واهتماماتهم إلى خدمة تطوير بلاد الطائف علمياً وبحثياً وتنموياً، وهذا من أقل الواجبات على هذه الشرائح أو الأفراد المقتدرين المتنفذين[١].

---

(١) للأسف أن جامعاتنا المحلية تركز جل اهتمامها على مهنة التدريس، وعلى متابعة الأساتذة والطلاب بشكل رتيب وممل، ولا تسعى إلى بث روح الدعم المعنوي والمادي، وتشجيع المبدعين من الأساتذة والطلاب، كما أنها لا تدعم ما يخدم البحوث العلمية الجيدة، وتبذل جل جهودها على نشاطات تقليدية عقيمة، دون البحث عن الإبداع والابتكار، وهذا في اعتقادي مشكلة تعاني منها جميع جامعات العالم العربي. كما أرجو من أحد المؤرخين النابهين في محافظة الطائف، أو في جامعة الطائف أن يدرس تاريخ جامعة الطائف منذ

٢) شيء من الحياة الثقافية:

الطائف أرض ثقافة وأدب وشعر، والدارس في كتب التاريخ واللغة والأدب والتراجم المبكرة يجد أسماء أعلام وشعراء وأدباء عاشوا في الطائف أو زاروها في الجاهلية والقرون الإسلامية الأولى[١]. وهناك قضاة وفقهاء ورحالة وأصحاب علم ومعرفة من داخل الجزيرة العربية أو خارجها جاءوا إلى بلاد الحرمين، والتقوا ببعض رجال الطائف في مكة والمدينة، ومنهم من زار الطائف وعقد دروس علمية وثقافية وأدبية في مساجدها الرئيسية مثل: مساجد الهادي، وعبدالله بن عباس (رضي الله عنهما) والسنوسي، والهنود وغيرها[٢]. ومنذ القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري جرى على أرض الحجاز الكثير من الأحداث السياسية والعسكرية، وكانت الدولة المملوكية، ثم السلطة العثمانية على اتصال مباشر بالأمراء الأشراف في الحجاز، وكانوا جميعاً يشاركون في إدارة بلاد الحرمين سياسياً وحضارياً، والطائف حاضرة من حواضر الحجاز وتتبع إدارياً وسياسياً وثقافياً لإمارة مكة، بل إن أهل مكة من علية القوم وعامتهم يرتادون الطائف ويؤثرون ويتأثرون بما يجر على أرضها وبين أهلها[٣]. وبعد دخول الطائف وعموم الحجاز تحت لواء الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل بدأت الأحوال العلمية والثقافية تسير في طريق التطوير والتقدم المعرفي، وجاء إلى مدينة الطائف الكثير من الرموز

نشأتها حتى اليوم، ويوضح ما قدمت من خدمات عامة وخاصة، ويذكر عوامل الضعف والقوة في مناهج وخطط وبرامج هذه الجامعة.

(١) هناك كثير من الأدباء والشعراء الذين كانوا يرتادون سوق عكاظ، ويقولون أشعاراً وقصائداً مطولة. ومن أهل الطائف شعراء مشاهير في الجاهلية وخلال القرون الإسلامية الأولى. نأمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس الحياة الأدبية والثقافية في الطائف منذ العصر الجاهلي إلى نهاية القرن الثاني للهجرة.

(٢) للمزيد عن تاريخ هذه المساجد انظر بعض الصفحات في بداية هذا القسم، كما انظر سليمان بن صالح آل كمال، مساجد الطائف داخل السور، (٩٦ صفحة). والأعلام من القضاة والأدباء والشعراء الذين عاشوا في الطائف أو زاروها خلال القرون الإسلامية الوسيطة والحديثة من الموضوعات التي تستحق البحث والدراسة، ونأمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس تراجم أولئك الأعلام، وهذا العنوان موضوع جديد ويستحق البحث والدراسة.

(٣) دراسة التاريخ السياسي والحضاري في الحجاز خلال القرون الخمسة الماضية، ودور الطائف وأهلها في ذلك التاريخ من الموضوعات المهمة التي تستحق أن تدرس في عدد من الكتب والبحوث والرسائل العلمية. وهناك الكثير من المصادر المطبوعة والمخطوطة، والوثائق المنشورة وغير المنشورة التي تحتوي على معلومات كثيرة تفيد في خدمة هذا الباب. ونأمل من طلاب الدراسات العليا في أقسام التاريخ بجامعتي الطائف وأم القرى، أو بعض المؤرخين الجادين في الحجاز أن يدرسوا هذا الموضوع دراسات علمية.

والأعـلام الذين أسهموا في تنوير الناس وتثقيفهـم، والملك عبد العزيز نفسه وابنه الأمير فيصل اتخذا مـن الطائف مقراً لإقامتهما بضعة شهور من السنة، وأسست العديد من المؤسسات الإدارية والعلمية والتعليمية والثقافية، التي تهتم بنشر العلم والثقافـة بين جميع شرائح المجتمـع[١]. والمتأمل في حياة الرجـال والأعلام الذين كانوا يصاحبون الملك عبد العزيز والأمير فيصل أمثال: فؤاد حمزة، وحافظ وهبة، ويوسـف ياسين، وخالد القرقنـي، ورجال آخرون علمـوا في مدرستي دار التوحيد، والنموذجيـة، أو في بعض الإدارات الرسمية في الطائف يجدهـم جميعاً أصحاب فكـر وأدب وثقافـة، ومنهم مـن ألف مدونـات وكتباً تاريخيـة وأدبيـة وحضارية، وأشـاروا إلى صـور من تاريخ الطائـف وأهله أثناء إقامتهم فيـه أو زيارتهم له بين الفينة والأخرى[٢]. ومنذ ستينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى اليوم شهدت الطائف العديـد مـن النشاطـات الثقافيـة والعلمية، ونذكـر بعضاً من تلـك الانجازات في السطور الآتية:

أ- عُرفـت الطائـف منذ أربعينيـات القـرن (١٤هــ/٢٠م) إلى بدايات هذا القرن (١٥هــ/٢٠م) مكاناً للعديد من اللقـاءات والاجتماعات السياسية والدبلوماسية، والدينية، والعلمية، والثقافية، والفكرية المحلية، والإقليمية، العالمية والوثائق والسجلات التاريخية تؤكد ذلك. وهذا الحراك الحضاري جعـل مدينة الطائف تدخل التاريخ الحديث مـن أوسع أبوابه، ولم تقتصر هذه النشاطات على علماء، أو أدباء، أو شعراء، أو صحفيين محليين، وإنما جاء إليها رموز كثيرة من داخل البلاد وخارجها[٣].

---

(١) أشرنـا في صفحـات سابقة إلى بعض المؤسسات التعليمية التي أنشئـت في بدايات الدولة السعودية الحديثة. والحديث عن الحياة التنموية والتطور الذي ظهر في الطائف أثناء حكم الملك عبد العزيز، وعصر ابنه فيصل عندما كان نائباً للملك في الحجاز من الموضوعات المهمة، والواجب دراسة تلك الحقبة دراسة علمية موثقة

(٢) في القسـم السابـق من هذا المجلد أشرنا إلى جهود بعض أولئك الأعلام، ودراسة أعلام الطائف في عهد الملـك عبد العزيـز من الموضوعـات الجديدة، والواجب دراسـة هذا العنوان في عدد مـن الكتب والبحوث العلميـة. ونأمل من أساتذة أقسام التاريخ، والاعـلام، والأدب، والصحافة في جامعات الحجاز أن تدرس هذا الموضوع في بعض البحوث أو الرسائل العلمية.

(٣) عقـدت في الطائـف عشرات الاجتماعات السياسية والثقافية والدينيـة الإقليمية والعالمية منذ عهد الملك عبد العزيـز حتـى العقـد الأول من القـرن (١٥هـ/٢٠م). بـل إن مدينـة الطائف عرفت باسـم (مدينة المؤتمـرات) خـلال تلك الحقبة، وهذا ممـا جعلها معروفة ومشهورة في أنحاء العـالم. ومن يتتبع ويدرس جميع المؤتمرات واللقاءات التي عقدت في الطائف من عام (١٣٤٤-١٤١٠هـ/١٩٢٥-١٩٨٩م) فإنه سوف

ب- ظهر في الطائف خلال السبعين سنة الماضية (١٣٧٠-١٤٣٨هـ/ ١٩٥٠-٢٠١٧م) عشرات الشعراء والأدباء، والصحفيين، وأنشئت عدد من المؤسسات التعليمية والثقافية والصحفية، وألفت عدد من الكتب التاريخية، والجغرافية، واللغوية، والأدبية، والعلمية، والثقافية، وبرز عدد من المحررين وكتاب الأعمدة ا لصحفية في الجرائد والمجلات المحلية والاقليمية، وهناك من برز في الإذاعة والتلفزيون، أو من له اسهامات معرفية أو تقنية أو تدريبية أو نقدية، أو إبداعية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها[١].

ج- يوجد في مدينة الطائف وبعض مراكز المحافظة العديد من المحاضن الثقافية والعلمية التي تساعد على نشر الوعي الثقافي والمعرفي. ومنها مدارس التعليم العام والخاص، وأقسام وكليات التعليم العالي، والنادي الأدبي الثقافي بالطائف، ولجانه الثقافية في بعض المراكز الإدارية، وفرع جمعية الثقافة والفنون بالطائف، وإدارة الأوقاف والمساجد وما تقدمه من محاضرات وندوات، ومهرجانات، وندوات ومسامرات ثقافية ودينية، وبعض الصوالين الأدبية الخاصة. كل هذه المؤسسات تسهم في نشر الفكر، والثقافة بين طبقات المجتمع (ذكوراً وإناثاً)[٢].

يطلعنا على تاريخ جيد ومهم يوضح أهمية مدينة الطائف في قلب العالم.

(١) سردنا محاور كثيرة وكبيرة وعامة عرفتها بلاد الطائف خلال العقود السبعة الماضية. وكل محور يستحق أن يدرس في كتب وبحوث علمية عديدة. ونأمل من أساتذة جامعة الطائف ومن المؤرخين والباحثين الجادين أن يعكفوا على توثيق ودراسة هذه النشاطات الحضارية وهي جديرة بالدراسة والحفظ والتوثيق. وللمزيد انظر على خضران القرني. من أدباء الطائف المعاصرين. (الطائف: النادي الأدبي الثقافي، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م) (٨٣٣ صفحة) حماد بن حامد السالمي، الطائف في مئة عام، ص١٣٧-١٦٠، مناحي القثامي، تاريخ الطائف، ص ٩٧-١٠٤، السيد عيسى القصيِّر، أحلى اللطائف في منتجع الطائف، ص ١٥٩-٢٧٤، المؤلف نفسه الطائف القديم، ٢٧٥وما بعدها، محمد سعيد آل كمال، الطائف، (جغرافيته، تاريخه، انساب قبائله)، ص ١٣-٢٨، ١٧٦-١٨١.

(٢) كل مؤسسة أو ميدان من هذه المحاضن تستحق أن تدرس في بحوث عديدة، فيذكر تاريخ تأسيسها، وأهدافها، وما قدمت من جهود ونشاطات في خدمة المجتمع، وعلاقاتها بمثيلاتها في مدن وحواضر المملكة الأخرى، والأعلام الذين بذلوا جهوداً حسنة في خدمة الحياة العلمية والثقافية، وما خرج عنها من نتاج علمي وثقافي مطبوع أو مصور ومنشور.

د- زرت بعضاً من مؤسسات الثقافة والمعرفة في الطائف، مثل: النادي الأدبي، وفرع جمعية الثقافة والفنون، وفرع الهيئة العليا للسياحة، وإدارة الأوقاف والمساجد، وبعض الصوالين الأدبية الخاصة، ومتاحف خاصة، ووجدت كل يعمل قدر استطاعته، لكن لا يوجد هناك رابطة واحدة توجد جهود هذه المؤسسات، بل البعض منها يشتكي ويتذمر من ندرة أو قلة الدعم والتشجيع، والواجب على الوزارات والهيئات المسئولة عن هذه المناشط أن تبذل جهودها في جودة التخطيط والتوجيه والدعم المعنوي والمادي الذي يساعد على الرفع من مستوى العلم والمعرفة والثقافة في المحافظة، كما يجب على هذه المؤسسات نفسها أن لا تحصر جهودها داخل مدينة الطائف، وإنما تتوسع في خططها وأعمالها حتى تشمل شرائح أكبر وأوسع في عموم مراكز المحافظة[١].

٣- وقفة مع الفكر:

عموم أهل الطائف يدينون بدين الإسلام، ويوحدون الله في مساجدهم، ومنازلهم، وفي حياتهم العامة والخاصة، ولا يخلو المجتمع من متهاونين ومقصرين في عباداتهم وفي علاقاتهم الاجتماعية والدينية الفردية والجماعية[٢]. وفي العقود الأخيرة المتأخرة التقى الكثير من سكان الطائف بغيرهم من الأجناس العربية وغير العربية المسلمة وغير المسلمة، كما شاهدوا وسمعوا عن الحراك الثقافي والإعلامي والفكري الذي يعيشه جميع أنحاء العالم، ومن ثم لا بد أن البعض تأثر بالكثير من الثقافات والحضارات التي لها صلة باللباس والزينة، والطعام والشراب، وبعض العادات والأعراف والتقاليد الاجتماعية، بل إن بعض المؤلفين والكتاب في الجرائد والمجلات والصحف الورقية والالكترونية لهم قناعات في ممارسة بعض السلوكيات الخاصة بحياة الناس، وأحياناً يذكرون في أقوالهم وكتاباتهم محاسن بعض تلك

---

(١) هناك رعيل قديم ساهموا مساهمة عظيمة في تأسيس وتطوير هذه المؤسسات وبعضهم توفاه الله وآخرون ما زالوا أحياء عاجزون عن العمل، ويسكنون منازلهم في الطائف، أو بعض مدن الحجاز الأخرى. وقد زرت بعضهم في شهر ذي القعدة من عام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م)، والواجب من القائمين على هذه المؤسسات حالياً أن يدنون جهود من سبقهم من أولئك الرعيل، وهذا من باب الوفاء وحفظ الحقوق لأهلها.

(٢) التقصير من طبيعة الانسان، والله رحيم رؤوف بعباده، فهو يمهل، ويصبر على خلقه، لعل المذنب أو المقصر يفيق من غفلته ويعود إلى رشده، واللجوء إلى ربه، وطلبا لعفو والمغفرة منها. ونسأل الله أن يجعلنا من عباده الخائفين من عذابه والراجين رحمته وغفرانه.

السلوكيات، وربما وصل الأمر ببعضهم إلى الدفاع عنها، وتشجيع الآخرين على ممارستها وتطبيقها[1].

ومن يصل إلى جميع شرائح المجتمع اليوم، بل إلى أفراد الأسرة، أو القرية، أو العشيرة، أو المدينة، أو المؤسسة الإدارية، أو الاجتماعية، أو الاقتصادية، أو الفكرية، والتعليمية والثقافية، فإنه يرى تبايناً كبيراً في ثقافات ورغبات وتوجهات وأفكار الناس. وذلك ناتج من تقارب حضارات وثقافات العالم بعضه مع بعض. ومن خلال جولاتي في مناطق عديدة من المملكة العربية السعودية، وكان آخرها رحلتي في محافظة الطائف في نهاية عام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م)، تأكد لي اتساع البون بين الجيل القديم الذين أعمارهم تتراوح من (٥٠-١٠٠) عام، وبين الأجيال الصغيرة التي أعمارهم من (١٠-٥٠) سنة، وهذا الاتساع يشمل أمور كثيرة اجتماعية، واقتصادية، وتعليمية وثقافية وفكرية.

فالأجيال السابقة ما زال عندها مبادئ وقيم وأعراف جميلة ورثوها من تراث الأوائل، ومارسوها، وما زالوا يحبونها ويحنون لها، أما الأجيال الأخرى فتجد معظمهم يؤمنون بكل جديد دون فحص فائدته على دينهم، وتراث آبائهم وأجدادهم، ومن ثم فهم يعيشون في فراغ روحي ومعرفي وثقافي سليم. نعم عندما تناقش بعضهم في الاجتماعات العامة والخاصة يقولون الحياة تغيرت، ولا بد من الانطلاق في هذه الحياة، ويقصدون بذلك أن يذهبوا أين شاءوا، ويلبسوا ويأكلوا ويمارسوا من الأعمال والرياضات واللقاءات ما يريدون، بل بعضهم ينظرون للأجيال التي سبقتهم من الآباء والأجداد أنهم متخلفون ومعقدون. وإذا سألت البعض عن أهدافه في الحياة يقول: أنا ريد الراحة والتمتع في هذه الدنيا، ويقصد

---

(١) ومن أمثلة النداءات والسلوكيات التي ينادي بها البعض في معاشر المجتمع السعودي، تخلي المرأة عن حجابها، واختلاط الرجال بالنساء، وذكر مصطلحات وعبارات تتعلق بسلوك الإنسان في هيئة أو لباسة أو عباداته، أو علاقة الرجل بالمرأة، أو أمور تتعارض مع نصوص الشريعة الصحيحة. بل أصبحنا نسمع من يقسم المجتمع إلى طبقات وفئات حسب أفكارهم وأطروحاتهم، فهناك من يطلق على البعض (علمانيون) أو (لبراليون) أو (متشددون) أو (متزمتون)، أو (صوفيون) أو (إخوانيون) أو غيرهم من التقسيمات التي لم تكن موجودة عند أهلنا وأجدادنا في محافظة الطائف أو غيرها خلال العصور الماضية. نعم لا ننكر أن هذه المسميات أو تعدد الفرق والملل عرفت في عموم بلدان العالم الإسلامي وغير الإسلامي منذ عصور ما قبل الإسلام، وخلال العصور الإسلامية المختلفة، وما نسمعه ويوجد في مجتمعاتنا اليوم استمرار للحياة الفكرية عبر أطوار التاريخ، واليوم اشد من أي عصر سبق، لأن تواصل أجزاء العالم مع بعضه البعض اصبح سهلاً عبر الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي.

بذلك ما يدور في متع الدنيا من أكل وشرب، وسياحة، وحرية تامة في جميع الأقوال والأعمال. وهذه مشكلة عظيمة تعيشها شرائح كثيرة في المجتمع (ذكورا وإناثا)، وإذا تأملنا في حياة هؤلاء وثقافتهم الشرعية تجدهم غافلين جاهلين بأمور دينهم الأساسية، وقد يؤدون فرائضهم من صوم وصلاة وغيرها، لكنها فقط أعمال حركية دون أن تؤثر في سلوكهم وأماناتهم وصدقهم وحياتهم اليومية(١).

إيراد مثل هذه الرؤى التي عرفناها وشاهدناها في واقعنا، لا يعني أن المجتمع لا يوجد فيه صالحون ومصلحون وأخيار، بل هناك الكثير منهم، ولكن نحن معاشر المسلمين نواجه غزواً ثقافياً وفكرياً كبيراً من أعداء الدين، والواجب علينا أفراداً وجماعات، بل الواجب على حكومتنا ومؤسساتنا التعليمية، والدينية، والثقافية، والاجتماعية، والواجب على أسرنا وعقلائنا، وشعرائنا، وأدبائنا، ومؤرخينا، وقضاتنا، ومفكرين أن نعمل يداً واحدة في بناء وتوجيه أفراد أسرنا ومجتمعنا إلى كل خير يدل الإنسان إلى الطريق الصواب التي تنجيه في الدنيا والآخرة، ولا سبيل إلى ذلك إلا باتباع ديننا، دين الحق الوسط، الذي يحفظ لنا عقيدتنا، ودماءنا، وأعراضنا، وبلادنا، ومقدساتنا، وكرامتنا، وحريتنا، التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية، التي سار عليها السلف الصالح والتابعين ومن سار على هداهم حتى وقتنا الحاضر.

وأثناء جولتي في محافظة الطائف سألت بعض الناس عن تأثير بعض الفرق المارقة التي نسمع عنها في وقتنا الحاضر، مثل: القاعدة، وداعش، وغيرها(٢)، فقالوا ليس لها أثر في محيط محافظة الطائف، وهذا كلام غير دقيق، لان شر هؤلاء انتشر في بلدان عربية وإسلامية وغير إسلامية، بل أن الحكومات في جميع أنحاء العالم تعاني منهم وأمثالهم(٣). وظهور مثل هؤلاء المنحرفين فكرياً ليس حديث عهد، فالأمة الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى وقتنا الحاضر شهدت مئات

---

(١) هذه مشكلة أيضاً نشاهدها عن كبار السن من الخمسينيات فما فوق، فترى البعض يواظف على عباداته الأساسية، لكنه لا يتورع أن يكذب، ويظلم ويقطع أرحامه، ويؤذي جاره، ويأكل الربا، ويقصر في عمله، ويسلك سلوكيات كثيرة خاطئة، تتعارض مع ما جاء في مصادر الإسلام وتشريعه.

(٢) القاعدة وداعش من الفرق المعادية للإسلام في عصرنا الحديث، وأعداء الإسلام من الغرب والشرق لهم دور رئيسي في تأسيسهم ودعمهم وتشجيعهم. ونأمل أن نرى بحوثاً جادة ومنصفة تدرس هذه الفرق، كيف جاءوا؟ وما هي أهدافهم، ومن هو الذي يساندهم ويدعمهم؟

(٣) النظر لهذه الفرق، وحربها في سوريا والعراق، وليبيا، يدرك أنها تنظيمات مزروعة من الغرب والشرق لمحاربة الإسلام والمسلمين الصادقين، كما يدرك أن الشيعة الصفوية، متعاونة مع أعداء الإسلام من اليهود والنصارى لمساندة هذه الجماعات الضالة واستخدامها حربه في نحور أهل السنة من المسلمين.

الفرق والجماعات الضالة الذين يدّعون الإسلام، وهم كاذبون، بل هم من أعظم أعداءٍ الإسلام والمسلمين[١].

سابعا: الطائف والسياحة:

١-أهمية الطائف سياحياً:

تتميز الطائف بالطبيعة الخلابة، والمناخ الجميل، وهذا ما جعلها مدينة الاصطياف الأولى في الجزيرة العربية، منذ العصر الجاهلي. والباحث في كتب التراث يجد أن أهل مكة وجدة وبعض سكان تهامة والسروات واليمن كانوا يذهبون إلى مدينة الطائف للاستمتاع بجوها في الصيف، وامتلاك العقارات على أرضها، والعمل في بعض مجالاتها الاقتصادية. بل إن بعض خلفاء بني أمية وبني العباس ووزرائهم وأمرائهم، كانوا يحرصون على زيارة الطائف، وامتلاك البيوت والبساتين فيها، وبعضهم كانوا يتركون بعض أفراد أسرهم ومواليهم وعبيدهم يسكنون الطائف، ويترددون في أسفارهم ما بين مكة والطائف[٢]. والمتأمل في أوضاع الطائف الحضارية والسياحية منذ بداية الإسلام إلى عصرنا الحديث، يجد أنها تحظى بمركز مميز بين مدن الجزيرة العربية، وذلك لجمال أرضها وطيب مناخها، وقربها من أرض الحرمين، وموقعها الاستراتيجي الذي يصل بلاد اليمن والسروات، ونجد، وأجزاء من شرق الجزيرة العربية بمدن الحجاز الرئيسية مثل: مكة، وجدة وغيرهما[٣].

٢-السياحة في الطائف في العصر الحديث والمعاصر:

الطائف مدينة مهمة لمن يحكم الحجاز، ونجد المصادر والوثائق والمراجع تذكر حرص أمراء مكة، والدول الإسلامية التي يوالونها في مصر أو الأستانة خلال

---

(١) من يقرأ كتاب ابن حزم (الملل والنحل) وغيرها من كتب العقائد فإنه يدرك المشاكل التي واجهت الإسلام والمسلمين من هذه الفرق الضالة عبر أطوار التاريخ الإسلامي.

(٢) من يطلع على مصادر التراث الإسلامي فإنه يجد تفصيلات كثيرة تؤكد أهمية الطائف في مجال السياحة والاستجمام في العهود الجاهلية وخلال عصور الإسلام الأولى والوسيطة. وكان مرتادوها من أعيان ووجهاء وأمراء مكة وجدة، ومن بعض الوزراء والخلفاء ورجال الدول الإسلامية منذ القرن الهجري الأول إلى القرن الرابع عشر الهجري. وأهمية الطائف لأهل جدة ومكة سياحياً واقتصادياً عبر عصور التاريخ الاسلامي من الموضوعات الجديدة التي تستحق البحث والدراسة في بحوث علمية عديدة.

(٣) نأمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس أهمية موقع محافظة الطائف تاريخياً وحضارياً وسياحياً منذ ظهور الإسلام إلى القرن الرابع عشر الهجري، ومن يدرس هذا الميدان فإنه سيجد مادة علمية كثيرة تخدم موضوعه وبخاصة في الجوانب السياسية والحضارية.

عصر الدولة العثمانية، وكانوا يبذلون قصارى جهدهم في السيطرة على الطائف، لأهميتها السياسية والجغرافية والاقتصادية. وفي عصر الدولة السعودية الحديثة كانت أيضاً الطائف أول المدن الحجازية التي دخلتها قوات الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل، وذلك للأسباب الآنف ذكرها[١]. ولأهمية محافظة الطائف في السياحة والاصطياف خلال العصر الحديث والمعاصر نذكر بعض المقومات التي أكسبتها هذا التميز في النقاط الآتية:

أ- تنوع تضاريسها، وجمال طبيعتها، وغنى ثرواتها الزراعية والمائية، وأهمية موقعها الجغرافي، واتصالها بشبكة طرق رئيسية، كل هذه العوامل ساعدت في تميزها واشتهارها بين حواضر الجزيرة العربية، بل إن شهرتها تجاوزت حدود جزيرة العرب إلى بلدان وعوالم عربية وإسلامية وغربية وشرقية[٢].

ب- في بلاد الطائف العديد من المؤهلات السياسية والحضارية، فيوجد فيها موقع سوق عكاظ الجاهلي الشهري الذي تم إعادة ذكره في مهرجان سنوي يعقد كل عام[٣]، وفيه مساجد تاريخية، مثل مسجدي عبدالله بن عباس (رضي الله عنهما)، والهادي، وغيرهما، ولها ذكر ودور حضاري في بلاد الحجاز منذ قرون عديدة[٤]، وفيها العديد من المكتبات الثقافية القديمة والحديثة، مثل: مكتبة عبدالله بن عباس، الموجودة حتى اليوم في مسجد ابن عباس، ومكتبات عديدة أسست واستفاد منها الناس منذ النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م)، مثل: مكتبة الثقافة أسست عام (١٣٦٤هـ/١٩٤٤م)، ومكتبة المعارف انشئت عام (١٣٦٧هـ/١٩٤٧م)، ومكتبات المؤيد، والجيل الجديد، والزايدي، والمعرفة، والفرقان الخيرية، والمكتبة العامة، ومكتبة التربية والتعليم، ومكتبات النادي الأدبي، وجامعة الطائف، وجمعية الثقافة والفنون[٥].

---

(١) حبذا أن نرى باحثاً جداً يدرس أهمية الطائف السياسية والاقتصادية منذ القرن (١٠-١٤هـ/ق١٦-٢٠م)، مع التركيز على الأدوار التي لعبتها في سياسة العالم خلال هذه العصور الحديثة.

(٢) شهرة مدينة الطائف خلال العصر الحديث والمعاصر تجاوزت حدود الجزيرة العربية، وذكرت في كثير من المصادر والمراجع العربية، والأجنبية. وهذا الموضوع يستحق أن يدرس في كتاب أو رسالة علمية موثقة.

(٣) نأمل أن نرى مؤرخاً يدرس تاريخ سوق عكاظ في العصر الحديث والمعاصر، وما بذلت الدولة من جهود في إعادة نشاطاته العلمية والحضارية.

(٤) تاريخ المساجد القديمة في الطائف جدير بالبحث والدراسة في بحوث علمية موثقة.

(٥) سمعت، وقرأت، وزرت بعض هذه المكتبات المليئة بأنواع كثيرة من المصادر والمخطوطات والمراجع، وقد لعبت دور في خدمة الناس معرفياً وما زال أكثرها تؤدي رسالتها في مجتمع محافظة الطائف. ونأمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخ هذه المكتبات منذ نشأتها حتى وقتنا الحاضر، وهذا العمل من مسئوليات مراكز البحوث والمؤرخين في جامعة الطائف.

ج- محافظة الطائف مليئة بالموروث التاريخي العيني مثل: الآثار والنقوش، والقرى، والمنازل، والقصور، والقلاع والحصون، والبرك المائية، والطرق القديمة، والمقابر، والأسواق الاسبوعية القديمة وغيرها من التراث الحضاري. كما لا تخلو بعض الأسر والأفراد من امتلاك مخطوطات ووثائق تاريخية، وحضارية. وجميع هذه المصادر مهمة، وتحتاج إلى من يحافظ عليها ويجمعها ويدرسها. وقد شاهدت كثيراً منها أثناء تجوالي في ربوع المنطقة، وفي بعض المتاحف الشعبية في مدينة الطائف، وما جاورها من مراكز وقرى[١].

د- الباحث في تاريخ الطائف الحديث والمعاصر يجد أنها احتضنت العديد من المؤتمرات السياسية والإدارية والدينية والاقتصادية، وأطلق عليها بعض المؤرخين أو الكتاب اسم (مدينة المؤتمرات) أو (مدينة السلام) لأنه عقد فيها بعض المؤتمرات العالمية الكبيرة التي تسعى إلى نشر الأخوة والسلام بين دول العالم[٢]. كما أقيم فيها العديد من النشاطات الرياضية أو الثقافية التي حضرها وفود عديدة من بعض بلدان العالم[٣]. كما اشتهرت ببعض المصحات الطبية، مثل مستشفى الأمراض النفسية، المعروف إلى عهد قريب باسم (مستشفى شهار) الذي أسس في ستينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، وما زال يؤدي خدماته الطبية المميزة حتى وقتنا الحاضر[٤].

---

(١) هناك متاحف شعبية عديدة في محافظة الطائف مثل: متحف الطائف الإقليمي بقصر شبرا، ومتحف الشريف بحي أم السباع على امتداد شارع حسان بن ثابت باتجاه طريق الجنوب لصاحبه على بن خلف الفعر الشريف، ومتحف أصالة الماضي بحي وادي النحل لمالكه سالم القحطاني، ومتحف عكاظ للتراث الشعبي بحي المثناة لصاحبه خلف الله بن مسلم القرشي، ومتحف التراث الشعبي قريباً من ميدان شبرا لصاحبه عبدالمحسن عائض الحارثي، ومتحف السيالي ببني سعد. وهذه المتاحف يوجد بها الكثير من مواد التراث التي تعكس تاريخ محافظة الطائف في الماضي. وأقول أن جامعة الطائف ممثلة في إدارتها وأقسامها العلمية عليها مسئولية كبيرة تجاه دراسة هذا التاريخ الحضاري الماجد.

(٢) دراسة المؤتمرات التي عقدت في مدينة الطائف من منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى اليوم من الموضوعات التاريخية الجيدة وتستحق أن تدرس في عدد من الرسائل العلمية.

(٣) تاريخ الرياضة والفكر والثقافة في الطائف خلال العصر الحديث والمعاصر من الموضوعات الجديرة بالدراسة في عدد من الكتب والبحوث العلمية.

(٤) زار الباحث عدداً من مستشفيات الطائف، وكان له بعض المرضى في مستشفى شهار في العقدين الأولين من هذا القرن، وقد تردد على هذا المستشفى آنذاك، ثم زاره في نهاية عام (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م وما زال يؤدي دوره في خدمة الأمراض النفسية والعقلية والروحية. ونأمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخ الطب والتطبيب في محافظة الطائف منذ أربعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر، وهذا الموضوع جيد ويستحق الدراسة في عدد من البحوث العلمية.

هـ- شاهد الباحث في مدينة الطائف وبعض مراكز المحافظة عدد من المنتجعات السياحية مثل: الحدائق العامة وألعاب الأطفال، ومدن سياحية مستقلة، وعشرات الفنادق، والفلل، والشقق المفروشة، والأسواق الكبيرة والصغيرة، وشبكات الطرق الجيدة التي تربط أجزاء المحافظة ببعضها، واستراحات، ومجمعات، وشاليهات سياحية حاضرة الطائف وبعض القرى والبلدات من المحافظة. وفرع الهيئة العليا للسياحة مع البلدية ومحافظة الطائف وغيرها من المؤسسات الإدارية تبذل جهود حسنة في تطوير السياحة. كما يوجد أماكن سياحية برية في غرب وجنوب بلاد الطائف، وهذه الأمكنة مكسوة بالغطاء النباتي الكثيف، ولا تخلو بعضها من بعض الخدمات السياحية كالجلسات العائلية ودورات المياه، وبعض الألعاب والملاهي الخاصة بالأطفال[١].

ثامناً: آراء وتوصيات:

من خلال هذه الرحلة القصيرة التي قضيتها في محافظة الطائف، خرجت بالعديد من الآراء والتوصيات التي أسردها في النقاط الآتية:

١. يوجد في بلاد الطائف موروث اجتماعي، واقتصادي، وحضاري عريق، والتنمية الحضارية والثقافية التي تعيشها البلاد في الوقت الحاضر أثرت سلباً على اندثار وضياع كثير من هذا الموروث، والواجب على وجهاء، وعقلاء، وساسة ومثقفي المحافظة أن يلتفتوا إلى هذا التراث الذي أصبح الكثير منه مهملاً أو مندثراً فيجمع ويحفظ بطرق علمية سليمة[٢].

٢. من يدرس الحياة الرعية والزراعية في محافظة الطائف يجدها كانت نشطة ومتألقة، ومع بداية عجلة تطوير المدينة ومراكزها عمرانياً وتنموياً امتدت يد الإنسان إلى هذه الميادين الاقتصادية فقضت على مقوماتها، وأصبحت اليوم ضعيفة جداً، وأحياناً غير موجودة في مناطق عديدة من المحافظة[٣].

---

(١) تاريخ السياحة في محافظة الطائف منذ بداية القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر من الموضوعات الجديدة في بابها وتستحق أن تدرس في عدد من الدراسات العلمية الموثقة.

(٢) من هذا الموروث العمارة القديمة، والآثار الفكرية والثقافية واللغوية، وكثير من الأعراف والتقاليد الحضارية القيمة، وكل مهنة أو عمل بناء كان يمارسه جيل الآباء والأجداد.

(٣) من يقرأ كتب المؤرخين والرحالة الأوائل يجدها مليئة بالتفصيلات عن ازدهار الحياتين الرعوية، والزراعية في عموم منطقة الطائف، ومن يتجول اليوم في أرجائها يرى عوامل التدهور والانهيار الواضح على هذه الميادين.

٣. يوجد في الطائف اليوم كثير من الأسواق الصغيرة والكبيرة، لكن من يقارن أحوالها مع بعض المدن الكبيرة في المملكة، فإنه يجدها ما زالت متأخرة في حركتها التجارية، فلا يوجد فيها أسواق تجارية عالمية كثيرة، ولا يوجد فيها تجار وتجارات كبيرة كما في مكة المكرمة أو جدة او حتى مدن تهامة والسراة الكبيرة مثل: أبها، وخميس مشيط، وجازان، بل إن كبار التجار هجروها وذهبوا إلى مدن المملكة الكبرى لممارسة أعمالهم وتجاراتهم المتعددة(١).

٤. كانت الطائف حتى العقد الأول من هذا القرن عاصمة المملكة العربية السعودية في الصيف، فالدولة بجميع أجهزتها تنتقل إلى مدينة الطائف خلال فصل الصيف، وبالتالي تزدهر المدينة في جميع مناشطها الإدارية، والسياسية والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، والتنموية(٢).

٥. يجب على محافظة الطائف، والجامعة، وبعض الوزارات الخدمية، وصناع القرار أن يضاعفوا الجهود في تطوير المرافق السياحية في المدينة وجميع مراكز المحافظة، وأن يسارعوا في إنهاء مطار الطائف الدولي، وأن تبذل الجامعة جهدها في فتح كليات نوعية في مراكز المحافظة، وتنشئ العديد من المراكز العلمية والأدبية والتربوية والاجتماعية التي تهتم بدراسة أحوال محافظة الطائف في شتى الميادين، كما يجب على وزارة النقل والمواصلات أن تبذل جهودها في توسعة وترميم الطرق التي تربط مدينة الطائف مع غيرها من القرى والمراكز والمدن الرئيسية في المملكة، وتعمل على إيصال خدمات سكة الحديد ما بين الطائف وغيرها من مدن الحجاز والسروات(٣).

٦. نعلم أن جيل الشباب هم عماد الأمم، والواجب على جميع مؤسسات الدولة الحكومية والأهلية، وجميع شرائح المجتمع أن يبذلوا ما في وسعهم لتوفير المناشط الرياضية والعلمية والثقافية والتربوية والتوعوية التي تصب في بناء

---

(١) هذا ما سمعه الباحث وشاهده أثناء تجواله في مدينة الطائف وأجزاء من مراكزها في الفترة من (٤-١٤٣٨/١١/٨هـ)، والواجب على أهل الطائف وبخاصة تجارها أن يعملوا على تطوير هذا الميدان ا لمهم.

(٢) هذا ما سمعته من أعيان ووجهاء مدينة الطائف، وشاهدته أثناء زياراتي للطائف خلال التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وبداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م).

(٣) أرجو أن تجد هذه الآراء ووجهات النظر أذناً صاغية عند المؤسسات الحكومية وصناع القرار المعنيين بهذه الأمور التنموية.

شخصيات الشباب (ذكوراً وإناثاً) حتى يكونوا أعضاءً صالحين نافعين لدينهم وبلادهم وأهليهم[١].

٧. سردنا في هذا القسم كثيراً من المحاور الرئيسية، وأشرنا في بعض الحواشي إلى أهمية بحث ودراسة بعض الجوانب التاريخية والحضارية المهمة في محافظة الطائف، وفي النقاط التالية أذكر عناوين ونقاطاً أخرى تستحق البحث والتدوين، ومنها الآتي:

أ- دراسة أحوال بلاد الطائف القبلية، والسياسية، والاقتصادية، والثقافية خلال عصر الجاهلية. وهناك أمكنة وأعلام في محيط محافظة الطائف قبل الإسلام، وهي الأخرى تستحق البحث والدراسة والتوثيق.

ب- دخل الإسلام الطائف، ولعبت هذه الحاضرة أدواراً تاريخية، وحضارية خلال القرون الإسلامية العشرة الأولى، وهذه الفترة وما جرى فيها من أحداث سياسية وجوانب حضارية مختلفة تستحق أن تدرس في مئات الكتب والبحوث والدراسات العلمية.

ج- من يستقرئ تاريخ بلاد الطائف من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري يجد أنه مليء بالحوادث السياسية والعسكرية، والتواريخ الاجتماعية والاقتصادية، والثقافية، والعلمية، كما أن هناك الكثير من المصادر والمخطوطات والوثائق الكثيرة التي تصب في خدمة هذه الميادين، والواجب على الباحثين والمؤرخين وطلاب الدراسات العليا في جامعات الحجاز أن يدرسوا هذه المواضيع دراسة علمية موثقة.

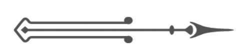
د- عرفت محافظة الطائف خلال القرون الأربعة المتأخرة الماضية الكثير من الأعلام الذين شاركوا في تاريخ بلاد الطائف وأهلها، ونأمل أن نرى باحثين جادين يدرسون تراجم أولئك الأعلام وما قدموه من خدمات وإنجازات متنوعة في ميادين عديدة.

---

(١) يعيش الشباب اليوم في ظل إرهاصات ومتغيرات فكرية وتقنية واجتماعية وحضارية كثيرة، ومعظم هذه التحولات تحمل في طياتها الكثير من السلبيات، والواجب على الجميع الانتباه لهذه الأمور وخطورتها على الأمة، ثم التعاون والعمل على توجيه مجتمع الشباب إلى الطريق السليم الذي يقودهم إلى الخير ومحاربة الشر.

هـ) تمر محافظة الطائف منذ بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر بتحولات تاريخية وتنموية وحضارية في ميادين عديدة، والواجب على مؤسسات العلم والثقافة في الطائف، وعلى الباحثين والمؤرخين الجادين أن يؤرخوا لهذه الحقبة التي تعيشها هذه البلاد منذ أربعين عاماً، ولن يكون هناك أي صعوبة في جمع المعلومات وحفظها ودراستها[١].

(١) أحث جامعة الطائف على فتح مراكز بحثية متخصصة تدرس تاريخ وأحوال الطائف عبر عصور التاريخ. ويوجد اليوم مركز لتاريخ الطائف، وقد زرت هذا المركز أثناء وجودي في الطائف، لكن لم أجد له أي جهود تذكر، وأحث القائمين عليه أن يضاعفوا الجهود لدراسة تاريخ موروث وتراث محافظة الطائف منذ عصور ما قبل الإسلام حتى وقتنا الحاضر وهذه الميادين غنية بتراثها الحضاري.



سيرة ذاتية مختصرة



أولا : معلومات عامة :

- الاسم : محمد بن أحمد بن مُعَبِّر .
- تاريخ الميلاد : ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م (في نجران) .
- المؤهل الدراسي : المستوى الثاني في كلية الشريعة وأصول الدين ـ أبها (١٤٠٣هـ) .

ثانيا : الوظائف العملية :

١. موظف في مطار أبها (١٣٩٩هـ ـ ١٤٠٢هـ) .
٢. موظف في ديوان الخدمة المدنية (فرع أبها) (١٤٠٢هـ ـ ١٤٠٣هـ) .
٣. موظف في كلية الشريعة وأصول الدين في أبها (١٤٠٣هـ ـ ١٤٠٥هـ) .
٤. أمين المكتبة المركزية في فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (أبها) (١٤٠٥هـ ـ ١٤١٠هـ) .
٥. مشرف النشاطات الاجتماعية والثقافية في بيت الشباب في أبها (متعاون) (١٤٠١ـ ١٤٠٦هـ) .
٦. مساعد مدير مركز المعلومات والدراسات الصحفية في صحيفة المدينة (جدة) (١٤١٢ ـ ١٤١٥هـ) .
٧. صحفي مجلة (إقرأ) في جدة (١٤١٥هـ ـ ١٤١٦هـ) .
٨. موظف في الشركة السعودية للكهرباء (أبها) (١٤١٦هـ ـ حتى الآن) .

ثالثا :الإنتاج العلمي :

١ـ الكتب والأبحاث المطبوعة وعددها حتى الآن (٧٦) منها :

(١) معجم التوقيعات المستعارة . (٢) التربية الإسلامية . (٣) الألقاب .
(٤) مدينة جُرش من المراكز الحضارية القديمة . (٥) الصحافة العربية الساخرة.
(٦) ضوابط إحياء الأرض موات الأرض في الإسلام . (٧) قصة البحث عن جُرش.

(٨) لغة الألوان في منطقة عسير .(٩) المرأة في شارع الحرية الخلفي .(١٠) مناهج الأصوليين في التأليف . (١١) سراة عنز بن وائل .

٢ـ الكتب والأبحاث المعدة للطبع وعددها (١٣٣) منها:

(١) معجم الألقاب العلمية والأدبية . (٢) معجم الشِّعْر .(٣) إلى أمي (الأم والأمومة في الشعر العربي) .(٤) الأمثال العامية في عسير . (٥) الجسور في التاريخ والأدب .(٦) جزيرة العرب (مثلث التاريخ والحضارة) قراءة في أصول الأنساب العربية القديمة . (٧) حوليات خميس مشيط . (٨) الصحافة الإسلامية . (٩) موريتانيا (رحلة عبر التاريخ والأدب) . (١٠) أيش وأخواتها . (١١) فتش عن القرية . (١٢) الرقيق الأبيض .

٣ـ الكتب والأبحاث (قيد الإعداد) وعددها أكثر من (١٠٠) منها :

(١) معجم الأذواء والذوات . (٢) الحرف والصناعات في الشعر العربي . (٣) حكاية الأصوات . (٤) دليل الصحافة العربية (ببليوجرافيا) . (٥) الشعر في العهد النبوي (ببليوجرافيا). (٦) الصحافة في عسير . (٧) المتاحف في عسير .(٨) معجم الرحلات (ببليوجرافيا) . (٩) معجم النقل . (١٠) معجم المصطلحات العلمية والأدبية . (١١) اليتيم في الأدب العربي . (١٢) الأنساب في ضوء السنة.

